المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى – مكة المكرمة

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

العدل الإلهي في الثواب والعقاب

عند السلف

والرد على المعتزلة والأشاعرة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالبة

مواهب بنت علي منصور فرحان

٤١٨-٨٢٨٧-١

إشراف

أ . د . محمد يسري جعفر

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

بسم ا الر ن الرحيم

ملخص الرسالة

ا مد رب العا والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وا رسل نبينا مد وعلى آلـه وصحبه أ ع .

تتكون الرسالة من مقدمة و هيد وثلاثة أبواب رئيسية تضمن عدداً من الفصول وا باحث .

ا قدمة : وفيها أ ية ا وضوع والصعوبات ال واجهت البحث .

والتمهيد : وفية ث لغوي مع العدل .

أما الأبواب الرئيسية فهي على النحو التا :

الباب الأول : وهو بعنوان المذاهب في العدل الإلهي وعلاقته بأمور الاعتقاد وفيه فصلين .

الفصل الأول : الآراء وا ذاهب العدل الإ ي .

بينت فيه مذهب السلف والأدلة العقلية والنقلية ، كما بينت مذهب كل من ا عتزلة والأشاعرة مع نق كلا ا ذهب .

الفصل الثا : ذكرت فيه علاقة العدل الإ ي بالقضاء والقدر وحسن الأفعال وقبحها والوجوب على ا تعا .

الباب الثاني : وهو بعنوان (العدل الإلهي في الحياة الدنيا) وفيه ثلاث فصول :

الفصل الأول : دثت فيه عن إرسال الرسل وإقامة ا جة على ا لق بالدعوى والتبـشـ والإنـذار وتكليف ما لا يطاق .

الفصل الثا : وهو نسبة الشر وا تعا ، وبينت فيه ا كمة من الآلام وا صائب ، و دثت فيه عن النعم والألطاف وحقيقتها .

الفصل الثالث : عن العقاب والثواب الدنيا . بينت فيه العدل الإ ي تعجيل العقوبة الـدنيا ، وتعجيل الثواب الدنيا ومضاعفة ا سنات و دثت فيه عن ا ـدود والعقوبـات العاجلة الدنيا .

الباب الثالث : وهو بعنوان (العدل الإلهي في الآخرة) وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : العدل الإ ي و ققه ا وت وال زخ .

الفصل الثا : العدل الإ ي و ققه البعث وا شر .

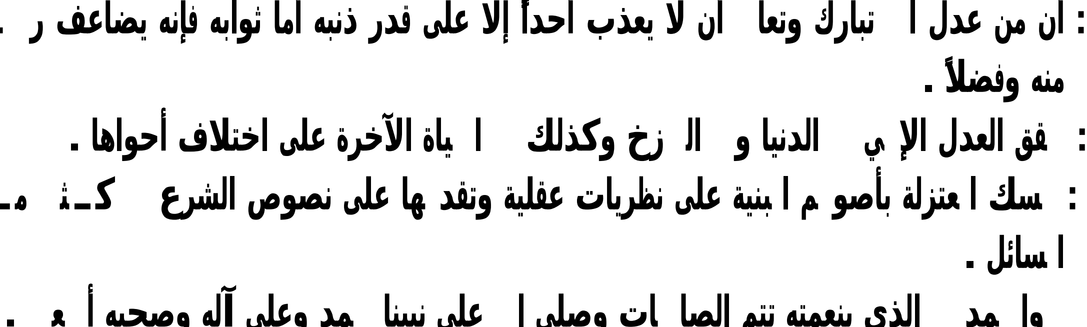
الفصل الثالث : العدل الإ ي و ققه ا ساب وما يتضمنه من ا يزان والصحائف والصراط .

الفصل الرابع : العدل الإ ي و ققه عقاب العصاة النار .

الفصل ا امس : العدل الإ ي و ققه إثبات ا ؤمن ا نة وفيه بيان موقف أهل الأعراف .

وخرجت من هذا البحث بعدد من النتائج أهمها :

أولاً : أن ا تبارك وتعا قائم على عباده بالقسط فكل أفعاله لوقاته صادرة عن عدل وحكمـة تام .



ثانياً : أن من عدل ا تبارك وتعا أن لا يعذب أحداً إلا على قدر ذنبه أما ثوابه فإنه يضاعف ر ـة منه وفضلاً .

ثالثاً : ـقق العدل الإ ي الدنيا و الـ زخ وكذلك ا ياة الآخرة على اختلاف أحواها .

رابعاً : ـسك ا ـعتزلة بأصو ـم ا ـبنية على نظريات عقلية وتقد ـها على نصوص الشرع كـ ـثـ مـ ـن ا ـسائل .

وا ـمد الذي بنعمته تتم الصا ـات وصلى ا على نبينا ـمد وعلى آله وصحبه أ ـع .

Research Summary

In The Name of Allah, The Beneficent ,The Merciful

All praise be to Allah ,and peace and prayer be on the honored messenger Mohammad and on all his family and on all his companions.

The introduction: includes the importance of the subject and the difficulties which faced the researcher.

Chapter one: I presented it under the title of The creeds in the Allah's Justice and it's relation with the matters of belief.

Which , includes two sections : Section one: covers the Opinions and schools of the almighty Allah Justice. In that section I presented the ancestors school the mental and the reported evidences . I also cleared the creed of " Al-Ashaerah " and " Al-Muatazelah " with criticism of both schools.

Section Two: I explained the relation between the Justice of Almighty Allah and the fate , the good deeds and the bad deeds .

Chapter two : Under the title of the " Supreme Justice in this life " Which includes three sections.

Section one: I explained about sending the messenger of Almighty Allah for glad tiding and threat as evidence on the humanity and placing mankind as successor on the earth with affordable responsibility. Chapter two : I explained about Punishment and reward in this life . I also explained about hasting of the Punishment and the reward in this life as well as doubling the reward of the good deeds.

Chapter three: Under the title of "the Supreme Justice in the hereafter ". Under which there were five sections.

Section one: Application of the supreme justice on the death and the partition.

Section two: Application of the supreme justice in the resurrection and revival.

Section three: Application of the supreme justice on the day of judgment including the books, the straight pass and the scale.

Section four : Application of the supreme justice in the punishment on the disobedient of Allah.

Section five: Application of the supreme justice on the situation of the people of the paradise and on the people of Al-A'raf .

(a wall with elevated places) will be men (whose good and evil deeds would be equal in scale).

<u>Results of the research were as follow:</u>

1) All the treatment of Allah to his creations is based on the absolute Justice and wisdom.

2) Punishment of Allah is equivalent to the offense but his reward is doubled with his mercy and favor.

3) Justice of Almighty Allah Is Achieved in this life and in the partition and in the hereafter.

4) " Al-Muatazelah " are clunged to their mental theories more than the texts of the holy Quran and Sunnah in most of the cases .

All praise be to Allah by whom all the bounties are achieved . peace and prayers be on our prophet Mohammad and on his family and on all his companions .

المقدمة

الحمد   المتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيماً وتكبيراً ، المتفرد بتـصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديراً وتدبيراً ، المتعالي بعظمته ومجده الذي نـزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً .

الحمد   الغفور التواب الذي خضعت لعظمته الرقاب ، وذلـت لجبروتـه الصعاب ، واستدلت على حكمته وعدله بعظيم صنعه الألباب ، غافر الذنب ، وقابـل التوب ، شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب .

اللهم اك الحمد كما هديتنا للإسلام ، وعلمتنا الحكمة والقرآن ، اك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعمك العظيمة ، وآلائك الجسيمة ، حيث أرسلت إلينا أفـضل رسلك ، وأنزلت إلينا خير كتبك ، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك ، وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس ، وهديتنا إلى معالم دينك الذي ليس به إلتباس ، وخلعت علينا خلْعة الإسلام خير لباس .

اك الحمد بالإسلام ، واك الحمد بالإيمان ، واك الحمد بالقرآن ، والـك الحمـد بالمال والأهل والمعافاة .

اك الحمد على ما خلقتنا وهديتنا ورزقتنا ووفقتنا وأعنتنا وفرجت عنا .

اك الحمد كثيراً كما تنعم كثيراً ، واك الشكر كثيراً كما تعطي كثيراً ، اك الحمد حتى ترضى ، واك الحمد إذا رضيت ، واك الحمد بعد الرضى .

وأشهد أن لا إله إلا ا   وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً .

والصلاة والسلام على نبينا محمد ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى ا بإذنه وسراجاً منيراً ، فهدى ا به من الضلالة ، وأرشد به من الغواية ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .. أما بعد ..

فإن العقيدة هي جوهر حياة القلوب ، إذ لا حياة للقلوب إلا بمعرفة ربها وخالقها وفاطرها ،

فلا غرو أنها أسنى المطالب وأغلاها ، وأشرفها وأعلاها ، لأن شـرف العلـم بشرف المعلوم ، وهذا العلم مداره على الإيمان با وملائكته وكتبه ورسـله واليـوم الآخر والقدر خيره وشره ، وعلاقة الأعمال بالإيمان ، وما يتعلق بذلك مـن الأسـماء والأحكام ، وما يترتب على ذلك من السعادة والشقاوة والجنة والنار ،

فهو أفضل ما اكتسبته النفوس ، واستنارت به القلوب ، وطـاب بـه العـيش ، واستقامت به أمور العباد في المعاش والمعاد ، فحري بأهل الإيمان أن تسمو إلى تعلمه وتعليمه هممهم ، وتصرف فيه أوقاتهم .

ومما يتناوله هذا العلم معرفة العبد لخالقه وفاطره ، وإثبـات صـفاته تبـارك وتعالى وأفعاله ، ومعرفة علاقة الإنسان بربه كما يريدها ا تبارك وتعالى ، لا كمـا يراها الإنسان نفسه .

ومن ذلك عدله سبحانه وتعالى الذي وصف به نفسه في كتابه العزيز حيث قال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١) ، ونفى سبحانه الظلم عن نفسه فقال : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٢) ، وقال تعـالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٨ .

(2) سورة ق ، آية : ٢٩ .

لِّلۡعَبِيدِ﴾ [1] ، فهذه النصوص التي تنفي الظلم تثبت العدل في الجزاء ، فنفي الظلم يلزم منه إثبات كمال الضد وهو العدل .

ومسألة العدل الإلهي موضع زلت فيه أقدام ، وضلت فيه أفهام ، وحارت فيـه العقول ، ذلك أن الناس تنازعوا في حقيقة العدل الذي وصف ا به نفـسه ، وحقيقـة الظلم الذي نزه نفسه عنه ، وذلك بسبب علاقة هذه المسألة بالقدر ومجامعته للشرع .

وهذا الموضوع مداره على ثلاثة محاور :

أولاً : إثبات مسئولية العبد عن أعماله وأفعاله وأقواله وجميع ما يصدر منه من تصرفات بإرادته ومشيئته ، وأساس ذلك أن ا تبارك وتعالى قد خلق الإنـسان علـى هيئة قادرة مريدة لها مشيئة خاصة ، وقدرة خاصة ، وإرادة خاصة .

وهذا هو مناط التكليف ، فعلى أساسه كلف ا عبـاده وأمـرهم ، ونهـاهم ، ووعدهم وأوعدهم ، وأعد لهم دارين للجزاء ، داراً للثواب وأخرى للعقاب .

وهذه المسألة افترقت لأجلها الطوائف .

فقد ظهر من ينفي قدرة العبد واختياره في أفعاله ، وجعلوا فعل العبـد وتركـه سواء ، فأسقطوا التكاليف ونفوا مشيئة العبد الخاصة ، ونسبوا إلى ا الظلم بأن جعلوه يعذب ويثيب من لا قدرة له على فعل أو ترك.

يقابل ذلك طائفة من المكذبين بالقدر ، أثبتت للعبد القدرة التامة ، ونفت الظلـم عن رب العالمين ، بأن أخرجت أفعال العباد عن عموم خلق ا .

ولما كان الكلام في هذا الباب نفياً وإثباتاً موقوفا على خبر الوحي ، كان أسـعد الناس بالصواب فيه من تلقى ذلك من نور النبوة ، ورغب بعقله و فطرته عن الخوض فيما لا مجال لهما فيه ، فأثبتت قدرة العبد التابعة لقدرة ا تبارك وتعـالى ، وبـذلك يكون العبد مسئولاً عن فعله الذي يترتب عليه جزاؤه ثواباً كان أو عقاباً .

---

(1) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .

ثانياً : إثبات عدل ا تبارك وتعالى في جميع أفعاله الربانية الحميدة ، من الهداية والضلال ، والإنعام والانتقام ، والشقاوة والسعادة ، والرفع والخفض ، والإعزاز والإذلال ، والإمهال والأخذ ، وغيرها من الأفعال التي لا تخرج عن كونها ثواباً أو عقاباً ، واستدراجاً أو إمهالاً ، وذلك بالنظر إلى ما تضمنته هذه الأفعال الربانية من الحكم البالغة ، والعواقب المحمودة ، والغايات المقصودة .

ثالثاً : إثبات الجزاء العادل في الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة .

ذلك أن ا تبارك وتعالى خلق البشر لمهمة كبرى ، وهي عبادة ا تعالى وعمارة الأرض ، وميزهم عن جميع المخلوقات بالعقل والتكليف ، وهيأ لهم ما يحتاجونه ليتمكنوا من القيام بمهمته ، ولم يتركهم هملاً ، بل أرسل إليهم الرسل ، وأنزل معهم الكتب ، ليبينوا للناس طريق النجاة والجنة ، وطريق الهلاك والنار ، فدعوا العباد إلى توحيد ا ، وحذروهم من الكفر والشرك والضلال ، وبينوا لهم ما أعده ا من ثواب ونعيم لمن أطاعه ، وما أعده من عقاب وعذاب لمن عصاه ، وأخبروهم بأن ا محصٍ عليهم أعمالهم جليلها ودقيقها ، لا يعزب عنه مثقال ذرة ، وأن هناك دارين لا ثالث لهما ، إما جنة وإما نار ، وأن الناس يوم القيامة فريقان لا ثالث لهما ، إما سعداء في الجنة ، أو أشقياء في النار ، فأقام سبحانه بذلك الحجة على عباده وقطع عذرهم بعد ذلك .

فالجزاء على الأعمال ، ووجود الثواب والعقاب ، هو ما يقتضيه العدل الإلهي ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [1] .

وهذا الثواب أو العقاب ، منه العاجل في الدنيا ، ومنه الآجل في الآخرة ، وهو الأعظم والأكبر والأشد .

وقضية الجزاء العادل على الأعمال ضرورة من ضروريات الحياة التي لا تستقيم حياة العباد إلا باعتقادها والتصديق بها .

---

(1) سورة الجاثية ، آية : ٢٢ .

ونتيجة لهذه الضرورة فقد نشأت عقائد ضالة وأفكار منحرفة عن نوعية الجزاء على الأعمال ، مثل القول بتناسخ الأرواح وتجوالها حتى تستوفي الجـزاء علـى أعمالها ، ومثل ما حدث عند اليهود والنصارى من انحراف في معتقداتهم في حقيقـة الجزاء على الأعمال وحقيقة الحياة الآخرة .

وهدى ا أمة الإسلام إلى الحق بإذنه ، وأرشدهم على لسان نبيه إلـى القـول الحق الذي ترضاه النفوس وتطمئن إليه ، وهو وجود دارين للثواب والعقاب يجـازى فيهما العباد على أفعالهم .

ومهما حدث من اختلاف فرق المسلمين في حقيقـة العـدل الإلهـي إلا أنهـم مجمعون على الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار ومجازاة العباد على أعمالهم .

وهم متفقون كذلك على عدله تبارك وتعالى في جميع أفعاله في الدنيا والآخـرة وإن اختلفت عباراتهم وتنوعت أقوالهم . فالنزاع في حقيقة العدل المتصف به الـرب ، وحقيقة الظلم الذي نزه نفسه عنه ، وأسعد الناس بالحق والصواب من كان على مذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ممن أخذ الحـق من مشكاة النبوة مما جاء في كتاب ا وسنة رسوله ، وردوا ما دون ذلك من أقـوال المتكلمين والمتنطعين . فهداهم ا إلى ما اختلفوا فيه من الحق بإذنه .

ولقد لفت نظري هذا الموضوع فاستخرت ا وأنشرح لـه صدري ، فاخترتـه وهو بعنوان : (**العدل الإلهي في الثواب والعقاب عند السلف والرد على المعتزلة والأشاعرة**) فلله الحمد على ما وفق وسدد .

أسباب اختيار الموضوع :

أولاً : لقد لفت نظري هذا الموضوع منذ دراستي في السنة المنهجيـة لمرحلـة الماجستير ، خاصة وأن البحث الذي قدمته في تلك السنة كان بعنـوان : (أفعـال ا أزلاً وأبداً) فوقفت في فصل من فصوله على موضـوع العـدل الإلهـي ، ووجـدت صعوبة في فهم مسائله ، بسبب تبعثرها في كتب العقيدة حيث لم يوضـع لهـا كتـاب

مستقل ، ولا دراسة مستقلة ، فرأيت ضرورة إدراك هذا البحث إدراكاً تاماً ، وتصوره بوضوح لفهم منهج السلف فيه .

ثانياً : إن دقائق هذا الموضوع لا زالت مجهولة لدى كثير من شرائح المجتمـع بمختلف المستويات ، ولقد واجهت اعترافات صريحة لكثير ممن اختلطت بهم عن عدم فهم هذه المسائل بصورة دقيقة صحيحة ، ولا أدرأ ذلك عن نفسي فقد كنـت مـنهم ، وهذا من أعظم ما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع بحثاً عن جواب شـاف كـاف يريح النفس ، ويطمئن إليه القلب .

أهمية الموضوع :

أولاً : إن مسألة العدل الإلهي مسألة لا يخفى على أحد جلالتهـا ، وعظـم منزلتها ، وشرف قدرها ، خاصة وأنها مرتبطة بمسائل الدين العظام ، وتستند إليهـا كثير من المسائل الأخرى ،

وهي كذلك متعلقة بأصول التشريع ، والفقه ، وبأبواب الـشريعة ومقاصـدها ، وتحقيق المصالح ، ودرء المفاسد .

فالعدل عليه مدار الخلق والأمر ، وانظر إلى قول ابن القيم : (فإن ا سبحانه له الخلق والأمر ، وما قامت السماوات إلا بعدله ، فالخلق قام بعدله وبعدله ظهر ، كما أن الأمر بعدله وبعدله وجد ، فالعدل سبب وجود الخلق والأمر وغايتـه ، فهـو علـة الفاعلية والغائية) [1] .

ثانياً : إن معرفة هذه المسألة معرفة تامة تورث حسن الظن با تعـالى لـدى العبد ، فيرضى العبد بقضاء ربه وقدره عليه ، ويشكر عند السراء ، ويـصبر علـى الضراء ، ويحمد ا تبارك وتعالى في جميع الأحوال ، ويتوجه إلـى ربـه بالمحبـة والثناء .

---

(1) شفاء العليل ، لابن القيم : ٣٥٣/١ .

ثالثاً : علاقة هذا الموضوع بأحوال الأمة ومعاناتها – خاصة وأن مـيلاد هـذا البحث يأتي في ظروف عصيبة تمر بها أمتنا الغراء ، فقد تكالب عليها الأعداء من كل حدب وصوب ، وأصبحت تواجه أخطاراً كثيرة تهدد عقيدتها ودينهـا وأوطانهـا وأبناءها ، ولم تسلم من الطعن في مناهجها وعقيدتها ودينها – بل حتى نبيها – قاتلهم ا أنى يؤفكون .

ولذلك كان من المهم النظر في سنن ا الكونية ، وعاقبة الأمم المكذبة وقـراءة التاريخ ، والوقوف بثبات وحزم قويين في وجه الطغاة والكفرة ، ولنعلم أنا ما أوتينا إلا من قبل أنفسنا أولاً ، فما يحدث من ضعف وقتل وتشريد للمسلمين لا يخرج عن كونه عقاباً لهم أو استدراجاً للظالمين وإمهالاً لهم . وهو مع ذلك بلاء واختبار من ا تعالى ليميز الخبيث من الطيب ، ووعد ا بالتمكين حق لا ريب فيه ، حاصل لا محالـة إذا توفرت شروطه من عبادة ا وتوحيده وعدم الشرك به .

فكل ما يجري في الكون هو بقدر ا وقضائه الذي وضع في موضعه الـذي لا يناسبه غيره ، وذلك بعلمه تعالى وحكمته وعدله ، والواجـب فـي جميـع الأحـوال والمواقف هو ابتغاء مرضاة ا تعالى وتوحيده بالعبادة ، والتمسك بشرعه ، والثبـات حتى الممات ، والنظر إلى النفس بعين الاتهام والتقصير ، والنظر إلى أفعال ا تعالى بعين الرضا والتسليم الصادر عن الإيمان بعدل ا وحكمته البالغة في جميع أفعالـه ، والعاقبة للتقوى.

منهج البحث :

التزمت في دراستي المنهج العلمي الدقيق ، واتبعت المنهج الوصفي هو الـذي يعتمد على الوصف والتحليل لأصول الموضـوع وأساسـياته ، وتحليـل نـصوص المخالفين وبيان أسسها وأصولها ، والمقارنة بينها وبـين أقـوال الـسلف ، وتحديـد الصواب منها ، وبيان مواضع الخطأ فيها .

وقد تحريت في ذلك توثيق النصوص والتجرد في البحث ، وبناء النتائج علـى مقدمات صحيحة ما وسعني الجهد .

كما التزمت بالضوابط والقواعد المتبعة في كتابة البحوث العلمية ، من عزو الآيات ، وتخريج الأحاديث ، وعزو الأقوال إلى أصحابها ، وترجمة الأعلام ، وصناعة الفهارس ، وبيان ذلك في ما يلي :

١- إيراد الآيات القرآنية بتمامها متميزة بالخط العثماني ، لإيماني أن فهمها على أكمل وجه لا يتأتى إلا بقراءتها كاملة ، واستثنيت من ذلك ما كان ضمن نص منقول ، فإني أدونه كما ورد في النص ، أو إذا اقتضى سياق الكلام ذكر الشاهد من الآية فقط وهذا نادر .

٢- الاستدلال بالأحاديث الصحيحة ما أمكنني ذلك ، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما ، لم أذكر له طرقاً أخرى إلا فيما ندر .

وإذا احتجت إلى الاستدلال بما ليس في الصحيحين ، فإني أورد الحكم على الحديث من أقوال الأئمة الثقات . مع العلم أني لم أورد في الرسالة حديثاً ضعيفاً للاستدلال به أو الاعتماد عليه ، وإنما استدللت بالأحاديث الصحيحة ، فإن لم أجد حديثاً صحيحاً ووجدت حديثاً حسناً فإنني أستدل به .

٣- توثيق موقف السلف في المسائل التي تناولها البحث من كتبهم المعتمدة ، وبيان موقفهم من المسألة وما استندوا إليه من نصوص الكتاب والسنة .

٤- توثيق موقف المخالفين من المعتزلة والأشاعرة من كتبهم المعتمدة ، مع الحرص على الرجوع إلى أقوالهم من مصادرها الأساسية ، ولم أكتف بنقل أقوال خصومهم عنهم إلا فيما ندر جداً ، وذلك حرصاً على الطريقة المنهجية الصحيحة ، وفهم مذهب كل فرقة من أقوال علمائها وأئمتها .

٥- ترجمة الأعلام من الصحابة ، والتابعين ، وعلماء السلف ، والفرق المخالفة الذين وردت أسماؤهم في البحث . أما الأنبياء والملائكة فإني لم أترجم لهم لشهرتهم وعدم خفاء أمرهم .

٦- الإكثار من الإحالات تفادياً لكثرة التكرار ، وقصداً للاختصار ، مع ربط القضايا والمسائل مع بعضها بما يتم به المعنى .

٧- بيان معاني الكلمات الصعبة التي وردت في البحث .

٨- إذا بحثت عن رأي المعتزلة أو الأشاعرة في مسألة ما ولم أجد ذلك في كتبهم ، ووجدت من نقل رأياً لهم فإنني أذكره باختصار وأشير إلى ذلك ، وهذا نادر جداً .

٩- إيراد المصادر والمراجع في الهامش بذكر اسم المصدر أو المرجع واسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة ، مع عدم ذكر كامل البيانات المتعلقة بالمصدر أو المرجع ، والقصد من ذلك عدم إثقال الحاشية ، وعدم تضخيم البحث ، خاصة مع وجود فهرس للمصادر والمراجع يتضمن التعريف بجميع المصادر والمراجع وبيان كامل البيانات .

وأحياناً اختصر أكثر وذلك بذكر اسم المصدر أو المرجع ورقم الجزء والصفحة فقط ، وهذا يكثر في تراجم الأعلام ، وذلك قصداً للاختصار ما أمكن .

وفي بعض المواضع في الرسالة أدون المصدر أو المرجع في الهامش بالاسم المختصر والمشهور ، مثل تفسير ابن كثير ، تفسير الطبري ، درء التعارض وغيرها ، وهذا قليل جداً .

١٠- المسائل التي لم يظهر لي فيها خلاف بين الفرق فإنني لا أذكر إلا مذهب السلف فقط ، وهذا يكثر في الباب الثالث ، حيث لم أجد خلافاً بين السلف والأشاعرة في مسائل اليوم الآخر ، فلم أورد رأي الأشاعرة لموافقته لمذهب السلف .

خطة البحث :

التزمت – و الحمد – بخطة البحث كاملة كما قررها مجلس الدراسات العليا ، مع حذف المبحث السادس من الفصل الأول من الباب الأول والذي كان بعنوان : (مذهب الفلاسفة في العدل الإلهي ونقده) وتغيير عنوان البحث من مسمى : (العدل الإلهي في الثواب والعقاب عند السلف والرد على المخالفين) إلى (العدل الإلهي في الثواب والعقاب عند السلف والرد على المعتزلة والأشاعرة) ، وقد تم إخبار القسم بذلك ، ثم إنني أدرجت الفصل الأول والفصل الثاني من الباب الأول في فصل واحد

بعنوان : (المذاهب في العدل الإلهي) مع عدم إسقاط ما تضمنه الفصل من الاستدلال العقلي والنقلي على إثبات العدل الإلهي تبارك وتعالى .

كما أدرجت الفصل الثالث من الباب الثالث ، وهو عن العدل الإلهي في البعث مع الفصل الرابع من الباب نفسه ، وهو عن العدل الإلهي في الحشر ، في فصل واحد بعنوان : (العدل الإلهي في البعث والحشر) وذلك لارتباط كلٍ من البعث والحشر ببعضهما ، حتى إن بعض المتكلمين يعرفون البعث بأنه حشر الأجساد ، كما سيأتي بيان ذلك .

والمقصود أن التغير كان شكلياً فقط ، دون إسقاط أي فصل أو مبحث ، وإنما كان إدراجاً للفصول مع بعضها فقط .

هذا وقد جاءت خطة البحث مرتبة على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب رئيسية ، وخاتمة ، وفهارس ، وهي على النحو التالي :

أولاً : المقدمة : وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، ومنهج البحث وخطته.

ثانياً : تمهيد : وهو لبيان معنى كلمة العدل في اللغة .

ثالثاً : الباب الأول بعنوان : (المذاهب في العدل الإلهي وعلاقته بأمور الاعتقاد) وفيه فصلان :

الفصل الأول : المذاهب في العدل الإلهي ، وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول : مذهب السلف في العدل الإلهي .

المبحث الثاني : مذهب المعتزلة في العدل الإلهي .

المبحث الثالث : نقد مذهب المعتزلة في العدل الإلهي .

المبحث الرابع : مذهب الأشاعرة في العدل الإلهي .

المبحث الخامس : نقد مذهب الأشاعرة في العدل الإلهي .

الفصل الثاني : علاقة العدل الإلهي بأمور الاعتقاد ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : علاقة العدل الإلهي بالقضاء والقدر .

المبحث الثاني : علاقة العدل الإلهي بالحسن والقبح .

المبحث الثالث : علاقة العدل الإلهي بالإيجاب على ا .

رابعاً : الباب الثاني وهو بعنوان : (العدل الإلهي في الحياة الـدنيا) ، وفيـه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : العدل الإلهي في إرسال الرسل ، وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول : دعوة الرسل .

المبحث الثاني : التبشير والإنذار .

المبحث الثالث : عدم تعذيب ا لأحد حتى تقوم عليه الحجة .

المبحث الرابع : التكليف بما لا يطاق .

الفصل الثاني : نسبة الخير والشر إلى ا ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اللطف .

المبحث الثاني : المصائب والآلام .

المبحث الثالث : النعم .

الفصل الثالث : الثواب والعقاب في الدنيا ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العقاب بالسيئات والذنوب .

المبحث الثاني : الثواب بالحسنات .

المبحث الثالث : تعجيل العقوبة في الدنيا .

خامساً : الباب الثالث ، وهو بعنوان : (العدل الإلهي في الحياة الآخرة) ، وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : العدل الإلهي في البرزخ ، وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول : حقيقة الموت وسكراته .

المبحث الثاني : عذاب القبر ونعيمه وأحوال الناس فيه .

المبحث الثالث : تحقق العدل الإلهي في الحياة البرزخية .

الفصل الثاني : العدل الإلهي في البعث والحشر وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول : الأدلة العقلية والنقلية على ثبوت البعث والحشر .

المبحث الثاني : صفة البعث والحشر .

المبحث الثالث : تحقق العدل الإلهي في البعث والحشر .

الفصل الثالث : العدل الإلهي في الحساب وفيه عدة مباحث .

المبحث الأول : الحساب .

المبحث الثاني : الشفاعة .

المبحث الثالث : تطاير الصحف .

المبحث الرابع : الميزان .

المبحث الخامس : الصراط .

الفصل الرابع : العدل الإلهي في دخول العصاة إلى النار ، وفيه عدد من المباحث :

المبحث الأول : دخول العصاة إلى النار .

المبحث الثاني : أحوال العصاة في النار .

المبحث الثالث : أبدية النار وفناؤها .

المبحث الرابع : تحقق العدل الإلهي بعقاب العاصين .

الفصل الخامس : العدل الإلهي في دخول المؤمنين الجنة ، وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول : دخول المؤمنين الجنة .

المبحث الثاني : أحوال المؤمنين في الجنة .

المبحث الثالث : أبدية الجنة .

المبحث الرابع : تحقق العدل الإلهي في إثابة المؤمنين .

المبحث الخامس : أهل الأعراف .

سادساً : الخاتمة وفيها أهم النتائج .

سابعاً : الفهارس وهي على النحو التالي :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث الشريفة .

٣- فهرس المراجع والمصادر .

٤- فهرس الموضوعات .

وبعد .... فلا أدعي أني وفيت الموضوع حقه ، ولكن حسبي أني مهدت الطريق ، وبحثت واجتهدت ، ولا أدعي الكمال إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت ، فما كان في البحث من صواب فمن ا وحده وله الحمد والمنة ، وما توفيقي إلا به ، وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان وأستغفر ا .

وإنني لأحمد ا أولاً وأخيراً على توفيقه وتسديده وعنايته وفضله .

كما أوجه شكري وتقديري لزوجي الفاضل الذي كان له جهد مميز في سبيل إتمام البحث ، وأخص بالشكر والدي الكريمين على ما بذلا من جهد ورعاية وتربية وتوجيه ، فلهما مني خالص الشكر والتقدير .

كما أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين على إتاحة الفرصة لإكمال الدراسة ، والالتحاق بالدراسات العليا بقسم العقيدة .

كما أتوجه بالشكر للمشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمد يسري جعفر فجزاه ا خيراً .

كما أشكر المناقشين لهذا البحث .

والشكر موصول إلى كل من ساهم في هذه الرسالة سـواء بكلمـة أو رأي أو نصيحة أو إعارة كتاب أو مرجع أو دعوة بظهر الغيب ، وأسأل ا أن يجعل ما قدموا في موازين حسناتهم .

سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك .. إن أطعناك فبإذنك والمنّـة لـك ، وإن عصيناك فبعلمك والحجة لك ، علمك فينا سابق ، وقضاؤك بنا محيط ، وأمرك علينـا نافذ ، الحلال ما أحللت ، والحرام ما حرمت ، والدين ما شـرعت ، والخلـق خلقـك والعبد عبدك ، وأنت ا العزيز الحكـيم ، ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (1) . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسـلين والحمد رب العالمين .

(1) سورة المائدة ، آية : ١١٨ .

تمهيد

العدل في اللغة :

قال ابن منظور [1] : (العدل : ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجور... والعدل : الحكم بالحق ..) [2] .

قال الجوهري [3] : (العدل : خلاف الجور ، يقال : عدل في القضية فهو عدل... وتعديل الشيء : تقويمه ، يقال : عدلته فاعتدل ، أي قومته فاستقام ...) [4] .

فالعدل نقيض الجور ، وأصله التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، فمن جانب الإفراط والتفريط فقد عدل ، فهو على هذا وضع كل شيء في موضعه من غير زيادة ولا نقصان [5] .

ومما يرادف العدل : القسط وهو يدل على معنيين متضادين :

وأول هذين المعنيين : القسط – بكسر القاف – وهو العدل ، يقال : أقسط يقسط فهو مقسط ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن

---

(1) محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي ، الإمام اللغوي ، الحجة ، ولد بمصر سنة ٦٣٠هـ ، وتوفي سنة ٧١١هـ . انظر الدرر الكامنة : ٢٦٢/٤ ، الأعلام ، للزركلي : ١٠٨/٧ .

(2) لسان العرب : ٤٣٠/١١-٤٣١ .

(3) إسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر ، لغوي من الأئمة ، أول من حاول الطيران ومات في سبيله سنة ٣٩٣هـ . لسان الميزان : ٤٠٠/١ ، الأعلام : ٣١٣/١ .

(4) الصحاح ، للجوهري : ١٧٦٠/٥-١٧٦١ .

(5) انظر معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس : ٨٥/٥ ، والمصباح المنير ، للفيومي : ١٩٢ .

بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [1] .

الثاني : القَسط – بفتح القاف – وهو الجور والقسوة والعدول عن الحق ، يقال : قسط يقسط قسطاً إذا جار وظلم [2] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴾ [3] ، أي الجـائرون [4] فكأن الهمزة في أقسط للسلب أي أزال القسط – وهو الجور – وبذلك يتحقق القـسط ، ففي العدل لغتان : قسط وأقسط ، وفي الجور لغة واحـدة – قـسط – بغيـر الألـف ومصدره القسوط) [5] .

وقد يطلق لفظ " العدل " ويراد به معانٍ أخرى منها :

- الفداء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾ [6] .
- الإنصاف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [7] .

---

(1) سورة الحجرات ، آية : ٩ .

(2) انظر معجم مقاييس اللغة ، لابـن فارس : ٨٦/٥ ، تهذيب اللغة ، للأزهري : ٣٨٨/٨ ، والصحاح ، للجوهري : ١١٥٢/٣ .

(3) سورة الجن ، آية : ١٥ .

(4) جامع البيان عن تأويل القرآن ، لابن جرير الطبري : ١١٣/٢٩ .

(5) انظر لسان العرب ، لابن منظور : ٣٧٨/٧ .

(6) سورة الأنعام ، آية : ٧٠ .

(7) سورة النساء ، آية : ٥٨ .

- الإشراك ، وذلك من جعل المعبودات المزعومة مساوية للرب تبارك وتعـالى ، ومنه قوله تعـالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [١] .

وكل هذه المعاني لا تخلو من معنى الاستقامة والمساواة والمعادلة بين طـرفين بدون زيادة أو نقصان .

ونقيض العدل الظلم والجور ، يقول ابن منظور : (الظلم : وضع الشيء فـي غير موضعه ... وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد) [٢] .

وقال كذلك : (الجور : نقيض العدل ، جار يجور جوراً ، وقوم جوره وجـاره أي ظلمه .. وجار عليه في الحكم ..) [٣] .

ويقول الجوهري : (ظلمه يظلمه ظلماً ومظلمة ، وأصله وضع الشيء في غير موضعه) [٤] .

ويقول أيضاً : (الجور : الميل عن القصد ، يقال : جار عن الطريق ، وجـار في الحكم ..) [٥] .

فالعدل يدل على إعطاء الحق والإنصاف والمساواة ، والظلـم والجـور علـى النقيض من ذلك كله ، فالظلم والجور يدلان على مجاوزة الحد والبعد عن الإنـصاف والحق .

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١ .

(2) لسان العرب ، لابن منظور : ٣٧٣/١٢ ، وانظر القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ١٤٥/٤ .

(3) لسان العرب : ١٥٣/٤ .

(4) الصحاح ، للجوهري : ١٩٧٧/٥ .

(5) المصدر نفسه : ٦١٧/٢ .

الباب الأول :

المذاهب في العدل الإلهي
وعلاقته بأمور الاعتقاد .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : المذاهب في العدل الإلهي .

الفصل الثاني : علاقة العدل الإلهي بأمور الاعتقاد.

الفصل الأول :

المذاهب في العدل الإلهي .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : مذهب السلف في العدل الإلهي .

المبحث الثاني : مذهب المعتزلة في العدل الإلهي .

المبحث الثالث : نقد مذهب المعتزلة في العدل الإلهي .

المبحث الرابع : مذهب الأشاعرة في العدل الإلهي .

المبحث الخامس : نقد مذهب الأشاعرة في العدل الإلهي.

المبحث الأول :

مذهب السلف في العدل الإلهي .

بيان مذهب السلف في أفعال الله وصفاته وأسمائه :

يرتبط البحث في قضية العدل الإلهي عند السلف [1] والمتكلمين بموقف كل منهم من قضية الأسماء والصفات .

ولذلك فإنه لا بد – قبل الخوض في تعريف العدل الإلهي والاستدلال على

---

(1) هم الصحابة والتابعون وتابعوهم ، وكل من سلك طريقهم . انظر : التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، فالح بن مهدي آل مهدي .

ثبوته – من تقرير أصلين مهمين :

١- الأصل الأول : إثبات قيام الصفات والأفعال با تبارك وتعالى .

٢- الأصل الثاني : إثبات الأسماء الحسنى تعالى .

الأصل الأول : إثبات قيام الأفعال بالله تبارك وتعالى واتصافه بالصفات التي تليق بجلاله وعظمته .

الصفات تنقسم إلى قسمين :

- صفات اختيارية : وهي الأفعال مثل : الاستواء والمجيء والإتيان والخلق والرزق والعدل والإحسان والكلام وغيرها .
- صفات خبرية : مثل : اليد والوجه والساق والقدرة والعلم والحياة وغيرها مما جاء في الكتاب والسنة .

والأفعال نوعان :-

- متعد : مثل : الخلق والرزق والإعطاء والمنع والعدل والإحسان .
- ولازم : مثل : الاستواء – النزول – والإتيان والمجيء .

وقد ذهب السلف إلى إثبات ما أثبته ا لنفسه من صفات الكمال ، من غير تكييف[1] أو تمثيل[2] أو تشبيه[3] ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه من صفات النقص التي لا

(1) التكييف : تعين كنه الصفة وكيفيتها . انظر التحفة المهدية : ٣٢ .

(2) التمثيل : تسوية الشيء بالشيء وجعله مثله . المصدر نفسه .

(3) التشبيه : مشابهة الشيء بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه وذلك لا يقتضي التماثل . انظر المصدر نفسه : ٢٧٣.

تليق بجلاله ، من غير تعطيل[1].

وهم بذلك جمعوا بين الإثبات والتنزيه ، ولكنه إثبات بلا تمثيل ، وتنزيـه بـلا تعطيل ، فإن ا تبارك وتعالى لا يشبهه شيء من مخلوقاته ، ولا تشابهه مخلوقاته في شيء من صفاته ، فكما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين ، فكـذلك صـفاته لا تـشبه صفات المخلوقين .

ولقد ذهب السلف إلى الإيمان بصفات ا وأفعاله ، وإثباتها تعالى ، وإجرائها على ظاهرها كما وردت في الكتاب والسنة .

فقد روى البيهقي[٢] بإسناد صحيح إلى الأوزاعي[٣] أنه قال : (كنا والتـابعون متوافرون نقول : إن ا تعالى جل ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت الـسنة بـه من صفاته) [٤].

وروى الخلال[٥] في كتاب السنة : حدثنا المروزي[٦] قال : سألت أحمـد ابـن

([1]) التعطيل : جحد الصفات ، وإنكار قيامها بذات الرب سبحانه ، ونفي ما دلت عليه من الكمال . انظر المـصدر نفسه : ٣٢ .

([2]) العلامة الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردى البيهقي ولد سنة ٣٨٤هـ ، وتـوفي عام ٤٥٨هـ وعمره ٧٤ سنة . انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي : ١٦٣/١٨ ، وتذكرة الحفاظ ، للقيـسراني : ١١٣٢/٣ .

([3]) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمر بن محمد الدمشقي الأوزاعي ، إمام الشام في الفقه ، ولد ببعلبك سنة ٨٨هـ ، وتوفي في بيروت سنة ١٥٧هـ . انظر تذكرة الحفاظ : ١٧٨/١ .

([4]) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات .

والذهبي في العلو ، مختصر العلو ، اختصره وحققه : الشيخ ناصر الدين الألباني : ١٣٨ ، وقال : (ورواتـه كلهم أئمة ثقات) .

([5]) الإمام العلامة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة ، وعالمهم أبو بكر أحمد بن محمد بن هـارون بـن يزيـد البغـدادي الخلال، ولد سنة ٢٣٤هـ ، توفي شهر ربيع الأول سنة ٣١١ وعمره ٧٧ سنة . انظر سير أعـلام النـبلاء : ٢٩٨/١٤ ، طبقات الحفاظ ، للسيوطي : ٣٢٥/١ .

([6]) محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد ا ، ولد سنة ٢٠٢هـ ، وتوفي فـي محـرم عـام ٢٩٤هـ ـ بسمرقند. انظر تذكرة الحفاظ ، للقيسراني : ٦٥٠/٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٣/١٤ ، تاريخ بغداد : ٣١٦/٣ .

حنبل[1] عن أخبار الصفات ، فقال : نمرها كما جاءت[2] .

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال : سـئل مكحـول[3] الزهري[4] عن تفسير الأحاديث فقال : أمروها كما جاءت [5].

وروى الوليد بن مسلم[6] قال : سألت الأوزاعي ومالك بـن أنـس[7] وسـفيان الثوري[8] والليث بن سعد[9] عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : (أمروها كما جاءت) ، وفي رواية (أمروها كما جاءت بلا كيف) [10] .

وقول السلف بإجراء الصفات على ظاهرها ، لا يعني عدم علمهم بها ، أو عدم فهمهم لمعناها ، ولم يكن القوم يؤمنون باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بجلال ا تعالى .

---

(1) إمام أهل السنة والجماعة أبو عبد ا أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي البغدادي أحد الأئمة الأعلام ، ولد سنة ١٦٤هـ ، وامتحن في القول بخلق القرآن ، مات ١٢ ربيع الأول يوم الجمعـة عـام ٢٤١هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ١٧٧/١١ .

(2) أخرجه الذهبي في الأربعين في أصول الدين ، للذهبي : ٨٦ .

(3) عالم أهل الشام أبو عبد ا بن أبي مسلم الهذلي الفقيه الحافظ ، توفي سنة ١١٣هـ . انظر تـذكرة الحفـاظ : ١٠٧/١ ، سير أعلام النبلاء : ١٥٥/٥ ، طبقات الحفاظ ، للسيوطي : ٤٩/١ ، مشاهير الأمصار : ١١٤/١.

(4) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد ا بن شهاب بن عبد ا بن الحارث بن زهرة بن كـلاب القرشـي الزهـري المدني ، ولد سنة ٥٠هـ ، توفي سنة ١٢٤هـ . انظر تذكرة الحفاظ ، للقيـسراني : ١٠٨/١ ، سـير أعـلام النبلاء : ٣٢٦/٥، طبقات الحفاظ : ٤٩/١ .

(5) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٣ / ٤٣١ ، والشريعة ، للأجري : ٣١٤ .

(6) أبو العباس الدمشقي الحافظ مولى بني أمية عالم الشام ، حافظ الحديث ، ولد سنة : ١١٩هـــ ، تـوفي سـنة ١٩٤هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ٢١١/٩ ، ميزان الاعتدال : ٢٧٥/٣ .

(7) أبو عبد ا مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث ، فقيه الأمة ، إمام دار الهجـرة ، ولـد عام ٩٣هـ على الأصح ، توفي عام ١٧٩هـ ، وعاش ٨٦ سنة . انظر تذكرة الحفاظ ، للقيسراني : ٢٠٧/١ ، سير أعلام النبلاء : ٤٨/٨ .

(8) سفيان بن سعيد بن مسروق الإمام سيد الحفاظ ، أبو عبد ا الكوفي ، ولد سنة ٩٧هـ ، توفي سنة ١٦١هــ . انظر تذكرة الحفاظ ، للقيسراني : ٢٠٤/١ ، طبقات الحفاظ : ٩٥/١ .

(9) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الإمام الحافظ عالم الديار المصرية ، أبو الحارث الفهمي مولى خالد بن ثابت بن ظاعن ، ولد سنة ٩٤هـ ، توفي سنة ١٧٥هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ١٣٦/٨ .

(10) أخرجه الذهبي في العلو : ١٠٥ ، والدار قطني في الصفات : ٧٥ .

وإنما كانوا يقصدون تفويض الكيفية تعالى ، مع إبقاء دلالات الألفاظ على ما هي عليه ، فإن الألفاظ إنما جاءت دالة على معنى . والذي درج عليـه الـسلف هـو الإقرار والتصديق لآيات الأسماء والصفات وأحاديثها ، وإمرارها كما جاءت وإثباتها ، دون تشبيه أو تعطيل أو تحريف .

ويدل على ذلك قول سفيان بين عيينه[١] : سئل ربيعة بن عبد الرحمن[٢] رحمه ا تعالى عن قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [٣] قال : الاسـتواء غيـر مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن ا تعالى الرسالة ، وعلـى الرسـول الـبلاغ ، وعلينا التصديق[٤].

وهذا الكلام مروي عن مالك تلميذ ربيعة ، كما وردت روايته عـن أم سـلمة رضي ا عنها[٥].

فقول ربيعة ومالك : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، موافق لقول الباقين : أمروها كما جاءت بلا كيف ، فإنما نفوا علم الكيفيـة ، ولم ينفوا حقيقة الصفة[٦] .

---

(1) سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الهلالي الكـوفي المكي ، ولد سنة ١٠٧هـ ، توفي سنة ١٩٨هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ٤٥٤/٨ .

(2) ربيعة بن عبد الرحمن بن فروخ الإمام أبو عثمان التيمي المدني الفقيه ، مولى آل المنكدر ، كان فقيهاً مجتهـداً بصيراً بالرأي ، ولذا يقال له " ربيعة الرأي " ، توفي سنة ١٣٦هـ . انظـر تـذكرة الحفـاظ ، للقيـسراني : ١٥٧/١ ، سير أعلام النبلاء : ٨٩/٦ .

(3) سورة طه ، آية : ٥ .

(4) أخرجه الذهبي في العلو : ١٤١ . وقال : ساقه البيهقي بإسناد صحيح ، وهذه رواية البيهقي ، أخرجه البيهقـي في الأسماء والصفات : ٤٠٨ .

(5) أخرجه اللالكائي من قول أم سلمة في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٣ / ٣٩٧ .

(6) انظر كتاب النعوت الأسماء والصفات للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي ، دراسة وتحقيق : د . عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان : ١٤٤ – ١٤٥.

وقال الذهبي بعد ذكر كلام مالك وربيعة : (وهذا قول أهل السنة قاطبـة ، أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها ، وأن استواءه معلوم كما أخبر به في كتابه ، وأنـه كما يليق به ، ولا نتعمق ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً ، بـل نسكت ونقف كما قد وقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبـادر إليـه الـصحابة والتابعون ، و لما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه ، ونعلم يقيناً مع ذلـك أن ا عز وجل لا مثل له في صفاته ، ولا في استوائه ، ولا في نزوله - سبحانه وتعالى - عما يقول الظالمون علواً كبيراً)[1] وهذه القاعدة التي وضعها الإمام مالـك وشـيخه الإمام ربيعة عامة في جميع الأسماء والصفات والأفعال . فكل صفاته وأفعاله معلومـة لنا غير مجهولة ، ولكن كيفيتها غير معقولة لنا . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] رحمه ا تعالى في تصوير مذهب السلف : (وجماع القول في إثبات الصفات : هو القـول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها ، وهو أن يوصف ا بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل ، والتكييف والتعطيل ، فإن ا لـيس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فمن نفى صفاته كان معطـلاً ، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلاً ، والواجب إثبـات الـصفات ، ونفـي مماثلتها لصفات المخلوقات ، إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قـال تعـالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [٣] فهذا رد على الممثلة، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[٤] رد علـى المعطلة ، فالممثل يعبد صنماً والمعطـل يعبد عدمـاً) [5].

وإن كان هذا هو قول السلف في إثبات صفات ا تعالى وأفعاله ، فإن من أهل الكلام من وافق السلف على أقوالهم وذهب إلى ما ذهبوا إليه . ومن هؤلاء أبو الحسن

([1]) انظر مختصر العلو للذهبي : ١٤٢ .

([2]) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد ا بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي ، ولد ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١هـ ، توفي سنة ٧٢٨ . انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنـة ، لابن حجر : ١٥٤/١ ، وانظر الحافظ أحمد بن تيمية ، أبو الحسن الندوي : ٢٧ .

([3]) سورة الشورى ، جزء من الآية : ١١ .

([4]) سورة الشورى ، جزء من الآية : ١١ .

([5]) مجموعة فتاوي ابن تيمية : ٣٠٩/٦ ، وانظر ٤ /١٩٩/٩،٥ .

الأشعري[1] حيث قال : (ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث : جملة قولهم الإقرار با وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن ا ، وما رواه الثقات عن رسـول ا ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً .

وأن ا على عرشه استوى كما قـال : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢] ولا نتقدم بين يدي ا بالقول بل نقول : استوى بلا كيف .

وأن له يدين بلا كيف كما قال : ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [٣] وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث . وأن أسماء ا لا يقال إنها غير ا كما قالـت المعتزلـة والخوارج ... إلى أن قال : قالت المعتزلة : إن ا استوى على عرشه بمعنى استولى ، وتأولوا اليد بمعنى النعمة [٤]) .

فالأشعري إنما حكى تأويل الاستواء بالاستيلاء عن المعتزلة [٥] ، وصرح أنـه بخلاف قول أهل السنة والجماعة .

وكذلك الباقلاني [٦] وهو من كبار الأشاعرة [١] ، فقد ذهب إلى ما ذهـب إليـه

([1]) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد ا بن موسى بن أمير البـصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول ا ﷺ أبي موسى عبد ا بن قيس بن حضار الأشعري اليماني البصري، ولد سنة ٢٦٠هـ ، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ٨٥/١٥ ، نزهة الفـضلاء تهـذيب سير أعلام النبلاء : ١٠٦٩/٢ .

([2]) سورة طه ، آية : ٥ .

([3]) سورة ص ، جزء من الآية : ٧٥ .

([4]) مقالات الإسلاميين ، لأبي الحسن الأشعري : ٣٤٥ .

([5]) فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ، بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال ، نشأت هـذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر ، ويطلق عليهم مسمى " القدرية " و " الوعيدية " و " التنوية " ، وهم يسمون أنفسهم " أهل العدل والتوحيد " ، ومن فرقهم النظامية والبهستمية والجبائيـة والواصـلة وغيرها ، ومن رجالها : النظام وأبو الهذيل العلاف وأبو علي الجبائي ، وابنه أبـو هاشـم ، وأبـو الحـسين البصري ، والقاضي عبد الجبار بن أحمد . ومن عقائد هذه الفرقة نفي الصفات دون الأسماء ، والقـول بخلـق العباد لأفعالهم ، وغيرها من المعتقدات المبتدعة . انظر الفرق بين الفرق : ١١٤ ، المـلـل والنحـل : ٥٦/١ ، وفرق معاصرة ، د. غالب عواجي : ٨٢١/٢ .

([6]) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البصري البغدادي ابن الباقلاني ، توفي سنة ٤٠٣هـ . انظر سـير أعلام النبلاء : ١٩٠/١٧-١٩٣ ، انظر نزهة الفضلاء : ١٢١٤/٣ .

شيخه أبو الحسن ، وقال في التمهيد : (فإن قال قائل : فصلوا لنا ذاته مـن صـفات أفعاله لنعرف ذلك . (قيل له : صفات ذاته ، هي التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بهـا وهي : الحياة ، والقدرة والإرادة ، والسمع والبصر والكـلام ، والبقـاء ، والوجـه ، واليدان ، والعينان ، والغضب والرضا .

وصفات فعله هي : الخلق ، والرزق ، والعـدل ، والإحـسان ، والتفـضل ، والإنعام ، والثواب ، والعقاب ، والحشر ، والنشر[٢]) .

ونقل عنه الذهبي مقالته في كتابه " الذب عن أبي الحسن الأشعري " : (كـذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله – إذا صح – من إثبات اليدين والوجه ، والعينين كما في الحديث ، وأنه مستو على عرشه) إلى أن قال : (فقد بينـا دين الأئمة وأهل السنة ، وأن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ، ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير ، كما روي عن الزهري وعن مالك في الاستواء ، فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل [٣]) .

ومن علماء الكلام من خاض في بحره ، ثم عاد إلى منهج السلف ، وسطر كلامه هذا حتى يبلّغ من بعده ، بصحة ما ذهب إليه السلف ، وذم ما ذهب إليه المتكلمون.

فهذا أبو المعالي الجويني[٤] من كبار متكلمـي الأشـاعرة يقـول فـي كتابـه "النظامية"، وهو يتحدث عن مسألة صفات الرب تبارك وتعالى : (اختلفـت مـسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها والتزام ذلك في أي كتاب وما يـصح من السنن . وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل ، وإجـراء الظـواهر علـى

---

(1) فرقة ظهرت في الإسلام في مقابل المعتزلة ، وهي نسبة إلى أبي الحسن الأشعري ، بعد تركه مذهب المعتزلـة ودخوله في مذهب ابن كلاب ، ومن معتقدات هذه الفرقة إثبات الأسماء وسبع من الصفات فقط ، ونفي الحكمـة والتعليل والقول بالكسب ، وغيرها ، ومن أهم رجالها الباقلاني والجـويني والإيجـي والآمـدي ، والغزالـي والرازي والتفتازاني وغيرهم . انظر الملل والنحل : ١٠٦/١ ، فرق معاصرة : ٨٥٣/٢ .

(2) التمهيد ، للباقلاني : ٢٩٨ .

(3) انظر مختصر العلو ، للذهبي : ٢٥٨ .

(4) أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري ، ولد سنة ٤١٩هـ ، وتـوفي سنة ٤٧٨هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ٤٦٨/١٨ ، نزهة الفضلاء : ١٣٠٨/٣ .

مواردها ، وتفويض معانيها إلى الرب عزوجل .

والـذي نرتـضيه دينـاً نـدين بـه عقيـدةً إتبـاع سـلف الأمـة ، والـدليل القـاطع الـسمعي فـي ذلـك وأن إجمـاع الأمـة حجـة متبعـة ، فلـو كـان تأويـل هـذه الظـواهر مـسوغاً أو محتومـاً لأوشـك أن يكـون اهتمـامهم بهـا فـوق اهتمامهم بفروع الشريعة .

وإذ انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هـو الوجه المتبع ، فلتجر آية الاستواء وآية المجيء وقوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] على ذلك [2]) .

وكذلك فخر الدين الرازي[3] - وهو من كبار متكلمي الأشاعرة - حيث خاض بحور الكلام ، ورد وناظر ، ثم عاد بالحيرة والندامة ، ولقد نقـل عنـه ابـن القـيم الجوزية[4] مقالته في كتابه (أقسام الذات) الذي صنفه في آخر عمره ، وقد قال فيه : (.... واعلم أني بعد التوغل في المضائق ، والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هـذه الحقائـق ، رأيت الأصوب والأصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظـيم والفرقـان الكريم ، وهو ترك التعمق ، والاستدلال بأقسام أجسام الـسماوات والأراضـين علـى وجود رب العالمين ، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل ، فاقرأ فـي التنزيه قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [5] وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

---

(1) سورة ص ، آية : ٧٥ .

(2) العقيدة النظامية ، للجويني : ٢٣ – ٢٥ .

(3) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني ، ولد سنة ٥٤٤هـ ، كـان والـده خطيـب الري، مات بهراة سنة ٦٠٦هـ وله بضع وستون سنة . انظر سير أعلام النبلاء : ٥٠٠/٢١ ، نزهة الفضلاء : ١٥٢٥/٣ .

(4) شمس الدين أبو عبد ا محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي المشهور بابن قـيم الجوزيـة نسبة إلى مدرسة كان أبوه قيماً عليها ، ولد سنة ٦٩١هـ ، وتوفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب ٧٥٢هـ ـ . انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ٢١/٤ .

(5) سورة محمد ، جزء من الآية : ٣٨ .

[1] ، وقوله تعالى : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [2] واقرأ في الإثبات قوله تعـالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [4] وقوله تعالى : ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [6] وفي تنزيهه عما لا ينبغي قوله : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [7] وعلى هذا القانون فقس ، وختَم الكتاب[8][9] .

ولقد أشار الإمام محمد بن إسماعيل البخاري[10] – رحمه ا تعـالى – إلـى قاعدة عظيمة في باب الصفات والأفعال ، وهي التفريق بين الفعل والمفعول ، وبـين الخالق والمخلوق . فقد قال رحمه ا : (باب ما جاء في تخليق الـسماوات والأرض وغيرها من الخلائق ، وهو فعل الرب – عزوجل – وأمره ، فالرب بـصفاته وفعلـه وأمره هو الخالق المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينـه فهـو مفعول مخلوق مكون[11]) .

وهذه الترجمة دليل على دقة علمه ورسوخه في معرفـة ا تعـالى وأسـمائه

([1]) سورة الشورى ، جزء من الآية : ١١ .
([2]) سورة الإخلاص ، آية : ١
([3]) سورة طه ، آية : ٥ .
([4]) سورة النحل ، آية : ٥٠ .
([5]) سورة فاطر ، جزء من الآية : ١٠ .
([6]) سورة النساء ، جزء من الآية : ٧٩ .
([7]) سورة النساء ، جزء من الآية : ٧٩ .
([8]) اجتماع الجيوش الإسلامية ، لابن القيم : ١٧٥ .
([9]) ذكرت هنا أقوال كبار متكلمي الأشاعرة ، والذين جاءوا من بعدهم أخذوا أقوالهم ومناظراتهم ، ودافعـوا عنهـا بغض النظر عن نهاية مقالاتهم ، وما استقر عليه أمرهم ، وعندما نذكر مذهب الأشاعرة ، إنما نذكر ما ذهـب إليه كبار علمائهم في بداية حياتهم ، ونورده كما جاء في كتبهم ، لأن أشاعرة اليوم يدينون به ، ويدافعون عـن تلك الآراء والمناظرات .
([10]) أبو عبد ا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردذبة البخاري ، وهي لفظة بخارية معناها الـزراع توفي سنة ٢٥٦هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ٣٩١/١٢ ، نزهة الفضلاء : ٨٩٨/٢ .
([11]) كتاب التوحيد ، للإمام البخاري ، شرح الشيخ ، أبي محمد عبد الحق الهاشمي : ١٣٤ .

وصفاته ، وهي فصل في مسألة الفعل والمفعول ، وقيام الرب – عزوجل – به وأنهـا غير مخلوقة ، وأن المخلوق هو المنفصل عنه ، الكائن بفعله وأمره ، وتكوينه .

ففصل النزاع بهذا القول أحسن فصل وأبينه وأوضحه ، إذ فـرق بـين الفعـل والمفعول ، وما يقوم بالرب تبارك وتعالى وما لا يقوم به ، وبـين أن أفعالـه تعـالى كصفاته داخلة في مسمى اسمه ، ليست منفصلة خارجة مكونة ، بل بها يقع التكوين[١] .

فالكتاب والسنة يثبتان أفعاله التي يفعلها بمشيئته وقدرته ، والتي ليـست هـي نفـس المخلوقات ، ويثبتان أيضاً ما يتصف الله به من الصفات التـي تليـق بجلالـه وعظمتـه ، فالأفعال ليست هي نفس المخلوقات ، فإن المعقول عند جميع الناس أن الفعل المتعدي إلـى مفعول ، ليس هو نفس المفعول ويبين ذلك أن اسم الفعل أو اسم الصفة يطلقان تـارة علـى نفس الفعل أو الصفة ، ويطلقان تارة على متعلقها وهو المفعول ، فمثلاً : صفة " الخلق " أو فعل " الخلق " يطلق تارة على اسم الصفة التي يتصف بها الله تبارك وتعالى ونفـس الفعـل الذي يقوم بذاته فيقال : " الخلق " صفة الله وفعل قائم به يفعله متى شاء وكيف شاء ، ويطلـق تارة على متعلق لهذه الصفة أي المفعول ، فيقال : السماوات والأرض " خلـق " الله تبـارك وتعالى[٢] .

كذلك " العدل " يطلق تارة على اسم المصدر الذي هو نفس الصفة ، فيقال : إن الله " عدل " أي إنه سبحانه وتعالى متصف بالعدل ، والعدل فعله قائم به يفعله متى شاء وكيف شاء ، ويطلق تارة على متعلق هذه الصفة ، وهو نفس المخلوق وهو المفعول ، فيقال : " عدل في قضاؤك " .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (واسم الصفة يقع تارة على الصفة التي هي مسمى المصدر ، ويقع تارة على متعلقها الذي هو مسمى المفعول)[٣] .

ويقول في موضع آخر : (وكذلك كونه خالقاً ورازقاً ومحسناً وعادلاً ، فإن هذه

---

(1) انظر كتاب النعوت ، تحقيق د . عبد العزيز الشهوان : ١٧١–١٧٢ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٧٨،٧٩/٨ .

(3) مجموعة الفتاوى لابن تيمية : ٧٩/٨ .

أفعال فعلها بمشيئته وقدرته ، إذ كان يخلق بمشيئته ، ويرزق بمشيئته ، ويعدل بمشيئته ويحسن بمشيئته ، والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف : أن الخلق غيـر المخلوق ، فالخلق فعل الخالق ، والمخلوق مفعوله) [١] .

وعلى ذلك فإن " العدل " فعل قائم با تبارك وتعالى يفعله متى شاء وكيف شاء بقدرته وإرادته ومشيئته .

وما يرى في المخلوقين إنما هو أثر هذه الصفة وهذا الفعل ، وليس هـو نفـس الفعل القائم با تبارك وتعالى .

ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ بأفعال الرب وصفاته ، كما قـال عليـه الـسلام : (اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك)[٢] فاستعاذ بأفعاله سبحانه ، لأنها فعـل قـائم بـه تبارك وتعالى[٣] .

ولقد استدل السلف على إثبات قيام الصفات والأفعال با تبارك وتعالى بآيـات من القرآن الكريم ، وأحاديث من السنة الصحيحة :

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٤] .

وقال تعـالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [٥] .

---

(1) جامع الرسائل لابن تيمية : تحقيق : د . محمد رشاد سالم : ١٩/٢ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، عن عائشة رضي ا عنها : ٣٥٢/١ .

(3) انظر جامع الرسائل لابن تيمية : ١٩/٢ .

(4) سورة هود ، آية : ٧ .

(5) سورة البقرة ، آية : ٢١٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ﴾ (٣) .

أما من السنة فقوله ﷺ : (ينزل ربنا كل ليلة حين يبقى ثلـث الليـل الآخـر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له؟)(٤).

وقوله ﷺ : (اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كـل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كـل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فلـيس بعـدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء) (5) وقولـه عليه الصلاة والسلام : (لا إله إلا ا العظيم الحلـيم ، لا إلـه إلا ا رب العـرش العظيـم ، لا إله إلا ا رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم) (٦) .

وقد نازع في ذلك المعتزلة والأشاعرة الذين قالوا إن الخلـق هـو المخلـوق ، ولكنهم افترقوا بعد ذلك ، فمنهم من نفى الصفات مطلقاً مثل المعتزلة ، ومنهم من نفى

---

(1) سورة الفجر ، آية : ٢٢ .

(2) سورة المائدة ، آية : ٩٨ .

(3) سورة البروج ، آية : ١٢-١٣-١٤ .

(4) رواه البخاري : ٥٢/٢–٥٣ ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل : ٣٨٤/١ ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء ونصف الليل : ٢٣٣٠/٥ ، كتاب التوحيد ، باب قول ا تعالى : يريـدون أن يبـدلوا كـلام ا : ٢٧٠١/٦ .

وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ، عن أبـي هريرة رضي ا عنه : ٥٢١/١ .

(5) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع عن أبي هريرة رضي ا عنه : ٧٨،٧٩/٨ .

(6) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء عن ابن عباس رضي ا عنه : ٢٧٠١/٦ .
وصحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب دعاء الكرب : ٢٠٩٢/٤ .

الصفات الاختيارية ، وأثبت بعض الصفات ، ولكنهم لا يرون أنها تقوم بذاته ومشيئته وقدرته ، بل هي منفصلة بائنة عنه ، وهؤلاء هم الأشاعرة .

فالمعتزلة والأشاعرة متفقون في نفي قيام الأفعال الاختيارية بالرب تبارك وتعالى ، ويطلقون عليها مسألة " حلول الحوادث " .

وقالوا : لو قامت به الحوادث لكان محلاً لها ، وكل من حلت به الحوادث فهو حادث[1].

وقولهم هذا هو من الكلام المجمل المبتدع الذي يحمل حقاً وباطلاً .

فلو أريد بنفي " حلول الحوادث " با تبارك أنه سبحانه لا يحل في ذاته شيء من مخلوقاته ، أو أنه لا يحدث له وصف متجدد لم يكن قبل ذلك ، فهذا المعنى صحيح.

وإن أريد بنفي حلول الحوادث ، أنه لا يفعل ما يريد ، ولا يتكلم بما يشاء إذا شاء ، ولا يوصف بما وصف به نفسه ، فهذا نفي باطل [٢] .

يقول شارح الطحاوية محمد بن أبي العز الحنفي [٣] رحمه ا : (وحلول الحوادث بالرب تعالى ، المنفي في علم الكلام المذموم ، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة ، وفيه إجمال : فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة ، أولا يحدث له وصف متجدد لم يكن ، فهذا نفي صحيح . وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية ، من أنه لا يفعل ما يريد ، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء ، ولا أنه يغضب ويرضى ، لا كأحد من الورى ، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته ، فهذا نفي باطل) [٤].

---

(1) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد : ٩٥ .

(2) انظر شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ١٢٥ .

(3) صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي ، ولد سنة ٧٣١هـ ، وتوفي سنة ٧٩٢هـ بدمشق . انظر الدرر الكامنة : ١٥٩/٣ .

(4) شرح العقيدة الطحاوية لعلي ابن أبي العز الحنفي : ١٢٥ .

والمتكلمون إنما يقصدون المعنى الثاني الصحيح ثم ينفونه عن ا تعالى . فليس عندهم فعل اختياري يقوم بذاته .

يقول ابن تيمية رحمه ا : (وإذا قالوا : " لا تحله الحوادث " أوهموا الناس أن مرادهم أنه لا يكون محلاً للتغيرات ، والاستحلات ، ونحو ذلك مـن الأحـداث التـي تحدث للمخلوقين ، فتحيلهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح . ولكن مقصدهم بذلك : أنه ليس له فعل اختياري يقوم بذاته ، ولا له كلام ، ولا فعل يقوم بـه ويتعلـق بمـشيئة وقدرته ، وأنه لا يقدر على استواء ، أو نزول ، أو إتيان ، أو مجيء)[١] .

ويستند قول المتكلمين هذا على قولهم بأن الخلق هـو المخلـوق ، والمخلـوق حادث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، فالصفة أو الفعل عندهم هي المخلـوق المحدث فقط ، فلو اتصف بها تبارك وتعالى لكان محلاً للحوادث ، وما لا يخلـو مـن الحوادث فهو حادث .

وقولهم بأن " ما لا يخلو من الحوادث " مبني على ما ذهبوا إليه من طريقتهم في إثبات الصانـع ، حيث سلكوا طريقة الأعراض والجواهر ، واستدلوا بحـدوث كـلٍ منهما ، وإمكانه على حدوث العالم يقول الرازي : (قد عرفت أن العالم إمـا جـواهر وإما أعـراض ، وقد يستدل بكل واحد منهما على وجود الـصانع ، إمـا بإمكانـه أو حدوثه ، فهذه وجوه أربعة)[٢].

والجواهر لا تتعرى عن الأعراض التي هي ملازمة لها ، وما دامت الجـواهر لا تنفك عن الأعراض فهي حادثة بحدوثها ، لأن ما لازم الحادث فهو حادث ، وما دام العالم مكوناً من الجواهر والأعراض – وقد ثبت حدوثهما – فالعالم حـادث ، وكـل حادث لابد له من محدث ، وهو ا سبحانه وتعالى [٣].

---

(1) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : ٢/١٠–١٢ .

(2) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، للرازي : ص١٠٦ ، وانظر المواقف العضدية للإيجي : ١/٨ . وانظـر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد : ٩٢ وما بعدها .

(3) انظر الإرشاد للجويني : ١٢–١٣ ، وانظر إحياء علوم الدين للغزالي : ١/١٠٦ ، وانظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٩٢ وما بعدها .

فالنتيجة التي توصلوا إليها هي حدوث العالم ، ثم الاستدلال بذلك على وجود ا تبارك وتعالى .

والحق أن قول المتكلمين بحلول الحوادث ، وأن ما لا يخلو من الحـادث فهـو حادث قول مبتدع في دين الإسلام ، ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، بـل إن آيـات القرآن الكريم تدل على قيام الأفعال الاختيارية بالرب تبارك وتعالى .

حجج نفاة قيام الحوادث بذاته تعالى :

أولاً : إن القول بإثبات الصفات يتناقض مع إثبات الصانع .

فلو أثبتنا الصفات تبارك وتعالى لانسد علينا باب إثبات الـصانع ، وإثبـات حدوث العالم ، ولذلك قالوا : إن القول بما دل عليه السمع من إثبات الصفات والأفعال يقدح في أصل الدين الذي علمنا به صدق الرسول ﷺ ، لأنه لا يمكن تصديق الرسـول ﷺ إلا بإثبات الصانع ولا يمكن إثبات الصانع إلا بالقول بحدوث الأجـسام ، وأن كـل حادث يحتاج إلى محدث ، ولو كان ا تبارك وتعالى تقوم به الأفعال أو الصفات فـإن ذلك يستلزم أنه جسم ، وكل جسم حادث [(١)].

وهذا ما أدى بهم إلى تأويل ما ورد في القرآن الكريم ، وتقديمهم لأقوال الرجال على قول ا والرسول ، لأنهم ظنوا معارضة العقل للنقل ، وقـالوا : إنـه لا يمكـن تصديق الرسول لو قدر أنه يخبر بذلك ، لأن صدقه لا يعلم إلا بعـد أن يثبـت العلـم بالصانع ، ولا طريق إلى إثبات العلم بالصانع إلا بالقول بحدوث الأجـسام ، وإثبـات الصفات له تعالى يقتضي أنه جسم قديم ، فلا يكون كل جسم حادث ، فيبطل دليل إثبات العلم به [(٢)].

وبناء على ذلك فقد نفوا الصفات والأفعال ، وسلكوا طريق التأويـل فـي فهـم معاني القرآن الكريم ، وأنكروا الرؤية والكلام وغيرها من الصفات ، ومن أثبتها فقـد أثبتها منفصلة بائنة عن ا تبارك وتعالى ، حتى يتنزه سبحانه عن قيام الحوادث به .

---

(1) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٩٥ ، وانظر التمهيد للباقلاني : ٤٦ .

(2) انظر درء التعارض لابن تيمية : ٣٠٦/١ .

فكانت طريقتهم في إثبات الصانع باباً لكثير من البدع والمخالفات التـي ذهـب إليها المتكلمون ، يقول ابن تيمية رحمه ا : (وأصل ما أوقعهم في نفي الصفات ... والأفعال ، والقول بخلق القرآن ، وإنكار الرؤية ، والعلو على خلقه – هي طريقـة حدوث الأعراض وتركيب الأجسام ، وعنها لزمهم ما خـالفوا بـه الكتـاب والـسنة والإجماع في هذا المقام ، مع مخالفتهم للمعقولات الصريحة التي لا تحتمل النقـيض ، فناقضوا العقل والسمع من هذا الوجه ، وصاروا يعادون مـن قـال بموجـب العقـل الصريح ، أو بموجب النقل الصحيح) (١) ، والسلف لم يخالفوا المتكلمين في النتيجـة التي توصلوا إليها من طريقتهم في الاستدلال على حدوث العـالم وإثبـات الـصانع ، ولكنهم لا يسلمون لهم بالمقدمات التي سلكوها ، فإن ما لجأوا إليه من مقدمات ليـست بينة بنفسها ، ولا يمكن التوصل إلى إثباتها بطريق القطع .

وقد يرى بعضهم أنها صحيحة ، ولكنها ليست واجبة ، وأن في سـلوكها مـن الأخطار ما يدعو إلى تركها وعدم الخوض فيها ، ومن هؤلاء الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر .

أما السلف فينكرون صحتها في نفسها ، ويعيبونها لاشتمالها على كلام باطل .

فإن هذه الطريقة لم يذكرها ا تعالى في كتابه الكريم ، ولا أمر بها نبيه محمد ﷺ ، ولا جعل إيمان المتبعين له موقوفاً عليها ، بل إن إيمان أفضل هذه الأمة وأعلمهم با كان حاصلاً بدونها (٢) .

كما أن صدق الرسول ﷺ يعلم بطرق متعددة - لا تحتاج إلى هذا النفي ، يقول ابن تيمية رحمه ا في بيان فساد هذه الطريقة في إثبـات الـصانع : (وأمـا كـون طريقتكم مبتدعة ما سلكها الأنبياء ولا أتباعهم ولا سلف الأمة ، فلأن كل من يعرف ما جاء به الرسول ، وإن كانت معرفته متوسطة لم يصل في ذلك إلى الغايـة ، يعلـم أن الرسول ﷺ لم يدع الناس في معرفة الصانع وتوحيده وصدق رسـله إلـى الاسـتدلال بثبوت الأعراض وأنها حادثة ولازمة للأجسام ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث ،

---

(1) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : ٣٤٦/٣ .

(2) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : ٣٠٩/١–٣١٠ .

لامتناع حوادث لا أول لها ، بل يعلم بالاضطرار أن هذه الطريق لم يتكلم بها الرسول ﷺ ، ولا دعا إليها أصحابه .

ولا أصحابه تكلموا بها ولا دعوا بها الناس ، وهذا يوجب العلم الضروري من دين الرسول ، فإنه عند الرسول والمؤمنين به أن ا يعرف ، ويعرف توحيده وصدق رسله ، بغير هذه الطريق ، فدل الشرع دلالة ضرورية على أنه لا حاجة إلى هـذه الطريق ، ودل ما فيها من مخالفة نصوص الكتاب والسنة على أنها طريق باطلة ، فدل الشرع على أنه لا حاجة إليها وأنها باطلة)[1] .

ثانياً : إن إثبات الصفات الاختيارية يستلزم التجسيم ، وكل جسم فهو حـادث ، ولو كان تعالى جسماً لكان ذلك الجسم قديماً [2].

وهذه الحجة تستند على طريقتهم في الاستدلال على حـدوث العـالم وإثبـات الصانع من جهة ، وتفيد بأن التجسيم حجة لمنع قيام الأفعال والصفات بالرب تبـارك وتعالى ، والجواب على هذه الحجة من عدة وجوه :

١- القول بأن اتصاف ا سبحانه وتعالى بالصفات الاختيارية يستلزم التجـسيم لم يرد في القرآن الكريم ، ولا في غيره من كتب الأنبياء ، ولا في الأحاديـث الثابتـة عن النبي ﷺ ، ولا فيما أثر من أقوال الصحابة ، كما أن القرآن لم يـدل علـى أن ا تعالى ليس بجسم ، فهذا اللفظ وهو " الجسم " من الألفاظ المبتدعة التي لم يرد في كتاب ولا سنة .

٢- إن الذين ينفون قيام الصفات الاختيارية با تبارك وتعالى مـن المعتزلـة والأشاعرة مختلفون ، فالمعتزلة تنفي الصفات كلها ، لأنها أعـراض ، والأعـراض حادثة ، ولا تقوم إلا بجسم حادث ، وما قامت به الحوادث فهو حادث ، وهم مع ذلـك يثبتون الأسماء دون الصفات [3].

---

(1) جامع الرسائل لابن تيمية : ٣٢/٢-٣٣ .

(2) انظر الإرشاد للجويني : ٢١-٢٢ ، وانظر إحياء علوم الدين للغزالي : ١٠٦/١-١٠٧ ، وانظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٩٤،٩٥،٢١٨.

(3) انظر شرح الأصول الخمسة : ٩٣ .

أما الأشاعرة فإنهم ينفون قيام الصفات الاختيارية با تبارك وتعالى ، ولكن لا يقولون إنها أعراض ، لأن الأعراض لا تبقى [1] ، ثم هم يثبتون سـبع صـفات فقـط ويؤولون ما عداها [2].

فالمعتزلة والأشاعرة متفقون في أن قيام الصفات بالرب تبارك وتعالى يـستلزم التجسيم ، ولكنهم مختلفون في ما يجب أن ينفى عن الرب من الصفات ، وما يجب أن يثبت له ، فالمعتزلة نفت الصفات جميعها ، ولم تثبت إلا الأسماء فقط ، أما الأشـاعرة فقد أثبتت الأسماء وسبعاً من الصفات ، وهي : السمع والبصر والإرادة والحياة والكلام والقدرة والعلم ، وأولت ما عداها .

وحجة الأشاعرة في إثبات الصفات السبع دون غيرها هي : أنه لـو لـم يكـن متصفاً بها لكان متصفا بضدها من الخرس والسكوت والـصمم والعمـى والاسـتكراه والسهـو والجهـل والعجز ، وهذا لا يصلح في القديم ، كمـا أنـه يخـالف إجمـاع المسلمين [3] والحق أن الذين احتجوا بهذه الحجة – وهي التجسيم – متناقضون .

فيقال للأشعري : ليكن قولك في الأفعال وما تنفيه من الصفات مثل قولك فـي الأسماء وما تثبته من الصفات .

فإن قال : ما نفيته يستلزم التجسيم ، أما ما أثبته فإنه لا يستلزم التجسيم .

قيل له : إن جاز لك أن تثبت الموصوف بالصفات التي أثبتها أنه ليس بجـسم ، جاز لي مثل ما جاز لك من إثبات الصفات مع أن الموصوف بها ليس بجسم .

فإن قال المعتزلي : أنا لا أثبت أفعالاً ولا صفاتاً ، وأثبت أسماء فقط .

قيل له : إن جاز لك أن تثبت مسمى ليس بجسم ، جاز لي أن أثبـت موصـوفاً فاعلاً بهذه الصفات والأفعال ليس بجسم ، وإن كان غير معقول لي .

وبهذا يتبين أن قول من نفى الأفعال والصفات أو شيئاً منها لأن إثباتها يـستلزم

---

(1) انظر التمهيد للباقلاني : ٤٢ .

(2) انظر التدمرية ، لابن تيمية : ٣١ .

(3) انظر التمهيد للباقلاني : ٤٩ .

التجسيم قول لا يمكن لأحد أن يستدل عليه ، وإلا ظهر تناقضه ، وعلم بذلك فساد هذه الطريقة ، وأنها لا أصل لها [1].

يقول ابن تيمية رحمه ا : (فقد تبين أن قول من نفى الصفات أو شيئاً منهـا لأن إثباتها تجسيم قول لا يمكن لأحد أن يستدل به ، بل ولا يستدل أحد علـى تنزيـه الرب عن شيء من النقائص بأن ذلك يستلزم التجسيم ، لأنه لابد أن يثبت شيئاً يلزمـه فيما أثبته نظير ما ألزمه غيره فيما نفاه ، وإذا كان اللازم فـي الموضـعين واحـداً ، وأجاب هو به ، أمكن المنازع له أن يجيب بمثله ، لم يمكنه أن يثبت شيئاً وينفي شـيئاً على هذا التقدير ، وإذا انتهى إلى التعطيل المحض كان ما لزمه من تجـسيم الواجـب بنفسه القديم أعظم من كل تجسيم نفاه ، فعلم أن مثل هذا الاستدلال علـى النفـي بمـا يستلزم التجسيم لا يسمن ولا يغني من جوع[2] ، فنفي الجسمية لا يصح أن يكون سبباً يعتمد عليه في تنزيه الرب تبارك وتعالى ، لأننا لو استقرأنا أقوال النفاة وسبب نفيهم لم نجد لديهم علة قد نفوا الصفة لأجلها إلا وهي موجودة في المعنى الذي تـأولوا عليـه الصفة أو حملوا عليه الآية .

فالذين يثبتون بعض الصفات ، وينفون الصفات الاختيارية كالاسـتواء والعلـو والمجيء ، ويؤولونها لأن إثباتها يستلزم التجسيم يقال لهم : إن العلم والحياة والقـدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر – وهي الصفات التي أثبتوها – لا تقوم إلا بما هـو جسم ، ولا يجوز لهم أن يقولوا : إن هذه الصفات التي نثبتها لا تستلزم التجـسيم ، أو إن المتصف بها ليس بجسم ، لأن من حق المثبت لجميع الصفات أن يقـول لهـم : إن العلو والاستواء والمجيء والعدل والإحسان يجوز أن يتصف بها ما ليس بجسم أيضاً، أو إنها كذلك لا تستلزم التجسيم . فكما أثبتوا بعض الصفات فعليهم إثبـات جميعهـا ، فالقول في الصفات واحد لا يتغير .

والمعتزلة حين يثبتون الأسماء وينفون الصفات لهذه العلة ، لا مناص لهم مـن ذلك الإلزام لأنه يجوز لمعارضهم أن يقول لهم : لا يتصور من مسمى حي عليم قادر

---

(1) انظر درء التعارض لابن تيمية : ١/ ١٢٧ وما بعدها ، والتدمرية لابن تيمية : ٣١ وما بعدها .
(2) درء التعارض العقل والنقل لابن تيمية : ١٢٩/١–١٣٠ .

إلا جسماً ، فإذا جاز للمعتزلة أن يثبتوا مسمى بهذه الأسماء ليس جسماً ، جاز لمثبتـي الصفات أن يقولوا نحن نثبت موصوفاً بهذه الصفات ليس جسماً .

وبهذا يظهر أن هذه الطريقة في التنزيه لا تفيد شيئاً .

ويكفي أن نقول : إن ا تعالى متصف بما وصف به نفسه ، لا بمـا وصـفه هؤلاء المتكلمون ، وما وصف به نفسه لا يستلزم التجسيم .

٣- إن هذه الطريقة في التنزيه مبنية على التلبيس والإبهـام فـي اسـتعمالات الألفاظ المبتدعة .

فهم وقعوا في التشبيه أولاً ، حيث لم يفهموا من آيات الـصفات إلا مـا يليـق بالمخلوق المحدث ، ولم يفهموا منها صفات تليق بذاته المقدسة .

ثم عطلوا – ثانياً – بنفيهم ما وصف ا به نفسه ، لظنهم أن ذلك من صـفات المحدثين ، ثم تأولوا آيات الصفات على مذهبهم في النفي .

فجمعوا في منهجهم في التنزيه بين التشبيه والتعطيل[١].

ثالثاً : لو قامت به الحوادث للزم تغيره ، والتغير محال على ا تعالى[٢] :

والجواب على ذلك : أن لفظ " التغير " لفظ مجمل ، فالتغير المعروف في اللغـة هو لمن استحال من صفة إلى صفة ، وأما مجرد كون المحل قامت به الحـوادث فـلا يسمى ذلك " تغيراً " ، فالشمس إذا تحركت في السماء لا يقال لهـا تغيـرت ، أمـا إذا تحول لونها إلى الصفرة أو الحمرة قيل إنها تغيرت ، والإنسان إذا تحرك وقام وقعـد وأكل وشرب لا يقال إنه تغير ، أما إذا تغير خلقه ودينه وتغير جسمه بمرض أو جوع يقال عنه إنه قد تغير ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَٰتٌ مِّن بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ

(1) انظر الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ، للدكتور محمد السيد الجليند : ١٩٥ وما بعدها .

(2) انظر نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني : ١٠٥ .

سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [١]، ومعلوم أن " التغير " إنما المراد به تغيـر القلب ، مثل من كان يحب ا ورسوله والدار الآخرة ، ثم تغير قلبه فصار لا يحب ا ورسوله والدار الآخرة .

فإذا كان هذا هو معنى " التغير " فالرب لم يزل ولا يـزال موصـوفاً بـصفات الكمال ، وكماله من لوازم ذاته ، ويمتنع أن يزول عنه شيء ، ويمتنع أن يصير كاملاً بعد أن لم يكن .

وحقيقة قول النفاة : أنه صار قادراً بعد أن لم يكن قادراً .

وهذا هو حقيقة التغير ، مع أنه لم يحدث له سبب يوجب كونه قادراً .

وإذا قالوا : هو في الأزل قادر على مالا يزال .

قيل : هذا جمع بين النفي والإثبات ، فهو في الأزل كان قادراً ، فكـان الفعـل ممكناً له أو ممتنعاً عليه ؟ .

فإن قلتم : إنه ممكن له فقد جوزتم دوام كونه فاعلاً ، وأنه قادر على حوادث لا نهاية لها .

وإن قلتم : بل كان ممتنعاً ، قيل : إن القدرة على الممتنع ممتنعة ، إنما المقدور هو الممكن لا الممتنع .

فإن قلتم : أمكنه بعد ذلك ، فقد قلتم : إنه أمكنه أن يفعل بعد أن كان لا يمكنه أن يفعل ، وهذا صريح في أنه صار قادراً بعد أن لم يكن ، وهو صريح في التغير[٢] .

وبذلك يتبين أن حجة النفاة هذه صارت حجة عليهم ، فإن قولهم إن ا صـار فاعلاً بعد أن لم يكن ، هو التغير الحقيقي ، أما كونه تعالى متصفاً بـصفات الكمـال فاعلاً بقدرته ومشيئته مازال ولم يزل كذلك ، فإن هذا لا يطلق عليه " تغيراً " كما ادعى ذلك المتكلمون .

---

(1) سورة الرعد ، آية : ١١.

(2) انظر جامع الرسائل لابن تيمية : ٤٤/٢ وما بعدها . ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيميـة : ١٨٥/٢ ومـا بعدها . وانظر مجموعة الفتاوى : ١٥٠/٦ .

رابعاً : إن حلول الحوادث بالرب تبارك وتعالى " أفول " ، والخليل إبراهيم عليه السلام قد قال : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّىۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ [1] .

وقالوا الآفل هو المتحرك الذي تقوم به الحوادث ، فلا يكون إلهاً .

وإبراهيم عليه السلام قد استدل على حدوث الكواكب بتحركها وتغيرها ، وعلم أن رب العالمين لا يكون متحركاً آفلاً .

وقد ذكر ذلك الرازي في تفسيره الكبير " مفاتيح الغيب " [2] .

وكل من ذكر هذه الحجة فقد حاد عن جادة الصواب لعدة وجوه :

١- إن الأفول باتفاق أهل اللغة والتفسير هو المغيب والاحتجاب ، بل إن هذا معلوم بالاضطرار من لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم [3] .

فقولهم : بأن " الأفول " هو الحركة افتراء ظاهر على لغة العرب .

فإن الأفول ليس هو الحركة ، سواء كانت هذه الحركة مكانية كالانتقال من مكان إلى مكان ، أو حركة في الكم كالنمو ، أو الحركة في الكيف كالاسوداد والابيضاض .

وفي لسان العرب : أفل أي غاب ، وأفلت الشمس تأفلُ وتأفُلُ أفلاً و أفولاً : غربت[4] .

٢- إن إبراهيم عليه السلام لم يقل : " لا أحب الآفلين " حتى غاب واحتجب عن الأبصار .

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ٧٦ .

(2) التفسير الكبير ، للرازي : ٥٢/١٣ .

(3) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : ٩٠١/١ وما بعدها .

(4) لسان العرب ، لابن منظور : ١٨/١١ .

وهذا دليل على أن كونه جسماً متحركاً تقوم به الحوادث لم يكن دليلاً عند إبراهيم على نفي محبته له .

وبهذا تكون حجتهم دليلاً عليهم لا لهم .

٣- إن إبراهيم عليه السلام لم يقصد " هذا ربي " أنه رب العالمين ، أي خالق السماوات والأرض وما بينهما ، بل ولا كان أحد من قومه يقول ذلك ، بل كان قومه مشركين مقرين بالصانع ، وكانوا يتخذون الكواكب والشمس أرباباً يدعونها مع الله تعالى .

ولهذا قال الخليل : ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٧ ﴾ [1] .

وقال أيضاً : ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ ولم يذكر أنه أقر بوجود الصانع ، فإن هذا كان معلوماً عند قومه ، ولم يكونوا ينازعونه في وجود فاطر السماوات والأرض ، وإنما كان النزاع في عبادة غير الله مع الله [2] ، فهذه الحجة تبين فساد ما ذهبوا إليه من أن الصانع لا يكون متحركاً من جهة ، وتبين فساد ما ذهبوا إليه من طريقتهم في إثبات الصانع وادعائهم أن هذه هي طريقة الأنبياء .

فكانت هذه الحجة حجة عليهم ، وأفسدت أقوالهم وأبطلتها ، وأفادت بأن أصل هذا الدين لا يثبت بطريقتهم المبتدعة التي تبين ضعفها وعورها .

خامساً: إن القرآن الكريم قد دل على أنه تبارك وتعالى لا صفة له ولا قسيم له في ذاته . وقالوا : إن ذلك هو معنى لفظ " الأحد " الذي ورد في القرآن الكريم . وفسروا قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ بهذا المعنى[3] . والأجسام متماثلة ولو كان جسماً لكان له مثل ، وإذا لم يكن جسماً لزم نفي ملزومات الجسم عنه من الصفات

---

(1) سورة الشعراء ، آية : ٧٥ – ٧٧ .

(2) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : ١٠٩/١ وما بعدها ، ١١١/١ ، ٣١١/١ . وانظر جامع الرسائل لابن تيمية : ٥٠/٢ وما بعدها .

(3) انظر أساس التقديس في علم الكلام للرازي : ١٦–١٨ .

والأفعال[1] .

والجواب عن ذلك من وجهين :

١- إنه لا يوجد في كلام العرب مطلقاً أن الذات الموصوفة بالصفات لا تـسمى أحداً أو واحداً في النفي أو الإثبات .

بل المنقول بالتواتر عن العرب تسمية الموصوف بالـصفات واحـداً وأحـداً ، ووحيداً .

ويدل على ذلك ما ورد في القرآن الكريم من إطلاق مسمى " الأحد " على مـن هو موصوف بصفات قائمـة بـه ، قـال تعـالى : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ [2] والمقصود به : الوليد بن المغيرة ، وهو موصوف بصفات قائمة به .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

فسمى سبحانه المشرك أحداً ، وهو موصوف بصفات قائمة به .

وأمثال ذلك كثير في القرآن الكريم ، وهذا يدل على أن لفظ " الأحد " يراد بـه أشخاص موصوفة بصفات قائمة بهم ومميزة لهم عمن سواهم .

٢- لو كان لفظ " الأحد " لا يطلق على ما قامت به الصفات ، ولا على شـيء من الأجسام التي تقوم بها الأعراض ، لم يكن في الوجود مسمى يصح أن يطلق عليـه لفظ الأحد سوى ا ، لا من الملائكة ولا من الإنس ولا من الجن .

وعلى حد زعمهم فإن قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [4] لم يكن في هذا النفي فائدة ، لأنه لا وجود لمن يكون كفواً للرب تعالى ، ولم يكن في الموجـودات

(1) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : ١/١٠١-١٠٢ .
(2) سورة المدثر ، آية : ١١ .
(3) سورة التوبة ، آية : ٦ .
(4) سورة الإخلاص ، آية : ٤ .

كلها ما يصح الإخبار عنه بأنه ليس كفواً تعالى .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1] .

فإذا كان لفظ " الأحد " لا يستعمل إلا فيما لا ينقسم ولا يتصف لم يكن هناك ما يدخل تحت مسمى هذا اللفظ ، ويكون معنى الآية ، ولا أشرك بربي ما لم يوجد .

وهذا مما يناقض معاني القرآن الكريم ، فدل ذلك على أن قـولهم هـذا فاسـد ويستلزم أموراً فاسدة .

سادساً : إن الصفات إن كانت صفات نقص وجب تنزيه الرب عنها ، وإن كانت صفات كمال فقد كان فاقداً لها قبل حدوثها ، وعدم الكمال نقص ، فيلزم أن يكون الرب تبارك وتعالى ناقصاً ، وتنزيهه عن النقص واجب بالإجماع[2] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الحجة وقال إنها من أفـسد الحجـج ورد عليها بعدد من الوجوه منها :

١- إن وجود الفعل الذي اقتضت الحكمة وجوده فيه كمال ، كما أن عدمه فـي الوقت الذي اقتضت الحكمة عدمه فيه كمال ، وليس نقصاً ، بل لو وجد في الوقت الذي اقتضت الحكمة عدمه فيه لكان نقصاً .

فكل من الوجود والعدم كمال في حين وجوده وعدمه حسب اقتضاء الحكمة .

٢- إنه معلوم عقلاً أن الكمال الذي ننشده هو في اتصاف الرب تبارك وتعـالى بصفات الكمال وبالأفعال الاختيارية لا في نفيها .

فإنه لو قدر ذات تفعل بقدرتها ما تشاء بنفسها ، وذات لا يمكنها أن تفعـل ولا تتصرف بنفسها البتة ، فإن العقل الصريح يقضي بأن الـذات التـي تفعـل بمـشيئتها

---

(1) سورة الكهف ، آية : ١١٠ .

(2) انظر المواقف في علم الكلام للإيجي : ٥٦ .

وقدرتها أكمل .

٣- أن العقل الصريح يقضي بأن القادر على فعل الأفعال شيئاً فشيئاً أكمل ممن لا يقدر على ذلك .

والنفاة يقولون : إنه تعالى يقدر على أمور منفصلة مباينة له . ومعلوم أن قدرة القادر على فعله المتصل يسبق قدرته على الأمور المنفصلة عنه ، وقولهم إنه لا يقدر على فعل متصل به ، يلزم منه أنه لا يقدر على المنفصل ويلزم من ذلك أنه لا يقـدر على شيء ، ولا أن يفعل شيئاً ، ويلزم أن لا يكون خالقاً لشيء ، وهذا اللازم للنفاة لا محيد لهم عنه[١] .

ومن قال : إنه لا يقوم به فعل اختياري لم يكن عنده – الرب تبـارك وتعـالى مالكاً لشيء ، لأن الملك إنما يكون ملكاً إذا كان يأمر وينهى باختياره فيطاع على ذلك.

ولذلك فإن أكثر ما في القرآن الكريم يثبت الصفات الاختيارية ، ومن لم يقر بها لم يقم بحقيقة الإيمان ولا القرآن[٢] .

كما أن مسألة الصفات الاختيارية هو من تمام حمده ، فإذا كان سـبحانه يفعـل الخير – بمشيئته وقدرته – استحق على ذلك الحمد ، ولذلك فمن لـم يقـر بالأفعـال الاختيارية لم يمكنه الإقرار بأن ا محمود البتة ، ولا أنه رب العالمين ، لأن من لـم يكن لـه فعل اختياري يقوم به ، بل ولا يقدر على ذلك ، لا يكـون خالقـاً ولا ربـاً للعالمين [٣] – تعالى ا عن ذلك – .

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه :

الأول : التصريح بالصفة : كالعزة ، والقوة ، والرحمة ، والبطش ، والوجـه ، واليدين ، ونحوهما .

الثاني : تضمن الاسم لها مثل : الغفور وهـو متـضمن للمغفـرة ، والـسميع

---

(1) انظر جامع الرسائل لابن تيمية : ٣٤/٢–٣٦ .

(2) انظر مجموعة الفتاوي ، لابن تيمية : ١٧٥/٦–١٥٨ .

(3) انظر المصدر نفسه : ١٥٥/٦ .

متضمن للسمع ونحو ذلك .

الثالث : التصريح بفعل أو وصف دال عليها[(١)] .

وعلى ذلك فإن صفة " العدل " ثابتة تعالى لورود التصريح بالفعل الدال عليها : حيث قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [(٢)].

وبعد .. فهذا تفصيل موجز لمذهب السلف في إثبات قيام الصفات والأفعال بالرب تبارك وتعالى ، وقد أورت فيه أهم حجج النفاة والرد عليهم بإيجاز ، ويتبين أن إثبات العدل الإلهي يقتضي أنه سبحانه وتعالى ما زال ولم يزل عادلاً بالعدل الذي قام بنفسه ، والذي يتجدد هو آحاد هذا الفعل وهذه الصفة ، والذي يحدث في الخلق من العدل والإحسان هو أثر هذا الفعل في خلقه .

وليس في إثبات العدل تعالى فعلاً وصفة شبهة تشبيه أو تمثيل .

بل هو من كمال التنزيه والتمجيد له تعالى .

فعدله ليس كعدل المخلوقين ، لأن ذاته ليست كذوات المخلوقين ، فكذلك أفعاله وصفاته ليست كأفعال المخلوقين وصفاتهم .

فإن أفعاله تعالى وعدله صادر عن حكمة عظيمة لا تدركها العقول ، ولذلك فإن كل أفعاله عدل وحكمه ورحمة وصواب ، لكمال حكمته وعلمه تبارك وتعالى .

والأصل الثاني : إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى .

ذهب السلف إلى إثبات جميع الأسماء الحسنى تبارك وتعالى كما وردت في الكتاب والسنة .

فقد أثبت سبحانه وتعالى لنفسه أسماء ، ووصفها بالحسنى في أربعة مواضع في

---

(1) انظر كتاب النعوت للنسائي ، تحقيق د . عبد العزيز الشهراني : ١٢١ .

(2) سورة آل عمران ، آية : ١٨ .

كتابه الكريم : يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [4] .

وأسماء ا تبارك وتعالى كلها حسنى ، أي إنها بالغة في الحسن غايته ، لأنها دالة على صفات الكمال ، ونعوت الجلال[5] .

كما أنها دالة على مسمى ا تعالى ، فكانت حسنة لدلالتها على أحسن وأعظم وأقدس مسمى ، وهو ا جل جلاله[6] .

كما أن من الأسماء ما يكون دالاً على عدة صفات ، ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميع هذه الصفات ، تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها مثل : العظيم ، والمجيد ، والصمد[7] .

كما أنها اشتملت على الصفات الحسنى مثل التوحيد ، وهو نفي الشريك والمعين والكفؤ والسند والشبيه والمثيل والسمي[8] .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .

(2) سورة الإسراء ، آية : ١١٠ .

(3) سورة طه ، آية : ٨ .

(4) سورة الحشر ، آية : ٢٤ .

(5) انظر القواعد المثلى ، لابن عثيمين : ٦–١٧ .

(6) انظر الأسئلة والأجوبة الأصولية ، للسلمان : ٢٦ . وتفسير فتح البيان ، لصديق حسن خان : ٨٢/٥ .

(7) بدائع الفوائد ، لابن القيم : ١٦٨/١ .

(8) المصدر نفسه : ١٥٩/١ .

فأسماؤه سبحانه وتعالى تدل على صفاته التي هي غاية في الكمال الذي لا نقص فيه ، ومنها ما يدل على أفعالـه التي كلها خير وحكمه وعدل ، وهذا وجـه لكونهـا حسنى ، يقول ابن القيم في ذلك : (أسماؤه الدالة على صفاته هي أحـسن الأسـماء ، وأكملها ، وأتمها معنى ، وأبعدها ، وأنزهها عن شائبة عيب ، أو نقص ، فله من صفة الإداراكات : العليم الخبير ، دون العاقل ، والسميع البصير ، دون الـسامع والباصـر والناظر .

ومن صفات الإحسان : البر ، الرحيم ، والودود ، دون الرفيـق ، الـشفوق ، ونحوهما ، وكذلك العلي العظيم ، دون الرفيع ، الـشريف ، وكـذلك الكـريم ، دون السخي ، والخالق البارئ المصور ، دون الفاعل ، الصانع ، المشكل ، الغفور العفو ، دون الصفوح الساتر .

وكذلك سائر أسمائه – تعالى – يجري على نفسه منها : أكملها وأحسنها ، ومـا لا يقوم غيره مقامه) [١] .

ويقول في دلالة الأسماء الحسنى على أفعاله تعالى : (وإن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل ، نحو : الخالق ، الرازق ، المحي ، المميت ، وهذا يدل علـى أن أفعاله كلها خير محض ، لا شر فيها ، لأنه لو فعل الشر ، لاشتق له منه اسـم ، ولـم تكن أسماؤه كلها حسنى ، وهذا باطل ، فالشر ليس إليه ، فكما لا يدخل في صـفاته ، ولا يلحق ذاته ، لا يدخل في أفعاله ، فالشر ليس إليه لا يضاف إليه فعلاً ، ولا وصفاً ، وإنما يدخل في مفعولاته) [٢] .

وكما دلت الآيات الكريمات على ما سمى ا به نفسه من أسماء ، فقد جـاءت الأحاديث الشريفة دالة على ثبوت الأسماء الحسنى تعالى .

---

(1) بدائع الفوائد : ١٦٧/١-١٦٨ .

(2) بدائع الفوائد : ١٩٣/١–١٩٤ .

فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة [1] رضي ا عنه عن النبـي ﷺ أنه قال : (إن تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة) [2] .

وبعد بيان إثبات السلف لأسماء ا تعالى الحسنى بدلاله الكتاب والسنة ، فلا بد من تقرير عدة مسائل :

المسألة الأولى : هل الاسم هو المسمى ؟ أم غيره ؟

فإن أصل هذه المسألة عند السلف هو ما ذكره الأئمة الأوائل مثل الإمام أحمـد وغيره في إنكارهم على الجهمية الذين يقولون : أسماء ا مخلوقـة ، والاسـم غيـر المسمى ، وأسماء ا غيره ، وما كان غيره فهو مخلوق .

وقد تمسك الجهمية بذلك ليظهر سلامة مذهبهم الباطل ، وهو القول بأن كلام ا – تعالى – مخلوق ، وأن صفات ا – تعالى- وكلامه غيره ، وإذا كان كذلك فهـي مخلوقة ، ومن ثم فالقرآن مخلوق[3] .

وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا بدعتهم ، لأن أسـماء ا تعـالى مـن كلامه ، وكلامه غير مخلوق ، وهو الذي سمى نفسه بما فيه من الأسماء[4] .

وقد أنكر أئمة السنة على من قال : أسـماء ا مخلوقـة ، والـذين يطلقـون القول بأن الاسم غير المسمى هذا مرادهم ، ولهذا يروى عن الشافعي وغيره أنه قال : إذا سمعت الرجل يقول : الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة[5] .

ولم يعرف عن أحد من السلف أو الصحابة أنه قال : الاسم هو المسمى .

---

(1) عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني ، صاحب رسول ا ﷺ ، الإمام الفقيه المجتهد الحافظ ، ولد قبل الهجرة بإحدى وعشرين سنة ، توفي سنة ٥٧هـ . انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي : ٥٧٨/٢ ، ونزهـة الفـضلاء : ١٩٥/١ ، والأعلام ، لخير الدين الزركلي : ٣٠٨/٣ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب ما يجوز في الاشتراط ، عن أبي هريرة رضي ا عنه : ٩٨١/٢.

(3) انظر مقالات الإسلاميين ، للأشعري : ١٧٢ .

(4) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١١٠/٦ .

(5) ذكره الالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعـة : ٢٠٧/٢ ، ٨ ، ٢ ، ورواهـا عـن الـشافعي : ٢١١/٢ ، رقم ٣٤٣ ، ٢١٢/٢ ، رقم ٣٤٦ .

لذلك من السلف من أمسك عن القول في هذه المسألة نفياً وإثباتاً ، لأن كل من الإطلاقين بدعة ، كما ذكره أبو جعفر الطبري [(1)] في الجزء الذي سماه " صريح السنة ".

وذكر أن مسألة " اللفظ " ليس لأحد من المتقدمين فيها كلام ، كما قال : لم نجد فيها كلاماً عن صحابي مضى ولا عن تابعي قفا ، إلا عمن في كلامه الشفاء والعناء ، ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى أبو عبدا أحمد بن حنبل ، فإنه كان يقول : اللفظية جهمية .

وذكر أن القول في الاسم والمسمى من الحماقات المبتدعة التي لا يعرف فيها قول لأحد من الأئمة ، والخوض فيها شين ، والصمت عنه زين ، وأن حسب الإنسان من العلم به ، والقول فيه أن ينتهي إلى قوله – جل ثناؤه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [(٢)(٣)].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أقوال الناس في هذه المسألة وهي :

أولاً : القول بأن الاسم غير المسمى : وهو قول الجهمية في الأصل ، ثم أخذه المعتزلة عنهم ، ثم مال إليه بعض الأشاعرة [(٤)] .

ثانياً : القول بأن الاسم هو المسمى : وهو قول كثير من المنتسبين إلى السنة ، مثل اللالكائي[(5)] ، والبغوي في [(٦)] شرح السنة ، وغيرها ، وهو أحد قولي أصحاب أبي

---

(1) محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، المؤرخ المفسر الإمام ، ولد ٢٢٤هـ ، وتوفي ٣١٠هـ ، انظر تذكرة الحفاظ : ٣٥١/٢ ، طبقات السبكي : ١٣٥/٢ ، ميزان الاعتدال : ٣٥/٣ ، الأعلام : ٩٦/٦ .

(2) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .

(3) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١١١/٦ ، وصريح السنة ، للطبري : ١١ .

(4) سيأتي أقوال المعتزلة والأشاعرة لاحقاً ، انظر ص (.....) من هذا البحث .

(5) هبة ا بن الحسين بن منصور الطبري الرازي ، أبو القاسم اللالكائي ، حافظ الحديث من فقهاء الشافعية ، توفي سنة ٤١٨هـ . انظر : تذكرة الحفاظ : ٢٦٧/٣ ، تاريخ بغداد : ٧٠/١٤ ، الأعلام ، للزركلي : ٧١/٨ .

(6) عبد ا بن محمد بن عبد العزيز ابن المرزبان ، أبو القاسم البغوي ، حافظ الحديث ، ولد سنة ٢٠٣هـ ، توفي سنة ٣١٧هـ . انظر لسان الميزان : ٣٣٨/٣ ، وتاريخ بغداد : ١١١/١٠ ، والأعلام ، للزركلي : ١١٩/٤.

الحسن الأشعري ، واختاره أبو بكر بن فورك [١] .

ثالثاً : القول بأن الأسماء ثلاثة :

١. تارة يكون الاسم هو المسمى ، كالموجود .

٢. تارة يكون الاسم غير المسمى : كاسم الخالق .

٣. تارة لا يكون الاسم هو ، ولا غيره : كاسم العليم ، القدير وهذا هو المشهور عن أبي حسن .

رابعاً : الإمساك عن إطلاق مثل هذه الألفاظ الكلامية المبتدعة ، نفياً وإثباتاً ، ومن هؤلاء أبو جعفر الطبري .

خامساً : القول بأن الاسم للمسمى ، كما يقول : أكثر أهل السنة ، وهذا القول هو الذي رجحه ابن تيمية [٢] .

وقد أطال شيخ الإسلام ، النفس في هذه المسألة ، ثم ذهب إلى أن الصواب في هذه المسألة هو أن يقال : إن الاسم للمسمى ، لأن هذا القول هو الذي يوافق الكتاب والسنة ، والمعقول ، وهو الذي أشار إليه السلف الأوائل مثل أبو جعفر الطبري ، عندما أمسك عن الخوض في هذه المسألة مكتفياً بما في القرآن من الآيات[٣] .

واستدل ابن تيمية رحمه ا على صحة ما ذهب إليه بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [٤] وقوله تعالى : ﴿ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [5]. وقول النبي ﷺ : " إن تسعة وتسعين اسماً " [٦] .

---

(1) محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر ، واعظ عالم بالأصول والكلام ، توفي سنة ٤٠٦هـ . انظر الطبقات الكبرى ، للسبكي : ٢٥٢/٣ ، ووفيات الأعيان : ٤٨٢/١ ، والأعلام ، للزركلي : ٨٣/٦ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١١١/٦ ، ١١٢ .

(3) انظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية : ١١١/٦ ، ١٢٣/٦ .

(4) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .

(5) سورة الإسراء ، آية : ١١٠ .

(6) سبق تخريجه ص(٣٧) .

ومثله قول النبي ﷺ : " إن لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، والماحي الذي يمحو ا بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب "[١].

ثم ذكر ابن تيمية أن الجواب الصحيح على قول من قال : أهو المسمى ؟ أم غيره ؟ هو التفصيل ، فنقول : ليس هو نفس المسمى ، ولكن يراد به المسمى ؟

وإذا قيل إنه غيره بمعنى : أنه يجب أن يكون مبايناً له ، فهذا باطل . فالاسم ليس قائماً بالمسمى ، لكن المقصود به المسمى ، والاسم مقصوده إظهار المسمى وبيانه[٢] . يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (....... والذي : يقول : سبحان ا ، وسبحان ربنا ، إنما نطق بالاسم الذي هو ا ، والذي هو ربنا ، فتسبيحه إنما وقع على الاسم ، لكن مراده هو المسمى ، فهذا يبين أنه ينطق باسم المسمى والمراد المسمى ، وهذا لا ريب فيه ، لكن هذا لا يدل على أن لفظ " اسم " الذي هو " ألف سين ميم " المراد به المسمى .

لكن يدل على أن " أسماء ا " مثل : ا ، ربنا ، وربي ، الأعلى ، ونحو ذلك ، يراد بها المسمى ، مع أنها هي في نفسها ليست هي المسمى ، لكن يراد بها المسمى ، فأما اسم هذه الأسماء " ألف سين ميم " فلا هو المسمى الذي هو الذات ، ولا يراد به المسمى الذي هو الذات ، ولكن يراد به مسماه الذي هو الأسماء ، كأسماء ا الحسنى ، في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [٣][٤] .

والذي يجب أن يعلم هنا أن اسمه تعالى يتناول ذاته وصفاته ، لا يتناول ذاتاً مجردة عن الصفات ، ولا صفات مجردة عن الذات . فالصفات داخلة في مسمى أسمائه .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول ا ﷺ عن جبير بن مطعم عن أبيه رضي ا عنهما : ١٢٩٩/٣ .

وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ : ١٨٢٨/٤ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى : ١٢٣/٦ .

(3) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ١٨٠ .

(4) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٢٠/٦ .

وعلى ذلك فلا يقال : إن علم ا وقدرته زائدة عليه ، والقول بأن صفاته التـي دلت عليها أسماؤه زائدة يجب فيه التفصيل :

فإذا أريد أنها زائدة على ما أثبته أهل النفي من الذات المجردة فهـو صـحيح ، لأنه ليس في نفس الأمر ذات مجردة ، ولا يتصور ذلك ، فلا يقال : إن الصفات زائدة عليها ، بل لا يمكن وجود الذات إلا بالصفات التي بها تصير الذات ذاتاً معقولة يمكـن تصورها ، ولا يمكن وجود الصفات إلا بما تقوم به من الذات ، فتخيل وجود أحـدهما دون الآخر ، ثم زيادة الآخر عليه تخيل باطل[١] .

وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي مسألة الاسم والمسمى ، وأشار إلى أنه لابد مـن التفصيل في هذه المسألة بأن يقال : (الاسم يراد به المسمى تارة ، ويراد بـه اللفـظ الدال عليه أخرى ، فإذا قلت ، قال ا كذا ، أو سمع ا لمن حمده ، ونحو ذلك ، فهذا المراد به المسمى نفسه . وإذا قلت : ا اسم عربي ، والرحمن اسم عربي ، والرحيم من أسماء ا – تعالى – ونحو ذلك ، فالاسم هنا المراد به اللفظ الدال عليه المسمى ، ولا يقال : غيره ، لما في لفظ الغير من الإجمال .

فإن أريد بالمغايرة : أن اللفظ غير المعنى ، فحق ، وإن أريد : أن ا – سبحانه – كان ولا اسم له ، حتى خلق لنفسه أسماء ، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم ، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء ا تعالى)[٢] .

المسألة الثانية : هل أسماء الله تعالى توقيفية ؟ أم قياسية ؟ .

وهذه من المسائل التي كثر فيها الخلاف بين المسلمين :

– فمنهم من قال : إن أسماء ا توقيفية سمعية شرعية ، فلا يطلق على ا - تعالى- إلا ما ورد به القرآن والسنة ، ومن هؤلاء بعض الأشاعرة كما سيأتي بيانه[٣].

---

[1] انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٢٣/٦ .

[2] شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ١٢٩ – ١٣١ .

[3] انظر ص (.....) من هذا البحث .

- ومنهم من قال : إن كل اسم ثبت معناه في الشرع ، وصح معناه فـي اللغـة ، ولا يلحق من إطلاقه على ا - تعالى - نقص جاز تسمية ا تعالى به ، ومـن هـؤلاء المعتزلة ووافقهم بعض الأشاعرة [١] .

- ومنهم من ذهب إلى التفريق بين دعائه - سبحانه - وبين الإخبار عنه ، فلا يـدعو الإنسان إلا بما ورد في الكتاب والسنة ، أما الإخبار فإنه يعبر عنه بما صح معنـاه ولا يلحق النقص با تعالى ، وهذا قول السلف .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى : (إن المسلمين فـي أسـماء ا تعالى على طريقتين :

- كثير منهم يقول : إن أسماءه سمعية شرعية ، فلا يسمى إلا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة ، فإن هذه عبادة ، والعبادات مبناها على التوقف والاتباع .

- ومنهم من يقول : ما صح معناه في اللغة ، وكان معناه ثابتاً له ، لم يحرم تـسميته به ، فإن الشارع لم يحرم علينا ذلك ، فيكون عفواً .

والصواب القول الثالث : وهو أن يفرق بين أن يدعى بالأسماء ، أو يخبر بهـا عنه ، فإذا دعي لم يدع (إلا) بالأسماء الحسنى ، كما قـال تعـالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [٢] .

وأما الإخبار عنه ، فهو بحسب الحاجة ، فإذا احتيج - في تفهيم الغير المراد - إلى أن تُترجم أسماؤه بغير العربية باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرماً)[٣].

وقال في موضع آخر : (... ويفرق بين دعائه ، والإخبار عنه ، فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى ، أما الإخبار عنه ، فلا يكون باسم سئ ، لكن قد يكون باسم حسن ، أو باسـم ليس بسئ ، وإن لـم يحكم بحسنـه ، مثـل : اسـم ، شـيء ، وذات ، وموجود ، .... ، وكذلك المريد ، والمتكلم ، فإن الإرادة ، والكلام تنقسم إلى محمود ،

---

(1) انظر ص (٥٣) من هذا البحث .

(2) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ١٨٠ .

(3) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية : ٢٠٣/٣ .

ومذموم ، فليس ذلك من الأسماء الحسنى ، بخلاف الحكيم ، والرحيم ، والصادق ، ونحو ذلك فإن ذلك لا يكون إلا محموداً) [1] .

وقال في موضع آخر : (والناس متنازعون : هل يسمى ا بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع ، وإن لم يرد بإطلاقه نص ، ولا إجماع ؟ أم لا يطلق إلا على ما ورد فيه نص ، أو إجماع ؟ على قولين مشهورين : وعامه النظّار يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع كلفظ : القديم ، والذات ، ونحو ذلك .

ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها ، وبين ما يخبر به عنه للحاجة ، فهو سبحانه – إنما يدعى بالأسماء الحسنى ، كما قال : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [2] .

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه ، مثل أن يقال : ليس هو بقديم ، ولا موجود ، ولا ذات قائمة بنفسها ، ونحو ذلك .

– فقيل – في تحقيق الإثبات – بل هو سبحانه قديم ، موجود ، وهو ذات قائمة بنفسها .

وقيل : ليس بشيء ، فقيل : بل هو شيء ، فهذا سائغ ، وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل : يا شيء ، إذ كان هذا لفظاً يعم كل موجود ، وكذلك لفظ " ذات وموجود " ونحو ذلك) [3] .

ويقول ابن القيم رحمه ا تعالى : (إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه ، وصفاته .. كالشيء والموجود ، والقائم بنفسه ، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا) [4] .

وقال أيضاً : (إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي ، وما يطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفياً ، كالقديم ، والشيء ، والموجود ، والقائم

---

(1) مجموعة الفتاوى : ٨٣/٦ .

(2) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ١٨٠ .

(3) مجموعة الفتاوى : ١٦١/٩ . وانظر درء تعارض العقل والنقل : ٢٩٧/١ – ٢٩٨ .

(4) بدائع الفوائد لابن القيم : ١٦١/١ ، وانظر مدارج السالكين : ٤١٥/٣ .

بنفسه ، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه : هل هي توقيفية ؟ أم يجـوز أن يطلـق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع) (١) .

ولذلك فقد ذهب جمهور المسلمين من أهل الـسنة والجماعـة إلـى أن أسـماء ا - تعالى - ليست محصورة في العدد تسعة وتسعين ، كما سيأتي الكلام في ذلك فيما يلي :

المسألة الثالثة : هل أسماء الله تعالى محصورة في عدد معين ؟ أم لا ؟

فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي ا عنه أن النبي ﷺ قـال : (إن تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة) (٢) .

أما الرواية التي فيها عدد الأسماء فقد رواها الترمذي عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (إن تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، هو ا لا إله إلا هو ..... وذكر الأسماء) (٣) .

وجميع هذه الروايات التي فيها عدد الأسماء ضعيفة ، وقد رجح العلماء أن عدد الأسماء هو : من إدراج بعض الرواة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل العلـم والمعرفة) (٤) .

---

(1) بدائع الفوائد ، لابن القيم : ١٦٢/١ .

(2) سبق تخريجه ص(٣٧) .

(3) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات عن رسول ا ﷺ : ٥٣٠/٥ .

قال الترمذي : (هذا حديث غريب ، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفـه إلا مـن حـديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث) ، سنن الترمذي : ٥٣٠/٥ .

مستدرك الحاكم : ٦٢/١ ، ٦٣ .

وشرح السنة للبغوي : ٣٢/٥ ، والجامع لشعب الإيمان ، للبيهقي : ٢٧٧/١ ، والأسماء والصفات ، للبيهقـي : ٢٨/١ ، ٢٩ ، والاعتقاد ، للبيهقي : ١٨ ، ١٩ .

(4) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٣٨٢/٦ .

وقال الحافظ ابن حجر [١] : (وقد أطلق ابن عطية في تفسيره [٢] أنه تواتر عن أبي هريرة " فقال في سرد الأسماء نظر " فإن بعضها ليس في القرآن ، ولا في الحديث الصحيح ، ولم يتواتر الحديث من أصله ، وإن خرج في الصحيح ..) إلى أن قـال : (قال البيهقي : يحتمل أن يكون التعيين وقع من بعض الرواة في الطريقتين معاً ، ولهذا وقع الاختلاف الشديد بينهما ، فلهذا الاحتمال ترك الشيخان تخريج التعيين) [٣].

وقد أسهب ابن حجر في هذه المسألة ، ثم رجح أن سرد الأسـماء إدراج مـن بعض الرواة [٤] .

وقال ابن حجر : (وساق الترمذي [٥] ، وابن حبان [٦] الأسماء ، والتحقيـق أن سردها إدراج من بعض الرواة) [٧] .

وقال الصنعاني[٨] : (اتفق الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة) [٩] .

([1]) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، ولـد بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ ، وتوفي فيها سنة ٨٥٢هـ . انظر : الدرر الكامنة ، لابن حجر : خاتمة النشر ، والبدر الطالع : ٨٧/١ ، والأعلام : ١٧٨/١ .

([2]) عبد ا بن عطية بن عبد ا بن حبيب ، أبو محمد : عالم بالتفسير ، مقرئ من أهـل دمـشق ، تـوفي سـنة ٣٨٣هـ . انظر الأعلام : ١٠٣/٤ .

([3]) فتح الباري ، لابن حجر : ٢١٥/١١ .

([4]) المصدر السابق : ٢١٤/١١ – ٢٢٨ .

([5]) محمد بن عيسى بن سورة بن عيسى السلمي الترمذي الضرير ، الحافظ الإمام البارع ، ولد فـي حـدود سـنة ٢١٠هـ ، توفي سنة ٢٧٩هـ بترمذ . انظر سير أعلام النبلاء : ٢٧٠/١٣ ، نزهة الفضلاء : ٦٦٨/٢ ، تذكرة الحفاظ : ١٨٧/٢ ، الأعلام : ٢٢/٦ .

([6]) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ، أبو حاتم البستي ، مؤرخ علامة جغرافي محـدث توفي ٣٥٤هـ . انظر تذكرة الحفاظ : ١٢٥/٣ ، ميزان الاعتدال : ٣٩/٣ ، الأعلام : ٧٨/٦ .

([7]) بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر : ٢ / ١٨٣ .

([8]) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، أبو بكر الصنعاني ، من حفاظ الحديث الثقات ، ولد سنة ١٢٦هـ ، وتوفي سنة ٢١١هـ . انظر طبقات الحنابلة : ١٥٢ ، وتهذيب التهذيب : ٣١٠/٦ ، والأعلام : ٣٥٣/٣ .

([9]) سبل السلام ، للصنعاني : ١٠٨/٤ .

وقال ابن القيم : (فأما " الواحد " فلم تجئ تسميته به إلا من حديث تعداد الأسماء الحسنى ، والصحيح أنه ليس من كلام النبي ﷺ ...) [١] .

وقد ضعف الحديث جماعة من أهل العلم كابن حزم [٢] في " المحلى " [٣] .

وابن القيم في " مدارج السالكين " [٤] وابن كثير [٥] في تفسيره [٦] .

ومال البغوي إلى تضعيفه في " شرح السنة " [٧] .

وصححه القرطبي [٨] في تفسيره[٩] ، وحسنه النووي [١٠] في " الأذكار " المطبوع مع شرح ابن علان[١١] ، وصححه الحاكم [١٢] في " المستدرك " [١٣] وسكت عنه الذهبي[١٤].

---

(1) مدارج السالكين : ٤١٥/٣ .

(2) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل ، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي ، الفقيه الحافظ المتكلم ، ولد سنة ٣٨٤هـ بقرطبة ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ ، وعمره ٧١ سنة وأشهر . انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي : ١٨٤/١٨ ، والأعلام ، للزركلي : ٢٥٤/٣ .

(3) المحلى لابن حزم : ٣١/٨ .

(4) ٤١٠/٣ .

(5) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضرين بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي أبو الفداء ، عماد الدين ، حافظ مؤرخ فقيه، ولد سنة ٧٠١هـ ، توفي سنة ٧٧٤هـ . انظر الدرر الكامنة : ٣٧٣/١ ، والبدر الطالع : ١٥٣/١ ، الأعلام : ٣٢٠/١ .

(6) تفسير ابن كثير : ٢٥٨/٢ .

(7) ٣٥/٥ .

(8) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد ا القرطبي ، من كبار المفسرين، توفي سنة ٦٧١هـ . انظر الجامع لأحكام القرآن ، مقدمة الكتاب ، الأعلام : ٣٢٢/٥ .

(9) ٣٢٥/٧ .

(10) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النوري الشافعي ، أبو زكريا محي الدين ، علامة الفقه والحديث ، ولد سنة ٦٣١هـ ، وتوفي سنة ٧٧٦هـ . انظر طبقات الشافعية ، للسبكي : ١٦٥/٥ ، الأعلام : ١٤٩/٨ .

(11) ٢٢١/٣ .

(12) أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن محمد بن السبيع الضبي الطهماني النيسابوري ، الشافعي ، ولد سنة ٣٢١هـ بنيسابور، توفي سنة ٤٠٥هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ١٦٢/١٧ ، ميزان الاعتدال : ٨٥/٣ ، طبقات السبكي : ٦٤/٣ ، الأعلام: ٢٢٧/٦ .

(13) ٦٣/١ .

(14) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين أبو عبد ا ، حافظ مؤرخ علامة ، محقق ، ولد سنة ٦٧٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ . انظر الدرر الكامنة : ٣٣٦/٣ ، طبقات السبكي : ٢١٦/٥ ، الأعلام : ٣٢٦/٥ .

يقول الشيخ ابن عثيمين[1] : (فمن حاول تصحيح هذا الحديث قال إن هذا أمـر عظيم لأنها توصل إلى الجنة فلا يفوت على الصحابة أن يسألوه ﷺ عن تعيينها ، فـدل هذا على أنها قد عينت من قبله ﷺ لكن يجاب على ذلك بأنه لا يلزم ، ولو كان كـذلك لكانت هذه الأسماء التسعة والتسعين معلومة أشد من علـم الـشمس ، ولنقلـت فـي الصحيحين وغيرها ، لأن هذا مما تدعو الحاجة إليه وتلح بحفظه ، فكيف لا يـأتي إلا عن طرق واهية ، وعلى صور مختلفة ، فالنبي ﷺ لم يثبتها لحكمة بالغـة ، وهـو أن يطلبها الناس ويتحروها في كتاب ا وسنة رسول ا ﷺ حتى يتبين الحريص من غير الحريص) [٢] .

وبهذا يتبين لنا إجماع السلف [٣] على أن أسماء ا تعـالى أكثـر مـن تـسعة وتسعين اسما .

ويدل على أن العدد المذكور في الحديث ليس للحصر ما يلي :

أولاً : حديث الشفاعة الطويل ، الذي رواه البخاري بسنده عـن أبـي هريـرة رضي ا عنه : ... إلى أن قال الرسول ﷺ : (فأنطلق ، فآتي تحت العرش ، فـأقع ساجداً لربي عزوجل ، ثم يفتح ا علي من محامده ، وحسن الثناء عليه ، شـيئاً لـم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع..)[٤]. فقوله ﷺ هذا دليل على أن أسماء ا تعالى ليست محصورة في العدد تسعة وتـسعين ، لأن حمد ا تعالى والثناء عليه بأسمائه وصفاته المعروفة ، يجري على ألسنة أنبيائـه ورسله وعباده المؤمنين ، وما يفتح ا على رسوله محمد ﷺ في الموقف يوم القيامـة من الدعاء بذكر محامد ا وحسن الثناء عليه سبحانه غير هذا ، لقوله ﷺ : (لم يفـتح

---

(1) أبو عبد ا محمد بن صالح بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي ، ولد بعنيزة سنة ١٣٤٧هـ ، وتتلمذ على يـد علماء نجد وغيرهم ، كان إماماً فقيهاً أصولياً مجتهداً ، توفي سنة ١٤٢١هـ . انظر شرح العقيدة الواسـطية ، لابن عثيمين ، مقدمة الكتاب : ٩/١ .

(2) فتاوى ابن عثيمين : ٥٦٠ .

(3) خلافاً لابن حزم ، انظر ابن حزم وموقفه من الإلهيات ، د . أحمد بن ناصر الحمد : ٢٠٤–٢١٥ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً : ١٧٤٦/٤ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : ١٨٥/١ .

على أحد قبلي) ولا يكون الدعاء بغير أسماء ا تعالى وصفاته ، فهي زائـدة علـى التسعة والتسعين ، وهذا دليل على أن محامده سبحانه وتعالى وصفات كماله ونعـوت جلاله غير متناهية .

ثانياً : إن النبي ﷺ كان يقول في سجوده : (اللهم إنـي أعـوذ برضـاك مـن سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيـت على نفسك) [١] .

فأخبر ﷺ أنه لا يحصي ثناء على ا تعالى ، ولو أحـصى جميـع أسـمائه ، لأحصى صفاته كلها ، فكان يحصي الثناء عليه ، لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه[٢].

ثالثاً : حديث ابن مسعود [٣] رضي ا عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال : (اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتـك ، ناصـيتي بيـدك ، ماضٍ في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفـسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري ، وجلاء حزنـي ، وذهـاب همـي وغمي، إلا أذهب ا همه وغمه ، وأبدله مكان حزنه فرحاً) [٤] .

وهذا يدل على أن أسماء ا تعالى أكثر من تسعة وتسعين ، منهـا مـا يعلمـه بعض الخلق مما لم يرد في الكتاب أو السنة ، ومنها ما استأثر ا بعلمه .

يتبقى بيان معنى الإحصاء المذكور في الحديث .

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع : ٣٥٢/١ عن أم المؤمنين عائشة رضي ا عنها .

(2) انظر درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ٣٣٢/٣-٣٣٣ .

(3) عبد ا بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، من أصحاب رسول ا ﷺ ومـن أكـابرهم فضلاً وعقلاً وقرباً إلى رسول ا ﷺ ، توفي سنة ٣٢هـ . انظر سير أعلام النـبلاء : ٤٦١/١ ، الأعـلام : ١٣٧/٤ .

(4) مسند الإمام أحمد : ٣٩١/١ ، ورواه الحاكم في مستدركه وقال : (صحيح على شرط مسلم إن مسلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد ا عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه) مستدرك الحاكم : ٦٩٠/١ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (فإن الذي عليه جماهير المسلمين أن أسماء ا أكثر من تسعة وتسعين ، قالوا – ومنهم الخطابي [1] – وقوله : (إن تسعة وتـسعين اسما من أحصاها) التقييد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هذه الأسماء .

فهذه الجملة - وهي قوله - : (من أحصاها دخل الجنـة) ، صـفة للتـسعة والتسعين ، وموضعها النصب وليست جملة مبتدأة ، ويجوز أن تكون مبتدأة ، والمعنى لا يختلف .

والتقدير : إن أسماء بقدر هذا العدد ، من أحصاها دخل الجنة ، كمـا يقـول القائل : إن لي مائة غلام أعددتهم للعتق ، وألف درهم أعددتها للحج ، فالتقييد بالعـدد هو في الموصوف بهذه الصفة ، لا في أصل استحقاقه لذلك العدد ، فإنه لم يقـل : إن أسماء ا تسعة وتسعون ....

وأيضاً فقوله : (إن تسعة وتسعين) تقييده بهذا العدد ، بمنزلة قوله تعالى : ﴿ تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [٢] ، فلما استقلوهم قال : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [٣] فإنـه لا يعلم أسماءه إلا هو .

فقوله : (إن تسعة وتسعين) قد يكون للتحصيل بهـذا العـدد فوائـد غيـر الحصر، ومنها :

– ذكر أن إحصاءها يورث الجنة ، فإنه لو ذكر هذه الجملة منفردة ، وأتبعهـا بهـذه منفردة ، لكان حسناً ، فكيف والأصل في الكلام الاتصال ، وعدم الانفصال ، فتكـون الجملة الشرطية وصفة لا ابتدائية ، وهذا هو الراجح في العربية ، (مع ما ذكـر مـن الدليل) .

---

(1) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، أبو سليمان ، فقيه محدث ، ولد سنة ٣١٩هـ ، وتـوفي سـنة ٣٨٨هـ . انظر وفيات الأعيان : ١٦٦/١ ، الأعلام : ٢٧٣/٢ .

(2) سورة المدثر ، جزء من الآية : ٣٠ .

(3) سورة المدثر ، جزء من الآية : ٣١ .

ولهذا قال : إنه وتر يحب الوتر ، ومحبته لذلك تدل على أنه متعلق بالإحصاء ، يجب أن يحصى من أسمائه هذا العدد .

وإذا كانت أسماء ا أكثر من تسعة وتسعين ، أمكن أن يكون إحـصاء تـسعة وتسعين اسماً يورث الجنة – مطلقاً – على سبيل البدل) [1] .

ويقول ابن القيم رحمه ا : (وأما قوله ﷺ : (إن تسعة وتسعين اسماً مـن أحصاها دخل الجنة صفة ، لا خبر مستقل .

والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة ، وهذا لا ينفـي أن يكون له أسماء غيرها ، وهذا كما تقول : لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد ، فلا ينفـي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد . وهذا لا خلاف بين العلماء فيه) [٢] .

وعلى هذا فإن الإحصاء في قول النبي ﷺ لا يدل على حصر أسماء ا تعـالى في هذا العدد فقط .

واختلف العلماء في معنى الإحصاء في الحديث على عدة أقوال منها :

١. أنه بمعنى : أن يعدها حتى يستوفيها ، فلا يقتصر على بعضها [٣] .
٢. المراد به حفظها [٤] .
٣. العمل بمعاني الأسماء الحسنى [5] .
٤. عدها معتقداً بها ، لأن الدهري لا يعترف بالخالق ، والفلسفي لا يعترف بالقادر.
٥. تتبعها من القرآن والأحاديث الصحيحة حتى يلتقط منها تسعة وتسعين اسماً ، ثـم يدعو ا بها [٦] .

([1]) مجموعة الفتاوى : ٢٢٨/٦ ، ٢٢٩ .
([2]) بدائع الفوائد ، لابن القيم : ١٦٦/١ ، ١٦٧ ، وانظر شرح السنة للبغوي : ٣٥/٥ .
([3]) انظر فتح الباري ، لابن حجر : ٢٢٧/١١ ، ٢٢٨ .
([4]) انظر المقصد الأسنى ، للغزالي : ١٥٣ .
([5]) انظر فتح الباري : ٢٢٦/١١ .
([6]) نفس المصدر والجزء والصفحة .

واختار ابن القيم أن الإحصاء على ثلاث مراتب :

١. إحصاء ألفاظها وعددها .

٢. فهم معانيها ومدلولها .

٣. دعاؤه بها [١] .

وقال الشيخ ابن عثيمين : (وليس معنى أحصاها أن تكتب في رقاع ثم تكـرر حتى تحفظ ولكن معنى ذلك :

أولاً : الإحاطة بها لفظاً .

ثانياً : فهمها معنى .

ثالثاً : التعبد بمقتضاها ولذلك وجهان :

الوجه الأول : أن تدعو ا بها لقوله تعالى : ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك ، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك ، فعند سؤال المغفرة تقـول : يـاغفور اغفر لي ، وليس من المناسب أن تقول يا شديد العقاب اغفر لـي ، بـل هـذا يـشبه الاستهزاء ، بل تقول : أجرني من عقابك .

الوجه الثاني : أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هـذه الأسـماء ، فمقتـضى الرحيم الرحمة ، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جالباً لرحمة ا ، هذا هـو معنـى أحصاها ، فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون ثمناً لدخول الجنة) [٢] .

وخلاصة القول في ذلك أن إحصاءها يقتضي حفظها والتعبد بها وتدبر معانيها .

وبعد هذا البيان لهذه المسائل في أسماء ا تعالى ، يجب تقرير صحة تسمية ا

---

[1] بدائع الفوائد ، لابن القيم : ١٦٤/١ .

[2] فتاوى ابن عثيمين : ٥٥ .

تعالى بـ (العدل – المقسط) ؛ فإن هذين الاسمين لم يردا نصاً لا في الكتاب ولا في السنة ، ولكن قد يصح تسمية الله تعالى بهما من عدة وجوه :

أولاً : ما ذهب إليه السلف من أن أسماء الله تعالى توقيفية في باب الدعاء ، وقياسية في باب الإخبار كما مر معنا ، وعلى ذلك يصح الإخبار عن الله تعالى بأنه عدل مقسط ، خاصة وأن هذين الاسمين لا ذم ولا نقص فيهما ، بل إنهما يتضمنان مدحاً لله تعالى .

ثانياً : ما ذهب إليه جماهير المسلمين من أن أسماء الله تعالى أكثر من تسعة وتسعين ، وأنها ليست محصورة بعدد معين ، ولا بما ورد في القرآن والسنة فقط ، بل هي أكثر من ذلك .

ثالثاً : أن اسمه تعالى " العدل " واسمه " المقسط " صحيحان عن طريق الاشتقاق من الأفعال الربانية الحميدة ، فإنه يشتق له من فعله العدل اسمه " العدل " ويشتق له من قيامه بالقسط اسمه " المقسط " .

رابعاً : أن هذين الاسمين " العدل – المقسط " هما مقتضى الأسماء المنصوص عليها في القرآن الكريم .

فالعدل هو مقتضى أسمائه تبارك وتعالى : الحكيم والحميد ، والمالك ، والرب ، وغيرها من الأسماء التي تدل على كمال ملكه ، وكمال مجده ، واستحقاقه سبحانه وتعالى للحمد والثناء لصدور أفعاله عن حكمة وعدل ورحمة ومصلحة لخلقه [1] .

---

(1) انظر إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير اليمني : ١٦٢ ، ١٦٣ .

مذهب المعتزلة في أسماء الله تعالى .

ذهب المعتزلة إلى إثبات بعض أسماء ا الحسنى ، مثـل : ا ، والـرحمن ، الرحيم ، الحي ، القيوم ، الباقي ، وغيرها [١] .

ومع ذلك فقد امتنعوا من تسمية ا تعالى ببعض الأسماء مثل : المتين ، الحق ، اللطيف ، القريب ، وغيرها ، وذلك لمعارضتها لمذهبهم ، وعدم انسجامها مع ما ذهبوا إليه ، رغم ورود تلـك الأسماء في الكتاب العزيز ، ودلالة أحاديـث رسـول ا ﷺ عليها .

يقول القاضي عبد الجبار : (وأما الوصف له بأنه متين فإنـه لا يـصح ، لأن المتانة هي الصلابة ، ولذلك يقال حبل متين إذا كان صلباً ، ولذلك يطرد في الأشـياء الصلبة .... ، وقوله ، سبحانه : ﴿ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [٢] مجاز) [٣] .

ويقول في موضع آخر : (فأما وصفه تعالى بأنه قريب على الخلق على الحقيقة فلا يصح ، لأن القرب والبعد إنما يجوز على الأجسام .....

وقال شيخنا أبو علي [٤] ، رحمه ا : إن ا تعالى لا يوصف بأنه حق علـى الحقيقة ..... ولا يوصف تعالى بأنه لطيف ، لأن حقيقة ذلك إنما تصح فيما يجوز عليه

---

(1) انظر الكشاف للزمخشري : ١٠٥/٢ ، ١٠٦ ، ٣٧٨ ، ٤٢٨ ، و ج ٤ / ٨٥ .

(2) سورة الذاريات ، جزء من الآية : ٥٨ .

(3) المغني ، للقاضي عبد الجبار : ٢١٦/٥ .

(4) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي ، أبو علي ، من أئمة المعتزلة ، ورئيس علماء الكلام في عصره ، ولد ٢٣٥هـ ، وتوفي سنة ٣٠٣هـ . انظر وفيات الأعيان : ٤٨٠/١ ، البداية والنهايـة : ١٢٥/١١ ، الأعـلام : ٢٥٦/٦ .

اللطافة والكثافة من الأجسام والجواهر ، وا يتعالى عن ذلك)[١][٢] .

ثم إن المعتزلة أولوا بعض معاني أسماء ا الحسنى ، ومثـال ذلـك : قـول القاضـي عبد الجبار : (قد بينا من قبل أنه – تعالى – يوصف بأنه : واحـد علـى الحقيقة ، ويراد به أنه لا يتجزأ ولا يتبعض ، تفرقة بينه وبين ما يجوز عليه التجـزؤ والتبعض ..)[٣].

وقال الزمخشري [٤] : (قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [٥] ، العلي الشـأن)[٦] .

وبرغم إثبات المعتزلة بعض الأسماء الحسنى ، إلا أنهم منعوا أن يشتق لـه – سبحانه – وتعالى – من أسمائه صفات ، فا – تعالى – عندهم حي بلا حياة ، علـيم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، مريد بإرادة محدثة موجودة لا في محل[٧] .

ولذلك فإن ما أثبته المعتزلة تعالى إنما هي أسماء فقط ، دون ما دلت عليـه من الصفات ، وإن عبروا لذلك بالوصف .

إضافة إلى أن أسماء ا تعالى عند المعتزلة ليست توقيفيـة ، وإنمـا قياسـية وطريق ثبوتها اللغة أو العقل .

---

(1) المصدر نفسه : ٢٥٦/٥ .

(2) عندما يذكر المعتزلة الوصف ، فإنهم يقصدون به الاسم فقط ، فقولهم : " لا يوصف " يعنون به ما لا يجـب أن يطلق عليه من الأسماء ، أما الصفات فإنها منفية عندهم بالجملة كما مر معنا ، انظر المغني : ٥ / ٢٠٥ ومـا بعدها .

(3) المغني : ٢٤٤/٥ .

(4) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، معتزلي عالم بالتفسير ، ولد في زمخـشر سـنة ٤٦٧هـ ، وتوفي سنة ٥٣٨هـ . انظر وفيات الأعيان : ٨١/٢ ، الأعلام : ١٧٨/٧ .

(5) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٥٥ .

(6) الكشاف ، للزمخشري : ١٥٤/١ .

(7) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبـد الجبـار : ١٤٩/٦ . القـسم الثـاني ، ٢٠٥/٥ ومـا بعدها .

ولا يشترطون في إطلاق الأسماء على ا تعالى ورودها في الكتاب الكريم ، أو الأحاديث الشريفة ، بل يجوز أن يسمى ا – تعالى – باسم من جهة العقل فقط[1] .

ويرى المعتزلة إن إجراء الأسماء والصفات على ا – تعالى – كإجرائها على غيره ، في أنه يحسن من غير سمع وتوقيف [٢] .

وقالوا : إذا كان الناس قد تواضعوا على اللغات ، وتسمية المسميات دون ورود إذن سمعي ، وعدوا ذلك حسناً ، لأنه بها تعرف الأشياء ، ويصح بها الإخبار عند غيبة المسميات ، فكذلك كل اسم حسن ، انتفـت عنـه وجـوه القـبح ، وجـب القـضاء بحسنه ، وجاز إطلاقه على ا – تعالى) [٣] .

ولهذا أطلق المعتزلة على ا تعالى أسماء لم ترد في القرآن المبـين ولا فـي الحديث الشريف ، مثل : القديم ، بمعنى الأول ، والفرد بمعنى الواحـد ، والمـستطيع بمعنى القادر ، يقول القاضي عبد الجبار في بيان أن العقل طريق إثبـات الأسـماء : (أعلم أن جميع ما ذكرناه في الدلالة على حسن إجراء الأسماء على المسميات من غير إذن ، يـدل علـى حـسن إجرائهـا علـى القـديم – تعـالى ذكـره – مـن غيـر إذن ، لأنا إذا علمناه بالعقل ، وعلمنا ما يستحقه من الأوصاف ، وعلمناه فـاعلاً لمـا أحدثه ، لم يمتنع أن تجري عليه من الأسماء ما يفيد ما هو عليه في ذاته ، وما أوجده من فعله) [٤] .

ثم إن المعتزلة يرون أن الاسم غير المسمى كمـا سـبق ذكـر ذلـك ، قـال الزمخشري : (وا والرحمن : المراد بهما : الاسم ، لا المسمى ، .... والضمير في " فله " [5] ليس براجع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مـسماهما ، وهـو ذاتـه

([1]) انظر المغني ، للقاضي عبد الجبار : ١٨٠/٥ .

([2]) المصدر نفسه : ١٧٩/٥ .

([3]) المصدر نفسه : ١٧٤/٥ .

([4]) المصدر نفسه : ١٧٩/٥ .

([5]) قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ سورة الإسراء ، آية: ١١٠ .

تعالى، لأن التسمية للذات ، لا للاسم) [1] .

وقد سبق بيان ما ذهب إليه السلف في أسماء ا تعالى ، وفي ذلـك رد علـى أقوال المعتزلة ، وهو يغني عن إعادته و الحمد والمنة .

مذهب الأشاعرة في أسماء الله تعالى :

أثبت الأشاعرة جميع أسماء ا تعالى التي وردت في القرآن الكـريم ، وفـي السنة الشريفة ، ودل عليها الإجماع .

ولكنهم اختلفوا في كون هذه الأسماء توقيفية أو سمعية على أربعة أقوال :

١. القول الأول : ذهب جمع غفير منهم إلى أن أسماء ا تعالى توقيفية ، ولا يجـوز إطلاق اسم على ا تعالى ، إلا إذا ورد في القرآن ، أو ثبت في الـسنة ، أو أجمعـت عليه الأمة ، ولا يجوز - عندهم – أن تكون أسماء ا قياسية أو اصطلاحية .

وهذا قول الأشعري[٢] ، وعبد القاهر البغدادي[٣] ، [٤] وهو قـول الإيجـي[٥][٦] والتفتازاني [٧][٨].

([1]) الكشاف ، للزمخشري : ١٧٨/٢ .

([2]) رسالة الثغر ، للأشعري : ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٢ ، ٩٩ .

([3]) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد ا البغدادي التميمي الاسفراييني ، أبو منصور ، عالم متفنن ، توفي سنة ٤٢٩هـ . انظر طبقات السبكي : ٢٣٨/٣ ، وفيات الأعيان : ٢٩٨/١ ، الأعلام : ٤٨/٤ .

([4]) أصول الدين ، للبغدادي : ١١٩ ، والفرق بين الفرق : ٣٣٧ .

([5]) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار ، أبو الفضل عضد الدين الإيجي ، عالم بالأصول والمعـاني والعربيـة ، توفي سنة ٧٥٦هـ ، الدرر الكامنة : ٣٢٢/٢ ، طبقات السبكي : ١٠٨/٦ ، الأعلام : ٢٩٥/٣ .

([6]) المواقف ، للإيجي : ٣٥٣ .

([7]) مسعود بن عمر بن عبد ا التفتازاني سعد الدين من أئمة العربية والبيان والمنطق ، ولد سنة ٧١٢هـ ، وتوفي سنة ٧٩٣هـ . انظر الدرر الكامنة : ٣٥٠/٤ ، الأعلام : ٢١٩/٧ .

([8]) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٣٤٢/٤ ، ٣٤٥ .

يقول عبد القاهر البغدادي : (إن مأخذ أسماء الله تعالى التوقيف عليها : إما بالقرآن ، وإما بالسنة الصحيحة ، وإما بإجماع الأمة عليها ، ولا يجوز إطلاق اسم عليه من طريق القياس) [1] .

وبرغم قولهم هذا إلا أنهم عندما شرعوا في سرد أسماء الله أطلقوا عليه بعض الأسماء القياسية التي لم ترد في القرآن أو السنة أو الإجماع ، فأطلقوا عليه : القديم[2]، والمريد والمتكلم [3] ، والذات [4] ، والطالب ، والقاضي ، والطبيب [5] ، وغيرها.

٢. القول الثاني : ذهب الباقلاني إلى أن أسماء الله ليست توقيفية ، بل قياسية إصطلاحية ، فكل لفظ لم يرد به إذن ولا منع ودل على معنى ثابت لله – تعالى – جاز إطلاقه على الله تعالى بلا توقف ، إذا لم يكن إطلاقه موهماً لما لا يليق بجلاله وعظمته ، يقول الباقلاني : (.. ولا يجب أن لا يشتق له من جميع أفعاله اسم ، لأن ذلك يوجب أن لا يشتق له من العدل عادل ، ومن الإحسان ، والتفضل محسن متفضل ، وذلك خلاف الإجماع ، فوجب أن يشتق من بعض ما خلق ، ولا يشتق له من بعض ..) [6].

٣. القول الثالث : التوقف : وإليه مال أبو المعالي عبد الملك الجويني ، حيث قال في الإرشاد : (ما ورد الشرع بإطلاقه في أسماء الله تعالى – وصفاته ، أطلقناه ، وما منع الشرع من إطلاقه ، متعناه . وما لم يرد إذن ولا منع لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم ، فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد السمع ، ولو قضينا بتحليل أو تحريم من غير شرع ، لكنا مثبتين حكماً دون السمع .

ثم لا يشترط في جواز الإطلاق ورود ما يقطع به في الشرع ، ولكن ما يقتضي

---

(1) الفرق بين الفرق ، للبغدادي : ٣٣٧ .

(2) انظر أصول الدين ، للبغدادي : ١١٦ ، والأسماء والصفات ، للبيهقي : ٣٥/١ .

(3) انظر أصول الدين : ١١٧ ، وشرح المقاصد : ١٢٨/٤ ، ١٤٣ .

(4) انظر أصول الدين : ١٢١ ، ١٢٢ ، وشرح المقاصد : ٣٤٨/٤ .

(5) انظر الأسماء والصفات ، للبيهقي : ٨٢/١ ، ١١ ، ١١٢ ، ١٥٥ ، ١٦٠ .

(6) التمهيد للباقلاني : ٢٢٣ ، وانظر التمهيد : ٣١٥ – ٣٣٣ .

العمل ، وإن لم يوجب العلم فهو كاف . غير أن الأقيـسة الـشرعية مـن مقتـضيات العمل ، ولا يجوز التمسك بها في تسمية الرب ووصفه) [١] .

٤. القول الرابع : التفصيل ، بمعنى التفريق بين الاسم ، والوصف ، فكل ما يرجع إلى الاسم فهو توقيفي ، وكل ما يرجع إلى الوصف فلا يتوقف على الإذن الشرعي ، بل إذا صح اللفظ في اللغة ، ووصف ا بمعناه ، جاز إطلاقه على ا – تعـالى – مثـل : القديم ، والموجود ، والموجد ، والمظهر ، والمخفي ، والمسعد ، والمنفي ، والمبغي ، وهذا قول الغزالي [٢] ، واختيار الرازي[٣] .

وقد قسم أصحاب هذا القول الألفاظ التي تدل على الوصف إلى ثلاثة أنواع :

١. النوع الأول : ما يدل على صفات ثابتة في حق ا تعالى قطعاً .

٢. النوع الثاني : ألفاظ لا يجوز وصف الباري بها – على حد قولهم – مثل : النزول ، والإتيان والمجيء والصورة .

٣. النوع الثالث : ما يكون مركباً من أمر ثابت في حق ا ، ومن كيفية يمتنع ثبوتهـا مثل : ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [٤] ، فيجب إطلاقه على ا تعالى بعين هذا اللفظ كما ورد في القرآن ، ولكن لا يجوز أن يـسمى ا – تعـالى – المـاكر – المخـادع – المستهزئ ونحوه [٥] .

كما ذهب الأشاعرة إلى أن أسماء ا تعالى لا تنحصر في العدد تسعة وتسعين، وأن العدد المذكور في الحديث لا يفيد الحصر ، بل إنها تزيد على التسعة والتسعين[٦].

يقول البغدادي : (.. وليست الفائدة في حصر أسمائه الحسنى بتسعة وتسعين ،

---

(1) الإرشاد اللجويني : ٦١ .

(2) انظر المقصد الأسني ، للغزالي : ١٥٤ ، ١٥٦ .

(3) انظر لوامع السينات ، شرح أسماء ا تعالى والصفات ، فخر الدين الرازي : ٢٠٨ .

(4) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ٥٤ .

(5) لوامع البينات ، للرازي : ٢٠٨ ، ٢٠٩ . وانظر المقصد الأسني ، للغزالي : ١٥٤ ، ١٥٦ .

(6) انظر : الإنصاف ، للباقلاني : ٦١ ، والتمهيد ، للباقلاني : ٢٣٢ ، ولوامـع البينـات للـرازي : ٧٣ – ٨٢ ، والمقصد الأسني ، للغزالي : ١٤٧ – ١٥٣ . وأصول الدين للبغدادي : ١٢٠ ، ١٢١ .

المنع من الزيادة عليها ، لورود الشرع بأسماء له سواها .

وإنما فائدته أن معاني جميع أسـمائه محـصورة فـي معـاني هـذه التـسعة والتسعين.....

وأما قوله : من أحصاها دخل الجنة ، فلم يرد به من أحـصاها لفظـاً ، إذ قـد يحصيها المشرك والمنافق ، وليس من أهل الجنة ، وإنما أراد مـن أحـصاها ، مـن علمها واعتقدها ..) [١] .

وقال البيهقي : (باب : البيان أن   – جل ثناؤه – أسماء أخر .

وليس في قول النبي ﷺ تسعة وتسعين اسماً نفي غيرها ، وإنما وقع التخصيص بذكرها ، لأنها أشهر الأسماء ، وأبينها معانٍ . وفيها ورد الخبر أن من أحصاها دخـل الجنة ، .... وذلك يدل على أن المراد بقوله : من أحصاها ، من عدها .

وقيل : معناه : من عرفها ، وعقل معانيها ، وأمر بها . وا أعلم) [٢].

وقال الرازي : (إن تخصيص العدد بالذكر ليس فيه نفي الزائد عليه .

ويحتمل أن يكون سبب التخصيص أمرين :

- أحدهما : لعل هذه الأسماء أعظم ، وأجل من غيرها .

- والثاني : أن لا يكون قوله : إن   تسعة وتسعين اسماً كلاماً تاماً ، بل يكـون مجموع قوله : (إن   تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، كلامـاً واحـداً ، وذلك منزلة قولك : إن لزيد ألف درهم أعدها للصدقة ، وهذا لا يدل على أنه : ليس له من الدراهم أكثر من الألف) [٣] .

ولا شك أن قول الأشاعرة هنا موافق لما ذهب إليه السلف كما تقدم ، وأن قول بعضهم بأن الأسماء وتوقيفية أيضاً موافق لما ذهب إليه السلف .

---

(1) أصول الدين ، للبغدادي : ١٢٠ – ١٢١ .

(2) الأسماء والصفات ، للبيهقي : ٣٠/١ .

(3) لوامع البينات ، للرازي : ٧٤ .

إلا أن الأشاعرة قد خالفوا السلف في مسائل أخرى في باب أسماء الله تعالى .

ومن ذلك أن بعض الأشاعرة أطلق على الله تعالى بعض الأسماء التي لم تـرد في القرآن ، أو السنة ، أو الإجماع ، مثل : القديم ، والأزلي ، والصانع ، والواجـب ، والفرد ، والمريد ، والمتكلم ، والذات ، والطالب ، والقاضي ، والطبيب ، والمنفصل ، وغيرها .

وقد قال بهذا القول فريقان من الأشاعرة :

الأول : من قال بأن أسماء الله ليست توقيفية ، بل قياسية اصطلاحية ، ويمثـل هذا الفريق أبو بكر الباقلاني كما تقدم .

فلا حرج عنده - بناء على أصله هذا - من أن يطلق على الله تعالى أي اسم لم يرد في القرآن الكريم إذا ثبتت صحته عقلاً .

الثاني : من قال من الأشاعرة بأن أسماء الله توقيفية ، ثم خالفوا ذلك ، فـأطلقوا على الله تعالى بعض الأسماء القياسية التي لم ترد في القرآن الكـريم ، أو الـسنة ، أو الإجماع .

ومن هؤلاء : عبد القاهر البغدادي ، والبيهقي ، والجرجاني [1] والتفتـازاني ، وغيرهم .

كذلك في مسألة : هل الاسم هو المسمى ؟ أو غيره ؟ فقد اختلف الأشاعرة فيها على ثلاثة أقوال :

الأول : ما ذهب إليه بعض الأشاعرة من أن : الاسم غير المسمى ، وهذا القول ذهب إليه أبو حامد الغزالي ، والفخر الرازي ، والآمدي ، وهو قول الجهمية والمعتزلة

---

(1) علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية ، ولد سنة ٧٤٠هـ ، وتوفي سنة ٨١٦هـ ، انظر الأعلام : ٧/٥ .

من قبل .

يقول أبو حامد الغزالي : (قد كثر الخائضون في الاسم والمسمى .

وتشعبت بهم الطرق .... والحق أن الاسم غير التسمية ، وغير المسمى ، وأن هذه أسماء ثلاثة متباينة ، غير مترادفة) [١] .

ويقول أيضاً : (من ظن أن الاسم هو المسمى على قياس الأسماء المترادفة ، كما يقال: الخمر هي العقار – فقد أخطأ جداً ، لأن مفهوم المسمى غير مفهوم الاسم)[٢].

وقال الرازي : (المشهور من قول أصحابنا – رحمهم ا تعالى - : أن الاسم نفس المسمى ، وغير التسمية .

وقالت المعتزلة : إنه : غير التسمية ، وغير المسمى .

واختيار الشيخ الغزالي – رضي ا عنه – أن : الاسم ، والمسمى ، والتسمية أمور ثلاثة متباينة . وهو الحق عندي) [٣] .

القول الثاني : إن الاسم هو عين المسمى ، وبه قال إمام الحرمين الجويني .

واختاره البيهقي ، ثم عزاه إلى : الحارث بن أسد المحاسبي[٤] ، وأبي بكر بن فورك ، وأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، وأبي عبيد القاسم بن سلام[٥] [٦] ، وهو أحد قولي الأشعري وأصحابه[٧] .

قال إمام الحرمين : (التسمية ترجع عند أهل الحق إلى لفظ المسمى الدال على

---

(1) المقصد الأسنى : ٢٧ ، ٢٨ .

(2) نفس المصدر : ٣١ .

(3) لوامع البينات ، للرازي : ١٨ .

(4) الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبد ا ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، توفي سنة ٢٤٣هـ . انظر تهذيب التهذيب : ١٣٤/٢ ، ميزان الاعتدال : ١٩٩/١ ، الأعلام : ١٥٣/٢ .

(5) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد ا ، الإمام الحافظ ، ولد سنة ١٥٧هـ ، وتوفي سنة : ٢٢٤هـ بمكة وبلغ ٦٧ سنة . انظر سير أعلام النبلاء : ٤٩٠/١٠ ، نزهة الفضلاء : ٧٧٥/٢ .

(6) انظر الجامع لشعب الإيمان ، للبيهقي : ٣٣٦/١ ، ٣٣٧ ، والاعتقاد : ٣٢ . وانظر شرح المواقف : ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، وشرح السنة ، للبغوي : ٢٩/٥ ، والبيهقي وموقفه من الإلهيات : ١٤٦ – ١٤٨ .

(7) انظر مقالات الإسلاميين : ١٧٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، أصول الدين ، للبغدادي : ١١٤ ، ١١٥ .

الاسم ، والاسم لا يرجع إلى لفظه (أي : إلى لفظ المسمى) ، بل هو مدلول التسمية . فإن قال القائل : زيد ، كان قوله تسمية ، وكان المفهوم منه اسماً ، والاسم هو المسمى في هذه الحالة ، والوصف والصفة بمثابة : التسمية والاسم .

وقال البيهقي : (ومن أصحابنا من ذهب إلى أن جميع أسمائه لذاته الـذي لـه صفات الذات وصفات الفعل ، فعلى هذا الاسم والمسمى في الجميع واحد وا أعلم.

وعلى هذه الطريقة يدل كلام المتقدمين من أصحابنا) [١] .

وقال البغوي في شرح السنة : (والاسم هو : المسمى وذاته) [٢] .

وقال البغدادي : (اختلفوا في الاسم : فقال أكثر أصحابنا : إنـه : المـسمى ، والعبارات تسمية له . وقد نص أبو الحسن الأشعري على هذا القول في كتاب " تفسير القرآن " .

وذكر في كتاب الصفات أن : الاسم هو : الصفة ، وقسمه تقسيم الصفات) [٣].

القول الثالث : التفصيل : بمعنى أن الأسماء على ثلاثة أقسام :

- فتارة يكون الاسم هو المسمى ، كوصف الواصف له – سبحانه – بأنـه شـيء ، وذات ، وموجود ، وقديم ، وإله ، وملك ، وقدوس ، وعظيم ، وعزيـز ، ومتكبـر ، فالاسم والمسمى في هذا القسم واحد .
- وتارة يكون الاسم غير المسمى ، كوصف الواصف له بأنـه : خـالق ، رازق ، محي ، مميت .
- وتارة لا يكون الاسم هو المسمى ، ولا غيره : كاسم العليم ، القدير ، الـسميع ، البصير ، الحي .

---

(1) الاعتقاد ، للبيهقي : ٣٢ .

(2) شرح السنة ، للبغوي : ٢٩/٥ .

(3) أصول الدين : للبغدادي : ١١٤ ، ١١٥ .

فهذه الأوصاف تدل على صفات زائدة على ذاته ، قائمة به ، كحياته ، وعلمه ، وقدرته ، وإرادته ، وسمعه وبصره وكلامه ، فالاسم في هـذا القـسم صـفة قائمـة بالمسمى، لا يقال : إنها المسمى ، ولا إنها غير المسمى .

وهذا القول هو المشهور عن أبي الحسن الأشعري في أحد قوليه[1] ، وهو أحـد قولي البيهقي[2] ، يقول التفتازاني : (وفيما ذكره الشيخ الأشعري من أن أسماء ا – تعالى – ثلاثة أقسام : ما هو نفس المسمى ، مثل : ا الـدال علـى الوجـود ، أي : الذات، وما هو غيره ، كالخالق ، والرازق ، ونحو ذلك مما يدل على فعـل ، ومـا لا يقال إنه هو ، ولا غيره ، كالعالم ، والقادر ، وكل ما يدل على الصفات القديمة)[3] .

ومما خالف فيه الأشاعرة السلف في هذه المسألة تأويلهم لبعض أسماء ا تعالى وتفسيرها بما يوافق معتقدهم في نفي بعض الصفات .

فإذا كان الاسم يدل على صفة ينفونها أنكروا دلالة ذلك الاسم على تلك الـصفة التي ينفونها ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها : اسم ا تعالى : (العلي) فكل من شرح هذا الاسم من الأشاعرة فسره بعلو الشرف ، والمكانة ، والشأن ، والرتبة ، أو القهر ، أو الغلبة ، ونحوها ، وأنكروا دلالته على إثبات العلو بالذات ، وعلـو ا – تعـالى – على خلقه ، وصرحوا بنفي هذا المعنى .

يقول البيهقي : (العلي : هو العالي ، القاهر . وقيل : هو : الذي علا ، وجل ، من أن يلحقه صفات الخلق ، وهذه صفة يستحقها بذاته)[4] .

وقد سبق بيان مذهب السلف في هذه المـسائل ، وفـي ذلـك رد علـى قـول الأشاعـرة ، فلا وجه لإعادته ، و الحمد والمنة .

والمقصود أن المعتزلة والأشاعرة قد خالفوا السلف في إثبات الأسماء والصفات والأفعال تبارك وتعالى .

---

(1) انظر شرح المقاصد : ٣٣٨/٤ ، وشرح المواقف : ٣٤٦ .

(2) انظر الاعتقاد : ٣١ ، ٣٢ ، الجامع لشعب الإيمان : ١٥/١ .

(3) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٣٣٨/٤ ، وانظر المواقف ، للإيجي : ٣٤٧ .

(4) الاعتقاد ، للبيهقي : ٢٣ ، وانظر الإرشاد للجويني : ١٤٨ ، ولوامع البينات ، للرازي : ٢٩٥ ، ٢٦٠ .

واتجه كل منهم إلى طريق توافق أصوله التي بنى عليها مذهبه .

ولذلك فقد اختلف كل منهم في تفسير العدل الإلهي ، مع اتفاقهم جميعاً على أنه سبحانه عادل غير ظالم .

ولكنهم – وبناء على أصولهم في الأسماء والصفات والأفعال – أثبتوا ع ـ دلاً يظهر في مخلوقاته ، وليس العدل عندهم فعلاً تعالى قائماً به ، وإنما هو ما يظه ـ ر في خلقه من مظاهر بره وإحسانه إليهم .

أما السلف فقد أثبتوا العدل تعالى اسماً وصفة وفعلاً قائماً به ، وم ـ ا يظه ـ ر على خلقه هو أثر فعله فيهم .

وهذا سوف يتضح من خلال بيان مذهب كل من المعتزلة والأشاعرة إن شاء ا تعالى .

والذي يجب أن يعلم في باب الأسماء والصفات ، أن إثبات الأسماء تعالى لا يفضي تشبيهاً بالخلق .

فإن مما هو معلوم أن اتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات .

ولذلك فقد سمى ا نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء ، وكانت تلك الأسماء إذا أضيفت إلى ا تبارك وتعالى أصبحت مختصة به لا يشركه فيها غيره .

وإذا أطلق مثل تلك الأسماء على خلقه بإضافتها إليهم أصبحت مختصة به ـ م ، فقد قال تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [1] فسمى نفسه بالعليم ، وق ـ د س ـ مى بعض عباده عليماً فق ـ ال : ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [2].

ومن المعلوم أن إضافة اسم " العليم " إلى ا تعالى يجعل له ـ ذا الاس ـ م معن ـ ى مختصاً با ، ولا يؤثر إضافة ذلك الاسم إلى المخلوق ، في كون علم ا مغاير لعا ـ م

---

(1) سورة النساء ، آية : ١٧ .

(2) سورة الذاريات ، آية : ٢٨ .

العبد .

فإن الأسماء تتماثـل عنـد التجريـد والإطـلاق ، وتختلـف عنـد الإضـافة والاختصاص.

ولكن المطلق ليس له مسمى موجود في الخارج ، وعند التخصيص والإضـافة يقيد الاسم بما يختص به فيميزه عن غيره .

ولكن العقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسميين ، ولذلك فلابد من إثبات ما أثبته ا لنفسه من أسمائه وصفاته بدون تشبيه أو تمثيل أو تعطيل[١] .

وهذا اللفظ المتواطئ هو القدر المشترك بين الغائب والشاهد . ولولا ذلك لم نعلم إلا ما نحسه ، ولم نعلم أموراً عامة ، ولا أمـوراً غائبـة عـن أحاسيـسنا الظـاهرة والباطنة[٢].

يقول ابن تيمية : (.. فلا بد فيما شهدناه وما غاب عنا من قدر مـشترك هـو مسمى اللفظ المتواطئ . فبهذه الموافقة والمشاركة والمشابهة والمواطأة نفهـم الغائـب ونثبته ، وهذه خاصة العقل) [٣] .

ومثال ذلك : أن ا تعالى قد أخبرنا بما أعده لعباده المؤمنين من النعـيم فـي الدار الآخرة ، ووصف لنا ما هنالك من المآكـل والمـشارب والملابـس والمفـارش وغيرها . فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك في الدنيا ، لم نفهم ما وعدنا ا به ، مع علمنـا أن تلك الحقائق في الآخرة غير هذه التي في الدنيا ، حتى قال ابن عباس [٤] : (لـيس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء) [٥] .

فبين هذه الموجودات في الدنيا ، وتلك الموجودات التي في الآخرة قدر مشترك

---

(1) انظر التدمرية ، لابن تيمية : ٢٠ -٣٠ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٠٨/٥ .

(3) المصدر نفسه : ٢٠٨/٥ .

(4) عبد ا بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، أبو العباس : حبر للأمة ، الصحابي الجليل ، ولد بمكـة قبل الهجرة بثلاث سنوات ، توفي سنة ٦٨هـ . انظر الإصابة : ٤٧٧٢ ، الأعلام : ٩٥/٤ .

(5) تفسير ابن كثير : ٦٤/١ .

من المشابهة والموافقة في بعض الوجوه ، وأقل ذلك ، مسمى اللفظ المتواطئ بينهما ، وبه فهمنا المراد ، وعلمنا أن بينهما مباينة ومفاضلة ، لا يقدر قدرها في الدنيا . فما وعد ا به في الجنة نعلم تفسيره كما أخبر ا به ، وأما كيفيته وحقيقته فإنها غير معلومة كما قال ا تعالى : ﴿ فَلاَ تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [1] .

وهذا من التأويل الذي لا نعلمه نحن ، بل يعلمه ا تعالى ، وعلى هذا فإن من قال : إن المتشابه لا يعلم تأويله إلا ا ، كان قوله حقاً بالنظر إلى حقيقته وكيفيته .

ومن قال : إن الراسخين في العلم يعلمون تأويله ، كان قوله حقاً بالنظر إلى ما بين المتشابه والمحكم من الاشتراك والموافقة[2] .

فإذا كان هذا معلوماً بين المخلوقين ، فالأمر بين الخالق والمخلوق أعظم ، فإن مباينة ا لخلقه ، في عظمته وكبريائه وفضله ، أعظم وأكبر مما بين مخلوق ومخلوق.

فصفات الخالق عز وجل وأسماؤه أولى أن يكون بينها وبين صفات المخلوق من التباين والتفاضل ما لا يعلمه إلا ا تبارك وتعالى .

ولكن هذه الأسماء والصفات تدل على معنى مشترك كلي ، يقتضي من المواطأة والموافقة والمشابهة ، ما به تفهم وتثبت هذه المعاني ، ولو لا ذلك ، لم نكن قد عرفنا من ا شيئاً ، ولا صار في قلوبنا إيمان ولا علم ولا معرفة به [3] .

وإذا فهم هذا في إثبات أسماء ا وصفاته ، فإن إطلاق اسم (العدل) وصفة (العدل) على ا تعالى لا يقتضي تشابهاً بين ا تبارك وتعالى وبين خلقه .

فإن له تبارك وتعالى عدلاً يليق بجلاله وعظمته ، لا يشبهه فيه أحد من خلقه ولا يقاس سبحانه بأحد من خلقه .

---

(1) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٠٨/٥ - ٢٠٩ بتصرف .

(3) انظر المصدر نفسه : ٢١٠/٥ ، ٢١١ .

وإن كنا نفهم من إطلاق " العدل " على ا تعالى قدراً مشتركاً يمكننا به معرفـة حسن أفعالـه تعالى ، وانتفاء الظلم والجور من أفعاله ، وقدرته النافذة لكل مـا فـي الكون ، وهذا ما لا يستطيع العقل إدراك حقيقته ، وإن كنا نرى في الشاهد جزءاً يسيراً من عدله وإحسانه وجريان أفعاله وفق العواقب الحميدة والمصالح المطلوبة ، مع مـا يبدو لنا في بعض أفعاله من أنها شر أو ضرر أو نقمة ، وذلـك لقـصر معرفتنـا ، وضعف إدراكنا عن تصور حقيقة عدله تبارك وتعالى .

إلا أنه تعالى وسعت رحمته كل شيء ، وسبق علمه كل شيء ، وأحاطت قدرته بكل شيء ، فلا يقاس بخلقه ، ولا يشبه بهم في عدله أو حكمته . فكما أن حقيقة ذاتـه غير مدركة لنا مع علمنا بوجود ذاته ، فكذلك حقيقة عدله وحكمته لا يعلم بها أحد مـع علمنا بوجود عدله وحكمته ، وعدم اتصافه بالظلم والجور .

ومن هنـا أخطأت بعض الطوائف عندما نظرت بعقولها فـي عدلـه سـبحانه وحكمته ، وأخذوا يقيسون أفعاله تعالى على أفعال عباده ، ولذلك انقسموا قسمين :

قسم لم يقدر ا حق قدره ، فأوجب عليه وحرم بناء على قياس الغائـب علـى الشاهد ، بناء على ما يشاهده في أفعال الخلق من حسن أو قبح ، وعلى ما يدركه العقل من مصالح أو مفاسد.

وقسم آخر حارت عقولهم ، ولم تدرك كمال حكمته ، وحسن تصرفاته وأفعاله ، فنفت عنه كل حكمة ، وأثبتت كمال قدرته ، ولكن بنفي كمال حكمته ورعايته لمصالح خلقه .

ووفق ا أهل السنة والجماعة إلى إثبات عدل ا سبحانه وتعالى على ما يوافق كمال حكمته وجلال ذاته وقدرته الشاملة ومشيئته وإرادته النافذة ، فأثبتوا ما أثبتـه ا لنفسه من العدل والإحسان وقيامه بالقسط ، ونفوا ما نفاه عن نفسه من الظلم والجور و الهضم ، وفهموا عدله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم قدره ، وأوكلوا تأويل ما يخرج عن مدارك عقولهم إلى علم ا تعالى .

وهذا ما سيأتي بيانه بالتفصيل إن شاء ا تعالى.

وبعد تقرير هذين الأصلين وهما :

- إثبات قيام الصفات الاختيارية بالرب تبارك وتعالى .
- وإثبات الأسماء الحسنى له تبارك وتعالى .

نقرر أن العدل هو فعل قائم با تبارك وتعالى ، وهو صفة قائمة به سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته ، وهو اسم له تبارك وتعالى .

ومن ثم أبدأ في بيان تعريف العدل الإلهي عند السلف .

إن الناظر في كتب السلف الأوائل ، والمتأمل في شروح السنة لا يكاد يجد تفصيلاً دقيقاً لمسألة العدل الإلهي ، وجل ما يوجد في هذه الكتب – مما يختص بقضية العدل الإلهي – هو إثبات العدل تعالى في كل أفعاله ، والإقرار بعدله تعالى ، وعدم ظلمه لأحد من خلقه ، وإثبات هذه القضية وتقريرها والتأكيد عليها .

ويتضح ذلك من خلال الحديث عن مسائل القضاء والقدر ، وما يرد فيهـا مـن أسئلة قد توهم التشكيك في عدله سبحانه وتعالى ، وقيامه بالقسط على شئون خلقه .

وقد اعتبر السلف الخوض في هذه المسائل من البدع في الدين،وكان لهم فيها موقفان:

الموقف الأول : رفض الشبهة وعدم نقلها أو الرد عليها .

وبناء على هذا الموقف كره السلف – رحمهم ا تعالى- مناظرة أهل البدع أو الجلوس إليهم ، بل حذروا الأمة منهم ، نهوا عن نقل شبهاتهم أو أقوالهم المنحرفـة ، وذلك لعدة أمور منها :

أولاً : نقل الشبهة يساعد على نشرها .

ثانياً : الخوف من ضعف الناقل لها ، وعدم قدرته على إبطالها .

ثالثاً : قد يفتن بها بعض من سمعها أو قرأها ، وفي عدم نقلها صـيانة لقلـوب المسلمين ، وحماية لعقولهم .

رابعاً : إهانة المبتدعة ومحاصرة آرائهم ، والترفع بكتب السلف عن ذكر تلك البدع .

وقد روى البغوي عن سفيان الثوري أنه قال : (من سمع بدعـة فـلا يحكهـا لجلسائه لئلا يلقها في قلوبهم) [١] .

وروى ابن بطة [٢] عن أيوب [٣] أنه قال : (لست ترد عليهم بشيء أشـد مـن السكوت) [٤] .

وروي عن حنبل بن إسحاق بن حنبل[5] أنه قال : (كتب رجل إلى أبي عبـدا – رحمه ا – كتاباً يستأذن فيه أن يضع كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البـدع ، وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم .

فكتب إليه أبو عبد ا كتاباً فيه : (الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم ، أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ ، وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب ا أو سنة رسول ا ﷺ ، لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم ، فإنهم يلبسون عليك وهم لا يرجعون ، فالسلامة إن شاء ا فـي ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم) [٦] .

ولذلك فإن الناظر في بعض كتب السلف الأوائل من أهل السنة والجماعة ، يجد أنهم قد نهجوا منهج العرض لعقيدة السلف في الأسماء والصفات ، والقـضاء والقـدر وغيرها مدعمة بالأدلة النقلية ، معتمدين على النصوص الشرعية من الكتاب والـسنة وأقوال الصحابة والتابعين ، دون عرض للشبهة أو البدعة أو أدلتها أو الرد عليها .

وقد ألف عدد من العلماء كتبهم على ضوء هذا المنهج ومنهم : الإمام أحمد بـن

---

(1) شرح السنة للبغوي : ٢٢٧/١ .

(2) أبو عبد ا عبيد ا بن محمد بن محمد العكبري الحنبلي ، الإمام القدوة العابد الفقيه المحـدث ، تـوفي سـنة ٣٨٧هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ٥٢٩/١٦ ، طبقات الحنابلة : ١٤٤/٢ ، الأعلام : ١٩٧/٤ .

(3) أيوب بن أبي تميمة لبيان السختياني البصري ، أبو بكر سيد فقهاء عصره ، تابعي من النساك الزهاد ، ولد سنة ٦٦هـ ، وتوفي سنة ١٣١هـ . انظر تهذيب التهذيب ، لابن حجر : ٢٩٧/١ ، الأعلام : ٣٨/٢ .

(4) الإبانة : ٣٦٥ .

(5) حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال الشيباني ، أبو علي ، من حفاظ الحديث ، توفي سنة ٢٧٣هـ . انظر تذكرة الحفاظ : ١٦٠/٢ ، الأعلام : ٢٨٦/٢ .

(6) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٥٦/١ .

حنبل في كتابه " السنة " وابن خزيمة[1] في كتاب " التوحيد " وابن منده[٢] في كتاب " التوحيد " ، والخلال في كتاب " السنة " ، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " .

الموقف الثاني : عرض الشبهة ثم دحضها والرد عليها .

ويتمثل في عرض شبه الخصوم ، وبيان الحق في ذلك ، مدعماً بأدلة الكتاب والسنة ، ثم دحضها بالأدلة النقلية والعقلية .

ومن أبرز المؤلفات وفق هذا المنهج : كتاب " الرد على الجهمية " للبخاري . و " الرد على الزنادقة والجهمية " لأحمد بن حنبل ، " والرد على الجهمية " لعثمان بن سعيد الدارمي[٣]. " والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة " لعبد ا بن مسلم ابن قتيبة [٤] وغيرهم [٥] .

لكن المتأمل في كتب السلف يجد أن غالب كتبهم كانت تتحدث عن مسألة الأسماء والصفات ، والرد على منكري الأسماء والصفات ، وغير ذلك من المسائل المتعلقة بهذه القضية ، بينما لا يجد حديثاً مطولاً عن مسألة العدل الإلهي وما يتعلق بها ، ولا مناقشة للمبتدعين فيها ، ولا رداً عليهم . وغاية ما وجد في كتب تلك الفترة هو إثبات عدل ا سبحانه ، وتقرير هذه المسألة خاصة في باب القضاء والقدر ، دون الخوض في تفاصيلها ، ومن أمثلة ذلك ما قال ابن قتيبة في عدل ا تعالى : (وعدل القول في القدر أن تعلم أن ا عدل ، لا يجور كيف خلق ، وكيف قدر ، وكيف

---

(1) محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي ، الحافظ الحجة الفقيه ، إمام الأئمة ، ولد سنة ٢٢٣هـ ، توفي سنة ٣١١هـ ، وعاش ٨٩ سنة . انظر سير أعلام النبلاء : ٣٦٥/١٤ ، الأعلام : ٢٩/٦ .

(2) أبو عبد ا محمد بن يحيى بن منده العبدي ، الحافظ الكبير ، ولد في حدود ٢٢٠هـ ، توفي في رجب ٣٠١هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ١٨٨/١٤ ، تذكرة الحفاظ : ٢٧٦/٢ ، وفيات الأعيان : ٤٨٧/١ ، الأعلام : ١٣٥/٧ .

(3) أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد التميمي الدارمي السجستاني ، الإمام العلامة الحافظ ، ولد قبل المئتين بيسير ، وتوفي سنة ٢٨٠هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ٣١٩/١٣ ، تذكرة الحفاظ : ١٧٧/٢ ، الأعلام : ٢٠٥/٤ .

(4) أبو محمد عبد ا بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب العلامة الكبير ، ولد سنة ٢١٣هـ ، وتوفي سنة ٢٧٦هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ٢٩٦/١٣ ، الأعلام : ١٣٧/٤ .

(5) انظر كتاب النعوت ، للنسائي دراسة وتحقيق د . عبد العزيز الشهوان : ١٠٠ – ١٠٢ .

أعطى ، وكيف منع) [1] .

ويقول الطحاوي[2] : (وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى ... يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً) [3] .

ويتبين من خلال هذه النصوص أن السلف الأوائل قرروا العدل الإلهي كتعريف مصطلح عليه آنذاك .

ولما دخلت الفلسفة على المسلمين ، وظهر علم الكلام في دين الإسلام ، وظهر من يشكك في عدله سبحانه وتعالى بما يورد من عبارات كلامية تتعلق بقدرة العبد وقدرة الرب ، وعلمه سبحانه ، ومشيئته مما فهموه من الفلاسفة ممن كان يطعن في مسائل القضاء والقدر ، وقضية عدله تبارك وتعالى .

وتصدى لهم جماعة من العلماء ممن رفع الله بهم شأن هذا الدين ، وأعز بهم كلمته، وبين سبيله ، فكانوا لهؤلاء المبتدعة بالمرصاد ، ولم يتركوا مسألة إلا وأسهبوا في الرد عليها ، وبينوا صوابها من خطئها .

وعلى رأس هؤلاء الأعلام الأفذاذ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

وكان من ضمن المسائل التي تناولها السلف المتأخرون بالعرض والنقد والرد والتمحيص ، قضية " العدل الإلهي " .

ولذلك فإنني لم أقف على تعريف مصطلح عليه عند السلف للعدل الإلهي إلا عند ابن تيمية وابن القيم . على ما سيأتي بيانه .

والمقصود هنا التنبيه على أن السلف الأوائل قد قرروا قضية العدل الإلهي وفق

---

(1) الاختلاف في اللفظ ، لابن قتيبة : ٣٥ .

(2) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي ، أبو جعفر ، فقيه ولد سنة ٢٣٩هـ ، وتوفي سنة ٣٢١هـ . انظر لسان الميزان ، لابن حجر : ٢٧٤/١ ، البداية والنهاية ، لابن كثير : ١٧٤/١١ ، الأعلام : ٢٠٦/١ .

(3) شرح العقيدة الطحاوية : ٢٧ .

منهجهم في عرض مذهب السلف ، وعدم الخوض في مقالات أهل الزيغ والبدع .

أما السلف المتأخرون فقد كانوا مقررين ومنظرين لمنهج السلف ومدافعين ، مع عرضهم لأدلة الخصوم وبيان الحق فيها ، ودفع الباطل الذي احتوت عليه .

فالسلف المتأخرون نهجوا في مؤلفاتهم الموقف الثاني الذي نهجه بعض السلف الأوائل ، وهو عرض شبه المبتدعين والرد عليها ، مضيفين على ذلك الإسهاب المطول واحتواء المسائل عرضاً ونقداً ، وهذا ما لم يكن في كتب الأوائل .

ومن أمثلة هذه المؤلفات : كتب ابن تيمية مثل " درء تعارض العقل والنقل " و " الفرقان " و " النبوات " و " اقتضاء الصراط المستقيم " .

وكذلك كتب ابن القيم مثل : " شفاء العليل " و " مفتاح دار السعادة " وغيرها.

وكذلك كتب ابن الوزير [1] مثل " إيثار الحق على الخلق " و " العواصم والقواصم " وهذه المؤلفات اشتملت على كثير من مسائل العقيدة إن لم تكن قد استوعبتها جميعاً ، ولم تقتصر على مسائل الأسماء والصفات فقط .

---

(1) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضي بن الفضل الحسني القاسمي ، أبو عبد ا عز الدين من آل الوزير ، مجتهد باحث من أعيان اليمن . انظر البدر الطالع ، للشوكاني : ٨١/٢ ، الأعلام : ٣٠٠/٥ .

تعريف العدل الإلهي في اصطلاح السلف :

تعريف العدل عند السلف :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى في تعريف العدل : (والعدل هـو وضع الشيء في موضعه) [١] .

ويقول ابن القيم رحمه ا : (والصواب أن العدل وضع الأشياء في مواضـعها التي تليق بها وإنزالها منازلها) [٢] .

تعريف الظلم عند السلف :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا في تعريف الظلم : (الظلم هـو وضـع الشيء في غير موضعه) [٣] . ووافقه على ذلك تلميذه ابن القيم[٤] .

ويأتي هذا التعريف موافقاً للمعاني اللغوية ، مشتملاً على معاني المـساواة فـي المعاملة ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، فكل أفعاله سبحانه وتعالى عدل ، لأنه سـبحانه

---

[1] جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٢١٩/١ .

[2] شفاء العليل لابن القيم : ٢٧٥/٢ .

[3] مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٩٨/٨ .

[4] انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٧٥/٢ .

وضعها في مواضعها التي لا تحسن في غيرها ، فوضع العقوبة في موضعها الذي لا تحسن في غيره ، ووضع الثواب في موضعه الذي لا يحسن في غيره .

ولو وضع سبحانه وتعالى العقاب على الطائعين والعباد ، لكان ذلك وضعاً لـه في غير موضعـه ، ولو وضع الثواب للفجار والمشركين ، فقد وضـعه فـي غيـر موضعه ، وهذا هو الظلم الذي نزه ا نفسه عنه . وهو تبارك وتعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها ، ووضعها في غير مواضعها ليس ممتنعاً لذاته عليه ، بل هو ممكن لكنه لا يفعله ، لأنه لا يريده ، بل يكرهه ويبغضه لكونه منافياً لحكمته .

وهذا الظلم الذي حرمه تبارك وتعالى على نفسه من أمثلته : أن يهمل حـسنات المحسن فلا يجزيه بها ، ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات ، ويعاقب هـذا بذنب غيره ، أو أن يحكم بين الناس بغير القسط ، أو أن يفرق بين متماثلين ، أو يسوي بين مختلفين ، ونحو ذلك من الأفعال التي نزه الرب تعالى نفسه عنها لقسطه وعدله ، وهو قادر عليها[1] .

وهذا الأصل - وهو عدل الرب تبارك وتعالى - يتعلق بجميـع أنـواع العلـم والدين، فإن جميع أفعاله سبحانه وتعالى ومخلوقاته داخلة في ذلـك ، وكـذلك أقوالـه وشرائعه[2] .

وقد أثبت السلف العدل تبارك وتعالى : بأدلة نقلية قطعية صريحة ، وأدلـة عقلية صحيحة ، فأثبتوا ما أثبته ا لنفسه ، ونفوا ما نفاه ا عن نفسه ، ولم يقحمـوا عقولهم فيما لا علم لهم به ، فجاءت أدلتهم على نوعين :

أولاً : الدلالة القطعية للنصوص الشرعية :

ونصوص الكتاب والسنة التي تنسب العدل إلى ا تعالى تنقسم إلى أربعة أقسام:

١- تمدحه سبحانه وتعالى بالعدل والقسط .

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨٥/١٤ .

(2) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٢٥/١ .

- وقال عز من قائل حكيم : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [1] .

يقول ابن جرير الطبري : (هذه أجل الشهادات الصادرة عن الملك العظـيم ، ومن الملائكة ، وأهل العلم ، على أجلّ مشهود عليه ، وهو توحيد ا ، وقيامه بالقسط، وذلك يتضمن الشهادة على جميع الشرع ، وجميع أحكام الجزاء ، فإن الشرع والدين ، أصله وقاعدته ، توحيد ا ، وإفراده بالعبودية ، والاعتراف بانفراده ، بصفات العظمة والكبرياء ، والمجد والعز ، والقدرة ، والجلال ، ونعوت الجود ، والبـر والرحمـة ، والجمال ، وبكماله المطلق الذي لا يحصي أحد من خلقه ، أن يحيطوا بشيء منه ، أو يبلغوه ، أو يصلوا إلى الثناء عليه ، والعبادات الـشرعية ، والمعـاملات وتوابعهـا ، والأمر والنهي ، وكله عدل وقسط ، لا ظلم فيه ولا جور ، بوجه من الوجوه ، بل هو في غاية الحكمة والإحكام والجزاء على الأعمال الـصالحة والـسيئة ، بكـل قـسط وعدل)[٢].

- وقوله تعـالى : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [٣] .

أي صدقا فيما قال ، وعدلاً فيما حكم ، فكل ما أخبر به فهو الحق الذي لا مرية فيه ، وكل ما أمر به وحكم فهو العدل الذي لا عدل سواه ، فأقواله وأخبـاره وأفعالـه كلها صدق ورشد ورحمة وحكمة وعدل[٤] .

- وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام أنه قـال : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[5].

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٨ .

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي : ١٠٣ .

(3) سورة الأنعام ، آية : ١١٥ .

(4) انظر تفسير ابن كثير : ٢٦٩/٢ .

(5) سورة هود ، آية : ٥٦ .

- وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [1] .

(فأفعاله سبحانه وتعالى كلها مشتملة على العدل والحكمة والمصلحة ، وأقواله مشتملة على الصدق والرشد والهدى والعدل ، وهو سبحانه على صراط مستقيم في أقواله وأفعاله ، وهذا أصح الأقوال في الآية) [2] .

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (من أصاب حداً فعجل عقوبته في الدنيا فالله أعدل من أن يثني على عبده العقوبة في الآخرة ، ومن أصاب حداً فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود إلى شيء قد عفا عنه) [3] .

٢- تمدحه سبحانه وتعالى بنفي الظلم عن نفسه .

فإن اتصافه سبحانه وتعالى بالصفات السلبية يتضمن إثبات كمال ضدها ، فإذا وصف الرب تبارك وتعالى نفسه بعدم الظلم فهذا يتضمن إثبات كمال العدل الإلهي .

ومن ذلك وصفه سبحانه وتعالى نفسه بعدم التعب والمشقة فقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [4].

وهذا يتضمن إثبات كمال الضد ، وهو كمال القدرة والعظمة له تبارك وتعالى .

والآيات التي ورد فيها تمدحه سبحانه بنفي الظلم عن نفسه في القرآن الكريم

---

(1) سورة النحل ، آية : ٧٦ .

(2) انظر مدارج السالكين لابن القيم : ٢٦/١ .

(3) سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن : ١٦/٥ . وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح .

(4) سورة ق ، آية : ٣٨ .

كثيرة ، منها :

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾[1] .

- وقوله تعالى : ﴿ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعِبَادِ ﴾[2] .

- وقوله تعالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[3] .

- وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[4] .

- وقوله تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[5] .

وعـن عبد ا بن عمرو بن العاص [6] رضي ا عنه قال : قـال رسول ا ﷺ : (إن ا سيخاص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليـه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : أفلك عـذر ؟ فيقـول : لا يـا رب ،

---

(1) سورة النساء ، آية : ٤٠ .

(2) سورة غافر ، آية : ٣١ .

(3) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .

(4) سورة الروم ، آية : ٩ .

(5) سورة ق ، آية : ٢٩ .

(6) عبد ا بن عمرو بن العاص ، أبو محمد ، صاحب رسول ا ﷺ وابن صاحبه ، أسلم قبل أبيه ، تـوفي سـنة ٦٥هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ٧٩/٣ ، نزهة الفضلاء : ٢٢٥/١ .

فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشـهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : أحضر وزنك ، فيقول : يـا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فقال : إنك لا تظلم ، قال : فتوضع الـسجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مـع اسـم ا شيء) [١] .

وعن أبي ذر رضي ا عنه [٢] عن النبي ﷺ : فيما روى عـن ربـه تبـارك وتعالى أنه قال : يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فـلا تظالموا ، يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ! كلكـم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ! كلكم عارٍ إلا من كـسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم ، كانوا علـى أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبـادي ! لـو أن أولكـم وآخركم وأنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر ، يا عبادي إنمـا هـي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد ا ، ومن وجد غيـر ذلك فلا يلومن إلا نفسه) [٣] .

كان الإمام أحمد رحمه ا تعالى يقول : هو أشرف حديث لأهل الشام . وكـان أبو إدريس الخولاني[٤] إذا حدث به جثا على ركبتيه ، وهو من الأحاديث الإلهية التـي

---

(1) سنن الترمـذي في كتاب الإيمان باب ، ما جاء فيمن يموت وهـو يـشهد أن لا إلـه إلا ا : ٢٤/٥ . وقـال الترمذي : حديث حسن غريب .

(2) جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار من كنانة بن خزيمة ، أبو ذر ، صحابي من كبار الـصحابة ، توفي سنة ٣٢هـ . انظر طبقات ابن سعد : ١٦١/٤ ، الأعلام : ١٤٠/٢ .

(3) صحيح مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم : ١٩٩٤/٤ .

(4) عائذ ا بن عبد ا بن عمرو الخولاني العوذي الدمشقي ، تابعي ، فقيه ، كان واعظ أهل الشام ، ولـد سـنة ٨هـ ، وتوفي سنة ٨٠هـ . انظر تذكرة الحفاظ : ٥٣/١ ، تهذيب التهذيب : ٨٥/٥ ، الأعلام : ٢٣٩/٣ .

رواها الرسول ﷺ عن ربه ، وأخبر أنها من كلامه وإن لم تكن قرآناً [١].

فهذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل في الجزاء ، وأنه تعالى لا يبخس عاملاً عمله ، وتبين أن عقاب المجرمين عدل منه تعالى ، فقد عـاقبهم لـذنوبهم ، لا لأنـه سبحانه ظالم لهم يعاقبهم بغير ذنب ، وهذا يبين أن عقوبة من لم يذنب مـن الظلـم ، ولذلك فقد نفاها ا عن نفسه[٢] .

وقوله تعالى في الحديث القدسي : ((إني حرمت الظلم على نفسي)) يدل علـى أن ا تعالى لا يفعل الظلم مع قدرته عليه ، وعدم فعله للظلم لا لعجزه عنه – تعـالى ا عن ذلك علواً كبيراً – وإنما لأنه تبارك وتعالى حرمه على نفسه ، لمنافاته حكمتـه وعدله ، وما أخبر ا تعالى أنه لا يفعله فإنه منزه عنه ، موصوف بضده[٣] .

٣- ما ورد في بيان إيفاء ا العباد جزاءهم على أعمالهم سواء كان ثوابـاً أم عقاباً .

يقـول تبـارك وتعـالى : ﴿ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٤].

وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [٦] .

فلا بد أن يقضي ا عزوجل بين عباده بالعدل ، فلا يزاد فـي سـيئاتهم ، ولا

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٩١/١٨ .

(2) انظر المصدر نفسه : ٨٤/١٨ .

(3) انظر المصدر نفسه : ٨٤/١٨ .

(4) سورة هود ، آية : ١١١ .

(5) سورة الأحقاف ، آية : ١٩ .

(6) سورة البقرة ، آية : ٢٨١ .

ينقص من حسناتهم .

وفي الحديث القدسي : ((إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد ا ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)) [1] .

فقد خُتم هذا الحديث بتحقيق ما بينه تعالى فيه من العدل والإحسان فبين تعـالى أنه محسن إلى عباده في الجزاء على أعمالهم الصالحة إحساناً يستحق به الحمد ، لأنه هو المنعم بالأمر بها ، والإرشاد إليها ، والإعانة عليها ، ثم إحـصائها ، ثـم توفيتـه جزاءها . وكل ذلك فضل منه وإحسان .

وبين سبحانه أنه عادل أيضاً في الجزاء على السيئات ، ولذلك فكل نعمة منـه فضل ، وكل نقمة منه عدل .

وعلى هذا الأصل استقرت الشريعة الموافقة للفطرة التي فطر ا الناس عليها ، ولهذا كان النبي ﷺ يقول : سيد الاستغفار أن يقول العبد : (اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الـذنوب إلا أنت) [2] .

ففي هذا الدعاء اعتراف من العبد بنعمة ا تعالى عليه في الحسنات وغيرها ، واعتراف بذنبه وظلمه لنفسه[3] .

٤- ما ورد من أمره سبحانه وتعالى عباده بالعدل في كل الأمور : وقد جاء هذا الأمر بالعدل شاملاً لكل جوانب حياة الإنسان ، وكما أمرهم بالعدل ، فقد حرم علـيهم الظلم .

وقد جاء في الحديث القدسي قوله تعالى : ((يا عبادي إني حرمت الظلم علـى

---

(1) سبق تخريجه ص (٧٨) من هذا البحث .

(2) أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب أفضل الاستغفار : ٢٣٢٣/٥ .

(3) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١١٦/١٨ - ١١٧ .

نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) [1] ، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (هذا الحديث قد تضمن قواعد الدين العظيمة في العلوم والأعمال والأصول والفروع ، فإن تلك الجملة الأولى وهي قوله : ((حرمت الظلم على نفسي)) يتضمن جل مسائل الصفات والقدر ...

وأما هذه الجملة الثانية وهي قوله : ((وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا)) فإنها مجمع الدين كله ، فإن ما نهى عنه راجع إلى الظلم ، ما أمر به راجع إلى العدل)[2].

وقد قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [3] .

فأخبر الله تبارك وتعالى أنه أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأنزل معهم الميزان، وذلك من أجل أن يقوم الناس بالقسط والعدل .

ولهذا لما كان المشركون يحرمون أشياء ما أنزل الله بها تحريماً ، ويأمرون بأشياء ما أنزل الله بها أمراً ، ذمهم الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [4] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [5] .

فالآية الأولى جمعت فيها الواجبات ، والآية الثانية جمعت فيها المحرمات .

---

(1) سبق تخريجه ص (٧٨) من هذا البحث .
(2) مجموعة الفتاوى لابن تيمية : ٩١/١٨ .
(3) سورة الحديد ، آية : ٢٥ .
(4) سورة الأعراف ، آية : ٢٩ .
(5) سورة الأعراف ، آية : ٣٣ .

وقد أمر ا تعالى مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة ا وحده لا شريك لـه ، وهذا أصل الدين ، وضده الشرك .

والتوحيد الذي هو أصل الدين هو أعظم العدل ، وضده الشرك ، وهو الـذنب ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[1] .

فالشرك هو الذنب الذي لا يغفر ، وهو أعظم الظلم ، كما جاء في الـصحيحين عن عبد ا بن مسعود قال : (لما نزلت هذه الآيـة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[2] . شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال : (ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح : " إن الشرك لظلم عظيم " [3] .

فالشرك والكفر أعظم الفساد ، كما أن التوحيد والإيمان هو أعظم الصلاح ، كما قال تعالى عن المنافقين : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢ ﴾ [4].

وذلك أن صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يـراد منه ، وا تعالى إنما خلق الإنسان لعبادته ، وبدنه تبع لقلبه ، وبصلاح القلب يحـصل له المقصود الذي خلق له من معرفة ا ومحبته وتعظيمه ، وفساده في ضد ذلك .

---

(1) سورة النساء ، آية : ١١٦ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ٨٢ .

(3) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب ظلم دون ظلم : ٢١/١ .
ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه : ١١٤/١ .

(4) سورة البقرة ، آية : ١١ ، ١٢ .

وإذا كان التوحيد أصل صلاح الناس ، والاشراك بالله أصل فسادهم ، فالقسط مقرون بالتوحيد . إذ التوحيد أصل العدل ، والشرك هو أصل الظلم .

وعلى ذلك فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل ، والذنوب التي فيها تفريط أو تضيع في حقوق الله وحقوق عباده هي فساد وظلم .

ولهذا كان تخصيص التوحيد بالذكر لا يمنع أن يكون داخلاً في القسط ، كما أن ذكر العمل الصالح بعد الإيمان لا يمنع أن يكون داخلاً في الإيمان .

والمقصود أن كل خير داخل في القسط والعدل ، وكل شر داخل في الظلم .

ولهذا كان العدل أمراً واجباً في كل شيء ، وعلى كل أحد ، والظلم محرماً في كل شيء ، ولكل أحد ، ولا يحل الظلم لأحد أبداً سواء كان مسلماً أم كافراً ، ولهذا كانت جميع الشريعة فيها تحرى العدل[1] .

وأمره تبارك وتعالى لعباده بالعدل جاء في عده صور :

أ- هو أمره سبحانه وتعالى عباده بالعدل العام في الأقوال والأفعال .

فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

فأمر تبارك وتعالى عباده بالعدل في حقه ، وفي حق عباده ، وذلك بأداء الحقوق كاملة وموفورة ، حيث يؤدي العبد ما أوجب الله عليه في حقه ، وحق عباده ، وهذا العدل هو ما فرضه الله على عباده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من العدل في المعاملات والعقود والبيع والشراء ، وسائر المعاوضات ، فالعدل واجب ، والإحسان فضيلة .

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى ، ابن تيمية : ٩١/١٨ – ٩٨ .

(2) سورة النحل ، آية : ٩٠ .

وهذه الآية مشتملة وجامعة لجميع المأمورات والمنهيات ، لم يبق شيء إلا دخل فيها ، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر ا به ، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى ا عنه[١] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[٤].

وهذا أمر منه سبحانه لعباده أن يكونوا " قوامين " على صيغة المبالغة ، حتى يكونوا في جميع أحوالهم قائمين بالقسط في حقوق ا وحقوق عباده ، والقيام بالقسط من أعظم الأمور وأدلها على دين القائم به وورعه ومقامه في الإسلام . وأعظم عائق لذلك ، اتباع الهوى ولهذا نبه تعالى لهذا المانع ، وأمر بإزالته فقال : ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ فاتباع الهوى يجعل العبد يخالف الصواب فيرى الحق باطلاً والباطل

---

(١) انظر تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي : ٣٩٩ - ٤٠٠ .
(٢) سورة الأعراف ، آية : ٢٩ .
(٣) سورة الحجرات ، آية : ٩ .
(٤) سورة النساء ، آية : ١٣٥ .

حقاً)[1] .

وقوله تعـالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

فهذا أمر من ا عزوجل بالعدل في المقال والفعال على القريب والبعيد .

وهو دليل على الأمر بالشهادة العادلة ، والحكم بين الناس بالعدل[3] .

ب- أمره سبحانه وتعالى عباده بالعدل بين النساء .

فقد قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾[4]. أي لا تظلموا ، فإنه يباح للرجل التعداد إذا أمن على نفسه الجور [5].

وعن أبي هريرة رضي ا عنه قال : (إذا كان عند الرجل امرأتان ، فلم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة وشقه ساقط) [6] .

ج- أمره سبحانه وتعالى عباده بالعدل بين الأبناء .

فقد روي أن النعمان بن بشير [7] رضي ا عنهما قال وهـو علـى المنبـر :

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ١٧٢ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ١٥٢ .

(3) انظر المصباح المنير : إشراف صفي الدين المباركفوري : ٤٥٩ .

(4) سورة النساء ، آية : ٣ .

(5) تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ١٣٠ .

(6) سنن الترمذي في كتاب النكاح ، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر : ٤٤٧/٣ . وقال الترمـذي : (وإنمـا أسند هذا الحديث همام بن يحي عن قتادة ورواه هشام الدستوائي عن قتادة قال : كان يقال : ولا نعـرف هـذا الحديث مرفوعاً إلا من حديث همام ، وهمام ثقة حافظ) . وانظر الزواجر للهيثمي : ٣٨/٢ .

(7) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، أبو عبد ا من أجلاء الصحابة ، ولد سنة ٢هـ ، وتوفي سنة ٦٥هـ ، وهو أول مولود في الأنصار بعد الهجرة . انظر تهذيب التهذيب : ٤٤٧/١٠ ، الإصابة : ٨٧٣٠ ، الأعلام : ٣٦/٨ .

أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة [1] : لا أرضى حتى تشهد رسول ا ﷺ ، فأتى رسول ا ﷺ فقال : إن أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول ا ، قال : (أعطيت سائر ولدك مثل هذا ، قال ، لا ، قال : (فاتقوا ا واعدلوا بين أولادكم ، قال : فرجع فرد عطيته) [2] .

د- أمره سبحانه وتعالى عباده بالعدل مع الأعداء :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [3] .

فأمر عباده بالعدل حتى مع أعدائهم ، فلما كان عدو الإنسان أكثر بغضاً له وكرهاً فقد أمر سبحانه بالعدل معه ، حتى لو كان العدو كافراً أو مبتدعاً ، فإنه يجب العدل فيه ، وقبول ما يأتي به من الحق ، ولا يرد الحق لأجل قوله ، فإن هذا ظلم للإنسان وظلم للحق[4] .

وكلما حرص الإنسان على العدل واجتهد في العمل به كان أقرب للتقوى .

فإذا تم العدل تمت التقوى ولذلك جاء استعمال أفعل التفضيل في قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء كما في قوله تعالى: ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴾ [5] [6] .

هـ - أمره سبحانه وتعالى عباده بالعدل في الوزن وعدم التطفيف فيه .

---

(1) عمرة بنت رواحة الأنصارية ، امرأة بشير بن سعد والد النعمان ، أخوها عبد ا بن رواحة . انظر الإصابة ، لابن حجر : ٣٥٥/٤ .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب الأشهاد في الهبة : ٩١٤/٢ .

(3) سورة المائدة ، آية : ٨ .

(4) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ١٨٧ .

(5) سورة الفرقان ، آية : ٢٤ .

(6) انظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، إشراف المباركفوري : ٣٦٢ . وتيسير الكريم الرحمن للسعدي : ١٨٧ .

يقول ا تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [1].

وهذا أمر منه تعالى بإقامة العدل في الأخذ والعطاء[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَفُوا ٱلْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾[٣].

والقسطاس قرئ بضم القاف وكسرها ، وهو الميزان ، قال مجاهد : هو العـدل بالرومية . والقسطاس المـستقيم أي الـذي لا اعوجـاج فيـه ، ولا انحـراف ، ولا اضطراب[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾ [5] .

فالميزان الذي وضعه سبحانه هو العدل بين العباد في الأقوال والأفعال ، وليس المراد به الميزان المعروف وحده ، بل يدخل فيه الميزان المعروف ، والمكيال الذي به تكال الأشياء والمقادير والمساحات التي تضبط بها المجهولات ، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات ، ويقام بها العدل بينهم .

ولذلك أمر تعالى بإقامة العدل وعدم إنقاص الموازين ، والبعد عن الظلم والجور والطغيان[٦] .

والمقصود أن أوامره سبحانه وتعالى مشتملة على الحكمة والمصلحة المتضمنة

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١٥٢.

(2) تفسير ابن كثير : ٣٠٤/٢ .

(3) سورة الإسراء ، آية : ٣٥ .

(4) انظر تفسير ابن كثير : ٦٥/٣ .

(5) سورة الرحمن ، آية : ٧-٩ .

(6) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ٧٦٩ .

لسعادة الدارين ، فلا يأمر سبحانه وتعالى عباده إلا بما فيه مصلحة عامة تامـة علـى الخلق ، ولذلك أمرهم بالعدل ، ورضيه لهم ، لما فيه من الخير والمصلحة والحكمة .

و : أمره تبارك وتعالى بالعدل في العقوبات .

قال تعـالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [١].

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٣] .

ولهذا كان القصاص مشروعاً ، لأن فيه مقابلة العادي بمثل مـا فعـل ، لكـن المماثلة قد يكون علمها أو عملها متعذراً أو متعسراً ، فيكون الواجـب الأقـرب إلـى المماثلة بحسب الإمكان ، وهذا سوف يأتي بيانه في موضعه إن شاء ا تعالى[٤].

ثانياً : الدلالة العقلية :–

فقد أثبت أنه سبحانه متصف بالعدل ، فتنزه عن الظلم عقلاً ، كما ثبـت ذلـك شرعاً وهذه الأدلة العقلية على النحو التالي :

١- أنه سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته ، متنـزه عـن صفات النقص .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ١٩٤ .

(2) سورة النحل ، آية : ١٢٦ .

(3) سورة الشورى ، آية : ٤٠ .

(4) انظر ص (٧٦٦) من هذا البحث .

ويقوم ذلك على أساس التقابل والتناقض بين الكمال والنقص .

فيلزم من إثبات أحدهما نفي الآخر ، لأن التقابل بينهما تقابل سـلب وإيجـاب ، بحيث لا يمكن فيه الجمع بين المتقابلين ولا انتفاؤهما معاً ، بل لا بد من تحقيق أحدهما وانتفاء الآخر . ولذلك فإن كل وصف كمال لا يستلزم نقصاً بحال ، فإن الكمال المطلق ثابت عز وجل ، لأنه إذا لم يتصف به اتصف بنقيضه ، فا سـبحانه لا يتـصور وجوده إلا بإثبات الكمال المطلق له ، لأن هناك علاقة تلازم ضـروري بـين إثبـات الكمال المطلق وإثبات وجود ا ، فإن إثبات وجود ا يلزم منـه إثبـات الكمـال المطلق له .

وهناك أيضاً علاقة ضمنية بين إثبات الكمال المطلق وإثبات وجود ا .

فإنه لا بد من إثبات وجود ا ضمن صفات الكمال المطلق .

وهذا مما يعلم بالضرورة الفطرية ، إذ إن الإقرار بوجود إله من حيث هو حقيقة فطرية ، ليس إثباتاً لموجود خالٍ من الصفات ، بل هو إثبات لموجود له الكمال المطلق من كل وجه ، وعلى ذلك فإن الفطرة تدل على إثبات صفات الكمال ، ولذلك فـإن صفة الكمال التي لا تستلزم نقصاً بأي وجه يجب اتصاف ا تعالى بها .

وبناء على هذا التقابل بين صفات الكمال وصفات النقص فالتنافي ضروري بين استحقاق ا للكمال المطلق وبين اتصافه بالنقص ، فإن إثبات الكمال المطلق يقتـضي لذاته نفي صفات النقص عن ا تعالى ، ويلزم منه أن نفي شيء من صـفات الكمـال المطلق يقتضي وصفه تعالى بما يقابلها من صفات النقص .

وقد أقام ا الدلالة على اختصاصه بالكمال المطلق ، وأن ذلك يقتضي استحقاقه للعبادة ، وأظهر بطلان عبادة ما سواه ببيان اتصافهم بالنقص ، فقـال : ﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾[1] .

ومن ذلك إظهار بطلان عبادة الأصنام بكونها لا تتكلم ، فقال عن العجل الـذي

---

(1) سورة النحل ، آية : ٢١ .

عبده قوم موسى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِن بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلاً جَسَداً لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلاًۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [1] .

ومنه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه :﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـًٔا ﴾ [2] .

وغيرها كثير في القرآن الكريم ، والمقصود هو التنبيه على وجه الدلالة على بطلان عبادة المعبودات من دون الله تعالى ، لاتصافها بصفات النقص المنافية لصفات الكمال ، فيلزم من ذلك وصف الله تبارك وتعالى بجميع صفات الكمال التي لا نقص فيها بأي وجه ، وإلا لزم من ذلك اتصافه بصفات النقص التي نزه نفسه عنها[3] .

ومعلوم بداهة أن العدل من صفات الكمال التي لا نقص فيها ، وعليه فإن الله سبحانه وتعالى متصف به منزه عن ضده ، وهو الظلم الذي هو صفة نقص تنافي العدل الذي اتصف الله به ، وإذا لم يكن الله متصفاً بالعدل فإنه يلزم من ذلك اتصافه بالظلم – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٢- إن الله سبحانه وتعالى قد أمر عباده بالعدل في أكثر من آية في كتاب الله فقال تعالى : ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾ [4] .

وحرم على عباده الظلم كما حرمه على نفسه فقال في الحديث القدسي : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) [5] .

وذلك لما يتضمنه العدل من الخير والمصلحة والحكمة للعبد في الدارين .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٤٨ .

(2) سورة مريم ، آية : ٤٢ .

(3) انظر : مجموعة فتاوى ابن تيمية : ٧٩/٦ – ٨٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ٥١ - ٥٣ .

(4) سورة الأعراف ، آية : ٢٩ .

(5) سبق تخريجه ص (٧٨) .

ولذلك فإن العدل كمال في المخلوق ، وضده وهو الظلم نقص فـي المخلـوق ، وكل كمال لا نقص فيه اتصف به المخلوق فا أولى بالاتصاف به كما يليـق بجلالـه وعظمته ، وكل نقص لا كمال فيه اتصف به المخلوق فا أولى بالتنزه عنه ، لأن ا تبارك وتعالى هو واهب الكمال وهو معطيه فهو أولى به .

وهذه الطريقة تعرف بالقياس الأولى وعلى ذلك فإن ا سبحانه وتعالى متصف بالعدل فاعل له كما يليق بجلاله وعظمته من باب الأولى ، وهو سبحانه منـزه عـن الظلم مع قدرته عليه ، ولكنه لا يفعله سبحانه لكماله وحكمته .

فالرب سبحانه وتعالى أكمل من كل موجود ، وهو أحق الموجـودات بـصفات الكمال .

وقد ضرب ا في القرآن أمثالاً تبين أن الموصوف بصفات الكمال لا يـستوي مع الذي لا يتصف بها ، وجعل العدل والأمر به من صفات الكمال .

يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَاهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (١) .

فالأول عاجز عن الكلام والثاني متكلم آمر بالعدل ، متصف به لكونـه علـى صراط مستقيم ، فبين سبحانه أن الكلام المتضمن للعدل والعمل المـستقيم خيـر مـن مجرد الكلام ، فما بالك بالعاجز عنه ، ولذلك فهو سبحانه المستحق للعبادة لأنه وحـده المتصف بهذه الصفات ، أما غيره من الآلهة والأصنام فإنها عاجزة عن كل شيء وهذا يدل على أن الأمر بالعدل والقيام به إنما هو صفة كمال في المخلوق ، ولذلك فـإن ا تبارك وتعالى أولى بالاتصاف به(٢) .

يقول ابن تيمية : (وا سبحانه – لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له ، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه ، فأفاد الأصليين اللـذين

---

(1) سورة النحل ، آية : ٧٦ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى : ٦/٥٠ - ٥١ .

بهما يتم التوحيد وهما : إثبات صفات الكمال ، رداً على أهل التعطيـل ، وبيـان أنـه المستحق للعبادة لا إله إلا هو رداً على المشركين) [١] .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الطريقة في إثبات الـصفات وهـي (القيـاس الأولى) هي مما يقر به جميع العقلاء ، وقد جاء ذكرها والقياس بها فـي القـرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعـالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [٢] .

فبين لهم الله تبارك وتعالى أن الذي خلقهم وخلق فيهم القوة ، هو أولى بأن يكون أشد منهم قوة وهذا معلوم بالضرورة ، ولا يمكن إنكاره ، وهو عام في كل مـا ثبـت للمخلوق من صفات الكمال التي لا نقص فيها .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (كل ما في المخلوق من قوة وشدة تدل على أن الله أقوى وأشد ، وما فيه من علم يدل على أن الله أعلم ، وما فيه من علم وحياة يدل على أن الله أولى بالعلم والحياة ، وهذه طريقة يقر بها عامة العقلاء حتى الفلاسفة يقولون : كل كمال في المعلول فهو من العلة) [٣] .

٣- إن الله سبحانه وتعالى قد حرم على نفسه الظلم ، وما حرمه الله على نفسه فإنه لا يقع منه البتة ، وذلك لبغضه وكراهيته سبحانه له .

ومعلوم عقلاً أن أفعاله تبارك وتعالى صادرة عن حكمة بالغة لا تدركها العقول، وقد حرم سبحانه الظلم على نفسه لمنافاته لحكمته ومصلحة عباده ، فهو سبحانه عادل بحكمته ، حكيم بعدله .

ولم يحرم أحد عليه الظلم ولم يجبره أحد على ذلك ، وإنما حرمه علـى نفـسه بمشيئته وإرادته .

---

(1) المصدر نفسه : ٥١/٦ -٥٢ .

(2) سورة فصلت ، آية : ١٥ .

(3) مجموعة الفتاوى لابن تيمية : ١٦/ ٣٥٧ – ٣٥٨ .

والمقصود أن ما حرمه ا على نفسه فإنه من المستحيل أن يقع منه تعالى مع قدرته عليه ، لذلك فإنه سبحانه منزه عن الظلم ، موصوف بضده وهو العدل الذي تقتضيه حكمته ورحمته التي كتبها على نفسه[1] .

٤- إن ا سبحانه وتعالى منزه عن اللهو والعبث حيث قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ [٢] .

فا تبارك وتعالى أعد لعباده المطيعين ثواباً جزيلاً ، وأعد لعباده العاصين عذاباً أليماً ، وأمرهم ونهاهم ، فمن أطاع أوامره وانتهى عن محارمه وفّاه جزاءه من الثواب الجزيل ، ومن عصى أوامره وانتهك محارمه وفّاه جزاءه من العقاب الشديد ، ولذلك قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [٣] .

وهذا إنكار من ا عزوجل لهذا العبث ، بأن يكون خلق العباد سدى وباطلاً فيذرهم يأكلون ويشربون ويتمتعون بملاذات الدنيا ، ثم يتركهم بلا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ، لذلك قال في الآية التي تليها : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [٤] .

أي تعالى وتعاظم وارتفع سبحانه عن هذا الظن الباطل الذي يقدح في حكمته وعدله ، فالملك الحق الصادق في وعده ووعيده يمتنع أن يخلقكم عبثاً[5] .

وقال تعال : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [٦] .

قال الشافعي[٧] : مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ، وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب[١].

---

[1] راجع ص (٤٠٣) من هذا البحث .

[2] سورة الأنبياء ، آية : ١٦ .

[3] سورة المؤمنون ، آية : ١١٥ .

[4] سورة المؤمنون ، آية : ١١٦ .

[5] انظر : تيسير الكريم الرحمن : ٥٠٩ .

[6] سورة القيامة ، آية : ٣٦ .

[7] سورة غافر ، آية : ١٧ .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢) .

والباطل الذي ظنوه : أنه لا شرع ولا جزاء ، ولا أمر ولا نهي ، ولا ثـواب ، ولا عقاب(٣) وكل هذه الآيات تثبت وقوع الجزاء الذي يتحقق به العدل الإلهي ، حيث يحكم ا بين الخلائق بالعدل والقسط ، فلا ينقص أحداً من حسناته ، ولا يزيـد أحـداً على سيئاته ، وإنما تجزى كل نفس بما كسبت قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (٤) .

٥- ومما يدل على اتصافه سبحانه وتعالى بالعدل أنه تبارك وتعالى منزه عـن التسوية بين المختلفات ، أو التفرقة بين المتماثلات .

وقد أنكر سبحانه وتعالى هذه التسوية في غير ما آية من كتاب ا حيث قـال : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ٢٢ ﴾ (٦).

وقال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٧).

---

(1) انظر مدارج السالكين : ٢٦١/١ .
(2) سورة ص ، آية : ٢٧ .
(3) انظر مدارج السالكين : ٢٦١/١ .
(4) سورة غافر ، آية : ١٧ .
(5) سورة غافر ، آية : ٥٨ .
(6) سورة فاطر ، آية : ١٩ - ٢٢ .
(7) سورة القلم ، آية : ٣٥ .

فمن ظن أن ا   سوف يسوي بينهم في الثواب ، فإنه قد أساء الحكم ، وحكمـه باطل ، ورأيه فاسد [1].

وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [2] .

فلا يظن الجاهل بحكمة ا   ، أن يسوي ا   بينهم في حكمه ، فهذا غيـر لائـق بحكمة ا   وحكمه [3].

وقـال تعـالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [4] .

أي حسبوا أن يكونوا سواء في الدنيا والآخرة ؟ .

ساء ما ظنوا وساء ما حكموا به ، فإنه حكم يخالف حكمة أحكـم الحـاكمين ، وخير العادلين ، ويناقض العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، ويضاد ما نزلـت بـه الكتب ، وأخبرت به الرسل .

بل الحكم الواقع القطعي ، أن المؤمنين العاملين الصالحات ، لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب ، في العاجل والآجل ، كل على قدر إحسانه ، وأن المـسيئين لهـم الغضب والإهانة ، والعذاب والشقاء ، في الدنيا والآخرة [5].

وقد قال ا   سبحانه وتعالى في الآية التي تليها : ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [6] .

---

(1) تيسر الكريم الرحمن للسعدي : ١١٥ .
(2) سورة ص ، آية : ٢٨ .
(3) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ٦٥٨ .
(4) سورة الجاثية ، آية : ٢١.
(5) مفاتيح الغيب للرازي : ٢٦٩/٢٧ .
(6) سورة الجاثية ، آية : ٢٢ .

ومقتضى هذه الآية : أنه لا يتحقق الحق الذي خلقت له السماوات والأرض إلا بالعدل بين العباد ، وفي بيان ذلك يقول الرازي في تفسيره للآية : (اعلم أنه تعالى لما قدر بأن المؤمن لا يساوي الكافر في درجات السعادة أتبعه بالدلالة الظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال : ﴿ وما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق ﴾ ولو لم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل ، لأنه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف ثم لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالماً ، ولو كان ظالماً لبطل أنه خلق السموات والأرض بالحق) [1].

ولذلك يقول ابن القيم : (وما قامت السماوات والأرض إلا بعدله ، فالخلق قام بعدله وبعدله ظهر ، كما أن الأمر بعدله وبعدله وجد ، فالعدل سبب وجود الخلق والأمر غايته ، فهو علة الفاعلية والغائية) [2] .

وقد فرق الله سبحانه وتعالى بين المخلوقات أعيانها وأفعالها ، وبين انقسام الخلق إلى شقي وسعيد حيث قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝١٦ ﴾ [3].

ومعلوم عقلاً : أن التسوية بين المختلفات أو التفرقة بين التماثلات يعد ظلماً ، وصاحب هذه التسوية أو تلك التفرقة ظالم ، وذلك لأنه إما حارم من يستحق ، أو معط لغير عامل ، وهذا ما أنكره سبحانه وتعالى ونفاه عن نفسه .

ولو استوى عنده سبحانه وتعالى أمر العصاة لأفضى ذلك إلى العبث الذي نزه نفسه عنه حيث قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [4].

٦- ومما يدل على اتصافه سبحانه وتعالى بالعدل ذلك التلازم بين الربوبية

---

(1) مفاتيح الغيب للرازي : ٢٦٩/٢٧ .

(2) شفاء العليل لابن القيم : ٣٥٣/١ .

(3) سورة الروم ، آية : ١٤ - ١٦ .

(4) سورة الدخان ، آية : ٣٨ .

والألوهية والجزاء العادل .

فإن الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون وهو ربه ومليكه ، وهو وحده المحـي والمميت ، النافع الضار ، القادر على الخلق ، له الخلق كله وله الأمر كله ، ولا شريك له في ملكه . وهذا هو توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأن الله هو الفاعل المطلق فـي الكون وهو سبحانه المتفرد بالخلق والتدبير والتغيير والتسيير والزيادة والنقـصان[1] وهـذا النوع من التوحيد أقر به جميع الخلق حتى المشركون حيث قال تعـالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [2] .

ولذلك فإن من واجب العباد التوجه إلى الله تبارك وتعـالى بالعبـادة والإنابـة والدعاء والخوف والرجاء والاستعانة والاستغاثة وكافة صور التعبـد ، حتـى تكـون العبودية خالصة لله وحده ويفرد سبحانه بالوحدانية ، فلا يعبد غيره ، وتخلص القلـوب من التوجه إلى غيره سبحانه وتعالى .

وهذا هو توحيد الألوهية وهو الفارق بين الموحدين والمشركين ، ومـن أجلـه أنزل الله الكتب وأرسل الرسل يقول تبارك وتعـالى : ﴿ وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [3].

ومن عرف الله تبارك وتعالى وعرف صفاته وعرف معنى ألوهيته ، توجه إليه بالعبادة وهذا التوحيد متضمن لتوحيد الربوبية ، فإن من عبد الله وحده ولم يـشرك بـه أحداً ، فإنه ولا بد مؤمن بربوبية الله . أما من آمن بتوحيد الربوبية ، فإنه لا يستلزم أن يكون مصدقاً بألوهية الله وإن كان يلزمه ذلك ، وهذا مثل حال المشركين فإنهم مؤمنون بربوبية الله ، ولكنهم لم يوحدوه في ألوهيته .

---

(1) انظر كتاب الإيمان لـ د . محمد نعيم ياسين : ١٠ .
(2) سورة الزخرف ، آية : ٩.
(3) سورة الزخرف ، آية : ٤٥ .

وتوحيد الإلوهية هو عبادة ا وحده لا شريك له ، وهذه العبادة إنمـا تتحقـق باتباع أوامر ا واجتناب نواهيه .

وبناء على هذه العبادة يكون الجزاء والحساب فإن ا سبحانه وتعالى وعد عباده المطيعين بالثواب الجزيل والنعيم المقيم ، وأعد لعباده العاصـين العقـاب العظـيم ، والعذاب الأليم ، فالإنسان مجازى على أعماله صالحها وفاسدها . والعقول لا ترضـى إلا بذلك ، فإن الجزاء هو مقتضى الألوهية وهو لازم لها ، لا ينفك عنها ، فـإن مـن عبدا وأطاع أوامره إنما يرجو ثواب ربه ويخاف عقابه .

وهذا الثواب أو العقاب هو الجزاء على عبادته التي أداها لربه .

فالجزاء يدور مع العبادة وجوداً وعدماً ، فمتى وجدت العبـادة علـى وجههـا الصحيح وجد الثواب وانعدم العقاب ، ومتى انعدمت العبادة انعدم الثواب ووجد العقاب.

والمقصود : أن ا سبحانه وتعالى قد أمر عباده بالتوجه إليه بالعبادة والطاعة ، وأعانهم ووفقهم على عبادته ، ثم حاسبهم عليها بالعدل والحكمة والرحمة .

وهذه الأمور الثلاثة : (الربوبية - الألوهية - والجزاء العـادل) متلازمـة لا ينفك بعضها عن بعض ، يقول ابن القيم رحمه ا تعالى: (فأمرهم بألوهيته وأعـانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم بربوبيته ، وأثابهم وعاقبهم بملكه وعدله ، وكل واحدة من هذه الأمور لا تنفك عن الأخرى) [1].

وقد ذكر ا سبحانه وتعالى هذه الأمور الثلاثة معاً مما يدل على تلازمها .

فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟

---

(1) مدارج السالكين لابن القيم : ٤٤/١ .

يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾[١].

فلما ذكر حكمه القدري وهو التدبير العام وقرر ربوبيته ، وذكر حكمه الـديني وهو شرعه الذي مضمونه ومقصودة عبادته وحده لا شريك له ، وقرر ألوهيته ذكـر الحكم الجزائي وهو المجازاة على الأعمال بعد الموت[٢].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾[٣] .

فبعد أن ذكر ا دليل ربوبيته مما يرى في مخلوقاته ، أمر عباده بالتوجه إليـه وإفراده بالعبادة ، ومن لم يصدق بكتاب ربه ، ويؤمن به ، ويعبد ربه فليحذر النار التي أعدها ا للكافرين . ومن آمن به وصدقه ، وتوجه إليه بالعبادة فإن له البشارة بالجنـة التي أعدها ا للمؤمنين المتقين ، وفي هذه البشارة تنشيط للمـؤمن علـى الأعمـال الصالحة فإنها بذلك تخف عليه وتسهل[٤].

والحاصل أن السلف عليهم رضوان ا أثبتوا العدل الإلهي بأنه فعل قائم بـا تعالى متصف به سبحانه ، يفعله بقدرته ومشيئته ، وهو سبحانه منزه عن ضده ، وهو الظلم مع قدرته عليه وما يحدث في الخلق إنما هو أثر ذلك العدل .

فعرفوا العدل بما يوافق المعاني اللغوية ، وأثبتوا ما أثبته ا لنفسه ، وأثبته لـه

---

(١) سورة يونس ، آية : ٣- ٤ .

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ٣١٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢١ – ٢٥ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي : ٨٢ .

رسوله ﷺ من صفات الكمال ، ونفوا عن ا   ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص .

وجميع أفعاله تبارك وتعالى من الهداية والإضلال ، والإسعاد والإشقاء ، والعز والإذلال، والخفض والرفع ، والثواب والعقـاب ، هـو مقتـضى حكمتـه وموجـب ربوبيته ، وجميع ما قدره وقضاه حكمة منه وعدل ، وكذلك جميع ما شرعه وأمر بـه أو نهى عنه كله حكمة منه وعدل ، وكل عقاب أنزله على عبد من عباده فهو حكمـة منه وعدل ، وكل ثواب أو خير امتن به على عبد من عباده فهو عدل منه وفضل .

وكل الخلق متفقون على عدله ، حتى عبـاد ا   مـن المجـرمين والمـشركين الجاحدين ، فإنهم مقرون له بالعدل ، منزهوه عن الظلم ، وقد أخبر سبحانه وتعالى أنهم يدخلون النار وهم معترفون بعدله حيث قال : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ ﴾ (1) .

وقال تعـالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ (2) .

وقد استدل السلف على إثبات العدل الإلهي بأدلة نقليه صحيحة ، وأدلـة عقليـة صريحة ، فالآيات الكريمات والأحاديث الشريفة الدالة على عدله وعدم ظلمه لخلقـه ، وتنزهه سبحانه عن اللهو والعبث والتسوية بين المخلوقات ، كل ذلك يغني عن الميـل عن الطريق المستقيم في إثبات العدل الإلهي ، ويكفي عن التدخل بالعقول القاصرة في إثبات أمر هو في غاية الوضوح لمن تدبر ونظر واتبع سبيل الرشاد .

مقتضى العدل الإلهي :

إن وصف الرب العظيم بالعدل ، وإثبات العدل له كفعل له من أفعاله الحكيمـة

(1) سورة الملك ، آية : ١٠ - ١١ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ١٣٠ .

إنما يقتضي أموراً هامة .

منها أن العبد يحسن الظن بربه في جميع الأحوال ، في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والغنى والفقر ، فيشكر ا تعالى في حال الرخاء والسراء ، ويصبر ويرضى في حال الضراء والشدة ، وما ذاك إلا ليقينه بعدله سبحانه وتعالى ، وأن هذه الدنيا دار بلاء وفناء ، وأن الآخرة هي دار الجزاء والقرار ، فما يصيبه من شدة وضنك فإن ا قد أعد له ثواباً عظيماً جزاء منه تعالى لعبده على صبره على اللأواء والشدة ، حتى الشوكة التي يشاكها فإن العبد المؤمن يعلم أن ا يكفر عنه بها من الذنوب والخطايا ، فيرضى بذلك ويصبر عليه ويحتسب الأجر عند ربه ، يقول ابن القيم رحمه ا : (ولا يستوحش من ظاهر الحال فإن ا سبحانه يعامل عبده معاملة من ليس كمثله شيء في أفعاله ، كما ليس كمثله شيء في صفاته ، فإنه ما حرمه إلا ليعطيه ، ولا أمرضه إلا ليشفيه ، ولا أفقره إلا ليغنيه ، ولا أماته إلا ليحييه ، وما أخرج أبويه من الجنة إلا ليعيدهما إليها على أكمل حال)[1] وسيأتي بيان ذلك إن شاء ا [2] .

ومنها أن يحمد العبد ربه ويتوجه إليه بالمحبة والحمد والثناء .

فإن الرب الحكيم العادل الذي يضع كل الأمور في مواضعها يستحق من عباده الحمد والثناء والمحبة ، وهذا ما يحبه ا سبحانه ويرضى به .

فإنه تبارك وتعالى يحب ثناء عباده وحمدهم له ، وثناؤه وحمده لنفسه أعظم من ثنائهم وحمدهم له .

فإن ا سبحانه وتعالى المتصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها ، الحكيم في أفعاله ، العدل في قضائه وثوابه وعقابه لا بد وأن يحمده عباده على ذلك .

فإن الإقرار بصفات ا يقتضي الإقرار بأن ا محمود على أفعاله وأنه رب العالمين .

---

(1) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم : ٦٠ .

(2) راجع ص (٥٩٨) من هذا البحث.

وإن الحمد ضد الذم ، فالحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له ، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له ، وجماع المساوئ فعل الـشر ، كمـا أن جماع المحاسن هو فعل الخير .

فإن كان سبحانه وتعالى يفعل الخير بمشيئة وقدرته ، استحق الحمد ، ومن لـم يكن له فعل اختياري يقوم به ، بل ولا يقدر على ذلك ، فـلا يكـون خالقـاً ولا ربـاً للعالمين[1].

يقول ابن تيمية رحمه ا : (الحمد نوعان : حمد على إحسانه إلى عباده ، وهو من الشكر ، وحمد لما يستحق هو بنفسه من نعوت الكمال ، وهذا الحمد لا يكـون إلا على ما هو في نفسه مستحق الحمد ، وإنما يستحق ذلك من هـو متـصف بـصفات الكمال، وهي أمور وجودية ، فإن الأمور العدمية المحضة لا حمد فيها ولا خيـر ولا كمال) .

ومعلوم أن كل من يحمده ، فإنما يحمده على ماله من صفات الكمال ، وكل مـا يحمد به الخلق فهو من الخالق ، والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد ، فثبت أنـه المستحق للمحامد الكاملة ، وهو أحق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب) [2].

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى : ١٥٥/٦ .

(2) مجموعة الفتاوى لابن تيمية : ٥٢/٦ .

المبحث الثاني :

مذهب المعتزلة في العدل الإلهي.

تعريف العدل عند المعتزلة :

المقصود بالعدل عند المعتزلة : (نفي القبح عن ا تعالى وعدم إخلاله سبحانه بما هو واجب عليه) هذا إذا وصف به الفاعل ، فإذا قلنا : إنه سبحانه عـادل فـذلك يعني أنه سبحانه لا يفعل قبيحاً ولا يترك واجباً.

أما إذا وصف به الفعل فإن له معنى يدل على إرجاع الحقوق وتوفيتها لأهلها ، فإذا قلنا : إن أفعال ا سبحانه وتعالى عدل : فذلك يدل على أنه وفّى غيره ما يستحقه، فإذا أثاب عباده المطيعين ووفاهم حقهم فهذا عدل ، وإذا عاقب عباده العاصين واستوفى حقه منهم فهذا أيضاً عدل .

ويوضح ذلك قول القاضي عبد الجبار :

(اعلم أن العدل مصدر عدل يعدل عدلاً ، ثم قد يذكر ويراد به الفعـل ، وقـد يذكر ويراد به الفاعل فإذا وصف به الفعل ، فالمراد به كل فعل حسن يفعلـه الفاعـل لينفع به غيره أو ليضره ، إلا أن هذا يقتضي أن يكون خاق العالم من ا عـدلاً ، لأن هذا المعنى فيه ، وليس كذلك ، فالأولى أن نقول : هو توفية حق الغيـر ، واسـتيفاء الحق منه .

أما إذا وصف به الفاعل ، فعلى طريقة المبالغة ، كقـولهم للـصائم صـوم ، وللراضي رضا ، وللمنور نور إلى غير ذلك ، ونحن إذا وصفنا القديم تعالى بأنه عدل حكيم ، فالمراد به أنه لا يفعل القبيح أو لا يختاره ، ولا يخل بما هو واجب عليه ، وأن أفعاله كلها حسنة) [1].

وهذا المعنى الأخير هو الذي اصطلح عليه أئمة المعتزلة .

يقول القاضي عبد الجبار : (وأما في الاصطلاح ، فإذا قيل إنه تعالى عدل ، فالمراد به أن أفعاله كلها حسنة ، وأنه لا يفعل القبيح ، ولا يخل بما هو واجب عليه) [2].

وقد يعرفون العدل بأنه (ما يفعله الفاعل بغيره من المضار الحسنة وما يجري مجراها)[1] .

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد : ٣٠١.

(٢) المصدر نفسه : ١٣٢.

ويظهر من تفسير المعتزلة للعدل الإلهي أنه ينبني على تقريرهم لأصول سابقة، منها القول بالتحسين والتقبيح العقليين ويدل على ذلك قولهم : (إن أفعاله كلها حسنه ، وإنه لا يفعل القبيح) ويستند تعريفهم للعدل – أيضاً - على قولهم بالإيجاب على ا ، ويدل على ذلك قولهم : (ولا يخل بما هو واجب عليه) .

فهناك أمور وأفعال قد أوجبها المعتزلة على ا تعالى ، منها أن أفعالـه لا بـد وأن تكون حسنة لا قبح فيها ، وأنه يجب عليه ترك كل فعل قبيح لا نفع منه.

كما يستند تعريفهم للعدل على قولهم بأن الحكمة في أفعال ا تعالى لا تعـود إلـى فاعلها وإنما هي حكمة تعود على المفعول ويدل على ذلك قولهم (ما يفعله الفاعل بغيره).

و المراد بالفعل الحسن ، هو الحسن من جهة الحكمة ، فالفعل الـذي يتـضمن حكمة تعود على المفعول فهو عدل ، أما ما كان نفعه أو دفع ضرره يعود على الفاعل فلا يوصف بالحكمة.

وإلى ذلك يذهب المعتزلة فعندهم أن ما يفعله الفاعل بنفسه لمنفعة أو دفع مضرة فإنه لا يوصف بالعدل ومتى أضر غيره أو نفعه على وجه يحسن قيل : إن مـا فعلـه عدل لتضمنه للحكمة ، ولهذا فإن جميع ما يفعله سبحانه فهو عدل لأن جميع ذلك يفعله بغيره ، إما لمنفعة أو مضرة ، فهو متضمن للحكمة ولذاك فهو عدل.

يقول القاضي عبد الجبار : (فصل في بيان وصف الفعل بأنه عدل وحكمة وما يتصل بذلك ، اعلم أن الذي يختص بهذه الصفة من الأفعال كل فعل فعله لينتفع المفعول به على وجه يحسن ، أو يضر به . وأما ما يفعله الفاعل منا بنفـسه لمنفعـة أو دفـع مضرة فإنه لا يوصف بذلك ، فلهذا لا يقال في أكل زيد وشربه ، وفيمـا يفعلـه مـن واجب وندب ، بأنه عدل ، ومتى نفع غيره أو أضر به على وجه يحسن قيل إنه عـدل عليه ، وإن ما فعله عدل .... ولهذه الجملة قلنا في جميع ما يفعله سبحانه إنه عـدل ، لأن جميع ذلك يفعله بغيره ، إما لمنفعة أو لمضرة .... ولا يشذ عن أفعالـه تعـالى شيء إلا ما يبتدئه من خلق المكلف وإحيائه ، لأن ذلك لا يوصف بأنه فعله لينتفع بـه

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ٦/ ٥٠.

الحي أو يضره ، لأنه نفسه مما به يصح النفع أو الضرر ، فيتعذر أن يقال فيه على ما بيناه إنه عدل ، وإن كان من حيث التعارف يوصف بذلك لأنـه لا خـلاف أن جميـع أفعاله تعالى عدل وحكمة)[1].

والمقصود أن المعتزلة قد عرفوا العدل بصفة عامه بأنه توفية الحقوق وإرجاعها إلى أهلها ، أما العدل الإلهي فقد اختص بتعريف آخر مصطلح عليه وهـو : (أن ا تعالى لا يفعل القبيح ، ولا يخل بما هو واجب عليه).

وهذا المفهوم يستند على أصول مذهبهم وهي القول بالإيجاب على ا ، وقولهم بالتحسين والتقبيح الذاتيين للأفعال ، ونفيهم الحكمة التي تعود على الفاعل.

تعريف الظلم عند المعتزلة :

---

(١) المصدر نفسه : ٦/ ٤٨.

ومما يوضح تعريف العدل عند المعتزلة تعريفهم للظلم ، فإنما تتميـز بـضدها الأشياء ، ولذلك كان من المهم الالتفات إلى تعريف المعتزلة للظلم ، وبيان مفهـومهم لـه ، وما يستند عليه هذا التعريف من أصول.

فقد عرف المعتزلة الظلم بأنه (كل ضرر لا نفع فيه) ، يقول القاضـي عبـد الجبار : (اعلم أن الظلم كل ضرر لا نفع فيه ولا دفع ضرر ، ولا استحقاق ولا ظـن للوجهين المتقدمين ، ولا يكون في الحكم كأنه من جهة المضرور به ، ولا يكون فـي الحكم كأنه من جهة غير فاعل الضرر) [1].

وهنا خمسة شروط وضعها المعتزلة لتعريفهم للظلم :

أولها : أن يكون ضرراً لا نفع فيه ، فلو أن أحدنا كلف أجيراً عملاً شـاقاً وأعطـاه مقابل ذلك ما ينفعه من مال أو غيره لم يكن ظالماً ، لأن ذلك الضرر فيه نفع معلوم.

الثاني : أن يكون ضرراً ليس فيه دفع ضرر ، كما لو أن طبيباً أعطى مريـضاً دواء فيه بعض المشقة ليدفع عنه الضرر لم يكن ظالماً له ، لأن ذلك الضرر فيه دفـع ضرر آخر.

الثالث : أن يكون ضرراً غير مستحق ، فمن ذم الكاذب أو الفاسـق لـم يكـن ظالماً، لأنهما يستحقان الذم.

الرابع : أن يكون الضرر ليس من جهة المضرور به ، فمن أُخذ ماله فدافع عن نفسه وضرب السارق وأضره لم يكن ظالماً ، لأنه ضرر من جهة المضرور به.

الخامس : أن يكون الضرر من جهة غير فاعل الضرر ، فلـو أن الله سـبحانه وتعالى أمات صبياً ألقي به في النار ، لا يكون ظالماً له ، لأن هذه الإماتة كأنها مـن جهة غير الله تعالى[2].

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٤٥.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٤٦.

ولذاك فإنهم يعرفون الظلم أيضاً بأنه : (ما يفعله الفاعل بغيره مـن المـضار القبيحة) ويقصدون بالمضار القبيحة أي التي انتفت فيها الـشروط الخمـسة ولـذلك أصبحت مضاراً قبيحة لخلوها من الحكمة والحسن.

وكأنهم يقولون : إن الظلم هو الضرر الخالص الخالي من النفع ودفع الـضرر والاستحقاق.

وتفسيرهم هذا للظلم يستند على إيجابهم أموراً عدة على ا ، منهـا العـوض واللطف وفعل الصلاح ، فيجب عندهم أن يفعل ا بعبادة كل فعل حسن لا ضرر فيه ، وأن يترك كل فعل قبيح لا نفع فيه ، ومخالفة ذلك الإيجاب تقتضي عندهم أن يكون ا ظالماً ، وأنه فاعل للقبيح ، وهو ما أرادوا تنـزيه ا عنه.

وهذا هو أيضاً ما أصل عليه المعتزلة تعريفهم للعدل.

فهناك أمور أوجبوها على ا تعالى ، وهذه الأمور حكيمة حـسنة ، لابـد أن يفعلها سبحانه بغيره لينفعه بها أو يدفع الضر عنه ، وهذا هو العدل . أما إذا أخل بمـا هو واجب عليه ، فإن أفعاله تصبح خالية من الحكمة ومن ثم فهي قبيحة ، كأن تكـون ضرراً لا نفع فيه ولا دفع ضرر ، ولا هو ضرر لمن يستحقه ، فإن هذا هـو الظلـم بعينه ، وهو يتضمن إخلاله سبحانه وتعالى بما هو واجب عليه ، وهذا غاية الظلم.

دليل المعتزلة على نفي القبح عن الله تعالى :

استدل المعتزلة على نفي القبح عن ا تعالى بدليل عقلي وهو : أن ا تبـارك وتعالى عالم بقبح القبيح وكذلك فهو سبحانه غني لا يحتاج إلى شيء ، فهو مستغن عن القبيح عالم باستغنائه عنه.

يقول القاضي عبد الجبار (وتحرير الدلالة على ذلك ، هو أنه تعالى عالم بقبح القبيح ، ومستغن عنه ، عالم باستغنائه عنه ، ومن كان هذه حاله لا يختار القبيح بوجه من الوجوه) [1].

فلما كان الحسن عندهم من جهة الحكمة ، فإنهم يقصدون بالعدل الإلهـي : أن تكون أفعاله سبحانه وتعالى حكيمة ، وعلى ذلك فمعنى قـولهم : (أن تكـون أفعالـه حسنـة) أي أفعالاً حكيمة لا قبح فيها . وهذه الحكمة لا تعود إلا على المفعول ، ولو عادت على الفاعل لكان الفاعل محتاجاً . ولذلك كانت دلالة العدل ودلالة نفي القبح عن ا عندهم هي إثبات العلم تعالى ، وإثبات غناه عن القبح ، وإثبات علمه بغناه عن القبح.

ومتى كان سبحانه وتعالى غنياً عن الموجودات فإن ذلك يثبت أن أفعاله حكيمة حكمة لا حاجة فيها للفاعل من المفعول ، وبذلك يثبت عندهم حكمته تعالى ومن ثم عدله .

ومتى انتفى علمه بالقبيح ، انتفى غناه عنه ، وانتفى علمه بغناه عنه ، ومن ثـم كان محتاجاً لغيره ، ومن كان محتاجاً لغيره ، فلا توصف أفعاله بالحكمة ، ومن كانت أفعاله غير حكيمة فلا توصف بأنها حسنة ، ومن لم تكن أفعاله حسنة فهو بذلك ظـالم غير عادل ، لتضمن أفعاله لفعل القبيح من الأضرار التي لا نفع فيها ، وترك الواجبات والإخلال بها.

وبذلك يتضح أن دليل العدل عند المعتزلة هو الدليل عندهم على نفي القبح عـن ا ، وقد قام على أنقاض أصول سابقة له ، وهي نفس الأصول التـي قـام عليهـا مفهومهم للعدل ومفهومهم للظلم ، ولذلك كان من المهم توضيح هذه الأصول التي استند عليها المعتزلة ، وبيان موقف السلف منها.

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٠٤.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المعتزلة قد اختلفوا في قدرته سبحانه وتعالى علـى الظلم على قولين :

القول الأول : ما عليه جمهور المعتزلة من أنه سبحانه وتعالى قادر على ما لو فعله لكان ظلماً قبيحاً ، مع أنه سبحانه لا يفعله ولا يختاره ، ولهم علـى ذلـك أدلـة عقليـة :

أولاً : إن ا سبحانه وتعالى قادر على جميع الأجناس والأفعال ومنها القبيح.

ثانياً : إن ا سبحانه وتعالى لما كان قادراً على الحسن فهو قادر علـى ضـده وهو القبيح ، فكما أنه قادر على العدل فهو قادر على ضده وهـو الظلـم ، ولكنـه لا يختاره.

ثالثاً : إن أضعف القادرين منا يقدر على الظلم ، ولذلك لم يجز أن يكون هنـاك جنس يقدر عليه أحدنا إلا و ا تعالى قادر عليه.

رابعاً : إن القادر على فعل شيء لا بد من وصفه بالقدرة علـى أن لا يفعلـه ، وإلا كان كالمضطر [1].

خامساً : إن ا سبحانه وتعالى تمدح بنفي الظلم عن نفسه فقال تعـالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [2] وقال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [3] وقال : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [4] .

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣١٤ ، والمحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار : ٢٤٦.

(٢) سورة فصلت ، آية : ٤٦.

(٣) سورة النساء ، آية : ٤٠.

(٤) سورة الكهف ، آية : ٤٩.

ولا يحسن أن يتمدح بنفي الظلم عن نفسه ، وهو غير قادر عليه [1] .

القول الثاني : وهو ما ذهب إليه النظام [2] والجاحظ [3] وغيرهم فقـالوا : إنـه تعالى غير موصوف بالقدرة على ما لو فعله لكان قبيحاً.

فخالفوا جماهير المعتزلة بقدرته تعالى على الظلم ، ولكنهم متفقون على أنـه لا يفعل الظلم ولا يختاره .

ولأصحاب القول الثاني أدلة عقلية منها :

أولاً : لو كان تعالى قادراً على ما لو فعله لكان قبيحاً أو ظلماً لوجـب جـواز وقوعه منه ، وإذا علم أنه لا يفعله قط ، علم أنه ليس بقادر عليه ، لأن الواحد منا لمـا كان قادراً على القبيح لم يمتنع وقوعه منه.

ورد أصحاب القول الأول : بأن انـتفاء مقدور القادر ، لا يقتضي أن لا يكون قادراً عليه ، لأن ذلك يوجب أن لا يكون قادراً على ما نعلم أنه لا يفعله ، أما قولهم إنه لو كان قادراً لجاز وقوعه منه . فإن أرادوا بالجواز الشك : فهذا باطل ، لأن الأدلة قد أثبتت أنه سبحانـه لا يفعل القبيح ، وإن أرادوا به القبيحة : فلمن نقر بجواز وقوعـه منه ، والامتناع عن ذلك ينقص كونه تعالى قادراً.

ثانياً : إن كونه تعالى عالماً بقبح القبيح ، غنيا عن فعله ، يحيل وصفه بالقـدرة عليه ، من حيث استحال في ذاته تعالى أن يكون إلا بهاتين الصفتين.

ورد أصحاب القول الأول : لو كان وصفه تعالى بالعلم بالقبيح ، وبغنـاه عنـه يحيله من وصفه تعالى بالقدرة على القبيح لأحال وصف الواحد منا بأنه عـالم بقـبح

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣١٥.

(٢) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري ، أبو إسحاق النظّام ، من أئمة المعتزلة ، أنفرد بآراء خاصة تابعتـه فيهـا فرقة من المعتزلة سميت " النظامية " نسبة إليه ، توفي سنة ٢٣١هـ . انظر تاريخ بغداد : ٩٧/٦ ، الأعـلام : ٤٣/١ .

(٣) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ ، كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، ولد سنة ١٦٣هـ ، وتوفي سنة ٢٥٥هـ . انظر لـسان الميـزان : ٣٥٥/٤ ، تاريخ بغداد : ٢١٢/١٢ ، الأعلام : ٧٤/٥ .

القبيح ، وغني عن فعله وصفه بالقدرة على القبيح ، لأن ذلك لا يختلف باختلاف الفاعلين.

ولو صح ما قالوه لوجب استحالة كونه قادراً على الحسن أيضاً ، لأنه عالم به غني عنه.

ثالثاً : قالوا : لو كان قادراً على القبيح فهذا يقتضي أن فيه صفة نقص وذم ، وأنه يوجب جواز وقوعه منه ، فيجب نفي كونه قادراً عليه.

ورد أصحاب الرأي الأول : بأن كونه تعالى قادراً على القبيح يقتضي صفة كمال وليس العكس ، وإنما يقتضي النقص والذم إيجاده للقبيح واختياره له [١].

ومن الواضح أن القول الأول هو الأقرب للصواب ، وسيأتي بيان ذلك في المبحث التالي [٢].

ومما سبق يبدو واضحاً جلياً استناد مفهوم العدل عند المعتزلة إلى عدة أصول :

أولاً : قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين.

ثانياً : قولهم بالإيجاب العقلي على ا تعالى.

ثالثاً : قولهم بإثبات الحكمة التي لا تعود على الفاعل.

ولهذا كان من المهم دراسة هذه الأصول عند المعتزلة وبيان مذهبهم فيها ، ثم الرد عليهم ونقد أقوالهم وأدلتهم.

---

(١) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ١٢٧/٦ وما بعدها .

(٢) راجع ص (١٨٣) من هذا البحث.

مذهب المعتزلة في الحكمة والتعليل :

يرى المعتزلة أن أفعال ا تبارك وتعالى لا يجوز أن تخلو من حكمة وغرض، وقالوا : (قد قام الدليل على أنه تعالى حكيم ، والحكيم من تكون أفعاله على إحكام وإتقان ، ولا يصح أن يفعل فعلاً جزافاً لا لفائدة وغاية ، بل لا بد أن يريد غرضاً ، ويقصد صلاحاً) [(١)].

وقالوا : إن من يفعل لا لغرض يعد عابثاً ، وا تعالى منزه عن العبث ، يقول القاضي عبد الجبار : (إن ا سبحانه ابتدأ الخلق لعلة ، يريد بذلك وجه الحكمة الذي له حسن منه الخلق ، فيبطل على هذا الوجه قول من قال : إنه تعالى خلق الخلق لا لعلة ، لما فيها من إيهام أنه خلقهم عبثاً لا لوجه تقتضيه الحكمة ، وذلك ظاهر في الشاهد لأن الواحد إذا أراد النيل من غيره قال عنه إنه يفعل الأفعال لا لعلة ولا معنى ، فيقوم هذا القول مقام أن يقول : (إنه يعبث في أفعاله وإذا به في المدح يقول : إن فلاناً يفعل أفعاله لعلة صحيحة ولمعنى حسن) [(٢)] .

ويتبين بهذا أن المعتزلة أثبتوا الحكمة في أفعال ا تعالى تنزيهاً له عن العبث واللهو ، ويرى المعتزلة أن ا تعالى يفعل لحكمة تعود إلى المخلوق ، ولا يعود إلى ا تعالى منها شيء ، فالحكيم عندهم إما ينتفع أو ينفع غيره ، ولما تقدس الرب عن الانتفاع تعين أنه إنما يفعل لينفع غيره [(٣)] ، واستدل المعتزلة على إثبات الحكمة بأدلة عقليه منها :

أولاً : إن العالم بما يفعل متى لم يفعل الفعل لغرض يقتضي حسنه ، فيجب كونه عبثاً ، والعبث قبيح كما أن الظلم قبيح ، وقد سبق الدليل على أن ا تعالى لا يفعل القبيح فيجب خروج أفعاله عن كونها عبثاً.

---

(١) نهاية الإقدام ، للشهرستاني : ٤٠٠ .

(٢) المغني في أبواب العدل والتوحيد ، ١١/ ٩٢، ٩٣.

(٣) انظر نهاية الإقدام ، للشهرستاني : ٣٩٧.

ثانياً : فعل الفاعل الذي يكون خارجاً عن حد الحسن والقبيح إنما يكـون مـن الساهي ، وا   تعالى منزه عن ذلك ، فيكون فعله لغرض [١].

ثالثاً : إنه يقبح في الشاهد أن يفعل الإنسان فعلاً لا يقصد به غرضـاً أو غايـةً معينة ، فكذلك في الغائب [٢].

ثم إنهم لما أثبتوا الحكمة والتعليل في أفعال ا   تعالى ، فقد أوجبـوا علـى ا   تعالى أموراً بمقتضى هذه الحكمة منها اللطف والعوض وفعل الـصلاح والأصـلح ، وغير ذلك ، كما أنهم يستعملون لفظ الغرض صراحة عند تعبيرهم عن الحكمة فيقولون (إن ا   تعالى يفعل لغرض وهو نفع الغير) [٣].

وقد وضع المعتزلة لتلك الحكمة التي أثبتوها شريعة بعقولهم ، فأوجبوا على الـرب تعالى بها وحرموا وشبهوه بخلقه في أفعاله ، فلزمهم من ذلك لوازم باطلة وأقوال فاسدة[٤].

والحق أن هناك فرقاً بين إثبات المعتزلة للحكمة وبين إثبات السلف لها في عدة أمور:

أولاً : الحكمة الإلهية عند المعتزلة تعود على العباد ولا يعـود إلـى ا   منهـا شيء، أما عند السلف فإنها تعود إلى ا   وإلى العباد.

ثانياً : أوجب المعتزلة على ا   تعالى أموراً بمقتضى الحكمة ومنعوا عليه أموراً لمخالفتها للحكمة ، وذلك استناداً على قولهم بالإيجاب العقلي على ا   تعـالى ، وعنـد السلف لا يجب على ا   إلا ما أوجبه على نفسه.

ثالثاً : استعمالهم للفظ (الغرض) بمعنى الحكمة ، والسلف منعوا استعمال هذا اللفظ.

ومفهوم المعتزلة للعدل الإلهي يستند على ما أثبتوه من الحكمة فـي أفعـال ا   تعالى ، فكل فعلاً خلى من الحكمة يعد ظلماً ، لأن فيه فعل لأفعال قبيحـة ، أو تركـاً لأمور واجبه أوجبوها على ا   تعالى بمقتضى الحكمة.

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٩ – ٤١ ، والمغني في أبواب التوحيد والعدل : ١٤/ ٧، ومقالات الإسلاميين ، للأشعري : ١/ ٣١٨.

(٢) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل : ١١/ ٩٢ – ٩٣.

(٣) المصدر نفسه : ٩٢/١١ .

(٤) انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٢/ ٥٩.

مذهب المعتزلة في مسألة التحسين والتقبيح العقليين :

ذهب الأوائل من المعتزلة مثل أبي الهذيل [1] العلاف إلى أن حسن الأفعال وقبحها لذواتها لا لصفات فيها تقتضي الحسن أو القبح.

وذهب بعض المعتزلة إلى أن الفعل له صفة حقيقية توجب حسنه أو قبحه ، وليس لذاته كما قال الأوائل ، بينما ذهب الحسين البصري [2] من متأخريهم إلى إثبات صفة في الفعل تقتضي قبحه دون الحسن ، فيكفي في حسن الفعل عنده انتفاء الصفة المقبحة ، وإلى هذا القول كان يميل القاضي عبد الجبار ، وأما أبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم [3] فذهبا إلى أن حسن الأفعال وقبحها ليس لصفات حقيقية ، بل لوجود اعتبارات وأوصاف إضافية تختلف بحسب الاعتبار ، كما في لطمة اليتيم ، فإن كان للتأديب فحسنة وإلا فهي قبيحة ، كما لو كانت ظلماً [4].

ورغم اختلاف المعتزلة في اعتبارات التحسين والتقبيح للفعل إلا أنهم متفقون على أن الحسن والقبح معلوم بالعقل ضرورة ، قبل ورود الشرع بالأمر بالحسن ، أو النهي عن القبيح.

وزعموا أن الشرع لا يوجب للأفعال حسناً أو قبحاً ، وإنما هو كاشف فقط عما فيها من معاني الحسن أو القبح ، يقول القاضي عبد الجبار : (فقد ذكرنا أن وجوب المصلحة وقبح المفسدة متقرران في العقل ، إلا أنا لما لم يمكنا أن نعلم عقلاً أن هذا الفعل مصلحة وذلك مفسدة ، بعث ا تعالى إلينا الرسل ليعرفونا ذلك من حال هذه

---

(١) محمد بن الهذيل بن عبد ا بن مكحول العبدي ، مولى عبد القيس ، أبو الهذيل العلاف ، من أئمة المعتزلة ، ولد سنة ١٣٥هـ ، وتوفي سنة ٢٣٥هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٤٨٠/١ ، تاريخ بغداد : ٣٦٦/٣ ، الأعلام : ١٣١/٧ .

(٢) محمد بن علي الطيب ، أبو الحسين البصري ، أحد أئمة المعتزلة ، توفي ببغداد سنة ٤٣٦هـ . انظر وفيات الأعيان : ٤٨٢/١ ، تاريخ بغداد : ١٠٠/٣ ، الأعلام : ٢٧٥/٦ .

(٣) أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي ، كان – مثل أبيه – من كبار المعتزلة ، وتنسب إليه فرقة "البهشمية " ، توفي سنة ٣٢١هـ . انظر ميزان الاعتدال : ٦١٨/٣ ، تاريخ بغداد : ٥٥/١١ ، وفيات الأعيان : ٣٥٥/٢٠ .

(٤) انظر المحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد : ١٣٩.

الأفعال ، فيكونوا قد جاءوا بتقرير ما قد ركبه ا تعالى في عقولنا) [1]. وعلى ذلـك فإن استحقاق العبد للعقاب أو الثواب عند المعتزلة يكون عقلياً ، وليس مشروطاً بورود الشرع ، فكل فعل حسن فإن فاعله يستحق المدح في العاجل والثواب في الآجل ، وكل فعل قبيح فإن فاعله يستحق الذم في العاجل والعقاب في الآجل استحقاقاً عقلياً ، سـواء ورد الشرع بالأمر بالحسن أو النهي عن القبيح أو لم يرد.

ولم يكتف المعتزلة بترتيب الثواب و العقاب على ما في الأفعال من حـسن أو قبح ذاتي عقلي ، دون الالتفات إلى الشرع . بل زعموا أن أفعال ا تعالى أيضاً تندرج تحت حكم العقل بالحسن أو القبح عليها ، فكل ما رأى العقل أنه حسن فإنه يحسن مـن ا تعالى ، وكل ما رأى العقل أنه قبيح فإنه يقبح من ا تعالى .

ثم إن المعتزلة رتبوا على قولهم هذا في أفعال ا تعالى أحكاماً مـن الوجـوب والجواز في حقه تعالى ، فأوجبوا على ا تعالى كل فعل حسن لا قبح فيه ، وحرمـوا عليه كل فعل قبيح لا حسن فيه ، وهم في هذا وذاك معتمدون على عقـولهم ، فالعقـل عندهم هو المحسن والمقبح والموجب و المحرم.

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد : ٥٦٥.

أدلة المعتزلة على إثبات الحسن والقبح العقليين :

استدل المعتزلة على ما ذهبوا إليه من إثبات الحسن والقبح العقليين الذاتيين في الأفعال بأدلة عقليه منها :

أولاً : إن أحدنا لو خير بين الصدق والكذب وكان الصدق والكذب مستويان في تحصيل غرض من الأغراض عند ذاك الشخص وكان النفع في أحدهما كالنفع في الآخر ، فإنه يؤثر الصدق وذلك لحسنه الذاتي المركوز في العقل [١].

ثانياً : إن العقلاء وحتى الذين لا يدينون بدين ، ولا يقولون بشرع كالبراهمة [٢] والدهرية والملاحدة ، يجزمون بحسن العدل والإنصاف ، فإدراكهم للحسن والقبح دون توقف على مجيء الشرع دليل واضح على أنهما أمران ذاتيان قد يدركهما العقل [٣].

الدليل الثالث : لو لم تكن الأفعال حسنة في نفسها ولا قبيحة في نفسها بل كان حسنها تابعاً للأمر بها وقبحها تابعاً للنهي عنها ، وكان أن يفعل كل مقدور ، فله أن يفعل ما يشاء دون تقييد بمعنى ، جاز أن يؤيد ا الكاذب في دعوة النبوة بأمر خارق للعادة فيلتبس أمر النبي الصادق والمتنبي الكاذب ، ولا يتميز الكاذب من الصادق ، وهذا يؤدي إلى إبطال الشرائع ، ويسد باب إثبات صدق النبي [٤].

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٠٣ – ٣٠٨.

(٢) البراهمة : هم اللاذين يدينون بالهندوسية ، وقد أطلق على الهندوسية مسمى (البراهمية) إبتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما وهو القوة العظيمة السحرية ، ومن براهما اشتقت كلمة (البراهمية) لتكون علماً على رجال الدين اللاذين كانوا يعتقدون أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي ، وهم لهذا كانوا كهيئة الأمة ولا يوجد للبراهمية مؤسس معين ، ولا يعرف لمعظم كتبها مؤلفون معينون ، فقد تم تشكيل الكتب والديانة أيضاً عبر مراحل طويلة من الزمن.

انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ٥٢٩ ، أديان الهند الكبرى : د. أحمد شلبي ، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الحادية عشرة ، ت ٢٠٠٠ : ٣٧ ، والملل والنحل ، للشهرستاني.

ويرى البراهمية أن العقل كاف في معرفة حسن الأفعال وقبحها ، وبذلك يستحيل إرسال الرسل لأنه لا فائدة فيه ، فما حكم العقل بحسنه يفعل ، وما حكم بقبحه يترك ، وما لم يحكم فيه بحسن ولا قبح يفعل عند الحاجة لأن الحاجة ناجزة.

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣١١.

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣١١ – ٣١٤ – ٣٢١ ، وانظر شرح المواقف ، للجرجاني : ٨/ ١٩٣.

مذهب المعتزلة في الإيجاب على الله :

بناء على ما ذهب إليه المعتزلة في مسألة التحسين والتقبيح ، فقد ألحقوا أفعـال ا سبحانه وتعالى بأفعال العباد وقالوا إن القبيح إنما يقبح لوقوعه على وجه سواء وقع من ا أم من المخلوق ، وذلك لأن العلل في إيجابها الحكم لا تختلف بحسب اخـتلاف العاملين.

يقول القاضي عبد الجبار : (إن القبيح إنما يقبح لوقوعه على وجه ، فمتى وقع ذلك الوجه وجب قبحه ، سواء وقع من ا تعالى أو الواحد منا) [1].

واستناداً على أصلهم هذا قالوا بالإيجاب العقلي على ا ، فأوجبوا عليه سبحانه وتعالى بعض الأفعال وجوبا عقلياً بناء على ما فيها من حسن ذاتي ، وحرمـوا عليـه سبحانه بعض الأفعال بناء على ما فيها من قبح ذاتي.

فأوجبـوا على ا الأمور الحسنة التي لا قبح فيها ، يقول القاضي عبد الجبار : (إن كـل ما كان فيه نفع وتعـرى من وجوه القبـح فهو واجب على القديم - عـز وجل -) [2].

ولذلك أوجبوا على ا سبحانه وتعالى اللطف ، والعوض عن الآلام ، وإرسـال الرسل ، وتحقيق الوعد بالثواب للمؤمنين ، وتحقيق الوعيد بالعقاب للعاصـين ، أمـا اللطف والعوض عن الآلام وإرسال الرسل فسيأتي[3] .

وأما تحقيق الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب فهو ما يهمنا في هذا المبحث.

وتظهر أهمية هذا الموضوع عند المعتزلة نظراً لكونه أهم ما جاء في أصـلهم الثالث وهو (الوعد والوعيد) والذي قرروا فيه أن العبد يستحق من ربه الجزاء على أعماله – سواء كان ذلك الجزاء ثواباً أو عقاباً – استحقاقاً عقلياً ، ولا يجـوز عنـدهم الخلف في الوعد أو الوعيد بل إن ذلك واجب على ا وجوباً عقلياً ، استناداً منهم على

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٠٩.

(٢) المحيط بالتكليف : ٢٤٣.

(٣) راجع ص (٤٨٠-٥٢٨-٦٣٩) من هذا البحث.

قولهم إن الفعل الحسن إنما هو حسن لذاته ، وإن فاعله يستحق عليه المدح في العاجل والثواب في الآجل ، حتى قبل ورود الشرع بالأمر به ، وإن الفعل القبيح إنما هو قبيح لذاته ، وإن فاعله يستحق عليه الذم في العاجل والعقاب في الآجل وإن لم يرد الـشرع بالنهي عنه.

وبناء على ذلك فإن ا تعالى يجب عليه إنفاذ الوعد والوعيد ، لأن الخلف بهما إنما هو قبيح من ا وا تعالى منزه عن القبائح ، فلا يفعل القبيح ولا يختاره ، ولـو فعله لكان ظالماً ، أما إنفاذ الوعيد والوعد فهو فعل حسن وإن كان فيـه ضـرر مـن العقاب والعذاب ونحوه إلا أنه من المضار الحسنة كما عبروا عنه.

ولذلك فلو ترك ا إنفاذ الوعد والوعيد فإنه بذلك ترك ما هو واجب عليه مـن الأمور الحسنة وأخل بواجباته – مما يلحق به الذم واللوم – تعالى ا عن ذلك علـواً كبيراً ، فلا فرق عندهم بين فعل العبد وفعل ا ، لأن العلل في إيجابهـا للأحكـام لا تختلف باختلاف الفاعلين ، ولذلك يقول القاضي عبد الجبـار : (أمـا علـوم الوعـد والوعيد فهو يعلم أن ا تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب ، وأنـه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ، ولا يجوز عليه الخلف والكذب) [1] ، ويقـول في موضع آخر : (إن ا وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب ، فلـو لـم تجب - المثوبة و العقوبة – لكان لا يحسن الوعد والوعيد بهما)[2].

قول المعتزلة في الثواب :

يعرف المعتزلة الثواب بأنه (منفعة مستحقة) .

يقول القاضي عبد الجبار : (الثواب منفعة مستحقة على سبيل التعظيم والإجلال)[3].

والمنفعة عند المعتزلة تنقسم إلى قسمين :

أولاً : منفعة غير مستحقة وهو التفضل.

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ١٣٥، ١٣٦.

(٢) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦٢١.

(٣) المصدر نفسه : ٨٥ .

ثانياً : منفعة مستحقة وهي قسمان :

الأول : مستحقة لا على سبيل التعظيم والإجلال وهي العوض.

الثاني : مستحقة على سبيل التعظيم والإجلال وهي الثواب [1] .

وقد أوجب المعتزلة الثواب على ا إيجاباً عقلياً، محاولةً مـنهم لتنـزيه ا تعالى عن استحقاق الذم.

وقد اتفق المعتزلة جميعاً على وجوب الثواب على ا تعالى ، ولكنهم اختلفـوا في اعتبارات الوجوب على قولين :

الأول : وهو رأي البصريين [2] الذين يرون أن الثواب في مقابلة أداء التكاليف الشرعية ، يقول القاضي عبد الجبار : (فاعلم أنه تعالى إذا كلفنا الأعمال الشاقة فلا بد من أن يكون في مقابلها من الثواب ما يقابله ، بل لا يكفي هذا القدر حتـى يبلـغ فـي الكثرة حداً لا يجوز الابتداء بمثله ولا التفضل به ، وإلا كان لا يحسن التكليف لأجله ، وإنما قلنا : إن هذا هكذا ، لأنه لو لم يكن في مقابلة هذه الأفعال الشاقة ما ذكرناه ، كان يكون القديم تعالى ظالماً عابثاً) [3] .

الثاني : ما ذهب إليه البغداديون [4] فقالوا : إن الثواب يجب على ا تعالى من حيث الجود ، يقول القاضي عبد الجبار : (اعلم أن البغدادية من أصحابنا ، أو جبـت على ا تعالى أن يفعل بالعصاة ما يستحقونه لا محالة ، وقالت لا يجوز أن يعفـو عـنهم ،

---

(١) المصدر نفسه : ٨٥ .

(٢) انقسم المعتزلة إلى قسمين : معتزلة البصرة ، ومعتزلة بغداد ، وبينهما خلافات كثيرة ، ويكفر بعضهم بعضاً ، أما مدرسة البصرة فهي الأول ظهوراً ، ومنها نشأ الاعتزال على يد واصل ، ومن أشهر رجالهـا : واصـل ، والعلاف ، والنظام ، ومعمر بن عباد ، وأبو علي الجبائي وابنه وغيرهم . انظر في علم الكلام ، أحمد محمـود صبحي : ١١٨/١ ، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، للملطي : ٤٩ وما بعدها .

(٣) شرح الأصول : ٦١٤ – ٦١٥.

(٤) نشأت مدرسة بغداد في زمن بشر بن المعتمر الذي يعد رئيس معتزلة بغداد ، ومن أشهر رجالها : بـشر بـن المعتمر ، الجعفران ، الخياط وغيرهم . انظر في علم الكلام ، أحمد محمود صبحي : ١١٨/١ ، التنبيه والـرد على أهل الأهواء والبدع ، للملطي : ٤٩ وما بعدها .

فصار العقاب عندهم أعلى حالات الوجوب من الثواب ، فإن الثواب عندهم لا يجب إلا من حيث الجود) [1].

وبهذا يتبين لنا أن قول البغداديين من المعتزلة يقتضي عدم إيجاب الثواب علـى ا تعالى إلا من حيث الجود ، ويرى البغداديون أن الثواب لا يكون مستحقاً على مشقة يكلف بها المكلف ، لجواز أن يكلف ا العباد مالا مشقة عليهم فيه ، فيستحقون الثواب على ذلك ، كما هو الحال في معرفة ا تعالى ونحوها ، فلا مشقة تذكر في ذلك ولكن الثواب عليها عظيم جداً ، فهم يوجبون الثواب على ا تعالى ولكنه إيجاب من حيـث الجود .

أما البصريون فإنهم يوجبون الثواب وجوباً عقلياً في مقابلة التكاليف ، وبينوا أنه شيء أكبر من مجرد المدح ، وردوا على البغداديين قولهم إن الثواب مستحق من حيث الجود ، فالجود هو التفضل ، والتفضل ضد الاستحقاق والضدان لا يجتمعان في حكـم العقل [2] .

ويرى المعتزلة أن الثواب يسقط بأمرين :

أولاً : أن يندم الفاعل للطاعة على فعله.

وهذا مجمع عليه عند المعتزلة وغيرهم ، لأن الندم على فعل الطاعة نكـوص إلى معصية ، وردة عن الطاعة فلا يستحق عليها الثواب.

ثانياً : أن يقترف معصية أعظم من العمل الذي سيثاب عليه.

وهذا مرتبط عندهم بمرتكب الكبيرة ، فالمعتزلة ترى أنه فاسق وتوجب عليـه الخلود فيه النار ، حتى لو كانت له حسنات [3].

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦٤٤.

(٢) المصدر نفسه : ٦٤٥ .

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦٤٢ .

أدلة المعتزلة على وجوب الثواب :

أولاً : لو كان المطيع يستحق على فعله المدح فقط ، والمدح يمكن إيصاله فـي الدنيا دون الإعادة لكان لا يثبت للإعادة وجه ، ولما كان من المقطوع به المستقر فـي النفوس أن ا يعيد الأحياء فلا بد إذاً من استحقاق الثواب وإيصاله إلى مستحقيه بعـد الإعادة (١).

ثانياً : لو لم يكن الثواب واجباً على ا ومستحقاً للعبد لقبح مـن ا تعـالى أن يوجب على العبد الأعمال الشاقة ، فإلزام العبد الأمور الشاقة من ا تعالى أوجب عليه الثواب على ذلك (٢).

ثالثاً : إن التكليف إما أن يكون لا لغرض ، وهو عبـث وقـبح ، وخـصوصاً بالنسبة إلى الحكيم ، وإما أن يكون لغرض وحينئذ إما أن يعود إلى ا وهو منزه عنـه ، أو يكون عائداً إلى العبد إما في الدنيا فيكون مشقة بلا حظ وإما في الآخرة ، وهـو إمـا إضراره وهو باطل وقبيح من الجواد الكريم ، وإما منفعة وهو المطلـوب ، وإيـصال ذلك النفع واجب لئلا يلزم نقض الغرض لأنه إن لم يكن واجباً لنُقض وجـه التكليـف وهو الثواب (٣) .

رابعاً : الآيـات الدالـة على ترتيـب الثواب على الأفعال ، ومن ذلك قوله تعالـى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ (٥).

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦١٦.

(٢) المصدر نفسه : ٦١٦ .

(٣) انظر المختصر في أصول الدين ، للقاضي عبد الجبار : ٢٢٩.

(٤) سورة الواقعة ، آية : ٢٢ – ٢٤.

(٥) سورة النبأ ، آية : ٣٦.

قول المعتزلة في العقاب :

سبق بيان تعريف المعتزلة للثواب بأنه منفعة مستحقة ، ولذلك كان واجباً ، أما العقاب فهو : (ضرر مستحق) فهو واجب أيضاً.

واختلف المعتزلة فيما يقع عليه العقاب من الفعل أو الترك على قولين :

القول الأول : ذهب إليه أبو علي الجبائي وهو أن القادر بالقدرة لا يخلو من الأخذ والترك ، فلا ثواب إلا على فعل الطاعة ، ولا عقاب إلا على فعل المعصية ، ولا يمكن أن يخلو القادر عن أحدهما.

القول الثاني : ذهب إليه أبو هاشم والقاضي عبد الجبار وهو أن عدم الفعل كالفعل ، في أنه جهة لاستحقاق الثواب والعقاب ، فإذا لم يفعل الطاعة استحق العقاب ، وإذا لم يفعل المعصية استحق الثواب.

ويستدل القاضي على ذلك بأنه متى علمنا إخلاله بالواجب علمنا استحقاقه الذم ، وإن لم نعلم شيئاً آخر ، كمن كان عنده وديعة وطولب بالرد فاستلقى على قفاه وتثاقل ولم يرد فقد استحق الذم كما لو ظلم صاحب الوديعة أو العطية ، وليس هنا ما يعرف به الذم سوى إخلاله بالواجب وهو عدم فعل الواجب [1].

ويبدو أن الخلاف لفظي ، لأن من أخل بالطاعة يقال له : لم يفعل الطاعة ، أو إنه فاعل للمعصية ، وعلى رأي أبي هاشم والقاضي هو مستحق للعقاب لأنه لم يفعل الطاعة ، وعلى رأي أبي علي هو مستحق للعقاب لأنه فاعل للمعصية.

ويرى المعتزلة أن العقاب يسقط لأحد الأمرين :

الأول : الندم على الفعل المستحق للعقاب.

وهذا الندم هو أول ما يدعو العبد إلى التوبة ، والتوبة تمحو الذنب والمعصية ، وهذا مجمع عليه عند المعتزلة وغيرهم .

الثاني : عمل طاعة تفوق المعصية التي استحق بها ذلك العقاب .

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦٣٨.

وزاد البصريون أمراً ثالثاً وهو : العفو من ا تعالى [1] .

أما البغداديون فقد اعترضوا على هذا ومنعوا جواز عفو ا تعالى عن العصاة، بدون توبة ، يقول القاضي عبد الجبار : (اعلم أن البغدادية من أصحابنا أوجبت علـى ا تعالى أن يفعل بالعصاة ما يستحقونه لا محالة ، وقالت لا يجوز أن يعفو عنهم)[2].

ولهذا كان العقاب عند البغداديين أعلى حالاً مـن الثـواب ، أمـا البـصريون فيتمسكون بجواز إسقاط العقاب بالعفو.

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦٤٤.

(٢) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦٤٥.

أدلة المعتزلة العقلية على وجوب تحقيق الوعيد :

أولاً : إن ا تعالى أوجب علينا الواجبات وأمرنا باجتناب المقبحات ، وعرفنا وجوب ما يجب وقبح ما يقبح ، ووجه ذلك أننا إذا أخللنا بهذه الواجبات أو أقدمنا على خلافها من المقبحات استحققنا من جهته ضرراً عظيماً ، فتكون الحكمة في هذا الإيجاب وهذا التعريف وجوب العقاب عند الإخلال بالواجب أو الإقدام على القبيح [(١)].

ثانياً : إن ا خلق فينا شهوة القبيح ونفرة الحسن ، فلو لم يكن في مقابل ذلك من العقوبة ما يزجرنا عن الإقدام على المقبحات ويرغبنا في الإتيان بالواجبات لكان في ذلك إغراء بالقبيح ، ولا يجوز ذلك على ا تعالى [(٢)].

ثالثاً : العفو عن صاحب الكبيرة وترك عقابه عند البغداديين يؤدي إلى التسوية بين المطيع والعاصي ، وهذا قبيح لا يليق با تعالى [(٣)].

رابعاً : لو لم يعاقب ا تعالى مرتكب الكبيرة للزم في ذلك الخلف في وعيده والكذب في خبره ، وهما محالان على ا تعالى ذلك لأنه أوعد بالعقاب [(٤)].

خامساً : الآيات الدالة على وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب ، ووجه الدلالة في ذلك أنه لو لم يجب الثواب والعقاب لكان لا يحسن الوعد والوعيد بهما [(5)].

سادساً : قوله تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [(٦)].

وبناء على هذا الأصل وذاك فقد لزمهم لوازم باطلة ، وكان أهمها قولهم بخلق العباد لأفعالهم ، وإخراجها عن عموم خلق ا .

---

(١) شرح الأصول الخمسة : ٦١٩ – ٦٢١.

(٢) المصدر نفسه : ٦١٩.

(٣) انظر شرح المطالع لأبي الثناء الأصفهاني : ٢٢١ نقلاً عن رسالة : تنزيه ا عما أوجبه عليه المعتزلة : ٢٦٠.

(٤) المصدر نفسه : ٢٢١.

(5) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦٢١.

(٦) سورة ق ، آية : ٢٩.

مذهب المعتزلة في خلق أفعال العباد :

نظراً لأن الثواب والعقاب هو محصلة أفعال العباد ، ونتيجة أعمالهم فقد كـان لأفعال العباد ارتباط بموضوع العدل الإلهي في الثواب والعقاب ، ولذلك اتفق المعتزلة على القول بخلق العباد لأفعالهم ، ونفوا أن يكون ا خالقاً لأفعال العباد ، وذلـك لأن أفعال العباد منها ما هو قبيح ، وا تبارك وتعالى منزه عن القبائح ، فـلا يجـوز أن يكون خالقاً لأفعال العباد ، وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار : (اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفاتهم وقيامهم ومقصودهم حادثة من جهـتهم وأن ا - عز وجل - أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم وأن مـن قـال إن ا سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه)[1].

وعلى ذلك فأفعال العبـاد تضاف إلى العباد فقط ، ولا يضاف إلـى ا منهـا شيء ، ولا توصف بأنها من ا ، أو من قبله ، أو من جهته ، أو من خلقه ، بل هـي من خلق العبد و إحداثه ، أما قول القاضي عبد الجبار : (إن ا عز وجـل أقـدرهم على ذلك) فإن المقصود به أن ا تعالى قد أمر العباد وكلفهم بالأعمال الـصالحة ، وهيأ لهم قيامهم بأفعالهم وخلقهم لها وذلك بأن أحياهم بعد العدم وأقدرهم بعـد العجـز وأزاح عنهم العلل ووفقهم وأعانهم حتى يتمكنوا من خلق أفعـالهم وإيجادهـا ، فهـذه المقدمات من ا هي إقدار منه للعبد.

والسؤال الذي يرد الآن : هل قدرة على فعل العبد ؟

والجواب : أنه تقدم بيان قول المعتزلة بقدرة ا تعالى على ما لو فعلـه لكـان ظلماً قبيحاً ، ولكنه سبحانه وتعالى لا يفعله ، وكذلك أفعال العباد فإنه سـبحانه يقـدر عليها ولكنه لا يفعلها ولا يختارها لأن فيها ما هو ظلم وقبيح وا لا يفعل القبيح مـع قدرته عليه ، فهذه الأفعال من خلق العباد ، وهم المحدثون والموجدون لها.

والسؤال الآخر : هل خلق ا قدرة العبد على الفعل ؟

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ٨/ ٣.

والذي يظهر لي أن المعتزلة لا ينفون خاق ا لقدرة العبد ، فالذي نفوه هـو أن يكون ا خالقاً لأفعال العباد أو فاعلاً لها ، ولكنهم أثبتوا خاق ا لقدرة العباد ، والتي تمكنهم من الفعل والإحداث والإيجاد ، ويدل على ذلك قول القاضي عبد الجبار : (إن الفائدة تحت وصفنا ا تعالى بأنه أقدرنا على هذا الشيء ، هي أنه أوجد فينـا القـدرة التي شأنها أن تتعلق بهذا المقدور والمخصوص) [1] .

ولكن رغم اعتراف المعتزلة بأن ا تعالى هو الخالق لقدرة العبد إلا أنهم يرون أن هذه القدرة المخلوقة في العبد من جهة ا هي من المقدمات التي تؤهل العبد لخلـق فعله وليست سببا في كون أفعال العباد من جهة ا ، وإنما يرون أن إقدار ا لعبـاده هو من قبيل تهيئة العبد للقيام بفعله وخلقه و إيجاده.

ولذلك فإن أفعال العباد لا توصف بأنها من ا إلا من هذا القبيل ، أمـا خلقهـا وإحداثها فهي من العبد فقط ، ولا مدخل لقدرة ا في ذلك ، إضافة إلى أنهم يرون أن أفعال العباد من المعاصي لا توصف بأنها من ا مطلقـاً ، لأن ا تعـالى لا يريـد المعاصي ولا يقدرها.

أما الطاعة فإنها توصف بأنها من ا على ضرب من التوسع والمجاز ، بمعنى أنها حدثت من العبد بعد خلق العبد لها وإحداثه لها ، ولكن ا هو الذي أعانه ووفقـه على ذلك ، ويؤيد ذلك قول القاضي عبد الجبار : (إن أفعال العباد لا يجوز أن توصف بأنها من ا تعالى ومن عنده ومن قبله وذلك واضح ، فإن أفعالهم حدثت من جهـتهم وحصلت بدواعيهم وقصودهم ، واستحقوا عليها المدح والثواب والعقاب ، فلو كانت من جهته تعالى أو من عنده أو قبله ، لما جاز ذلك ، فإذن لا يجوز إضافتها إلى ا تعالى إلا على ضرب من التوسع والمجاز ، وذلك بأن تقيد بالطاعات فيقال إنها من جهة ا تعالى ومن قبله ، على معنى أنه أعاننا على ذلك ، ولطف بنا ووفقنا وعـصمنا عـن خلافه) [2].

(١) المحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار : ٣٦٤.

(٢) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٧٧٨ – ٧٧٩.

ويقول في موضع آخر : (إن القديم لم يكلف المعـدوم ولا العـاجز أن يـأتي بالفعل وهو على هذه الأحوال ، وإنما كلفه الفعل بعـد الإيجـاد والإحيـاء والإقـدار والتمكين وإزاحة العلة باللطف وغيره) [١].

ولذاك فإن المعتزلة لا يرون أن الإيمان نعمة من ا تعـالى ، ولا يجـوزون إطلاق هذا اللفظ ، حتى لا يتوهم أن الإيمان من خلق ا وإحداثه ، والإيمـان علـى مذهبهم من خلق العبد و إحداثه.

ولذاك فإن ا تعالى لا يستحق الشكر على نعمة الإيمان نفسها ، وإنما يـستحق الشكر على مقدماته لعبده من التوفيق والإعانة والتمكين وإزاحة العلل وغيرها ، فـإن القول بأن الإيمان نعمة من ا يوهم بأنه من خلق ا تعالى فلذاك امتنعوا عن القـول بذاك.

وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار : (إنا لا نقول أن القديم تعالى منعم علينـا بالإيمان لأن ذلك القول يوهم الخطأ ، فهو سبحانه وتعالى خلقنا وأحيانا و أقدرنا وأكمل عقولنا وخلق فينا شهوة القبيح أو نفرة الحسن ، وكلفنا وجعلنا بحيـث أمكننـا اختيـار الإيمان بدلاً من الكفر ، وعرضنا بذلك إلى درجة الثواب ، فكأنه هو الذي خلق الإيمان وأنعم به علينا ، إلا أنا لا نطلق القول بذلك لكونه موهماً للخطأ ، فإن ما عرف عنـدنا أنا لا نعني به أنه هو الذي خلق الإيمان فينا ، وهو لا يستحق الشكر عليه نفسه وإنمـا يستحق الشكر على مقدماته ، ولو لم يوهم ذلك لجوزنا إطلاق القول في ذلك) [٢].

ولذاك فلا يرى المعتزلة أن تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ولا أنه من يضلل ا فلا هادي له ، ولا من يهدي فلا مضل له ، لأن هذه أفعال العباد وهـم الخالقون لها ، أما هو سبحانه وتعالى فلم يخلقها فيهم وإنما أقدرهم عليها فقط [٣].

---

(١) المصدر نفسه : ٤١٠.

(٢) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٥٢٦.

(٣) انظر ص(٦٨٤) من هذا البحث .

ورغم اتفاق المعتزلة على أن العباد هم المحدثون لأفعالهم ، وأن ا ليس خالقاً لأفعال عباده ، إلا أنهم اختلفوا في إطلاق لفظ (الخلق) على أفعال العباد على ثـلاث مقالات :

أولاً : منهم من يرى أن معنى (خالق) أنه وقع منه الفعل مقدراً ، فهم يطلقون على العبد أنه خالق لأفعاله.

ثانياً : ومنهم من يرى أن الخلق هو الفعل لا بآله ولا بجارحة ، فهم لا يجوزون إطلاق القول بخلق الإنسان لأفعاله.

ثالثاً : ومنهم من يرى أن معنى (فاعل) و (خالق) واحد ، لكنهم لا يجوزون إطلاق كلمة (خالق) على الإنسان لأنهم يقولون بأن الشرع منع من إطلاقها [(١)].

ومن هؤلاء القاضي عبد الجبار ، وفي ذلك يقول : (أما تسمية أفعالنـا بأنهـا مخلوقة ، فغير جائزة على الإطلاق ، وقد منع السمع من إطلاق لفظ الخالق في العبد ، وإن كان من حيث اللغة لا يمتنع تسميته بذلك ، وليس يمتنع أن يكون محدثاً) [(٢)].

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري : ١/ ٢٩٨.

(٢) المحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار : ٤١٤.

أدلة المعتزلة على خلق العباد لأفعالهم :

استدل المعتزلة على خلق العباد لأفعالهم بعدد من الأدلة العقلية ، أمـا الآيـات التي أوردوها ، فلم يوردوها على سبيل الاستدلال على إثبات المدعى ، بل لإثبـات أن الأدلة النقلية جاءت موافقة لما توصلوا إليه بعقولهم ، وفرق بين الاثنين.

ومن هذه الأدلة ما يلي :

أولاً : إن أفعال العباد منها ما هو قبيح، مثل الظلم والكذب والمعاصي والفسوق، وا تعالى منزه عن القبائح وأفعاله كلها حسنة ، ولو كان ا تعالى خالقاً لأفعال عباده لكان فاعلاً للقبائح ، وإذا جاز أن يفعل بعض القبائح لجاز أن يفعل سائرها.

ثانياً : إن إثبات خلق ا لأفعال العباد فيه نسبة الظلم والجور إلى ا تعـالى ، وقالوا : لو كان ا خالقاً لأفعال عباده مريداً لها قد شاءها وقدرها عليهم ، ثم عـاقبهم عليها لكان ظالماً ، ولذلك فإن العباد هم الذين أحدثوا أعمالهم بأنفسهم ، ولذلك استحقوا العقوبة عليها ، فإن عاقبهم لم يكن ظالماً لهم.

فإثبات خلق العباد لأفعالهم يلقي بالمسؤولية على العبد ، ولا يكـون ا ظالمـاً بعقابه بعد ذلك ، وفي هذا تعظيم للتكليف والثواب ، والعقاب وإرسال الرسل.

ثالثاً : إن العاقل لا يشوه نفسه ولا يفعل ذلك بغيره ، ورب العالمين أولى أن لا يشوه نفسه أو أن يفعل القبيح بغيره أو يريده منه ، ولو كان ا خالقاً لأفعال عباده لكان ذلك تشويهاً منه سبحانه لنفسه ولعباده – تعالى ا عن ذلك – لأن في أفعال العباد مـا هو قبيح وهذا القبيح يشوه خالقه وفاعله ، ولذلك يجب تنزيه ا عن خلق القبـيح مـن أفعال العباد ، لأن فيها تشويهاً له ولعباده.

رابعاً : إنا نفصل بين المحسن والمسيء وبين حسن الوجـه وقبحـه ، فنحمـد المحسن على إحسانه ونذم المسيء على إساءته ، ولا تجوز هذه الطريقة فـي حـسن الوجه وقبحه.

والمقصود أن حسن الوجه وقبحه من خلق ا تعالى ، ولذلك لا نذم قبيح الوجه ولا نحمد حسن الوجه لأن هذا الأمر ليس من خلق العبد ، بل هو من إيجاد ا تعـالى

وخلقه . أما المحسن فإنه يحمد على أفعاله الحسنه ، والمسيء يذم على أفعاله القبيحة ، وذلك لأن العبد هو خالق أفعاله وهو موجدها ، فلذلك يقع عليه المدح أو الـذم ، ولـو تعلق با فإنه لا يلحقه ذم ولا مدح.

خامساً : إن هذه التصرفات تقع حسب حاجتنا ودواعينا ، وتنفى حسب صارفنا وكراهتنا ، فصح حاجة هذه التصرفات إلينا وتعلقها بنا [1].

أما الآيات القرآنية فقد أوردوها لتثبت أن أدلة الكتـاب موافقـة لأدلـة العقـل ومقررة، وليس على وجه الاستدلال والاحتجاج بها [2].

وزعموا أن جميع القرآن يشهد على صدق قولهم ، لأن جميع القرآن أو أكثـره يتضمن المدح والذم ، والوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، ولو كانت هذه التصرفات من جهة ا تعالى ، لكان لا يحسن المدح ولا الذم ، ولا الثواب ولا العقاب لأن المدح والذم والثواب والعقاب على فعل لا يتعلق بالممدوح أو المذموم ، أو المثاب أو المعاقب لا يحسن ولا يصح [3].

ومن هذه الآيات التي أوردوها :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [4].

قالوا : إن التفاوت المراد به في الآية من جهة الحكمة ، وذلك لأن التفاوت في الخلقة لا يخفى على أحد ، لأن اختلاف الخلق في خلقتهم وتفاوتهم فيها أمر ظـاهر ، ومن ذلك أفعالهم ، فإنها مختلفة باختلاف فاعليها أما أفعاله سـبحانه وتعـالى فهـي صادرة عن حكمة بالغة ، ولا تفاوت في حكمته تعالى في خلقه ، فالمنفي في الآية هو

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٣٢ وما بعدها.

(٢) انظر المصدر نفسه : ٣٥٥.

(٣) المصدر نفسه : ٣٥٩.

(٤) سورة الملك ، آية : ٣.

التفاوت في حكمة الله تعالى في خلقه بحيث يصدر منه ما هو حسن وما هو قبيح ، فهذا لا يليق بالله تعالى ، وإنما أفعاله كلها حسنة لا قبح فيها.

ولذلك فلا يجوز نسبة أفعال العباد إلى الله تعالى لأنها متفاوته من جهة الحكمة ، فمنها ما هو صادر عن حكمة فاعله ومنها ما يدل على سفه فاعله ونقص حكمته ، ولذلك فقد تنزه الله تعالى عن خلق هذه الأفعال.

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾ [1] .

قالوا : المراد أن جميع ما فعله الله فهو حسن ومعلوم أن أفعال العباد تشمل الحسن والقبيح ، فلا يجوز أن تكون مضافة إلى الله تعالى.

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [2].

قالوا : دلت الآية على أن أفعال الله كلها متقنة ، وأفعال العباد منها ما هو غير متقن ، وبذلك فلا يجوز أن يكون الله خالقاً لها.

رابعاً : قوله تعالى : ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [4] وقوله تعالى : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [5].

قالوا : لولا أن العبد يعمل ويصنع ويستحق على فعله هذا الجزاء لكان هذا الكلام كذباً ، وكان الجزاء على ما خلقه الله في عباده من الأفعال قبيحاً.

---

(١) سورة السجدة ، آية : ٧.

(٢) سورة النمل ، آية : ٨٨.

(٣) سورة الأحقاف ، آية : ١٤ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ٨٢ ، ٩٥.

(٥) سورة الرحمن ، آية : ٦٠.

خامساً : الآيات التي أضيفت فيها الأعمال إلى العباد بأنواع الإضافات المختلفة، ومن هذه الآيات :

قوله تعـالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [1].

قالوا : لولا أن الكفر والإيمان متعلقان بالعبد ومحتاجان إليه ، لما صـح هـذا الكلام ، ولكان بمثابة أن يقول : فمن شاء فليسود نفسه ومن شاء فليبيض نفسه ، وهذا لا يصح لتعلق السواد والبياض بفعل الله تعالى بخلقه ولخروجه عن اختيار العبد ، أما الإيمان والكفر فإنه من خلق العبد وموقوف على اختياره فلذلك تعلقت به مشيئة العبـد وأضيفت إليه.

ومن ذلك الآيات التي جاءت على وجه التوبيخ والاستعجاب من أفعال العبـاد ، فقد أضيف الفعل إلى العبد ثم حدث له التوبيخ والاستعجاب.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [2] وقوله تعـالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [4].

فهذا التعجب والتوبيخ لا يصح ولا يحسن لو كانت أفعال العباد مـن خلـق الله ولكن لما كانت هذه الأفعال من خلق العبد ومن إيجاده ، وهي متعلقة به وموقوفة على

(1) سورة الكهف ، آية : ٢٩.
(2) سورة المدثر ، آية : ٤٩.
(3) سورة الحديد ، آية : ٨.
(4) سورة البقرة ، آية : ٢٨.

اختياره فإنه يصح الاستعجاب والتوبيخ عليها . وإلا كان تعالى كمن يتعجب من فعلـه ويوبخ نفسه على فعله – تعالى ا   عن ذلك علوا كبيرا- .

والحاصل أن المعتزلة قد اجتهدوا في تقرير العدل الإلهي ، حتى أنهـم أطلقـوا على أنفسهم مسمى (العدلية) اعتقاداً منهم أنهم قد أثبتوا العدل الإلهي الذي لم يستطع غيرهم أن يثبته على حد زعمهم.

وكان من أكبر نتائج مذهبهم في العدل هو قولهم بخلق العباد لأفعالهم وتنـ ـزيه ا   عن خلق أفعال العباد لما تحتويه من ظلم وفساد.

المبحث الثالث :

نقد مذهب المعتزلة في العدل الإلهي.

يكتسب العدل الإلهي أهمية كبرى لدى المعتزلة لكونه الأصل الثاني من أصولهم الخمسة التي عرف بها مذهب الاعتزال .

وتظهر أهمية هذا الأصل لعلاقته بالقدر الإلهي ، وبقدرة الإنسان ، ولقد عـرف اهتمام المعتزلة بهذه المسائل ، وعرف مدى تفانيهم في تقرير ما توصلوا إليـه حتـى أطلق عليهم مسمى " القدرية " لنفيهم القدر ، وقولهم بقدرة الإنسان المستقلة في أفعالـه[1] ، كما أطلقوا هم على أنفسهم مسمى " العدلية " وهو اسم مديح اخترعوه ظناً منهم أنهم قد أصابوا في إثبات العدل الإلهي الذي ضل غيرهم في فهم معناه كما زعموا .

ولقد آثر المعتزلة تأخير هذا الأصل . وأعني به " العدل " – إلى المرتبة الثانية لما وجدوا أن الكلام في " التوحيد " – وهو الأصل الأول – أولى وأحرى وآثـر مـن الكلام عن العدل .

ولذلك كان التوحيد هو أول الأصول الخمسة عند المعتزلة ، وقرر فيه المعتزلة ما يجب أن يقوم با من الأسماء والصفات ، ومالا يجوز قيامه به ، وبعد فراغهم من الكلام عن التوحيد شرعوا في الكلام عن العدل .

وكأنهم أرادوا تنزيه ا في أسمائه وصفاته في أصلهم الأول ، ثم ثنوا بتنزيـه ا في أفعاله وما يجوز عليه وما لا يجوز [2] في أصلهم الثاني ، ثم تلا هذين الأصلين قولهم في الوعد والوعيد – وهو الأصل الثالث عندهم – والذي تـدور رحـاه حـول استحقاق العبد للثواب والعقاب وإيجاب ذلك على ا تعالى ، وهذا مما له علاقة وثيقة بموضوع بحثنا وهو العدل الإلهي ويأتي في المرتبة الرابعة بـين الأصـول الخمـسة الكلام في المنزلة بين المنزلتين – وهو أصلهم الرابع – وهو أول ما قالت به المعتزلة كما تروي لنا كتب الفرق ، وذلك عندما اعتزل واصل بن عطاء [3] مجلـس الحـسن

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ، للبغدادي : ٦١٥ .

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٠١ .

(٣) واصل بن عطاء الغـزال ، أبو حذيفة ، من موالي بني حنبة أو بني مخـزوم ، ولـد سـنة ٨٠هـ ـ ، رأس المعتزلـة ، سمى أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري ، ومنهـم طائفة تنسب إليه ، تسمى " الواصلية " وهو الذي نشر مذهب " الاعتزال " ، توفي سنة ١٣١هـ . انظر وفيات الأعيان : ١٧٠/٢ ، لسان الميزان : ٢١٤/٦ ، الأعلام : ١٠٩/٨ .

البصري [1] وقال بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الـدنيا ، أمـا فـي الآخرة فهو خالد مخلد في النار [2].

ومن الواضح أن هذا القول له علاقة وطيدة بموضوع العدل الإلهي بالنظر إلى قدرة العبد على أفعاله وأنه هو المسئول عنها ، ولذلك لا يعد الله ظالماً لصاحب الكبيرة إذا أخلده في النار ولم يخرجه منها ، فإنه سبحانه إنما حاسبه على ما فعله العبد بقدرته ومحض اختياره ، وبذلك يتم تنزيه الله عن الظلم .

إضافة لما لهذا الأصل من علاقة بموضوع استحقاق الوعد والوعيـد وأنـه لا محيص عن إنفاذ الوعد والوعيد ، فالوعد بالثواب يجب على الله إيجابـاً عقليـاً عنـد المعتزلة ، والوعيد بالعقاب يجب عليه إيجاباً عقلياً أيضاً ولابد من إنفاذهما ولا يجـوز الخلف فيهما.

وهذا ما أدى إلى إطلاق مسمى " الوعيدية " على بعض المعتزلة (البغـداديون منهم) لتمسكهم بنصوص الوعد والوعيد.

وجدير بالذكر أن هذه الأصول لم تكن مرتبة عند ظهور المعتزلة ولكن أجمـع المعتزلة بعد ذلك على ترتيبها والدفاع عنها والإيمان بها ، و إلا لا يوصف المتكلم بأنه معتزلاً ما لم يؤمن بها كاملة مرتبة [3] .

وليس هنا موضع الحديث عن هذه الأصول وبسط ما حوته من حق أو باطل ، وإنما أردت بيان علاقة هذه الأصول ببعضها ، وبيان مدى ارتباطها الوثيق بموضـوع البحث وهو " العدل الإلهي ".

وعود إلى الأصل – وهو نقد مذهب المعتزلة في العدل الإلهي ، فقد اجتهـدت المعتزلة في تقرير العدل الإلهي ، وحاولوا جاهدين التوصل إلى مفهوم للعدل الإلهـي يتم فيه تنزيه الله عن الظلم تنزيهاً مطلقاً آخذين بعين الاعتبار أن يكون هـذا المفهـوم

---

(١) الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد ، تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمانه ، ولد بالمدينـة عام ٢١هـ ، وتوفي سنة ١١٠هـ . انظر ميزان الاعتدال : ٢٥٤/١ ، الأعلام : ٢٢٦/٢ .

[2] انظر الفرق بين الفرق ، للبغدادي : ١١٨-١١٩ .

[3] انظر تصدير شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦ .

مستنداً على أصولهم بحيث لا يناقضها ولا يتعارض معها.

وقد سبق ذكر معنى العدل عند المعتزلة بصفة عامة : (وهو توفية حق الغير، واستيفاء الحق منه) وهذا التفسير يتفق مع المعاني اللغوية والشرعية ، لما يتضمنه من معاني الوفاء والاستقامة والمساواة وتجنب الجور . أما العدل الإلهي عند المعتزلة فكان له معنى خاص وهو : (أنه سبحانه لا يفعل القبيح ، ولا يخل بما هو واجب عليـه ، وأن أفعاله كلها حسنة) ، وفي هذا المعنى يظهر جلياً تنزيه المعتزلة تعالى عن فعل القبائح ونحوها ، ووصف أفعاله سبحانه كلها بالحسن ، ويدل هذا المعنى كذلك علـى تنزيه ا تعالى عن الإخلال بواجباته وهذا حق لا مرية فيه ، فإن أفعـال ا تبـارك وتعالى لا توصف إلا بالحسن ، أما القبيح فإنه سبحانه لا يفعله مع قدرته عليه ، كمـا أن ا سبحانه وتعالى لا يخل بما هو واجب عليه .

إلا أن المتأمل في دقائق هذا المعنى ، وما استند عليه من أصول فاسدة يعلم بما لا يدع مجالاً للشك خطأ المعتزلة في مفهوم العدل الإلهي ، وفي تصورهم له.

فقد اعتمد المعتزلة في وصف أفعال ا تعالى بالحسن على قولهم في التحـسين والتقبيح العقليين ، وقد سبق ذكر مذهب المعتزلة في هذه المسألة ، وقولهم بأن الفعل له صفات ذاتية من الحسن أو القبح لا تنفك عنه . وليس للشرع دور في تحسين فعـل أو تقبيح آخر ، ولذلك فإنهم يعتقدون أن كل فعل حسن عقلاً يجب على ا تعـالى فعلـه وعدم تركه ، وكل فعل قبح عقلاً يجب على ا تركه وعدم فعله.

ولب خطأ المعتزلة هنا هو اعتمادهم على العقل فـي التحـسين والتقبـيح دون الرجوع إلى الشرع ، ثم تطبيقهم ذلك على أفعال ا تبارك وتعالى ، وبناء على ذلـك فقد أوجبوا على ا تعالى فعل كل الأفعال الحسنة التي لا ضرر فيهـا ، وتـرك كـل الأفعال القبيحة التي لا نفع فيها ، فأوجبوا عليه العوض عن الآلام ، واللطف بعبـاده ، وإرسال الرسل ، وإثابة المطيع استحقاقاً وعقاب العاصين اسـتحقاقاً ، فهـذه الأفعـال حسنة من ا تعالى ، ولهذا يجب عليه تعالى فعلها وعدم الإخلال بها حتى تكون أفعاله كلها حسنة . وإن كان في هذه الأفعال ما فيه ضرر مثل العقوبة والآلام إلا أنها مضار حسنة كما أطلقوا عليها ، وهذا يوافق ما ذهبوا إليه في تعريفهم الآخر للعدل وهو أن :

(ما يفعله الفاعل بغيره من المضار الحسنة) . فالعقوبة ضرر ولكنه ضرر حسن لأنه جاء في مقابل المعصية ، والآلام ضرر ، لكنه ضرر حسن لأن في مقابلـه أعـواض كثيرة ، عوض من الثواب ونحوه . وقولهم هذا مستند إلى قولهم بالإيجاب العقلي على ا بحيث لا يجوز له الإخلال بهذه الأمور والأفعال .

وهذا ما سيأتي الرد عليهم في دحض أدلتهم وإبطالها [١] .

وإذا تأملنا معنى " الحسن " الذي وصفوا به أفعال ا ، نجدهم يقـصدون بـه الحسن من جهة الحكمة ، أي أن أفعاله تعالى لابد أن تكون حكيمة ولا يجوز أن تخلو أفعاله من حكمة ، وهذا المعنى صحيح إلا أنهم جعلوا هذه الحكمة تعود على المفعـول ولا يعود إلى الفاعل منها شيء ولذلك قالوا في تعريف العدل : (هو ما يفعله الفاعـل بغيره. . .) فإن الفعل الحسن بالغير هو ما يوصف بالحكمة والحسن والعدل .

أما الفعل الحسن بالفاعل نفسه فلا يوصف بالحكمة ولا بالعـدل . وهـذا قـول خاطئ فإن ا تبارك وتعالى له في أفعاله حكمة تعود إليه ، وحكمة تعود إلـى عبـاده وسيأتي بيان ذلك والرد على المعتزلة ونقد أدلتهم [٢] .

فهذه هي الأفعال الحسنة التي وصف المعتزلة ا تبارك وتعالى بهـا . والتـي يجب عليه أن يفعلها حتى يصح كونه عادلاً .

أما الأفعال القبيحة التي تحتوي على الأضرار المحضة فإنه تعالى لا يفعلها ولا يختارها وإلا كان ظالماً ، فهو سبحانه لا يفعل القبيح ، ولا الأضرار التي لا نفع فيها ، ولهذا كان تعريفهم للظلم يوافق هذا المعنى وهو : (الضرر الذي لا نفع فيه) فتـرك العوض عن الآلام ضرر لا نفع فيه ، فهو قبيح ، وترك الإثابة أو العقوبة قبيح ، وترك إرسال الرسل ضرر لا نفع فيه فهو قبيح ، وترك اللطف بالعباد ضرر لا نفع فيه فهو قبيح ، وكل هذه الأفعال القبيحة لا يجوز أن تكون فعلاً ، وهي توصـف بالمـضار القبيحة في مقابل المضار الحسنة ، ولهذا فقد عرفوا الظلم أيضاً بأنـه : (مـا يفعلـه

---

[١] انظر ص (١٥٩) من هذا البحث .

[٢] انظر ص (١٤٧) من هذا البحث .

الفاعل بغيره من المضار القبيحة) .

فإن إيلام العباد بدون عوض يعد ضرراً لا نفع فيه ولا دفع ضرر فهـو مـن المضار القبيحة ، وتكليف العباد مالا يطاق يعد ضرراً لا نفع فيه ولا دفع ضرر ، فهو من المضار القبيحة ، وقس على ذلك ترك اللطف ، وترك إرسـال الرسـل ، وتـرك الثواب والعقاب .

فهذه المضار القبيحة فعل قبيح فلا يجوز أن تكون فعلاً تعالى . وهذه المعاني التي اختارها المعتزلة لتكون مفهوماً للعدل الإلهي أو الظلم الذي تنزه ا عنه تحمل في طياتها رغبة المعتزلة في تنزيه ذات ا تعالى ، وتنزيه أفعاله عن القبائح ووصفهم لها بالحسن ، إلا أنهم استندوا في أقوالهم هذه على أصولهم الباطلة من القـول بالتحـسين والتقبيح العقليين وإهمال دور الشرع في ذلك ، وقولهم بالإيجاب العقلي على ا تبارك وتعالى بحيث لا يمكن أن تكون أفعاله حسنة إلا كما يتصورها العقل ، ولا يمكـن أن تكون عدلاً إلا بفعل كل ما أوجبه العقل على ا تعالى ، وفي هذا تجرؤ على ذات ا تبارك وتعالى ، وقياس أفعاله بأفعال خلقه ، وهذا ما يعلم فساده شرعاً.

ثم إن الظلم الذي نزهوا ا عنه جعلوه ظلماً من جنس ظلم العباد ، فتجـدهم لا يستدلون إلا بأدلة عقلية يقيسون فيها الغائب على الشاهد ، ويشبهون أفعال ا بأفعـال خلقه ، فإنهم يعتقدون أن العلل في إيجابها الحكم لا تختلف باختلاف العاملين كما تقـدم ذكر ذلك وهذه طريقة فاسدة في الاستدلال ، وإن كان المعتزلة قد أحسنوا فـي إثبـات قدرة ا تعالى على الظلم ، وأحسنوا في نفيهم ذلك عنه ، إلا أنهم قد أساءوا في طريقة استدلالهم على الظلم ، وأخطئوا في تعريفهم له .

ويظهر خطأ المعتزلة جلياً واضحاً في تعريفهم للظلم ، بالنظر إلى الشروط التي وضعوها . فإن هذه الشروط قد حوت بين طياتها معانٍ فاسدة ، واستندت على أصول باطلة . فقولهم : إن الظلم لابد أن يكون ضرراً لا نفـع فيـه ولا دفع ضرر ، يتضمن

إيجابهم على ا تعالى فعل كل أمر حسن فيه نفع للعباد ، وترك كل فعل قبـيح فيـه ضرر محض ، وعدم إخلاله تعالى بهذه الواجبات و إلا كان ظالماً غير عادل . وهـذا قول فاسد مبني على أصلهم في الإيجاب العقلي على ا تعالى .

أما قولهم : إن الظلم ضرر غير مستحق فقد انتقده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى بقوله : (إنه منتف في حق ا تعالى) [1] والذي يدل على فساده أنهم قالوا : إن ا لو قدر الذنوب على العبد ثم عاقبه عليها لكان ذلك الفعل إضراراً غير مستحق ، وا تعالى تنزه عن ذلك . [2] وهذا يوضح اعتماد قولهم على نفي القدر وإخراج أفعال العباد عن عموم خلق ا تعالى ، وعلى مذهبهم فإن الذنوب من تقدير العبد ومن خلقه ، فلو عاقبه ا تعالى عليها ، لم يكن ظالماً له ، لأن هذا ضرر مستحق ، وهذا قول فاسـد نتج عن سوء فهم للمعاني ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء ا [3].

أما قولهم : إنه ضرر من جهة غير المضرور به ، فإنه لا يصح في حـق ا تعالى ، ومفهوم قولهم هذا أن الضرر إذا لحق بالعبد بالعقوبة على المعصية من جهـة ا تعالى فلا يعد ظلماً منه تعالى ، لأنه ضرر من جهة المضرور به ، وأما إذا كـان الضرر الذي لحق بالعبد من جهة ا تعالى وكان العبد طائعاً لم يذنب ولم يقترف معـصية فإن هذا يعد ظلماً ، لأنه ضرر من جهة غير المضرور به ، فكأنهم قـالوا : إن ا تعـالى يتضرر بالمعصية ، فإذا عاقب عبده على المعصية لم يكن ظالماً له لأنه مضرور به وهـذا العقاب ضرر من جهة المضرور به فلا يعد ظلماً ، والحق أن هذا القول في غاية الفـساد ، ولا يصح في حق ا تعالى ، فإن ا تعالى لا يلحقـه ضـرر ولا حاجـة ، ولا يتـضرر بمعصية العاصي ، ولا ينتفع بطاعة المطيع ، وإنما الذي يتـضرر بالمعـصية هـو العبـد العاصي نفسه ، والذي ينتفع بالطاعة هو العبد المطيع نفسه.

أما قولهم : إن الظلم يجب أن يكون ضرراً من جهة غير فاعل الضرر ، فقـد أوردوا عليه مثالاً مفاده أن ا تعالى لو أمات صبياً ألقي به في النار ، فهذا ليس ظلماً من ا تعالى ، لأنه فعل الإماتة ، ولم يفعل الإلقاء في النار ، وهذا القول صحيح مـن

---

(١) جامع الرسائل : ١٢٧/١ .

(٢) انظر المصدر نفسه : ١٢٧ .

(٣) راجع ص (١٩٥) من هذا البحث .

جهة نفي الظلم عن ا تعالى إلا أنه يتضمن أن ا لم يقدر للصبي هذا الموت ، ولـم يقدر فعل الجاني من الإلقاء والقذف في النار ، ولم يخلق هذه الأفعال .

وهذا قول باطل لاستناده على نفي خلق ا لأفعال العباد ، وأنه يقع في ملك ا مالا يريد .

وبعد هذا العرض والنقد لمفهوم المعتزلة للعدل والظلم يتبين لنا مدى ما وقع فيه المعتزلة من خطأ ، وما لزمهم من أقوال مناقضة للدين ومخالفة للشرع . وهـذا ممـا يؤكد فساد طريقتهم في الاستدلال ، وبطلان ما توصلوا إليه بعقولهم دون الرجوع إلى الشرع .

نقد استدلال المعتزلة على إثبات العدل الإلهي ونفي القبح عن الله تعالى .

استدل المعتزلة على إثبات العدل الإلهي ، بوصف أفعاله تعالى بالحسن ، ونفي القبح عنه تعالى بدليل عقلي وهو : أنه تعالى عالم لذاته ، مستغن عن القـبح ، عـالم باستغنائه عنه ، ومن كان هذا حاله فإنه لا يفعل القبيح ولا يختاره .

هذا الدليل مبني على مقدمتين وهما :

الأولى : علمه تعالى وكونه عالماً .

الثانية : غناه تعالى .

أما علمه تعالى فإنه أمر لا خلاف فيه ، فالمعتزلة والسلف متفقون على كونـه تعالى عالماً ، وإن كانت المعتزلة نفت أن يكون عالماً بعلم ، وإنما هو عـالم لذاتـه ، وهـذا أمر مخالف للآيات الصحيحة التي أثبتت أنه تعالى عالم بعلـم ، ومنهـا قولـه تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [1] وغيرها . إلا أنه ليس هنا محل ذكر الخلاف مع المعتزلة في هذا ، والذي يهمنا هو إثباتهم كونه تعالى عالماً ، وهذا أمر لا نزاع فيه ، بل هو أمر متفق عليـه ، فلا يوصف تعالى بالحاجة ولذلك قال تعـالى : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3] وغيرها من الآيات الكثيرة التي وصف ا بها نفسه بأنه غني لا تطرأ عليه الحاجـة . ولكـن الدليل الذي استدلت به المعتزلة لا يصح في الاستدلال على أنه تعالى عدل ، وأنـه لا يختار القبيح ، لأن ا سبحانه وتعالى مستغن عن القبيح وعن الحـسن وعـن سـائر الأفعال .

ولو صح قول المعتزلة في كونه تعالى لا يفعل القبيح لاستغنائه عنه ، للزم أنـه

---

(1) سورة النساء ، آية : ١٦٦ .

(2) سورة الحج ، آية : ٦٤ .

(3) سورة العنكبوت ، آية : ٦ .

لا يفعل أي فعل لاستغنائه عن سائر الأفعال ، ولعلمه بها .

ولو صح ما استدلوا به لصح أن يقال : إن ا تعالى عالم بالحسن ، وهو مستغن عنه ، ومن كان هذا حاله فإنه لا يفعل الحسن ولا يختاره لعلمه به ولاستغنائه عنه .

وبهذا اعترض عليهم معارضوهم فقالوا : (كيف يمكنكم قياس الغائـب علـى الشاهد ، ومعلوم أن أحدنا كما لا يختار القبيح إلا لجهله بقبحه وحاجته إلى ذلك ، كذلك لا يختار الحسن إلا لجر منفعة أو دفع مضرة ، فقولوا مثله في الغائب . ولئن فـرقتم بين الموضعين في تلك المسألة ، فافرقوا بينهما في هـذه المـسألة) [1] ورد علـيهم المعتزلة بأن أحدنا يختار الحسن لجر منفعة أو دفع مضره ، ولأنه إحسان ، وذكر أبو الهذيل جواباً آخر وهو أن ا تعالى عالم بالحسن وفاعل له ، إما لحاجة وذلك مستحيل عليه ، أو لكونه حسناً مثالاً لذلك وهو أن أحدنا لو خير بين الصدق والكذب ، وكـان النفع في أحدهما كالنفع في الآخر فإنه لا يختار إلا الصدق لعلمه بحسنه ولكونه إحساناً [2] .

إذاً فقد فرق المعتزلة بين المسألتين بأن ا يختار الحسن ولا يختـار القبـيح ، لصفة ذاتية في الفعل تقتضي أنه حسن ، وا تعالى عالم بها فلا يختار إلا الحسن لحسنه فقط ولكونه إحساناً ، وهذا مبني على إثباتهم صفات ذاتية للأفعال من الحسن أو القبح .

وفي رأيي فإنه لا فرق بين الفعلين في استدلالهم ، فإن استدلالهم يلـزمهم بـأن يقولوا في الحسن مثل ما قالوه في القبيح ، ولا شك أن الحسن والقبح صفات ذاتية فـي الأفعال يدركها العقل ، ولكن استدلال المعتزلة هذا المبنى على هاتين المقدمتين ، لـم يكن فيه تفريق بين الحسن والقبيح ، ولذلك كان هذا الدليل ركيكاً ، لا يقوى الاستدلال به على عدله سبحانه وعلى كونه تعالى لا يفعل القبيح .

وكان الأولى والأحرى بالمعتزلة أن يستدلوا على عدله سبحانه وتعالى ، وعدم فعله تعالى للقبيح ، وعلى أن أفعاله حسنه بما جاء في آيات القرآن الكريم من وصـفه تعالى بالعدل ومن ذلك قوله تعـالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ

---

[1] شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٠٦- ٣٠٧ .
[2] المصدر نفسه : ٣٠٧ .

قَآئِمَاً بِٱلْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [١] .

وقوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٤] .

أما الاستدلال بالعقل وحده على صفات الله تعالى وعلى أفعاله فلا يصح بحال ، فإن الأدلة الشرعية قد دلت على عدله سبحانه ، وعلى إثبات صفة العدل له تعالى ، وجاءت الأدلة العقلية مؤيدة للأدلة الشرعية القطعية ، ولم تناقضها وهذا هو الصواب في الاستدلال ، أما الاعتماد على الأدلة العقلية بعيداً عن الشرع فهو مما أخطأ فيه المعتزلة، ولذلك كان استدلالهم ضعيفاً وإن كان فيه معانٍ حسنة ، إلا أنه لم يسلم من القوادح والمناقضات .

فالطريقة العقلية التي استدل بها المعتزلة طريقة خاطئة مبنية على تقديمهم للعقل على النقل، فإنه لا يجوز عندهم الاستدلال على هذه المسائل بالسمع . لأن كونه تعالى عدلاً حكيماً لا يثبت عندهم إلا عقلاً ، لأن الدليل عندهم على صدق القرآن الكريم هو كونه معجزة ، والله تعالى لا يظهر المعجزات على أيدي الكذابين وذلك لحكمته في أفعاله. فالدليل على صدق القرآن هو كون الله حكيماً فكيف يستدل بالقرآن مرة أخرى على حكمته وعدله [٥] ؟ !

ولهذا فإنهم يرون أن الاستدلال بالآيات الكريمة على هذه المسائل متعذر وبعيد، وإن أوردوا بعضاً من الآيات ، فإنما هي لإثبات موافقة أدله الكتاب لأدلة العقل ، فهي ليست للاستدلال وإنما للاستئناس .

---

[١] سورة آل عمران ، آية : ١٨ .

[٢] سورة البقرة ، آية : ١٣٨ .

[٣] سورة المائدة ، آية : ٥٠ .

[٤] سورة النحل ، آية : ٩٠ .

[٥] انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٥٥ .

وهذا خطأ فادح ، وطريقة فاسدة في الاستدلال ، فإن إثبات فعل العدل وصـفة العدل ، وتنزهه تعالى عن الظلم جاءت في آيات كثيرة في القرآن الكريم وفي أحاديث صحيحة في السنة النبوية ، وإن كان العقل يدرك تنزهه تعالى عن الظلم ، واتـصافه بالعدل إلا أن الأدلة العقلية موافقة للأدلة النقلية القطعية ومقررة لها ، وليس العكـس . ثم إن تفاصيل صفات الرب تعالى وأفعاله لا تعلم إلا بالطريقة الشرعية ، وهـذا أحـد الأصول التي أرسل ا تعالى لأجلها الرسل وأنزل الكتب كما سيأتي بيان ذلك [1].

ومما سبق يتبين لنا خطأ المعتزلة في استدلالهم على إثبات العدل الإلهي ، ممـا أدى إلى الخطأ في تصورهم للعدل الإلهي وتنزيهه عن الظلم ، فأساءوا إلـى ذات ا تعالى من حيث أرادوا أن ينزهوه .

وبذلك يظهر لنا جلياً أن مفهوم المعتزلة للعـدل الإلهـي ، وتـصورهم لـه ، ومفهومهم للظلم ، واستدلالهم العقلي على ذلك ، قد قام على أساس ثلاثة أصول :

أولاً: قولهم بأن حكمة ا تعالى تعود على المفعول ولا تعود على الفاعل .

ثانياً: قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين للأفعال والمنع من دور الشرع في إدراك ذلك.

ثالثاً: قولهم بالإيجاب العقلي على ا تعالى.

وبناء على ذلك فقد لزمهم القول بخلق العباد لأفعالهم ، وهذا من أهم النتائج التي توصل إليها المعتزلة.

وقد سبق بيان مذهب المعتزلة في هذه المسائل وبسط أدلتهم فيها ، وفيما يلـي الرد عليهم ونقد أقوالهم ، ودحض شبهاتهم ، وإبطال أقوالهم .

نقد موقف المعتزلة من الحكمة الإلهية :

إن مما لا شك فيه أن ا سبحانه وتعالى حكيم لا يفعل شيئاً عبثـاً ، ولا يفعـل فعلاً بلا معنى ولا مصلحة ولا حكمة ، فالحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل ، فأفعالـه

---

[1] راجع ص (٤٤٤) من هذا البحث .

كلها صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل .

وقد بين ا سبحانه وتعالى ذلك في كتابه الكريم حيث قـال تعـالى : ﴿ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [2].

كما أنه تعالى أخبر في كتابه الكريم أنه فعل كذا لكذا ، وأنه أمر بكذا لكذا ، فهذا مما يدل على أن أفعاله دائماً معللة بالحكم والمصالح ومن ذلك قولـه تعـالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [4].

كما جاءت بعض الآيات صريحة في ذكر العلل والحكم من الأفعال بذكر(كي) و (من أجل) و(لعل).

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ

---

(1) سورة القمر ، آية : ٥ .
(2) سورة الفتح ، آية : ٧ .
(3) سورة الطلاق ، آية : ١٢ .
(4) سورة آل عمران ، آية : ١٢٦ .

ءَاتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [2].

وقوله تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [3].

ثم إنه تعالى أنكر على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا حكمة كقوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [4].

وقوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [5].

وهذا إنما يدل على أنه تعالى لا يفعل إلا لحكمة عظيمة وغاية محمودة وعواقب محبوبة ومطلوبة ، ولذلك فقد نفى العبث عن أفعاله ، فحكمته سبحانه وتعالى تتنافى مع العبث واللهو .

وقد سبق بيان مذهب المعتزلة في الحكمة الإلهية فقد كان رأيهم يوافق ما عليـه السلف من إثبات حكمة ا تعالى في أفعاله ، ولكنهم خالفوا السلف في عدة وجوه :

أولاً : استدل المعتزلة على إثبات الحكمة بأدلة عقليه فقط ، ولـم يلتفتـوا إلـى الأدلة الشرعية مع أن فيها ما يكفي ويشفي . ولكنهم ساروا على ما دأبوا عليـه مـن الاستدلال بالأدلة العقلية دون الأدلة الشرعية ، لأن الاستدلال بالأدلة الشرعية في هذه

---

(1) سورة الحشر ، آية : ٧ .

(2) سورة المائدة ، آية : ٣٢ .

(3) سورة البقرة ، آية : ٢١ .

(4) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥ .

(5) سورة القيامة ، آية : ٣٦ .

المسائل متعذر عندهم وقد تقدم بيان ذلك [1] ، ومع صحة أدلتهم العقلية إلا أنهم أخطئوا في قياسهم الغائب على الشاهد ، كما أخطئوا في إعراضهم عن أدلة الكتاب والسنة .

ثانياً : إن الحكمة الإلهية من الفعل عند المعتزلة تعود على العبـاد ، ولا يعـود إلى ا منها حكمة ولا علة .

فالمقصود بالحكمة عندهم إحسانه تعالى إلى الخلق ومراعاة مصالحهم ، وقالوا : الحكيم لا يفعل إلا لينتفع أو ينفع غيره ، ولما تقدس تعالى عن الانتفاع تعين أنه إنمـا يفعل لينفع العباد ، فلا يخلو فعل من أفعاله من صلاح [2].

وهذا قول خاطئ والصواب أن الحكمة تتضمن شيئين :

أحدهما : حكمة تعود إلى ا تبارك وتعالى يحبها ويرضاها.

الثاني : حكمة تعود إلى عباده ، وهي نعمه عليهم التي يفرحـون بهـا . فلـه سبحانه حكمة في مخلوقاته ومأموراته.

فالطاعة مثلاً يفرح بها تبارك وتعالى ويحبها ويرضاها ، كما أن لهـا عاقبـه حميدة تعود إلى العباد في الدنيا والآخرة . فكل أفعاله له فيها حكمة تعود إليه ، وحكمة ورحمة تعود إلى عباده [3].

يقول ابن تيمية رحمه ا : (أنتم - أيها المعتزلة – متناقضون في هذا القـول لأن الإحسان إلى الغير محمود لكونه يعود منه على فاعله حكم يحمـد لأجلـه ، إمـا لتكميل نفسه بذلك ، وإما لقصده الحمد والثواب بذلك ، إما لرقه وألم يجده فـي نفـسه يدفع بالإحسان ذلك الألم .

وإما لإلتذاذه وسروره وفرحه بالإحسان فإن النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتـذ بالخير الذي يحصل منها إلى غيرها ، فالإحسان إلى الغير محمود لكون المحسن يعود إليه من فعله هذه الأمور حكم يحمد لأجله . أما إذا قدر أن وجود الإحـسان وعدمـه

---

(1) راجع ص (١٣١) من هذا البحث .

(2) انظر نهاية الإقدام ، للشهرستاني : ٣٩٧- ٣٩٨ .

(3) انظر مجموعة الفتاوى : ٢٥٢/٨ .

بالنسبة إلى الفاعل سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه ، بل مثل هذا يعد عبثـاً في عقول العقلاء ، وكل من فعل فعلاً ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عابثاً ، ولم يكن محموداً على هذا.

وأنتم عللتم أفعاله فراراً من العبث فوقعتم في العبث ، فإن العبث هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود إلى الفاعل) [1] والمقصود بما يعـود إليـه تعالى هو حبه ورضاه لتلك الحكم والمصالح ، ولا يصح أن يقال : إنه يعود إليه نفـع من تلك الحكم لأنه تعالى منزه عن الاحتياج والانتفاع بالغير .

ثانياً : إن المعتزلة أوجبوا على ا تعالى بمقتضى الحكمة أموراً ، ومنعوا عليه أموراً لمخالفتها مقتضى الحكمة . ولم يوافقهم السلف على ذلك لأنه لا يجب عليه شيء سبحانه إلا ما أوجبه هو على نفسه[2].

ثالثاً : إن إطلاق المعتزلة لفظ (الغرض) بمعنـى الحكمـة فـي حـق ا ، وتسميتهم الحكمة غرضاً لا يوافق عليه السلف ، فإن السلف الصالح يتقيدون بالألفـاظ التي ورد بها الشرع ، إضافة إلى أن لفظ الغرض قد يوهم النقص في حقه تعالى ، وقد أنكر شيخ الإسلام على المعتزلة إطلاقهم هذا اللفظ على حكمة ا تعالى وقال في ذلك.

(وأما لفظ الغرض فالمعتزلة تصرح به ، وأما الفقهاء ونحوهم فهذا اللفظ يشعر عندهم بنوع من النقص ، إما ظلم وإما حاجة ، فإن كثيراً من الناس إذا قال : فلان لـه غرض في هذا ، أو فعل هذا لغرضه أرادوا أنه فعله لهواه ومراده المذموم ، وا منزه عن ذلك ، فعبر أهل السنة بلفظ الحكمة والرحمة والإرادة ونحو ذلك ممـا جـاء بـه النص) ، [3] ثم إن لفظ " الغرض " من الألفاظ المبتدعة التي دخلت إلى دين الإسـلام بعد تأثر علومه بالفلسفة ، ولذلك يرى ابن القيم رحمه ا : أن لفظ الغرض بدعي لـم يرد به كتاب ولا سنة ولا أطلقه أحد من أئمة الإسلام وأتباعهم على ا [4].

---

[1] مجموعة الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ، رسالة أقوم ما قيل في الحكمة والتعليل : ١١٩- ١٢٠ .

[2] انظر ص (٤٠٢) من هذا البحث .

[3] منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣٢٠/١ .

(١) انظر مفتاح دار السعادة : ٦٦/٢ .

وبعد فقد تبين خطأ المعتزلة في مفهومهم لحكمة ا ، مما أدى بهم إلى وقوعهم في الخطأ في تعريفهم للعدل الإلهي وما لزمه من لوازم باطله.

نقد مذهب المعتزلة في التحسين والتقبيح العقليين :

لقد كان لمسألتي التحسين والتقبيح العقليين دور كبير في التـأثير علـى الفكـر المعتزلي في قضية العدل الإلهي ، فقد جعلوا الحسن والقبح صفات ذاتية للأفعال لازمه

لها ، وما الشرع إلا كاشف لهذا الحسن أو ذاك القبح .

وبناء على ذلك أخذوا يقيسون أفعال الله بأفعال العباد فجعلوا ما يحسن من العبد أو يقبح ، يحسن من الله أو يقبح . فشبهوا أفعال الله بأفعال العباد ، ثم أخرجوا من أفعال الله خلقه لأفعال عباده ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تقرير مسألة التحسين والتقبيح (إن الناس فيها على ثلاثة أقوال طرفان ووسط) . ثم يقول رحمه الله : (الطرف الأول : [1] قول من يقول : بالحسن والقبح ويجعل ذلك صفات ذاتية للفعل لازمة له ، ولا يجعل الشرع إلا كاشفاً عن تلك الصفات ، لا سبباً لشيء من الصفات فهذا قول المعتزلة وهو ضعيف . وإذا ضم إلى ذلك قياس الرب على خلقه ، فقيل : ما حسن من المخلوق حسن من الخالق ، وما قبح من المخلوق قبح من الخالق ، ترتب على ذلك أقوال القدرية الباطلة . وما ذكروه في التجوير والتعديل ، وهم مشبهة الأفعال ، يشبهون الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق في الأفعال ، وهذا قول باطل) [2].

والحقيقة أن المعتزلة قد أصابوا في إثبات الحسن القبح الذاتي للأفعال الذي هو مقتضى الضرورة الفطرية ، ومقتضى الدلالة القطعية للنصوص الشرعية ، فقد وردت النصوص بما يدل على أن الشرع جاء مطابقاً لصفات ذاتية ثابتة للأفعال قبل ورود الشرع ، ومنها قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [3].

فدلت الآية على إثبات الحسن والقبح الذاتيين قبل ورود الشرع ، لأن المعروف والمنكر والطيبات والخبائث هي أوصاف ثابتة لها قبل ورود الشرع.

ولكن مع إثبات الحسن والقبح الذاتيين للأفعال إلا أنه لا كفاية لنا عن الشرع

---

(1) في الأصل (الواحد) والصحيح : الأول .

(2) مجموعة الفتاوى : ٨/٢٥٦ .

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧ .

والوحي وذلك لعدة أمور:

١. إن هناك أموراً يختص بها الوحي دون العقل ومن ذلـك أمـور الاعتقـاد والأمور الغيبية ، وما يتعلق بالشعائر التعبدية .

٢. إن من المصالح والمفاسد ما يكون خفياً لا يدرك بالعقل ، فلا يـدرك هـذا النوع من المصالح أو المفاسد إلا عن طريق الوحي.

٣. إن من الأمور ما يشتمل على مصلحة ومفسدة يتعذر معها علـى العقـل أن يرجح جانب المصلحة أو المفسدة ، فيأتي الشرع بالترجيح لأحد الأمرين.

٤. إن من الأمور ما يكون مفسدة في ظاهره ولكنه متضمن لمصالح عظيمة أو العكس ، بأن يكون الأمر في ظاهره مصلحة ولكنة متضمن لمفاسد عديدة ، فيأتي الشرع موضحاً للمصالح أو المفاسد [١].

وقد أصاب المعتزلة في إثبات الصفات الذاتية من الحسن والقبح في الأفعال فإن ذلك مما يعلم عقلا وشرعاً [٢] إلا أنهم أخطئوا في عدد من الوجوه .

الوجه الأول : اعتمادهم المحض على مدارك عقولهم ، وعدم التفاتهم إلـى مـا ورد في الشرع من الأمر أو النهي ، واكتفاؤهم عن الوحي بعقولهم ، وهذا لا يصح في كل الأحوال ، فكما أن ا تعالى قد وهبنا عقولاً لنتعرف بها على شـتى المعـارف ، ونستنبط بها الأحكام ، ونتمكن بها من تفسير ما يدور حولنـا مـن الأمـور الكونيـة والشرعية ، وجعل سبحانه وتعالى ذلك تكريماً لبني آدم وتفضيلاً لهم على كثيـر مـن خلقه ، إلا أنه لا غنى للإنسان عن وحي ا وشرعه ، فإن هناك أموراً خفية لا يدركها العقل ولا يتوصل إلى معرفتها إلا عن طريق الشرع كما تقدم.

الوجه الثاني : إنهم رتبوا الثواب والعقاب للفاعل حتى قبل ورود الشرع بالأمر أو النهي ، وجعلوا العبد يستحق الثواب على الأفعال الحسنة حتى قبل أمر الشارع بها ، كما يستحق العقاب على الأفعال القبيحة حتى قبل نهي الشارع عنها ، وفي هذا تجرؤ على

---

(٢) انظر المعرفة في الإسلام ، للدكتور عبد ا محمد القرني : ٢٧٣.

(٣) انظر ص (٣٨٨) من هذا البحث .

دين ا ، واستقلال بالعقل عن الوحي و الشرع وهذا مما يعلم فساده .

أضف إلى ذلك أن هذا القول يتناقض مع قولهم بإيجاب إرسال الرسل ، فإذا كان العقل يستقل بإدراك الحسن والقبح الذاتيين في الأفعال بدون تدخل من الوحي ، ثـم إن العبد يثاب أو يعاقب على ذلك ، فما الفائدة إذاً من إرسال الرسل ؟ بل ما هـو وجـه إيجاب إرسال الرسل وتبليغهم رسالة ربهم وهداية الناس إلى الحسن والقبيح ؟

وعلى أصلهم هذا فإن إرسال الرسل يعد عبثاً ، تعالى ا عن ذلك علواً كبيراً ، وإذا كان المعتزلة قد صرحوا بأن الرسل قد جاءوا لتقرير ما قد ركبه ا في عقولنـا من معرفتنا للحسن أو القبح الذاتي ، إلا أن قولهم هذا لا يرفع عنهم اللوم فيما قـرروه من استقلال العقل بالمعارف واكتفائه عن وحي ا تعالى ، كما أنه لا يستقيم مـع مـا ذهبوا إليه من ترتيب الثواب والعقاب على ما توصل إليه العقل من الحسن والقبيح في الأفعال دون الرجوع إلى الشرع.

الوجه الثالث : إن قولهم بالتحسين والتقبيح الذاتين للأفعال ، قد بنوا عليه قياسهم أفعال ا تعالى بأفعال الخلق ، وذلك لأن الفعل يحسن عقلاً ويقبح عقلاً ، وكـل فعـل حسن فإن فاعله ممدوح ، وكل فعل قبيح فإن فاعله مذموم ، وألحقوا بـذلك أفعـال ا تعالى ، لأن العلل في إيجابها للأحكام لا تختلف باختلاف العاملين كما زعموا.

ولذلك فإن كل فعل حسن يجب على ا تعالى فعله وجوباً عقلياً ، وكل فعل قبيح يجب على ا تركه وجوباً عقلياً ، وذلك حتى تكون أفعاله كلها حسنة حكيمة لا قـبح فيها ولا إخلال بما يجـب عليـه من الأفعال الحسنة ، وذلك حتى يستقيم لهـم كونـه عدلاً – على حد زعمهم – وهذا في غاية الفحش ، والتجـرؤ علـى ذات ا تبـارك وتعالى وعلى أفعاله.

فإن تبارك وتعالى المشيئة التامة والقدرة الشاملة ، وله الحكم في تـصرفاته وأفعاله ، ولا معقب لحكمه ، ولا موجب عليه ولا آمر ، ومع ذلك فـإن ا تعـالى لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته وعدله ورحمته ، ولذلك أوجب على نفـسه أمـوراً فيهـا مصلحة لخلقه ورحمه بهم ولم يوجبها عليه أحد ، ولم يلزمه بها أحد ، بل هو أوجبها علـى نفسه ، وكتبها عليها بموجب حكمته وعدله.

أما العباد فلا يوجبون عليه شيئاً ولا يحرمون عليه شيئاً ، وإنما يقرون ما أوجبه ا على نفسه وما حرمه عليها ، مع إثبات كمال قدرته ومشيئته وقيومته على خلقه .

نقد مذهب المعتزلة على إثبات الحسن والقبح العقليين في الأفعال :

أولاً : قولهم إن العقلاء الذين لا يدينون بدين الحق يدركون حسن العدل وقـبح الظلم دون مجيء الشرع إليهم .

الجواب : إن الفعل إذا كان صفة كمال يقتضي ملاءمته للفطرة ، وإذا كان صفة

نقص يقتضي منافرته للفطرة ، والكمال محبوب ، والنقص مكـروه ، ولـذلك : فـإن استلزام الكمال للمدح والنقص للذم أمر عقلي فطري لا يحتاج إلى دليـل ، والـنقص يقتضي ذم الناقص ، والكمال يقتضي مدح الكامل .

فإثبات كون الفعل ملائماً أو منافراً مع نفي ما يقتضيه ذلك من مدح أو ذم إثبات للملزوم بدون لازمه ، وهذا مما يعلم فساده . ومما تقدم يعلم أن الأقسام الثلاثة وهـي الكمال والنقصان ، والملائمة والمنافرة ، والمدح والذم ، عادت إلى عرف واحد وهـو كون الفعل محبوباً أو مبغوضاً ، ويلزم من كونه محبوباً أن يكون كمالاً يستحق عليـه المدح ، ومن كونه مبغوضاً أن يكون نقصاً يستحق به الذم ، وإذا كان ذلك أمراً فطرياً فكل إنسان يمكنه معرفته عقلاً قبل ورود الشرع ، وليس هذا محـل النـزاع ، وإنمـا النزاع في كون العقل هو المحسن والمقبح دون الالتفات إلى الشرع ، وفـي ترتيـب الثواب والعقاب على ذلك ، بحيث يكون فاعل القبح مذموماً معاقباً حتى وإن لـم يـرد الشرع بذلك ، وفاعل الحسن ممدوحاً مثاباً حتى وإن لم يرد الشرع بذلك ، ولذلك فـإن معرفة الذين لا دين لهم بالحسن والقبح أمر فطري لا نزاع فيه وإذا جاء الشرع فإنـه يزيد ذلك الفعل الحسن حسناً ، ويبين لنا أن فاعله مثاب عليه في الآخـرة ، كمـا أن الشرع يزيد الفعل القبيح قبحاً ، ويبين لنا أن فاعله معاقب عليه في الآخرة.

وهذا ما لا يعرفه من لا دين له ولا يستطيع الجزم به ما لم يرد به الشرع.

ثانياً : قولهم إن الأفعال إذا لم تكن حسنة في نفسها ، بل كانت حسنة بـالأمر بهـا ، ولم تكن قبيحة في نفسها ، بل كانت قبيحة للنهي عنها . فإن أن يفعل كل مقـدور ، دون تقيد لمعنى ، فإن ذلك يجوز أن يؤيد ا الكاذب في دعوة النبوة بأمر خارق للعادة فيلتبس أمر النبي الصادق بالمتنبي الكاذب.

فالجواب : إن قولهم هذا موجه إلى الأشاعرة وهم الذين جعلوا الفعل أُمـر بـه فحسن ، ونُهي عنه فَقَبح ، إضافة إلى قولهم بأن أن يفعل كل مقدور بدون مراعـاة لحكمة ولا علة ولا رحمة ولا عدل . وهذا ما سيأتي بيانه في موضعه [1].

---

[1] انظر ص (٢١٩) من هذا البحث .

ولكن السلف الصالح يثبتون قدرة ا التامة ومشيئته الشاملة لكل المخلوقـات ، فهو قادر على كل شيء ولكنه تعالى لا يفعل القبيح مع قدرته عليـه ، وذلـك لكمـال حكمته في أفعاله ، ولذلك فإن كل ممكن في حد ذاته مقدور تعالى ، ولكن ليس كـل ما هو مقدور فإن ا يفعله ، ومن المعلوم أنه تعالى نزه نفسه عن القبائح كلها.

وبذلك فلا يتصور أن يؤيد ا مدعى النبوة الكاذب بخارق للعادة ، وذلك لكمال حكمته تعالى لتنزهه عن فعل القبائح.

وهذا الدليل يوجه في الرد على الأشاعرة كما تقدم ، أما أهل السنة والجماعـة فلا يلزمهم منه شيء لأنهم قد أثبتوا الحسن والقبح الذاتي في الأفعال ، وهذا لا نـزاع فيه ولكنهم جعلوا الثواب والعقاب مرتباً ومشروطاً بورود الشرع وهذا هو محل النزاع مع المعتزلة.

ثالثاً : قولهم إن إنكار الحسن والقبح الذاتي للأفعال وما فيها مـن المـصالح أو المفاسد معلوم بالعقل يفسد به باب القياس.

الجواب : إن السلف الصالح أثبتوا الحسن والقبح الذاتي للأفعال ، ولم ينفـوا ذلـك ، ولم يسلبوا العقل قدرته على التمييز والتفكير ، وإنما الذي نفوه هو أن يكـون الثـواب والعقاب يلحق الفاعل قبل ورود الشرع ، وبهذا فإن باب القياس لا يتعطل ، لأن السلف لم ينفوا الحسن والقبح الذاتي وهو الذي يقوم عليه القياس ، لأن إدراك العقل للـصفات الحسنة في الأفعال ، أو الصفات القبيحة في الأفعال هو ما يقوم عليه القياس أصـلاً ، والسلف أثبتوا ذلك ، ولكنهم نفوا الثواب والعقاب قبل ورود الشرع .

خامساً : قولهم إن كل من عرف ا وعرف صفاته فإنه يقبح أن يشرك بـه أو أن يصفه بصفات الحدوث ، والقبح هنا بمعنى استحقاق العقاب ولو لم يرد الشرع.

الجواب : إن الإشراك لم يقبح لكون الشرع نهى عنه فحسب ، بل إنمـا قـبح لكونه قبيحاً في نفسه وأنه على صفة تقتضي ذلك ، ولا شك أن الشارع زاده بنهيه عنه قبحاً إلى قبحه ، فكان قبحه من ذاته ، وازداد قبحه عند العقل بنهي الرب تبارك وتعـالى عنه ، فصار بالإضافة إلى قبحه المركوز في الفطر والعقول قبيحاً بـالنهي عنـه ، ولكـن استحقاق الفاعل للعقاب ليس عن طريق العقل ، كما تزعم ذلك المعتزلة ، فالعقل مدرك فقط

لسبب العقاب ، وسبب العقاب لا يقتضيه ، لأن العقاب مشروط بورود الشرع [1] . والحق أن المعتزلة قد أصابوا في إثبات الصفات الذاتية للأفعال وهذا ما وافقوا به السلف ، ولكنهم أخطئوا في قياسهم أفعال ا على أفعال عباده ، وأخطئوا في ترتيبهم الثواب والعقاب على ذلك دون الاعتماد على الشرع.

ولذلك فإن ما سبق من أدله المعتزلة التي استدلوا بها على إثبات الحسن والقبح الذاتيين في الأفعال أدلة صحيحة موافقة لما ذهب إليه السلف ، ولكن السلف لا يرتبون عليها مثل ما يرتبه المعتزلة على قولهم هذا . وقد رد الأشاعرة على أدلة المعتزلة بردود مختلفة ، ولكنها جاءت ركيكة وفيها من التكلف ما فيها ، ولا تقوى على إبطال أدلة المعتزلة ، ولم أؤيد ذكر ردود الأشاعرة على المعتزلة لركاكتها ، ولمخالفة الأشاعرة للسلف في هذه المسألة وبالتالي فإن أقوالهم كانت مبنية على أصول فاسدة ، وفيها أقوال وآراء باطلة.

نقد مذهب المعتزلة في الوجوب العقلي على الله تعالى :

استناداً على مذهب المعتزلة في التحسن والتقبيح العقليين ، فقد أوجبوا على ا تعالى أموراً وأفعالاً بعقولهم ، بدون مراعاة لمشيئة ا النافذة وقدرته التامة وإرادته الشاملة ، وإنما بالنظر إلى عقولهم ، ويكمن خطأ المعتزلة في هذه المسألة في جعلهم الإيجاب على ا تعالى عقلياً وليس هو مما أوجبه ا تعالى على نفسه ، وإنما هو من

---

[1] انظر مفتاح دار السعادة ، لابن قيم الجوزية : ٣٩٩/٢ .

قبل العقل ، ويدل على ذلك قول القاضي عبد الجبار : (فالغرض بقولهم إن ا تعالى أوجب ، أنه أعلمنا وجوب الواجب أو مكننا من معرفته بنصب الأدلة ، وهذه إضافة صحيحة ، لأن ما عنده وجب الواجب علينا إذا فعله صار كأنه الموجب له في الحقيقة) [١].

ويبين هذا القول أن الإيجاب عندهم يكون من جهة العقل ، وبما يتوصل إليه العقل من الأدلة ، وإذا أضيف إلى ا تعالى فإنه بمعنى : أن ا تعالى هو الذي دل على هذا الواجب بأن أمكننا من إقامة الأدلة العقلية على معرفة ما يجب وما لا يجب ، فهو بذلك كأنه هو الموجب ، ولكنه ليس هو الموجب في الحقيقة ، – بزعمهم - ولذلك يرى القاضي عبد الجبار أن الشرع لا يوجب ما اقتضى العقل منع وجوبه ، وإنما كان دور الشرائع مطابقاً لما في العقل[٢].

وعلى ذلك فإن كل ما أوجبه المعتزلة على ا تعالى إنما أوجبوه بمحض العقل ، دون أن يكون ا هو الموجب لذلك الفعل أو المانع منه ، وهذا مبني على أصلهم في التحسين والتقبيح العقليين ، فكل ما حسن عندهم عقلاً وجب على ا تعالى عقلاً ، وكل ما قبح عقلاً وجب على ا تعالى عقلاً ، وهذا مما يعلم فساده بداهة فإنه لا يتصور أن يكون فوق ا تعالى آمر أو ناه أو موجب أو محرم.

وإذا نظرنا إلى معنى الوجوب عندهم ، نجدهم يعرفون الواجب بأنه : ما إذا لم يفعله القادر عليه استحق الذم [٣] أو هو: ما للإخلال به مدخل في استحقاق الذم [٤].

وبعد ذلك يوجبون ويحرمون على ا تعالى بمحض عقولهم ، وهذا أعظم فساداً وأشد فداحة ، فإنه لا يتصور أن يلحق بذات ا تعالى ذم أو لوم ، ولكن المعتزلة جوزوا ذلك اعتماداً منهم على عقولهم ، ورداً منهم للطرق الشرعية في الاستدلال والاحتجاج ، فأدى بهم ذلك إلى الميل عن الطريق المستقيم .

والصواب أن ا تعالى قد أوجب على نفسه أموراً وأحق على نفسه أفعالاً ،

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ٦/٦٥ .

(٢) انظر المصدر نفسه : ١٥/١١٤-١١٦ .

(٣) شرع الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣٩ .

(٤) المصدر نفسه : ٤١ .

بمقتضى حكمته ورحمته ، ولم يوجبها عليه أحد ، بل أحقها هو على نفسه مع كمـال قدرته وشمول مشيئته وإرادته ، فلا يجوز لعبد أو عقل أن يوجب على ا تعالى أفعالاً أو يحرم عليه أفعالاً أخرى ، فإنه لا يتصور أن يكون فوق ا آمر أو ناه أو موجب أو محرم يملي عليه فعل أفعال وترك أخرى وهذا لازم قول المعتزلة .

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا : (وأما الإيجاب عليـه سـبحانه وتعالى والتحريم بالقياس على خلقه : فهذا قول القدرية . وهو قـول مبتـدع مخـالف لصحيح المنقول وصريح المعقول ، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خـالق كـل شيء وربه ومليكه ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأن العبـاد لا يوجبـون عليه شيئاً . ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال : إنه كتـب علـى نفـسه الرحمة ، وحرم الظلم على نفسه . لا أن العبد نفسه مستحق على ا شيئاً ، كما يكون للمخلوق على المخلوق . فإن ا هو المنعم على العباد بكل خير ، فهو الخالق لهـم ، وهو المرسل إليهم الرسل . وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح ، ومن توهم مـن القدرية والمعتزلة ونحوهم ، أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجيـر علـى المستأجر ، فهو جاهل في ذلك) [1].

نقد مذهب المعتزلة في وجوب تحقيق الوعيد :

إن قضية إنفاذ الوعيد وعدم الخلف فيه تعلق بمرتكب الكبيرة ، نظراً لأنه هـو المتوعد بالوعيد في نصوص القرآن الكريم ، وهذا الموضوع وهو إنفاذ الوعيـد لـه علاقة بالأصل الرابع عند المعتزلة وهو (المنزلة بين المنزلتين) ، وهذا الأصل ذكر

[1] اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية : ٣٧١ .

فيه المعتزلة مسألة الأسماء والأحكام في الدنيا والآخرة ، وذهبـوا إلـى أن مرتكـب الكبيرة يسمى في الدنيا " فاسقاً " ، فلا هو مؤمن ولا هو كافر بل في منزلة بين منزلة الإيمان ومنزلة الكفر ، أما في الآخرة فقد أوجبوا خلوده في النـار ، وزعمـوا أن ا تعالى لا يغفر لمرتكب الكبيرة ، بل يجب عليه إنفاذ وعيده فيه ، ولا يجوز له الخلـف في وعيده.

ولذلك فقد أطلق عليهم السلف مسمى " الوعيدية " هم ومن وافقهم من الخـوارج[1] ، وذلك لتمسكهم بنصوص الوعيد وتشددهم في المقول بعد الخلف في الوعيد.

أما من كانت سيئاته صغائر وهي التي لم يتوعد ا تعالى صاحبها بحد أو لعنة أو نار ، فقد وافقت المعتزلة السلف في أن ا يغفرها [2].

أما قول المعتزلة في مرتكب الكبيرة فإنه لم يسلم من القـوادح الكثيـرة التـي وردت عليه.

فإن سلف الأمة وأئمتها قالوا : إن صاحب الكبيرة مؤمن " عاصٍ " أو " فاسق " ، ولم يسلبوه صفة الإيمان ولم يخرجوه عنه ، ولم يجعلوه في منزلة بين المنزلتين كما ادعى المعتزلة ، فإن هذا القول مبتدع لم يعرف عن سلف الأمة ولم يرد به كتاب ولا سنة.

والمنصفون من سلف الأمة يقولون في أهل الكبائر : إنا لا نحبهم ولا نـسبهم ، فلا نحب أفعالهم وما صدر منهم من ظلم وشر ، ولا نسبهم ونرميهم بالكفر ، أو ندعي أنهم في منزلة بين منزلتين [3].

ذلك لأنه قد يجتمع في الشخص الواحد حسنات وسيئات ، وخير وشـر ، وبـر

---

[1] الخوارج هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً ، سواء كان الخـروج فـي أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والأئمة في كل زمان .
فأول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي ا عنه جماعة ممن كان معه في معركة صفين ، وكبار الفرق منهم : المحكمة والأزارقة والنجدات ، والإباضية وغيرهم ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي ا عنهما ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة ، حقاً واجباً . انظـر الملـل والنحل ، للشهرستاني : ١٣٢/١ ، والفرق بين الفرق : ٧٢ وما بعدها .

[2] ينظر : مجموعة فتاوى ابن تيمية : ٢٩٠/٤ .

[1] انظر المصدر نفسه : ٢٩٠/٤ .

وفجور ، وا تعالى - وهو العدل الحكم - يثيب الإنسان على حسناته ويعاقبه على سيئاته وإن شاء غفر له [1].

أما قولهم بأن صاحب الكبيرة خالد في النار فإنه قول باطل فإن سلف الأمة وأئمتها ذهبوا إلى أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة ا تعالى إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه ، إلا المشرك فإن الشرك من أكبر الكبائر وقد أثبتت النصوص بأن صاحبه مخلد في النار إذا مات ولم يتب منه ، وأما ما دونه من الكبائر والصغائر فإن فاعلها تحت مشيئة ا تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّـهَ لاَ يَغْفِـرُ أَن يُـشْرَكَ بِـهِ وَيَغْفِـرُ مَـا دُونَ ذَٰلِـكَ لِمَـن يَـشَآءُ وَمَـن يُـشْرِكْ بِـٱللَّـهِ فَقَـدِ ٱفْتَـرَىٰٓ إِثْمـاً عَظِيماً ﴾[2].

واستدل المعتزلة على تخليد أهل الكبائر في النار بدليل عقلي وأدلة شرعية.

والدليل العقلي هو : أن العبد العاصي في الآخرة إما أن يكون في الجنة أو في النار ، إذ لا ثالث بين الدارين ، ولو كان في النار فهو ما يقولون به ، ولو كان في الجنة فإما أن يكون مثاباً وإما غير مثاب ، فإن كان مثاباً فهذا لا يصح لأنه عاصٍ لا يستحق الثواب ، وإن لم يكن مثاباً فإنه يمتنع أن يدخل أحداً الجنة بدون ثواب.

وهذا الدليل ترد عليه عدة قوادح :

أولاً : قولهم إن إثابة العاصي لا تصح لأنه لا يستحق الثواب قول مردود لأنه قد يفعل الشخص الواحد حسنات كثيرة مع كبيرة أو معصية ، وحينئذ فهو تحت مشيئة ا وقد ترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة مع ما معه من المعاصي ، وهذا معلوم لدى أهل السنة والجماعة.

ثم إن ا تعالى قد يخرج من النار عباداً بعد أن ينالهم قسطهم من العذاب فيدخلون الجنة ، ويكون دخولهم الحنة فضلاً من ا ومنة ، وجزاء للعبد على أعماله الصالحة التي خلطها بالسيئات بعد تطهيره من السيئات ، وكل ذلك يكون منه سبحانه

---

(٢) انظر المصدر نفسه : ٢٩٠/٤ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٤٨ .

وتعالى بالعدل المتحقق بوزن الأعمال ، يقول ابن تيمية رحمـه ا : (هـذا الجـزاء والثواب والعقاب مبني على الموازنة بالحكمة والعدل كما أن ا يوزن الأعمال) [١].

ثانياً : قولهم : إن الجنة لا يدخلها إلا من يثاب قول باطل ، إذ صح في الحديث الصحيح أنه لا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، بل كلهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة ، ويبقى في الجنة فضل ، فينشئ ا لها خلقاً آخر يدخلون الجنة ، كما ثبت في الصحيح[٢].

واستدل المعتزلة على قولهم بتخليد أهل الكبائر بنصوص الوعيـد التـي تفيـد التخليد أو التأبيد أو ما يجري مجراها . ومن ذلـك قولـه تعـالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَٰلِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [٣] والحـق أن كـل هـذه الآيات صحيحة في إثبات عقاب ا لأهل الكبائر ، ولكن هذه الآيات مقيدة بآيتي النساء التي قال ا فيها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْماً عَظِيماً ﴾ [٤] ، فهذه الآية قيدت الكبائر التي لا يغفرها ا تعالى ويخلد صاحبها في النار بالشرك فقط ، أما ما دونه من الكبائر والصغائر فإنه تحت مشيئة ا تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

وقد اعترف القاضي عبد الجبار بقوة هذه الآية في الاستدلال على بطلان القول بوجوب تخليد أهل الكبائر من غير المشركين في النار ، وأورد على ذلك وجوهاً للرد على هذه الآية ولكنها لا تقوى في إبطال دلالتها الواضحة [٥].

ثم إن المعتزلة نظروا بعين عوراء ، فأصروا على التمسك بنصوص الوعيـد ، ولم يلتفتوا إلى نصوص الوعد ، أما السلف فإنهم يمرون نصوص الوعد والوعيد معـاً

---

[١] كتاب النبوات ، لابن تيمية : ٩٩ .

[٢] البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : { وتقول هل من مزيد } : ١٨٣٦/٤ ، ومسلم ، كتاب صفة الجنـة ونعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء : ٢١٨٧/٤ .

[٣] سورة النساء ، آية : ١٤ .

[٤] سورة النساء ، آية : ٤٨ .

[١] انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦٧٦ .

ويفسرون بعضها ببعض ، بحيث لا تتناقص ولا تتعارض ، فيقولون بموجب نصوص الوعد والوعيد على وجه العموم والإطلاق ، ويتوقفون في دخول المعين فـي العمـوم الذي قام به سببه حتى يقوم به المقتضي الـذي لا معـارض لـه ، وذلـك لأن هـذه النصوص دلت على أن هذا العمل سبب مقتـضياً لهـذا الثـواب أو لهـذا العقـاب ، والنصوص المرتبطة به دلت على أن الدخول في أحد العمومين متوقف علـى وجـود شرطه وانتفاء موانعه[1].

ونصوص الوعد التي ورد فيها ذكر غفران ا تعالى ذنوب عباده دون الشرك تؤيد ما ذكرناه ، ومن هذه النصوص قوله ﷺ : (أتاني آت من ربي فأخبرني أنه مـن مات من أمتي لا يشرك با شيئاً دخل الجنة ، فقلت : وإن زنى وإن سـرق ؟ قـال : وإن زنى وإن سرق) [2] ، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (وأما صاحب الكبيرة فسلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة لا يشهدون له بالنار ، بل يجوزون أن ا يغفر له ، كما قال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلاً بَعِيداً ﴾ [3] فهذه في حق من لم يشرك ، فإنه قيـدها بالمشيئة) [4].

وقد سبق ذكر قول المعتزلة في إيجاب تحقق العقاب والوعيد بالعصاة ، ورأينـا أن المعتزلة من البصريين أثبتوا إسقاط العقاب بعفو ا تعالى.

ولا شك أن هذا يتنافى مع قولهم بالإيجاب العقلي على ا تعـالى ، ووجـوب تخليد أهل الكبائر في النار ، ولذلك فإن البغداديين لم يجوزوا عفـو ا تعـالى عـن العصاة ، ورأوا أنه مناقض للإيجاب العقلي على ا تعالى.

والحق أن قول البصريين بوجوب العقاب على ا تعالى مع جواز العفو ، قول

---

[2] انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم اللالكائي ١٦٢/١، ١٦٣، ١٦٩ ، ومجموعة الفتاوى : ٧/ ٦٧٤ ، ٢٠/ ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، وفتح المجيد ، لعبد الرحمن بن حسن : ٣٧٠ .

[3] صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا ا : ٤١٧/١ .

[4] سورة النساء ، آية : ١١٦ .

[5] مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٩٠/٤ .

قريب من مذهب السلف لو سلم من أمرين :

الأول : إن الإيجاب عند المعتزلة إيجاب عقلي فالعقاب عندهم واجب على الله تعالى بإيجاب العقل له ، وليس بإيجاب الله تعالى له.

الثاني : إن قولهم بالإيجاب يتضمن عندهم إلحاق اللوم والذم بالله تعالى إن أخل بالواجب ، فلو ترك العقاب ولم يفعله لكان مخلاً بواجباته ، فيلحقه الذم واللوم على ذلك ، وهذا ما يتنافى مع قول البصريين بجواز العفو من الله تعالى ، وعلى ذلك فالإيجاب العقلي عند المعتزلة للعقاب يتنافى مع قولهم بجواز العفو من الله تعالى.

أما عند السلف فلا تنافي بينهما لأن السلف قالوا بأن الله تعالى هو الموجب على نفسه ، فهو سبحانه الذي أوجب على نفسه عقاب الكافرين بمحض مشيئته وإرادته ، جوزوا العفو من الله تعالى عن عصاة المؤمنين وأهل الكبائر من غير المشركين ، وذهبوا إلى جواز الخلف في الوعيد لهؤلاء . وعلقوا ذلك بمشيئة الله تعالى ، ولذلك كان قولهم يتناسب مع بعضه فلا تناقض فيه ولا تعارض . فالله هو الموجب بمشيئته وهو المسقط لما أوجبه بمشيئته أيضاً .

نقد مذهب المعتزلة في وجوب تحقيق الوعيد والعقاب .

سبق وأن ذكرت في المبحث السابق أن المعتزلة استدلوا على قولهم بإيجاب العقاب على الله تعالى بأدلة عقلية . وفيما يلي الرد على أدلة المعتزلة في إيجاب تحقيق الوعيد.

أولاً : قولهم إن الحكمة من الإيجاب على العباد هو وجوب العقاب عند الإخلال بالواجب ، فقد أجاب عليهم الأشاعرة بأن ذلك لا يدل على وجوب العقاب ، بل غاية ما في الأمر أن العقاب رادع لمن فعل القبيح ، كما أخبرنا الله تعالى ، وله أن يفعله وأن

لا يفعله أو أن يفعله بمن شاء ولا يفعله بمن شاء [١].

ثانياً : قولهم إن عدم وجوب العقاب من ا إغراء بالقبيح ، فالجواب عليـه أن هذا الدليل ليس فيه دلالة إلا على وجود العقاب ، وكونه يرغّب في الإتيـان بالطاعـة ويزجر عن ارتكاب المعصية ، وليس فيه دلالة على وجوب العقاب وأنه يحرم على ا أن يسقطه[٢].

وليس في ذلك إغراء بالقبيح لأن حصول العقاب على المعصية متقرر بموجب النصوص باعتبار أن ذلك هو الأصل ، وبذلك يكون أرجح من العفو ، فلا يؤدي مجرد تجويز العفو عن العقاب المتقرر على المعصية إلى الإغراء بها.

ثالثاً : قولهم إن العفو عن صاحب الكبيرة يؤدي إلـى التـسوية بـين المطيـع والعاصي ، يرد عليه بأن هذا الدليل لا يستلزم التسوية بين الطائع والعاصـي ، فـإذا عفى ا سبحانه عن صاحب الكبيرة فدرجة من لم يرتكب الكبيرة فوق درجته[٣].

رابعاً : قولهم إن ترك العقاب من ا يلزم الخلف في الوعد والكذب في الخبـر منه سبحانه ، وهما محالان على ا .

يرد عليه بأن العقاب حقه ، يجوز له أخذه وتركه ، لأننا قد علمنا جميعاً حـسن ترك العقوبة على الذنب ممن استحقه بجناية عليه ، فالعفو عن المذنب بعد تقدم الوعيد لا يوجب ذم المتوعد ولا جعل خبره كذباً [٤].

وبعض هذه الردود أوردها الأشاعرة الموافقون للسلف في عدم الإيجاب العقلي على ا تعالى ، إلا أنهم اختلفوا عنهم في منعهم مطلق الإيجاب على ا حتـى مـا

---

[١] شرح المقاصد ، لسعد الدين التفتازاني : ٢٢٦/٢ .

[٢] شرح المقاصد ، لسعد الدين التفتازاني : ٢٢٦/٢ بتصرف .

[٣] انظر شرح المطالع ، لأبي الثناء الأصفهاني : ٢٢١ . نقلاً عن تنزيه ا عما أوجبه عليه المعتزلة : ٢٦٠ .

[١] انظر التمهيد ، للباقلاني : ٤٤٠- ٤٠١ .

أوجبه على نفسه ، وسيأتي بيان مذهبهم إن شاء ا تعالى [1].

خامساً : قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ٢٩ ﴾ [2] .

يقول شيخ الإسلام رحمه ا : (هذه الآية تضعف جواب من يقول إن إخلاف الوعيد جائز ، فإن قوله : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ بعد قوله : ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده) [3].

أما الشيخ الشنقيطي فيقول في تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [4].

يقول : (هذه الآية الكريمة تدل على أن من كذب الرسل يحق عليه العذاب ، أي يتحتم ويثبت في حقه ثبوتاً لا يصح معه تخاف عنه.

وقد تقرر في الأصول أن الفاء من حروف العلة كقوله : سها فسجد ، أي لعلة سهوه...، فتكذيبهم بالرسل علة صحيحة لكون الوعيد بالعذاب حق واجب عليهم ، فدعوى جواز تخلفه باطلة بلا شك ، وما دلت عليه هذه الآية جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴾ [5].

والتحقيق أن المراد بالقول الذي لا يبدل لديه هو الوعيد الذي قدم به إليهم .

مثل قوله : ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [6] وبهذا تعلم أن الوعيد الذي لا يمتنع إخلافه هو وعيد عصاة المسلمين بتعذيبهم على كبائر الذنوب ،

---

(٢) انظر ص (٢٢٦) من هذا البحث .

(٣) سورة ق ، آية : ٢٨-٢٩ .

(٤) مجموعة الفتاوى : ٢٧٩ ، والفصل ، لابن حزم : ٩٣/٤ .

(٥) سورة ق ، آية : ١٤ .

(١) سورة ق ، آية : ٢٨ .

(٢) سورة ص ، آية : ١٤ .

لأن الله تعالى أوضح ذلك في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[1].

وهذا في الحقيقة تجاوز من الله عن ذنوب عباده المؤمنين العاصين ، ولا إشكال في ذلك [2].

وبهذا يتبين أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [3] مقيد للوعيد ، فما توعد الله به العصاة المؤمنين الموحدين فهو تحت مشيئته ، وقد يطرأ عليه التبديل بحصول العفو والمغفرة ، أما توعد الله سبحانه وتعالى للمشركين فإنه لا يتبدل ولا يتغير ، وهو واقع بهم لا محالة ، ولعل قول شيخ الإسلام جاء للرد على الذين جوزوا إخلاف الوعد والوعيد بدون تفصيل أو تقيد .

والذي يدل على أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان يجوز إخلاف الوعيد في عصاة المؤمنين أنه رحمه الله عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [4] قال : (فهذا مختص بالكفار. وهو الوعيد المتضمن الجزاء على الأعمال ، كما قال تعالى لإبليس : ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[5][6].

وقد عاب عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتعجب منهم فقال : (ومن العجب أن المعتزلة يفخرون بأنهم أهل التوحيد والعدل وهم في توحيدهم نفوا الصفات (نفياً

---

(٣) سورة النساء ، آية : ٤٨ .

(٤) أضواء البيان ، للشنقيطي : ٧/ ٦٤٦ – ٦٤٧ .

(٥) سورة النساء ، آية : ١١٦ .

(١) سورة الزمر ، آية : ٧١ .

(٢) سورة ص ، آية : ٨٥ .

(٣) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٣٢٦/١٦ .

يستلزم التعطيل والاشتراك) وأما العدل (الذي وصف ا به نفسه) فهو أنه لا يظلـم مثقال ذرة وأنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وهـم يجعلون حسنات العبد وإيمانه حابطاً بذنب واحد من الكبائر ، وهذا من الظلم الذي نزه ا نفسه عنه ، فكان وصف الرب سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه أولى من جعل العدل هو التكذيب بعفو ا) [1].

والمقصود أن المعتزلة قاسوا أفعال ا بأفعال العباد فحسنوا وقبّحوا ثم أوجبـوا وحرموا على ا بعقولهم دون الرجوع إلى الشرع مع أنه سبحانه وتعالى لا شبيه له ، ولا مثيل له في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وإنما نقر مـا أقـره الـشرع ، وننفي ما نفاه الشرع ، ولا مجال للعقل هنا إلا مطابقة الشرع وموافقته.

أما المعتزلة فقد استندوا على الأدلة العقليـة التـي يزعمـون أنهـا قطعيـة ، ولم يلتفتوا إلى الأدلة النقلية لزعمهم أنها ظواهر ظنية . وإن أوردوها فإنما يوردونهـا على سبيل الاستدلال على أن الشرع موافق لما توصلوا إليه من طريق العقل ، ولـيس على سبيل الاحتجاج والاستدلال بها . وهذا هو لب خطأ المعتزلة وضلالهم فـي هـذه المسألة وغيرها من مسائل الاعتقاد.

ثم إن الوجوب والتحريم عقلاً على ا تعالى باطل من وجوه متعددة :

أولاً : إن الوجوب والتحريم في حقه سبحانه غير معقول على الإطلاق ، لأننـا لا نعرف تفاصيل رضاه وسخطه وثوابه وعقابه على الفعل بمجـرد العقـل ، فقيـاس أفعاله على أفعال عباده من أفسد القياس وأعظمه بطلاناً ، فنحن نرى كثيراً من الأفعال تقبح منا وهي حسنة منه تعالى كإيلام الأطفال والحيوان ، وإهلاك الأمـوال والأنفـس وغيرها ، فإنه يقبح منا ، ولا يقبح من ا لأن أفعاله صادرة عن حكمة بالغة.

ثانياً : إن الإيجاب والتحريم يقتضي موجباً ومحرماً آمراً وناهياً ، ويكون بـين هذا الآمر والناهي وبين من يأمره وينهاه فرق ، وهذا محال في حقه تبارك وتعالى.

---

(٤) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام : ٤٩٣/٧ .

ثالثاً : إن الإيجاب والتحريم طلب للفعل والترك على سبل الاستعلاء ، فكيـف يتصور أن فوق ا من هو مستعلٍ عليه.

رابعاً : إن التحريم والإيجاب يقتضي سؤال الموجب المحرم لمن أوجب عليـه وحرم ، هل فعل مقتضى ذلك أم لا ؟ وهذا محال في حق من لا يسأل عمـا يفعـل ، وإنما يعقل في حق المخلوقين [1].

خامساً : إن التحريم والإيجاب العقلي على ا تعالى يوجب عنـد المعتزلـة أن يلحق با تعالى ذم أو لوم إذا أخل بواجباته أو فعل أفعالاً قبيحة وترك الأفعال الحسنة ، وإن كانوا قد جزموا بأن ا لا يفعلها ولا يختارها ، إلا أن هذا لا يرفع عنهم اللـوم فـي قولهم بالإيجاب العقلي على ا تعالى ، ومساواته مع خلقه في القياس والاستدلال.

نقد مذهب المعتزلة في قولهم بإيجاب الثواب على الله تعالى :

لقد سبق ذكر مذهب المعتزلة في إيجاب الثواب على ا تعالى ، ومـع اتفـاق المعتزلة على إيجاب الثواب على ا تعالى إيجاباً عقلياً ، إلا أنهم افترقوا في اعتبارات وجوب الثواب على رأيين :

الأول : هو رأي البصريين الذين يرون أن الثواب واجب على ا تعالى علـى سبيل الاستحقاق ، فالعبد مستحق للثواب مقابل التكاليف .

والثاني : هو رأي البغداديين الذين يرون أن الثواب واجب على ا تعالى على سبيل التفضل والجود .

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٤٠٢/٢-٤٠٧ .

فقول البغداديين الذين يرون بأن الثواب تفضل يتناقض مع قول البصريين بأنـه استحقاق فلا يكون الثواب استحقاقاً وتفضلاً في آن واحد ، كما أن قول البغداديين بـأن الثواب تفضل لا يتناسب مع قولهم بالإيجاب العقلي على ا تعالى ، فإن ما كان تفضلاً وجوداً لا يكون واجباً.

ورأي البغداديين هذا يقارب ما عليه السلف إذا خلا من أمرين :

الأول : زعمهم أن لا يكون الإيجاب إلا عقلياً .

الثاني : زعمهم لحوق الذم با تعالى إذا أخل بهذا الإيجاب .

والحاصل أن الثواب فضل من ا ورحمته وكرم ومنه ، وارتباطه بالأفعـال لا يكون على سبيل الاستحقاق والمعاوضة والمقابلة وإنما هو من باب ارتبـاط الأسـباب بمسبباتها ، فإن السبب يوجب المسبب ولكن بشرط توفر الشروط وانتفاء الموانع .

وعلى ذلك فإن ما يدعيه المعتزلة من الاستحقاق والوجوب قول باطل من عـدة وجوه :

أولاً : إن هذا القول يوهم أن يكون ا تعالى محتاجاً إلى خلقه ، كمـا يحتـاج المخلوق إلى المخلوق ، فإن الأعواض تكون استحقاقاً يأخذه المستأجر مـن مـؤجره مقابل ما قام به المستأجر من عمل لمنفعة المؤجر .

وقول المعتزلة بإيجاب العوض بالثواب للعبد على ا استحقاقاً ، فيه قياس أفعال ا تعالى بأفعال عباده ، فيوهم قولهم هذا بأنه تعالى ينتفع بعمل العبد فيعطيه على ذلك أجراً له استحقاقاً ، وهذا مما ينزه ا تعالى عنه حيث قال في الحديث القدسي : (يـا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) [1] ، فالعباد إنمـا يعملون لأنفسهم فمن أصلح فلنفسه ، ومن أساء فعلى نفسه ، وقد بين تعالى أن : من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعلى نفسه وحيث قـال : ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦ

---

[1] سبق تخريجه ص(٧٨) .

وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [1] ، وقال أيضاً :﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [2].

فالعبد هو المحتاج إلى ربه ، وقد يحتاج إلى عبد مثله في جلب منفعة أو دفـع مضرة ، ويعطيه على ذلك أجراً ، أما في حق ا تعالى فلا يتصور هذا المعنى [3].

ثانياً : إن العبد مغمور في نعم ا تعالى الظاهرة والباطنة ، فهو سبحانه الـذي خلقه وأحياه ورزقه وأبان له طريق الهداية بأن أرسل له الرسل ، وأنزل له الكتـب ، ويسر له العمل الصالح ، وحبب إليه الإيمان وزينه في قلبه ، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ، فالعبد ينعم ويمتع في الدنيا بما أنعم ا عليه مـن الـنعم الكثيـرة التـي تستوجب منه أضعاف ما عمل من عمل صالح ، ولو كانت هناك معاوضة أو مقابلـة أو معادلة لما استحق العبد على أعماله شيئاً ، ولكنه تعالى رضـي مـن عبـاده بالقليـل ، وأعطاهم منه الكثير ، فانظر إلى عظيم كرمه وجوده وفضله [4].

ثالثاً : إن العباد لابد لهم من سيئات وتقصير وتقاعس عن الأعمال الـصالحة ، ولولا فضل ا عليهم وعفوه عنهم وتقبله لأحسن ماعملوا لما أثابهم على ما قـدموه ، ولهذا قال تعـالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [5] ، وقال سبحانه : ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [6] ، ولهذا جاء في

---

[2] سورة فصلت ، آية : ٤٦ .

[3] سورة النمل ، آية : ٤٠ .

[4] انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٤٨/١ .

(5) انظر جامع الرسائل : ١/ ١٤٨ بتصرف .

[1] سورة الأحقاف ، آية : ١٦ .

(2) سورة الزمر ، آية : ٣٥ .

الحديث الصحيح : (مـن نوقش الحساب عذب) [1] فتبين بهذا الحديث أنه لابد مـن عفو ا تعالى وكرمه وفضله وتجاوزه عن عبده ، وإلا فلو ناقشه سبحانه على عملـه لما استحق به الجزاء. [2]

رابعاً : إن قول المعتزلة هذا يؤدي إلى إعجاب العبد بعمله دون أن يشهد نعـم ا عليه ، فيرى أن ما يناله من الثواب هو من كده وعمله وجهده وحده.

وهذا من أعظم المفاسد التي تمنع العبد عن رجاء رحمة ا وعفوه وفضله ، مع اعترافه بتقصيره وفقره إلى فضل ربه وإحسانه إليه ، فالمؤمن لابد لـه مـن خـوف ورجاء يتقلب فيهما بعمله حتى يفوز برضا ربه [3].

نقد مذهب المعتزلة في إيجابهم الثواب على الله تعالى عقلاً :

حينما اعتمد المعتزلة على العقل وحده أوردوا أدلة عقلية فيها من سوء العبـارة ما فيها وقد رد عليهم السلف بما يلي :

أولاً : قولهم : إنه لولا استحقاق العبد للثواب ما كان هناك فائدة للإعادة ، لا يصح به الاستدلال على ما ذهبوا إليه من إيجاب الثواب وجوباً عقلياً على ا تبارك وتعالى ، وذلـك لأن البعث هو مقتضى العدل الإلهي ، وفيه تنزيه تبارك وتعالى عن الظلم واللهو والعبث، وإعادة الأحياء إنما هو لتوفيتهم أعمالهم من الثواب أو العقاب ، وهذا أمر لا شك فيه ، وليس في الإعادة دليل على أن الثواب يكون استحقاقاً للعبد على ا ، أو أن يكون حقاً واجباً علـى

---

(٣) البخاري ، كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه : ٥١/١ . مسلم ، كتاب الجنة وصـفة نعيمهـا وأهلها ، باب إثبات الحساب : ٢٢٠٤/٤ .

(٤) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٥٠/١ .

(5) انظر المصدر نفسه : ١٥١/١ بتصرف .

ا تعالى عقلاً ، بحيث لا يجوز الخاف فيه ، وإن كان تعالى قد أحق علـى نفـسه أفعـالاً كإدخال من مات لم يشرك به شيئاً الجنة ، ونحو ذلك ، مما أوجبه تعالى على نفسه بمحـض إرادته ومشيئته وعظيم كرمه وفضله ، إلا أن هذا لا يدل على أن الثواب حق واجب على ا تعالى عقلاً، فإنه لا يوجد فوق ا تعالى من يوجب عليه سبحانه وتعالى أفعالاً بمحض عقله.

وهذا ما ينكره الساف الصالح ، ويعترضون عليه ، وهو أن يكون العقل هو من يوجب على ا تعالى.

ثم إن هذا الدليل معارض بحديث رسول ا ﷺ : (لن يدخل أحدكم الجنـة بعملـه ، قالوا : ولا أنت يا رسول ا ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني ا برحمة منـه وفـضل) [١]، والذي يدل على أن العمل ليس وحده من أسباب دخول الجنة.

وعلى ذلك فإن الإعادة إنما هي لإدخال الجنة من توفرت له أسباب دخول الجنة مـن الأعمال الصالحة ، وقوة الإيمان ، وصدق النية ، وفوق ذلك كله رحمة ا وفضله ، وغاية ما في هذا الدليل هو إثبات وجود الثواب لا وجوبه ، وهو محل النزاع مع المعتزلة [٢].

وعلى ذلك فإن الأعمال ليست وحدها سبباً في استحقاق العبد للثـواب مـن ا تعالى على وجه الإيجاب [٣].

ثانياً : قولهم : إن إلزام العبد الأمور الشاقة من ا تعالى أوجب له الثواب على ذلك . قول باطل ، فهو يشبه ما يطلبه الأجير من مؤجره ، وكأنه سبحانه وتعالى ينتفع بشيء من أعمال عباده – تعالى ا عن ذلك علواً كبيراً ، وقد رد عليهم شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه ا تعالى فقال : (وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من ا كمـا يطلبـه الأجير من المستأجر ، متكلين على حولهم ، وقوتهم وعملهم ، وكما يطلبه المماليـك ،

---

[١] البخاري : ٩٨/٨ ، ٩٨-٩٩ ، كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل : ٢٣٧٣/٥ . ومـسلم ، كتـاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل أحدكم الجنة بعمله بل برحمة ا تعالى ، واللفظ لمسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي ا عنها وأرضاها : ٢١٦٩/٤ .

[٢] انظر تنزيه ا عما أوجبه عليه المعتزلة : ٢٧٣ .

[١] انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٤٥/١ وما بعدها .

وهؤلاء جهال ضلال ، فإن ا لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليهم ، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً بهم ، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم... وا تعالى غني عن العالمين ، فإن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساؤا فلها ، ولهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا ، قال تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [١] [٢].

ثالثاً : قولهم إن التكليف لابد أن يكون لغرض ، وهذا الغرض لا يعود إلى ا بل هو منزه عنه ، وإن كان التكليف بلا غرض فإن هذا من العبث .

والرد أن ذلك هو عين العبث ، ذلك لأن المعتزلة أثبتوا الحكمة والتعليل في أفعال ا تعالى وأحسنوا في ذلك ، إلا أنهم جعلوها حكمة لا تعود إلا على المفعول أما الفاعل فلا مصلحة له ولا منفعة في أفعاله وقالوا إن ذلك يوجب الحاجة على ا وأنه لا يفعل إلا لغرض [٣].

وهنا يظهر تناقض قول المعتزلة حيث أثبتوا الحكمة في أفعال ا سبحانه وتعالى تنزيهاً له من العبث ، ثم نفوا أن تكون لهذه الحكمة منفعة تعود على الفاعل فوقعوا في وصف ا بالعبث .

يقول ابن تيمية في الرد على المعتزلة : (وأنتم عللتم أفعاله فراراً من العبث ، فوقعتم في العبث ، فإن العبث هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل) [٤].

والصواب أن ا سبحانه وتعالى إذا أحسن إلى عباده وأنعم عليهم ووفقهم للأعمال الصالحة فإنه سبحانه يحب أن يحمده عباده ويشكروه ، وحمده سبحانه لنفسه هو أعظم من حمد عباده له . إذاً فالمقصود بما يعود على ا سبحانه وتعالى هو حبه

---

(٢) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .

(٣) مجموعة الفتاوي : ٨/ ٧١ .

(٤) انظر المغني في أبواب العدل والتوحيد ، للقاضي عبد الجبار : ٩٢/١١ ، ٩٣ .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ، رسالة أقوم ما قيل في الحكمة والتعليل : ١١٩ .

ورضاه لتلك الحكم والمصالح ، ولا يصح أن يقال إنه يعود إليه نفع من تلك الحكـم ، لأنه تعالى منزه عن الاحتياج والانتفاع بالغير. [1]

رابعاً : ما ورد في بعض الآيات من ترتيب الثواب على العمل الصالح.

مثل قوله تعالى : ﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [2].

فإن مما لا شك فيه أن الأعمال سبب في دخول الجنة ، وأن ا تبارك وتعـالى قدير لعبده المؤمن دخول الجنة بما يسره له من الأعمال الصالحة ، وهذا حـق لـيس لأحد إنكاره وهو المثبت في قوله تعـالى : ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [3].

وقولـه تعـالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ ﴾ [4] فأثبت ا تبارك وتعالى في هذه النصوص أن العمل سبب للثواب ، وأن الباء في هذه الآيات هي : باء السببية .

ولكن رغم أن الأعمال سبب في دخول الجنة ، إلا أنها ليست هي السبب الوحيد كما أن السبب وحده لا يستقل بالحكم ، بل إن ا تبارك وتعالى جعل أسباباً أخـرى ، والعبد محتاج – مع عمله – إلى هذه الأسباب ، وأهمها فضل ا وكرمه.

ولذلك فقد نفى رسول ا ﷺ أن يكون الثواب مقابل العمل على سبيل المعاوضة والمقابلة فقال عليه الصلاة والسلام : (لن يدخل أحدكم منكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا

---

[2] انظر : رسالة (الحكمة والتعليل في أفعال ا ، لمحمد ربيع هادي المدخلي) رسـالة ماجـستير ١٣٩٨هـ ـ - ١٩٧٨م ، ص١٩١.

[3] سورة الواقعة ، آية : ٢٤ .

[4] سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .

[1] سورة الواقعة ، آية : ٢٤ .

أنت يا رسول ا ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني ا برحمة منه وفضل) [1].

فنفى الحديث أن يكون العمل وحده سبباً في دخول الجنة.

ولا تنافي بين هذا الحديث وبين ما أثبتته الآيات من كون العمل سبباً في دخول الجنة ، فإن المثبت في القرآن ليس هو المنفي في السنة ، لأن المثبت في القرآن هـو كون العمل سبباً في دخول الجنة ، والمنفي في السنة أن كون العمل وحده سـبباً فـي دخول الجنة ، بمعنى أن يكون الثواب مقابل العمل على سبيل المعادلة والمقابلة.

ومما يثبت ذلك ، أن هذا الحديث قد جاء في سياق أمره ﷺ لأصحابه بالاقتصاد في العمل ، فعن عائشة زوج النبي ﷺ : أنها كانت تقول : قال رسول ا ﷺ : (سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله . قالوا : ولا أنت يا رسول ا ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني ا منه برحمة ، واعلموا أن أحب العمل إلى ا أدومه وإن قل) [2].

فنفى الحديث ما قد يتوهمه البعض من كون الثواب مـن ا مقـابلاً للعمـل ، كالمعاوضات التي تكون بين العباد في الدنيا [3].

فالأعمال الصالحة ليست وحدها سبباً في دخول الجنة ، بل لا بد مـن تـضافر أسباب أخرى معها حتى يدخل العبد الجنة ، أما تفاوت العباد في درجات الجنة فيكـون بالأعمال ، ونفس الدخول فهو برحمة ا ، وإن كان العمل سبباً من ضـمن أسـباب دخول الجنة ، يقول تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [4].

ولذلك فإن ا سبحانه وتعالى يدخل الجنة من لم يعمل عملاً صالحاً ، إذا تـوفر لديه أصل التوحيد ، كما يدخل الأبناء تبعاً لآبائهم ، فقد قال تعـالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا

(٢) سبق تخريجه ص (١٧١) .

(٣) سبق تخريجه ص (١٧١) .

(٤) انظر جامع الرسائل : ١/ ١٤٥-١٤٧ .

(١) سورة الأحقاف ، آية : ١٩ .

كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [1].

فلا بد من أصل الإيمان والتوحيد ، أما العمل فقد يتجاوز ا عنه.

وفي هذا دليل على أن الأعمال سبب في دخول الجنة ، وقد يصح دخول الجنة بدون هذا السبب ، بل بأسباب أخرى يجعلها ا تعالى ، بعد توفر الإيمان والتوحيد [2]، يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (وليس كل ما يحصل بسبب لا يحصل بدونه ، كالموت الذي يكون بالقتل ويكون بدون القتل ، ومن فهم أن السبب لا يوجب المسبب ، بل لابد أن يضم ا إليه أموراً أخرى ، وأن يدفع عنه آفات كثيرة ، وأنه قد يخلق السبب بدون السبب – انفتح له حقيقة الأمر في هذا وغيره) [3][4] .

---

(٢) سورة الطور ، آية : ٢١ .

(٣) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٥١/١ .

(٤) المصدر نفسه : ١٥٢/١ .

(٥) وقد يعتقد معتقد أن قول شيخ الإسلام هنا يوافق ما ذهب إليه الأشاعرة من جعل العلاقة بين السبب والمسبب علاقة عادية وليست علاقة ضرورية ، فيرى الأشاعرة أن المسبب يحدث عند السبب لا به ، فيقولون : رويت عند مشرب الماء لا به ، وشبعت عند أكل الخبز لا به ، وسيأتي بيان مذهب الأشاعرة في السببية والرد عليهم في المباحث القادمة ، والذي أود الإشارة إليه هنا هو أن شيخ الإسلام قد أثبت مبدأ السببية وأقر بأن للأسباب تأثيراً في وقوع مسبباتها ، وا تعالى هو خالق السبب والمسبب معاً ، والسبب يوجب حصول المسبب ، وهذا= = من الضروريات العقلية التي لا يمكن الاستدلال عليها ، لأن الضروريات العقلية هي مقدمات الاستدلال وأصل له .

فالمقصود إذاً بقول شيخ الإسلام : (إن السبب قد لا يوجب المسبب) هو أن السبب يوجب حصول المسبب بشرط تحقق الشروط ، وزوال الموانع فمجرد الأسباب لا توجب حصول السبب ، ولكن العلاقة بينهما علاقة ضرورية ، لا تتخلف إلا إذا اختلت الشروط أو وجدت الموانع . فمثلاً : المطر إذا نزل وبذر الحب ، لم يكن ذلك كافياً في حصول النبات ، بل لا بد من ريح مربية بإذن ا ، ولا بد من صرف الموانع من الآفات وغيرها عنه ، وكل ذلك بقضاء ا وقدره ومشيئته .

وفي المسألة التي بين أيدينا وهو (الثواب) فإن العمل سبب ضروري لوجود الثواب ، ولكنه ليس هو السبب الوحيد ، فلابد من توفر أسباب أخرى كما أنه لابد من تحقق الشروط وانتفاء الموانع .

ولذاك يقول شيخ الإسلام في موضع آخر : (ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر إلى سبب آخر في حصول مسببه ، ولابد من مانع يمنع مقتضاه إذا لم يدفعه عنه ، فليس في الوجود شيء واحد يستقل بفعل شيء إذا شاء إلا ا وحده) وبناء على ما سبق فإن الآيات التي ورد فيها أن العمل سبب في الجزاء تفيد بيان أن هذا العمل الصالح مقتضٍ لهذا الثواب ، فيستفاد من ذلك طلب الفعل والترغيب فيه ، وأما أن كل شخص قام به سبب الوعد يجب وقوع المسبب به فباطل قطعاً لتوقف المسبب على تحقيق شروطه وانتفاء موانعه .

نقد قول المعتزلة في خلق العباد وأفعالهم :

لم يقتصر تصور المعتزلة للعدل الإلهي على تعريفه فقط ، بل دخل تحت دائرة نفي القدر ، وجرهم إلى القول بخلق العباد لأفعالهم ، فلا يتم تصور العدل الإلهي عنـد المعتزلة إلا بنفي خلق ا لأفعال العباد ، وهم مع إنكارهم خلقه سبحانه لأفعال العبـاد إلا أنهم يثبتون خلقه تعالى لقدرة العبد الموجدة لفعله ، ولكنهم لا يرون أن خلقه تعـالى لقدرة عباده مبرر لأن تكون أفعال العباد من جهة ا تعالى أو من خلقه ، فإن ذلـك لا يطلق عندهم إلا على سبيل التوسع والمجاز ، ومقيداً بالطاعات فقط.

وهذه مغالطة واضحة لأن فعل العبد ممكن الوجود أو العدم ، والعبـد إذا فعـل الفعل فنفس الفعل حادث بعد أن لم يكن ، فلابد له من سبب مرجح رجح وجوده علـى عدمه ، وهذا المرجح لابد أن يكون تاماً يستلزم وجود الممكن ، فلو كان المـرجح لا يستلزم وجود الفعل أو عدمه لعاد الفعل بعد وجود المرجح ممكناً ، ولا يصبح حادثاً ، وعند ذلك فلا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح آخر ، وهذا المرجح لابد أن يكون تاماً مستلزماً وجود الفعل ، لأنه لو كان المرجح لا يستلزم وجود الفعل أو عدمه للـزم أن الفعل لا يوجد أبداً ، وهذا يستلزم التسلسل في الماضي ، وهو باطل . (فعلم بـذلك أن فعل العبد لابد له من مرجح تام يستلزم وجوده ، وذلك المرجح التام هـو الـداعي التام والقدرة التامة)[1] ، يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (والمرجح الممكن لابد أن يكون تاماً مستلزماً وجود الممكن ، و إلا فلو كان مع وجود المرجح يمكن وجود الفعل تارة وعدمه أخرى ، لكان ممكناً بعد حصول المرجح ، يمكن وجوده وعدمه ، وحينئذ فلا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح ، وهذا المرجح إما إن يكون تامـاً مـستلزماً وجود الفعل ، وإما أن يكون الفعل معه يمكن وجوده وعدمه ، فإن كان الثاني لـزم أن

---

(١) يرى ابن تيمية أن التسلسل الباطل الممتنع هو التسلسل في العلل ، أما التسلسل في الآثار المتعاقبة فلا دليل على بطلانه ، لأنه لا يمكن حدوث الحوادث ولا العالم إلا بناء على هذا الأصل فمن لم يجوز ذلـك لزمـه حـدوث الحوادث بلا سبب حادث ، وذلك يستلزم الترجيح بلا مرجح ، وعلى ذلك فإن القائلين بقـدم العـالم يلزمهمـا لترجيح بلا مرجح ، ويلزمهم حدوث الحوادث بلا محدث أصلاً ، وهذا أفسد من حدوثها بلا سبب حادث . انظر درء التعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ١٨٠/٢ .

لا يوجد الفعل بحال ، ولزم التسلسل الباطل [٢])[١].

والمقصود أن فعل العبد حادث من جملة الحوادث ، وكل حادث فإن ا تعـالى خالقه ، وفعل العبد ممكن من جملة الممكنات التي حدثت بعد أن لم تكـن ، وتـرجح وجود الممكن على عدمه كان بسبب ، وا تعالى هو خالق السبب والمـسبب ، وهـذا السبب هو المرجح التام ، وهو القدرة التامة والداعي التام الذي خلقه ا تعـالى فـي عباده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى : (وإذا كان العبد لا يحصل فعله إلا بمرجح من ا تعالى ، وعند وجود ذلك المرجح يجب وجود الفعل ، كـان فعلـه كسائر الحوادث التي تحدث بأسباب يخلقها ا تعالى يجب وجود الحادث عندها ، وهذا معنى كون الرب تبارك وتعالى خالقاً لفعل العبد ، ومعنى ذلك أن ا تعالى يخلق فـي العبد القدرة التامة والإرادة الجازمة ، وعند وجودهما يجب وجود الفعـل ، لأن هـذا سبب تام للفعل ، فإذا وجد السبب التام وجب وجود المسبب) [٢].

وقد سلم بعض المعتزلة وحذاقهم بأنه مع الداعي التام والقدرة التامة يجب وجود الفعل، وسلموا أن ا خلق الداعي والقدرة ، ومن هؤلاء أبـو الحـسين البـصري ، والقاضي عبد الجبار كما مر معنا [٣].

ومن سلم من المعتزلة بأنه يجب الفعل مع الداعي التام والقدرة التامة ، وسـلم بأن ا خالق الداعي والقدرة ، لزمهم أن يكون ا تعالى هو خـالق أفعـال العبـاد ، ولكنهم كما قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية : (فحذاق المعتزلة سـلموا بالمقـدمتين ومنعوا النتيجة) [٤].

وبذلك يظهر لنا أن قول المعتزلة : بأن ا تعالى خالق القدرة في العبد ، ولكنه

---

(1) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣٩/٣ .

(٣) منهاج السنة النبوية ، لابن تيميـة : ٣/ ١٦٩ ، وانظـر المـصدر الـسابق : ١٥٣/٣، ١٥٤ ، و ٣/ ٢٣٨ ، ٢٦٨/٣ ، ٢٦٩/٣ .

[١] انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٩٢/٣ ، ٢٣٩/٣ .

[٢] منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٤٨/٣ .

ليس خالقاً لفعل العبد . قول متناقض ، وذلك لأنهم سلموا بالمقدمات اليقينيـة ومنعـوا نتائجها.

وأما قول المعتزلة بأن ا تعالى قادر على كل الأجناس ومنها القبيح ، فقد رأينا أنهم قد اختلفوا في ذلك على قولين ، فأما الذين قالوا بأن ا تعالى قادر على سائر المقدورات - وهم أكثر المعتزلة - فإن قولهم هذا فيه تمويه وتلبيس ، ذلك بأنهم يريدون بقولهم هذا أنه تعالى قادر على كل ما هو مقدور له ، وهم يقصدون بذلك إخـراج أفعال العباد من قدرة ا تعالى ، يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (وأما القدرية من الإمامية والمعتزلة وغيرهم ، فإذا قالوا : إنـه قـادر علـى كـل المقدورات لم يريدوا بذلك ما يريده أهل الإثبات ، وإنما يريدون بذلك أنه قادر على كل ما هو مقدور له)[١] .

والسؤال الذي يرد الآن : هل يقدر ا تعالى على أفعال العباد ؟

يرى المعتزلة أن ا تعالى لا يقدر على أفعال العباد ، ولكن من أثبـت قدرتـه على ما لو فعله لكان قبيحاً يثبتون قدرته على جنس القبائح كلهـا لا علـى أعيانهـا ، ولذلك فإنهم تنازعوا في قدرته على خلق مثل أفعال العباد ،

فالذين أثبتوا قدرته على فعل القبيح أثبتوا قدرته على مثل أفعال العباد ، والذين منعوا قدرته على فعل القبيح منعوا قدرته على مثل أفعال العباد ، فغاية ما يقولون : إنه قادر على مثل مقدور العباد ، وإنه قادر على ما هو مقدور له ، وهذا قول باطل بـلا شك فهو كمن قال : هو عالم بكل ما يعلمه ، وخالق لكل ما يخلقه ، وهذا قول لا فائدة فيه[٢].

ويدل على ذلك قول القاضي عبد الجبار : (قد ثبت أن ا تعالى قادر لذاتـه ، ومن حق القادر لذاته أن يكون قادراً على سائر أجناس المقدورات من كل جنس علـى

---

[٣] منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٩١/٣ .

[١] انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٩١/٣ ، ٢٩٢ .

ما لا يتناهى ، وهذا يوجب أن يكون في مقدوره من الحسن[1] ما يستغني به عن القبيح ، إذ الحاجة إنما تتعلق بالضروب والأجناس دون الأعيان ، ألا ترى أن من احتـاج إلـى حلاوة ، لا تختص حاجته بحلاوة معينة لا يقوم غيرها مقامها) [2] .

ويدل قول القاضي عبد الجبار على أن ا قادر على كل الأجناس ، وليس ذلك شرطاً لأن يكون قادراً على الأعيان ، وعلى ذلك فإن ا تعالى قادر على جنس أفعال العباد لا عليها بعينها.

ولذلك يقول ابن تيمية رحمه ا : (أما نفس أفعال العباد ومن الملائكة والجـن والإنس ، فإن ا لا يقدر عليه عند القدرية ، وتنازعوا هل يقدر على مثلها) [3].

وقد سبق ذكر ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار من أن كل جنس يقدر عليه العبد فلا يجوز أن يكون ا غير قادر عليه [4] ، وهو يقصد بذلك أن ا تعالى يقدر علـى مثل فعل العبد ، وليس على فعل العبد نفسه وبعينه.

وبذلك يتبين لنا أن خلاف جماهير المعتزلة مع النظام والجـاحظ وأبـي علـي الأسواري على قدرته تعالى على ما لو فعله لكان ظلماً قبيحاً ، ليس نزاعاً على قدرته على الظلم بعينه أو على فعل العبد نفسه أو القبيح بعينه ، وإنما هو نزاع على قدرتـه على جنس القبيح ، أما أعيانها فقد رأى جماهير المعتزلة أن ا تعالى يقدر على كـل الأجناس بما في ذلك جنس القبيح ، أما عين أفعال العباد فإنه لا يقدر عليها وإنما يقدر على مثلها مما يندرج تحت جنسها ، وربما قصدوا بذلك الطاعة ، فإن الطاعة تضاف عندهم إلى ا على سبيل المجاز والتوسع ، أما المعاصي فلا يقال إنها من ا تعـالى إطلاقاً ، بل هي من خلق العبد وحده.

أما المخالفون لهم فقد رأوا أن ا لا يقدر على جنس القبـيح عامـه وخاصـه

---

[2] في شرح الأصول : المحسن والصواب : الحسن .

[3] شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٣١٧ .

[4] منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣٩١/٣ .

[5] انظر المحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار : ٢٤٦ .

فعندهم لا يقدر ا على أفعال العباد ولا على مثلها.

وهذا هو الذي أشار إليه شيخ الإسلام عندما قال : (وتنازعوا في قدرته على مثل أفعال العباد) .

أما أهل الإثبات من أهل السنة والجماعة فإنهم إذا قالوا : إنه قادر على كل مقدور فإنما أرادوا بذلك أنه قادر على كل ما هو ممكن أن يكون مقدوراً لأي قادر كان ، فكل أمر ممكن في نفسه فا قادر عليه ، ولا يقدر العباد على فعل لا يقدر عليه ا تعالى .

وهو معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1] وهذا خلاف قول المعتزلة القدرية الذين ذهبوا إلى أن العباد يقدرون على ما لا يقدر عليه ا ، فلا يقدر عندهم أن يهدي ضالاً ولا أن يضل مهتدياً ولا يجعل أحداً قائماً قاعداً مصلياً صائماً حاجاً مسلماً مؤمناً كافراً ، فكل هذه أمور لا يقدر ا تعالى على شيء منها عند المعتزلة مع أنها أمور كلها ممكنة ليس فيها ما هو ممتنع لذاته [2].

ويمهد ما سبق للخوض في الرد على قولهم : (إن الإيمان ليس نعمة من ا تعالى) فإن أصل هذه المقولة مبني على قولهم في التوبة بين إقدار ا تعالى للمؤمن والعاصي ، فهم يقولون : إن ا تعالى أعان المطيع والعاصي وأقدرهما وأزاح عنهما العلل على السواء ، ولكن المطيع رجح لنفسه الطاعة ، والعاصي رجح لنفسه المعصية ، ومنعوا تفضيل ا لعباده المؤمنين بهدايتهم إلى أعمالهم دون الكافرين ، وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار : (قد ثبت حسن تكليف المؤمن ، ولا وجه لحسنه إلا أنه تعالى أقدره على ما كلفه وقوى دواعيه إليه وأزاح علله فيه ، وهذا كله في حق الكافر ثابت ثباته في حق المؤمن ، ولا فرق بينهما إلا من حيث أن المؤمن أحسن الاختيار لنفسه واستعمل عقله فآمن ، ولم يحسن الكافر الاختيار لنفسه لشقاوته فلم يؤمن ، وذلك لا

---

[1] سورة فصلت ، آية : ٣٩ .

[2] انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٨٩/٢ ، ٢٩٠/٣ .

يخرج القديم تعالى من أن يكون متفضلاً عليهما جميعاً)[1].

ولذلك فلا يرى المعتزلة أن هناك اختصاصاً من ا للمؤمن بنعمة دينيـة هـي هدايته للإيمان والعمل الصالح ، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمـه ا : (ومـا قالتـه القدرية فهو بناء على أصلهم الفاسد ، وهو أن إقدار ا المؤمن والكافر والبر والفاجر سواء ، فلا يقولون : إن ا خص المؤمن المطيع بإعانة حصل بهـا الإيمـان ، بـل يقولون : إن إعانته للمطيع والعاصي سواء ، ولكن هذا بنفسه رجح الطاعـة ، وهـذا بنفسه رجح المعصية ، كالوالد الذي أعطى كل واحد من ابنيه سيفاً ، فهذا جاهد به في سبيل ا ، وهذا قطع به الطريق ، أو أعطاهما مالاً ، فهذا أنفقه في سبيل ا ، وهـذا أنفقه في سبيل الشيطان) [2] ، ولا شك أن هذا قول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعـة والمثبتين للقدر ، فإن ا تعالى ينعم على عبده المطيع المؤمن بنعمة دينية خصه بهـا دون الكافر ، وهو سبحانه قد أعانه على الطاعة وعلى الإيمان ، ولم يعـن الكـافر ، ولهذا فإن الإيمان نعمة من ا تعالى بالنظر إلى الإيمان نفسه ، وبالنظر إلـى تيـسير أسبابه ومقدماته ، ولذلك قـال تعـالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [3] ،

فبين تعالى أنه حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم ، أما المعتزلة فيقولون : إن هذا التحبيب والتزيين عام للمؤمن والكافر . وقد يكون بمعنى البيان إظهار الـدلائل ، ولكن الآية تقتضي أن هذا التزين خاص بالمؤمنين ، ولذلك قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ  أما الكافرون فليسوا براشدين [4].

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ

---

(1) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٥١٢ .

(2) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٤٣/٣ .

(1) سورة الحجرات ، آية : ٧ .

(2) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٤٤/٣ .

صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [1] ، يقول ابن عباس : (فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء ، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه ، حتى يدخله ا في قلبه) [2].

وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [3].

ومما يدل على أن الإيمان والطاعة هي نعمة أنعم ا تعالى بها على عباده أمره سبحانه لعباده في كتابه الكريم أن يدعوه طالبين منه الهداية ، وذكر بأن هـذه الهدايـة نعمة ينعم بها على عباده فقـال تعـالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ﴾ [4] .

وقال إبراهيم عليه الـسلام : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [5].

وفي هذه الآيات وغيرها ما يدل على أن ا تعالى قد اختص عباده المـؤمنين بالهدى والإيمان والعمل الصالح ، ولذلك فإن الإيمان نعمة دينية اختص ا بهـا مـن يشاء من عباده ، وهو بذلك يستحق عليها الشكر.

والعقل أيضاً يدرك أن جميع الأسباب الموجبة للفعل من الفاعل لا تكون موجودة في التارك ، ولو كانت جميع الأسباب الموجبة للفعل مستوية لدى الفاعل والتارك لكان الفاعل رجح وجود فعله على عدمه بلا مرجح ، وهذا معلوم فساده ، فإنه مع اسـتواء

---

[3] سورة الأنعام ، آية : ١٢٥.

[4] تفسير ابن كثير : ٢٨١/٢ .

[5] سورة الحجرات ، آية : ١٧ .

[6] سورة الفاتحة ، آية : ٥ ، ٦ .

[1] سورة البقرة ، آية : ١٢٨ .

الأسباب الموجبة من كل وجه يمتنع الرجحان.

ولو أنهم قدحوا في ذلك لا نسد عليهم طريق إثبات الصانع ، لأن الفعل الممكن لابد له من مرجح يرجح وجوده على عدمه ، ولا يكون الترجيح بلا مرجح ، وهذا هو الأصل الذي بنوا عليه إثبات الصانع [1].

ويقول ابن تيمية أيضاً : (والعقل يدل على ذلك ، فإنه إذا قدر أن جميع الأسباب الموجبة للفعل من الفاعل كما هي من التارك ، كان اختصاص الفاعل بالفعل ترجيحاً لأحد المثلين على الآخر بلا مرجح ، وذلك معلوم فساده بالضرورة ، وهو الأصل الذي بنوا عليه إثبات الصانع ، فإن قدحوا في ذلك انسد عليهم طريق إثبات الصانع)[3] .

وشبهة المعتزلة التي جرتهم إلى نفي اختصاص ا المؤمن دون الكافر بالأسباب الميسرة له الإيمان والعمل الصالح هي ظنهم أن ذلك ظلم من ا تعالى حيث يكون بذلك قد خص عبداً دون عبد ، والحق أن هذا ليس ظلماً من ا تعالى ، فإن الظلم هو أن يعاقب ا الإنسان بذنب غيره ، أو أن ينقص من حسناته ، أو أن يحمله سيئات غيره ، أما اختصاص المؤمن بالإيمان والطاعة وتيسير ذلك له دون الكافر فإنه فضل ا وإحسانه الذي يؤتيه من يشاء من خلقه ، فا أعلم بعباده وبمن يصلح للهداية ومن لا يصلح لها ، وهو المتفرد بالاختيار بمقتضى علمه بعباده وحكمته في أفعاله ، وهو بذلك ليس ظالماً لهم ، لأنه لم يمنعهم ما يستحقونه ، ولذلك فإن الثواب من ا تعالى للمؤمن على طاعته هو فضل من ا ورحمة ، أما عقوبته للكافر فهي عدل منه ، وله سبحانه في كلا الأمرين حكمة بالغة .

وقول المعتزلة بأن الإيمان ليس نعمة من ا تعالى مبني على قولهم بخلق العباد لأفعالهم ، وتسويتهم المؤمن بالكافر فيما يحصل له من الإيمان والتوفيق والإرشاد ، أما الفعل فقد نفوا أن يكون ا تعالى خالقه وموجده ، ولكن العبد عندهم هو خالق فعله وموجده ، وذلك ليصح عندهم تكليف كل العباد بدون اختصاص لأحد على أحد ، بحيث

---

(٢) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٤٦/٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٧/٣ .

يتحمل كل عبد مسؤولية أفعاله ، ولا يكون لقدرة ا ومشيئته مدخل في هداية المؤمنين وخذلان الكافرين.

وبهذا يتبين لنا أن المعتزلة ربطوا خيوط مذهبهم الواهية بعضها ببعض حتـى تشابكت ، فتعذر عليهم نقضها أو إصلاحها ، فكل أصل فاسد عندهم مبني على أصـل فاسد قبله ، ويلزمه أصل فاسد بعده ، حتى انتهى بهم الأمر إلى التناقض والتعارض ، يقول ابن تيمية : (وأما خلق أفعال العباد واختصاصه أهل الإيمـان بإعـانتهم علـى الطاعة فليس هذا من الظلم في شيء باتفاق أهل السنة والجماعة وسائر المثبتين للقـدر من جميع الطوائف ، ولكن القدرية تزعم أن ذلك ظلم ، وتتكلم في التعديل والتجـوير بكلام متناقض فاسد)[1].

وقد يقال : إن القول بأن ا هو خالق الفعل ، وخلق الفعـل مـستلزم لوجـوده ونحو ذلك من الأقوال يقتضي الجبر والجبر باطل.

فالجواب : أن لفظ (الجبر) لم يرد في كتاب ولا سنة لا بنفـي ولا إثبـات ، واللفظ إنما يكون له حرمة إذا ثبت عن المعصوم ، وهو ألفاظ النصوص في الكتـاب والسنة ، وما ورد في هذه النصوص علينا أن نتبع معناها.

أما لفظ " الجبر" فهو من الألفاظ المحدثة ، وقد بين السلف أن لهذا اللفظ معنيين:

الأول : الإكراه لأن الجبر المعروف في اللغة : هو إلزام الإنسان بخـلاف رضاه ، أو هو ما يفعل بدون إرادة المجبور ، بل مع كراهته ، كما يجبر الأب ابنتـه على النكاح[2].

فمعنى الجبر هنا : إنكاحها بدون رضاها واختيارها ، كما يقول الفقهاء في باب النكاح : هل تجبر المرأة على النكاح أو لا تجبر ؟ وإذا عضلها الولي مـاذا تصنع ؟ فيعنون بجبرها إنكاحها بدون رضاها ، ويعنون بعـضلها منعهـا ممـا ترضاه وتختاره.

---

[1] منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣١١/٢ .

[1] انظر لسان العرب ، لابن منظور : ١١٦/٤ .

وا   سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل العبد مختاراً راضياً لما يفعله ومبغضاً وكارهاً لما يتركه ، كما هو الواقع ،

فلا يكون العبد مجبوراً على ما يحبه ويرضاه ويريده ، ولا يكون معضولاً عما يتركه ، بل فعله وتركه باختياره وبإرادته.

وا   تعالى قادر على أن يجعل العبد مختاراً ، وإنما يجبر غيره من لا يقدر على جعله مختاراً ، وا   تعالى قد جعل العبد مختاراً فلا حاجة إلى إجباره . وهذا المعنى للجبر متنف في حق ا   تعالى ، فإنه سبحانه لا يخلق الفعل الاختياري في العبد بدون اختياره ، بل هو الذي جعله مريداً مختاراً ، وهذا لا يقدر عليه أحد إلا ا   جل علا.

المعنى الثاني : وهو أنه قد يراد بالجبر : نفس فعل ما يشاؤه وإن خلق اختيـار العبد . أي جبر العباد على ما أراده ، وجبر القلوب على فطرتهـا ، مـع خلـق الاختيار فيها .

فإن أريد بالجبر هذا المعنى ، فهذا حق ، فإن كل ما في هذا الكون يقع بمـشيئة ا   تعالى وإرادته.

وإن أريد به المعنى الأول وهو الإكراه على الفعل أو الإكراه على التـرك فهو باطل.

وبناء على ذلك فقد كان للسلف في معاملة هذا اللفظ طريقتان :

الطريقة الأولى : وهي نفي الجبر مطلقاً ، وإطلاق نفيه ، ومن ذهب إلى ذلـك الزبيدي[1] ، محمد بن الوليد فنفى الجبر بالنظر إلى المعنـى الأول وهـو الإكـراه أو العضل ، وقال : أمر ا   أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل.

---

(1) محمد بن الوليد عامر الزبيدي ، أبو الهذيل ، قاض ، من الأعلام في رواية الحديث ، ثقة ، من أهـل حمـص ، كان أعلم أهل الشام بالفتوى والحديث ، توفي سنة ١٤٩هـ . انظر تهذيب التهذيب : ٥٠٢/٩ ، تذكرة الحفاظ : ١٥٣/٢ ، الأعلام : ١٣٣/٧ .

الطريقة الثانية : وهي منع إطلاقه ، لأن هذا اللفظ قد يحمل معنـى صـحيحاً ، فنفيه قد يقتضي نفي الحق والباطل ، وإلى هذه الطريقة ذهب الأوزاعـي والثـوري ، وعبد الرحمن بن مهدي [1] ، وأحمد بن حنبل وغيرهم ، لأن هذا اللفظ لا يثبت لا ينفى مطلقاً ، فلا يقال مطلقاً ، جبر ، ولا لم يجبر ، فإنه لفظ مجمل ،

فهؤلاء نظروا إلى المعنى الحق والمعنى الباطل ، ولذلك لم يمنعوا لفظ الجبـر مطلقاً بل قالوا : إن أريد به الأول وهو الإكراه والعضل فهو كذب وافتراء منتف فـي حق ا تعالى . وإن أريد به المعنى الثاني وهو أن نفس جعل ا العبد فاعلاً قـادراً ، ونفس كون الداعي والقدرة يستلزم وجود الفعل ، قيل هذا المعنى حق ، ولا دليل على إبطاله.

ولهذا فقد اتفق أئمة السلف مثل الأوزاعي والزبيدي وسفيان الثوري وغيـرهم على إنكار لفظ الجبر وقالوا : الجبر لا يكون إلا من عاجز ، فلا نقول به وإنما نقول : جبلَ ، ولا نقول جبر ، لأن الجبل جاءت به السنة ، كما في الحـديث الـصحيح : أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس [2] : (إن فيك خلقين يحبهما ا : " الحلـم والأنـاة " ، فقال : أخلقين تخلقت بهما ، أم خلقين جبلت عليهما ؟ فقال : (بل خلقين جبلـت عليهما) ، فقال : الحمد الذي جبلني على خلقين يحبهما ا)[3][4].

وبعد ... فإن المعتزلة لا يستطيعون تصور العدل الإلهي ما لم يقولـوا بخلـق العباد لأفعالهم تنزيهاً عن الظلم ، يقول ابن تيمية رحمه ا (وهؤلاء عندهم لا يتم تنزيهه عن الظلم إن لم يجعل غير خالق لشيء من أفعال العباد ، بل ولا قادر على ذلك

---

[2] عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري اللؤلؤي ، أبو سعيد ، من كبار حفاظ الحـديث ، ولـد سـنة ١٣٥هـ ، وتوفي سنة ١٩٨هـ . انظر تهذيب التهذيب : ٢٧٩/٦ ، حلية الأوليـاء : ٣/٩ ، تـاريخ بغـداد : ٢٤٠/١٠ .

[1] الأشج العبدي ، يقال له أشج عبد القيس ، مشهور بلقبه هذا ، واسمه المنذر بن عمرو ، أو ابن الحـرث ، قـدم على رسول ا ﷺ سنة ١٠هـ . انظر الإصابة : ٦٦/١ .

[2] صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان با تعالى : ٤٨/١ ، عن ابن عباس رضي ا عنه ، وعـن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه .

[3] انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣/ ٣٦ ، ٢٤٧ .

وإن لم يجعل غير شاء لجميع الكائنات ، بل يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يـشاء)[١] وهذا وضحناه بأن ا قادر على الأجناس والسلف يريدون القدرة التامة على الأجناس والأعيان وجميع المقدورات .

وقضية خلق العباد لأفعالهم وتصرفاتهم قضية خطيرة قد كـر عليهـا الـسلف بأنواع الردود والإبطال ولعل من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي بينت أن ا هو خالق الخلق ذواتهم وأفعالهم ما يكون خير رد وأفضل دليل على فساد قول المعتزلة وبطلان مذهبهم فمن هذه الآيات:

أولاً : قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [٢].

وأفعال العباد داخلة في عموم " كل " فهي من عموم خلق ا تعالى ، والعجيب أن المعتزلة قد أدخلوا كلام ا سبحانه وتعالى والذي هو صفة من صفاته في عموم (كـل) وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم (كل) ، والصواب أن ا سبحانه وتعالى وصفاته غير داخلة في هذا العموم ، وإنما يدخل فيه سائر مخلوقاته بما فيهـا العبـاد وأفعالهم[٣].

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [٤].

هذه الآية في تفسيرها وجهان :

الأول : أن " ما " مصدرية ، والمراد : الذي خلقكم وخلق أعمالكم ، وهو ضعيف.

الثاني : أن " ما " موصولة بمعنى " الذي " ، والمراد : الـذي خلقكـم والـذي تعملونه من الأصنام .

وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية الوجه الثاني[١] ووافقه على ذلك ابن الـوزير

---

[٤] جامع الرسائل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية : ١٢١/١ – ١٤٩ .

[٥] سورة الزمر ، آية : ٦٢ .

[١] انظر شرح العقيدة الطحاوية ، لعلي بن أبي العز الحنفي : ٤٣٩ .

[٢] سورة الصافات ، آية : ٩٦ .

الذي ذكر أن الآية تحتمل بالنظر إلى لفظها ثلاث احتمالات :

الأول : أن ا تعالى خالق جميع أفعال العباد على العموم.

الثاني : أن ا تعالى خالق الأصنام التي هي معمولات العباد ومصنوعاتهم لما فيها من أثر تصويرهم وتشكيلهم.

الثالث : أن ا تعالى خالق الأصنام التي فيها عملهم وتصويرهم ويكون التقدير ، وما تعملون فيه.

وقد رجح ابن الوزير رحمه ا تعالى الوجه الثاني لعدة وجوه منها :

أولاً : إن ا تعالى ذكر هذه الآية في سياق حجة إبراهيم الخليل عليه السلام على المشركين عندما حاججهم في بطلان ما يفعلونه من الشرك ، فكون الأصنام مخلوقة تعالى ومعمولة للعباد أوضح برهان على بطلان ربوبيتها واستحقاقها للعبادة ، وليس في كون أفعال العباد مخلوقة تعالى حجة على ذلك من هذه الجهة . وهذا ما يبطل قول من قال إن (ما) مصدرية.

ثانياً : إن ا تعالى قد ذكر آيات بهذا المعنى فقال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ [٣].

وهذه الآية تصدق قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [٤].

وتدل على أن (ما) موصولة بمعنى الذي : أي خلقكم وخلق الذي تعملونه.

ثالثاً : إن النص على أن أعمالهم مخلوقة تعالى ينافي توبيخهم عليها

---

[٣] انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٦١/٣ ، ومجموعة الفتاوى ، لشيخ الإسلام : ٧٦/٨ .

[١] سورة الفرقان ، آية : ٣ .

[٢] سورة النحل ، آية : ٢٠ .

[٣] سورة الصافات ، آية : ٩٦ .

والاستنكار الشديد لصدورها عنهم [١].

وقد ذكر ابن تيمية هذا الوجه واحتج به على القول بأن (ما) بمعنى (الذي) وهذا يبطل قول من قال إن (ما) مصدريه لأنه لو كان المعنى : أنه هو خالقكم وخالق أعمالكم ، لم يكن ذلك مناسباً للذم والتوبيخ ، فإنه تعالى قد ذمهم على العبادة وهي من أعمالهم ولو كان المقصود الذي خلقكم وخلق أعمالكم لكان ذلك أقرب للعذر[٢].

والسؤال الذي يرد الآن : إذا كان معنى الآية : وا خلقكم والذي تعملونه فهل هذا يدل على خلق ا لأفعال العباد أم لا ؟

والجواب : أن هذه الآية تدل على خلق ا لأفعال العباد من وجه آخر ، فإنه إذا كانت (ما) بمعنى الذي والمراد : ا خلقكم وخلق الذي تعملونه من الأصنام والمخلوقات ، فإن هذا فيه إثبات خلق ا تعالى لأفعال العباد من جهة اللزوم.

وذلك لأن ا خلق المعمول الذي عملوه ، وهي الأصنام المنحوتة ، وهو سبحانه خالق التآليف القائمة بها ، وهذه التآليف سبب من عمل بني آدم ، وا سبحانه هو خالق المسبب ، وهو خالق السبب من باب الأولى ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [٣] ،

فالسفن معمولة لبني آدم ، وا تعالى أثبت في الآية أنه خلقها ، وإذا كان سبحانه خالق هذه المصنوعات ، علم أنه خالق أفعالهم من جهة اللزوم ، وذلك لأن عمل بني آدم سبب في وجود هذا المعمول والمصنوع ، وا سبحانه خالق السبب والمسبب ، وهذا يصدق في جميع المصنوعات التي يصنعها الإنسان.

وعلى قول القدرية فإن ا تعالى لم يخلق إلا الخشب أو المادة التي يصلح أن

---

(٤) انظر إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير اليمني : ٣١٨ وما بعدها بتصرف .

(٥) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٦٠/٣ .

(١) سورة يس ، آية : ٤٢ .

تكون سفناً أو أصناماً ، ومن المعلوم أن خلق هذه المواد وحدها لا يوجب خلق الصورة التي حصلت بفعل العباد ، فلا بد من أفعال بني آدم حتى يصح أنها سفن أو أصـنام ، وا تعالى قد أخبر في الآيـات أنـه خـالق هـذه الـصور التـي حـدثت بأفعـال بني آدم ، وهذا يدل على أنه خالق لأفعال بني آدم من جهة اللـزوم ، فـإن أفعـال العباد أمر لازم في إخراج هذه المصنوعات وهي سبب في صنعها ، وقد أخبر ا أنه خالق هذه المصنوعات ، فالأولى أنه خالق أسبابها ولوازمها [1].

أما الأدلة على خلق ا لأفعال العباد من السنة فهي كثيرة ، فقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد على نسبة أفعال العباد إلى ا تعالى وأنه تعالى هو خالقها ومقدرها ، ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ : (إن ا يصنع كل صانع وصنعته) [2] ، وقوله ﷺ : (كل شـيء بقدر حتى العجز والكيس) [3] ، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال لأبي موسـى : (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ، لا حول ولا قوة إلا با) [4] ، وفي الصحيحين أنـه ﷺ كان يقول بعد انقضاء صلاته (لا إله إلا ا وحده لا شريك له ، له الملـك ولـه الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) [5] ،

وكان رسول ا ﷺ يقول ذلك الدعاء عند اعتداله من الركوع ، وفي هذا نفـي الشريك عن ا ، وإثبات كمال ملكـه وعموم حمده وقدرته ، وفيه رد على المعتزلة الذين قالوا إن العبد يفعل باختياره عطـاء ومنعاً ، لم يشأه ا ولم يجعلـه ا معطيـاً مانعاً [6].

---

[2] انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٦٠/٣ ، ٢٦١ ، وانظر مجموعة الفتاوى : ٧٦/٨ .

[3] خلق أفعال العباد ، للبخاري : ٤٦/١ ، من حديث حذيفة رضي ا عنه .

[٤] صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كل شيء بقدر : ٢٠٤٥/٤ من حديث عبد ا بن عمر رضي ا عنه .

[5] صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا علا عقبة : ٢٣٤٦/٥ .=

= وصحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر : ٢٠٧٨/٤ .

[1] صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة : ٢٨٩/١ .

صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة : ٤١٥/١ .

([2]) انظر شفاء العليل : ٢٨٨/١ .

نقد أدلة المعتزلة العقلية على نفي خلق الله تعالى لأفعال العباد :

استدل المعتزلة على خلق العباد لأفعالهم بأدلة عقلية تدل - على حد زعمهـم – على إثبات خلق العباد لأفعالهم وتنفي كون ا خالقاً لأفعال العباد أو مريداً لها ، وفيما يلي الرد على تلك الأدلة :

أولاً : قولهم إن نسبة أفعال العباد إلى ا فيه نسبة الظلم والكذب والفسوق إلـى ا تعالى قول فيه دعوى باطلة ، وذلك من عدة وجوه :

الوجه الأول : إن هذه القبائح من الأفعال مثل الظلم والكذب والفسوق يتـصف بها من كانت فعلاً له قائماً به ، فيقال لمن فعل الظلم إنه ظالم ، ولمن كذب إنه كاذب ، أما من خلق هذه الأفعال وجعل غيره يتصف بها فلا يتصف بهذه الأفعـال القبيحـة ، وكما أنه سبحانه وتعالى خلق الخلق وجعل لهم أوصافهم من اللون والـشكل والطـول

والقصر فهو خالق هذه الصفات ، لكنه تبارك وتعالى ليس متصفاً بها على الإطلاق لأنه جلت قدرته قد جعلها صفة لمخلوقات ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا : (فهو سبحانه منزه عن فعل القبائح ، لا يفعل السوء ولا السيئات ، مع أنه سبحانه خالق كل شيء ، أفعال العباد وغيرها ، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل سوءاً وظلماً وقبحاً وشراً ، والرب قد جعله فاعلاً لذلك) [1] .

الوجه الثاني : إن هذه الأفعال القبيحة إنما كانت قبيحة بسبب عواقبها التي تعود على صاحبها ، فضرر هذه الأفعال إنما يعود على فاعلها الذي فعلها وقامت به ، ولا يعود على خالقها وهو ا سبحانه وتعالى ،

فا تعالى إذا خلق في الإنسان ظلماً وكفراً وفسوقاً ومرضاً وجوعاً فإن ضرر هذه المخلوقات يعود على الإنسان ، ولا يعود على ا سبحانه وتعالى منه شيء ، يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (ومعنى قبحها - أي الأفعال - : كونها ضارة لفاعلها ، وسبباً لذمه وعقابه ، وجالبة لألمه وعذابه ، وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به ، لا على الخالق الذي خلقها فعلاً لغيره)[2] .

الوجه الثالث : إن هناك فرقاً بين كون ا تعالى خالقاً ، وكون العبد فاعلاً ، فالعبد لا يصح أن يكون خالقاً للفعل مع ا تعالى ، كما أن ا تعالى لا يصح إلا أن يكون خالقاً لفعل العبد فاعلاً له ، ولا يصح أن يقال : إن أفعال العباد تقوم بالرب تبارك وتعالى أو أن يكون متصفاً بها ، أو أن تعود أحكامها من النفع والضرر والذم والثواب والعقاب على ا تعالى.

وعلى ذلك فإن ا تعالى إذا خلق في عباده ظلماً وكفراً وكذباً لا يصح أن يكون تعالى هو الظالم الكافر الكاذب ، لأنه تعالى تنزه عن قيام أفعال العباد به أو أن يلحقه أحكامها ، يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى عن أفعال العباد : (هي من ا خلقاً لها في

---

[1] جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١/١٣٠ .

(١) مجموعة الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا : ٨/٧٧ .

غيره ، وجعلاً لها عملاً لغيره ، وهي من العبد فعلاً له قائماً به وكسباً [1] يجـر بـه منفعة إليه أو يدفع عنه به مضرة ، وكون العبد هو الذي قام به الفعل ، وإليـه يعـود حكمه الخاص انتفاعاً أو تضرراً ، جهة لا تصلح ، فإن ا لا تقوم به أفعال العباد ، ولا يتصف بها ، ولا تعود إليه أحكامها ، التي تعود إلى موصوفاتها . وكون الرب هو الذي خلقها وجعلها عملاً لغيره بخلق قدرة العبد ومشيئته وفعله جهة لا تصلح للعبـد، ولا يقدر على ذلك إلا ا)[2].

ثانياً : قولهم : إن خلق العباد لأفعالهم فيه تنزيه عن ظلم العباد وهذا الظلـم بأن يخلق فيهم الفعل ثم يعاقبهم عليه ، كما أن القول بخلق العباد لأفعالهم فيـه تعظـيم للتكليف ، والثواب والعقاب وإرسال الرسل . يجاب عليه من عدة وجوه :

الوجه الأول : إن خلق ا تبارك وتعالى لأفعال العباد ثم عقابه عليها ، لا يعـد ظلماً منه سبحانه وتعالى ، لأن فعل العبد الاختياري هو السبب في حدوث العقوبة له ، وا تعالى هو خالق الأسباب والمسببات ، وهو سبحانه جعل للأسـباب تـأثيراً فـي مسبباتها ، ومن ذلك فعل العبد ، فإنه سبب في حصول الثواب والعقاب ، فهو سـبحانه خالق فعل العبد ، وهو الذي جعل العقاب مرتباً على معاصي العباد ، كما جعل سبحانه الحسنات والأعمال الصالحة سبباً في الثواب.

وهو سبحانه وتعالى مع خلقه لذلك فقد جعل هناك أسباباً أخرى تدفع المـسببات وتمنع حصولها ، فالسيئات تكفر بالتوبة النصوح ، والأعمال الصالحة ، والمصائب قد تكفر أيضاً في الدنيا.

فكـل مسبب له سبب يؤثر في حصوله ، وله مانع يؤثر في عـدم حـصوله ، فمثلاً : خلق ا السم وجعله سبباً للموت أو المرض ، وجعل له مانعاً مـن حـصول مقتضاه مثل الدواء ، فا سبحانه خلق السم وخلق المرض وخلق الدواء وهذا لا ينفي تأثير السم في حصول المرض.

---

(1) هذا الكسب الذي أثبته السلف هو ما وافق معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة ، وهـو بمعنـى الفعـل والعمل ، وليس هو كسب الأشاعرة الذي لا طائل عنه . انظر ص (٢٨٩) من هذا البحث .

(٣) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ١٤٩/٣ .

كذلك فإنه تعالى خالق فعل العبد وجعل العقوبة عليه وجعل التوبة مانعـة مـن العقوبة ، فخلقه تعالى لهذه المخلوقات لا ينفي تأثير فعل العبد في حصول العقوبة عليه إذا كان معصية ، فلو قيل : إن خالق الفعل مع حصول العقوبة عليه ظالم ، كان بمنزلة أن يقال : خالق السم ثم حصول الموت به ظالم ، ولا شك أن ترتيب المـسببات علـى أسبابها لا يتنافى مع خلق الله تعالى للأسباب والمسببات [1] ، وكذلك فعل العبد العاصي فإنه سبب في حصول العقوبة عليه ، ولا يعد هذا ظلماً لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، أما عقوبة الله تعالى للعبد على معصيته التي وقعت باختياره ، والتـي كانت السبب في حصول العقوبة لا تعد ظلماً ، بل هي وضع للشيء في موضعه الذي يليق به ، فإن من الظلم أن يعاقَب الإنسان على فعل غيره ،

يقول ابن تيمية رحمه الله : (الظلم الذي هو ظلم هو أن يعاقب الإنسان علـى عمل غيره ، فأما عقوبته على فعله الاختياري وإنصاف المظلومين مـن الظـالمين ، فهو من كمال عدل الله تعالى) [2] .

الوجه الثاني : إنه قد يحدث من الإنسان ظلم للعباد وتعد على حقـوقهم ، ممـا يوجب عليه العقوبة في الدنيا ، فظلمه للعباد سبب في عقوبة العباد له ، وعقوبة العباد له لا تعد ظلماً له مع إقرارهم بأن الله هو خالق فعله فيه.

فإذا كان المخلوقون يعاقبون العبد على ظلمه مع إقرارهم بأن الله خالق أفعـال العباد ، ولا يعد ذلك ظلماً منهم ، وإنما هو عدل منهم ، فهذا في حق الله تعالى أولى ، وهو أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين.

فإن العقلاء من الناس يعلمون أن خلق الله لأفعال العباد لا يتعارض مع اختيـار العبد، ولا ينفي عنه مسئوليته عن أفعاله ، ففعل العبد من خلق الله تعـالى ، وهـذا لا يتنافى مع قدرة العبد واختياره وأن الفعل واقع بقدرته وإرادته ، ولهذا فهو مسئول عن أفعاله أمام الله تعالى ، وليس في ذلك ظلم له ، يقول ابن تيمية رحمه الله : (وإذا كان غير الله يعاقب عبده على ظلمه وإن كان مقراً بأن الله خالق أفعال العباد ، وليس ذلـك

---

(١) انظر ص (٢٨٠) من هذا البحث .

(٢) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣٩/٣ .

ظلماً منه ، فا أولى أن لا يكون ذلك ظلماً منه)[1].

فإن مما هو معلوم في الفطر والعقول أن مقابلة الظالم على ظلمه عدل ولـيس ظلماً. وإن كانوا مقرين بالقدر ، وا أولى بأن تكون العقوبة منه عدلاً وليس ظلماً[2] ، والعبد يستحق العقوبة على ظلمه للعباد وأخذ حقوقهم ، لأن فعله سبب فـي حـصول العقوبة ، كذلك فهو يستحق العقوبة من ا تعالى على معاصيه وكفره وفسوقه لأن فعله هذا سبـب في حصول العقوبة عليه في الدنيا والآخرة ، ولهذا يقول ابن تيمية رحمـه ا : (واستحقاق هذا الفاعل لأثر فعله الذي هو معصية ا ، كاستحقاقه لأثره إذا ظلم العباد)[3] .

ولا شك أنه ما من أحد يقدح في استحقاق العبد للعقوبة على أخذه لحقوق الناس وظلمه لهم ، وعلى هذا فإنه يستحق العقوبة على معصية ا وتعدي حدوده من بـاب الأولى ، يقول ابن تيمية رحمه ا : (وأما كون الرب خالق كل شيء فذلك لا يمنـع كون العبد هو الملوم على ذلك – أي المعصية - ، كما أن غيره من المخلوقين يلومـه على ظلمه وعدوانه ، مع إقراره بأن ا تعالى خالق أفعال العباد)[4] .

الوجه الثالث : إن أفعال ا تعالى تتضمن حكمة عظيمة لا تدركها العقول ، فإن قدر ا الكفر على الكافر والمعصية من العاصي ، فإن في قدره هـذا حكمـة بالغـة ومصلحة عامة ، وإذا عاقبه على ذلك فقد عاقبه بالعدل والحكمة ، وذلك لأنه قد جعـل للعبد قدرة على الاختيار ، فما وقع منه من المعصية وقع بفعله الاختياري الذي خلقـه ا فيه وقدره عليه ، وجعل له القدرة على اختياره أو تركه ، ولهذا يقول ابـن تيميـة رحمه ا : (فإذا قدر (ا) على الكافر كفره ، قدره ا لما له في ذلك من الحكمـة والمصلحة العامة ، وعاقبه لاستحقاقه ذلك بفعله الاختياري وإن كان مقدراً ، ولما لـه

---

(١) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ١٤٨/٣ .

(٢) انظر المصدر السابق : ١٥٠/٣ .

(٣) انظر المصدر السابق : ٢٨/٣ .

(١) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ١٥٠/٣ .

في عقوبته من الحكمة والمصلحة العامة) [1] .

فالثواب أو العقاب اللذان يقعان على العبد هما نتيجة فعله الاختيـاري الـذي تعالى فيه وقدره عليه.

وعقاب ا تبارك للعبد على ما خلقه فيه من الأفعال التي أقدره على اختيارها، أو اختصاصه للعبد بأن خلق فيه العمل الصالح ثم أثابه عليه لا يعد ظلمـاً ، فـإن تعالى في هذا وهذا حكمة بالغة تعجز العقول عن تصورها.

وهو سبحانه لم يعاقب أو يثب إلا على نفس الفعل الاختياري الذي فعله العبـد بنفسه وباختياره ، ولهذا فإن الثواب والعقاب من ا تعالى على أفعال عباده لا يكـون إلا عدلاً ، لأنه نتيجة أعمالهم ، وهو منه حكمة أيضاً لأنه سبحانه العليم بعباده الحكـيم في أفعاله وفي عواقبها المحمودة ومقاصدها المطلوبة وغاياتها المحبوبة ، وعلى ذلـك يدل قول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (فأمره لهم إرشاد وتعليم وتعريف بالخير ، فإن أعانهـم على فعل الأمور كان قد أتم النعمة على المأمور ، وهو مشكور علـى هـذا وهذا ، وإن لم يعنه ، وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك كله حكمة أخـرى ، وإن كانت مستلزمة تألم هذا ، فإنما تألم بأفعاله الاختيارية التي من شأنها أن تورثه نعيماً أو ألماً ، وإن كان ذلك الإيراث بقضاء ا وقدره فلا منافاة بين هذا وهذا ، فجعله المختار مختـاراً من كمال قدرتـه وحكمته ، وترتيب آثار الاختيار عليه مـن تمـام حكمتـه وقدرته) [2].

ثالثاً : قولهم إن العاقل لا يشوه نفسه ولا يشوه غيره ، وا تعالى أولى بـأن لا يشوه نفسه بالظلم والكذب والفسوق ولا يشوه غيره بخلق هذه الأفعال فـيهم ، فيعـود عليه وعليهم أحكامها.

والجواب على ذلك أنه قد مر معنا بأن ا تعالى لا تقوم به أفعـال العبـاد ولا تلحقه أحكامها ، فكونه تعالى خالقها لا يقتضي أن تعود أحكام أفعال العباد إليه ، بل إن

---

(٢) المصدر السابق : ٣٧/٣ .

(١) المصدر السابق : ٣٨/٣ .

ذلك مما ينزه عنه تبارك وتعالى[١] .

ولذلك فإن ما كان من العبد من الظلم والكفر والفسوق هو من خلق ا تعـالى وهو فعل قائم بالعبد ، ولا يكون فعلاً قائماً با ولا متصفاً بـه ولا تلحقـه أحكامـه ، وعلى ذلك فإن خلق ا تعالى لأفعال العباد لا يكون تشويهاً تعالى.

وأما قولهم : إن خلق ا تعالى لأفعال العباد فيه تشويه لغيره . فإن هذا أيضاً لا يصلح لأن ا سبحانه وتعالى قد جعل في العبد قدرة على اختيار فعله وهذا الاختيـار هو سبب في إلقاء المسئولية على العبد.

ولذلك فإن ما يقع من العبد من الظلم والفسوق والكذب إنما هـو تـشويه مـن الإنسان لنفسه ، وليس تشويهاً من ا تعالى له.

فقد سبق القول بأن خلق ا الكفر في الكافر والمعصية في العاصـي وتقـديره عليه ليس ظلماً منه تعالى ولا تشويهاً له ، بل هو من الحكمة التي يفعل ا لأجلهـا ، وهو سبحانه لم يجبرهم على ذلك فإن ا تعالى مع كونه خالق أفعال العبـاد فإنـه لا يخلق الفعل الاختياري دون اختيار العبد له [٢] ، فاختيار العبد للفعل شرط في حصوله وسبب في ذلك ، كما أن مشيئة ا تعالى سبب آخر لحصول الفعل ، وما يحدث للعبـد من التشويه والذم والعقاب إنما هو نتيجة للسبب الأول الذي وقع من جهة الإنـسان ولا يكون نتيجة للسبب الثاني الذي وقع من جهة ا تعالى ، ويدل على ذلك قوله تعـالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ٣٠ ﴾ [٣] وقوله تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ ﴾ [٤].

فهذه الآيات ذكرت مشيئة العبد وتأثيرها في حصول الفعل ، ثـم ذكـرت بـأن

---

(٢) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ١٤٩/٣ ، وانظر ص (١٩٥) من هذا البحث .

(١) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٤٦/٣ .

(٢) سورة الإنسان ، آية : ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) سورة التكوير ، آية : ٢٨ ، ٢٩ .

مشيئة ا تعالى شاملة لمشيئة العبد ولها تأثير أيضاً في حصول الفعل ، فأثبت سبحانه مشيئة العبد وجعلها لا تحصل إلا بمشيئة ا تعالى[1] .

رابعاً : قولهم أنا نفصل بين حسن الوجه وقبحه ، وبين المحـسن والمـسيء ، فنحمد المحسن على إحسانه ، ونذم المسيء على إساءته ، ولا يصح ذلك فـي حـسن الوجه أو قبحه ، فيجاب عليه بأن أفعال العباد الاختيارية من الإحسان والإساءة والبـر والفجور والإيمان والكفر تقع حسب إرادة العبد وتنعدم حسب صارفه ، وإرادة العبـد وصارفه يقع بمشيئة ا تعالى ، ولذلك فإن العبد يثاب أو يعاقب ويمدح أو يـذم علـى أفعاله الاختيارية ، أما صفاته الاضطرارية من اللون والشكل والطول والقصر وحسن الوجه أو قبحه فهذه ليس للعبد فيها اختيار ، ولذلك لا يعاقب عليها ولا يثاب ولا يـذم ولا يمدح.

فنقول : إن مما هو معلوم بداهةً أن الأفعال الاختيارية هي التي تُلْحـقُ بالعبـد المدح أو الذم ، أما الصفات الاضطرارية فلا يلحق العبد منها حكم .

وكل من الأفعال الاختيارية والصفات الاضطرارية هـي خلـق ا تعـالى ، والفرق بينهما هو وجود الاختيار في الأفعال وعدمها في الصفات.

ولكن مسئولية العبد عن أفعاله الاختيارية لا تستلزم أن يكون العبد خالقاً لها بل يكفي أن يكون فاعلاً مختاراً لها ، وهذا ما أثبته ا تعالى في كتابه الكريم ، حيث أثبت للعبد مشيئة تؤهله لاختيار أفعاله ، وجعل تلك المشيئة تابعة لمشيئة ا تعالى .

أما الخلق فلم يثبته ا تعالى لأحد ، بل أثبت تفرده بخلق المخلوقات كلها فقـال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [2] وقال تعـالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [3] .

---

(٤) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٣٧/٣ ، وشفاء العليل ، لابن القيم : ٣٧٤/١ .
(١) سورة فاطر ، آية : ٣ .
(٢) سورة الزمر ، آية : ٦٢ .

والمقصود أن العبد مسئول عن فعله الاختياري الذي فعلـه بقدرتـه ومـشيئته التابعة لمشيئة ا الشاملة ، وليس هو خالقاً لأفعاله ، ومسئوليته عن أفعاله الاختياريـة دون صفاته الاضطرارية لا يستلزم أن يكون العبد خالقاً لها ، بل يكفي أن يكون فاعلاً لها ، وفعل العبد ومشيئته هو ما أثبته ا تعالى في كتابه الكريم ، أما خلقه لأفعاله فهو مما نفاه ا تعالى في كتابه الكريم [1].

خامساً : قولهم : إن هذه التصرفات والأفعال واقع حسب حاجتنـا ودواعينـا ، وتنفي حسن صارفنا وكراهتنا ، وأن هذا هو سبب تعلق هذه الأفعال بنا . فلا شـك أن هذا القول مردود ، وخير رد عليه هو دعاء الاستخارة.

قال جابر بن عبد ا [2] : كان رسول ا ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين مـن غيـر الفريضة . ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فـضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهـم إن كنـت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فيسره لي ويسرني له ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبـة أمـري فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ، قال: ويسمي حاجته) [3].

يقول ابن قيم الجوزية رحمه ا : (فقوله : إذا هم أحدكم بالأمر صريح في أنه الفعل الاختياري المتعلق بإرادة العبد ، وإذا علم ذلك فقوله : " أستقدرك بقـدرتك " أي أسألك أن تَقْدرني على فعله بقدرتك.

ومعلوم أنه لم يسأل القدرة المصححة التي هي سلامة الأعضاء وصحة البنية ، وإنما سأل القدرة التي توجب الفعل فعلم أنها مقدرة ومخلوقة له ، وأكد ذلك بقوله :

---

(٣) انظر المصطلحات الكلامية في أفعال ا ، رسالة مطبوعة في جامعة أم القرى .

(٤) جابر بن عبد ا بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي ، صحابي من المكثرين من رواية الحديث ، توفي سنة ٧٤هـ . انظر الإصابة : ٢١٣/١ ، الأعلام : ١٠٤/٢ .

(١) صحيح البخاري ، أبواب التطوع ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى : ٣٩١/١ .

" فإنك تقدر ولا أقدر " تقدر أن تجعلني قادراً فاعلاً ولا أقدر أن أجعل نفسي كذلك) .

ثم يقول رحمه ا : (وكذلك قوله " يسره لي أو اصرفه عني " .

فإنه طلب من ا تيسيره إن كان له فيه مصلحة وصرفه عنه إن كان فيه معزة.

وهذا التيسير والصرف متضمن إلقاء داعية الفعل في القلب وإلقاء داعية الترك فيه ، ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل ، وداعية الترك حصل الترك) ، ثم يقول رحمه ا : (وقوله : " فاصرفه عني واصرفني عنه " صريح في أنه سبحانه هو الذي يصرف عبده عن فعله الاختياري إذا شاء صرفه عنه ، كما قال تعالى في حق يوسف الصديق : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [1] وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعـي القلب وميله إليهما فينصرفان عنه بصرف دواعيها) [2].

وقـد سبق أن ذكرت أن وجود الفعل لا يكون إلا عند الداعي التـام والقـدرة التامة ، وهذه القدرة التامة والداعي التام من خلق ا تعالى ، وهذا ما سلم بـه حـذاق المعتزلة.

ومع وجود القدرة والداعي لا يحدث الفعل إلا بالإرادة.

والقول في الإرادة مثل القول في القدرة والداعي ، فإن الإرادة أمـر ممكـن ، والممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح تام ، ولو كان وجود الفعـل بـإرادة العبد وحده وإرادته حادثه للزم أن يكون لهذا الحادث مرجح ، وإذا لم يكن ذلك المرجح تاماً للزم التسلسل الباطل [3] .

يقول ابن تيمية رحمه ا : (إن كون العبد مريداً فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً ، أمر حادث بعد أن لم يكن ، فإما أن يكون له محدث ، وإما أن لا يكون له محدث ، فإن لم يكن له محدث لزم حدوث الحوادث بلا محدث ، وإن كان له محدث فإما أن يكـون

---

(٢) سورة يوسف ، آية : ٢٤ .

(٣) شفاء العليل ، لابن قيم الجوزية : ٢٨٥/١ .

(١) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٣٦/٣ .

هو العبد ، أو الرب أو غيرهما .

فـإن كان هو العبد ، فالقول في إحداثه لتلك الفاعليـة كـالقول فـي إحـداث أحداثهـا ، ويلزم التسلسل ، وهو هنا باطل بالاتفاق ، لأن العبد كائن بعد أن لم يكن ، فيمتنع أن تقـوم به حوادث لا أول لها ، وإن كان غير ا ، فالقول فيه كـالقول فـي العبد ، فيتعين أن يكون ا هو الخالق لكون العبد مريداً فاعلاً ، وهو المطلوب.

وأهل السنة يقولون بهذا العلم الضروري ، فيقولون : إن العبد فاعل ، وا خلقه فاعلاً ، والعبد مريد مختار، وا جعله مريداً مختاراً) [1] . وفي هذا ما يثبت خلق ا لأفعال العباد وتعلق قدرتهم ودواعيهم وصوارفهم بقدرة ا تعالى ، وإذا كان المعتزلة قد أثبتوا إيجاد ا تعالى لقدرة العبد ، إلا أنهم جعلوا هذه القدرة لا علاقة لها بقدرة ا ولا متعلقة بها ، بل ليست سبباً في إضافة أفعال العباد إلى ا تعالى.

وإنما هي لطف من ا تعالى بعباده ، وهو مما يجب عليه فعله مـن إقـدارهم على الفعـل دون تدخل من القدرة الإلهية في إيجاد الفعل أو تركه أو الصرف عنـه ، وقد تقدم الرد عليهم[2] .

ومما سبق يتبين بطلان أدلة المعتزلة وفسادها وقصورها عن معرفة الحق،

فهي إنما قامت على التعصب الأعمى للعقل ، وتقديمه على النقل الذي زعمـوا أن الاستدلال به بعيد في هذه المسائل ، وإنما هو مثبت لأدلة العقل القطعية – على حد قولهم – وهذا ما يعلم فساده وبعده عن الحق وميله عن طريق السنة والحكمة.

وأما ما أوردوه من الأدلة النقلية التي سيقت لإثبات موافقة دلالة الكتـاب علـى دلالة العقل ، ومن ذلك.

أولاً : قوله تعالى : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [3] فإن هذه الآية إذا

---

(٢) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٣٦/٣ .

(١) راجع ص (١٩٥) من هذا البحث .

(٢) سورة الملك ، آية : ٣ .

نظر إليها العاقل دون بتر لها من سياقها العام وهي قولـه تعـالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [1] يجد أن ا تعالى قد خص هذه الآية بالسماوات فلا شقوق فيها ولا فطور ، ولم يذكر أفعال العباد ولا غيرها [2] .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [3] وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [4].

فالمعنى هنا هو أنه سبحانه وتعالى يحسن أن يخلق خلقه ، فأخبر تعالى أنه يعلم كيف يخلق الأشياء ، وكيف يحسنها ويتقنها[5] .

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [6].

فهذه الباء : باء السبب أي بسبب أعمالكم ، وا تعـالى خـالق الأسـباب والمسببات فإليه يرجع الأمر كله ، وفعل العبد سبب في حصول فعله ، وليس هو السبب الوحيد في وجود الفعل ، وإنما يحدث بإرادة العبد وبمشيئة ا تعالى . وقد سبق بيان معنى هذه الآية وتوضيح المراد فيها [7] .

رابعاً : الآيات التي فيها إضافة الفعل إلى العبد بأنواع الإضـافات العامـة والخاصة ، فأضافها بالاستطاعة تارة ، وبالمشيئة تارة ، بالإرادة تارة ، وبالفعـل

---

(٣) سورة الملك ، آية : ٣ .

(٤) انظر اللمع ، للأشعري : ٨٥ .

(٥) سورة السجدة ، آية : ٧ .

(٦) سورة النمل ، آية : ٨٨ .

(١) انظر اللمع ، للأشعري : ٨٥ .

(٢) سورة السجدة ، آية : ١٧ . سورة الأحقاف ، آية : ١٤ . سورة الواقعة ، آية : ٢٤ .

(٣) راجع ص (١٧٣) من هذا البحث .

تارة ، والصنع تارة ، والإضافة الخاصة كإضافة الـصلاة والـصيـام والحـج والطهارة والفسوق وسائر أفعالهم إليهم ، وكذلك الآيات التي ورد فيها التوبيـخ والاستعجاب من أفعال العباد ، لا تدل على خلق العبد لفعله لأن إضافة الأفعـال إلى العباد حق لا شك فيه وهذا دليل يحتج به على الجبرية ، ولكن القول بأن هذه الإضافة تمنع إضافة الأعمال إلى ا سبحانه وتعالى ، قول فيه تلبيس ، فإن أراد بمنع الإضافة إليه منع قيامها به ووصفه بها واشتقـاق الأسماء لـه منهـا فهـذا صحيح ، فهي غير مضافة إليه بشيء من هذه الاعتبارات والوجـوه ، وإن أراد بمنع الإضافة إليه عدم إضافتها إلى علمه بها وقدرته عليها ومشيئته العامة وخلقه فهذا باطل ، فإن أعمال العباد معلومة سبحانه مقدورة له مخلوقة ، وإضـافتها إلى العباد لا تمنع إضافتها إلى ا سبحانه وتعالى .

فمثلاً : الأموال فإنها مخلوقة تبارك وتعالى وهي ملكه حقيقـة ، وقـد أضافها إليهم . فالأعمال والأموال خلقه وملكه وهو سبحانه يضيفها إلى عبيـده ، وهو الذي جعلهم مالكيها وعامليها ، فأموالهم وأعمالهم ملكـه وبيـده ، كمـا أن أسماعهم وأبصارهم وأنفسهم ملكه وبيده ، فهو الذي جعلهم يسمعون ويبـصرون ويعلمون ، فأعطاهم حاسة السمع والبصر وقوة السمع والبصر ، وفعل الأسـماع والإبصار ، وأعطاهم آلة العمل وقوة العمل ونفس العمل[1] .

يقول ابن تيمية رحمه ا : (والمقصود هنـا أن القائـل إذا قـال : هـذه التصرفات فعل ا أو فعل العبد ، فإن أراد بذلك أنها فعل ا بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين وبصريح العقل ، ولكن من قال هي فعل ا وأراد به أنهـا مفعولة مخلوقة كسائر المخلوقات فهذا حق)[2] .

---

(١) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢/٥-٦ .

(٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية : ٨/٧٦ .

ومعلوم بصريح العقل أن الله خالق كل شيء وخالق الصفات والحركات والأفعال والأعمال ، وجميع الخلق خلقه وملكه ، فإذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل وليست صفة للخالق ، وإذا خلق علماً وقدرة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر ، وإذا خلق فعلاً لعبد كان العبد هو الفاعل ، وإذا خلق كذباً وكفراً وظلماً كان العبد هو الكاذب الظالم الكافر.

والمقصود أن إضافة الفعل للعبد تجعله فاعلاً متصفاً بذلك الفعل ، ولا تدل على خلق العبد لفعله .

سادساً : قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [1].

فالجواب : أن الله سبحانه وتعالى أراد تكذيب المشركين الذين أنكروا الحشر والبعث بعد الموت . فنفى سبحانه وتعالى العبث عن خلقه للسماوات والأرض والذي يتضمن عدم إثابة المطيعين أو عقاب العاصين ، وذلك هو الذي ظنه الكافرون فقد قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [2] ولم يذكر هنا أفعال العباد [3] .

ومما سبق يتبين لنا أن : المعتزلة أعظموا جانب الأمر والنهي ، وأهملوا جانب القدر وجعلوا العباد هم الخالقون لأفعالهم ، وفساد قول المعتزلة لا يخفى على ذي لب ، وقد أنكره سلف الأمة وأئمتها [4].

والحاصل : أن المعتزلة أرادوا تنزيه الله عن القبائح ، فقاسوا الغائب على

---

(٣) سورة ص ، آية : ٢٧ .

(١) سورة ص ، آية : ٢٧ .

(٢) انظر الإبانة في أصول الديانة ، للأشعري : ١١١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٦٨/٨١ .

الشاهد وشبهوا ا بخلقه فأوجبوا عليه وحرموا ، وكان هذا هو مفهومهم للعـدل الذي نتج عنه إخراجهم أفعال العباد عن خلق ا بناء على أصولهم الفاسدة.

يقول ابن القيم رحمه ا بعد بيان مذهب المعتزلة : (فخذ من قولهم أنـه حكيم لا يفعل إلا لمصلحة وحكمة ، وأنه لا يفعل الظلم مع قدرته عليه ، بل تنزه لغناه وكماله ، وأنه لا يعاقب أحداً بغير ذنب ولا يعاقبه بما لم يفعله . فضلاً عـن أن يعاقبه بفعل هو فعله فيه أو فعل غيره فيه ، وأنه جعل الأسـباب مقتـضيات لغاياتها ، وألق من قولهـم إنكارهم خلقه لأفعال عباده إنكار عود الحكمـة إليـه وقياس أفعاله على أفعال عباده) (١).

فإن كل الآيات التي أوردها المعتزلة حق لا شك فيه وهي صـحيحة فـي إثبات فعل العبد وقدرته على الفعل والترك ، ولكن القرآن أيضاً مملوء بما يـدل على أن أفعال العباد حادثة بمشيئة ا وقدرته ومـن ذلـك قولـه تعـالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢) وقولـه تعـالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣) .

والواجب علينا هو الإيمان بكل ما جاء في القرآن الكريم ، ولا يجـوز أن نؤمن ببعـض ونعرض عن بعض ، بل لا بد من الجمع بـين هـذه النـصوص والإيمان بها جميعاً ، وهذا يكون بإثبات مشيئة العبد وقدرته ، وإثبات مـشيئة ا وقدرته ، وإثبات شمول ا تعالى لمشيئة العبد.

---

(٤) مختصر الصواعق المرسلة ، لابن قيم الجوزية : ١٩٦ .

(١) سورة الأنعام ، آية : ١١٢ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٢٣- ٢٤ .

وفي الجمع بين النصوص التي تثبت مشيئة الله تعالى وتضيف الفعل إليه وبين النصوص التي تثبت مشيئة العبد وتضيف الفعل إليه نقول : إن إحداث الله سبحانه وتعالى لأفعال العباد وفعله لها بمعنى أنه خلقها منفصلة عنه قائمة بالعبد ، وجعل للعبد قدرة ومشيئة تمكنه من فعل الفعل الذي خلقه الله فيه ، وإحداث العبد للفعل بمعنى أنه حدث منه الفعل القائم به بالقدرة والمشيئة التي خلقها الله فيه ، وكل من هذين الإحداثين مستلزم للآخر ، وسبب في حدوث الفعل ، وجهة الإضافة مختلفة ، فالرب أحدثه قائماً بالمخلوق ، والعبد أحدثه قائماً به ، فلا يكون العبد فاعلاً للفعل بمشيئته وقدرته حتى يجعله الله كذلك.

فأفعال العباد مفعولة لله تعالى لا فعل له ، وإنما فعله ما قام به ، وإنما هي فعل للعبد قائم به مفعول للرب [1] ، وسيأتي زيادة توضيح لذلك في المبحث الخاص إن شاء الله تعالى بعلاقة القضاء والقدر بالعدل الإلهي [2] . والمقصود هنا التنبيه على أنه لا تنافي بين كون الفعل واقعاً بمشيئة الله تعالى الشاملة لكل المخلوقات وبين فعل العبد باختياره وقدرته ومشيئته . وقد جمع الله تعالى بين هاتين المشيئتين في كتابه الكريم فقال : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ٣٠ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ ﴾ [4] .

فدلت الآيات على أن مشيئة العبد سبب ضروري في حصول الفعل ،

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) راجع ص (٣٥٨) من هذا البحث .

(٣) سورة الإنسان ، آية : ٢٩-٣٠ .

(٤) سورة التكوير ، آية : ٢٨ ، ٢٩ .

ومشيئة ا سبب ضروري في حصول الفعل ، والسبب الأول متوقف على السبب الثاني ، وبمجموعهما يحدث الفعل ويكون خلقاً وفعلاً للعبد.

وما استدل به المعتزلة صحيح في نسبة الأفعال إلى العباد ، ولكـن هـذه النسبة غاية ما فيها أنها تثبت أن للعبد قدرة وقوة وإرادة يفعل بها ،

ولم تثبت هذه الآيات خلق العباد لأفعالهم ، كما أن هناك آيات كثيرة أضاف فيها ا تعالى أفعال العباد من الهدى والضلال إليـه فقـال تعـالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ [1] .

وقوله تعـالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [2] فأضاف الهداية إليه وأضافها إلى عباده .

كما أضاف سبحانه الفعل إلى الجمادات في آيات كثيرة ، وأثبت أن لها قوة وقـدرة تفعـل بهـا وأضاف تلك الأفعال إليه ، ومن هذه الآيات قوله تعـالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3] وقولـه تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [4] وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ

(5) سورة البقرة ، آية : ٢٦ .
(١) سورة الأنبياء ، آية : ٧٣ .
(٢) سورة الزمر ، آية : ٤٢ .
(٣) سورة السجدة ، آية : ١١ .

ﭐلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[1]، فأضاف الفعل إليه سبحانه وتعالى وأضافه إلى ملك الموت.

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ [2] ،

وقال تعالى : ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [3] ،

فأضاف الفعل إلى القرآن وأضافه إليه سبحانه وتعالى . وأمثال ذلك كثيـر في القرآن الكريم ، فإضافة الفعل للحي أولى من إضافته للجماد ، يقول ابن تيمية رحمه ا : (فإذا كان تبارك وتعالى قد جعل في الجمادات قـوى تفعـل ، وقـد أضاف الفعل إليها ، ولم يمنع ذلك أن يكون خالقاً لأفعالها ، فلأن لا يمنع إضـافة الفعل إلى الحيوان ، وإن كان ا خالقه بطريق الأولى) [4] .

والمعتزلة مقرون بأن ا تعالى خالق الجمادات ومـا فيهـا مـن القـوى والحركات.

وما دامت هذه الجمادات مخلوقة تعالى ، وقد أضاف إليها الفعـل فـي القرآن الكريم ، والقدرية لا تنازع في ذلك ، فثبت أن ذلك لا ينافي كـون الـرب تبارك وتعالى خالقاً لكل شيء بما في ذلك أفعال العباد [5] .

---

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٦١ .

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٩ .

(٦) سورة المائدة ، آية : ١٦ .

(١) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٤٤/٣ .

(٢) انظر المصدر السابق : ٢٤٤/٣ ، ٢٤٥ .

المبحث الرابع :

مذهب الأشاعرة في العدل الإلهي .

تعريف العدل عند الأشاعرة :

ذهب الأشاعرة إلى أن العدل هو : (كل ممكن إذا قدر وجوده) ، فكل ما يقع في الكون فهو من إيجاد الله تعالى ، حادث بإرادته ، وهو عدل منه سبحانه . فله سبحانه وتعالى أن يفعل ماله فعله بدون سبب ولا حكمة ولا مصلحة ، وهو في كل ذلك عادل لا يظلم أحداً.

يقول البغدادي : (وإذا قيل له سبحانه عدل ، فمعناه العادل ، وقال سيبويه : معناه ذو العدل لقوله تعالى : ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَىۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ (1) .

واختلف أصحابنا – أي الأشاعرة - في تحديد العدل من طريق المعنى ، فمنهم من قال : هو ما للفاعل أن يفعله ، فإذا قيل له يلزمك على هذا أن يكون كل كفر معصية عدلاً من أجل أنها عندك من أفعال الله تعالى وله أن يفعلها ، أجاب عنه بأن كلها عدل منه وإنما هي جور وظلم من مكتسبها (2)) .

ويقول الجويني في معنى اسمه تعالى " العدل " : (هو العادل ، وهو الذي يفعل ماله فعله) (3) .

وقد نقل ابن تيمية عن الأشعري هذا التعريف للعدل فقال : (... كل ممكن إذا قدر وجوده منه فهو عدل ... وهؤلاء يقولون : مهما تصور وجوده وقدر وجوده فهو عدل ... وهذا قول المجبرة ، مثل جهم (4) ومن اتبعه ، وهو قول الأشعري وأمثاله من أهل الكلام ، وقول من وافقهم من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية (5)) (1) .

---

(1) سورة الطلاق ، آية : ٢ .

(2) أصول الدين ، لعبد القاهر البغدادي : ١٣١- ١٣٢ ، وانظر شرح العقائد العضدية المطبوع مع كتاب الشيخ محمد عبده : ٥٥٧/٢ . والتفسير الكبير ، للرازي : ١٠٢/١٠ .

(3) الإرشاد ، للجويني : ٦٤.

(4) جهم بن صفوان السمرقندي ، أبو محرز ، من موالي بني راسب ، رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً ، قتل سنة ١٢٨هـ ، انظر ميزان الاعتدال : ١٩٧/١ ، ولسان الميزان : ١٤٢/٢ ، الأعلام : ١٤١/٢.

(5) الصوفية حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات ، وازدياد الرخاء الاقتصادي كردة فعل مضادة للانغماس في الترف الحضاري ، وتطور المذهب حتى صار لأصحابه طرق مميزة معروفة باسم " الصوفية " واختلفت الأقوال في سبب التسمية بالصوفية ، ولها طرق معنية منها القادرية والرفاعية والأحمدية ، وغيرها . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ٣٣٩ وما بعدها .

تعريف الظلم عند الأشاعرة :

ذهب الأشاعرة إلى أن الظلم في حق ا ليس بممكن الوجود ، فالظلم ممتنع محـال لذاته ، فهو عندهم كالجمع بين الضدين ، وكون الشيء موجوداً معدوماً ، لأن معنى الظلـم هو : (التصرف في ملك الغير ، أو مخالفة الآمر الذي تجب طاعته)[٢].

يقول الغزالي : (والظلم عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه ، وهو محـال على ا تعالى ، فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً) [٣].

فلا حقيقة عندهم للظلم الذي نزه الرب تبارك وتعالى نفسه عنه البته ، ولا يتـصور وجوده ، وكل ممكن عندهم فليس بظلم بل هو عدل ، وهم يقولون : إنـه تعـالى يمتنـع أن يوصـف بالقدرة على الكذب والظلم وغيرهما من القبائح ، ولا يصح وصفه تعالى بـشيء منها ، وذلك لأن القبيح – عندهم – هو ما شرع ا ذم فاعله ، وذم الفاعل لما ليس له فعله ، وذلك عندما يكون الفاعل متصرفاً في ملك غيره . ولذلك فإن الظلم مـستحيل فـي حقـه تعالـى لأنه لم يكن آمراً لنا بأن نذمه ، ولأن أفعاله لا تدخل تحت تكليف من نفسه لنفـسه ، ولا يكون فعله تصرفاً في شيء هو ملك غيره ، فثبـت بذلـك – عندهـم – اسـتحالة تصـوره في حقه[٤] .

وحقيقـة قولهم هو أن الظالم هو الذي يتصرف في ملك غيره ، أو هـو العاصـي للآمر ، وا سبحانه وتعالى يمتنع أن يتصرف في ملك غيره ، ويمتنع أن يتصرف في ملك أحد ، أو أن يعصي أمر أحد .

وبناء على قولهم هذا فقد جوزوا أن يدخل ا سبحانه وتعالى كل من أطاعه والتـزم أمره النار ، وجوزوا أن يدخل ا تعالى العصاة الجنة ويخلدهم فيها . لأن ذلك ممكن مقدور تعالى ولذلك فهو عدل . فهو سبحانه المتصرف في ملكه يفعل ما يشاء بمحـض قدرتـه وإرادته .

---

(٦) جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٢١/١ .

(١) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٢١/٢ .

(٢) إحياء علوم الدين ، للغزالي : ١١٢/١ . وانظر المواقف ، للإيجي : ٢٥٨/٣ .

(٣) انظر اللمع ، للأشعري : ٧١ . ومنهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢١/٣ .

يقول الأشعري : (فلما لم يكن الباري مملكاً ولا تحت آمر ، لـم يقـبح منـه شيء) [1].

ويقول : (ولا يقبح من الله لو ابتدأهم - أي العباد – بالعذاب الأليم وأدامه ، ولا يقبح منه أن يعذب المؤمنين ويدخل الكافرين الجنان ، وإنما نقول إنه لا يفعل ذلك لأنه أخبرنا أنه يعاقب الكافرين ، وهو لا يجوز عليه الكذب في خبره) .

وعلى ذلك فلو عذب الله تعالى أنبياءه ورسله وأولياءه وأبطل جميع حـسناتهم ، ونعم الكافرين وأخلدهم في الجنة لكان ذلك عدلاً منه سبحانه ، ولكنه سبحانه لا يفعـل ذلك – عندهم – لعدم جواز الكذب عليه في خبره .

(١) اللمع ، للأشعري : ٧١ .

أدلة الأشاعرة على تعريفهم للعدل الإلهي :

لم أقف على دليل للأشاعرة في مصادرهم الأصلية يستدلون به على مفهـومهم للعدل الإلهي ، ولكن قولهم في تعريف العدل مبني على أصول مذهبهم التي أوردوا لها أدلة عقلية كما سيأتي بيان ذلك .

وقد نقل عنهم ابن تيمية وابن القيم بعض الأقوال التي تؤيد ما ذهبوا إليـه فـي مفهومهم للعدل ، ونسبوها إلى الأشاعرة ومن وافقهم من نفاة الحكمة فـي أفعـال ا تعالى[1] والمجبرة .

---

(١) ذكر ابن القيم أنهم استدلوا بالحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد ا بن مسعود رضـي ا عنـه قال: قال رسول ا ﷺ : (ما أصاب العبد قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك ابن عبـدك ابـن أمتـك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبـي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي إلا أذهب ا همه وغمه وأبدله مكانهـا فرحـاً ، قـالوا : يارسول ا أفلا نتعلمهن ؟ قال : بلى ، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن) .

فقالوا : قد دل الحديث على أن جميع أقضيته في عبده عدل منه ، انظر مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩١ .

وقد رد ابن القيم على هذا الدليل وبين أن قوله ﷺ يفيد أن جميع أقضيته سبحانه فـي عبـاده مـن المـصائب والمعائب والثواب والعقاب كلها عدل .

والحق أن الحديث دل على أن جميع أقضيته سبحانه وتعالى في عبده عدل ، وذلك لأن كل ما قضاه على عبـده فقد وضعه في موضعه الذي يناسبه ، ولم يضع سبحانه شيئاً في غير موضعه ، ولذلك فإن كل أفعاله عـدل لا ظلم فيها لصدورها عن حكمة بالغة . فقضاؤه سبحانه في عباده عدل لكمال حكمته وكمال عدله ، وليس بمحض المشيئة والقدرة فقط ، يقول ابن القيم رحمه ا تعال : (فعند أهل السنة : الجميع قضاؤه والجميع عدل منه في عبده ، لا بمعنى كونه متصرفاً فيه بمجرد القدرة والمشيئة ، بل بوضع القضاء في موضعه ، وإصابة محله) . مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم : ١٩٥ .

كما أورد ابن تيمية رحمه ا تعالى استدلال الأشاعرة بدليل عقلي مفاده أن ا تعالى قد أمكن عباده من الفساد والظلم ، ولم يمنعهم ، ثم عاقبهم على ذلك ، وأن ذلك لو وقع من البشر لكان ظلماً وهو يقع من ا تعالى ولذلك قالوا : إن الظلم هو المحال لذاته ، وإنه يفعل بلا حكمة ولا علة ، والجواب على هذا الدليل من عدة وجوه :

الوجه الأول : إن هذا الدليل مبني على قياس الغائب على الشاهد ، وقياس أفعال ا تعالى على أفعال العبـاد لا يصح ، بل هو فاسد من كل وجه ، ويلزم منه التشبيه في الأفعال ، يقول ابن القيم رحمه ا : (وبالجملة فقياس أفعال ا على أفعال العباد باطل قطعا ومحض التشبيه في الأفعال) ، مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٤٠١/٢ .

الوجه الثاني : إن ا تعالى قد أعطى عباده قدرة واختياراً ، فأقدرهم على الطاعـات والمعاصـي والـصلاح والفساد ، وهذا الإقدار هو مناط الشرع والأمر والنهي ، ولولاه لم يكن شرع ولا رسالة ولا ثواب ولا عقاب. =

ويتبين مما سبق أن الأشاعرة اعتمدوا في تعريفهم للعدل الإلهي والظلم على عدة أصول :

أولاً : نفيهم للحسن والقبح الذاتيين في الأفعال ، ولذلك فليس للأفعال عندهم معان من الحسن والقبح يفعل الله لأجلها أو يترك ، بل كل ما يفعله فهو حسن وكل ما يتركه فهو قبيح .

ثانياً : نفيهم للإيجاب العقلي على الله تعالى فلا يجب عليه شيء عندهم – إطلاقاً.

ثالثاً : نفيهم للحكمة والتعليل في أفعاله تعالى ، فعندهم يجوز أن يفعل الله تعالى كل ماله فعله بدون مراعاة حكمة ولا مصلحة ولا رعاية ، بل بمحض المشيئة والقدرة.

رابعاً : نفيهم للعلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات ، فليست الطاعات سبباً في الثواب ، ودخول الجنات ، وليست المعاصي سبباً في العقاب ، ودخول النار .

= ولو حال الله بين عباده وبين قدرتهم لارتفع الشرع والتكليف ولم يكن للبعثة فائدة ، ولزم عن ذلك لوازم لا يحبها الله ولا يرضاها) ، انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٤٢٩/٢ .

وكون العبد مختاراً لفعله قادراً عليه ، لا ينفي عموم مشيئته سبحانه وتعالى وقدرته وإرادته . واستدلالهم بهذا الدليل يستند إلى مذهبهم في أفعال العباد ونفيهم أن يكون لقدرة العبد تأثير في حصول فعله ، وقولهم بأن العبد كاسب لأفعاله وليس فاعلاً لها ، وهذا ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الوجه الثالث : إن ما يرى في الخلق من ظلم بعض العباد لبعضهم ، وعدم منع الله تعالى لهم وهو قادر على ذلك لا يدل على أنه تعالى يفعل ماله فعله بلا حكمة ولا مشيئة ، بل إن ذلك يدل على أن له سبحانه وتعالى حكمة لا يعلمها أحد ، وهو سبحانه حميد مجيد منزه عن استحقاق الذم على ذلك ولا نقول إن فعله سبحانه هذا يشبه ظلم العباد . فإنه سبحانه يحسن منه مالا يحسن من عباده ، وذلك لكمال حكمته وعلمه سبحانه الذي لا يماثله فيه أحد من خلقه . انظر منهاج السنة لابن تيمية : ٣١٢/٢ – ٣١٣ .

مذهب الأشاعرة في التحسين والتقبيح :

لم يثبت الأشاعرة الحسن والقبح الذاتيين للأفعال ، بل الحسن والقبح عندهم شرعيان ، بمعنى أن العقل لا يدل على حسن فعل ولا على قبحه ، وإنما الحسن ما ورد الشرع بالأمر به والثناء على فاعله، والقبح ما ورد الشرع بالنهي عنه وذم فاعله،

يقول الجويني : (العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف ، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع . وأصل القول في ذلك أن الشيء لا يحسن لنفسه وحسنه وصفة لازمه له ، وكذلك القول فيما يقبح)[١] ،

ويقول الشهرستاني : (مذهب أهل الحق أن العقل لا يدل على حسن الشيء وقبحه في حكم التكليف من ا شرعاً ، على معنى أن أفعال العباد ليست على صفات نفسية حسناً وقبحاً ، بحيث لو أقدم عليها مقدم أو أحجم عنها محجم استوجب على ا ثواباً أو عقاباً ، وقد يحسن الشيء شرعاً ويقبح مثله المساوي له في جميع الصفات النفيسة ، فمعنى الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله ، ومعنى القبيح ما ورد الشرع بذم فاعله)[٢] .

فجمهور الأشاعرة لم يثبتوا الصفات الذاتية المقتضية لحسن الأفعال أو قبحها ، وما يقتضيه ذلك من الملائمة أو المنافرة للفطرة ، ورتبوا على ذلك أن كون الفعل ممدوحاً أو مذموماً إنما يتعلق بالأمر بالفعل أو النهي عنه .

أما الرازي والإيجي والتفتازاني ومن تابعهم فقد خالفوهم في ذلك فأثبتوا الحسن والقبح الذاتيين للأفعال ، وما يقتضيه ذلك من ملائمة الفطرة ومنافرتها التي هي التحسين والتقبيح ، وأثبتوا أن للأفعال صفات كمال أو صفات نقص ، وأن ذلك يقتضي ملاءمتها للفطرة أو منافرتها لها .

---

(١) الإرشاد ، للجويني : ١٠٧.

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشهرستاني : ٣٧٠ .

ومع أنهم خالفوا أصحابهم في هذا الأصل ، إلا أنهم عادوا وحصروا التحـسين والتقبيح العقليين المنفيين في كون الفعل موجباً للثواب والعقاب والمـدح والـذم فـي العاجل والآجل .

وحقيقة قول هؤلاء أن إثبات صفات الكمال أو النقص للأفعال لا ينـافي نفـي التحسين والتقبيح العقليين في أفعال الله من الثواب والعقاب ، بمعنى أن الأفعـال لهـا صفات ذاتية من الحسن أو القبح ، ولكن لو أمر الشرع بما هو قبيح لصار حسناً ، ولو نهى عما هو حسن لصار قبيحاً ولا يستحق العبد على الأول المدح والثـواب وعلـى الثاني الذم والعقاب .

يقول التفتازاني : (وليس النزاع في الحسن والقبح بمعنى صفة الكمال والنقص كالعلم والجهل ، وبمعنى الملاءمة للغرض وعدمها كالعدل والظلم ، وبالجملة كل مـا يستحق المدح أو الذم في نظر العقول ومجاري العادات ، فإن ذلك يدرك بالعقل ، ورد الشرع أو لا ، وإنما النزاع في الحسن والقبح عند الله تعالى بمعنى استحقاق فاعله في حكم الله تعالى المدح أو الذم عاجلاً والثواب والعقاب آجلاً)[1] .

فدل قوله على أن الفعل الذي يأمر به الشرع هو الحسن ويستحق صاحبه عليـه الثواب والمدح وإن كان الفعل له صفات ذاتية من القبح ، وأن الفعل الذي نهـى عنـه الشرع فهو قبح ويستحق صاحبه عليه العقاب والذم وإن كان الفعل له صفات ذاتية من الحسن .

إذاً فقد افترق الأشاعرة في مسألة التحسين والتقبيح على قولين :

الأول : وهو قول أبي المعالي والشهرستاني ومن وافقهما ، وهـو أن الأفعـال ليست لها صفات ذاتية من الحسن والقبح ، وإنما الحسن ما ورد الـشرع بـالأمر بـه والثناء على فاعله ، والقبح ما ورد الشرع بالنهي عنه وذم فاعله .

وهذا القول هو المشهور عن الأشاعرة .

---

(١) شرح المقاصد ، لسعد الدين التفتازاني : ٢٨٤/٤ .

الثاني : وهو قول الرازي والتفتازاني وصاحب المواقف ، وهو أن الأفعال لهـا صفات ذاتية من الحسن والقبح ، والكمال والنقض ، وأن ذلك يقتضي ملاءمتها للفطرة أو منافرتها لها .

ولكنهم وافقوا أصحابهم بأن ما جاء الشرع بالأمر به والثناء على فاعلـه فهـو حسن في حكم ا ، وما جاء الشرع بالنهي عنه وذم فاعله فهو قبيح في حكم ا .

إذاً فالأشاعرة مختلفون في إثبات الصفات الذاتية للأفعال ، ولكنهم متفقون على أن ما ورد الشرع بالأمر به فهو الحسن وما نهى عنه فهو القبيح ، وهذا ما يؤكد علاقة هذا الأصل بتعريفهم للعدل الإلهي والظلم الذي نزه الرب تبارك وتعالى نفسه عنه .

فعند الأشاعرة كل ما أمر ا به فهو حسن وكل ما نهى عنه فهو قبيح حتى أنهم جوزوا أن يأمر ا بالشرك والفحشاء ولا يكون ذلك قبيحاً ، ويجوز أن ينهى عن الأمر بالمعروف ولا يكون ذلك قبيحاً .

وذلك لأنهم نفوا الحكمة والتعليل في أفعال ا تبارك وتعالى ، وقـالوا : إنـه تعالى له أن يفعل ما يشاء بمحض إرادته وقدرته دون النظر إلى الحكمة والمصلحة من هذه الأفعال ، يقول التفتازاني : (ما ورد الأمر به فهو حسن ، وما ورد النهـي عنـه فقبيح من غير أن يكون للعقل جهة محسنة أو مقبحة في ذاتـه ، ولا بحـسب جهاتـه واعتباراته حتى لو أمر بما نهى عنه صار حسناً وبالعكس)[١] .

فقوله يدل على أن ا تبارك وتعالى لو أمر بالشرك صار حسناً ، ولو نهى عن الصدق والعدل صار ذلك قبيحاً .

وذلك يلزم منه نفيهم للحكمة والتعليل في أفعال ا ، لأن نفي الأشاعرة لتعلـق أفعاله سبحانه بالأغراض – كما قالوا – هو من فـروع مـسألة التقبـيح والتحـسين عندهم[٢].

(١) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٢٨٢/٤ .

(٢) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٢٩٦/٤ .

وبهذا تبين لنا أن الأشاعرة اتفقوا على أن ما يأمر ا به فهو حسن بغض النظر عن كون الفعل حسناً في ذاته أو قبيحاً في ذاته ، وأمر الشرع بالفعل يقتـضي الثنـاء على فاعله في العاجل والثواب في الآجل ، وأما ما نهى ا عنه فهو قبيح بغض النظر عن كون الفعل قبيحاً في ذاته أو حسناً في ذاته ، ونهي الشارع عن الفعل يقتـضي ذم فاعله في العاجل والعقاب في الآجل ،

ولذلك فقد جاء تعريفهم للعدل الإلهي بأنه ما للفاعل أن يفعله أي أنـه المقـدور الممكن الذي يفعله ا بدون علة .

وهذا ما يدل على ارتباط هذا الأصل عند الأشاعرة بغيره من الأصول مثل نفي الإيجاب عن ا ونفي الحكمة في أفعاله على ما سيأتي بيانه .

أدلة الأشاعرة على نفي التحسين والتقبيح العقلين :

سلك الأشاعرة في الاستدلال على مذهبهم هنا عدة طرق منها :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [1] .

وقالوا : لو حسن الفعل أو قبح عقلاً للزم تعذيب تـارك الواجـب ، ومرتكـب الحـرام ، سواء ورد الشرع أو لم يرد ، واللازم باطل لأن الله تعالى قد ذكر أنـه لا يعذب أحداً حتى يرد الشرع بإرسال الرسل[2] .

ثانياً : قالوا : لو حسن الفعل أو قبح لذاته ما اختلف حسناً وقبحاً ، كالقتل حـداً وظلماً والضرب تأديباً وتعذيباً والصدق أو الكذب إهلاكاً أو إنقاذاً [3].

وهم يقصدون أن القتل لو كان في نفسه حسناً أو قبيحاً لما حسن في حال كونـه حدا ، وقبح في حال كونه ظلماً ، وكذلك الضرب فلو كانت له صفة ذاتية من الحـسن أو القبح ما اختلفت أحواله بحيث يحسن الضرب للتأديب ، ويقبح عند التعـذيب كلطـم اليتيم ونحوه.

فاختلاف أحوال الأفعال بين الحسن والقبح يدل – عندهم – على أن الفعل ليس له صفة ثابتة ذاتية من الحسن و القبح .

ثالثاً : لو كان الحسن والقبح ذاتيين ما اجتمعا في أخبار من قال لأكذبن غـداً أو هذا الذي تكلم به كذب . [4]

ومعنى قولهم : إن من قال لأكذبن غداً فقد اجتمع في فعله – لو فعله – حـسن وقبح ، فلو كذب غداً لاجتمع له القبح لأنه كذب والحسن لأنه وفى بقسمه ، ولـو لـم يفعله لاجتمع له القبح لأنه لم يوف بقسمه والحسن لأنه تجنب الكذب .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(٢) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٢٨٤/٤ .

(٣) انظر المصدر نفسه ونفس الصفحة .

(٤) المصدر نفسه ونفس الصفحة .

واجتماع الوصفين في الفعل الواحد يدل على أن الفعل ليس له صفة قابلية ذاتية من الحسن والقبح .

رابعاً : سلك الأشعري طريقة أخرى في الاستدلال على نفي الحسن والقبح العقليين في الأفعال وهي أن إثبات الحسن والقبح الذاتيين يستلزم امتناع النسخ في الأحكام الشرعية حيث يقول الشهرستاني : (لو كان الحسن والقبح والحلال والحرام والوجوب والندب والإباحة والحظر والكراهة والطهارة والنجاسة راجعة إلى صفات نفسية للأعيان أو الأفعال ما تصور أن يرد شرع بتحسين شيء آخر وتقبيحه ، وما تصور نسخ الشرائع حتى يتبدل خطر بإباحة ، وحرام بحلال ، وتخيير بوجوب ، وما اختلفت الأحكام بالنسبة إلى الأوقات تحليلاً وتحريماً ، أليس الحكم في نكاح الأخت للأب أو الأم في شرع نبينا آدم عليه السلام بخلاف حكم الجمع بين الأختين المتباعدتين في شرع نبينا محمد ﷺ) [١] .

خامساً : أما الرازي والإيجي ومن تبعهما فقد استدلوا على نفي التحسين والتقبيح العقليين بمعنى استحقاق العبد للثواب والعقاب في حكم الله تعالى بأن العبد لا يستقل بفعله ، وأن العبد ليس مختاراً .

ولذلك لا يحكم بحسن أفعاله أو قبحها ، يقول الإيجي : (إن العبد مجبور في أفعاله ، وإذا كان كذلك لم يحكم العقل فيها بحسن ولا قبح اتفاقاً) [٢] .

سادساً : سلك الآمدي [٣] طريقاً أخرى في نفي الحسن والقبح العقليين في الأفعال ، حيث ذكر جميع أدلة من سبقه وضعفها وردها إلى دليل واحد وهو أن الحسن والقبح إذا كانا ذاتيين للفعل ، والفعل عرض قائم بالفاعل فإنه يلزم من ذلك قيام العرض بالعرض وذلك محال على أصولهم ، لأن المتكلمين قد قرروا في دليل الحدوث

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشهرستاني : ٣٨٨ .

(٢) المواقف ، للإيجي : ٣٢٤ ، وانظر المطالب العالية ، للرازي : ٣٣٢/٣ ، ٣٣٣ والأربعين في أصول الدين : ٣٤٦ – ٣٤٧ .

(٣) سيف الدين علي بن محمد بن سالم الثعلبي ، أبو الحسن ، أصولي باحث ، ولد عام ٥٥١هـ ، وتوفي سنة ٦٣١هـ . انظر ميزان الاعتدال : ٤٣٩/١ ، لسان الميزان : ١٣٤/٣ ، الأعلام : ٣٣٢/٤ .

استحالة قيام العرض بالعرض لأن العرض عندهم لا يمكن أن يقوم إلا بالجوهر من حيث هو متحيز بالذات .

وقد ذكر هذا الدليل بعد ذكر أدلة من سبقه فقال : (وهذه الحجج ضعيفة ... والمعتمد في ذلك أن يقال : لو كان فعل من الأفعال حسناً أو قبيحاً لذاته ، فالمفهوم من كونه قبيحاً وحسناً ليس هو نفس ذات الفعل ... وإن كان مفهومه زائداً على مفهوم الفعل الموصوف به فهو صفة وجودية ... ويلزم من ذلك قيام العرض بالعرض وهو محال) [1].

وحاصل مذهب الأشاعرة أنهم جعلوا ما أمر الشرع به فهو الحسن ويستحق فاعله الثناء والثواب ، وما نهى عنه فهو القبيح ويستحق فاعله الذم والعقاب .

أما الذين أثبتوا صفات ذاتية من الحسن والقبح في الأفعال فقد عادوا وجعلوا ما أمر الشرع به فهو الحسن حتى لو كان في نفسه قبيحاً ، فأمر الشرع به جعله حسناً ويترتب على ذلك إلحاق الثناء والثواب بفاعله ، وما نهى عنه الشرع فهو قبيح ولو كان في نفسه حسناً ، فنهي الشرع عنه جعله قبيحاً ويترتب على ذلك إلحاق الذم والعقاب بفاعله ، أضف إلى ذلك أن ما ذهبوا إليه لزمهم بالقول بأنه لا يجب عليه شيء سبحانه نظراً لانتفاء صفات الحسن والقبح في الأفعال . وهذا ما سيأتي بيانه إن شاء ا تعالى فيما يلي .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ، للآمدي : ٦٤/١ .

مذهب الأشاعرة في الإيجاب على الله تعالى :

يعرف الأشاعرة الواجب بعدة تعاريف ، يعتقدون أنه لا يصح منها شيء في حق الله تعالى يقول الآمدي : (إن الواجب قد يطلق على الساقط ، ومنه يقال للشمس والحائط إنهما واجبان عند سقوطهما ، وقد يطلق على ما يلحق بتاركه ضرر ، وقد يطلق على ما يلزم من فرض عدمه المحال . والمفهوم من اسم الواجب ليس إلا ما ذكرناه وما سواه فليس بمفهوم ، ولا محالة أن الواجب بالاعتبار الأول غير مراد ، والثاني فقد بان بأنه مستحيل في حق الله تعالى : لانتفاء الأغراض عنه ، والثالث أيضاً لا سبيل إلى القول به)[1] وبهذا بين الآمدي أن جميع هذه المعاني للواجب مستحيلة في حق الله تعالى ، أما الجلال الدواني [2] فيقول في تعريف الواجب : (الواجب إما عبارة عما يستحق تاركه الذم كما قال بعض المعتزلة ، أو عما تركه مخل بالحكمة كما قاله بعض آخر ، أو عما قدر الله على نفسه أن يفعله ولا يتركه وإن كان تركه جائزاً ، كما اختار بعض الصوفية والمتكلمين مما يشعر به ظاهر الآيات والأحاديث مثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [3] ، وقوله ﷺ حاكيا عن الله تعالى : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً)) [4].

الأول باطل ، لأنه تعالى المالك على الإطلاق وله التصرف في ملكه كيف يشاء، فلا يتوجه إليه إلزام أصلا على فعل من الأفعال ، بل هو المحمود في كل أفعاله. وكذا الثاني لأنا نعلم إجمالاً أن جميع أفعاله يتضمن الحكم والمصالح ولا يحيط علمنا بحكمته ومصلحته على أن التزام رعاية الحكمة والمصلحة مما لا يجب عليه تعالى ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [5] ، وكذا الثالث لأنه إن قيل بامتناع صدور خلافه

---

(١) غاية المرام في علم الكلام ، للآمدي : ٢٢٩ .

(٢) محمد بن أسعد الصديقي الدواني ، جلال الدين ، قاض ، باحث ، ولد سنة ٨٣٠هـ ، وتوفي سنة ٩١٨هـ . انظر البدر الطالع : ١٣٠/٢ ، الأعلام : ٣٢/٦ .

(٣) سورة الغاشية ، آية : ٢٦ .

(٤) سبق تخريجه ص (٧٨) .

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٢٣ .

عنه تعالى فهو ينافي ما خرج به في تعريفه من جواز الترك ، وإن لم يقل به فإن معنى الوجوب حينئذ يكون محصله أن ا تعالى لا يترك على طريق جري العادة ، وذلك ليس من الوجوب في شيء ، بل يكون إطلاق الوجوب عليه مجرد اصطلاح)[١] .

وبهذا يتضح أن الأشاعرة جعلوا كل معاني الوجوب مستحيلة في حق ا تعالى. وعلى ذلك ذهبوا إلى نفي الوجوب مطلقاً على ا تعالى .

يقول الجويني : (فلا يجب عليه شيء) [٢].

ويقول الغزالي : (لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب)[٣] فلا يجب عند الأشاعرة على ا تعالى فعل أي شيء ، حتى ما أوجبه علـى نفـسه ، وأحقه عليها .

وبناء على قولهم هذا فقد قرروا أنه لا يجب عليه تحقيق الوعد بإثابة المطيـع ، ولا تحقيق الوعيد بالعقاب على العصية ، وأنه يجوز له أن يعفو عـن العاصـي ، ولا يلزم من ذلك خلف في الوعيد ولا كذب في الخبر .

أما الثواب فهو تفضل من ا على عباده لا على سبيل الاستحقاق ، لأن العبـد مهما قدم من الطاعات فإنه لا يفي بحق نعم ا عليه .

وكون العقاب لا يلزم من عدم تحقيقه خلف في الوعيد ولا كذب في الخبر ، لأن العقاب حقه له أخذه وتركه ، ولأن العفو عن عقوبة المذنب يعد من الكرم ومما يمـدح فاعله به .

يقول إمام الحرمين : (الثواب عند أهل الحق ليس محتوماً ، ولا جزاء مجزومـاً ، وإنما هو فضل من ا تعالى ، والعقاب لا يجب أيضاً ، والواقع منه عـدل مـن ا ،

---

(١) شرح العقائد العضدية مع حاشية الكلنبوي : ١٨٥/٢ – ١٨٩ .

(٢) الإرشاد ، للجويني : ١١٢ .

(٣) إحياء علوم الدين ، للغزالي : ١١٢ .

وما وعد الله تعالى من الثواب أو توعد به من العقاب ، فقوله الحق ووعده الصدق ، وكل ما دللنا به على أنه لا واجب على الله ، فإنه يطرد هاهنا) [1].

وقول الأشاعرة بنفي الوجوب على الله هو من لوازم قولهم بنفي التحسين والتقبيح فإنكارهم للحسن والقبح الذاتيين في الأفعال لزم منه القول بأنه لا يجب عليه شيء ، وهذا ما يبين علاقة هذا الأصل بما قبله ، ويؤكد على ارتباط هذه المسألة بقضية العدل الإلهي ، خاصة أن تعريفهم للعدل الإلهي يدل دلالة واضحة أنهم يجوزون كل فعل من الله تعالى حتى ما يخالف حكمته ورحمته ، ويجوزون عليه الخلف في وعده ووعيده ، لذلك قالوا إن الله سبحانه وتعالى له أن يفعل كل مقدر ممكن له ، وهو منه عدل ، لأنه لا واجب عليه .

(٤) الإرشاد ، للجويني : ٣٨ ، وانظر المواقف ، للإيجي المطبوع مع شرحه : ٣٢٣ – ٣٢٤ .

أدلة الأشاعرة على نفي الإيجاب على الله تعالى :

استدل الأشاعرة على نفي الإيجاب على ا تعالى بأدلة عقلية فقط ، ومن هذه الأدلة ما يلي :

أولاً : إنه سبحانه هو الآمر ، والآمر لا يتوجه عليه أمر غيره ولا يتعلق به .

ويقصدون بذلك أن ا تعالى هو الآمر الناهي وكل ما سواه يجب عليه طاعته ، لأن أمره سبحانه متعلق بهم ومتوجه عليهم ، فلا بد لهم من طاعة أمره سبحانه وتعالى ، ومن يعصيه فقد لزمه العقاب والذم أما ا تبارك وتعالى فلا آمر فوقه ، ولا يتوجه إليه أمر أحد ، ولا يتعلق به ، بحيث لو عصاه كان مذموماً معاقباً - تعالى ا عن ذلك - فلما كان ا تعالى هو الآمر ولا آمر فوقه ، فإنه لا يتصور الإيجاب في حقه .

ثانياً : إنه سبحانه وتعالى منزه عن النفع والضر ، ومعلوم أن من ترك الواجب فقد يلحقه اللوم والضرر .

وهذا يدل على أنه لا يتصور الوجوب في حقه ، وإلا لزم من ذلك تجويز إلحاق الضرر با تعالى ، وهذا محال .

ثالثا : إنه ليس هناك حسن أو قبح ذاتيين يفعل ا لأجلهما أو يترك ، فلا يجب عليه شيء حسن ولا يحرم عليه شيء قبيح ، بل كل الأفعال في حقه سواء ، وما فعله كان حسناً ، وما تركه كان قبيحاً بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى .

وقد ذكر أبو المعالي هذه الأدلة مجتمعة فقال : (فلا يجب عليه شيء ، وهذه المسألة شعبة من التحسين والتقبيح ، وسبيل تحرير الدليل فيها أن نقول لمن اعتقد وجوب شيء على ا تعالى : ما الذي عنيته بوجوبه ؟ فإن قال : أردت توجه أمر عليه كان ذلك محالاً إجماعاً ، لأنه الآمر ، ولا يتعلق به أمر غيره .

وإن قال : المعنى بوجوبه أنه يرتقب ضرراً لو ترك ما وجب عليـه ، فـذلك محال أيضاً ، فإن الرب تعالى يتقدس عن الانتفـاع والتـضرر ، إذ لا معنـى للنفـع والتضرر ، والآلام واللذة ، والرب متعال عنهما . فإن قال : المعنى بوجوبه ، حـسنه وقبح تركه ، وزعم أن كونه حسناً صفة نفس له ، فقد أبطلنا ذلك بما فيه مقنع)[١] .

وبناء على ذلك فإن الثواب والعقاب – عند الأشاعرة – لا يجب على ا تعالى فعلهما ، بل ولا يتعلق بهما معان حسنة ولا معان قبيحة ، ولا يحسن الثواب في حـق أحد ، ولا يقبح في حق آخرين وكذلك العقاب ويجـوز أن يعاقـب ا كـل الأنبيـاء والأولياء والصالحين ، ويكون ذلك حسناً وعدلاً ، ويجـوز أن يثيـب كـل العـصاة والمفسدين ، ويكون ذلك حسناً وعدلاً ، إذا لا يجب عليه شيء ولا يتصور الوجوب في حقه ، بل كل ما يفعله فهو حسن ، وكل ما يتركه فهو قبيح .

رابعاً : الثواب عند الأشاعرة فضل من ا على عباده لا على سبيل الاستحقاق، لأن العبد مهما قدم من الطاعات لا يفي بحق نعم ا عليه .

خامساً : قالوا في عدم وجوب العقاب : إن العقاب حقه تعالى فلـه أن يتركـه تفضلاً منه على العصاة .

سادساً : إن المسلمين قد اتفقوا على حسن العفو والصفح عن عقوبـة الـذنب ، وعلى مدح من لا يتمم ما يتوعد به وتعظيمه ومدحه على فعله بالعفو .

قال كعب بن زهير [٢] :

نبئت أن رسول الله أوعدني	والعفو عند رسول الله مأمول

وقد اتفق أهل اللغة على أن العفو عن الذنب بعد تقـدم الوعيـد لا يوجـب ذم المتوعد ولا جعل خبره كذباً [١] .

---

(١) الإرشاد ، للجويني : ١١٢ .

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المضرب ، شاعر عالي الطبقة ، من أهل نجد ، أسلم عند النبي ﷺ وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها : " بانت سعاد فقلبي اليوم متبول " أبوه زهير بن أبي سلمى ، توفي سـنة ٢٦هـ . انظر خزانة الأدب للبغدادي : ٤/١١ ، والأعلام : ٥/٢٢٦ .

وعلى ذلك فإن الثواب والعقاب – عند الأشاعرة – لا يجـب علـى ا   تعـالى فعلهما ، بل ولا يتعلق بهما معان حسنة ولا معان قبيحة ، ولا يحسن الثواب في حـق أحد ، ولا يقبح في حق آخرين وكذلك العقاب .

ويجوز – عندهم – أن يعاقب ا   كل الأنبياء والأولياء والصالحين ، ويكون ذلك حسناً وعدلاً ، إذ لا يجب عليه شيء ولا يتصور الوجوب في حقه ، بل كل ما يفعلـه فهـو الحسن ، وكل ما يتركه فهو القبيح .

(٣) انظر التمهيد ، للباقلاني : ٤٠٠- ٤٠١ .

مذهب الأشاعرة في الحكمة والتعليل :

ومما كان له أثر واضح على مفهوم العدل عند الأشاعرة ، هو نفـيهم للحكمـة والتعليل في أفعال ا تبارك وتعالى ، فقد ذهب الأشاعرة إلى نفي حكمة ا تعالى في أفعاله ، وقالوا : إن خلق العالم بما فيه من المخلوقات والأعراض والأصناف ليـست لعلة ولا لحكمة بل هي محض القدرة والمشيئة ،

يقول الشهرستاني : (مذهب أهل الحق أن ا تعالى خلق العالم بما فيـه مـن الجواهر والأعراض وأصناف الخلق والأنواع لا لعلة حاملة له على الفعل ، سـواء[1] قدرت تلك العلة نافعة له أو غير نافعة ، إذ ليس يقبل النفع والضرر أو قـدرت تلـك العلة نافعة للخلق إذ ليس يبعثه على الفعل باعث ، فلا غرض له في أفعاله ولا حامل ، بل علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه) [2] وقال الإيجي : (المقصد الثـامن فـي أن أفعال ا – تعالى – ليست معللة بالأغراض وإليه ذهبت الأشاعرة)[3] .

وقال الآمدي : (مذهب أهل الحق أن الباري – تعالى – خلق العالم وأبدعـه لا لغاية يستند الإبداع إليها ، ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها ، بل كل ما أبدعه من خيـر وشر ونفع وضر لم يكن لغرض قاده إليه ولا لمقصود أوجب الفعل عليه ، بل الخلـق وأن لا الخلق له جائزا ، وهما بالنسبة إليه سيان)[4] .

وهذا يبين أن الأشاعرة يرون أن كل ما في الكون هو مخلوق بقدرة ا ومشيئة دون مراعاة للحكمة أو المصلحة .

وإن كانوا يثبتون الحكمة بعد الفعل ، ولكنهم ينفون العلة قبل الفعل ، فلا حكمة عندهم ولا باعث يدعو إلى وقوع الفعل بل هي محض المشيئة والإرادة فقط .

---

(١) في الأصل : (سوا) .

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشهرستاني : ٣٩٧ ، وانظر التمهيد ، للباقلاني : ٥٠ .

(٣) المواقف ، للإيجي المطبوع مع شرحه : ٢٩٤/٣ .

(٤) غاية المرام في علم الكلام ، للآمدي : ٢٢٤ .

وهذا ما يبين علاقة هذا الأصل عند الأشاعرة بقضية العدل الإلهي .

فإذا كانت الحكمة من الفعل منفية في مفهومهم ، فإن تعالى أن يفعل ماله فعله بدون مراعاة حكمة ولا مصلحة ولا علة ، بل كل ما يفعله هو بمحض مـشيئته فقـط وهو منه عدل ،

وكل مقدور وممكن تعالى فله أن يفعله سواء اقتضت الحكمة فعلـه أولا ، إذ ليس هناك حكمة يفعل لأجلها كما زعموا .

وقد سبق وأن ذكرت أن هذا الأصل فرع عن مسألة التحسين والتقبيح ، فلـيس للأفعال صفات حسن أو قبح عند الأشاعرة ، ولذلك فليس هناك علة ما ولا حكمـة تعالى يفعل لأجلها أو يترك لأجلها ، لأن الأفعال – عندهم – متساوية والفرق بينها بعد الحدوث فما يفعله تبارك وتعالى ويأمر به فهو الحسن ، وما يتركه وينهى عنـه فهـو القبيح ، وكل فعله وتركه – عندهم – بلا حكمة ولا علة .

ولذلك فإنه تعالى لا يجب عليه شيء سبحانه – عندهم – وذلك لأنهم ينفـون أن تكون هناك حكمة تستوجب على ا فعل ذلك الفعل أو ترك الآخر .

وبهذا تتبين علاقة الأصول ببعضها وعلاقتها بالعدل الإلهي .

أدلة الأشاعرة على نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله تبارك وتعالى :

استدل الأشاعرة على نفي الحكمة والتعليل في أفعال ا تعالى بعدد من الأدلة وهي :

أولاً : استدلوا بقوله تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [1] .

ثانياً : قالوا لو كان خلق ا تعالى للعالم لعلة لوجب أن يكون سبحانه محتاجاً مستكملاً بغيره ، لأن الدواعي والأغراض إنما تجوز على ذي الحاجة الذي يريد اجتلاب المنافع ودفع المضار ، حتى لا يلحقه ألم أو لذة والقديم تعالى ليس بذي حاجة فلا يجوز عليه هذا الوصف[2] .

ثالثا : لو كان خلق ا تعالى لعلة لكانت هذه العلة قديمة أو محدثة ، وإن كانت قديمة فقد وجب قدم العالم لقدم علته ، وإن كانت محدثه لعلة وعلتها محدثه لوجب التسلسل في العلل إلى غير نهاية[3] .

رابعاً : إن جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى سبب تحصيل اللذة والسرور ودفع الألم والحزن ، وا تعالى قادر على تحصيل المطلوب ابتداء بدون وسائط ، وكل من كان قادراً على تحصيل المطلوب بدون وسائط كان توسله إلى تحصيل ذلك المطلوب بتلك الوسائط عبثاً ، والعبث محال في حقه تعالى[4] .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية : ٢٣ .

(٢) انظر التمهيد ، للباقلاني : ٥٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٥٠ – ٥١ .

(٤) انظر المواقف ، للإيجي : ٣٣٥ وما بعدها .

مذهب الأشاعرة في السببية :

ذهب الأشاعرة إلى أن الأسباب ليس لها تأثير في مسبباتها ، وإنما الفاعل على الحقيقة هو ا تعالى ، فقد أجرى العادة بأن يحدث المسبب عند حدوث السبب .

فالعلاقة بين السبب والمسبب ليست علاقة ضرورية أو علاقة تلازم ، وإنما علاقة اقتران عادي ، وهم يقولون : إن ا يفعل عند الأسباب لا بها ، فأنكروا إسناد الإحراق إلى النار ، والشبع والري إلى الأكل والشرب ، وحز الرقبة إلى السكين ، وهذا متمش مع مذهبهم في خلق أفعال العباد ونفي تأثير قدرة العبد في فعله ، فالأفعال المادية أو الإنسانية سواء كان مباشرة أو بواسطة هي من خلق ا تعالى بدون تأثير من الفاعل أو من المسبب(1) .

والأشاعرة يؤمنون بمبدأ السببية ، ويؤكدون أن كل حادث لا بدله من محدث ولا بدله من مسبب ، وبهذه الطريقة أثبتوا الصانع وحدوث العالم ، ولكنهم يحصرون السببية في أفعال ا تعالى ، وينكرون أن للأشياء خواصاً ذاتية تقتضي تأثير بعضها في بعض .

وقد ذكر ابن حزم ما ذهب إليه الأشاعرة في الفصل وقال : (وقال الباقلاني في آخر السفر الرابع من كتابه المعروف بـ (الانتصار في القرآن) نحن ننكر فعل النار للتسخين والإحراق ، وننكر فعل الثلج للتبريد ، و فعل الطعام والشراب للشبع والري ، والخمر للإسكار ، وكل هذا عندنا باطل محال ننكره أشد الإنكار ، وكذلك فعل الحجر الجذب شيء أورده أو حبسه أو إطلاقه من حديد أو غيره)(2) .

وقال الغزالي : (الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا ، بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ، ولا إثبات أحدهما متضمن لإثبات الآخر ، ولا نفيه متضمن لنفي الآخر ، مثل الري والشرب ، والشبع والأكل ،

---

(1) انظر المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين ، محمد العروسي : ١٧٩ – ١٨٠ .

(2) الفصل في الأهواء والملل والنحل ، لابن حزم : ٨٧/٥ .

والاحتراق والنار ، والنور وطلوع الشمس ، والموت وحز الرقبة ، والشفاء وشـرب الدواء ، وإسهال البطن واستعمال المسهل ، وهلم جـرا إلـى كـل المـشاهدات مـن المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف ، وإن اقترانها لما سبق من تقـدير الله – سبحانه – لخلقها على التساوق[1] ، لا لكونه ضرورياً في نفـسه غيـر قابـل للفرق ، بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل ، وخلق الموت دون حز الرقبة ، وإدامة الحياة مع حز الرقبة ، وهلم جراً إلى جميع المقترنات)[2] ،

فيرى الغزالي أن العلاقة بين السبب والمسبب ليست علاقة تطابق ، ولا علاقة تضمن ، بـل لكل منهمـا وجود مستقـل . ولذلك فإن العلاقـة بينهمـا ليـسـت ضرورية .

ويدخل في عموم هذه المسألة نفي الأشاعرة أن تكون للعبد إرادة وقدرة مـؤثرة في حصول فعله ، وزعموا أن فعل العبد إذا كان خلقاً لله واقعاً بإرادته تعالى فهذا يمنع أن يكون لإرادة العبد وقدرته مدخل في حصول الفعل ، فالعبد محل لفعـل الله فقـط ، وهو مكتسب للفعل وليس فاعلاً له على الحقيقة ، وعلى هذا الـرأي اسـتقر جمهـور الأشاعرة .

فقدرة العبد ليست سبباً عندهم لحصول الفعل ، كذلـك فـإن نفـي الأشـاعرة للعلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات كان له أثر في مفهومهم للعـدل الإلهـي ، فليست الطاعات عندهم سبباً في حصـول الثواب ، وليست المعاصـي سببـاً فـي حصول العقاب ،

ولا يلزم عندهم أن يكون العقاب مترتباً على المعاصي ولا أن يكـون الثـواب مترتباً على الطاعات والأعمال الصالحة .

وإنما يقع الثواب والعقاب من الله تعالى وفق إرادته ومحض مشيئته ، ويجـوز عندهم تعذيب المؤمنين وإثابة المفسدين لأن أفعالهم ليست سبباً في حصول ثواب أو عقاب ،

---

(١) التساوق : التتابع ، انظر القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ١١٥٧ .

(٢) تهافت الفلاسفة ، للغزالي : ٢٣٩ .

وعمدتهم في أن ا   لا يفعل ذلك هو أنه لا يجوز أن يكذب في خبره ، وقد أخبر أنـه يثيب المؤمنين ويعذب العاصين[1] .

وهذا ما يؤكد علاقة هذا الأصل عند الأشاعرة بقضية العدل الإلهي .

---

(١) انظر اللمع ، للأشعري : ٧١ .

أدلة الأشاعرة على نفي العلاقة بين الأسباب والمسببات :

استدل الأشاعرة على نفي العلاقة بين الأسباب ومسبباتها بعدة أدلة عقلية منها :

أولاً : إن إثبات السببية بين المخلوقات يتعارض مع توحيد ا في أفعاله واعتقاد عموم قدرته تعالى .

ووجه التعارض في ذلك أنه إذا كانت العلاقة بين الأسباب ومسبباتها علاقة ضرورية كان تخلفها مستحيلاً ، وما كان كذلك لا يمكن أن تتعلق به القدرة الإلهية لأن قدرة ا تعالى لا تتعلق إلا بالممكن[1] ،

وقد برر الغزالي خوضه في هذه المسألة بأن فيها : (نصرة ما أطبق عليه المسلمون من أن ا تعالى قادر على كل شيء)[2] .

ثانياً : إن إثبات العلاقة الضرورية بين الأسباب ومسبباتها يتنافى مع إثبات المعجزات التي يتوقف عليها إثبات النبوات ، لأن التلازم بين الأسباب ومسبباتها إذا كان ضرورياً لم يكن نقضه ، ولو كانت المعجزات خوارق لهذا التلازم الضروري ، لم يمكن إثباتها للمنافاة بينهما ، وفي ذلك يقول الغزالي : (فلازم الخوض في هذه المسألة لإثبات المعجزات)[3] ،

ويقول في موضوع آخر : (وإنما يلزم النزاع في الأول ، (أي : في قول الفلاسفة بالضرورة) من حيث إنه ينبني عليها إثبات المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعباناً وإحياء الموتى وشق القمر ، ومن جعل مجاري العادات لازمة لزوماً ضرورياً أحال جميع ذلك)[4] .

---

(١) انظر تهافت الفلاسفة ، للغزالي : ٢٤٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٣٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٣٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٣٦ .

ثالثاً : استدل الغزالي على نفي الضرورة السببية بما سبق ذكره من أن العلاقة بين السبب والمسبب ليست علاقة تطابق ، ولا علاقة تضمن ، بحيث يلزم من تـصور أحدهما تصور الآخر ، إذا إن السبب غير المسبب ، ولكل منهما وجود مستقل .

مثال ذلك : الأكل والشبع ، فإن الأكل له وجود وماهية مستقلة ، ويمكن تصوره دون تصور شيء آخر ، وكذلك الشبع له وجود وماهية مستقلة ويمكن تـصوره دون تصور شيء آخر ، وإذا أمكن تصور أحدهما دون الآخر لـم تكـن العلاقـة بينهمـا ضرورية ، ويمكن تبعاً لذلك أن يوجد أحدهما دون الآخر [1] .

ومما سبق يتبين لنا أن الأشاعرة نفوا ضرورة التلازم بين السبب والمـسبب ، وترتب على ذلك نفي الخواص الذاتية للأشياء ، لأن الخواص الذاتية تقتضي حـصول التتابع بين السبب والمسبب ، فلزم نفيها ليكون تحقق التتابع واقعاً بقـدرة الله تعـالى ، دون تأثير تلك الخواص . وعلى ذلك فالأشاعرة ينفون تأثير قدرة العبد فـي حـصول فعله ، تبعاً لنفيهم للتلازم الضروري بين الأسباب ومسبباتها .

ولذلك كان من الضروري الخوض في مذهب الأشاعرة في قدرة العبد تأثيرهـا في فعله ، خاصة وأن فعل العبد هو ما يترتب عليه الثواب والعقاب الـذي هـو لـب البحث الذي بين أيدينا.

ولأمر آخر وهو أن موقف الأشاعرة من قدرة العبد كان له أثر كبير وواضـح في صياغة مفهوم العدل الإلهي لدى الأشاعرة ، خاصة وأن المعتزلـة قـد ارتفعـت بالقدرة الإنسانية وجعلتها مساوية للقدرة الإلهية ، بل جعلتها تخلق مالا يخلق بارئهـا ، وكان ذلك بحجة إثبات العدل الإلهي .

فقامت الأشعرية في مواجهة المعتزلة وأرادت الحد من القدرة الإنسانية فأسست أقوالها في قدرة العبد على ما سيأتي بيانه فيما يلي .

---

(١) انظر تهافت الفلاسفة ، للغزالي : ٢٣٩ .

موقف الأشاعرة من القدرة الإنسانية وأثرها في حصول الفعل :

يرى الأشاعرة أن الله تعالى هو خالق أفعال العباد ، وأن هذه الأفعال واقعة تحت قدرته تعالى ووفق مشيئته ، وخوفاً من أن يقع الأشاعرة في دائرة الجبر ورغبة منهم في الابتعاد عن أراء الجبرية ، وقالوا بالكسب ، بمعنى أن أفعال العباد هي فعل الله وليست للعبد ، ولكنها تستند إليه لكسبه إياها ، فهي مكسوبة للعبد وليست فعلاً له .

وقالوا : إن قدرة العبد لا تأثير لها في فعله ولا في صفة من صفاته وأن الله أجرى العادة بخلق مقدور العباد مقارناً لقدرتهم ، فيكون الفعل مخلوقاً ومفعولاً لله وكسباً للعبد[1] .

والسبب في قولهم بالكسب محاولتهم إسناد الأعمال إلى العباد ، حتى يكون العبد محلاً للثواب والعقاب وفقاً لأنه مكتسب لفعله[2] .

والسؤال الذي يرد الآن : هل القول بالكسب يثبت تأثير قدرة العبد في حصول فعله ؟

فالأشاعرة يقررون أن قدرة العبد ليس لها أي أثر في حصول الفعل .

وقالوا بأن هذا هو ما أثبته الأشعري الذي قسم أفعال الإنسان إلى اختيارية واضطرارية وفرق بينهما بأن جعل الاضطرارية لا تقارنها قدرة الإنسان ، والاختيارية تقارنها قدرة الإنسان .

يقول الشهرستاني : (لم يثبت شيخنا الأشعري للقدرة الحادثة صلاحية أصلاً ، لا لجهة ولا لصفة من صفة الوجود)[3] .

كما يقول : (ونجى الله أبو الحسن رحمه الله حيث لم يثبت للقدرة أثراً أصلاً)[4].

---

(١) انظر المواقف ، للإيجي : ٢٠٨/٣ .

(٢) انظر الإبانة في أصول الديانة للأشعري : ٩ .

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام : ٧٢ ، وانظر الملل والنحل ، للشهرستاني : ٤٥/١ .

(٤) نهاية الإقدام في علوم الكلام ، للشهرستاني : ٧٦ .

وابن تيمية الذي انتقد مذهب الأشعري ووصفه بـالجبر ، قـرر أن للأشـعري رأيين ، فقال في منهاج السنة : (أما سائر أهل السنة فيقولون إن أفعال العباد فعل لهم حقيقة ، وهو أحد قولي الأشعري)[1] .

وإذا رجعنا إلى مقالات الإسلاميين نجد أن لأبي الحسن الأشعري نصين يـسند فيهما الفعل إلى القدرة الحادثة ، ويسمى ذلك كسباً واكتساباً فيقول : (قـال قـائلون : معنى أن الخالق خالق ، أن الفعل وقع بقدرة قديمة ، فإنه لا يفعـل بقـدرة قديمـة إلا خالق) ومعنى الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة ، فكل من وقع منه الفعـل بقـدرة محدثة فهو مكتسب وهذا قول أهل الحق)[2] ،

ثم قال بعد ذلك : (والحق عندي أن معنى الاكتساب هو أن يقع الشيء بقـدرة محدثة ، فيكون كسباً لمن وقع بقدرته)[3] .

وكلام الأشعري هذا يفيد بأن القدرة الحادثة هي التي يقع بها الفعل ، فهل معنى ذلك أن قدرة العبد تؤثر في الفعل على جهة غير الجهة التي تؤثر فيها قدرة ا تعالى ، أو أن المعنى أن قدرة العبد تقارن خاق ا للفعل فيسمى العبد حينئذ مكتسباً .

ولم أقف على نص صريح للأشعري يثبت فيه تأثير قدرة العبد ، ولعل ابن تيمية اطلع على هذا النص ، وهو بذلك يجعل الأشعري صاحب رأيين بينهما غاية التباعـد والتناقض .

وكذلك ابن القيم ذكر في شفاء العليل قولاً يفهم منه أن للأشعري رأيين إلا أنـه يصرح بأن الرأي الذي استقر عليه هو الرأي الذي لا يثبت فيه الأشعري تأثيراً للقدرة الحادثة ، يقول ابن القيم : (والذي استقر عليه الأشعري : أن القدرة الحادثة لا تـؤثر في مقدورها ، ولم يقع بها المقدور ولا صفة من صفاته - بل المقدور وجميع صـفاته

---

(١) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ١١٠/١ .

(٢) مقالات الإسلاميين ، لأبي الحسين الأشعري : ٢١٨/٢ .

(٣) المصدر نفسه ونفس الصفحة .

واقع بالقدرة القديمة ، ولا تأثير للقدرة للحادثـة فيـه . وتابعـه علـى ذلـك عامـة أصحابه)[1].

أما بقية الأشاعرة فقد اختلفوا في تعريف الكسب اختلافاً كبيراً واضطربوا فيـه اضطراباً شديداً .

يقول الباقلاني : (إن القدرة الحادثة لا تصلح للإيجاد ، ولكن صفات الفعـل أو وجوهه واعتباراته لا تقتصر على جهة الحدوث فقط ، بل هناك وجوه أُخَر من كـون الجوهر متحيزاً قابلاً للعرض ومن كون العرض عرضاً . فجهة كون الفعـل حاصـلاً بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصـة ، وذلك يسمى كسباً ، وهذا هـو أثـر القـدرة الحادثة)[2] .

فالباقلاني يرى أن أفعال العباد واقعة بقدرة ا وقدرة العبد ، وهرباً من القـول باجتماع مؤثرين على أثر واحد قرر أن قدرة ا تتعلق بأصل الفعل ، وقـدرة العبـد تتعلق بوصف الفعل ، ويرى أن أصل الفعل لا يوصف بمـدح أو ذم ولا ثـواب ولا عقاب إنما مرجع ذلك إلى وصف الفعل .

ويقول صاحب المواقف : (أفعال العباد الاختيارية واقعـة بقـدرة ا تعـالى وحدها) [3] .

ويقول الشريف الجرجاني : (ليس لقدرة العباد تأثير فيها بل ا سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقـدور مقارناً لهما فيكون الفعل مخلوقاً إبداعاً وإحداثا ، ومكسوباً للعبد)[4].

فالإيجي والجرجاني جعلا الكسب هو نفي تأثير قدرة العباد في حصول الفعل ، فالعبد ليس بفاعل ولا قادر وإنما هو كاسب لاقتران فعله بالقدرة والاختيـار ، وفعلـه

---

(١) شفاء العليل ، لابن القيم : ٣١٤/١ .

(٢) انظر الملل والنحل ، للشهرستاني : ١١٠/١٢ .

(٣) انظر المواقف ، للإيجي : ٢٠٨/٣ .

(٤) المواقف المطبوع مع شرحه ، للجرجاني : ٢١٤/٣ .

وقدرته واختياره كله من جهة ا ، وليس للعبد تأثير في ذلك إلا أنه محل لوجود هـذا الاقتران .

ويقول الغزالي : (إن انفراد ا سبحانه وتعالى بـاختراع حركـات العبـاد لا يخرجها من كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب ، بل ا تعـالى خالـق القـدرة والمقدور جميعاً وخالق الاختيار والمختار جميعاً ، فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له ، وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب لـه ، فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسباً)[1] .

فالغزالي لا زال مع جمهور الأشاعرة في أن للعبد قدرة تقارن أفعاله الاختيارية ويسمى بذلك قادراً مختاراً . وأن خلق أفعال العباد واختراعها إنما هو من ا وحده ، أما التفتازاني فيقول : (والكسب قيل ذلك الوصف الذي تتعلق به قدرة العبد ، وقيـل الفعل المخلوق بقدرة ا حيث خلق للعبد قدرة متعلقة به . وقيل ما يقع به المقدور بلا صحة انفراد القادر . وما نبع في محل القدرة ، والحق أنه ظاهر والخفاء في التعبير ، والأوضح أنه أمر إضافي يجب من المقدور ، ولا يوجب وجود المقدور ، بل اتصاف الفاعل بالمقدور كتعيين أحد الطرفين وترجيحه)[2] .

أما أبو المعالي الجويني فقد انفرد بمذهب لنفسه اختلـف بـه عـن أصـحابه الأشاعرة حيث يقول في النظامية : (فنقول : قدرة العبد مخلوقـة تعـالى باتفـاق القائلين بالصانع ، والفعل والمقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا ، ولكنه يضاف إلـى ا سبحانه تقديراً وخلقاً ، فإنه وقع بفعل ا وهي القدرة فعلاً للعبد ، وإنما هي صفة ، وهي ملك وخلق له ، فإذا كان موقع الفعل خلقاً فالواقع به مضافاً خلقاً إلـى ا تعالى وتقديراً .

---

(١) إحياء علوم الدين ، للغزالي : ١١١/١ .

(٢) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٢١٩/٤ .

وقد ملك الله تعالى العبد اختياراً يصرف به القدرة ، فإذا أوقع بالقدرة شـيئاً آل الواقع إلى حكم الله من حيث إنه وقع بفعل الله)[1] .

وقال : (ومن زعم أنه لا أثر للقدرة الحادثة في مقدورها ، كما لا أثر للعلم في معلومة فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته بأن يثبـت فـي نفـسه ألوانـاً وإدراكات ، وهذا خروج من حد الاعتدال إلى التزام الباطل والمحال ، وفيـه إبطـال الشرع ورد ما جاء به النبيون)[2] .

فقول الجويني يدل على أنه كان يثبت تأثير قدرة العبد في حصول فعله ، وأقـر بأن الله تعالى قد ملك العبد قدرة واختيارا .

وهو في النظامية خالف ما ذكره في الإرشاد[3] .

أما أبو إسحاق الاسفرائيني فقد حررت المصادر الأشعرية مذهبه بما يفيد وقوع الأثر الواحد من مؤثرين من غير تفرقة بين أثريهما .

يقول صاحب المواقف : (فقال الأستاذ [4] بمجموع القدرتين علـى أن يتعلقـا جميعاً بأصل الفعل نفسه ، وجوز اجتماع مؤثرين على أثر واحد)[5] .

ويتضح لنا مما تقدم أن جمهور الأشاعرة يثبتون للعبد قدرة واختياراً ، ولكـنهم يرون أن هذه القدرة وذلك الاختيار لا أثر لهما في فعل العبد وإنما الفعل من خلـق الله وحده .

فهم يخالفون المعتزلة في استقلال قدرة العبد بإيجاد أفعاله ، ويـرون أن العبـد وإن لم يكن موجدا لأفعاله إلا أنه يسمى كاسباً لها ، ويـرون أن الكـسب هـو منـاط التكليف ، ومدار الثواب والعقاب ، وظنوا بذلك أنهم خالفوا الجبرية الذين ينفون القدرة والاختيار .

---

(١) النظامية ، للجويني : ٦٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٦١ .

(٣) الإرشاد ، للجويني : ٧٩ وما بعدها .

(٤) يقصدون بالأستاذ أبو إسحاق الاسفرائيني .

(٥) المواقف ، للايجي المطبوع مع شرحه : ٢٠٨/٣ .

أدلة الأشاعرة على قولهم بالكسب :

استدل الأشاعرة على قولهم بالكسب بعدد من الأدلة ومنها :

أولاً : استدلوا بكل الآيات التي وردت فيها نسبة الخلق إلى الله تعالى ، ومن هذه الآيات : قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (1) .

وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ (2) .

ثانياً : قالوا : إن فعل العبد لو كان بقدرته لزم اجتماع المؤثرين لشمول قدرة الله تعالى ولامتناع اجتماع مؤثرين على أثر واحد .

ثالثاً : قالوا : إن العبد لو كان موجداً لأفعاله لكان عالماً بتفاصيلها ، ومن ذلك أن النائم تصدر عنه أفعال اختياريه لا شعور له بتفاصيلها . ومنها أن الكاتب يصور الحروف والكلمات بتحريك الأنامل من غير شعور له بما للأنامل من الأجزاء والأعضاء ولا بتفاصيل حركاتها التي ستأتي بها تلك الصور والنقوش .

رابعاً : إن العبد لو قدر على فعله لقدر على إعادته على مثله ، فدل ذلك عندهم على عدم قدرة العبد على أفعاله(3) .

ومن ينظر في الأصول التي اعتمد عليها الأشاعرة ، يستطيع أن يفسر مفهومهم للعدل الإلهي ، فإذا كان الفاعل عندهم لا يفعل لعلة ولا لحكمة ولا يجب على الله شيء يفعله ، وإذا كانت الأفعال خالية من معاني الحسن والقبح ، ثم إذا أنكرت العلاقة بين السبب ومسببه فحري إذا أن يكون العدل الإلهي عندهم هو كل ممكن مقدور .

وأن يكون معنى اسمه تعالى العدل : هو أن يفعل ماله فعله . بدون مراعاة لأي اعتبارات أخرى .

---

(1) سورة الصافات ، آية : ٩٦ .

(2) سورة الزمر ، آية : ٦٢ .

(3) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٢٢٧/٤ وما بعدها .

المبحث الخامس :

نقد مذهب الأشاعرة في العدل الإلهي .

توطئة

يتضح أهمية العدل الإلهي في المذهب الأشعري بالنظر إلى بداية ظهـور هـذا المذهب ، حيث تذكر كتب الفرق أن أول ظهور هذا المذهب كان على يد أبي الحـسن الأشعري الذي كان تلميذاً لأبي علي الجبائي زوج أمه ، وكان أبو علي هذا من أئمـة المعتزلة ونظّارهم ، فكان أبو الحسن الأشعري أول أمره على مذهب الاعتزال ، وكان منه أن ناظر أستاذه الجبائي المعتزلي بأن سأله عن ثلاثة إخوة كان أحدهم مؤمناً بـراً تقياً ، والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً ، والثالث كان صغيراً ، فماتوا فكيف حالهم ؟ فقال الجبائي : أما الزاهد ففي الدرجات ، وأما الكافر ففي الدركات وأما الصغير فمن أهـل السلامـة . فقال الأشعري : إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يـؤذن له ؟ فقال الجبائي : لا ، لأنه يقال له أخوك إنما وصل إلى هـذه الـدرجات بطاعتـه الكثيرة وليس لك تلك الطاعات . فقال الأشعري : فإن قال : ذلك التقصير ليس مني . فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة . فقال الجبائي : يقول جل وعلا ، كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك . فقال الأشـعري : فلو قال الأخ الأكبر يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمـت حـالي فلـم راعيـت مصلحته دوني ؟ فانقطع الجبائي.

فكان ذلك هو أول ما شك فيه الأشعري في مذهب الاعتزال ، وهو ما ذهب إليه المعتزلة من القول في العدل الإلهي وأنه تعالى يجب عليه فعل كل ما هو حسن وترك كل ما هو قبيح ، ومراعاة الصلاح والأصلح لعباده [1].

ويجدر بالذكر هنا أن الأشاعرة الذين ينسبون إلى مذهب الأشعري إنما هو بعد تركه لمذهب الاعتزال وانتسابه إلى ابن كلاب ، وهي المرحلة الثانية من المراحل التي مر بها الأشعري ، ولم يدم فيها إذ رجع عن مذهب ودخل في مذهب السلف .

فالأشعري أكثر اعتدالاً من أتباعه وأقرب منهم إلى مذهب أهل الحديث كما ذكر

---

(١) انظر فرق معاصرة ، د.غالب عواجي : ٨٥٤/٢ .

ذلك ابن تيمية عندما عرض كلامه في المقالات .[1]

والمقصود أن أول ظهور مذهب الأشاعرة كان بنقض ما ذهب إليه المعتزلة في قضية العدل الإلهي وما أوجبوه وما حرموه على ا تعالى.

ولكن الأشاعرة انحرفوا بمذهبهم انحرافا شديداً حتى ابتعـدوا عـن المعتزلـة وناقضوهم وصاروا هم والمعتزلة على طرفي نقيض ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

ولذاك فالناظر إلى كلا المذهبين يعجب من شدة التقابـل والتنـاقض والتباعـد بينهما.

وقد وفق ا أئمة الحديث وأهل السنة والجماعة إلى الطريق المـستقيم والقـول الوسط ، فكانوا أمةً وسطاً ، وأيدهم ا بأن نقضوا كل باطل في كلا المذهبين وبينـوا عواره ، وأثبتوا الحق الذي جاء فيه ، وردوا الباطل الذي احتواه.

نقد تعريف الأشاعرة للعدل الإلهي :

(١) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٢٥/٦ ، وفرق معاصرة : ٨٥٥/٢ .

لقد كان تعريف الأشاعرة للعدل الإلهي تعريفاً سقيماً ، لا يشفى عليلاً ، ولا يروي غليلاً.

فزعموا أن العدل هو كل ممكن مقدور ، أي أن كل ما كان ممكناً ومقدوراً وفعله ا فلا يكون ذلك ظلماً ، حتى أنه لو أثاب المفسدين ، وعاقب المؤمنين ، وأخلد المجانين في نار جنهم ، وأنعم فرعون وقومه في الجنة ، لم يكن ذلك ظلماً منه لأنه مقدور ممكن له.

ومرجع قولهم هذا هو أن ا تعالى قادر على جميع المقدورات ، بمعنى أن كل ما هو ممكن مقدور له فإنه يفعله . وهذا موافق لقول أهل السنة وهو أن ا على كل شيء قدير ، وأن ا قادر على كل ما يمكن أن يكون مقدوراً لأي قادر كان ، فما من أمر ممكن في نفسه إلا وا قادر عليه.

والنزاع بين الأشاعرة وأهل السنة في هذه المسألة في أمرين :

الأول : إنهم يجوزون فعل ا للظلم والقبائح ولم ينازعوا في وقوعه ، فهم مقرون بعدم وقوع ذلك من ا تعالى.

فالنزاع في الجواز وليس في الوقوع (١) ، فهم مع تجويزهم أن يفعل ا الظلم إلا أنهم لا يجوزون وقوعه منه تعالى ، وذلك لأنه تعالى قد أخبر أنه لا يفعله ، وهو لا يجوز عليه الكذب في خبره.

أما السلف فإنهم لا يجوزون وقوع الظلم من ا تعالى ، وذلك لكمال حكمته وعظيم رحمته.

و الأشاعرة لما لم يعللوا أفعاله تعالى بالحكم والمصالح لم يجعلوا حكمته سبحانه وتعالى علة في منع وقوع الظلم منه ، وإنما جعلوا العلة في ذلك هو مخالفة خبره سبحانه وتعالى.

الثاني : إن الأشاعرة مع تجويزهم أن يفعل ا الظلم والقبائح إلا أنهم قالوا إن

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣/٩٠- ٩١ .

الظلم ممتنع لذاته . ومعلوم أن الممتنع لذاته لا يكون شيئاً ثابتاً في الخارج.

فإن الممتنع لا يمكن وجوده في الخارج ، مثل كون الشيء موجوداً معدوماً ، وكون الشيء أسود كله وأبيض كله ، فإن هذا لا يعقل ثبوته في الخارج [1].

وهم قد وصفوا الظلم بأنه ممتنع لذاته أي إنه ليس بمقدور تعالى ، وهذا مخالف للضرورة العقلية ، فإن الظلم ليس ممتنعاً ، وإن كان تعالى لا يفعله سبحانه ، فذلك لكمال حكمته وعظيم رحمته.

ولا يقال إن ا تعالى لا يفعله لأنه ممتنع عليه ، أي إنه غير قادر عليه ، فهم بذلك قد خالفوا تعريفهم للعدل ، فإن العدل عندهم كل ممكن مقدور ، وهذا يشمل الظلم والقبائح.

ثم عادوا وعرفوا الظلم بأنه الممتنع لذاته ، فجعلوه محالاً في حق ا تعالى ، وسلبوا قدرته على سائر الأفعال.

وربما كانوا يدعون أن الممتنع لذاته مقدور ، ولهذا جوزوا أن يفعله ا تعالى ، وهذا ما ذكره ابن تيمية.

وعلى كل حال فإن هذا القول لا يمكن تصوره حق التصور ، وكما قال ابن تيمية رحمه ا : (ومن الناس من يدعي أن الممتنع لذاته مقدور ، ومنهم من يدعي إمكان أمور يعلم بالعقل امتناعها . وغالب هؤلاء لا يتصور ما يقوله حق التصور ، أو لا يفهم ما يريده الناس بتلك العبارة ، فيقع الاشتراك والاشتباه في اللفظ أو المعنى)[2].

وبناء على ذلك فإن كل ممكن فهو مقدور تعالى ، ومن ذلك الظلم والقبائح ، ولكن ليس كل ما هو ممكن فإن ا يفعله ، وذلك لكمال حكمته ورحمته سبحانه ولأنه تعالى قد نزه نفسه عن فعل القبائح والنقائص.

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٨٩/٢ .

(٢) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٢٩١/٢ .

وهذا مخالف لقول الأشاعرة الذين جعلوا كل ممكن مقدور تعالى ، ولـه أن يفعله بدون مراعاة حكمة ولا مصلحة ، ثم جعلوا الظلم والقبائح ممتنعة لذاتها في حقه تعالى ، وقالوا بأنه لا يقدر عليها.

فكان قولهم هذا بعيداً كل البعد عن التـنزيه والتمجيد تعالى.

نقد تعريف الأشاعرة للظلم :

لقد تقدم بيان تعريف الأشاعرة للظلم والذي هو عندهم المحال الممتنع لذاته.

فلا حقيقة للظلم الذي نزه الرب تعالى نفسه عنه البتة ، ولا يتصور وجوده ، بل ولا يقدر عليه تعالى فهو المحال لذاته الذي لا يكون ثابتـاً فـي الخـارج ولا يمكـن تصوره.

ولا شك أن هذا التعريف مخالف للمعاني اللغوية للظلم [١] كما أنه باطل من عدة وجوه :

الأول : أن هذا القول لا مدح فيه ، فلا يمتدح أحد بعدم قدرتـه علـى مـا لا يستطيع فعله.

وا تعالى قد تمدح بنفي الظلم عن نفسه ، والمدح إنما يكون بترك مـا يقـدر الممدوح على فعله وتركه.

وقد تمدح ا بنفي الظلم عن نفسه فقال : ((يا عبادي إني حرمت الظلم علـى نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) [٢] وقال تعـالى : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [٤] ، وغيرها كثير في القرآن ، والمقصود التنبيه على أن ا تعالى قـد نفـى الظلم عن نفسه في سياق تمدحه به .

ومعلوم أن غير المقدور لا يمتدح بعدم فعله ولا يمتدح بتركه ، فلا يعقل أن يمتـدح زمن بتركه الركض والجهاد ، ولا يمتدح أحد عن تركه الطيران في السماء ، ولذلك يقـول ابن القيم رحمه ا : (فإن ما لا يمكن تعلق القدرة به لا يمدح الممدوح بعدم إرادته ، وإنما

---

(١) انظر ص (٣) من هذا البحث .

(٢) هذا الحديث قدسي سبق تخريجه ص (٧٨) .

(٣) سورة طه ، آية : ١١٢ .

(٤) سورة ق ، آية : ٢٩ .

يكون المدح بترك ما يقدر الممدوح على فعله وتركه تنزيهاً عما فعله)[1].

فالصواب أن يقال إن الظلم ممكن ، ولكن يستحيل وصف الرب به أو نسبته إليـه ، ولا تقول إنه محال ممتنع لذاته في نفس الأمر ، وفرق بين الأمرين فإن الأول يمتـدح به أما الثاني فلا يمتدح به ، يقول ابن القيم رحمه ا تعالى : (الفرق بين ما هو محال لذاته في نفس الأمر ، وبين ما هو ممكن أو واقع لكن يستحيل وصف الرب به ونسبته إليه . فالأول لا يمتدح به ، بل العبد لا يرضى أن يمدح به نفسه ، فلا يمتدح عاقل بأنه لا يجمع بين النقيضين ولا يجعل الشيء متحركاً ساكناً . وأما الثاني فإنه ممكن واقـع لكن يستحيل اتصاف من له الكمال المطلق به كالولد والصاحبة والشريك)[2].

كما أن ما تمدح به سبحانه يكون من خصائصه التي تليق بذاته ولا تليق بأحـد غيره، ولا يشاركه فيها أحد ، وهذا يصدق على مدحه بترك الظلم فإن هذا خاص با تعالى ولا يشركه أحد من خلقه في ذلك ، لأن الظلم يقع من العبـاد علـى اخـتلافهم واختلافه ، ولكنه لا يقع من ا تعالى ، فا يستحيل عليه الاتصاف به مع أنه ممكـن مقدور له.

ولو كان ممتنعاً لذاته لكان مستحيلاً في نفسه كالجمع بـين النقيـضين ، وهـذا يشترك فيه جميع الخلق فإنهم لا يقدرون على الجمع بين النقيضتين.

ولو كان الظلم كذلك لكان ما تمدح به ا ليس خاصاً به بل هو مـشترك بينـه وبين خلقه. [3]

يقول ابن القيم رحمه ا : (إن ما تمدح به سبحانه فهو من خصائصه التـي لا يشركه فيها أحد ، وسلب فعله المستحيل الذي لا يدخل تحت القدرة ولا يتصور وقوعه ليس من خصائصه ولا هو كمال في نفسه ولا يستلزم كمالاً ، فإذا مدح نفسه بكونه لا يجمع بين النقيضين كان كل أحد مشاركاً له في هذا المدح ، بخلاف ما إذا مدح نفـسه بكونه لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يموت ولا ينسى ولا يخفى عليه شيء ولا يظلم

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٩٣.

(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩٣-١٩٤.

أحداً . وهو سبحانه يثني على نفسه بفعل ما لوترك كان تركه نقصاً ، وبترك ما لو فعله كان فعله نقصاً). [1]

وقال في موضع آخر : وأصحاب هذا القول - وهو أن الظلم هو الممتنع لذاته – إنما نزهوا الله عن المستحيل لذاته الذي لا يتصور وجوده ، ومعلوم أن هذا التنزيه يشترك فيه كل أحد ، ولا يمدح به أحد أصلاً ، فإنه لا مدح في كون الممدوح منزها عن الجمع بين النقيضين ، والله تعالى قد تمدح بعدم الظلم وأنه لا يريده ، ومحال أن يمتدح بكونه لا يريد الجمع بين النقيضين ، وأنه لا يريد قلب الحادث قديماً ، ولا قلب القديم حادثاً ، ولا جعل الشيء موجوداً معدوماً في آن واحد) [2].

ثانياً : إن الله سبحانه وتعالى قد أخبر عباده المؤمنين بأنه لا يظلمهم وبشرهم بعدم الخوف من ظلمه تعالى ، فقال : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾ . [3]

والمعنى أنه لا يحمل عليه من سيئات ما لم يعمله ، ولا ينقص من حسنات ما عمل.

وهذا إنما يدل على أن الظلم ممكن مقدور وليس هو مستحيل في ذاته ، وإنما يستحيل وصف الرب تبارك وتعالى به ، ولو كان مستحيلاً في ذاته لم يكن هناك فائدة من هذه البشارة بعدم الخوف من الظلم والأمن من وقوعه [4].

يقول ابن القيم رحمه الله : (لو كان الظلم هو المستحيل الذي لا يمكن وجوده ، لم يكن لعدم الخوف منه معنى ، ولا للأمن من وقوعه فائدة)[5].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩٣- ١٩٤.

(٢) المصدر نفسه : ١٩٢.

(٣) سورة طه ، آية : ١١٢.

(٤) انظر مدارج السالكين ، لابن القيم الجوزية : ٢٦٠/١.

(٥) مدارج السالكين لابن القيم : ٢٦٠/١.

وبهذا يتبين لنا أن عدل الأشاعرة ليس فيه نسبة العدل   تعالى وليس فيه تنزيه تعالى ، ولا مدح له تبارك وتعالى .

بل هو أقرب إلى نسبة العبث   – تعالى عن ذلك علواً كبيـراً - فهـم أرادوا تنزيهه عن الظلم فوقعوا في شر مما فروا منه ، حيث وصفوه بالظلم والسفه والعبث .

فما نفاه ا عن نفسه من الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه ، وإنقـاص الحسنات ، وزيادة السيئات والعقوبة بلا سبب ، فهو عندهم ليس بظلم بل إنه لو وقـع فهو محض العدل والقدرة والمشيئة .

فما وصفوه به فهو الظلم المحض ، ثم نزهوه عنه ، بل وجعلوه محالاً في حقه تعالى ، وظنوا أنهم بذلك قد حققوا العدل .

والحق أن قولهم هذا في غاية الفساد بل هو مكابرة للضرورة العقلية والمعـاني اللغوية ، وليس هو من العدل في شيء ، فليس فيه وضع للأشياء في مواضعها التـي تليق بها بمقتضى الحكمة والمصلحة ، وإنما اشتمل على الظلم والعبث ووضع للأشياء في غير مواضعها وهذا ما نزه ا نفسه عنه .

والحقيقة أن الأشاعرة قد أصابوا في إثبات عموم المشيئة والقدرة وأنه لا يقع في الكون شيء إلا بمشيئة ا تعالى وإرادته ، ولكنهم أخطئوا في إبطال الأسباب والحكـم والتعليل ومراعاة مصالح الخلق ، وهذا هو العبث الذي نزه ا نفـسه عنـه ، فـا سبحانه عدل حكيم لا يفعل إلا لمصلحة وحكمة ولا يعاقب أحداً بغير ذنب ، ولا يعاقب أحداً بما لم يفعله.

نقد مذهب الأشاعرة في مسألة التحسين والتقبيح العقليين :

مما لا شك فيه أن ما ذهب إليه الأشاعرة من نفيهم للحسن والقبح الذاتيين للأفعال وتعليقهم ذلك بالشرع فقط ، دون أن يكون للعقل تمييز بين الأفعال . قول متعارض مع الفطر السليمة والعقول الصحيحة ومتعارض أيضاً مع النصوص الشرعية.

فإنه من المعلوم أن للأفعال صفات تلائم الفطر أو تنافرها ، فالأفعال الحسنة المتصفة بصفات الكمال تتلاءم مع الفطر والعقول وتقتضي مدح فاعلها ، والأفعال القبيحة المتصفة بصفات النقص تتنافر مع الفطر والعقول وتقتضي ذم فاعلها ، سواء كان ذلك قبل ورود الشرع أم بعده ،

إلا أنه لا حكم على الفاعل بالثواب أو العقاب إلا بعد ورود الشرع ، فحصول الثواب أو العقاب على الأفعال إنما هو مشروط بورود الشرع ، وهذا لا يتنافى مع إثبات التحسين والتقبيح للأفعال ، فإن من الأحكام الشرعية ما تكون النصوص الدالة عليها مطابقة لمقتضى الفطرة والضرورة العقلية مثل الإيمان با ومكارم الأخلاق من العدل والصدق والأمانة والنهي عن الشرك والزنا ، ومنها ما لا تقتضيه الفطرة والضرورة العقلية ولكنه لا يتعارض معها . مثل رمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة ونحوها وبهذا لا يكون هناك تعارض بين الأحكام الشرعية وبين الضرورة العقلية.

وحاصل هذه المسألة أن العلاقة بين الفطرة والضرورة العقلية وما تدل عليه النصوص الشرعية من الأحكام إما أن تكون علاقة مطابقة ، بحيث يكون الشرع كاشفاً ومؤكداً لما دلت عليه الفطرة ، وإما أن تدل النصوص على ما لا يمكن إدراكه بالفطرة ، ومع ذلك لا يكون مخالفاً لمقتضاها [1] ، يقول ابن تيمية (الشارع عرف بالموجود

---

(١) انظر المعرفة في الإسلام ، للدكتور عبد ا بن محمد القرني : ٢٨٠.

وأثبت المفقود ، فتحسينه إما كشف وبيان ، وإما إثبات لأمور في الأفعال والأعيان).[1]

وأما ما ذهب إليه بعض متأخري الأشاعرة مثل الرازي ومن تبعه مـن نفـي التحسين والتقبيح مع إثبات صفات الكمال والنقص للأفعال ، وما تقتضيه من الملاءمة والمنافرة.

فالتحسين والتقبيح هو أساس التفريق الضروري بين الأفعال ، فالأفعال الملائمة للفطرة لما تتصف به من صفات الكمال ، هي الأفعال الحسنة والأفعال المنافرة للفطرة لما تتصف به من صفات النقص ، هي الأفعال القبيحة ، وأما إثبات الملائمة والمنافرة بسبب الكمال والنقص في الأفعال ، ثم نفي التحسين والتقبيح في حكم الله تعالى فهـذا قول متناقض.

وقد دلت النصوص الشرعية على بطلان نفي التحسين والتقبيح وإثبات الحـسن والقبح في الأفعال ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ ﴾.[2]

فقد خلق الله الإنسان وسوى نفسه بحيث تستطيع أن تدرك الخير والـشر، وأن تفرق بين الأفعال الحسنة والأفعال القبيحة ، ويؤيـد ذلـك قولـه تعـالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ .[3]

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ .[4]

ومنها حديث النواس بن سمعان[5] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال : (البـر

(٢) درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ٢٢/٨.

(١) سورة الشمس ، آية : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة البلد ، آية : ١٠ .

(٣) سورة الإنسان ، آية : ٣ .

(٤) النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي ، له ولأبيـه صحبة وحديثه عند مسلم في صحيحه . الإصابة : ٥٩٤/٣ .

حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس)[1].

وحديث وابصه [2] رضي ا عنه أن النبي ﷺ قال : (استفت قلبك ، البر ما أطمأن إليه القلب ، واطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في قلبك وتردد في الصدر ، إن أفتاك الناس وأفتوك) [3] .

فهذه الآيات والأحاديث تدل على قدرة العقل والفطرة على معرفة الحسن والقبح ، فما عرفته الفطر والعقول وأحبه القلب فهو الحسن ، وما أنكرته الفطر والعقول ، وكرهته القلوب فهو القبح ، وقول الأشاعرة بنفي الحسن والقبح الذاتيين للأفعال يلزم عنه التسوية بين المختلفين ، فلا فرق عندهم بين الكفر والإيمان ، والمنكر والمعروف ، والشر والخير، وهذا ما ترفضه العقول وتمقته.

ولذاك أنكر ا سبحانه وتعالى هذه التسوية بين ما يكون التفريق فيه معلوماً بالضرورة ، حيث قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ . [5]

وهذا يتضمن نسبة العبث والسفه إلى أفعال ا تعالى ، وقد نفى ا ذلك عنه حيث قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ . [6]

---

(5) أخرجه مسلم – كتاب البر والصلة ، باب : تفسير البر والإثم : ١٩٨٠/٤ .

(١) وابصة بن خالد بن عبد ا بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي . الإصابة : ٥٨٩/٣ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده : ١٩٤/٤ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني وأحمد باختصار عنه ، ورجال أحد إسنادي الطبراني ثقات . مجمع الزوائد : ١٧٥/١ .

(٣) سورة الجاثية ، آية : ٢١.

(٤) سورة ص ، آية : ٢٨.

(5) سورة الدخان ، آية : ٣٨ .

وما ذهب إليه الأشاعرة واضح في نسبة العبث واللهو إلى أفعال ا ، تعالى ا عن ذلك علواً كبيراً ، وسيأتي بيان هذا الأصل مفصلاً في المبحث الثاني من الفـصل الثاني من هذا الباب إن شاء ا تعالى [1].

نقد أدلة الأشاعرة على نفي الحسن والقبح الذاتيين للأفعال :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [2].

ووجه احتجاجهم بالآية أنه سبحانه وتعالى نفى تعذيب أحد من العباد قبل البعثة ، ولو كان حسن الفعل وقبحه ثابتين له قبل البعثة ، لكان فاعل القبيح وتارك الحـسن فـاعلاً للحرام وتاركاً للواجب وهذا يلزم أنه يستحق العذاب وهذا غير صحيح.

والجواب عن ذلك هو أن كون الفعل حسناً أو قبيحاً هو من الأمـور المعروفـة قبل البعثة وذلك لا يستوجب التعذيب لمرتكب القبيح ، فإن استحقاق العبـد للعـذاب لا يكون إلا بعد البعثة.

والتحقيق في ذلك أن سبب العقاب قائم قبل البعثة ولكن لا يلزم من وجود سبب العذاب حصوله لأن ا سبحانه وتعالى قد جعل شرطاً للتعذيب أو العقاب وهـو بعثـة الرسل ، فالعقاب مشروط بالرسالة والبعثة. [3]

ثانياً : أما ما ذكروه في استدلالهم من التسوية بين القتل قصاصاً والقتل ظلماً فلا يصح منه شيء ، لأن القتل في الحالين مختلف باختلاف متعلقاته .

واستواء الأمرين في كونهما قتلاً لا يقتضي استواءهما فيما يترتب عليهما مـن المصالح والمفاسد ، فالقتل إنما يكون مقيداً بوصف محدد ، فالقتـل قـصاصاً يوافـق المصلحة والقتل ظلماً يوافق المفسدة . ولو لزم استواؤهما من حيث أنهما يشتركان في المسمى العام للزم اشتراك كل فعلين متنافيين لمجرد اشتراكهما في المسمى العام ، فلا

(٦) انظر ص (٣٧٨) من هذا البحث .

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(٢) انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٣٩١/٢.

يكون هناك فرق بين السجود والسجود لغيره ، وهذا في غاية الفساد. [1]

ثالثاً : قولهم إن إثبات الحسن والقبح يستلزم اجتماع النقيضين فالحقيقة أن التناقض إنما يتحقق إذا كان متعلقه واحداً ، والمثال الذي ذكروه له متعلقان ، لأن أحدهما يتعلق بخبره أنه سيكذب ، ويتعلق الآخر بنفس خبره سواء صدق أو كذب ، فإن كذب في الغد كان كذبه قبيحاً ، وإن كان قد صدق في وعده أنه سيكذب ، وإن صدق في الغد كان صدقه حسناً . وإن كان قد كذب في وعده بأنه سيكذب ، وهذا إنما يقتضي كون خبره قبيحاً باعتبار ، حسناً باعتبار آخر ، لا أنه حسن وقبيح باعتبار واحد ، فلا يلزم من ذلك اجتماع النقيضين كما قالوا.[2]

رابعاً : أما ما ذكروه في استدلالهم بأن إثبات الحسن والقبح الذاتيين ينافي النسخ في الشرائع ، فلا بد فيه من بيان حقيقة مهمة ، وهي أن من الأفعال ما يكون حسنه ثابتاً له بإطلاق ، لعدم إمكان خلوه من المصلحة مثل الإيمان با ، ومنها ما يكون قبحه ثابتاً له بإطلاق ، لعدم إمكان خلوه من المفسدة مثل الشرك با ، وما كان كذلك لا يمكن أن يرد فيه نسخ.

أما الأفعال التي تكون مقتضية للمصلحة في بعض الأحوال وللمفسدة في أحوال أخرى فهي التي يجري فيها النسخ ، ومثال ذلك ما ذكره الشهرستاني من نكاح الأخت ، فقد كان مباحاً في وقت اقتضائه لحفظ النسل بحيث لا يمكن حصوله بغيره ، ثم حرم حيث انتفت تلك الضرورة ، ولذلك أباحه ا عندما كان حسناً وحرمه عندما صار قبيحاً ، وكذلك كل الأحكام التي نسخت في الشرع وإن خفي وجه المصلحة أو المفسدة عن كثير من الناس وهذا ما رد به ابن القيم[3].

ورد ابن القيم هنا معتمد على ما سيأتي بيانه من أن إثبات الحسن الذاتي أو القبح الذاتي في الأفعال لا يستلزم أن الحسن أو القبح صفة لازمة للموصوف لا تنفك عنه بحال ، بل إن الفعل قد يكون حسناً في حال قبيحاً في حال ، كما يكون نافعاً في

(٣) انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٣٨٨/٢.

(١) انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٣٩٢/٢- ٣٩٣ .

(٢) انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٣٩٢/٢- ٣٩٣ .

حال ضاراً في حال . فالحسن والقبح إنما هو لصفة في نفسه واعتبارات تجعلـه فـي نفسه منشأ للمصلحة أو المفسدة.

ولا تنافي بين ذلك وبين إدراك الحسن والقبح عقلاً . وهذا هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً [1].

خامساً : أما ذكره الرازي ومن وافقه من أن أفعـال العبـاد اضـطرارية وأن الإنسان ليس مختاراً بل هو مجبور ، ولذلك لا يوصف فعله بحسن ولا قـبح ، فهـذا الاستدلال يقوم على مقدمة باطلة ، إذ إن الإنـسان يفـرق بالـضرورة بـين أفعالـه الاضطرارية والاختيارية.

فدعوى أن جميع أفعاله اضطرارية مناقض للعلـم الـضروري ، والمعـارف الضرورية لا يمكن الشك فيها ، ولا الاستدلال لها ، و إلا لبطل أصل الاسـتدلال بالكليـة ، لأنه إنما يقوم على الضروريات [2].

كما أن هذا القول يلزم عنه عدة لوازم فاسدة منها :

١. إبطال التكليف ، لأنه إنما يقوم على أساس إثبات أن أفعال العباد اختياريـة ، ولا يتصور التكليف مع القول بأنها اضطرارية . لأن حقيقـة ذلـك أن يكـون الإنسان مجبوراً عليها لا مختاراً في فعلها أو تركها.

٢. ويلزم من هذا القول نفي الحسن والقبح الشرعيين ، لأنه إذا فرض أن الإنسان مجبور في أفعاله غير مختار لم يمكن أن تكون أفعاله حـسنة أو قبيحـة لعـدم التكليف فيها ، لأن الحسن والقبح إنما يتعلق بما يكون اختيارياً ، ولهـذا أبطـل الآمدي هذا الاستدلال استناداً إلى ذلك. [3]

٣. ويلزم أيضاً أن تكون أفعال ا اضطرارية لأن الرازي إنما استدل على نفي أن يكون العبد مختاراً في فعله من جهة أن فعله إما أن يكون لازماً أو جـائزاً ،

(٣) انظر ص (٣٦٨) من هذا البحث .

(١) انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٤١٣/٢ .

(٢) انظر الأحكام ، للآمدي : ٦٤/١ .

واللازم يكون ضرورياً ، والجائز لابد له من مرجح و إلا كان اتفاقيـاً ، وكمـا يقول ابن القيم : (لو صح الدليل المذكور لزم منه أن يكون الرب غير مختـار في فعله ، لأن التقسيم المذكور والترديد جار فيه بعينه). [1]

سادساً : أما ما قرره الآمدي من أن الحسن والقبح إذا كانا ذاتيين للفعل ، والفعل عرض قائم بالفاعل ، فإنه يلزم من ذلك قيام العرض بالعرض وذلك محال على أصـولهم ، وعلى ذلك يستحيل أن يكون الحسن أو القبح صفات ذاتية للفعل ، وإنما هـي صـفات إضافية متعلقة بمجرد خطاب الشرع بالأمر أو النهي.

وهذا الدليل يستند على ما قرره المتكلمون في دليل الحدوث من القول باستحالة قيام العرض بالعرض ، فالعرض عندهم لا يقوم إلا بالجوهر ، وهذا الأصل باطل مـن أساسه لأن قيام المعاني بالمعاني من الأمور المعلومة بالضرورة ، كما يقـال : حركـة سريعة وحمرة قانية ....

وهذا لا يمكن إنكاره . فإذا لم يمتنع ذلك من كونها أوصافا وجودية لـم يـصح القول بأن العرض لا يقوم بالعرض . وإذا بطل أساس استدلاله بطل ما بناه عليه مـن القول بنفي الحسن والقبح الذاتيين للأفعال[2].

كما أنه إذا امتنع أن تقوم بالفعل صفة حسن أو قبح ذاتيين ثابتين للأفعال ، فيلزم ألا يكون الحسن والقبح شرعيين ، لأنه يلزم في الاتصاف بالشرعيين مـا يلـزم فـي الاتصاف بالذاتيين ، من حيث إن كلاً منهما وصف ثابت للفعل ، والفعل عرض ، فـإن ثبت الوصف الشرعي لزم إثبات الوصف الذاتي ، وإن انتفى الوصـف الـذاتي انتفـى الوصف الشرعي [3].

---

(٣) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٤١١/٢ .

(١) انظر الرد على المنطقيين ، لابن تيمية : ٤٢١- ٤٢٢ .

(٢) انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٤١٤/٢ .

نقد مذهب الأشاعرة في نفي الإيجاب على الله :

لا شك أن ا سبحانه وتعالى هو الخالق المدبر ، له الخلق وله الأمـر ، وهـو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير ، وهو الآمر والناهي ، لا يخرج أحد عن أمره مثقال ذرة ، وهو المالك المتصرف في ملكه كيف شاء ، فلا أحد يوجب على ا تعالى شيئاً ولا يحرم عليه شيئاً .

ولكنه سبحانه وتعالى أوجب على نفسه أموراً بمقتضى حكمته واختياره ، لـم يوجبهـا عليه أحد ولم يحرم عليه أحد.

وما كتبه ا على نفسه وأحقه عليها إنما يدل على حبه لذلك الفعل ورضاه وإرادته له ، فيوجب وقوعه بمشيئته واختياره ، وما حرمه على نفسه إنما يدل على بغضه لـذلك الفعـل وكراهته له ، فيمنع وقوعه منه مع قدرته عليه لو شاء.

ولقد دلت النصوص الشرعية على هذا الأصل وبينت أن ا تعالى قد أوجب على نفسه أموراً يحبها ويرضاها فقـال تعـالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [1] .

كما أنه تعالى أحق على نفسه أموراً فقال جل شأنه : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا

(١) سورة الأنعام ، آية : ٥٤ .

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1] ، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لمعاذ : (أتدري ما حق ا على عباده ؟ قلـت ا ورسوله أعلم . قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، أتدري ما حق العباد على ا إذا فعلوا ذلك ؟ قلت : ا ورسوله أعلم ، قال : حقهم عليه أن لا يعذبهم). [2]

كما أنه سبحانه حرم على نفسه أموراً ، كما قال في الحديث القدسي : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً)) . [3]

وإذا كان سبحانه وتعالى قد أوجب على نفسه أموراً بمقتضى حكمته وإرادته فهذا لا يدل على أن العبد مستحق على ا شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق ، يقـول ابن تيمية رحمه ا : (وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شـيء وربـه ومليكه ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن العباد لا يوجبون عليـه شـيئاً ، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال : إنه كتب على نفسه الرحمة ، وحرم الظلم على نفسه ، لا أن العبد نفسه مستحق على ا شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق ، فإن ا هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل إلـيهم الرسـل ، وهو الميسر لهم العمل الصالح). [4]

ولقد أصاب الأشاعرة في نفي الإيجاب العقلي على ا تعالى ، فالعقل لا يوجـب على ا شيئاً لقصوره عن إدراك منتهى حكمته سبحانه وشمول علمه.

وحجة الأشاعرة في ذلك ، هو أن الإيجاب على ا تعالى يتنافى مع كمال قيوميته سبحانه ويتعارض مع كمال وشمول مشيئة.

ولكن النصوص الشرعية دلت دلالة واضحة على أن ا تعالى قد أحق على نفسه أموراً يحبها ، وحرم على نفسه أموراً يكرهها ويبغضها.

---

(٢) سورة الروم ، آية : ٤٧.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب إذا أردف الرجل خاف الدابة : ٢٦٨٥/٦ . وصـحيح مـسلم ، كتـاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً : ٥٩/١ .

(١) سبق تخريجه ص (٧٨) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تيمية : ٣٧١ .

وما أوجبه الله على نفسه ، وما حرمه عليها إنما هو بمقتضى حكمته ورحمته وعلمه ومحض قدرته ومشيئته ، وجهة الإيجاب من الله تعالى فهو الموجب والمحرم . وهذا الإيجاب من الله تعالى على نفسه لا يتعارض مع عموم قدرته ، ولا يستلزم أن يكون فوقه آمر أوناه . وإنما ذلك يصح إذا كانت جهة الإيجاب غير الله تعالى ، أما وإذا كانت جهة الإيجاب من الله تعالى فإنه لا تعارض بينها وبين عموم قدرته ومشيئته.

ولقد كان قول الأشاعرة بإطلاق نفي الوجوب على الله تعالى باباً للقول بجواز إخلاف الوعد والوعيد ، حيث جوزوا الإخلاف في الثواب والإخلاف في العقاب.

أما الثواب فقد سماه الله تعالى وعداً وبين أنه لا يخلفه فقال : ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ (1) وقال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ (2).

وقال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ ﴾ . (3)

فبين سبحانه تعالى أن وعده ناجز وأنه محقق الوقوع . وهذا ما يتماشى مع حكمته ورحمته وعدله .

أما العقاب فإن السلف الصالح رضي الله عنهم قد ذهبوا إلى تقسيم الوعيد بالعقاب إلى قسمين :

الأول : وهو وعيد الله للمشركين والكفار وهذا الوعيد لا خلاف فيه فإنه واقع لا

(1) سورة فاطر ، آية : 5.

(2) سورة آل عمران ، آية : 194.

(3) سورة يونس ، آية : 62-64.

محالة بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ . [1]

فدلت الآية على أن الشرك لا يغفره الله تعالى وأن صاحبه معـذب ومعاقـب لا محالة ، وأما ما دون ذلك من الكبائر والصغائر فإن الله يغفرها كما دلت على ذلك الآية.

الثاني : وعيد الله لعصاة المؤمنين ، فهذا الوعيد يجوز الخلف فيه بـدليل الآيـة السابقة ، التي دلت على أن الموحدين العصاة تحت مشيئة الله إن شاء غفـر لهـم وإن شاء عذبهم. [2]

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [3] هذه الآية تضعف جواب من يقول إن إخلاف الوعيد جائز ، فإن قولـه ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ ﴾ بعد قوله : ﴿ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴾ . (٤)

دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده) [5] ، وقد تقدم ذكر قول ابن تيمية في معرض الرد على المعتزلة الذين أوجبوا إنفاذ الوعيد وعدم الخلف فيه ، وذكـرت بأن قول ابن تيمية ربما جاء في معرض الرد على الأشاعرة الذين لم يفصلوا في إنفاذ الوعيد ، فأطلقوا القول بجواز الخلف في الوعيد حتى في حق المشركين مع دلالة الآية السابقة التي هي نص في محل النزاع والتي بينت أن المشركين وعيدهم واقع لا يبدل.

ويدل على أن ابن تيمية كان يجوز الإخلاف في الوعيد في حق العصاة الموحدين فقط قوله رحمه الله : (وأما صاحب الكبيرة فسلف الأمة وأئمتها وسائر أهـل الـسنة والجماعة لا يشهدون له بالنار ، بل يجوزون أن الله يغفر له ، كما قال تعـالى : ﴿ إِنَّ

---

(٤) سورة النساء ، آية : ١١٦ .

(١) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٩٠/٤.

(٢) سورة ق ، آية : ٢٩.

(٣) سورة ق ، آية : ٢٨ .

(٤) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٧٩/١٦.

ﭐللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [١] ، فهذه في حق من لم يشرك ، فإنه قيدها بالمشيئة). [٢]

فقول ابن تيمية هذا دل على أنه يجوز خلف الوعيد في حق الموحـدين فقـط ، وفي هذا تقييد لقوله الذي ذكر فيه أن وعيده سبحانه لا يبدل ، فخص وعيد الموحـدين بجواز الخلف ، أما وعيد المشركين فإنه لا يبدل ، ويوضح ذلك قوله رحمـه ا فـي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٣] قال : (فهذا مختص بالكفار). [٤]

وقد بين الشيخ الشنقيطي ذلك في تفسيره " أضواء البيان " عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [٥] حيث قال : (هـذه الآية الكريمة تدل على أن من كذب الرسل يحق عليه العذاب ، أي يحتم ويثبت في حقه ثبوتا لا يصح معه تخلف عنه... فتكذيبهم بالرسل علة صحيحة لكون الوعيد بالعـذاب حقاً واجباً عليهم فدعوى جواز تخلفه باطلة بلا شك....

وبهذا تعلم أن الوعيد الذي لا يمتنع إخلافه هو وعيد عصاة المـسلمين بتعـذيبهم على كبائر الذنوب ، لأن ا تعالى أوضح ذلك في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ . [٦] [٧]

---

(٥) سورة النساء ، آية : ٤٨ .

(٦) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٤/١٩٩٠.

(١) سور الزمر ، آية : ٧١.

(٢) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٣٢٦/١٦.

(٣) سورة ق ، آية : ١٤.

(٤) سورة النساء ، آية : ٤٨ .

(٥) أضواء البيان ، للشنقيطي : ٦٤٦/٧ – ٦٤٧.

وبهذا يتضح أن موقف الأشاعرة من الإيجاب على الله تعالى لم يخل من الأخطاء والمخالفات الشرعية مما جعلهم عرضة للنقد والتجريح .

نقد أدلة الأشاعرة على نفي الإيجاب على الله تعالى :

استدل الأشاعرة على نفي الوجوب على الله تعالى بأدلة تثبت كمال قدرته تعـالى وعموم مشيئته ، وتنزهه تعالى عن اللوم والجبر وطاعة غيره وإلزام غيره له ، ولكن الأشاعرة أغفلوا جانباً مهما في هذه القضية ، وذلك من عدة وجوه :

أولاً : قولهم أنه سبحانه وتعالى هو الآمر ، والآمر لا يتوجه إليه أمر غيره ، قول صحيح ، ولكن أهل السنة عندما أثبتوا الإيجاب على الله ، لم يوجبوا عليه شيئاً من عند أنفسهم ، بل كان جل ما أثبتوه هو إثبات ما أوجبه الله على نفسه ، فلم يتوجه إليه أمـر غيره ولم يتعلق به ، بل هو سبحانه الذي أوجب على نفسه هذه الأمور التـي يحبهـا ويرضاها.

ثانياً : قولهم إنه منزه عن اللوم والجبر قول صحيح أيضاً ، فلا يجبر سبحانه على فعل ما ، بل له سبحانه كمال القدرة وكمال الاختيار ، ولا يلومه أحد على فعل أمر أو ترك آخر ، لأنه سبحانه لا آمر فوقه ، ولا ملزم له في فعل شيء.

واللوم والجبر لا يكون إلا إذا أسند الإيجاب إلى العقل ، أما وقد أسند الإيجـاب إلى الله سبحانه وتعالى ، فإنه يفعل ما يشاء ويترك ما يـشاء دون أن يلزمـه أحـد أو يجبره أحد ، لأن ما أوجبه على نفسه كان بمقتضى إرادته وقدرته ، فلـيس لأحـد أن يلزمه ، أو يذمه إذا ترك ما أوجبه على نفسه.

ثالثاً : استناد الأشاعرة في هذه المسألة على نفي القبح والحسن الذاتيين في الأفعال

أمر باطل وقد سبق بيان مذهبهم في هذه المسألة وبيان نقدهم فيها.

والواقع أن الأشاعرة أرادوا إثبات عموم المشيئة ، ونفي الإلزام والجبر عـن ا تعالى ، ونفي أن يكون فوق ا من هو أعلى منه يأمره وينهاه ، ونفي استحقاق العباد للثواب أو العقاب استحقاقاً عقلياً على ا تعالى بحيث يكون على سـبيل المعاوضـة ، وهذا مما أصابوا فيه ومما يحمد لهم إلا أن قولهم اختلط ببعض الأخطاء مما عرضـهم للنقد والرد ، ومن هذه الأخطاء التي وقعوا فيها :

أولاً : تجويزهم على ا تعالى فعل كل شيء حتى ما يخالف حكمته ورحمتـه ، وما أخبر أنه لا يفعله ، ومن ذلك قولهم بجواز تعذيب ا المطيع وإثابة العاصي.

ثانياً : نفيهم وجوب تحقيق الوعد بالثواب المبني على نفيهم الوجـوب علـى ا تعالى مطلقاً حتى ما أوجبه على نفسه فقد بين ا تعالى أنه لا يخلف الميعاد وأن وعده حق حيث قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ .[1]

ثالثاً : إطلاقهم القول بجواز إخلاف الوعيد وأن ذلك مما يمدح به فاعله ويعـد كرماً دون أن يفصلوا بين وعيد الكفار والمشركين ووعيد العصاة من المؤمنين على ما سبق بيانه.

رابعاً : مخالفتهم الواضحة لنصوص القـرآن الكـريم ونـصوص الأحاديـث الصحيحة التي تثبت أن وعد ا تعالى الذي أوجبه سبحانه على نفسه للمؤمنين واقع لا محالة ، وأن وعيده للكفار والمشركين واقع لا محالة ، أما عصاة الموحدين فهم تحـت مشيئة ا إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم.

---

(١) سورة فاطر ، آية : ٥.

نقد مذهب الأشاعرة في الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى :

لا شك أن حكمة ا سبحانه وتعالى في خلقه ثابتة بالدلالة الـصريحة للعقـول الصحيحة والفطر السليمة ، فلا يخلو فعل من أفعاله سبحانه وتعالى من حكمة ، وفـي ذلك تنزيه ا عن اللهو والعبث ، فهو سبحانه رب العالمين يفعل لحكمة وغاية محمودة وعاقبة مطلوبة.

أما ما ذهب إليه الأشاعرة من نفي الحكمة والتعليل في أفعاله سبحانه وتعـالى فهو قول فاسد ويترتب عليه وصف ا سبحانه بالسفه والعبث.

فقد سبق بيان قولهم في العدل الإلهي الذي استند إلى هذا الأصل ، وهـو نفـي الحكمة والتعليل مع بقية الأصول الأخرى ، واتضح كيف أنهـم جـوزوا تعـذيب ا للأنبياء والصالحين وتنعيمه تعالى للمشركين والعصاة الملحدين ، لأنهم ظنوا أن أفعاله صادرة بلا حكمة ولا غاية وإنما هي محض المشيئة والقدرة والإرادة ، ولاشك أن ذلك هو منتهى السفه والعبث الذي يتزه ا عنه ، لأن السفهاء هم الذين يفعلون ما يفعلـون بدون حكمة ولا غاية ، يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (ولهذا قال جمهور النـاس عن هؤلاء إنهم لا ينزهون الرب عن السفه والظلم ، بل يصفونه بالأفعال التي يوصف بها المجانين والسفهاء ، فإن المجنون والسفيه قد يعطي مالاً عظيماً لمن ليس هـو لـه بأهل ، وقد يعاقب عقوبة عظيمة من هو أهل للإكرام والإحسان ، والرب تعالى أحكـم

الحاكمين وأعدل العادلين وخير الراحمين). [١]

فحكمته سبحانه وتعالى دلت عليها نصوص كثيرة في كتاب ا تعالى منها قوله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [٣] وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٤]. وغيرها كثير من الآيات التي ختمت بإثبات اتصافه تعالى بالحكمة في أفعاله وأقواله وأخذه وتركه وإعطائه ومنعه.

كما أنه تعالى أخبر في كتابه الكريم أنه فعل كذا لكذا ، وهذا ما يدل على أن أفعاله معللة دائماً بالحكمة والمصالح ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ . [٥]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ . [٦]

وغيرها من الآيات التي سبق ذكرها [٧].

ولقد أنكر الشهرستاني أن يكون في القرآن " لام تعليل " وذهب إلى أن كل ما ورد في القرآن فهو من باب " لام العاقبة والصيرورة " لمثل قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ

(١) النبوات ، لابن تيمية : ٩٩.

(٢) سورة القمر ، آية : ٥.

(٣) سورة الفتح : ٧.

(١) سورة الحج ، آية : ٥٢.

(٢) سورة الطلاق ، آية : ١٢.

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٢٦.

(٤) انظر ص (١٤٧) من هذا البحث.

ﭐلۡجِنَّ وَﭐلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [1] ، فليس المراد أن العبادة باعثة تعالى على خلق الجـن والإنس لأنه يلزم من ذلك أن يكون تعالى محتاجاً للعبادة فخلق الخلق مـن أجلهـا ، وإنمـا المراد أنه لما وجد الخلق كلفوا بالعبادة ، قال الشهرستاني في ذلك : (وأما الآيات في مثل قوله تعالى : ﴿ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾ [2] فهي لام المآل وصيرورة الأمر وصيرورة العاقبة ، لا لام التعليل ، كما قال تعـالى : ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا ﴾ [3] وقوله تعالى ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [4]) .

فهي لام المآل وصيرورة الأمر وصيرورة العاقبة ، لا لام التعليل .

أما الرازي فقد أثبت لام التعليل التي وردت في القرآن الكريم ، واستدل بذلك على أن أفعال ا تعالى معلله بالأغراض . كما قال في تفسيره عند تفسير قوله تعـالى : ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴾ [5] قال : (قوله ثم بعثناهم لنعلم) اللام لام الغـرض فيـدل على أن أفعال ا معلله بالأغراض) [6] ، وقال في تفسير قوله تعـالى : ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [7] (والتقدير : وليعلم الذين آمنوا متميزين بالإيمان من غيـرهم ، أي الحكمة من هذه المداولة أن يصير الذين آمنوا متميزين عمن يدعي الإيمان بسبب صبرهم وثباتهم على الإسلام)[8].

---

(5) سورة الذاريات ، آية : ٥٦.

(٦) سورة الجاثية ، جزء من الآية : ٢٢ .

(١) سورة القصص ، جزء من الآية : ٨ .

(٢) نهاية الإقدام ، للشهرستاني : ٤٠٤ .

(٣) سورة الكهف ، آية : ١٢ .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي : ٨٣/٢٢.

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٤٠ .

(٦) التفسير الكبير ، للرازي : ١٧/٩.

ويقول في تفسير قوله تعالى ﴿ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّاً وَحَزَنًا ﴾ : [1] (فالمشهور أن هذه اللام يراد بها العاقبة قالوا : و إلا نقض قوله : ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [2] ونقض قوله : ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [3] ونظير هذه اللام قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ [4] وقول الشاعر : لِدوا للموت وابنوا للخراب .

واعلم أن التحقيق ما ذكره صاحب الكشاف وهو أن هذه اللام هي لام التعليل على سبيل المجاز ، وذلك لأن مقصود الشيء وغرضه هو ما يؤول إليه أمره فاستعملوا هذه اللام فيما يؤول إليه الشيء على سبيل التشبيه ، كإطلاق لفظ الأسد على الشجاع والبليد على الحمار) [5] ، فالرازي أثبت لام التعليل التي وردت في القرآن الكريم وجعلها دليلاً على أن أفعاله تعالى معلله بالحكم ، ولكنه أخطأ في إطلاق لفظ (الغرض) على الحكم المقصودة من أفعاله تعالى ، كما أنه جعل استعمال هذه اللام وهي لام التعليل من باب المجاز والتشبيه وليس على الحقيقة.

وقد رد عليهم شيخ الإسلام وبين فساد نفي الحكمة والتعليل في أفعال ا فقال : (وأما نفاة الحكمة) كالأشعري وأتباعه كالقاضي أبي بكر وأبي يعلى [6] وغيرهم ، فهؤلاء أصلهم : أن ا لا يخلق شيئاً لشيء ، فلم يخلق أحداً لا لعبادة ولا لغيرها ، وعندهم ليس في القرآن لام كي ، ولكن قد يقولون : في القرآن لام العاقبة ، كقوله : ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّاً وَحَزَنًا ﴾ [7] وكذلك يقولون في قوله : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

---

(٧) سورة القصص ، جزء من الآية : ٨.

(٨) سورة القصص ، جزء من الآية : ٩ .

(٩) سورة طه ، جزء من الآية : ٣٩ .

(١٠) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ١٧٩ .

(١) التفسير الكبير ، للرازي : ٢٢٨/٢٤.

(٢) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء ، أبو يعلى ، عالم عصره في الأصول والفروع ، من أهل بغداد، ولد سنة ٣٨٠هـ ، توفي سنة ٤٥٨هـ . انظر تاريخ بغداد : ٢٥٦/٢ ، الأعلام : ١٠٠/٦ .

(٣) سورة القصص ، آية : ٨.

ﭐلۡجِنِّ وَﭐلۡإِنسِۖ ﴾ [1] يعنون : كان عاقبة هؤلاء جهنم ، وعاقبة المؤمنين العبـادة ، من غيـر أن يكون الخالق قصد أن يخلقهم لا لهذا ولا لهذا ، ولكن أراد خلق كل ما خلقه ، لا لـشيء آخر ، فهذا قولهم ، وهو ضعيف لوجوه :

أحدها أن لام العاقبة التي لم يقصد فيها الفعل لأجل العاقبة ، إنما تكون من جاهل أو عاجز ، فالجاهل كقوله : ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ ﴾[2] لـم يعلم فرعون بهذه العاقبة ، والعاجز كقولهم : لِدوا للموت ، وابنوا للخـراب ، فـإنهم يعلمون هذه العاقبة لكنهم عاجزون عن دفعها ، وا تعالى عليم قدير ، فلا يقـال : إن فعله كفعل الجاهل العاجز.

الثاني أن ا أراد هذه الغاية بالاتفاق ، فالعبادة التي خلق الخلق لأجلهـا هـي مرادة له بالاتفاق ، وهم يسلمون أن ا أرادها ، وحيث تكون اللام للعاقبـة لا يكـون الفاعل أراد العاقبة ، وهؤلاء يقولون : خلقهم وأراد أفعالهم ، وأراد عقابهم عليها ، فكل ما وقع فهو مراد له ، ولكنه عندهم لا يفعل مراداً لمراد أصلاً ، لأن الفعل للعلة يستلزم الحاجة ، وهذا ضعيف بين الضعف ، وأهل الخصوص قالوا مثل هذا الجواب)[3].

---

(٤) سورة الأعراف ، آية : ١٧٩.

(٥) سورة القصص ، آية : ٨.

(١) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٩/٨.

نقد أدلة الأشاعرة على نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى :

لقد استدل الأشاعرة بعدد من الأدلة على نفي الحكمة والتعليل فـي أفعـال ا تعالى ، والحق أن ما استدلوا به لم يسلم من القوادح يوضح ذلك ما يلي:

أولاً : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [1] فـالجواب على هذه الآية من عده وجوه :

الوجه الأول : أن هذه الآية إنما سيقت لبيان توحيده سبحانه وبطلان ما سواه ، فقد قال تعـالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ٢١ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣ ﴾ [2] فمناسبة الآية هو تقرير توحيده سبحانه وبيان انفراده بالربوبية والألوهية ولم تكن مناسبتها بيان أن أفعاله صادرة عن مشيئة محضة وإرادة فقط . فإن ذلك ليس من الكمال ، والمعنـى أن كمال ربوبيته وملكه وعلمه وتفرده بالربوبية والتدبير ينافي إعراض المعترضين ،

(1) سورة الأنبياء ، آية : ٢٣ .

(2) سورة الأنبياء ، آية : ٢١-٢٢-٢٣ .

وسؤال السائلين.

الوجه الثاني : إن دلالة الآية على كمال حكمته ورحمتـه ومراعاتـه سـبحانه وتعالى لمصالح عباده ، والعواقب المحمودة من أفعاله أقرب من دلالتها على نقـيض ذلك [1].

فإنه تبارك وتعالى لا يسأل عما يفعل ، لكمال حكمته وعدله الذي يقتـضي منـه وضع الأمور في مواضعها التي تناسبها ، وإنزالها منازلها التي تليق بها ، وبهذا فإنـه لا يتوجه إليه سؤال السائلين ، وذلك لكمال حكمته في أفعاله فليس هناك خلل في أفعاله الحكيمة حتى يعترض عليه المعترضون [2].

الوجه الثالث : إن الأشاعرة قد حملوا الآية على أنه لا يسأل عما يفعل لقهره وسلطانه.

ومعلوم أن هذا لا يتضمن مدحاً من جميع الوجوه ، وإن كان مدحاً مـن جهـة القهر والسلطان ، ولكن المدح التام في كون الفعل صادراً عن كمال الحكمـة مطابقـاً للمصالح والحكمة والغايات المحمودة والعواقب المطلوبة.

واستدلال الأشاعرة بهذه الآية في نفي حكمته تعالى في أفعاله يشبه استدلال نفاة الصفات بقوله تعالى : ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [3] فإن هذه الآيـة دالـة على كمال صفاته لا على نفي الـصفات ، وقولـه تعـالى : ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ [4] دالة على كمال الحكمة لا على نفي الحكمة. [5]

ثانياً : ما احتج به الأشاعرة من أن إثبات الحكمة والتعليل يلحق الـنقص بـا وأنه مستكمل بغيره فالإجابة عليه من عدة وجوه :

---

(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩٤.

(٤) انظر المصدر نفسه ونفس الصفحة .

(١) سورة الشورى ، آية : ١١ .

(٢) سورة المؤمنون ، آية : ٢٣ .

(٣) انظر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩٤.

١- قول القائل : إنه مستكمل بغيره باطل ، لأن ذلك : إنما حصل بقدرته ومشيئته ، فلم يكن محتاجاً إلى غيره.

وإذا قيل ، كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه إلى غيره ، كان كما قيل : كمل بصفاته أو كمل بذاته.

٢- كونه سبحانه وتعالى غير قادر على الفعل بحكمة هو بعينه النقص ، وإنما الكمال في كونه لا يزال قادراً على الفعل بحكمة.

٣- إن عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال ، كما أن وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجوده فيه كمال ، فليس عدم كل شيء نقصاً بل عدم ما يصلح وجوده هو النقص.

ولذلك لا تقول : إنه كان قبل ذلك ناقصاً ، ولهذا كان الرب سبحانه وتعالى موصوفاً بالصفات الثبوتية المتضمنة لكماله ، وموصوفاً بالصفات السلبية المستلزمة لكماله أيضاً.

فكان عدم ما ينفى عنه هو من الكمال كما أن وجود ما يستحق ثبوته من الكمال . وإذا عقل هذا في الصفات ، فكذلك في الأفعال ونحوها.

٤- إنه معلوم ببداهة العقول أن القادر على إحداث الحوادث لحكمة ، أكمل ممن لا يقدر على ذلك ، وهذا المقدور لا يكون إلا حادثاً ، فكان وجوده لحكمه هو الكمال ، وعدمه قبل ذلك من تمام الكمال [1].

ثالثاً : أما قولهم إن إثبات الحكمة يستلزم أن تكون الحكمة قديمة أو محدثة . فالجواب على ذلك ما يلي :

١- إن الفعل إما أن يكون قديم العين أو قديم النوع ، أولا يمكن واحد منهما . فإن أمكن أن يكون الفعل قديم العين أو قديم النوع أمكن ذلك في الحكمة التي يكون

---

(١) انظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية : ٨/٩٠ - ٩١.

الفعل لأجلها . وإذا لم يمكن ذلك في الفعل بأن يكون الفعل حادث العين أو النوع كانت الحكمة كذلك .

فالحكمة يحذى بها حذو الفعل فما جاز على الفعل جاز عليها ، وما امتنـع علـى الفعل امتنع عليها.

٢- إن قولهـم كونه محدثاً لتلك العلة يفتقر إلى علة أخرى ممنـوع فـنحن لا نقول : إن كل حادث لا بد له من علة ، بل نقول : إن كل حادث يفعله سبحانه لحكمة ، ومعلوم أن المفعول لأجله مراد الفاعل محبوب له ، والمراد إما أن يكون مراداً لنفـسه أو يكون مراداً لغيره ، والمراد لغيره ينتهي إلى المراد لنفسه قطعاً للتسلسل.

فا يخلق لحكمة وتلك الحكمة لحكمة حتى ينتهي الأمر إلى حكمة لا حكمة فوقها ، ثم إن التسلسل في الآثار المستقبلية ممكن ، والتسلسل في العلل والفاعلين محال باتفاق العقلاء ، فإن كون الفاعل الواحد القديم الأبدي لم يزل يفعل ولا يزال فهذا غير ممتنع.

فالحكمة التي لأجلها يفعل تكون حاصلة بعده . فإذا كان بعدها حكمـة أخـرى فغاية ذلك أن يلزم حوادث لا نهاية لها وهذا جائز بل واجب باتفاق المسلمين.(١)

رابعاً : أما قولهم : إن جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى سـببين : تحـصيل اللذة والسرور ، ودفـع الألم والحزن ، وا تعالى قادر على تحـصيل ذلـك بـدون وسائط ، ولذلك فإن تحصيل المطلوب بالوسائط في حق من يستطيع ذلك بدون وسائط يعـد عبثاً ، والعبث محال في حقه تعالى ، فهذا يجاب عليه بعدد من الأجوبة :

١- إنه لا يلزم إذا كان الشيء مقدوراً ممكناً أن تكون الحكمة المطلوبة لوجوده يمكن تحصيلها مع عدمه ، فإن الموقوف على الشيء يمتنع حصوله بدونه كما يمتنـع حصول الابن بكونه ابناً بدون الأب فإن وجود الملزوم بدون لازمه محال ، وهـذا لا يتنافى مع قدرة ا تعالى وأنه على كل شيء قدير ، ولا يقال إن ذلك القول فيه وصف ا تعالى بالعجز ، وذلك لأن وجود الملزوم بدون لازمه محال ، والمحال ليس بشيء ، فلا تتعلق به القدرة ، وا على كل شيء قدير ، ولا يخرج ممكن عن قدرته البتة.

---

(١) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ١٣٤/٢- ١٣٥.

٢- إن دعوى كون توسط أحد الأمرين إذا كان شرطاً أو سبباً له عبثاً ، دعوى باطلة ، فإن العبث هو الذي لا فائدة فيه ، وأما توسط الشرط أو السبب أو المادة التـي يحدث فيها ما يحدثه فليس بعبث.

٣- إن حصول الأعراض والصفات التي يحدثها ا سبحانه وتعالى في موادها شروط لحصول تلك المواد ، ولا يتصور وجودها بدونها فتوسطها أمر ضروري لا بد منه ، وهذا ما يقلب دليلهم عليهم . وذلك بأن يقال : هل يقدر سبحانه على إيجاد تلـك الحوادث بدون توسط موادها الحاملة لها ، أولا يمكن ؟ فإن قلتم : يمكـن ذلـك كـان توسطها عبثاً . وإن قلتم لا يقدر كان تعجيزاً . فإن قلتم هذا فرض مستحيل ، والمحال ليس بشيء قيل صدقتم ، وهذا جوابنا بعينه.

٤- إذا كان العبث محالاً على ا تعالى ، لزم أن لا يفعل ولا يأمر إلا لمصلحة وحكمة فبطل دليلهم بدليلهم.

وإن لم يكن العبث عليه محالاً ، بطلت هذه الحجة ، فيتحقـق بطلانهـا علـى التقديرين.

٥- إن غاية هذه الشبهة أن يكون سبحانه قادراً على تحصيل تلك الحكم بـدون تلك الوسائط كما هو قادر على تحصيلها بها.

وإذا كان الأمران مقدورين له سبحانه وتعالى لم يكن العدول عن أحد المقدورين إلى الآخر عبثاً إلا إذا كان المقدور الآخر مساوياً لهذا من كل وجه . ولا يمكن لعاقـل أن يقول إن تعطيل تلك الوسائط وعدمها مساوٍ من كل وجه لوجودها ، وهذا قدح فـي الحس والعقل والشرع كما هو قدح في الحكمة ، فوجود الرسل ليس مساوياً لعدمهم مع كون ا تعالى قادراً على هداية خلقه بإرسال الرسل وبغيرها ، ولكن إرسال الرسـل أكمل وأحكم من عدم إرسالها . وكذلك جميع الوسائط وجودها خير من عدمها.

سادساً : قولهم جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى شيئين ، تحصيل اللذة ودفـع الهم والحزن ، إذا كان المراد به الحكمة التي يفعل ا سبحانه لأجلها كانـت دعـوى مجردة لا برهان عليها ، فإن حكمة الرب تعالى فوق تحصيل اللذة ودفع الغم والحزن . فليس كمثل حكمته شيء ، فكما أنه ليس كمثله شيء في إرادتـه ورضـاه وغـضبه

ورحمته وسائر صفاته فكذلك حكمته لا تماثل حكمة المخلوقين . فـالمخلوق لنقـصه يحتاج أن يفعل ذلك لأن مصالحه لا تتم إلا به ، وا   سبحانه غني عن كل ما سـواه ، لا يستفيد من خلقه كمالاً ، بل خلقهم يستفيدون كمالهم منه[١] .

نقد موقف الأشاعرة من الأسباب :

إذا نظرنا إلى ما ذهب إليه الأشاعرة من نفي العلاقة السببية بين المخلوقـات ، ونفيهم للخواص الذاتية للأشياء ، نجد أن ما ذهبوا إليه مناقض للـضرورة العقليـة ، ومخالف لدلالة النصوص الشرعية ، التي أكدت على وجود العلاقة الـضرورية بـين الأسباب ومسبباتها.

فأما الضرورة العقلية فإنها تؤكد على وجود الـتلازم الـضروري بـين الأسـباب ومسبباتها ، وأن ا   هو خالق السبب والمسبب معاً ، وما يحصل من التتابع والـتلازم بـين الأسباب ومسبباتها إنما هو بقدرة ا   ومشيئة ، وهذا معلوم بالضرورة الحسية ، والعقليـة ، فإن مما هو مشاهد ومحسوس أن الشبع يحدث بالخبز لا عنده ، وأن الارتواء يحدث بالماء لا عنده ، والاحتراق يحدث بالنار لا عندها ، ونحو ذلك من الحوادث التي تحدث بأسـبابها لا عندها ، ومن قال غير ذلك ، فقد أنكر القوى والطبائع التي في الأشياء ، ونفى ما هو معلوم بالحس والعقل معاً ، يقول ابن تيمية رحمه ا   : (قال بعض الفضلاء : تلكم قوم من الناس في إبطال الأسباب والقوى والطبائع فأضحكوا العقلاء على قولهم)[٢].

وأما دلالة النصوص الشرعية فهي أن ا   تعالى قد أثبت في القـرآن الكـريم

---

(١) انظر شفاء العليل ، لابن القيم الجوزية : ١٤٠/٢ ـ ١٤٢.

(١) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨/ ١٧٣.

التلازم الضروري بين الأسباب والمسببات حيث قال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشۡرَىۢ بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾[4].

وجاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ : (إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وإن ا جاعل بصلاتي عليهم نوراً)[5].

يقول ابن حزم وهو يرد على الأشاعرة بعد أن حكى كلام الباقلاني : (وهذا تكذيب منهم عز وجل إذ يقول : ﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[6] وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴾[7]، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِى رَيۡبٍ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ

---

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٥٧.

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٦٤ .

(١) سورة التوبة ، آية : ١٤ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٥٢.

(٣) رواه مسلم في الجنائز ، باب الصلاة على القبر من حديث أبي هريرة رضي ا عنه : ٦٥٩/٢ .

(٤) سورة المؤمنون ، جزء من الآية : ١٠٤.

(٥) سورة ق ، آية : ٩.

طِفۡلاً ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾)[1][2] .

وقال ابن تيمية : (فمن قال من أهل الكلام أنه لا يفعل الأشياء بالأسباب ، بل يفعل عندها لا بها ، فهذا مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة من السلف)[3] .

نقد أدلة الأشاعرة في نفي السببية بين المخلوقات :

استدل الأشاعرة على نفي العلاقة السببية بين المخلوقات بأدلة عقلية ضعيفة لا يصح منها شيء ، وذلك لمخالفتها للعقل والنقل معاً وفيما يلي بيان ذلك :

أولاً : ما ذكره الغزالي من أن إثبات التلازم الضروري بين الأسباب ومسبباتها يتنافى مع إثبات عموم قدرة ا تعالى وشمول مشيئته ويتعارض مع توحيده ، ليس بصحيح فإن إثبات الخواص الذاتية للأشياء التي تقتضي حصول التتابع بين السبب والمسبب لا يتنافى مع قدرة ا وحده ، ولا يقتضي الشركة مع ا تعالى.

وذلك لأن ا هو خالق المخلوقات والأشياء بخواصها الذاتية الثابتة ، وقد خص كل مخلوق بماهية تميزه عن غيره ، فلا يوجد شيئان متفقان من كل وجه ، بل كل مخلوق منفرد بخواصه عن سائر المخلوقات ، وأفراد النوع الواحد لهم خاصية تميزهم عن جميع المخلوقات.

وهذا التخصيص يدخل في عموم تقدير ا تعالى للمخلوقات حيث قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾[5] وسنة ا في

---

(٦) سورة الحج ، جزء من الآية : ٥.

(٧) الفصل ، لابن حزم : ٨٧/٥.

(٨) مجموعة الفتاوى : ١٩٢/٤، ١١٢/٣ ، وانظر الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، لابن رشد : ١٢٨.

(١) سورة الفرقان ، آية : ٢.

(٢) سورة القمر ، آية : ٤٩.

خلقه تقتضي إثبات خواص الأشياء وما تقتضيه من تأثير ، وا سبحانه وتعالى هو الذي أراده ، فهو خالق الأشياء بخواصها الذاتية ، وهو الذي أراد هذا التتابع الذي هو مقتضى إثبات الخواص الذاتية ، وعند ذلك لا يقال إن إثبات التتابع بين الأسباب والمسببات وإثبات الخواص الذاتية يتعارض مع عموم قدرة ا وحده.

وقد ذكر ا كثيراً من مظاهر سنته المطردة في خلقه ، وجعلها دليلاً على حكمته وقدرته ، لأن سنته المطردة دليل على منتهى النظام والإحكام في المخلوقات ، وهذا ما يدل على كمال حكمته وقدرته ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾[1] .

فذكر ا تعالى في هذه الآية عدداً من مظاهر سنته التي لا تتخلف ، فتتابع الليل والنهار ، وجريان الشمس ، ونزول القمر في منازله التي قدرها ا تعالى بدون تخلف ، كل ذلك من آيات ا الدالة على قدرته وحكمته ، كما تدل الآية على أن سنة ا في خلقه لا بد أن تكون مطردة ، و إلا لم تكن سنة . ولهذا ذكر سبحانه عدم إمكان أن تدرك الشمس القمر ، أو أن يسبق الليل والنهار ، وهذا مصداق لقوله تعالى : ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[2] وقال تعالى : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[3] .

وهذه الآيات مع دلالتها على عدم تخلف سنة ا تعالى ، فهي دالة على تقييد هذه السنة بمشيئة ا وحده ، لأنه هو الخالق وحده وهو المقدر لهذه المخلوقات ، وهو الذي أراد هذه السنة وهذا التلازم والتتابع بين الأسباب والمسببات ، وهذا يدل على أن

(١) سورة يس ، آية : ٣٧ ـ ٤٠.

(٢) سورة فاطر ، آية : ٤٣.

(٣) سورة الأحزاب ، آية : ٦٢.

التلازم الضروري بين الأسباب ومسبباتها قد يتخلف إذا أراد ا ذلك ، كما جعل ا النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، فسلب ا النار خاصية الحرارة والإحراق.

وهذا الأمر الخارق لا ينفي سنة ا الجارية في خلقه ، ولا يتنافى مع إثبات الخواص الذاتية للأشياء ، ولا مع التلازم الضروري بين الأسباب والمسببات ، وإنما يبين أن سنة ا في خلقه محكومة بمشيئته تعالى[١].

ثانياً : ما ذكره الغزالي من أن إثبات التلازم الضروري بين الأسباب والمسببات يتعارض مع إثبات المعجزات ليس بصحيح ذلك لأن المعجزة إنما تعرف بخرقها للسنة ، فالنار التي أعدت لإحراق إبراهيم عليه السلام سلبها ا قدرتها على الإحراق ، فكان ذلك خرقاً للسنة ، وتأخر الشمس عن المغيب ساعة ليوشع بن نون عليه السلام كان ذلك خرقاً للسنة ، وانشقاق القمر للنبي ﷺ كان ذلك خرقاً للسنة ومخالفاً للعادة.

ولما كانت المعجزة خرقاً للسنن والعادات حصل بها التحدي ، وكانت دليلاً على صدق النبوة ، بحيث يسلم النبي الذي أتى بها عن المعارضه ولو أن العلاقة بين الأسباب ومسبباتها كانت علاقة اقتران عادي وكان يمكن حدوث التأثير بدون المؤثر لم تكن المعجزة ذات دلالة على صدق النبوة ، ولم يمكن أن يتحدى بها النبي مخالفيه ، وبهذا يعلم أن إثبات المعجزة لا يمكن إلا مع إثبات السنن الجارية ، بل والعجب ممن ينفي سنة ا في خلقه كيف يمكنه إثبات المعجزات ، مع أن المعجزة إنما تعرف بخرقها للعادة ، فمن أنكر السنة وأنكر التلازم الضروري بين الأسباب والمسببات لم يكن له أصل يعرف به المعجزة من غيرها [٢] .

---

(٤) انظر المعرفة في الإسلام ، ادكتور عبد ا القرني : ٤٧٩ – ٤٨٠ . وانظر الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد : ١٢٦ – ١٢٧.

(١) التزم الأشاعرة أن المعجزة هي كل خارق للعادة ، والعادة عندهم إنما تعرف بما اعتاده الناس ، ولا يمكن أن تكون مطردة وإلا كانت هي السنة ، ولهذا لم يفرقوا بين المعجزة والسحر ولا بين النبي والساحر ، إلا أن النبي يتحدى بالمعجزة بخلاف الساحر ، والساحر لا يسلم من المعارضة ، وذلك حتى لا تلتبس المعجزة بالسحر ، فالفرق عندهم بين المعجزة والسحر إنما يعود إلى أمور إضافية لا حقيقة ، مع أن مدعي النبوة قد يظهر على يديه مثل ما يظهر على أيدي السحرة ، ويسلم من المعارضة مثل ما حدث للأسود العنسي ومسيلمة الكذاب ، فهذا الفرق غير صحيح وإذا أنكروا السنة لإثبات المعجزة ، لا يكون لهم طريق لإثبات المعجزة ، انظر النبوات

وكما أن إثبات الخواص الذاتية للأشياء ، وإثبـات الـتلازم الـضروري بـين الأسباب والمسببات لا يتنافى مع عموم قدرة ا تعالى ، فإنه لا يتنـافى مـع إثبـات المعجزات [1].

ثالثاً : ما ذكره الغزالي من أن العلاقة بين الأسباب والمسببات ليـست علاقـة تطابق ولا علاقة تضمن ، بحيث يلزم من تصور أحدهما تصور الآخر ، ولذلك فـإن العلاقة بينهما ليست ضرورية.

فالغزالي قد أصاب في نفي أن تكون العلاقة بين السبب والمسبب علاقة تطابق أو تضمن ، ولكن لا يلزم من ذلك أن تكون العلاقة بين السبب والمسبب غير ضرورية ، بل يمكن إثبات الضرورة السببية وفق علاقة التلازم التجريبي بـين الـسبب والمـسبب ، والذي يقوم على ملاحظة تكرار الاقتران بين السبب والمسبب ، وذلك التكرار لا يمكن أن يكون اتفاقياً ، بحيث يكون مجرد اقترانٍ عادي ، وذلـك لأن الـصدفة لا تتكـرر باستمرار دون تخلف ، وعلى ذلك لا بد أن يكون الـتلازم بـين الـسبب والمـسبب ضرورياً.

ويكمن خطأ الأشاعرة في نفي ضرورة التلازم بين الأسباب والمسببات أنهم لم يفرقوا بين الضرورة العقلية والضرورة التجريبية ، فالـضرورة العقليـة لا تحتمـل النقيض لذاتها ، والمستحيل استحالة عقلية لا يمكن وجوده ، ولا تتعلق به القدرة الإلهية ، أما الضرورة التجريبية فإن نقيضها ليس مستحيلاً استحالة عقلية ، بـل هـو مـن حيـث التصور العقلي ممكن.

فمثلاً : إذا قلت : إن الحديد يتمدد بالحرارة ، لم يكن نقيض هذا القول مستحيلاً في العقل ، بل يمكن أن يتمدد الحديد أو أنه لا يتمدد بالحرارة ، فالضرورة التجريبيـة هي مستند القول بضرورة تمدده ، وإن كان عدم تمدده ممكناً في العقل قبل الاسـتقراء التجريبي.

لابن تيمية : ١٦٦.

(٢) انظر المعرفة في الإسلام ، د. عبد ا القرني : ٤٨٠ ـ ٤٨١.

وعلى هذا فالضرورة التجريبية ليست مطلقة كالضرورة العقلية ، وإنمـا هـي مرتبطة بخواص الأشياء ، وأن ما ينطبق على بعض أفراد النوع فلا بد أن ينطبق على جميع آحاده لاتفاق خواصها الذاتية [1].

وتتضح علاقة قول الأشاعرة بنفي الضرورة السببية بقضية العدل الإلهي فـي الثواب والعقاب في أمرين :

الأمر الأول : إن الأشاعرة لم يجعلوا قدرة العبد سبباً في حدوث فعلـه ، بـل جعلوا قدرة العبد لا تأثير لها في حصول الفعل ، وزعموا أن العبد محل لفعل ا تعـالى ، فهو مكتسب للفعل لا أنه فاعل له على الحقيقة وقد تقدم بيان موقفهم هذا مـن أفعـال العباد [2].

وأساس خطأ الأشاعرة في نفي تأثير قدرة العبد في حصول فعله هو اعتقـادهم كون ا خالقاً للعبد وللفعل يتعارض مع كون قدرة العبد سبباً في حصول الفعل.

والحقيقة أنه لا تعارض بينهما ، لأن ا تعالى هو خالق الأسباب والمـسببات ، وتقدير ا أن الفعل مرتبط بقدرة العبد لا يتنافى مع كون ا تعالى هو الخـالق للعبـد وللفعل ، ولا يتنافى مع عموم قدرة ا تعالى.

وتحقق وجود الفعل مترتب على إرادة الإنسان الجازمة وقدرتـه معـاً ، كمـا تترتب جميع المسببات على أسبابها ، وعلى ذلك فإنه إذا وجدت الإرادة الجازمة مـع القدرة يوجد الفعل ، وإذا لم توجد الإرادة الجازمة والقدرة على الفعل فلا يمكن وجـود الفعل.

يقول ابن تيمية رحمه ا : (والفاعل لابد أن يريد الفعل إرادة جازمـة ، وأن يكون قادراً عليه ، وإذا وجد ذلك في حقه وجب وجود الفعل) [3] وذلك لأن قدرة العبد وإرادته سبب في وجود الفعل ، وقدرة ا تبارك وتعالى سبب في حصول الفعل وإرادة

---

(١) انظر المعرفة في الإسلام ، د. عبد ا القرني : ٤٧٨ ـ ٤٧٩.

(٢) انظر ص (٢٤٠) من هذا البحث .

(١) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٦٢/٨.

العبد وقدرته تابع لقدرة ا وإرادته.

وبمجموع هذه الأسباب مع توفر الشروط وانتفاء الموانع يوجد الفعل والمقصود أن إرادة العبد وقدرته سبب في وجوب وجود الفعل من جهته.

أما إذا أراد ا عدم وجود الفعل مع قدرة العبد وإرادته لم يوجد الفعل ، وذلك بأن يصرف قلب العبد بعد أن يكون جازماً في إرادته ، فهذا صارف ومانع خارج عن قدرة العبد وهو سبب مهم في حصول الفعل ، وعند عدم وجوده لم يوجد الفعل.

ففعل العبد يحدث بأسباب عدة شروط وعدة موانع ، وإذا اختل شيء من هذه اللوازم لم يوجد فعل العبد.

وأما ما نفاه الأشاعرة من تأثير قدرة العبد فلا أصل له ، لأن تأثير قدرة العبد في فعله هو مقتضى التكليف ، وعليه يكون الثواب والعقاب ، وبه تقع المسؤولية على العبد في الفعل والترك.

فالسبب الذي يكون من العبد هو الذي يخرج الفعل من الجبر إلى الاختيار والسبب الذي يكون من ا تعالى هو الذي أخرج الفعل من الشرك إلى التوحيد. [1]

الأمر الثاني : إنه إذا ثبتت مسؤولية العبد عن فعله ، وذلك بإثبات تأثير قدرته واختياره في حصول فعله ، فإن ذلك يقتضي أن ما يحدث من ثواب وعقاب للعبد إنما هو بسبب أفعاله ، وهذا ما ينفيه الأشاعرة ، فليست الطاعات عندهم سبباً في حصول الثواب ، وليست المعاصي سبباً في حصول العقاب ، وإنما هو محض القدرة والإرادة.

ولاشك أن ما ذهبت إليه الأشاعرة مناف للنصوص الشرعية حيث قال ا تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٢٤ ﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى

---

(١) انظر شفاء العليل ، لابن القيم رحمه ا : ٣٧٤/١ .

(٢) سورة الواقعة ، آية :٢٢-٢٣-٢٤.

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١﴾ [1].

فدلت الآيات على أن كل هذه الأعمال الصالحة وآثارها من السير والهبوط إنما يكتب للعبد به عمل صالح ليثيبه ا عليه.

وهذا لا يتنافى مع حديث رسول ا ﷺ الذي تقدم والذي قال فيه : (اعلموا أنـه لن يدخل أحدكم الجنة عمله) [2].

فإن الأعمال سبب من أسباب دخول الجنة إذا توفرت لها شروط وأسباب أخرى وإذا انتفت عنها الموانع كما سبق توضيح ذلك[3].

وعلى هذا فإن الثواب والعقاب إنما هو سبب عن فعل العبد وأثر له ، وقـد يحـدث الثواب بدون ذلك السبب إذا أراد ا تعالى ذلك ، ولكن هذا لا ينفي العلاقة المطـردة بـين الأسباب ومسبباتها ولا ينفي القوى والطبائع التي في الأشياء والأعمال ، بل إن ا سـبحانه هو الذي أراد خلق هذه القوى والطبائع ، وهو الذي خلق أثارها المترتبة عليها وجعلها مـن سننه في الكون ، وهو سبحانه القادر على منع النتائج إذا أراد ذلك ، ومن أنكـر هـذا فقـد خالف الضرورة العقلية والنصوص الشرعية يقول ابن تيمية رحمه ا : (الآثار.... التـي تورثها الأعمال ، هي الثواب والعقاب ، وإفضاء العمل إليها واقتضاؤها إياها كإفضاء جميع الأسباب التي جعلها ا - سبحانه وتعالى - أسباباً إلى مسبباتها ، والإنسان إذا أكل أو شرب حصل له الري والشبع ، وقد ربط ا - سبحانه وتعالى - الري والشبع بالـشرب والأكـل ربطاً محكماً ، ولو شاء ألا يشبعه ويرويه مع وجود الأكل والشرب فعل . أما ألا يجعل فـي الطعام قوة ، أو يجعل في المحل قوة مانعة ، أو بما يشاء - سبحانه وتعالى - ولو شـاء أن

---

(٣) سورة التوبة : ١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) سبق تخريجه ص (١٧١).

(١) راجع ص (١٧١) من هذا البحث.

يشبعه ويرويه بلا أكل ولا شرب أو بأكل شيء غير معتاد فعل.

كذلك في الأعمال : المثوبات والعقوبات حذو القذة بالقذة ، فإنه إنما سـمي الثـواب ثواباً ، لأنه يثوب إلى العامل من عمله ، أي يرجع ، والعقاب عقاباً ، لأنه يعقب العمل ، أي يكون بعده ، ولو شاء ا ألا يثيبه على ذلك العمل ، إما بألا يجعل في العمل خاصة تقـضي إلى الثواب ، أو لوجود أسباب تنفي ذلك الثواب ، أو غير ذلك لفعل - سـبحانه وتعـالى - وكذلك في العقوبات)[1] .

والحاصل أن الأشاعرة قد أصابوا في الإقرار بمبدأ السببية ، وفي إثبات عموم مشيئة ا تعالى ، وشمول قدرته وإرادته لجميع خلقه.

ولكنهم أخطئوا في نفي السببية بين المخلوقات ، وفي نفي التلازم الـضروري بـين الأسباب ومسبباتها ، ولهذا كان قولهم مخالفاً للنصوص الشرعية وللأدلة العقلية.

نقد قول الأشاعرة بالكسب :

تقدمت أقوال أئمة الأشاعرة في قدرة الإنسان ، حيث ذهبوا إلى عدة آراء في ذلك.

فأما أبو الحسن الأشعري فإن كلامه في " المقالات " لا يدل على نفيـه لتـأثير قدرة العبد في فعله ، ولكن يبدو مما عرض سابقاً أن له رأياً آخر ينفي فيه تأثير قدرة العبد في فعله ، ويدل على ذلك عدد من الأمور :

أولاً : نقل أتباعه من الأشاعرة عنه أنه كان ينفي تأثير القـدرة الحادثـة فـي حصول الفعل كما تقدم بيان ذلك .

ثانياً : ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى من أن للأشعري قـولين ينفي في أحدهما تأثير قدرة العبد في حصول فعله.

ثالثاً : ما ذكره ابن القيم من القول بأن ما استقر عليه الأشعري هو القول بنفـي تأثير القدرة الحادثة في فعله.

ولولا هذه الأمور المتقدمة لجزمت بأن ما نسب للأشعري من انتفاء تأثير قدرة

---

(٢) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٦٣/٨.

العبد في فعله غير صواب ، وأنه يثبت تأثير قدرة العبد في فعله وفق النصوص التـي سبق ذكرها من كتاب المقالات ولكنه لم يثبت لدي نص للأشعري ينفي فيه تأثير القدرة الحادثة في حصول الفعل.

ولعل أتباعه من الأشاعرة وغيرهم من أمثال ابن تيمية وتلميـذه رحمهمـا ا تعالى قد اطلعا على نص للأشعري ينفي فيه تأثير القدرة الحادثة في حصول الفعل.

أما قول الباقلاني الذي جعل قدرة العبد متعلقة بوصف الفعل فإنـه يقتـضي أن قدرة العبد لا مدخل لها في وجود الفعل ، فإن أصل الفعل عنده واقع بقدرة ا تعالى ، وقدرة العبد تتعلق بالوصف فقط .

ولا شك أن هذا القول يقتضي نفي تأثير القدرة الحادثة في الفعل .

أما أبو إسحاق الإسفرائيني فقد جوز اجتماع مؤثرين على أثر واحد كل منهمـا يستقل بالتأثير فيه ، أوفي إيجاده .

ولا شك أن هذا القول باطل ومعارض بدليل التمانع الذي يثبت بـه المتكلمـون وجود الصانع ، والذي يقوم على أساس منع اجتماع مؤثرين في التأثير علـى محـل واحد. وإلا أدى ذلك إلى الشرك في الربوبية.

أما الجويني الذي استقل برأي له بعيداً عن رأي أصحابه ، فقد وصف ابن القيم رحمه ا رأيه بأنه توسط حسن بين القدرية والجبرية ، إلا أنه لاحظ عليه بعض المآخـذ ، منها قوله بأن ا مريد للشر (1) ، وإن كان قد أصاب في كثير مما قاله في هذا الباب.

أما صاحب المواقف وشارحها والرازي والغزالي فما زالوا على القـول بنفـي تأثير قدرة العبد في حصول فعله ، مع اختلافهم في تعريف الكسب.

ويتضح مما سبق أن الأشاعرة يثبتون للعبد اختياراً ، ولكنهم يـرون أن هـذه القدرة ، وذلك الاختيار لا أثر لهما في وجود الفعل ، وإنما الفعل من خلق ا وحـده ، فهم يخالفون المعتزلة في استقلال قدرة العبد وإيجاد فعله ، ويرون أن العبد وإن لم يكن موجداً لأفعاله إلا أنه يسمى كاسباً لها ، ويرون أن الكسب هو مناط التكليف ، ومـدار

---

(1) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٣٢٠/١ .

الثواب والعقاب ، وظنوا أنهم بذلك قد خالفوا الجبرية الذين ينفون القدرة والاختيـار ، ومن هنا يتسبب أمران :

الأمر الأول : إن اضطراب قول الأشاعرة في إيجاد مصطلح لهم في تعريـف الكسب لهو أكبر دليل على فساد أقوالهم.

فالكسب لغة : طلب الرزق ، وأصله الجمع .

يقال كسبت شيئاً واكتسبته . وكسبت أهلي خيراً ، وكسبت الرجل مالاً فكسبه . والكواسب الجوارح ، وتكسب بتكلف الكسب . واكتسب تصرف واجتهد ويطلق علـى الطلب والسعي في طلب الرزق والمعيشة [١].

ويقول ابن تيمية رحمه ا : والكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفـع أو ضر ، كما قال تعالى : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [٢]، فبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها[٣].

وقد جاء ذكر الكسب في القرآن على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : عقد القلب وعزمه ، ومنه قوله تعـالى : ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [٤].

---

(٢) انظر الصحاح ، للجوهري : ١/ ٢١٢ـ٢١٣ ، ولسان العرب ، لابن منظور : ٧١٦/١ ، والقاموس المحـيط للفيروزآبادي : ٢٤/١.

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٨٦.

(٢) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٣٠/٨.

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٢٥.

الوجه الثاني : كسب المال من التجارة مثل قوله تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [1].

الوجه الثالث : السعي والعمل كقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾ [3] وهذا كله من العمل [4] .

وعلى هذا فإن المعاني اللغوية لكلمة (الكسب) والآيات القرآنية توضح أنهـا تنسب الكسب إلى العبد نسبة تشعر بأن القدرة لها أثر في الفعل وأنها ليـست مجـرد مقارنة كما زعم الأشاعرة.

والمقصود أن الكسب إن كان المراد به الفعل الحقيقي للعبد فهذا حـق ، وهـو واقع من العبد بقدرته التي أقدره ا بها ، والقدرة لها تأثير في فعله ، وهذا الكسب هو ما يثبته السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ويصرحون به كما مـر معنـا فـي نصوص سابقة. [5]

أما إذا كان المراد به قدرة بلا تأثير بل مجرد ما يحـصل بـه التفريـق بـين المختار والمرتعش فهذا ضرب من السفه ، ولذلك فإن الكسب عند الأشـاعرة لفـظ لا معنى له ، ولا حاصل تحته ، وبه استطال خصومهم عليهم واستهزءوا بهم .

---

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٦٧.

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦.

(٦) سورة الأنعام ، آية : ٣.

(٧) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٣٠٩/١.

(١) انظر ص(١٩٦) من هذا البحث.

الأمر الثاني : إن قول الأشاعرة بنفي تأثير القدرة الحادثة في حصول الفعـل ، أقرب ما يكون إلى الجبر وإن كانوا قد اخترعوا لأنفسهم مصطلحاً يخرجهم عن دائـرة الجبر فإنهم لازالوا في مركز تلك الدائرة.

وإن كان الأشاعرة قد أرادوا مخالفة المعتزلة الذين قالوا بخلق العباد لأفعالهم ، وأرادوا نقض مذهبهم ، فأفرطوا في البعد عن مذهب الاعتزال ، حتـى وافقـوا فـي أقوالهم ما ذهبت إليه الجبرية الجهمية (1) ، ثم أرادوا مخالفة الجبرية ، فقالوا بالكـسب الذي لا حقيقة له .

والواقع أن الأشاعرة قد وافقوا جهماً في كثير من بدعه ومنها بدعـة الجبـر ، وقولهم في أفعال العباد أقرب ما يكون إلى قول الجبرية إلا أن الاختلاف لفظي ، وفي بيان ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى : (والجهم بن صـفوان ومـن اتبعه ينكرون حكمة ا ورحمته ، ويقولون : ليس في أفعاله وأوامـره لام كـي ، ولا يفعل شيئاً لشيء ، ولا يأمر بشيء لشيء ، وكثير من المتأخرين من المثبتين للقدر من أهل الكلام ، ومن وافقهم سلكوا مسلك جهم في كثير من مسائل هذا الباب ، وإن خالفوه في بعض ذلك ، إما نزاعاً لفظياً ، وإما نزاعاً لا يعقل ، وإما نزاعاً معنويـاً ، وذلـك كقول من زعم ، أن العبد كاسب ليس بفاعل حقيقة ، وجعل الكسب مقـدوراً للعبـد ، وأثبت له قدرة لا تأثير لها في المقدور). (2)

ويقول رحمه ا في موضع آخر : (والمقصود هنا أن جهمـاً اشـتهر عنـه بدعتان : إحداهما : نفي الصفات . والثانية : الغلو في القدر والإرجاء . فجعل الإيمان مجرد معرفة القلب ، وجعل العباد لا فعل لهم ولا قدرة ، وهذان مما غلت المعتزلة في خلافه فيهما ، وأما الأشعري فوافقه على أصل قوله ، ولكن قد ينازعه منازعات لفظية). (3)

---

(2) هم أصحاب جهم بن صفوان ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمد ، ومن اعتقاد هذه الطائفة نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ، وهذا هو الجبر الذي عرفت به ، ومن معتقداتهم القول بفنـاء الجنة والنار . انظر الملل والنحل ، للشهرستاني : ٩٧/١ .

(1) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٧٦/٨.

(2) المصدر نفسه : ١٣٩/٨.

فالأشاعرة اثبتوا قدرة ، ولكنها لا تأثير لها في الفعل بل وجودها وعـدمها سـواء ، ولذلك كان تفسيرهم للكسب يعود إلى الجبر ، ويترتب عليه ما يترتب على الجبر.

ومعلوم لدى جميع العقلاء فساد قول الجبرية ، وما يترتب عليه من نتـائج باطلـة ، وسيأتي توضيح مذهبهم وذكر أدلتهم ، والرد عليهم في الفصل الثاني من هذا الباب في المبحث الخاص بعلاقة القضاء والقدر بالعدل الإلهي [١].

نقد أدلة الأشاعرة على القول بالكسب :

أولاً : كل ما استدل به الأشاعرة من الآيات التي تثبت أن فعل العبد واقع بقدرة ا تعالى صحيح لا غبار عليه ، وهو دليل يستدل به في الرد على القدرية الذين قالوا بأن العبد خالق لفعله ، وأن ا ليس بخالق لأفعال العباد.

ولكن هناك نصوصاً أخرى تثبت أن العبد هو فاعل فعله على الحقيقة وأن لـه مشيئة وقدرة وإرادة تمكنه من مباشرة فعله ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ [٣] فكل دليل للجبرية صحيح في إثبات خلق ا لأفعال العباد ، وصحيح في الرد على القدرية.

---

(٣) انظر ص (٣٦٠) من هذا البحث.

(١) سورة التكوير ، آية : ٢٨ .

(٢) سورة الإنسان ، آية : ٢٩ .

وكل دليل للقدرية صحيح في إثبات قدرة العبد ، وصحح في الرد علـى الجبريـة ، يقول ابن القيم رحمه ا : (وكان غاية ما عند كل واحد من الفريقين مناقضة الآخـر وإفساد قوله ، فكفوا أهل السنة مؤنتهم) والواجب الجمع بين كل هـذه النـصوص ، وإثبات قدرة ا الشاملة ، وإثبات قدرة العبد في حصول فعله . [1]

ثانياً : قولهم إن الفعل لو كان بقدرة العبد للزم اجتماع المؤثرين لشمول قدرة ا تبارك وتعالى قول فيه تلبيس ، فإن قدرة ا سبحانه وتعالى لا ينكـر أحـد شـمولها وكمالها لكل ممكن . ولا يعطل أحد قدرة الرب التي هي سبب في كل موجود ، وكـل ما في الوجود مخلوق   وهو أثر قدرته ومشيئته ، وليس في الوجود شـيء مـستقل بالتأثير سوى مشيئة ا تبارك وتعالى.

فالحركة تقع بقدرة العبد وإرادته التي خلقها ا فيه وجعل له الداعي إلى فعله ، والفعل يضاف إلى قدرة الرب إضافة المخلوق إلى الخالق ، ويضاف الفعل إلى قـدرة العبد إضافة السبب إلى مسببه.

فلا يمتنع وقوع الفعل بين قادرين قدرة أحدهما أثر لقدرة الآخر ، وقدرة الآخر مستقلة بالتأثير ، يقول ابن القيم رحمه ا : (والتعبير عن هذا المعنى بمقـدور بـين قادرين تعبير فاسد وتلبيس ، فإنه يوهم أنهما متكافئان في القدرة ، كما نقـول : هـذا الثوب بين هذين الرجلين ، وهذه الدار بين هذين الشريكين . وإنمـا المقـدور واقـع بالقدرة الحادثة وقوع السبب بمسببه ، والسبب أو المسبب والفاعل والآلة كله أثر القدرة القديمة). [2]

والمقصود أن قدرة ا تعالى شاملة لكل ما في الكون ، وأن العبد فاعل لفعلـه بقدرته وإرادته وهو فعله حقيقة ، عليه يمدح ويذم ويثاب ويعاقب.

ومن المستحيل أن يكون هناك مفعول بين فاعلين مستقلين ، وهذه أمور قد ركبها ا في الفطر والعقول . وعلى هذا وذاك فإن الفعل وقع بقدرة الرب خلقاً وتكويناً ، وبقـدرة

---

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩٤.

(١) شفاء العليل ، لابن القيم : ٣٦٤/١.

العبد سبباً ومباشرة ، فا هو خالق العبد وخالق الفعل ، والعبد هو الذي فعل وباشـر في الفعل ، والقدرة الحادثة وأثرها واقعان بقدرة الرب ومشيئته [١].

ثالثاً : قولهم إن العبد لو كان موجداً لأفعاله لكان عالماً بتفاصيلها ، واللازم باطـل ، فوجب امتناع صدور الأفعال عن العبد لعدم علمه بتفاصيلها.

وفكرة هذا الدليل تقوم على الملازمة بين الخلق والعلم ، وأن العلم لازم للخلـق والإيجاد وبانتفاء اللازم ، وهو العلم ينتفي الملزوم وهو الخلق ، فهذا الـدليل متوقـف على إثبات الملازمة بين الإيجاد والعلم.

ويأتي الرد على هذا الدليل بعدة أوجه :

الوجه الأول : إن الفعل الاختياري الذي يباشره العبد وهو مختار له قادر عليه غير ملجأ ولا مكره ولا مجبر ولا ساه ولا نائم ، فإنه لا يستلزم منه الشعور به علـى التفصيل ، بل يكفي الشعور بالفعل على الجملة.

ويدل على ذلك الواقع الملموس ، فإن العبد المختار يفعل فعله الاختيـاري مـع شعوره بجملة فعله دون تفاصيلها الدقيقة ، وهذا يكفي في الشعور بالفعل ومباشرته. [٢]

يقول ابن القيم : (وبالجملة فالفعل الاختياري يستلزم الشعور بالفعل فـي الجملـة ، وأما الشعور به على التفصيل فلا يستلزمه). [٣]

وقد رد المعتزلة على الأشاعرة بنفس هذا القول ، وهو أن العلم الإجمالي يكفي في إيجاد الفعل دون العلم التفصيلي وقالوا : لقد ثبت أن الواحد منا قد يظن أنه متمكن من حمل جسم عظيم ، فإذا عالجه لم يقدر عليه ، وإذا عالج ما هو دونه صح منـه ، فيجب أن يكون في ذلك دلالة على أن الفعل يصح مع الظن والشك ، ولو كان يحتـاج إلى كونه عالماً لم يصح منه ذلك ، ومع وجود الفعل بالشك والظن يسقط استلزام وجود

---

(٢) انظر المصدر نفسه : ٣٦٥/١.

(١) انظر المصدر نفسه : ٣٦٥/١ وما بعدها.

(٢) شفاء العليل ، لابن القيم : ٣٦٨/١.

الفعل بالعلم التفصيلي.[1]

الوجه الثاني : إن العلم ليس شرطاً للإيجاد ، ونفس الإيجـاد لا يقتـضي علـم الفاعل بالفعل ، بل مجرد الفعل يصح من القادر عليه وإن لم يكن عالماً به ، فلا يستدل بالخلق على العلم ، بل لا بد من وصف تخصيصي للخلق ليصح اشتراط العلم فيـه ، وذاك الوصف هو الخلق المحكم المتقن من كل وجه ، وهذا لا يكون إلا في فعل ا سبحانه وتعالى وقياس فعل العبد وإيجاده واشتراط العلم فيه على فعل الباري وخلقه لا يصح .

والقول بتجويز الإيجاد من غير العالم لا يبطل إثبات علم ا تعالى لأن مثبتـي علم ا تعالى لا يستدلون بمجرد الإيجاد على العلم ، بل يستدلون بإحكام الفعل وإتقانه على علمه تعالى. [2]

والحاصل أن مجرد الإيجاد لا يحتاج إلا إلى القدرة ، ولا يحتـاج إلـى صـفة أخرى معها كالعلم ، لأنه لو احتاج إلى صفة زائدة على القدرة مع القـادر لوجـب أن يكون لتلك الصفة تأثير في صحة إيجاد الفعل ، كما للقدرة ، وهذا باطل. [3]

ومما يدل على عدم اشتراط العلم بالتفاصيل حال الإيجاد ، أنا نعلـم قطعـاً أن الإنسان قادر على حمل المتاع - مثلاً - دون الجبل ، أو الشجر ، لا لانتفاء العلم عن الجبل والشجر ، بل لعدم القدرة عليهما.

فدل على أن العلم لا علاقة له بنفس الإيجادات.

الوجه الثالث : استدلالهم بأن النائم تصدر عنه أفعال اختياريـة لا شـعور لـه بتفاصيلها استدلال غير مستقيم في نظري ، وذلك لأن انتفاء العلم والشعور بسبب النوم ، لا يزيل الإيجاد ، إنما يزيل القصد والنية وتوجيه الإرادة والقدرة ، وترجيحهمـا للفعـل المعين ، دون غيره من الوجوه الممكنة ، مع تعدد الخيارات ، والوجوه الممكنـة المتاحـة . فإذا ما أزال النوم الإرادة والقدرة المرجحة كان الفعل أقرب إلى الجبر ، فيكون خلقـه

---

(٣) انظر الغني في أبواب التوحيد والعدل : ٨/٣ ـ ٢٢٧٨ . المحيط بالتكليف ، للقاضي عبدالجبار : ٤١٣.

(٤) انظر تلخيص المحصل بذيل المحصل : ٢٨٢.

(١) انظر المغني في أبواب التوحد والعدل ، للقاضي عبدالجبار : ٢٧٦/٨.

بالاتفاق بقدرة ا [(1)].

ورغم الخلاف في كون النوم مضاداً للقدرة أم لا ، إلا أنه يظهر لي أن النـوم أخو الموت لقولـه تعـالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [(2)].

وهذا المثال الذي أوردوه يصلح أن ينعكس على المستدلين به ، فيكـون حجـة للقائلين بعدم اشتراط العلم لصدور الأفعال الاختيارية ، لأنها تصدر عن النائم ، وهو لا شعور ولا علم له بها [(3)].

رابعاً : استدلالهم باشتراط الإعادة في إيجاد الفعل وقولهم : إن العبد لـو كـان موجداً لفعله لكان قادراً على إعادته ، قول ضعيف إذ ليس من شرط الإيجاد الإعادة ، وقدرة العبد مقدرة ، حادثة ، ضعيفة ، محدودة التعلقات ، ولا يصح منها الإعادة ، كما لا يصح منها خلق الجواهر والأعراض ، والسماوات والأرض.....إلخ.

أما القدرة القديمة الكاملة ، والتي لها مطلق الكمال والتأثير ، فلا يستحيل فـي حقها أي ممكن ، فهو سبحانه وتعالى ، قادر ، على الإعادة ، كما قدر على الابتـداء ، ولذلك يستدل بإيجاده تعالى على إمكان الإعادة كما في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ﴾ . [(4)]

---

(٢) هناك نزاع بين المتكلمين في أن الفعل حال النوم مقدور للنائم ، فالأستاذ أبي إسحاق ذهب إلى أن النوم مـضاد للقدرة ، وبعضهم توقف كالباقلاني ، وذهب أكثر المعتزلة ، وبعض الأشاعرة إلى أن النوم لا يضاد القـدرة ، انظر هذه المسألة : شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٢٤٣/١.

(٣) سورة الزمر ، آية : ٤٢.

(٤) انظر سعد الدين التفتازاني وموقفه من الإلهيات ، عبد ا الملا : ١٥٠٧/٤ وما بعدها.

(١) سورة يس ، آية : ٧٨-٧٩.

وقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ .[1]

وإنما صح الاستدلال بالابتداء على جواز الإعادة لكونها من متعلقـات القـدرة الكاملة ، التي لا يمتنع عليها شيء من الممكنات البتة ، وقياس القدرة الحادثـة علـى القدرة القديمة قياس مع الفارق ، وهذا ظاهر لكل عاقل.[2]

وبعد هذا العرض لمذهب الأشاعرة وبيان الأصول التي أثرت في صياغة مفهوم العدل الإلهي عند الأشاعرة يتضح أن أقوالهم اختلط فيهـا الحـق بالباطـل والخطـأ بالصواب ، ولذلك يقول ابن القيم : (وأصحاب المشيئة المحضة أصابوا فـي إثبـات عموم المشيئة والقدرة ، وأنه لا يقع في الكون شيء إلا بمشيئة ، فخذ من قولهم هـذا القدر وألق منه إبطال الأسباب والحكم والتعليل ومراعاة مصالح الخلق).[3]

---

(٢) سورة يونس ، آية : ٤ .

(٣) انظر سعد الدين التفتازاني ، وموقفه من الإلهيات ، عبد ا الملا : ١٥٣٥/٤ وما بعدها.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩٥.

الفصل الثاني :

علاقة العدل الإلهي بأمور الاعتقاد .

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : علاقة العدل الإلهي بالقضاء والقدر .

المبحث الثاني : علاقة العدل الإلهي بالحسن والقبح .

المبحث الثالث : علاقة العدل الإلهي بالوجوب .

المبحث الأول :

علاقة العدل الإلهي بالقضاء والقدر .

تعريف القضاء والقدر لغة :

يقول الجوهري : (" القضاء " : الحكم . وقضى ، أي حكم ومنه قوله تعـالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [١] ، وقد يكون بمعنـى الفـراغ ، تقـول : قـضيت حاجتي.. وقد يكون بمعنى الأداء والإنهاء ، تقول : قضيت ديني ، ومنه قوله تعـالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [٢] ، وقوله تعـالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ [٣]. أي أنهيناه إليه وأبلغناه ذلك .

وقد يكون بمعنى الصنع والتقدير . . يقال : قضاه أي صنعه وقـدره ، ومنـه قوله تعالى : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [٤] ومنه القضاء والقدر)[5] .

ويقول أيضاً : (والقدر : ما يقدره ا عزوجل من القضاء) [٦] .

ويقول ابن منظور : " القضاء " : الحكم : قال الأزهري : القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه ، وكل ما أُحكم عمله أو أُتم أو خُـتم أو أُدي أداء أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أفضى فقد قضى .

ومنه القضاء المقرون بالقدر .

والمراد بالقدر التقدير ، وبالقضاء الخلق ، فالقضاء والقدر أمران متلازمـان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه .

والقضاء : الحتم والأمر ، وقضى أي حكم ومنه القضاء والقدر) [١].

---

(1) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٢٣ .

(2) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٤ .

(3) سورة الحجر ، جزء من الآية : ٦٦ .

(4) سورة فصلت ، جزء من الآية : ١٢ .

(5) الصحاح للجوهري : ٦/٤٦٤.

(6) المصدر نفسه : ٢/٧٨٦ .

وقال : (القدر : القضاء الموفق ، والقدر : القضاء والحكم ، وهو ما يقدره ا من القضاء ويحكم به من الأمور) [٢].

وقد ورد لفظ القضاء في القرآن الكريم بأكثر من معنى واستعمال :-

الأول : بمعنى الحكم والقضاء بين المتخاصمين والمتنازعين ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ [٣].

الثاني : بمعنى الأمر التشريعي التكليفي ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ [٤] ، أي أمر.

الثالث : بمعنى الإخبار والإعلام ، مثل قوله : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ [5] . وقوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ [٦] أي أخبرناهم بذلك في التوراة .

الرابع : بمعنى أنهى وأتم وأنجز ، ودليله قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٧].

---

(1) لسان العرب ، لابن منظور : ١٨٦/١٥ .
(2) المصدر نفسه : ٧٤/٥ .
(3) سورة النساء ، آية : ٦٥ .
(4) سورة الإسراء ، آية : ٢٣ .
(5) سورة الحجر ، آية : ٦٦ .
(6) سورة الإسراء ، آية : ٤ .
(7) سورة الأنفال ، آية : ٤٢ .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً ﴾ [١] .

وقولـه تعـالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [٢] .

الخامس : بمعنى الأمر الكوني النافذ ، والقدر الحتمي الذي لا يرد ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٣] . أي إذا قدر أمراً وأراده فإنه لا بد أن ينفذ بمجرد قوله تعالى : ﴿كُن﴾ .

السادس : بمعنى حدد ، كقوله تعـالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاًۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾ [٤]. أي قدر وحدد زمناً ، فهو قضاء حتمـي أيضاً .

السابع : بمعنى الحتم ، كقوله تعـالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡراً مَّقۡضِيّاً ﴾ [٥] أي قدراً مقدراً ، وخلقاً مراداً لـه سبحانه ، وفعلاً نافذاً لا مرد له .

الثامن : بمعنى الأجل ، ومنه قولـه تعـالى : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً ﴾[٦] .

---

(1) سورة الأحزاب ، آية : ٢٣ .

(2) سورة الجمعة ، آية : ١٠ .

(3) سورة البقرة ، آية : ١١٧ .

(4) سورة الأنعام ، آية : ٢ .

(5) سورة مريم ، آية : ٢١ .

(6) سورة الأحزاب ، آية : ٢٣ .

التاسع : بمعنى الهلاك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١).

العاشر : بمعنى الوجوب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

الحادي عشر : بمعنى الإبرام ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

الثاني عشر : بمعنى الفعل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ (٤).

الثالث عشر : بمعنى العهد ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٥).

الرابع عشر : الموت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٦)(١).

---

(1) سورة يونس ، آية : ١١ .
(2) سورة إبراهيم ، آية : ٢٢ .
(3) سورة يوسف ، آية : ٦٨ .
(4) سورة عبس ، آية : ٢٣ .
(5) سورة القصص ، آية : ٤٤ .
(6) سورة القصص ، آية : ١٥ .

أما القدر فقد ورد لفظه وما يتصرف منه في القرآن الكريم لمعان مختلفة :

أولاً : بمعنى الشرف والعظمة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [٢].

ثانياً بمعنى ضيق المكان والعيشة ، قـال تعـالى : ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾[٣]. أي يضيق .

ثالثاً : بمعنى التزيين وتحسين الصورة ، قال تعالى : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [٤] . أي صورنا فنعم المصورون وقال تعـالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[5] أي خلـق فصور .

رابعاً : بمعنى الجعل والصنع ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [٦] أي جعل له منازل .

خامساً : بمعنى العلم والحكمة ، قال تعـالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(1) انظر بصائر ذوي التميز ، للفيروزآبادي : ٢٧٦/٤ ، ولوامع الأنوار البهية ، للاسفرائيني : ٣٥٨/٢ ، والقضاء والقدر في الإسلام ، لفاروق الدسوقي : ٣٢٧/١ -٣٢٨ .

(2) سورة القدر ، آية : ١ .

(3) سورة الرعد ، آية : ٢٦ .

(4) سورة المرسلات ، آية : ٢٣ .

(5) سورة الأعلى ، آية : ٣ .

(6) سورة يونس ، آية : ٥ .

وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾[1] أي يعلم .

سادساً : بمعنى القـدرة والقـوة ، قـال تعـالى : ﴿ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴾[2][3] أي يقوى عليه .

ويتضح من معاني القضاء اللغوية أنها تتـضمن معـاني الإلـزام ، والحكـم والإيجاب ، والحتم ، والأمر الكوني النافذ ، والقدر الحتمي الذي لا يـرد ، والعلـم ، وهذه المعاني هي التي ترتبط بهذا المبحث .

أما القدر فإن من معانيه الجعل والصنع والعلم والحكمة والقدرة والقوة ، وكل هذه المعاني للقضاء والقدر تدل على علمه سبحانه وقدرته لكل ما في الكون ، وأن كل من في السموات والأرض مقهور ملزم بقضائه وقدره الذي أوجبه على خلقه وألزمهم بـه وفق حكمته وعلمه وقدرته ، لا يخرج عن قضائه وقدره أحد .

القضاء والقدر اصطلاحاً :

---

(1) سورة المزمل ، آية : ٢٠ .

(2) سورة البلد ، آية : ٥ .

(3) انظر بصائر ذوي التميز ، للفيروزآبادي : ٢٤٣/٤ – ٢٤٤ .

لم أجد في كثير من كتب السلف تعريفاً مصطلحاً عليه للقـضاء والقـدر . أو التفريق بينهما . وإنما كانوا يطلقون القول بهما مجتمعين في إثبات الحكـم والتقـدير والعلم الأزلي السابق تعالى بالكائنات قبل خلقها وإيجادها ، وقد ذكر الخطّابي قـولاً في التفريق بينهما وتعريفهما فقال : (القدر : اسم لما صار مقدراً عن فعـل القـادر ، فالهدم والنشر والقبض : أسماء لما صدر من فعل الهادم والناشر والقابض .

والقضاء في هذا معناه : الخلـق ، لقولـه تعـالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾[1] أي خلقهن) [2].

فجعل رحمه ا القدر هو المقدور السابق، والقضاء هو الخلق التابع للمقدور السابق.

وذكر ابن الأثير[3] كلاماً يوافق قول الخطابي فقـال : (... والمـراد بالقـدر التقدير ، وبالقضاء الخلق ، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفـك أحـدهما عـن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القـضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه) [4].

ويقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه ا في تفصيل ذلك وبيـان معاني القضاء والقدر : (إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا ، ومترادفان إن تفرقا ، على حد قول العلماء : هما كلمتان : إن اجتمعا افترقتا ، و إن افترقتا اجتمعتا .

فإذا قيل : هذا قدر ا ، فهو شامل للقضاء ، أما إذا ذكرا جميعاً ، فلكل واحـد منهما معنى .

- فالتقدير : هو ما قدره ا تعالى في الأزل أن يكون في خلقه .

---

(1) سورة فصلت ، جزء من الآية : ١٢ .

(2) معالم السنن ، للخطابي : ٧٠/٧ .

(3) المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، أبو السعادات ، مجد الدين : المحـدث اللغوي الأصولي ، ولد سنة ٥٤٤ ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ . انظر وفيات الأعيان : ٤٤١/١ ، طبقات الشافعية : ١٥٣/٥ ، الأعلام : ٢٧٢/٥ .

(4) النهاية ، لابن الأثير : ٢٩٤/٣ .

- وأما القضاء فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه مـن إيجـاد أو إعـدام أو تغيير ، وعلى هذا يكون التقدير سابقاً)[1].

وهذا القول يوافق ما ذكره ابن الأثير من أن القضاء هو البناء والقدر هو الأساس .

([1]) شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ٢/١٨٧- ١٨٨ .

القضاء والقدر في اصطلاح المعتزلة :

لم يفرق المعتزلة بين القضاء والقدر ، وإنما كانا عندهم بمعنى واحد ، ويجب أن يقيد اللفظ حتى يفهم معناه .

فإن كان بمعنى الإلزام فلا يصح في أفعال العباد ، وإنما يقيد بالعبادات الواجبة ، بمعنى أنه أوجبها وألزمهم بها .

وإذا كان بمعنى الخلق فلا يصح في أفعال العباد ، لأنها عندهم من خلق العبد وليست من خلق ا تعالى .

أما بمعنى الإخبار والبيان فإن ذلك يصح في الكل .

فكل شيء بقضاء ا وقدره بمعنى بيانه والإخبار عنه[1] .

([1]) انظر طبقات المعتزلة ، كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد : ١٩٩ .

القضاء والقدر في اصطلاح الأشاعرة :

ذهب الأشاعرة إلى أن القضاء هو العلم السابق الذي حكم ا بـه فـي الأزل ، والقدر : هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق .

وإلى ذلك ذهب ابن حجر حيث قال : (قال العلماء : القضاء هو الحكم الكلـي الإجمالي في الأزل ، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله) [١].

وقال في موضع آخر : (القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمـال فـي الأزل ، والقدر الحكم بوقوع الجزيئات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل) [٢].

ويقول الجرجاني : (والقدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعـد واحد مطابقاً للقضاء ، والقضاء في الأزل ، والقدر فيما لا يزال ، والفرق بين القـدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة ، والقـدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها) [٣] فالأشاعرة يرون أن القضاء هو الحكم السابق ، والقدر هو وقوع الخلق على وفق الحكم الأزلي السابق .

وبذلك يتضح أن الخلاف بين الأشاعرة والسلف اختلاف لفظي فقط ، والأرجح في رأيي قول السلف وهو : أن القدر هو الحكم السابق ، والقضاء هو الخلق التفصيلي على وفق ما قُدر .

ويدل على صحة ذلك قولـه تعـالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [٤].

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [٥].

---

(1) فتح الباري : ٤٧٧/١١ .

(2) فتح الباري : ١٤٩/١١ .

(3) التعريفات ، للجرجاني : ١٥٢ .

(4) سورة مريم ، آية : ٢١ .

(5) سورة مريم ، آية : ٧١ .

وقولــه تعالــى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [1] [2].

وبناء على هذا القول يكون القضاء من الله تعالى أخص من القدر ، لأن القضاء هو الفصل بين التقديرين ، فالقدر هو التقدير ، والقضاء هو الفصل والقطع .

والخلاف بين السلف والأشاعرة خلاف لفظي ، فجميعهم مقرون أن كل ما فـي الكون مقدر ومقضي في علم الله السابق لا يخرج عـن ذلـك مثقـال ذرة ، ورغـم اختلافهم في التفريق بين القضاء والقدر إلا أن معناهمـا متقـارب ولا يختلـف فـي مضمونه في إثبات الحكم والتقدير والعلم السابق بالكائنات قبل خلقها ووجودها .

وهذان التعريفان للسلف والأشاعرة للقضاء والقدر متفقان مع جميـع المعـاني اللغوية للقضاء والقدر ، والتي تؤكد حكمه وإيجابه وإلزامه وعلمه وبيانـه وقدرتـه ، وصفه وخلقه لكل ما في الكون .

أما تعريف المعتزلة فقد جاء بعيداً عن تعريف الـسلف والأشـاعرة ، حيـث اقتصروا في تعريف القضاء والقدر على معنى البيان والإخبار بمعنى أن كل ما فـي الكون بقضاء الله وقدره ، بمعنى أنه أخبر عنها وأبانها للخلق .

ولا يصح عندهم أن يكون معنى القضاء والقدر بمعنى الإلزام أو الخلـق ، لأن ذلك لا يصح إطلاقه على أفعال العباد وتصرفاتهم ، لأنها عندهم من خلق العباد أنفسهم ، فلا يصح عندهم أن يكون الله ملزماً للخلق بها أو خالقاً لها . لأن هذا المعنى يتنـاقض - عندهم - مع عدله سبحانه .

ولا شك أن ذلك قصور في فهم المعتزلة كما مر معنا ، كما أنه تقصير في استخدام واستيعاب جميع معاني القضاء والقدر اللغوية بما يتوافق مع معناها الاصطلاحي .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ١١٧ .

(2) انظر القضاء والقدر ، عمر سليمان الأشقر : ٢٨ .

علاقة القضاء والقدر بالعدل الإلهي :

مسألة القضاء والقدر هي لب البحث الذي بين أيدينا وجوهره .

فالعدل الإلهي إنما يظهر في الحكم على أفعال العباد ، وتفرده سبحانه بتصريف أحوالهم وأمورهم .

وهذه الأفعال الإنسانية إنما هي بمشيئة ا تعالى وبعلمه وبقدره وقضائه ، ثم إن الإنسان مثاب أو معاقب عليها .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر خيره وشره ، ذلك أن كل ما يكـون فقـد شاءه ا وقدره ، وأن الطاعات والمعاصي كلها بقضاء ا وقدره ، وتقديره سـبحانه وقضاؤه كله خير ، لا شر فيه ، واعتبار الخير أو الشر هو بالنسبة للمقضي المقدر.

يقول الإمام البخاري : (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلـم مـن أهـل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة ... أدركتهم وهم متواترون منذ أكثر من ست وأربعين سنة ... فما رأيت أحداً يختلف في هذه الأشياء ... وأن الخير والشر بقدر) [١] .

وقال الإمام ابن قتيبة رحمه ا : (أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ا – خالق الخير والشر) [٢].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل :

وقد وردت آيات كثيرة في كتاب ا الكريم تثبت تقديره سبحانه ومشيئته السابقة لكل ما يحدث في الكون :

يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٣] .

---

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ١٩٦/١ .

(2) تأويل مختلف الحديث : ١٤ .

(3) سورة القمر ، آية : ٤٩ .

ويقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [1] .

وجاء في حديث جبريل المشهور من رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب [2] رضي ا عنه ، وفيه قال : فأخبرني عن الإيمان قال : (أن تـؤمن بـا وملائكتـه وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره) [3].

وعلى ذلك فالطاعات والمعاصي كلها بقضاء ا وقدره .

وخالف في ذلك أهل الاعتزال فقالوا : فعل العبـد مـن خيـر وشـر مـستقل به ، هو الذي أحدثه ، فا خالق العبد ، والعبد خالق الأفعال ، ولم يفرق المعتزلة بين المعصية والطاعة في ذلك بل كلها عندهم من العبد ، وقد يضيفون الطاعات إلـى ا تعالى على ضرب من التوسع والمجاز فقط لا إضافة حقيقية ، كما سبق ذكر ذلك[4] ، وإلا فلا فرق عندهم بين الطاعة والمعصية ، يقول ابن تيمية رحمه ا : (من تـوهم عنهم أو من نقل عنهم أن الطاعة من ا والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم ، فإن هذا لم يقله أحد من علماء القدرية ، ولا يمكن أن يقوله ، فإن أصل قولهم أن فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية ، كلاهما . فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه ا بإرادة خلقها فيه ، ولا قوة جعلها فيه تختص بأحدها) [5] .

والمعتزلة لا يقولون إن الطاعات والمعاصي بقدر ا وقضائه إلا بعد التفصيل والتخصيص ، يقول القاضي عبد الجبار : (وقد قال بعض علمائنا بأنه تعالى يوصف بأنه يقدر المعاصي ، بمعنى بيان حكمها ، كما يقدر الطاعات على هذا الوجه .

---

(1) سورة الفرقان ، آية : ٢ .

(2) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو حفص ، صاحب رسول ا ، ثاني الخلفاء الراشدين ، الشجاع الحازم ، أمير المؤمنين ولد قبل الهجرة بأربعين عاماً ، وتوفي سنة ٢٣هـ . انظر الكُنـى والأسـماء : ٧/١ ، الأعلام : ٤٧/٥ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٣٧/١ .

(4) انظر ص (١٨٠) من هذا البحث .

(5) مجموعة الفتاوى : ١١٦/٨ .

إلا أن ذلك مختلف فيه ، لأنا نقول : إنه قدر الطاعات ، بمعنى أنه لطف فيها وسهل السبيل إليها ، وفي المعاصي لا يمكن ذلك ، فإنما يقال قدرها مقيداً ، يراد أنه أخبـر عنهـا وبين حالها ، وهذا كما نقول فيما يظهر من الولد من العلم والعمل الموافق للعام ، أنـه مـن ابنه لما كان بتدبيره وصل إلى ذلك ، ولا يقال في تخلفه أنه من أبيه ، إذا كان ذلك على وجه الاتباع لشهوته والمخالفة لأبيه ، وهذا ظاهر في هذا الباب) [1].

فمعنى قولهم : إن الطاعة مختلفة عن المعصية عند إضافتها لقضاء ا وقدره .

إن الطاعة والمعصية بقدر ا ، بمعنى بيان حكمها والإخبار عنها فقط ، وقد يقال في الطاعة إنها بقدر ا بمعنى لطفه وتسهيله لها .

أما في المعاصي فإنهم يقولون إنها بقدر ا مقيداً ، بمعنى الإخبار وبيان حالها فقط .

ولا يعتبر المعتزلة بأي معنى آخر من معاني القضاء والقدر من الإيجـاب والإلـزام والحكم والتقدير والخلق ونحوها في الطاعات والمعاصي .

ويرى المعتزلة أن القول بأن الطاعات والمعاصي بقدر ا هو بمعنى خلقه وتقديره ، ولا يطلقون القول بأن الطاعات والمعاصي بقدر ا حتى لا يتوهم خلاف مـذهبهم ، يقـول القاضي عبد الجبار : (إن الكلام على المعنى لا على العبارات . فنقول : ما المـراد بـأن الإيمان والكفر ، لا يكون إلا بقضاء ا ؟ أتعني بذلك أنه من خلقه في الكافر والمؤمن ، وأنه لولا خلقه لما صح من العبد ذلك فهذا مما ثبت بالدليل فساده ، لأنه يوجب أن لا أمر ولا نهي ولا تكليف ولا ثواب ولا عقاب ... فأما إن قيل : إنه بقضاء ا ، بمعنى الكتابة والخبـر ، فذلك جائز شائع، لكنه بعيد من حيث، أن الإطلاق يوهم المذهب الأول، وهو خطأ عظيم)[2].

ويستند قول المعتزلة هذا على قولهم بأن العبد هو خالق فعله لأنه لا يستقيم – عندهم – كونه تعالى عادلاً إلا بنفي إرادته للمعاصي وخلقه لأفعال العباد[3].

وقد سبق بيان قول المعتزلة في خلق أفعال العباد ، والرد عليهم ممـا أغنـى عـن إعادته[4] .

---

(1) طبقات المعتزلة ، للقاضي عبد الجبار : ١٦٩ .

(2) طبقات المعتزلة ، للقاضي عبد الجبار : ١٧٠ .

(3) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٤٣١ .

(4) انظر ص (١٨٠) من هذا البحث .

مراتب القضاء والقدر :

مراتب القضاء والقدر أربعة ، وهي بمثابة الأركان ، فلا بـد مـن معرفتهـا والإيمان بها .

وهذه المراتب هي :

المرتبة الأولى : علم ا سبحانه وتعالى بالأشياء قبل كونها .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة : مشيئته لها .

المرتبة الرابعة : خلقه لها .

وسوف آتي على كل مرتبة بالتفصيل إن شاء ا تعالى .

المرتبة الأولى : علم الله تبارك وتعالى بالأشياء قبل كونها .

فمما لا شك فيه أن وجود هذا الكون وما فيه من مخلوقات وذوات وما هو عليه من نظام وإتساق يدل دلالة واضحة على علم ا سبحانه وتعالى به قبل خلقـه ، فإنـه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل ، لأن إيجاده الأشياء بإرادته ، والإرادة تستلزم تصور المراد ، وتصور المراد هو العلم بالمراد ، فكان الإيجاد مـستلزماً لـلإرادة ، والإرادة مستلزمة للعلم ، فالإيجاد مستلزم للعلم [1] .

والعلم صفة كمال في المخلوق ، وكل علم في المخلوق فهو مـن ا سـبحانه وتعالى ، ومن الممتنع أن يكون خالق الكمال ومبدعه عارياً منه ، بل هـو أحـق بـه وأولى .

والمقصود أن علم ا سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شـيء مـن الموجـودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات ، فعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كـان كيف يكون ، وهو سبحانه عالم بعباده ، عالم بآجالهم وأرزاقهم وأحـوالهم وحركـاتهم

---

(1) انظر شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ١٤٨ .

وسكناتهم وسعادتهم ، ومن هو من أهل الجنة ، ومن هو من أهل النار مـن قبـل أن يخلقهم ، ويخلق السماوات والأرض وكل ذلك هو مقتضى صفته العليم الخبير .

هذا وقد قال ا تعالى في كتابه الكريم : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١).

وقال تعـالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (٣).

وعن علي بن أبي طالب رضي ا عنه(٤) قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقـد فأتى رسول ا ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة ، فنكس ، فجعل ينكت بمخصرته ، ثـم قال : ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد علم مكانها من الجنة أو النار)(5).

وعن عمران بن حصين (١) قال : قيل يا رسول ا أعلم أهل الجنة مـن أهـل النار ؟ فقال : نعم ، قيل ففيم يعمل العاملون ؟ قال : (كل ميسر لما خلق له) ، وفي بعض طرق البخاري : (كل يعمل لما خلق له ، أو لما يسره له) (٢) .

---

(1) سورة الحشر ، آية : ٢٢ .

(2) سورة الطلاق ، آية : ١٢ .

(3) سورة سبأ ، آية : ٣ .

(4) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، أمير المؤمنين ، ابـن عـم رسـول ا ﷺ ورابع الخلفاء الراشدين ، ولد قبل الهجرة بثلاثة وعشرين سنة وتوفي سنة ٤٠هـ . انظر الأعلام : ٢٩٥/٤ .

(5) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب موعظة المحدث ثم القبر وقعود أصحابه حوله : ٤٥٨/١ ، صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي : ٢٠٣٩/٤ .

فا سبحانه وتعالى عالم بعباده وبما يناسبهم ويليق بهم ، فعلم سبحانه وتعـالى بأهل الجنة وأنهم أهل للهدى ، ولو هدى أهل النار لكان سبحانه قد وضع الهـدى فـي غير محله وعند من لا يستحقه ، ولكنه تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء في محالّهـا اللائقة بها ، ويعطي الخير من يستحقه ، ويمنعه من لا يستحقه يقول تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (٣).

وقال تعـالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٤).

فا سبحانه وتعالى عليم بأحوال الضالين خبير بما يصلح لهم .

وقد قال ا تعالى : ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (5). فأضـله تبارك وتعالى على علم علمه منه بأنه لا يستحقه ، وقد علم ا ذلك قبل خلقه ، وعلـم بعاقبة أمره وأنه لا يهتدي(٦).

---

(1) عمران بن حصين بن عبيد ، أبو نجيد الخزاعي ، من علماء الصحابة ، أسلم عام خيبر سنة ٧هـ ، توفي سنة ٥٢هـ . انظر تذكرة الحفاظ : ٢٨/١ ، تهذيب التهذيب : ١٢٥/٨ ، الأعلام : ٧٠/٥ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله (فأما من أعطى وأتقى) عن علي رضي ا عنـه : ١٨٩٠/٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه : ٢٠٤١/٤ واللفظ له .

(3) سورة النحل ، آية : ١٢٥.

(4) سورة العنكبوت ، آية : ١٠ .

(5) سورة الجاثية ، آية : ٢٣ .

(6) انظر شفاء العليل : ٩٣/١ .

وقال سبحانه وتعالى في أهل الضلال الذين لا يستطيعون سماع الهدى والحق : ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ (١) .

وهو سبحانه يعلم بما لم يكن لو كان كيف يكون ، فا يعلم أن أهل الـضلال – الذين يتمنون يوم القيامة الرجعة إلى الدنيا – أنهم لو عادوا إلى الـدنيا لعـادوا إلـى تكذيبهم وضلالهم . قال تعالى : ﴿ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (٢).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (مـا مـن مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمـة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها ، قالوا : يـا رسول ا أفرأيت من يموت منهم وهو صغير ؟ قال : ا أعلم بما كانوا عاملين) (٣).

ويدل على ذلك أحوال الأقوام السابقة مع أنبيائهم وما كان من أهـل الـضلال الذين كذبوا أنبياءهم وشاقوهم ، وطلبوا منهم الإتيان بالمعجزات ، فلما جاءتهم البينات ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤيتها ومعاينتها ، فا أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه ، كما هـو أعلم حيث يجعل رسالته ، وكما أنه ليس كل محل أهلاً لتحمل الرسالة عنه سبحانه وتعـالى وأدائها إلى الخلق فليس كل محل أهلاً لقبولها والتصديق بها كما قال تعـالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (٤).

فالشاكرون هم الذين يعرفون نعمة ا فيشكرونه ، ويعرفون قدرها فلا يكفرونه.

---

(1) سورة الأنفال ، آية : ٢٣ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ٢٨ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه : ٤٥٦/١ ، وصـحيح مـسلم ، كتاب القدر ، باب كل مولود يولد على الفطرة : ٢٠٤٧/٤ .

(4) سورة الأنعام ، آية : ٥٣ .

ولو كانت قلوب أهل الضلال مثل قلوب الشاكرين لمن الله عليهم ، ولذلك تفرد سبحانه وتعالى بالاختيار والاصطفاء مما خلق لعلمه ، سبحانه بعباده .

وقد جاء ذكر ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى :-

فقد قال عز من قائل حكيم : ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾ [1]. وقال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3].

فقد اختارهم الله وهو عالم بهم وبأحوالهم وما يقتضي اختيارهم من قبل خلقهم .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ ﴾ [4].

وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ [5].

فدلت هذه الآيات على أنه سبحانه وضع التخصيص في المحل الذي يليق به من الأماكن والأناسي .

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١٢٤ .

(2) سورة القصص ، آية : ٦٨-٦٩ .

(3) سورة الدخان ، آية : ٣٢ .

(4) سورة آل عمران ، آية : ٣٣-٣٤ .

(5) سورة الأنبياء ، آية : ٨١ .

والمقصود أن ا تبارك وتعالى قد علم أحوال عباده قبل أن يوجدهم ، وعلم ما هم عاملون وما هم إليه صائرون. ولم يكن يظهر معلومه هذا إلا بإخراجهم إلى الدنيا وابتلائهم بالأمر والنهي ، والخير والشر . فظهر معلومه بما قام بهـم مـن الأفعـال والصفات المطابقة للعلم السابق ، فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بذلك .

وهم قد علموا شرعه بما أرسل إليهم من الرسل وأنزل إليهم من الكتب إعـذاراً إليهم ، وإقامة للحجة عليهم ، فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم حصل العقـاب أو الثـواب على معلومه الذي أظهره الابتلاء[1].

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن علم ا سبحانه وتعالى يحيط بكل شيء ، فهو سبحانه علم بعلمه الموصوف به أزلاً ما سيكون قبل أن يكون ، وعلم مـا الخلـق عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وآجالهم ، ومن هو من أهل الجنة أو من أهـل النار ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض .

يقول ابن قتيبة رحمه ا : (لم يقل أحد من الناس [2] أن شـيئاً يحـدث فـي الأرض لا يعلمه ا) [3].

وقال شيخ الإسلام : (اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن ا عالم بما سيكون قبل أن يكون) [4][5].

---

(1) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٩١/١ ، ومعارج القبول للحكمي : ١٧٣ .

(2) يقصد بالناس أهل السنة والجماعة في عصره .

(3) الاختلاف في اللفظ ، لابن قتيبة : ٣٥ .

(4) درء تعارض العقل والنقل : ٣٩٦/٩ .

(5) انظر كتاب التوحيد ، لابن خزيمة : ٢٢/١ ، والسنة للخلال : ٥٢٩/٣ ، ٥٥٨ ، وشرح أصول اعتقـاد أهـل السنة والجماعة ، للالكائي : ٢٠٠٠/١ ، والرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد : ٥٢-٥٣ .

وخالفت هذا القول طائفتان :

الطائفة الأولى :

غلاة القدرية : وإمام هذه الطائفة معبد الجهني[1] ، ثـم أخـذ عنـه غـيلان[2] الدمشقي ، فزعموا أن ا لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملون ، وهذه طائفـة كفرهـا كثير من السلف .

وقد انقرضت ولا وجود لها كما ذكر ذلك البغدادي في " الفرق بين الفرق " [3] ، ولا يعلم حتى اليوم من ينتسب إليها .

الطائفة الثانية :

الفلاسفة : حيث قالوا : إن ا لا يعلم الجزئيات ، وإنما يعلم الأشياء على وجه كلي ، أي يعلم الكليات دون الجزيئات[4] .

يقول الإمام أبو عثمان بن سعيد الدارمي رحمه ا : (إذا كان ا بـزعمهم لا يعلم الشيء حتى يكون ، كيف علم في مذهبهم بقيام الساعة والبعث ، ولم تقم الـساعة بعد ولا تقوم إلا بعد فناء الخلق وارتفاع الدنيا ... ! فإن أقروا ا بعلم قيـام الـساعة والبعث والحساب ، لزمهم أن يقروا له بعلم كل شيء دونها ، فـإن أنكـروا علـم ا عزوجل بما دونها ، لزمهم الإنكار بها وبقيامها وبالبعث والحساب ، لأن علمه بالساعة

---

(1) معبد بن عبد ا بن عليم الجهني البصري : أول من قال بالقدرة بالبصرة ، توفي سنة ٨٠هـ . انظر الأعلام : ٢٦٤/٧ .

(2) غيلان بن مسلم الدمشقي ، أبو مروان ، تنسب إليه فرقة " الغيلانية " . من القدرية ، وهو ثاني من تكلـم فـي القدر ، توفي بعد ١٠٥هـ . انظر لسان الميزان : ٤٢٤/٤ ، الأعلام : ١٢٤/٥ .

(3) انظر الفرق بين الفرق ، للبغدادي : ٢٥ ، ودرء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ٣٩٦/٩ ، والـرد علـى الجهمية ، للدرامي : ٦٨ ، ٧١ ، وشرح اعتقاد أهـل الـسنة والجماعـة ، للالكـائي : ٢٠٠/١ ، ٤٥٠/٣ ، ٧٧٥/٤.

(4) انظر درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ٣٩٧/٩ ، ١٧٩/١٠ .

كعلمه بالخلق وأعمالهم سواء ، لا يزيد ولا ينقص ، فمن لم يؤمن بأحدهما ، لزمه أن لا يؤمن بالآخر ، وهي من أوضح الحجج وأشدها على من رد العلم وأنكره) [1].

ولا يعارض هذا ظاهر قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [2] ففي هذه الآية يخبر الله عزوجل أن العباد لن يدخلوا الجنة حتى يعلم الله جهادهم وصبرهم . . !!

ولا يعارضه أيضاً ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [3] فهذا خبر عما مضى من الزمان . . !!

والجواب عن ذلك : نجده في قول ابن عباس للرجل الذي جاء يسأله فقال : (إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي وذكر أشياء ، ومن ذلك : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [4] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [5] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [6] فكأنه كان ثم مضى . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله ، أي لم يزل كذلك[7] .

فبين لنا ابن عباس أن (كان) في مثل هذه الآيات مسلوبة الزمان بمعنى أنها لا تقتصر على الماضي وإنما لم يزل كذلك ، وذلك بدلالة النصوص المستفيضة على علم الله الأزلي والأبدي .

---

(1) الرد على الجهمية ، للدارمي : ٦٩ .

(2) سورة آل عمران ، آية : ١٤٢ .

(3) سورة النساء ، آية : ١٠٤ .

(4) سورة النساء : جزء من الآية : ١٥٢ .

(5) سورة الفتح : جزء من الآية : ١٩ .

(6) سورة النساء ، جزء من الآية : ١٣٤ .

(7) صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب تفسير سورة حم السجدة : ٤ /١٨١٦ .

وأما قول ا تعالى : ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (1) ، وأمثالها من الآيات ، فالعلم فيها علم الظهور أي فليظهرن ذلك حتى يوجد معلوماً ، فهو علم الظهور الذي يقع به الجزاء ، وذلك أن الناس في علم ا منهم المؤمن والكافر والبر والفاجر ولكن هذا من العلم الأزلي ، ولا يعاقب عليه العبد ، وإنما يعاقب بعد ظهور العلم السابق فيه ووقوعه ، ومن ذلك اختبار أهل الفترة يوم القيامة ، فا عالم بهم وعالم بعقابهم ، ولكن ليظهر معلومه فيهم فيستحقوا الجزاء بعد ذلك(٢).

المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة :

وهي الكتابة في اللوح المحفوظ ، الذي كتب ا فيه كل شيء .

وهذه الكتابة كانت بالقلم الذي خلقه ا تعالى قبل أن يخلق السماوات والأرض ، قال عبادة بن الصامت(٣) لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول ﷺ يقول : " إن أول ما خلق ا القلم ، فقال له اكتب ، فقال : رب وماذا أكتب ؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة " .

يا بني إني سمعت رسول ا ﷺ يقول : " من مات على غير هذا فليس مني " (٤).

فأول ما خلق ا القلم ، وكتب القلم بعد خلقه مباشرة مقادير الخلائق إلى يوم القيامة.

وهذه الكتابة كانت في اللوح المحفوظ الذي سماه تبارك وتعالى بأم الكتاب وبالذكر وبالإمام المبين .

وهذه الكتابة تتضمن علمه سبحانه بها ، وحفظه لها ، والإحاطة بعددها ، وإثباته لها.

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٤٢ .

(2) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ١٠٦/١ .

(3) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ، أبو الوليد ، صحابي ممن شهد العقبة ، وبدراً وسائر المشاهد ، ولد قبل الهجرة بـ٣٨ سنة ، وتوفي سنة ٣٤هـ . انظر تهذيب التهذيب : ١١١/٥ ، الأعلام : ٢٥٨/٣ .

(4) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب القدر : ٢٢٥/٤ .

قال ا تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [1] والإمام المبين هو اللوح المحفوظ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ١٠٦ ﴾ [2] والذكر هو اللوح المحفوظ .

فدلت الآية على أن ا سبحانه وتعالى كتب في الذكر ما يفعله وما يقوله

وقال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ٥٣ ﴾ [3]

والزبر هي : جمع زبور وهو الكتاب المنزل ولا يختص بزبور داود ، والمراد أن كل شيء مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة ، وكل صغير أو كبير من أعمالهم مجموع مسطر .

والمعنى : أن كل شيء فعلوه مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يعملوه يكتب في صحائفهم[4].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [6].

---

(1) سورة يس ، آية : ١٢ .

(2) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٥-١٠٦ .

(3) سورة القمر ، آية : ٥٢-٥٣ .

(4) انظر شفاء العليل : ١١٥/١ وما بعدها .

(5) سورة يونس ، آية : ٦١ .

(6) سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .

وقـال تعـالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [1].

والإمام المبين : هو أم الكتاب . فكل شيء مكتوب مسطور مضبوط في اللوح المحفوظ .

والإيمان بكتابه المقادير يتضمن خمسة تقادير :

التقدير الأول : التقدير الأزلي قبل خلق السماوات والأرض .

إن أول ما خلق ا القلم [2] ، فعن عبد ا بن عمرو بن العاص قال : سـمعت رسول ا ﷺ يقول : (كتب ا مقادير الخلائق قبل أن يخلـق الـسماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء) [3].

وعن عمران بن حصين رضي ا عنهما قال : دخلت على النبي ﷺ وعقلـت ناقتي بالباب ، فأتاه ناس من بني تميم فقال : اقبلوا البشرى يا بني تميم .

قالوا : قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) . ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قبلنا يا رسول ا .

قالوا : جئناك نسأل عن أول هذا الأمر . قال : كان ا ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السماوات والأرض .

فنادى مناد : ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فـإذا هـي يقطـع دونهـا السراب ، فوا لوددت أني كنت تركتها) [4].

وعن عبد ا بن عباس رضي ا عنهما قـال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي : (يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ ا يحفظك ، احفظ ا تجـده تجاهـك ، إذا سألت فاسأل ا ، وإذا استعنت فاستعن با ، واعلم أن الأمة لـو اجتمعـوا علـى أن

---

(1) سورة يس ، آية : ١٢ .

(2) اختلف العلماء : هل القلم أو المخلوقات ، أو العرش ؟ على قولين أصحهما : أن العرش قبل القلم ، لما ثبت في الـصحيح من حديث عبد ا بن عمرو ، قال : قال رسول ا ﷺ: (كتب ا مقادير الخلائق قبـل أن يخلـق الـسموات والأرض بخمسين ألف سنة ، (قال) : وعرشه على الماء) . فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش ، والتقدير وقـع عنـد أول خلق القلم . انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٢٦٥ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، حجاج آدم وموسى عليهما السلام : ٢٠٤٤/٤ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول ا تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده : ١١٦٦/٣.

ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه ا لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه ا عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) [1] .

التقدير الثاني : التقدير عند كتابة الميثاق :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٧٤ ﴾ [2].

وقد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية وبيان حقيقة هذا العهد والميثاق الذي أخذ من بني آدم على قولين :

القول الأول : في بيان حقيقة العهد والميثاق :

إن ا أخرج جميع ذرية آدم عليه السلام من ظهر أبيهم آدم ، وهم في صورة الذر ، وأشهدهم على أنفسهم (ألست بربكم) ؟

قالوا : (بلى) فشهدوا بذلك وأقروا به وهم في عالم الذر[3].

وقد رجح هذا القول الشوكاني [4] في فتح القدير بقوله : (وقيل إن ا سبحانه أخرج الأرواح ، قبل خلق الأجساد ، وأنه جعل فيها من المعرفة ما فهمت به خطا به سبحانه ، وقيل المراد ببني آدم هنا آدم نفسه ، كما وقع في غير هذا الموضع . والمعنى أن ا سبحانه لما خلق آدم ، فمسح ظهره فاستخرج منه ذريته ، وأخذ عليهم العهد ، وهؤلاء في عالم الذر) [5].

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب رقم (٥٩) : ٦٦٧/٤ ، قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح .

(2) سورة الأعراف ، آية : ١٧٢-١٧٤ .

(3) انظر فتح القدير ، للشوكاني : ٢٦٢/٢-٢٦٣ .

(4) محمد بن علي بن محمد بن عبد ا الشوكاني ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ، ولد عام ١١٧٣هـ ، توفي سنة ١٢٥٠هـ . انظر البدر الطالع : ٢١٤/٢ ، الأعلام : ٢٩٨/٦ .

(5) فتح القدير ، للشوكاني : ٢٦٢/٢-٢٦٣ .

وقد ذهب إلى هذا القول الشنقيطي في أضواء البيان ، وأطنب الحديث في نصرة هذا القول وبين أنه هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة [١].

ذهب إلى هذا القول الشيخ حافظ الحكمي في " معارج القبول " [٢] .

ورجحه الدكتور محمد خليل هراس [٣] في كتابه " دعوة التوحيد " [٤].

واستدل أصحاب هذا القول بعدد من الآثار والأحاديث التي وردت في بيان حقيقة هذا العهد ، وأشهر هذه الآثار والأحاديث وأصحها ما يلي :

أولاً : حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به ؟ قال : فيقول نعم ، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك فقد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي)[٥].

ثانياً : عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة ، فأخرج من عليه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قُبلاً ، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) [٦].

ثالثاً : حديث أبي هريرة رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : " لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ،

---

(1) انظر أضواء البيان ، للشنقيطي : ٢٣٥/٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(2) انظر معارج القبول ، للحكمي : ٤٢/٢ وما بعدها .

(3) محمد بن خليل بن حسن هراس ، كان يلقب بالشيخ فتحي ، ولد عام ١٣٣٥هـ ، وتوفي عام ١٣٩٥هـ . عن عمر يناهز ٦٠ سنة . وكانت له مكانة علمية مرموقة بين علماء عصره . انظر الشيخ محمد خليل هراس وجهوده في تقرير عقيدة السلف ، موسى وأهل السلمي : ٨ .

(4) انظر دعوة التوحيد ، لدكتور محمد خليل هراس : ٩٨ ، ٩٩ .

(5) صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً : ٢١٦٠/٤ .

(6) مستدرك الحاكم : ٥٩٣/٢ . وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي وذكره البيهقي في مجمع الزوائد وقال : (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) : ٢٥/٧ .

وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور ، ثم عرضهم على آدم ، فقال أي رب من هؤلاء ؟

قال : هؤلاء ذريتك فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، قـال : أي رب من هذا ؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود ، قـال رب وكـم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال أي رب وقد وهبت له من عمري أربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمري أربعين سنة ؟ قال أولم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنسيت ذريته وخطـئ آدم فخطئت ذريته) [١].

رابعاً : أن عمر بـن الخطـاب رضـي ا عنـه سـئل عـن هـذه الآيـة (وإذ أخذ ربك من بني آدم) فقـال عمـر : سـمعت رسـول ا ﷺ سـئل عنهـا فقال : " إن ا خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريـة قـال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون " فقال رجل يا رسول ا ففيم العمل ، قال رسول ا ﷺ : " إذا خلق ا العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت علـى عمل من أعمال أهل الجنة ليدخله به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار " [٢].

خامساً : عن أبي بـن كعب [٣] رضي ا عنـه أنه قال في تفسير هذه الآية : (فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة ، فجعلهم في صورهم ، ثـم

---

(1) سنن الترمذي ، في كتاب التفسير ، باب ومن سورة الأعراف : ٢٦٧/٥ ، وقال : " هذا حسن صحيح ". ورواه الحاكم من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين وقال صحيح على شرط مسلم ولـم يخرجـاه " ووافقـه الـذهبي : ٣٥٥/٢ .

(2) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في القدر : ٢٢٦/٤ ، وسنن الدارمي ، كتاب فضائل القرآن ، بـاب إن ا يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين : ٥٣٦/٢ ، سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن عن رسـول ا ﷺ ، باب من سورة الأعراف : ٦٦/٥ ، قال أبو عيسى : (هذا حديث حسن) .

(3) أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد ، من بني النجار ، من الخزرج ، أبو المنذر ، صحابي أنصاري ، كـان قبـل الإسلام حبراً مطلعاً على الكتب القديمة ولما أسلم كان من كتاب الوحي ، توفي سنة ٢١هـ . انظر طبقات ابن سعد : ٣ القسم الثاني : ٥٩ . الأعلام : ٨٢/١ .

استنطقهم فتكلموا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بـ ـربكم ؟ قالوا بلى ... الآية قال : فإني أشهد عليكم السموات السبع والأراضين السبع ، وأشـ ـهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيـ ـري ولا رب غيري ، ولا تشركوا بي شيئاً ، وإني سأرسل إليكم رسلاً لينذروكم عهدي وميثـ ـاقي ، وأنزل عليكم كتبي ، قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنـ ـا غيـ ـرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة ، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم ، فرأى أي فيهم الغني والفقير ، وحسن الصورة ودون ذلك ، فقال يا رب لو سويت بين عبادك ؟! قال : إني أحببت أن أشكر . ورأى أي فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور ، وخصوا آخر من الرسـ ـالة والنبوة ، فهو الذي يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾[1] الآية ، وهو الذي يقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2] الآية ، ومن ذلـ ـك قـ ـال : ﴿ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [3] ومن ذلك قـ ـال : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴾[4][5] الآية .

القول الثاني : في تفسير هذه الآية وبيان حقيقة العهد والميثاق :

وهو القول بأن العهد الذي أخذه ا على بني آدم هو إيجادهم قرناً بعد قـ ـرن ، وإنشاء قوم بعد آخرين ، وإيجادهم جيلاً بعد جيل كما قال تعـ ـالى : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو

---

(1) سورة الأحزاب ، آية : ٧ .

(2) سورة الروم ، آية : ٣٠ .

(3) سورة النجم ، آية : ٥٦ .

(4) سورة الأعراف ، آية : ١٠٢

(5) مستدرك الحاكم ، ووافقه الذهبي : ٣٢٣/٢ ، ٣٢٤ ، قال الهيثمي : " رواه عبد ا بن أحمد عن شيخه محمـ ـد بن يعقوب الرباني وهو مستور ، وبقية رجاله رجال الصحيح " . مجمع الزوائد : ٢٥/٧ .

ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ [2][3] .

وقد ذهب إلى هذا القول : ابن تيمية رحمه ا ، وتلميذه ابن القيم وابن كثيـر ، وابن أبي العز الحنفي .

يقول ابن تيمية في بيان حقيقة هذا الإشهاد : (وهذا الإشهاد مقرون بأخذهم من ظهور آبائهم ، وهذا الأخذ المعلوم المشهور الذي لا ريب فيه ، هو أخذ المنـي مـن أصلاب الآباء ونزوله إلى أرحام الأمهات . لكن لم يذكر هنا الأمهات لقوله فيما بعد : ﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [4] .

وهم كانوا متبعين لدين آبائهم لا لدين الأمهات ، فهو يقول : اذكر حين أخـذوا من أصلاب الآباء فخلقوا حين ولدوا على الفطرة ، مقرين بالخالق شاهدين على أنفسهم بأن ا ربهم ، فالأخذ يتضمن خلقهم ، والإشهاد يتضمن هداه لهم إلى هذا الإقرار) [5].

وبين في موضع آخر : أن هذا العهد إنما يقصد به الفطرة التي فطر ا الناس عليها ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . . .) [6].

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١٣٣ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ١٦٥ .

(3) انظر تفسير ابن كثير : ٢١٤/٢ ، ومجموعة الفتاوى : ٢٤٥/٤ ، ودرء التعارض ، لابن تيمية : ٤٨٢/٨.

(4) سورة الأعراف ، آية : ١٧٣ .

(5) درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ٤٨٧/٨ .

(6) سبق تخريجه ص (٣١٨) من هذا البحث .

وقال في تفسير الآية : (اذكر حين أخذوا من أصلاب الآباء خلقوا حين ولـدوا على الفطرة ، مقرين بالخالق شاهدين على أنفسم بأن ا ربهم) [١].

ويرى ابن كثير " أن إشهادهم على أنفسهم المذكور في الآية ، إنمـا هـو بمـا نصب لهم من الأدلة القاطعة بأنه ربهم المستحق منهم لأن يعبدوه وحده ، وعليه فمعنى قوله : (قالوا : بلى) أي قالوا ذلك بلسان حالهم ، لظهور دلائله " [٢].

وقد ضعف ابن كثير الأحاديث التي ورد فيها الإشهاد قبل خلق الأجساد بقوله : (فهذه الأحاديث دالة على أن ا عزوجل استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار ، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم ابن جبير[٣] عن سعيد بن جبير[٤] عن ابن عباس ، وفي حديث عبدا بن عمرو ، وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان) [٥].

وضعف ابن تيمية وابن القيم كل ما ورد في استنطاقهم وخطابهم من الأحاديـث والآثار ، يقول ابن تيمية رحمه ا : (ومن الناس من يقول هذا الإشهاد ، كـان لمـا استخرجهم من صلب آدم ، كما نقل ذلك عن طائفة من السلف ، ورواه بعضهم مرفوعا ولكن رفعه ضعيف ، وأما المرفوع الذي في السند كأبي داود والترمذي ، وموطأ مالك ، هو أنه استخرجهم ، وليس في هذه الكتب أنهم نطقوا ولا تكلموا)[٦] .

ويقول ابن القيم : (والآثار التي فيها أنه استنطقهم ، وأشهدهم ، وخاطبهم فهي بين موقوفة ، ومرفوعة لا يصح إسنادها ... والآثار في إخراج الذريـة مـن ظهـر

([1]) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٤٥/٤ .

([2]) انظر تفسير ابن كثير : ٤١٤/٢ .

([3]) كلثوم بن جبير البصري ، روى عن سعيد بن جبير ومسلم بن يسار وغيرهم ، قال أحمد وابن معـين : ثقـة ، وقال النسائي : ليس بالقوي . وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة ١٣٠هـ . انظـر تهـذيب التهـذيب : ٣٩٦/٨ .

([4]) سعيد بن جبير الأسدي ، بالولاء ، الكوفي ، أبو عبد ا : تابعي ، توفي عام ٩٥هـ . انظر وفيات الأعيـان : ٢٠٤/١ ، طبقات ابن سعد : ١٧٨/٦ ، الأعلام : ٩٣/٣ .

([5]) تفسير ابن كثير : ٤١٨/٢ .

([6]) درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ٨/ ٤٨٢ ، ٤٨٣.

آدم ، وحصولهم في القبضتين كثيرة ، لا سبيل إلى ردها وإنكارها ، ويكفي وصـولها إلى التابعين ، فكيف بالصحابة ، ومثلها لا يقال بالرأي والتخمين)[1] .

وقال في موضع آخر : (فالآثار المذكورة إنما تدل على إثبات القدر الـسابق) وبعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم وميز أهل السعادة من أهـل الشقاوة ، وأما مخاطبتهم واستنطاقهم وإقرارهم له بالربوبية ، وشهادتهم على أنفـسهم بالعبودية ، فمن قاله من السلف فإنما هو بناء منه على فهم الآية ، والآية لم تدل علـى هذا ، بل دلت على خلافه)[2] .

وأستدل أصحاب هذا القول بأن نظم الآية إنما يدل على هذا القول من وجوه متعددة :

أحدها : أنه قال : (وإذا أخذ ربك من بني آدم) ولم يقل آدم ، وبنو آدم غير آدم .

الثاني أنه قال : (من ظهورهم) ولم يقل ظهره .

الثالث : أنه قال : (ذرياتهم) ولم يقل ذريته .

الرابع : أنه قال : (وأشهدهم على أنفسهم) أي جعلهم شاهدين على أنفـسهم ، فلا بد أن يكون الشاهد ذاكرا لما شهد به وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هـذه الدار لا يذكر شهادة قبلها .

الخامس : أنه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الإشهاد وإقامة الحجة علـيهم ، لـئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غـافلين ، والحجـة إنمـا قامـت علـيهم بالرسـل والفطرة التي فطروا عليها كما قال تعـالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [3].

السادس : تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القامة إنا كنا عن هذا غافلين ، ومعلوم أنهم غافلون بالإخراج لهم من صلب آدم كلهم ، وإشهادهم جميعا ذلك الوقت ، فهذا لا يذكره أحد منهم .

---

(1) أحكام أهل الذمة ، لابن القيم : ٥٥٩/٢ ، ٥٦٠ .

(2) الروح ، لابن القيم : ٢١٦ .

(3) سورة النساء ، آية : ١٦٥ .

السابع : قوله تعالى : ﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [١] أي لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك ، وهو سبحانه إنما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم ، فلو أهلكهم بتقليد آبائهم في شركهم من غير إقامة الحجة عليهم بالرسل لأهلكهم بما فعل المبطلون ، أو أهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه ، وقد أخبر سبحانه أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار .

الثامن : أنه سبحانه وتعالى أشهد كل واحد على نفسه بأنه ربه وخالقه ، واحتج عليهم بهذا الإشهاد في غير موضع من كتابه ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [٢] .

أي فكيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الإقرار منهم أن ا ربهم وخالقهم ، وهذا كثير في القرآن ، فهذه الحجة التي أشهدتهم على أنفسهم بمضمونها وذكرتهم بها رسله بقوله : ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [٣] فا تعالى إنما ذكرهم على ألسنة رسله بهذا الإقرار والمعرفة ، ولم يذكرهم قط بإقرار سابق على إيجادهم وإلا أقام به عليهم الحجة [٤] .

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٧٣.

(٢) سورة الزخرف ، آية : ٨٧ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ١٠ .

(٤) انظر الروح ، لابن القيم : ٢٢٤-٢٢٦ ، وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٢٤٤ – ٢٤٥ ، وتفسير ابن كثير : ٤١٥/٢-٤١٦ .

مذهب المعتزلة في العهد والميثاق :

ذهب المعتزلة إلى القول الثاني وهو أن الإشهاد المذكور في الآية إنما هو بما نصب من الأدلة القاطعة بأنه ربهم المستحق لأن يعبدوه وحده ، ومعنى " أخذهم من ظهورهم آبائهم " أي أوجدهم قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل . [1]

مذهب الأشاعرة :

ذهب الأشاعرة إلى القول الأول وهو أن الأخذ إنما هو إخراجهم من ظهور آبائهم واستنطاقهم لإشهادهم على أنفسهم وهم في عالم الذر ، وقد ذكر ذلك الرازي في تفسيره وذكر القول الثاني ، ونسب الأول إلى أهل السنة ، ونسب الثاني إلى المعتزلة .

حجية الإشهاد والميثاق على بني آدم :

ذهب السلف جميعاً إلى أن هذا الإشهاد ليس حجة على بني آدم ، وأن ا لا يعذب الخلق حتى يرسل إليهم رسولاً . وأن هذا الميثاق لا يكون حجة حتى يأتي الرسول يذكر الناس بهذا الميثاق الذي نسوه .

فالحجة ليست في الإشهاد نفسه ، بل في تذكيرهم به على ألسنة الرسل .

وقد ذهب إلى هذا القول جميع السلف ، فمن قال بأن العهد إنما كان عند إخراج بني آدم من ظهر أبيهم وهم في عالم الذر صرحوا بأن هذا العهد ليس حجة عليهم ، حتى يأتي الرسل ويذكرونهم بهذا الميثاق .

وقد أشار الدكتور محمد خليل هراس إلى أن الإشهاد جزء من الأمور التي يخبر بها الرسل ، وعلى الناس أن يلزموها ويتبعوها وإلا استحقوا العذاب في الدنيا والآخرة ، لأن الحجة قد لزمتهم بعد الرسل[2] .

وذكر الشنقيطي في تفسيره أن ا لا يعذب الخلق حتى يرسل إليهم الرسل ، وأن هذا الميثاق لا يكون حجة حتى يأتي الرسول يذكر الناس بهذا الميثاق الذي نسوه [1].

---

(1) انظر الكشاف ، للزمخشري : ١٠٣/٢ .

(2) انظر دعوة التوحيد ، لمحمد خليل هراس : ٩٩ ، ١٠٠ .

وأما أصحاب القول الثاني وهم القائلون بأن الإشهاد هو بما نصب لهم من الأدلة القاطعة ، بأنه ربهم المستحق منهم لأن يعبدوه وحده .

فقد قرروا أن الإشهاد المذكور في الآية ، لا تقوم به الحجة على الخلق ، فـي كلا القولين :

فإن فسر الإشهاد بأنه إشهاد بني آدم وهم في عالم الذر عند إخراجهم من صلب أبيهم آدم عليه السلام ، فإنه لا يكون حجة على الخلق ، وعللوا ذلك ، بأن هذا الإشهاد لا يذكره أحد عند وجوده في الدنيا ، وما لا علم للإنسان به لا يكون حجة عليه .

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره[٢]، وابن أبي العز الحنفي[٣] ، وابن القيم في كتابه " الروح " [٤] ، وبينوا أن القول بأن الإشهاد كان عند إخراج الذرية من ظهر أبيهم آدم وهم في عالم الذر لا تدل عليه الآية ، بدليل أن هذا الإشهاد ليس حجة على الخلـق ، لأنه لا علم لأحد به ، ولا يذكره أحد من بني آدم ، وهم عنه غافلون ، وبذلك لا يصح أن يكون حجة عليهم .

وأما ما ذهبوا إليه من القول بأن الإشهاد إنما هو بلسان الحال لا بلسان المقال ، فقد بينوا أن ذلك لا يكون حجة عليهم أيضاً إلا بعد إرسال الرسل ، وإنزال الكتب .

يقول ابن تيمية رحمه ا : (فهذه الشهادة على أنفسهم ، التي تتضمن إقرارهم بأن ا ربهم ، ومعرفتهم بذلك ، وأن هذه المعرفة والشهادة أمر لازم لكل بني آدم ، به تقوم حجة ا تعالى في تصديق رسله فلا يمكن لأحد أن يقول يوم القيامة ، إني كنـت عن هذا غافلاً ... ثم إن ا بكمال رحمته وإحسانه لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال رسول إليهم ، وإن كانوا غافلين لما يستحقون به الذم والعقاب) [5].

---

(1) انظر أضواء البيان ، للشنقيطي : ٢٣٥/٢ .

(2) انظر تفسير ابن كثير : ٤١٤/٢ .

(3) انظر شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٢٤٥ .

(4) انظر الروح ، لابن القيم : ٢٢٥ .

(5) درء تعارض العقل والنقل : ٤٩١/٨-٤٩٢ .

ويقول ابن القيم وهو يدلل على أن الإشهاد كان بلسان الحال لا بلسان المقال : " إنـه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة الحجة عليهم ، لئلا يقولوا يوم القيامة ، إنا كنا عن هذا غافلين ، والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها " (١).

وبذلك يكون السلف جميعاً متفقون على عدم حجية هذا الإشـهاد ، وأن الحجـة إنما تقوم على الخلق بإرسال الرسل ، كما قال تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(٢) وهذا هو مقتضى عدله سبحانه وحكمته ، حيث إنه لا يعاقب أحـداً قبـل الإنـذار والإعذار إليه .

وقد خالف في ذلك المعتزلة ، وبينوا أن هذا العهد كاف وحده في مؤاخـذة العبـاد ، وقيام الحجة عليهم ، قبل إرسال الرسل ، حتى ولو لم يعلموا به ، فقد ذكر الزمخشري في تفسيره هذا القول ، وقال في تفسيره للآية : (فعلنا ذلك من نصب الأدلة الـشاهدة على صحتها العقول ، كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) ، لم ننبـه عليه ، أمر كراهة ﴿ أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ فاقتدينا بهم ، لأن نصب الأدلة على التوحيد ، وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعـراض عنـه ، والإقبال على التقليد ، والاقتداء بالآباء ، كما لا عذر لآبائهم في الشرك ، وأدلة التوحيد منصوبة لهم) (٣).

وهذا القول للمعتزلة باطل لا دليل عليه ، بل إن الأدلة من الكتاب والسنة تـدل على خلافه ، قال تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿ رُّسُلًا

---

(1) الروح ، لابن القيم : ٢٢٥ .

(2) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(3) الكشاف ، للزمخشري : ١٠٢/٢ .

(4) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

وقد جاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قوله : (اعلموا أنه لا إله غيري ، ولا رب غيري ، ولا تشركوا بي شيئاً ، وإني سأرسل إليكم رسلاً لينذروكم عهدي وميثاقي ، وأنزل عليكم كتبي ، قالوا نشهد إنك ربنا وإلهنا ...) [2].

ورغم اتفاق المعتزلة وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن أبي العز الحنفي وغيرهم في بيان حقيقة العهد والميثاق ، إلا أن الفرق بينهم كبير .

فالمعتزلة جعلوا هذا الإشهاد حجة على الخلق ، وأما ابن تيمية وأتباعه من السلف والخلف فلا يقولون بذلك ، وإنما قالوا بأن الحجة إنما تلزم العباد بالرسل ، كما هو مستفيض في القرآن والسنة .

ونظير ذلك التقاء مذهب السلف مع المعتزلة في القول بالحسن والقبح في الأفعال ، واختلافهم في ترتيب الثواب والعقاب ، والمدح والذم عليه في حكم الله تعالى .

وكأني أرى أن المعتزلة قد اعتمدوا في مسألة التحسين والتقبيح العقليين على آية العهد والميثاق والإشهاد ، فعندما فسروا أن الإشهاد إنما كان بنصب الأدلة القاطعة الدالة على وحدانية الله ، جعلوا ذلك حجة على الخلق ، وجعلوا الحسن والقبح عقليين دون النظر إلى الشرع ، وعلى ذلك رتبوا الثواب والعقاب ، لأن الحجة قائمة على الخلق بما توصلت إليه عقولهم ، فلذلك يستحقون الثواب والعقاب قبل ورود الشرع إليهم ، وبذلك يظهر تشابك أصولهم الباطلة بعضها ببعض ، بعيداً عن هدي الكتاب والسنة ، وفي ظلال تحكيم العقل دون الشرع .

وبذلك يتضح أنه رغم اختلاف السلف في بيان حقيقة هذا العهد والميثاق ، إلا أنه لا نزاع في الحقيقة بينهم في تقرير الأمور التالية .

---

(1) سورة النساء ، آية : ١٦٥ .

(2) سبق تخريجه ص (٣٢٩) من هذا البحث .

١. إقرارهم جميعاً بوجود العهد والميثاق ، وإن اختلفوا في معرفة حقيقتـه ومكانـه ووقته.

٢. إقرارهم جميعاً بوجود القضاء السابق والعلم الأزلي قبل إيجاد المخلوقات .

٣. إنهم جميعاً مقرون بعدم حجية هذا الإشهاد إلا بعد إرسال الرسل ، خلافاً للمعتزلة.

التقدير الثالث : التقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم .

حيث كتب الله إذ ذاك كل ما هو سيلاقي العبد ، ذكر أو أنثى ، شقي أم سعيد ، وكتب رزقه وعمله وأجله فلا يزاد بالطاعة ولا ينقص منه.

قال تعـالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١).

وقـال تعـالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (٢).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : (إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه ملكاً فينفخ فيـه الـروح ويـؤمر بـأربع كلمـات ويكتـب رزقـه وأجلـه وعملـه ، وشـقي أم سعيد ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النـار فيـدخلها ، وإن أحـدكم ليعمـل

---

(١) سورة فاطر ، آية : ١١ .

(٢) سورة النجم ، آية : ٣٢ .

بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) [١] .

وعن أنس بن مالك رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (إن ا عزوجل وكل بالرحم ملكًا : فيقول أي رب : نطفة ؟ أي رب : علقـة ؟ أي رب مـضغة ؟ إذا أراد أن يقضي خلقًا قال الملك أي رب ذكر أو أنثى شقي أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه) [٢] .

وعن حذيفة بن أسيد رضي ا عنه[٣] عن النبي ﷺ قال : (إذا مـر بالنطفـة ثنتان وأربعون ليلة ، بعث ا إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها وبـصرها وجلـدها ولحمها وعظمها، ثم قال : يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب و رزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيـد ولا ينقص) [٤].

اجتمعت هذه الأحاديث على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمه . والخلاف في وقت هذا التقدير لفظي، ولا خلاف في الحقيقة، فـإن الملـك

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة : ١١٧٤/٣ ، صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفيـة الخلق الآدمي في بطن أمه : ٢٠٣٦/٤ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول ا تعالى : (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة): ١٢١٣/٣ ، صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي : ٢٠٣٨/٤ .

(3) حذيفة بن أسيد ويقال بن أمية بن أسيد ، أبو سريحة الغفـاري ، صحابي شهد الحديبية ، توفي سنة ٤٢هـ ـ . انظـر التهـذيب : ١٩٢/٢ .

(4) صحيح مسلم ، كتاب القـدر ، بـاب كيفيـة الخلـق الآدمـي : ٢٠٣٧/٤ .

الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله على رأس الأربعين الأولى حتى يأخذ فـي الطـور الثاني وهو العلقة .

وأما الملك الذي ينفخ فيه الروح فإنما ينفخها بعد الأربعين الثالثة .

فيؤمر حينذاك بكتابة الرزق والأجل والعمل والشقاوة أو السعادة ، ولهذا قال في الحديث ثم يرسل إليها الملك فيؤمر بأربعة .

فاتفقت أحاديث رسول الله ﷺ وصدق بعضها بعضاً ، وكلها دلت علـى إثبـات القدر السابق ومراتب التقدير[1].

التقدير الرابع : التقدير الحولي في ليلة القدر.

قـال تعـالى : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ ﴾[2].

فيقدر الله في ليلة القدر كل ما يكون في السنة إلى مثله .

قال مجاهد[3] ليلة القدر ليلة الحكم .

وقال الحسن البصري : والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنهـا لليلـة القدر ، يفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها.

---

(1) انظر شفاء العليل : ٦١/١ وما بعدها .

(2) سورة الدخان ، آية : ١- ٥ .

(3) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم : تابعي ، مفسر من أهل ملة . أخذ التفسير عن ابن عبـاس ، ولـد عـام ٢١هـ ، توفي سنة ١٠٤هـ . انظر ميـزان الاعتـدال : ٩/٣ ، الأعلام : ٢٧٨/٥ .

وقال ابن العباس : يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في الـسنة مـن موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال حج فلان ويحج فلان ، وقال مقاتـل[1] : يقدر ا تعالى في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة [٢].

ولذلك قال سبحانه وتعالى : (أمر حكيم) أي محكم لا يبدل ولا يغير[٣].

ففي تلك الليلة الفاضلة يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي ، حكـم ا به . وهذه الكتابة هي إحدى الكتابات التي تكتب وتميز ، فتطابق الكتاب الأول ، الـذي كتب ا به مقادير الخلائق ، وآجالهم ، وأرزاقهم ، وأعمالهم ، وأموالهم ، وكل هـذا من تمام علمه وكمال حكمته ، وإتقان حفظه ، واعتنائه تعالى بخلقه[٤].

التقدير الخامس : التقدير اليومي .

وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق .

قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[5].

والتقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه ، في الوقت الذي سبق أنه يناله فيه ، لا يتقدمه ولا يتأخره .

وهذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي ، والتقدير الحولي تفصيل مـن التقدير العمري عند تخليق النطفة ، والتقدير العمري تفصيل من التقدير يوم الميثـاق ، وهذا التقدير هو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض ، واللوح المحفوظ هو من علم ا عزوجل[٦].

([1]) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي : أبو الحسن ، من أعلام المفسرين ، توفي سنة ١٥٠هـ . انظر وفيات الأعيان : ١١٢/٢ ، تهذيب التهذيب : ٢٧٩/١٠ ، الأعلام : ٢٨١/٧ .

([2]) انظر شفاء العليل : ٦٩/١ .

([3]) انظر تفسير ابن كثير : ١٣٩/٤ .

([4]) تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٧١٧ .

([5]) سورة الرحمن ، آية : ٢٩ .

([6]) انظر معارج القبول لحافظ الحكمي : ٢٩٤/٢ .

وعـن أبي الدرداء رضي ا عنه [1] عن النبي ﷺ قال : (قال ا عز وجـل ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ ، قال : من شأنه أنه يغفر ذنباً ، ويفرج كربـاً ، ويرفـع قوماً ، ويضع آخرين) [2].

فا سبحانه وتعالى هو القائم على أمور عباده ، وهو العالم بأعمـالهم ، وآجـالهم ، قبل خلقهم ، ومن شأنه أن يحي ويميت ويغفر ويعفو ويرفع ويخفض ، ويعطي ويمنـع ويشفي فلا يستغنى عنه أهل السماوات والأرض .

وهذا دليل على علمه وحكمته وقيوميته على خلقه .

والحاصل أن هذه المرتبة من مراتب القدر وهي الكتابة هي على خمسة تقادير كلها دليل على علمه سبحانه وتعالى بمـقادير الخلائق قبل خلقهم ، ودليل على حفظـه لها وإثباته لها ، وهو دليل أيضاً على قدرته وحكمته وقيوميته على خلقه[3].

المرتبة الثالثة : المشيئة .

وتعني الإيمان بمشيئة ا النافذة ، وقدرته الشاملة .

ومشيئة ا وقدرته يجتمعان فيما كان وما سيكون ، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن ، فما شاء ا تعالى كونه فهو كـائن بقدرتـه لا محالـه ، قـال تعـالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4].

وما لم يشأ سبحانه وتعالى لم يكن ليس لعدم قدرته تبارك وتعالى عليه ، فقد قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[5] فإن مشيئة غيـر

---

(1) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، أبو الدرداء ، صحابي من الحكماء الفرسان القـضاة ، توفي سنة ٣٢هـ . انظر حلية الأولياء : ٢٠٨/١ ، الأعلام : ٩٨/٥ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الرحمن : ١٨٤٧/٤ ، وعلقه موقوفاً .

(3) انظر شفاء العليل لابن القيم : ١١٥/٢ وما بعدها .

(4) سورة يس ، آية : ٨٢ .

(5) سورة هود ، آية : ١١٨ .

قاصرة ولا يمتنع عليه شيء لكمال قدرته ، ولكن حكمته اقتـضت اخـتلاف النـاس وتفرقهم[1].

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

فدلت الآية على أن مشيئته سبحانه صالحة لذلك ، وقدرته شاملة ، ولكن الحكمة تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى[3].

ولذلك فإن عدم وجود بعض الأشياء ليس عجزاً في ذات ا ، وإنما هو عـدم مشيئة ا تبارك وتعالى إيجادها لحكمة يريدها ا .

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾[4].

ومشيئة ا النافذة يدل عليها إجماع الرسل وجميع الكتب المنزلة من عنـد ا كما تدل عليها الفطرة والعقول ، فليس في الوجود إلا مشيئة واحـدة هـي مـشيئة ا تبارك وتعالى ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وهذا عموم التوحيد ، وكمال الربوبية ، ومعنى كونه سـبحانه رب العـالمين ، وكونه القيوم القائم بتدبير خلقه ، إذ لا مالك غيـره ولا مـدبر سـواه ، والمـسلمون مجمعون على ذلك ، وخالفهم من نفى مشيئة ا بالكلية من الفلاسفة وأتباعهم ، ومـن نفى مشيئة ا في أفعال العباد من المعتزلة وأتباعهم وقد سبق الرد عليهم[5].

وقد امتلأ القرآن الكريم والسنة المشرفة بتكذيب هذا المعتقد .

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي : ٣٤٨ .

(2) سورة السجدة ، آية : ١٣ .

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن : ٦٠٢ .

(4) سورة فاطر ، آية : ٤٤ .

(5) راجع ص (١٢٦) من هذا البحث .

وهو سبحانه تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته ، يقول تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وقـال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

وتارة يخبر سبحانه أن ما لم يشأ لم يكن .

يقـول تعـالى : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [5].

وتارة يخبر أنه لو شاء لكان خلاف الواقع ، وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه يقول تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[6].

(1) سورة آل عمران ، آية : ٢٦ .

(2) سورة الإنسان ، آية : ٣٠ .

(3) سورة البقرة ، آية : ٢٨٤ .

(4) سورة المدثر ، آية : ٥٦ .

(5) سورة الإنسان ، آية : ٣٠ .

(6) سورة البقرة ، آية : ٢٥٣ .

وقال تعـالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ [1].

وتارة يخبر أنه لو شاء ما عصي ، وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمه واحدة :

قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[3].

والآيات والأحاديث في ذكر المشيئة الإلهية كثيرة جداً .

فعـن حذيفـة بن أسيد الذي تقدم ذكر حديثه في شأن الجنين أن رسول ا ﷺ قال : (... فيقضي ربك ما يشاء ، ويكتب الملك) [4].

وحديـث علـي بن أبـي طالـب رضـي ا عنـه (حين طرقه النبـي ﷺ وفاطمة ليلاً فقال : " ألا تصليان " فقال علي : إنما أنفسنا بيـد ا فإذا شـاء أن يبعثنا بعثنا) [5].

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١١٢ .

(2) سورة يونس ، آية : ٩٩ .

(3) سورة السجدة ، آية : ١٣ .

(4) سبق تخريجه ص (٣٣٨) من هذا البحث .

(5) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، بـاب فـي المـشيئة والإرادة : ٣٧٩/١ .

وعن ابن عباس قال : (جاء رجل إلى النبي ﷺ يكلمه في بعض الأمـر فقـال الرجل لرسول ا ما شاء ا وشئت ، فقال رسول ا ﷺ : أجعلتني عدلاً ؟ بل مـا شاء ا وحده) [1].

وعن أبي هريرة رضي ا عنه قال: قال رسـول ا ﷺ : (قـال ا تبـارك وتعالى) : لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر ، فإني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما) [2].

وعن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، وارحمني إن شئت ، وارزقني إن شئت ، ليعزم مسألته ، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له) [3].

أما إرادة ا سبحانه وتعالى فقد وردت في آيات كثيرة وأحاديث صحيحة .

فقال ا تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴾[5].

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم : ٧٨٧ .
(2) صحيح البخـاري ، كتـاب الأدب ، بـاب لا تـسبوا الـدهر : ٢٢٨٦/٥ . صحيح مسلم ، كتاب الألفاظ ، باب النهي عـن سـب الدهر : ١٧٦٣/٤ .
(3) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب ليعزم المسألة فإنـه لا مكره له : ٢٣٣٤/٥ . صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب العزم بالدعاء : ٢٠٦٣/٤ .
(4) سورة يس ، آية : ٨٢ .
(5) سورة الحج ، آية : ١٦ .

وقال تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾[1] .

وجاء في الأحاديث الشريفة لفظ الإرادة وإثباتها أكثر من أن يحصر ، ونـذكر منها : قوله ﷺ : (من يرد ا به خيراً يفقهه في الدين) [2] .

وقوله ﷺ : (من يرد ا به خيراً يصب منه) [3] .

وقوله ﷺ : (إذا أراد ا قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة) [4] .

وهذا محل نزاع بين الناس ، فقد ظنت طائفة أن المحبة والرضـا مـستلزمان للإرادة ، فلا فرق بينهم ، فكل من أمر بشيء فقد أراده وأحبه ورضيه .

فذهبت المعتزلة إلى قول وذهب الأشاعرة إلى قول مخـالف وكلاهمـا جانبـا الصواب في أقوالهم .

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ١٨ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من يرد ا به خيراً يفقهـه في الدين : ٣٩/١ . صحيح مسلم ، كتاب الزكاة، باب النهي عـن المسألة : ٧١٩/٢ عن معاوية بن أبي سفيان رضي ا عنه .

(3) صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، باب ما جـاء فـي كفـارة المرضى : ٢١٣٨/٥ ، من حديث أبي هريرة .

(4) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (١٢٨٧) . والحـاكم فـي المستدرك : ٤٢/١ ، وقال : (هذا حديث صـحيح رواتـه عـن أخرهم ثقات) ، ووافقه الذهبي .

مذهب المعتزلة في إرادة الله ومشيئته لأفعال العباد :

فأما المعتزلة فقد زعمت أن الإرادة هي نفس الرضا والمحبـة ، ولـذلك فإنـه سبحانه لا يريد الكفر ولا الفساد ولا المعاصي ، وأن ما يحدث من ذلك إنمـا يحـدث بدون إرادته ولا مشيئته .

يقول القاضي عبد الجبار : (قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[1] يدل على أنه لا يريد الفساد ولا يحبه ، سواء كان من جهته أو من جهة غيره)[2].

ونسب البيهقي إلى المعتزلة قولهم هذا فقال :

(وقالت المعتزلة القدرية : " قد علم بالدليل أن ا يحب الإيمان والعمـل الـصالح ، ولا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، بل يكره الكفر والفسوق والعصيان " .

قالوا : فيلزم من ذلك أن يكون كل ما في الوجود من المعاصي واقعـاً بـدون مشيئته وإرادته ، كما هو واقع على خلاف أمره ، وخلاف محبته ورضاه "[3].

وبهذا فقد أخرجت المعتزلة بعض المقدورات أن تكون مقدورة ومـرادة تعـالى ، وعلى ذلك فيجوز عندهم أن يحدث في ملك ا ما لا يريده ولا يشاؤه تعالى ا عـن ذلك علواً كبيراً.

---

(1) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٠٥ .

(2) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٤٦٠ .

(3) كتاب القضاء والقدر للبيهقي : ١٧٥ .

أدلة المعتزلة :

استدل المعتزلة على ما ذهبوا إليه من نفي إرادة ا ومشيئته لأفعال العباد بعدد من الأدلة نورد بعضها :

١- الدليل الأول : أن ا تعالى أمر الكافر بالإيمان ، وكل من أمر بـشيء فهو مريد له ، والآمر بشيء ويريد نقيضه يكون سفيها ، فلو أمـر ا بالإيمان وأراد الكفر لكان ذلك سفهاً لا يليق به تعالى [١].

والجواب أن المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره .

فالمراد لنفسه ، مطلوب محبوب لذاته لما فيه من الخير والمصلحة ، فهو مـراد لذاته ، وهو مراد الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره ، قد لا يكون مقصوداً للمريد ، وليس فيه مصلحة له ، ولا هـو مراد في ذاته ، ولكنه وسيلة إلى المقصود والمراد ، فهو مكروه للمريد من حيث ذاته ، ولكنه مراد له من حيث إيصاله إلـى مـراده . وهنـا يجتمـع الأمـران : الـبغض أو الكره ، والإرادة .

ولا تنافي بينهما، وذلك لاختلا ف متعلقهما.

مثال ذلك : الدواء الكريه ، فإنه كريه في ذاته ، ولكنه مراد لإيصاله إلى المـراد . وكذلك قطع العضو المتآكل فإنه كريه في ذاته ، ولكنه مراد لإيصاله إلى المراد . وهو بقاء الجسد سليماً .

---

(1) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٤٥٧ .

و المثل الأعلى ، فإنه سبحانه يكره الشيء ، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيـره ، وكونه سبباً إلى أمر محبوب له .

ومثال ذلك : خلق إبليس ، فإنه عدو ا ، وهو مادة لفساد الأديان والأعمـال ، وسبب لشقاوة كثير من العباد ، ولكنه وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ، وجودهـا أحب إليه من عدمها . منها تمحيص عباده المؤمنين ، وإقامة الجهاد ، وإظهار أسمائه وأفعاله التي تليق بجلاله من العقاب والغضب والرحمة والعفو والمغفرة والحكمة إلـى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها البشر(١).

٢- الدليل الثاني للمعتزلة : لو كان الكفر مراداً تعالى لكان فعله والإتيان به موافق لمراد ا تعالى ، فيكون الكافر مطيعاً له بكفـره ، وذلـك باطـل بالاتفاق ، وبالضرورة من الدين (٢).

والجواب أن الطاعة موافقة للأمر لا للإرادة . والأمر غيـر الإرادة ، وغيـر مستلزم لها لانفكاكها عنه في الصورة السابقة ، فمن فعل مراد غيره لا يقال عنه إنـه أطاع غيره ، وإنما يقال ذلك لو امتثل الأمر .

يدل على ذلك أنه يقال : فلان مطاع الأمر ، ولا يقال مطاع الإرادة ، وقد نقـل الجرجاني عن الآمدي قوله : (ويدل على أن موافقة الإرادة ليست طاعة ، أنه لو أراد شخص شيئاً من آخر فوقع المراد من الآخر على وفق إرادة المريد ، ولا شعور للفاعل بإرادته ، فإنه لا يعد منه طاعة له ، كيف والإرادة كامنة ، والأمر ظاهر، ولهذا يقـال في العرف : فلان مطاع الأمر ، ولا يقال مطاع الإرادة) (٣).

---

(1) انظر شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٢٥٢ .

(2) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٤٦٠ .

(3) المواقف للإيجي المطبوع مع شرحه : ٢٥٦/٣ .

٣- الدليل الثالث للمعتزلة أن الرضا بقضاء الله تعالى واجب بالإجماع ، فلو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب الرضا بالكفر وهذا باطل لأن الرضا بالكفر كفر [1].

والجواب : بأن من المقضي ما يرضى به وما يسخط منه ، كما أن من الأعيان المقضية ما يرضى عنه وما يغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم.

ثم إنه يجب أن يفرق بين أمرين :

الأول : قضاء الله وهو فعل قائم بذات الله تعالى .

الثاني : مقضي : وهو المفعول المنفصل عنه .

والقضاء كله خير وعدل وحكمة . نرضى به كله . والمقضي قسمان :

منه ما يرضى به ، ومنه ما لا يرضى به .

والقضاء له وجهان : أحدهما : تعلقه بالرب تعالى ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه يرضى به .

والثاني : تعلقه بالعبد ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به وإلى ما لا يرضى به . فقتل النفس ، له اعتباران : فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونهاية لعمره ـ يرضى به ، وهو من هذا الوجه متعلق بالله تعالى . والاعتبار الثاني من حيث صدر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره ، وعصى الله بفعله - نسخطه ولا نرضى به - وهو من هذا الوجه متعلق بالعبد [2].

---

(1) انظر فضائل المعتزلة ، للقاضي عبد الجبار : ١٦٩.

(2) انظر شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٢٥٨ .

مذهب الأشاعرة في إرادة الله تعالى ومشيئته لأفعال العباد :

ذهب الأشاعرة إلى أن الإرادة والمحبة والرضا في حق الله تعالى بمعنى واحد ، وذلك بناء على قولهم إن الرضا والمحبة والغضب والسخط هي الإرادة ، وليست أوصافاً مغايرة لها [1].

وعند إضافة إرادة الله تعالى ومحبته لأفعال العباد نجد أن الأشاعرة انقسموا إلى فريقين :

الفريق الأول : منع من إطلاق ذلك القول ، لأن ما أراده الله فقد أحبه ، أما الكفر والفسوق والعصيان فإنه لا يحبه ولا يرضاه ، ثم هؤلاء تحزبوا حزبين :

الحزب الأول : من قال منهم أن المحبة والرضا يعبر بهما عن إنعام الله تعالى وإفضاله ، وهما من صفات الأفعال ، وإذا قيل " أحب الله تعالى عبداً " فليس المراد به تحننا عليه وميلاً إليه ، بل المراد إنعامه على عبده. ومحبة العبد لربه تعالى وإذعانه له وانقياده لطاعته .

([1]) انظر التمهيد ، للباقلاني : ٤٨ .

فهؤلاء لا يقولون إن ا تعالى يحب كفر الكفار ولا يرضاه مع أنـه يريـده ، ولكنهم يفسرون محبته تعالى من حيثية أخرى وهي الإنعام والإفضال إلى العبد ، ومن هؤلاء التفتازاني حيث قال في شرح المقاصد : (وأما نفي الأمر والرضا والمحبة فلا نزاع فيه لما في المحبة والرضا من الاستحسان وترك الاعتراض ، وإرادة الإنعـام ، فهـو يريد كفر الكافر ويخلقه ، ومع هذا يبغضه وينهاه عنه ، ويعاقبه عليه ، ولا يرضاه) [١] .

والحزب الثاني : من يحمل المحبة والرضا على الإرادة ، ولكنـه يقـول : إذا تعلقت الإرادة بنعيم ينال عبداً فإنها تسمى محبة ورضا ، وإذا تعلقت بنقمة تنال عبـداً فإنها تسمى سخطاً .

ومعنى قول هؤلاء أن الإرادة إذا تعلقت بالأمور السارة النافعة للعبـاد فعنـدها تسمى محبة ، ويقال : إن ا أراد ذلك الأمر وأحبه ، وأما إذا تعلقت الإرادة بـالأمور الضارة المؤلمة للعباد فإنها تسمى سخطاً ، ولا تسمى محبة .

أما الفريق الثاني : فهم القائلون بأن المحبة معنى الإرادة والرضا كذلك ، وقالوا : إن ا تعالى يحب الكفر ، ويرضاه كفراً معاقباً عليه .

وقد ذكر هذه الأقوال عن الأشاعرة الجويني في الإرشاد [٢] ، ودافع عن قـول من قال منهم بأن ا يحب الكفر من الكافر ، حيث بين أن الرب تبـارك وتعـالى لا تتعلق به المحبة على الحقيقة[٣] ، ولعل إمام الحرمين ممن ينتصر إلى الفريق الثاني .

ويرد الأشاعرة على استدلال المعتزلة ومن وافقهم من القائلين بأن ا لا يحـب الكفر من الكافر ولا يريده بقوله تعـالى : ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [٤] ، فقال إمام الحـرمين : (وفـي

---

(1) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٢٧٩/٤ .

(2) انظر الإرشاد ، للجويني : ٩٩،٩٨.

(3) المصدر نفسه ، ونفس الصفحة .

(4) سورة الزمر ، آية : ٧ .

الجواب عن هذه الآية مسلكان : أحدهما : الجري على موجبها ، تمسكاً بمذهب من فصل بين الرضا والإرادة ، والوجه الثاني : حمل العباد على الموفقين للإيمان الملهمين للإيقان ، وهم المشرفون بالإضافة إلى الله سبحانه ذكراً . وهذه الآية تجري مجرى قوله تعالى : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [1] فليس المراد جميع عباد الله ، بل المراد المصطفون المخلصون للنعيم المقيم) [2].

فيرى إمام الحرمين أن هذه الآية لها احتمالان :

الأول : وهو أن الإرادة ليست المحبة ولا الرضا ، وعلى ذلك يكون الله تعالى لا يرضى الكفر لعباده ، ولا يحبه ، ولكنه يريده ، وهذا على رأي الفريق الأول .

الثاني : هو أن الإرادة هي المحبة ، وعلى ذلك يكون الله تعالى لا يرضى الكفر ولا يريده من عباده المؤمنين فقط ، والمراد بالآية أن الله لا يرضى الكفر من عباده المؤمنين فقط ، لأنهم هم المضافون إليه في الآية ، أما عباده من الكفار فإنه يرضى الكفر منهم ويريده ويحبهم .

وقد نقل عنهم ابن القيم قولاً قريباً من هذا في تفسيرهم لقوله تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر) وذكر أنهم أجابوا عليه بوجهين :

الأول : أنه سبحانه لم يرضه ممن لم يقع منه ، وأما من وقع منه فهو يرضاه لأنه بإرادته ومشيئته .

الثاني : أنه لا يرضاه ديناً ، أي لا يأمرهم به ولا يشرعه لهم ، ويرضاه كوناً [3].

والحاصل أن الأشاعرة أرادوا الرد على المعتزلة ، وإثبات أن كل ما في الكون فهو بإرادة الله ، ومشيئته ، وأثبتوا له سبحانه كمال القدرة والمشيئة .

---

(1) سورة الإنسان ، جزء من الآية : ٦ .

(2) الإرشاد ، للجويني : ١٠٣٦ .

(3) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٨٣/٢.

فخاصمهم المعتزلة بالمحبة ، فمن الأشاعرة من منع القول بأن ا يريد الكفـر من الكافر ويحبه، ومنهم من أطلق ذلك القول من باب الرد علـى المعتزلـة ، وعـدم الاكتراث بتهويلهم كما قال إمام الحرمين [1] ، ولأجل إثبات كمـال قـدرة ا تعـالى وتصرفه سبحانه في عباده كيف شاء .

وهذا مما يحمد للأشاعرة ، ولكنه جعلهم يقعون في مأزق خطير ، وهو قولهم إن ا تعالى يرضى الكفر ويحبه ، والحق أن ذلك قول باطل ، فـإن ا لا يرضـى الكفر ولا يحب الفسوق والعصيان ، وإن كان مريداً له .

والجواب عن ذلك هو ما ذكره السلف من أن الإرادة في كتاب ا نوعان :

إرادة كونية ، وإرادة شرعية ، والمحبة والرضا متعلق بالإرادة الشرعية ، وكفر الكافر يتعلق بالإرادة الكونية فقط ولا يتعلق به المحبة ولا الرضا.

وعلى ذلك فإن ا تعالى مريد للكفر من الكافر ، وللمعصية مـن العاصـي ، إرادة كونية فلا يحبه ولا يرضاه ، بدليل آيات الكتاب الكريم .

ولا شك أن الأشاعرة قد وافقوا السلف في أن كل حادث مراد تعالى حدوثه ، ولا تختص مشيئة الباري بصنف من الحوادث دون صنف ، بل هو تعالى مريـد لوقـوع جميع الحوادث ، خيرها وشرها .

ولكن الأشاعرة لم يحسنوا في إيجاد جواب شاف في التوفيق بين إرادة ا تعالى لكل الكائنات ، ومحبته تعالى لكفر الكافر .

ومن أطلق القول منهم بأن ا مريد للمعاصي والكفر والفسوق ألزمه أنه تعالى أرادها كونًا وشرعا ، وما أراده ا شرعا فهو يحبه ويرضاه ، وهو لازم قولهم ، مع أنهم لا يقولون ذلك ، ولا يعتقدونه وهو معلوم الفساد ، وهو خلاف مـا عليـه فطـر العالمين ، فقد أخبر سبحانه أنه يمقت أفعالاً كثيرة ويكرهها ويبغضها ، فقال تعـالى : ﴿ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ

---

(1) انظر الإرشاد ، للجويني : ٩٩.

ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [2]، وقـال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [3].

والحاصل أن المعتزلة جعلت المحبة والرضا والإرادة بمعنى واحد ، ثم نفت أن يكون سبحانه مريداً للكفر والعاصي ، لأنه لو كان مريداً لها لكان محباً لهـا وراضـياً عنها - كما زعموا - فضيقوا القدرة الإلهية وحصروا المشيئة الربانية ، وجعلوا أكثر ما يقع من العباد خلاف مراده سبحانه وتعالى ، (والظاهر أنه لا يصبر علـى ذلـك رئيس قرية من عباده) [4] ، وظنوا أنهم بذلك قد أثبتوا العدل الإلهي .

أما الأشاعرة فقد جعلوا المحبة والرضا والمشيئة بمعنى واحد ، وجعلوا كل مـا يريده الله ويأمر به فهو راض عنه محب له ، فردوا بذلك على المعتزلة وأثبتوا كمـال القدرة الإلهية وشمول المشيئة الربانية ، ولكـن لـزمهم أن يكـون الله محبـاً للكفـر والمعاصي .

وكلتا الطائفتين أخطأتا الطريق ، فهم متفقون في جعل المحبة والرضا والمشيئة والإرادة بمعنى واحد ، ولكنهم اختلفوا في مقتضى هذا القول، فذهبت كل طائفة إلى ما يوافق أصولها .

ووفق الله أهل السنة والجماعة إلى معرفة هذه المسألة ، وإزالة ما فيهـا مـن إشكال ولبس ، وذلك بقولهم إن الإرادة في كتاب الله نوعان :

أحدها : الإرادة الكونية : وهي إرادة قضاء وتقدير ، فهي شاملة لجميع الكائنـات ، محيطة بجميع الحادثات ، وهو معنى قولنا : ما شاء الله كان وما يشأ لم يكن ، ولـذلك

(1) سورة التوبة ، آية : ٤٦ .
(2) سورة الصف ، آية : ٣ .
(3) سورة محمد ، آية : ٢٨ .
(4) شرح المقاصد ، لسعد الدين التفتازاني : ٢٧٥/٤.

فهي مستلزمة لوقوع المراد . وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصـي وما يحبه ا وما يكرهه .

وهذه الإرادة في مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [1].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [2].

الثانية : الإرادة الدينية الشرعية : وهي إرادة الأمر والتشريع ، وهـذه الإرادة متعلقة بها محبته ورضاه سبحانه وتعالى ، وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المـراد ، إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة ، فهي تتناول مـا حـدث مـن الطاعـات دون المعاصي . وهذه الإرادة في مثل قوله تعالى : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [3]. وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١٢٥.

(2) سورة هود ، آية : ٣٤.

(3) سورة البقرة ، آية : ١٨٥.

﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [2].

وهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل المعاصي والقبائح : (هـذا يفعل مالا يريده ا) ، أي لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به . والفرق واضـح بـين الإرادتين ، وكلا النوعين معقول للناس، والأمر يستلزم الإرادة الدينية الـشرعية دون الإرادة الكونية القدرية .

فلفظ المشيئة كوني فقط ، ولفظ المحبة ديني شرعي .

والإرادة الكونية هي المشيئة ، والإرادة الدينية هي المحبة والرضا.

فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد غير جهة أمره ، ويمكن في حق المخلوق الحكيم أن يأمر غيره بأمر ولا يعينه عليه ، فالخالق أولى بإمكان ذلك في حقه مع كمال حكمته .

فمن أمره تعالى وأعانه على فعل المأمور ، فقد تعلق بالمأمور به خلقه سبحانه وأمره إنشاء وخلقًا ومحبة ، فكان مرادا بجهة الخلق ومرادا بجهة الأمر.

ومن لم يأمره تعالى ولم يعنه على فعل المأمور، فقد تعلق بالمأمور به خلقه ولم يتعلق به أمره ، وذلك كله لكمال حكمته تبارك وتعالى .

وإذا فهم هذا فإن الأمور الواقعة أربعة أقسام :-

١- ما تعلقت به الإرادتان الكونية والشرعية ، وهو ما وقع في الوجود من الأعمـال الصالحة ، وذلك لأن ا سبحانه وتعالى أراده إرادة دين وشرع ، فـأمر بـه وأحبـه ورضيه ، وأراده إرادة كون فوقع، ولولا ذلك لما كان .

فهنا تعلقت الإرادتان الكونية والشرعية ، والمشيئة والمحبة والرضا.

---

(1) سورة المائدة ، آية : ٦.

(2) سورة النساء ، آية : ٢٦.

٢- ما تعلقت به الإرادة الدينية الشرعية فقط ، وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة ، فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار ، فتلك الأعمال الصالحة كلها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع .

فهنا تعلقت الإرادة الدينية والمحبة والرضا، ولم تتعلق المشيئة ولا الإرادة الكونية .

٣- ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، وهو ما قدره الله وشاءه من الحوادث التي أمر بها : كالأمور المباحة والمعاصي .

فإنه سبحانه وتعالى لم يأمر بها ولم يحبها ، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت . فهنا تعلقت الإرادة الكونية والمشيئة ، ولم تتعلق المحبة والرضا ولا الإرادة الدينية .

٤- ما لم تتعلق به الإرادتان الكونية والشرعية ، وهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي.

فحكمه سبحانه يجري على وفق هاتين الإرادتين ، فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا ، ومن نظر إلى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعور ، والله تعالى أعلم[1].

المرتبة الرابعة : خلق الأعمال :-

وهو الإيمان بأن الله خالق كل شيء ، فهو خالق كل عامل وعمله ، وما من ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وبارئها، لا خالق غيره ولا رب سواه . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨ / ١١٥-١٢٠ ، وشفاء العليل ، لابن القيم : ١٢٥/١ وما بعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ١١٤.

شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [1]، وقـال تعـالى : ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [3].

ولا يخرج العباد وأفعالهم عن عموم مخلوقات ا سبحانه وتعالى ، فقد علم ا ما سيخلقه من عباده ، وعلم ما هم فاعلون ، وما هم إليه صائرون .

يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [4].

فالعباد لهم قدرة على أعمالهم ، ولهم مشيئة ، وا سبحانه وتعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم ، وبحسبها كلفوا ، وعليها يثابون ويعاقبون.

وقد اختلفت الطوائف في خلق أفعال العباد على عدة أقوال :

القول الأول : هو قول القدرية : نفاة القدر.

وهؤلاء فريقان :

فرقة تكذّب بالقدر ، وبعلم ا السابق ، وهم أول من تكلم فـي القـدر ، وقـد انقرضت هذه الفرقة كما تذكر مصادر الفرق[5].

---

(1) سورة الزمر ، آية : ٦٢.

(2) سورة يس ، آية : ٨١.

(3) سورة الأنبياء ، آية : ٣٣.

(4) سورة الصافات ، آية : ٩٦.

(5) وأول من تكلم في القدر رجل من أهل البصرة كان يعمل بقـالاً يقال له سنسويه ، قال الأوزاعي : " أول من نطق في القدر رجل من العراق يقال له : سوسن كان نصرانياً ، فأسلم ، ثـم تنـصر ، فأخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد " ، وقـال

يونس بن عبيد " أدركت البصرة وما بها قدري إلا سنسويه ومعبد=
=الجهني ، وآخر ملعون في بني عوانه ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للألكائي : ٣/٧٥٠ ، وانظر الشريعة ، للآجري : ٢٤٢ .

وعن يحي بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حـاجين – أو معتمرين – فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول ا ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبدا بن عمر رضـي ا عنهما داخلاً المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي أحـدنا عـن يمينـه والآخر عن شماله ، فظننت صاحبي سيكل الكلام إلي ، فقلت : أبا عبد الرحمن قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ، ويتقفرون العلـم . وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم بـرآء منـي ، والذي يحلف به عبد ا بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل ا ما قبله ا منه حتى يؤمن بالقدر .
ثم قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب رضي ا عنه قال : وذكر حديث جبريل ، والظاهر أن أول من قال بالقدر هو سنسويه هذا ، وأخذها عنه معبد الجهني ونشرها ، ثم أخذ هذا المذهب عن معبـد رؤوس الاعتزال وأئمته ، كواصل بن عطاء ، وعمر بن عبيـد ، وغيلان الدمشقي .

والفرقة الثانية : هم المعتزلة القدرية ، نفاة القدر ، وحاصل قول هؤلاء :

هو إخراج أفعال العباد عن خلق ا تبارك وتعالى، وملكه ، وأنها ليست في ربوبيته ، وقد نقل الحافظ الحكمي عن النووي قوله في القدرية : (وطرد قولهم ولازمه وحاصله هو إخراج أفعال العباد عن خلق ا عزوجل وملكه ، وأنها ليست داخلة في ربوبيته عز وجل ، وأنه يكون في ملكه ما لا يريد ، ويريد ما لا يكون ، وأنهم أغنياء

وقد أنكر الصحابة وأئمة التابعين عليه ذلك وتبرأوا من هذا الاعتقاد وكفروا منحليه ، ونفوا عنه الإيمان وأوصى بعضهم بمجانبته ، والفرار من مجالسته وقد بالغ هؤلاء المبتدعة فأنكروا علم ا تعالى ، وأنكروا كتابة المقادير السابقة وقالوا : إنما يعلم ا بالموجودات بعد خلقها وإيجادها .

وزعم هؤلاء - كذباً وزوراً - أن ا إذا أمر العباد ونهاهم لا يعلم من يطيعه منهم ممن يعصيه ، ولا يعلم من يدخل الجنة ممن يدخل النار ، حتى إذا استجاب العباد لشرعه أو رفضوا – علم السعداء منهم والأشقياء .

وقد نص الأئمة على كفر هذه الطائفة التي لم تقر بعلم ا ، وممن نص على كفرهم من الأئمة مالك والشافعي وأحمد ، انظر مجموعة الفتاوى : ٨ / ٢٨٨ .

وقد تلاشت هذه الطائفة التي تكذب بعلم ا السابق أو كادت ، يقول الأسفرائيني : قال العلماء : المنكرون لهذا انقرضوا ، وهم الذين كفرهم عليه الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة ، عقيدة الأسفرائيني : ٣٠١/١ .

عن ا عزوجل ، فلا يستعينون به على طاعته ولا ترك معصيته ، ولا يعوذون بـا من شرور أنفسهم ، ولا سيئات أعمالهم ، ولا يستهدونه الطريق المستقيم) [١] .

والقدرية أرادوا تنزيه ا عن الظلم والجور ، فأخرجوا أفعال العباد عن مقدور ا تبارك وتعالى ، وزعموا أن ا شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شـاء الكفـر، فوقع مراد الكافر ولم يقع مراد ا ، تعالى ا عن ذلك علواً كبيراً .

وحجتهم أن خلق ا لأفعال العباد يؤدي إلى الظلم ، إذ كيف يشاء ا الكفر من الكافر ثم يعذبه عليه ، وكما يقول شارح الطحاوية : (صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شرمنه ، فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة ا تعالى) [٢]، ولذلك فإن القدرية بمسلكهم هذا قد جعلوا لأهل الضلال سـبيلاً لهم [٣].

فهذه الفرقة الـضالة قـد أخرجـت أفعـال العبـاد عـن مقـدور ا بنفيهـا للقدر ، وقد تقدم ذكر أقوال المعتزلة وشبهاتهم في نفيهم خلق ا لأفعال العباد ، والرد عليها بما أغنى عن إعادته ، و الحمد والمنة [٤].

القول الثاني : هو الجبرية الغلاة :

---

(1) معارج قبول ، للحكمي : ٢٥٣/٢ .

(2) شرح العقيدة الطحاوية : ٢٧٧.

(3) فقد ذكر عمر بن الهيثم فقال : خرجنا في سفينة ، وصحبنا فيها قدرياً ومجوسياً ، فقال القـدري للمجوسـي : أسلم .

فقال المجوسي حتى يريد ا .

فقال القدري : إن ا يريد ، ولكن الشيطان لا يريد .

قال المجوسي : أراد ا ، وأراد الشيطان ، فكان ما أراد الشيطان ، فهذا شيطان قوي . وفي رواية أنه قال : فأنا مع أقواهما ، انظر شرح العقيدة الطاوية : ٢٧٨.

(4) راجع ص(١٨٠) من هذا البحث .

وهؤلاء هم أصحاب جهم بن صفوان ، وهو من الجبرية الخالصة ، وقد ظهرت بدعته بترمذ ، وقتل في آخر ملك بني أمية .

وقد زعم هؤلاء أن الإنسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصـف بالاسـتطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله ، لا قدرة له ، ولا إرادة ، ولا اختيار ، وإنمـا يخلـق ا تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، و تنسب الأفعال إليه مجازاً كما تنسب إلى الجمادات وكما يقال : أثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وتحرك الحجر ، وزالت الشمس ، ودارت الرحى و إلى غير ذلك فالأفعال كلها عندهم جبر ، والتكليف جبر ، والثواب والعقاب جبر[١].

وقد تسمى الجبرية بالقدرية لغلوهم في إثبات القدر حتى نفوا الأمـر والنهـي ، يقول شارح الطحاوية : (والجبرية أصل قولهم من جهم بن صفوان ، وأن فعل العبـد بمنزلة طوله ولونه ، وهم عكس القدري و نفاة القدر ، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء وأنه لا أحد مرجأ لأمر ا إمـا يعـذبهم وإما يتوب عليهم ، وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر) [٢].

وهذا الفريق يؤمن بالقدر ، وأن ا عالم بكل شيء ، وخالق لكل شيء ، ومريد لجميع الكائنات ، ولكنهم نفوا قدرة العبد المؤثرة في الفعل[٣] .

---

(1) انظر الملل والنحل ، للشهرستاني : ٩٧/١ ، ٩٨ ، والفرق بـين الفرق ، للبغدادي : ٢١١ .

(2) شرح العقيدة الطحاوية : ٥٩٢ .

(3) انظر الملل والنحل ، للشهرستاني : ٩٨/١ ، والفرق بين الفرق ، للبغدادي : ٢١١ .

وقد ذكر السلف استدلال الجبرية بعدد من الأدلة على صدق معتقدهم ومن ذلك :

أولاً : إن الجبر لازم لصحة التوحيد ، ولا يستقيم التوحيد إلا به ، لأننا إذ لم نقل بـالجبر فقـد أثبتنـا فـاعلاً للحوادث مع ا : وهذا شرك ظاهر.

والجواب : إن الجبر مناف للتوحيد ، وذلك لأن التوحيد هو إفراد ا بالعبادة والتأله مع كمال الذل وكمال محبته سبحانه والإنابة إليه ، وبذل الجهد في طاعته ومرضاته . والقول بالجبر ينافي هذا التوحيد . لأن العبد إذا كـان مجبوراً مقهوراً على فعله ، ولا قدرة له ولا أثر في أمره ، والرب تبارك وتعالى أمره بهذا وأجبره على ضده ،

وحال بينه وبين ما أمره به ، مع قول الجبري أنه لا يحب ولا يحب فلا تتأله القلوب بالمحبة والـود والـشوق وإرادة وجهه الكريم ، والتوحيد معنى تنتظم فيه الألوهية والعبودية ، وأنت أيها الجبري رفعت معنـى الإلهيـة بإنكار كونه محبوباً ، ورفعت العبودية بإنكار كون العبد فاعلاً وعابداً ومحباً ، انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٣٥١/١-٣٥٢ .

ثانياً : لو جاز تأثير قدرة العبد في إيجاد الأفعال لجاز تأثيرها بكل موجود ، لأن الوجود قضية واحدة مـشتركة بين الموجودات الممكنة .

الجواب : إن هذا الدليل يستند إلى خرافات حاصلها أنه يلزم من صحة قدرة العبد على قلع عصاة مـن الأرض قدرته على قلع الجبل ، أو من إمكان حمله لرطل إمكان حمله لمائة ألف رطل ، ومن إيجاده للفعل القائم به من الأكل والشرب ، وغيرها صحة إيجاده لخلق السموات والأرض وما بينهما واشتراك الموجودات فـي مـسمى الوجود الكلي العام لا يلزم منه أن ما جاز على موجود جاز على كل موجود ، ولا يلزم منه تماثـل البعوضـة والفيل ، وتماثل الأجسام والأعراض .=

=ثالثا : هناك أمر لا خلاص منه إلا بإلزام الجبر، وهو أن العبد لو كان فاعلاً لفعله لكان محدثاً له ، ولو كـان محدثاً له لكان خالقاً له والشرع والعقل ينفيه ، قال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ سورة فاطر : ٣ .

الجواب : إنه قد دل العقل والشرع والحس على أن العبد فاعل لفعله ، وأنه يستحق عليه الذم واللعن ، كما ثبت عن النبي ﷺ : " أنه رأى حماراً قد رسم في وجهه فقال : ألم أنه عن هذا ؟ لعن ا من فعل هذا ؟ " .

وقال تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ سورة الأنبياء : ٧٤ ، فهذه الآية صريحة في أن العبد فاعل لأفعاله ، لكن لا يلزم من فعله لها أن يكون خالقاً لها ، لأن الخالق هـو خالق القدرة والفعل الذي تفعله القدرة ، والممتنع هو أن يكون العبد مستقلاً بالإيجاد ، وهذا غيـر لازم لكونـه فاعلاً ، فإن غاية قدرة العبد وإرادته وداعيه وحركته أن تكون جزء سبب ، وما توقف عليه الفعل من الأسباب التي لا تدخل تحت قدرته أكثر من الجزء الذي إليه بأضعاف مضاعفة ، والفعل لا يتم إلا بها ، وليس ذلك جبراً فإن جزء السبب الذي كان من الإنسان هو الذي أخرجه من الجبر إلى الاختيار ، انظر شفاء العليل : ١ /٣٧٣ .

هذا وإن مما استقر في الفطر وعلم بالضرورة ، أن الإنسان يشعر من نفسه بأنه قادر ومريد وأن لـه اختيـارا لأفعاله . ولا ينكر ذلك إلا معاند ، ثم أن هناك آيات أثبتت للعبد الإرادة والاختيار منها قوله تعـالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ سورة التكوير : ٢٨ .

وقوله تعالى : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ سورة آل عمران : ١٥٢ .

وغيرها كثير في القرآن الكريم .

رابعاً : احتجاجهم بحديث احتجاج آدم بالقدر :

عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (حج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحـج آدم موسى . قال موسى : أنت آدم الذي خلقك ا بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسـكنك

في جنته ، ثم أهبط الناس بخطاياتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك ا برسالاته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء ، وقربك نجياً ، فبكم وجدت ا كتب التوراة قبل أن أخلق ؟

قال موسى : بأربعين عاماً .

قال آدم : فهل وجدت فيها : وعصى آدم ربه فغوى ؟

قال : نعم .

قال : أفتلومني على أن عملت عملاً كتب ا علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟

قال رسول ا ﷺ : " فحج آدم موسى " صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام : ٢٠٤٣/٤ .

والحق أن هذا الحديث ليس حجة للجبرية الذين يحتجون بالقدر على القبائح والمعايب ، فآدم عيه السلام لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب ، وموسى عليه السلام لم : يلم أباه آدم على ذنب تاب منه، وإنما وقـع اللـوم مـن موسى على المصيبة التي أخرجت آدم وأولاده من الجنة . فاحتج آدم بالقدر كان على المصيبة ، لا على الذنب والخطيئة ، فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعايب ، انظر شرح العقيدة الطحاوية : ١٥٤ ، وشـفاء العليل ، لابن القيم : ٤٨/١ وما بعدها .=

=والاحتجاج بالقدر يكون في موضعين أحدهما نافع والآخر ضار : فالموضع الأول : هو أن يحـتج الإنـسان بالقدر على ذنب بعد وقوعه منه وبعد التوبة منه ، وترك معاودته ، وهذا الاحتجاج يخبر بالحق المحض علـى وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة والتذكير بأسماء ا وصفاته وتذكير الـسامع بهـا . ولا يـدفع بهـذا الاحتجاج أمراً ولا نهياً ، ولم يذكره المحتج به حجة له على باطل ولا محذور في الاحتجاج بـه ، بـل هـو احتجـاج بالمصيبة ، وهو كما احتج آدم عليه السلام .

والموضع الثاني : وهو الذي يضر بالإنسان وهو الاحتجاج بالقدر في حال المستقبل بأن يرتكب فعلاً محرماً أو يترك واجباً ، فيلومه عليه لائم ، فيحتج بالقدر على هذا الذنب مع إقامته عليه وإصراره ومداومته عليه ، وعدم التوبة منه ، فيدفع بذلك الاحتجاج الحق ويمنع به الأمر والنهي ، وهذا كما فعل المشركون الذين يقولون : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ سورة الأنعـام : ١٤٨. وكمـا فعـل إبليس اللعين حين قال : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى . . ﴾ سورة الحجر : ٣٩ ، وانظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٥٠/١ .

خامساً : قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ سورة الأنفال : ١٧ .

قالوا : فنفى ا عن نبيه الرمي ، وأثبته لنفسه سبحانه ، فدل على أنه لا صنع للعبد فيه .

والجواب : إن هذه الآية دليل عليهم ، لأنه تعالى أثبت لنبيه ﷺ رمياً بقوله { إذ رميت } ، فعلم أن المثبت غير المنفي .

والمعنى : أن الرمي له ابتداء وانتهاء : فابتداؤه بالحذف ، وانتهاؤه بالإصابة ، فالمعنى إذاً : ومـا أصـبت إذ حذفت ولكن ا أصاب ، ولو صح قولهم هذا لصح طرده وهو أن يقال : وما صليت إذ صـليت ولكـن ا صلى ! وما صمت إذ صمت ، وما زنيت إذ زنيت ... وفساد هذا ظاهر – تعالى ا عن ذلك علـواً كبيـراً ، انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٤٣٨ .

سادساً : قوله ﷺ : (لن يدخل أحد الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يـا رسـول ا ؟ قـال : " ولا أنـا ، إلا أن يتغمدني ا برحمة منه وفضل) .

والجواب : إن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات .

وقد كان جهم بن صفوان مؤسساً حقيقياً لكثير من الشبهات والبدع في الـدين ، ومن تلك البدع بدعة الجبر ، وبدعة الإرجاء .

ولعل بين هاتين البدعتين علاقة حميمة ، فالإيمان في نظر الجهمية هو مجـرد الإيمان بالقلب ، ولا قيمة للعمل في الإيمان . والإيمان عندهم لا يزيـد بالطاعـة ولا ينقص بالمعصية . فلا داعي للعمل والأخذ بالأسباب ، ولا يطلق على الفاسق أنه غير مؤمن بل هو مؤمن كامل الإيمان ، خاصة إذا كانت هذه الأفعال التي يقوم بها ، ليست أفعاله حقيقة ، بل تضاف إليه مجازاً ، وإنما هي أفعال الله تعالى ، والإنسان مجبـور عليها ولا حيلة له في فعلها أو تركها ولذلك فيكفيه الإيمان القلبي دون العمل .

والحق أن لفظ " الجبر " لم يدر في القرآن الكريم ، ولا في الـسنة المطهـرة ، وليس للجبر أصل في الكتاب والسنة ، لذلك فإن إطلاق لفظ الجبر هـو مـن البـدع المحدثة . وقد اتفق السلف على إنكار ذلك وذم من يطلق لفظ الجبر ، وإن كان قصدهم الرد على القدرية الذين نفوا قدرة الله على أفعال العباد ، فإن الخطأ لا يرد عليه بخطأ ، والفساد لا يقابل بفساد ، والبدعة لا ترد ببدعة ، والواجب تحري الصواب المستنبط من كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه ﷺ .

أضف إلى ذلك أن الجبر إنما يطلق على إكراه الإنسان على غير إرادته ، وعلى خلاف مراده ، كما يقول الفقهاء ، إن الأب يجبر ابنته على النكاح أو لا يجبرهـا ، وهـذا يعني الإكراه ، والله سبحانه وتعالى إنما جعل في قلب العبد إرادة للفعل ومحبة له حتى يفعله ، قال تعالى : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفـر والفسوق والعصيان ﴾ (1) ، ولذلك فإن السلف يرون أن العبد له قدرة ومشيئة ، وعمل

فالمنفي في قوله ﷺ : (لن يدخل الجنة أحد بعمله) – باء العوض ، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجـل إلى الجنة والباء التي في قوله تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون ﴾ سورة السجدة : ١٧ . باء السبب ؟ أي بسبب عملكم . فالأعمال سبب لدخول الجنة ولا تكون الجنة عوضاً عن الأعمال كما زعمت المعتزلة ، والله سبحانه وتعالى هو خالق السبب والمسبب ، فرجع الكل إلى محض فضل الله ومنته ورحمته ، انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(1) سورة الحجرات ، آية : ٧ .

وفعل واختيار ، ولا يسمونه مجبوراً ، فالمجبور هو من أكره على فعله ، وأكره على خلاف اختياره[1] .

كما أن القول بالجبر يترتب عليه أمور فاسدة منها :-

أولاً : بطلان التكليف ، وإرسال الرسل ، والأمر والنهي ، والثواب والعقاب ، فكيف يكلف من هو مجبور ؟ وكيف يؤمر بشيء هو مجبور على خلافه ؟ بل كيف يثاب ، وعلى ماذا يعاقب ؟ وما فائدة الرسل ؟ وما فائدة الكتب ؟

يقول ابن القيم رحمه الله : (وأما منافاة الجبر للشرائع فأمر ظاهر لا خفاء به ، فإن مبنى الشرائع على الأمر والنهي ، وأمر الآمر لغيره بفعل نفسه لا بفعل المأمور ، ونهيه عن فعله لا فعل المنهي ، عبث ظاهر ، فإن متعلق الأمر والنهي فعل العبد وطاعته ومعصيته ، فمن لا فعل له كيف يتصور أن يوقعه بطاعة أو معصية ، وإذا ارتفعت حقيقة الطاعة والمعصية ارتفعت حقيقة الثواب والعقاب) [2].

وقال في موضع آخر : (بل القول بالجبر مناف للتوحيد ، ومع منافاته للتوحيد فهو مناف للشرائع ودعوة الرسل والثواب والعقاب ، فلو صح الجبر لبطلت الشرائع وبطل الأمر والنهي ، ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب) [3].

ثانياً : نسبة الظلم إلى الله تبارك وتعالى ، ونفي العدل عنه .

فكيف يكون عادلاً من يأمر عباده بما لا يطيقون ؟ ويعاقبهم بما لا يفعلون ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ثالثاً : الجبر دعوة إلى ترك الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة بإذن الله تبارك وتعالى ، وهي دعوة أيضاً لارتكاب المعاصي والفواحش .

---

(1) انظر درء تعارض العقل والنقل : ٢٥٥/١-٢٥٦ ، ومجموعة الفتاوى : ٣٧٤/٣ .
وقد سبق تفصيل ذلك ص (١٨٨) من هذا البحث .

(2) شفاء العليل ، لابن القيم : ٣٥٣/١ .

(3) المصدر نفسه : ٣٥١/١ .

حيث يترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يهتمون بإقامة الحدود ، ولا بإعلان الجهاد ، لأن ما وقع من كفر وفسوق وجرائم فهو مقدر لا بد منه.

ونصوص القرآن الكريم حافلة بالأمر بالعمل في طلب الآخرة والسعي في طلب الرزق ، واتخاذ العدة للجهاد ومواجهة الأعداء ، وغيرها من الأعمال :-

يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [3]، وغيرها من الآيات الكثيرة في هذا المعنى .

وقد وجه رسول الله ﷺ أصحابه إلى هذا المعنى بأن يأخذوا بالأسباب ، ولا يتركوا العمل ، وأن لا يكون القدر حجة لهم ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وقرأ عليه السلام : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾[4][5] .

ولذلك فإن الاتجاه الجبري كان هو السائد في كل العصور خاصة لدى الجهال والفساق والمنحرفين عن تعاليم الدين الحنيف ، ذلك لأن الجبر يحمل عن الإنسان تبعاته ويضع عنه أوزاره ، ويلقي بالتبعية على القوة التي حركته ودفعته وقادته في

(1) سورة الجمعة ، آية : ١٠ .

(2) سورة البقرة ، آية : ١٩٧ .

(3) سورة غافر ، آية : ٦٠ .

(4) سورة الليل ، آية : ٥-١٠ .

(5) سبق تخريجه ص (٣٢٥) .

تصرفاته ، ويجعل الإنسان ينساق خلف شهواته ورغباته وإذا لامه لائم احتج له بالقدر[1].

أضف إلى ذلك أن هذه العقيدة المنحرفة عطلت طاقات هائلة في العالم الإسلامي ، وأقعدتهم عن العمل والأخذ بالأسباب ، وجعلتهم إتكاليين لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً ، فكانوا لقمة سائغة في أفواه أعدائهم ، ورضوا بظلم الظالمين ، وإفساد المفسدين ، فكل ذلك عندهم قدر الله وإرادته .

رابعاً : القول بالجبر يؤدي إلى القول بأن الله محب للكفر والشرك والقتل والزنا والسرقة وغيرها من المعاصي ، لأنهم يزعمون أن كل ما خلقه الله وأوجده فهو يحبه ويرضاه وقد تقدم الرد عليهم[2] .

خامساً : يلزم من القول بالجبر التسوية بين المختلفات ، وقد أنكر الله هذه التسوية حيث قال : ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[3].

والحاصل أن الجبرية أرادوا إثبات كمال قدرة الله وإثبات توحيده ، وشمول علمه ونفوذ مشيئته وإرادته ، ولكنهم أخطأوا في نفي قدرة العبد على أفعاله ، ويلزم من قولهم هذا لوازم باطلة أدت إلى فساد عظيم في الأمة ، ولذلك يقول ابن تيمية رحمه الله : (من يقر بتقدم علم الله وكتابته ، ولكن يزعم أن ذلك يغني عن الأمر والنهي والعمل ، وأنه لا يحتاج إلى العمل ، بل من قضى بالسعادة دخل الجنة ، بلا عمل أصلاً ، ومن قضى بالشقاوة شقي بلا عمل ، فهؤلاء أكفر من أولئك (يعني المكذبين بالقدر) وأضل سبيلاً ، ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، والوعد والوعيد ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بكثير) [4] .

والقول الثالث : هو قول الأشاعرة :-

---

(1) انظر شفاء العليل : ١/٥٠ .

(2) راجع ص (٢٥٦) من هذا البحث .

(3) سورة ص ، آية : ٢٨ .

(4) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨/٢٨٨ .

وهم الذين أثبتوا خالق ا لكل شيء ، وأنه سبحانه خالق أفعال العباد وأعمالهم ، ولكنهم لم يقروا للعبد بقدرة مؤثرة كاملة تمكّنه من الفعل ، فقـالوا بالكـسب ليخـالفوا الجبرية ، ولكن الكسب الذي قالوا به يؤول إلى الجبر ، ويلزم منه ما يلزم من الجبر ، وعليه ما على الجبر ، فالأشاعرة من الجبرية ، وقد وافقوهم على أصـل قـولهم وإن خالفوهم مخالفات لفظية .

وقد سبق بيان مذهب الأشاعرة وقولهم بالكسب كما سبق الرد عليهم بما أغنـى عن إعادته و الحمد والمنة [1].

القول الرابع : هو قول أهل السنة والجماعة :

وهم عسكر الإيمان ، وورثة الأنبياء ، فهم أسعد الناس في هذه المـسألة ، فلـم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض ، بل آمنوا بكل ما جاء مـن عنـد ا تعـالى ، فآمنوا بقضائه وقدره ومشيئته العامة النافذة ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لـم يكـن ، وأنه تبارك وتعالى خالقُ كل شيء وربه ومليكه بما في ذلك أفعال العباد ، وأنه سبحانه مقلب القلوب ومصرفها ، وأنه يهدي من يشاء بفضله ورحمته ، ويضل من يشاء بعدله وحكمته ، وهو الذي وفق أهلَ الطاعة لطاعته فأطاعوه ، وحال بين الكفـار وقلـوبهم فكفروا به ، ومن يهده ا فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وكما خلق ا العباد خلق أفعالهم ومقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم ، وهي تبع لقدرة ا سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله ، وأفعالهم التي خلقها ا قائمة بهم لائقة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وهي من آثار أفعال ا تعالى القائمة به اللائقة به المـضافة إليه حقيقة .

يقول ابن القيم رحمه ا تعالى : (فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهـم حقيقـة ، وهي مفعولة سبحانه مخلوقة له حقيقة ، والذي قام بالرب عزوجل علمـه وقدرتـه ومشيئته وتكوينه ، والذي قام بهم هو فعلهم وكـسبهم وحركـاتهم وسـكناتهم ، فهـم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة ، وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك ،

---

(1) راجع ص (٢٨٩) من هذا البحث .

القادر عليه ، الذي شاءه منهم ، وخلقه لهم ، ومشيئتهم وفعلهم بعد مـشيئة ا ، فمـا يشاءون إلا أن يشاء ا ، وما يفعلون إلا أن يشاء ا)[1] .

وقد وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم تنسب خلق ا لأفعال العباد منها :

قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾[2].

وقوله تعالى على لسان الخليل عليه الصلاة والسلام : ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3] .

فأخبر الخليل أنه سبحانه هو الذي يجعل المسلم مسلماً .

وقوله تعالى : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[5] .

وقولـه تعـالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6] .

وقوله تعلى : ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[7] .

---

(1) شفاء العليل ، لابن القيم : ١٥٢/١ .
(2) سورة الزمر ، آية : ٦٢ .
(3) سورة البقرة ، آية : ١٢٨ .
(4) سورة إبراهيم ، آية : ٤٠ .
(5) سورة الحديد ، آية : ٢٧ .
(6) سورة المائدة ، آية : ١٣ .
(7) سورة البقرة ، آية : ٢٥٠ .

وقولـه تعـالى : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾[3] .

إلى غير ذلك من آيات الكتاب الحكيم .

والحاصل أن جميع أفعال العباد هي مخلوقة تعالى ، فهذا الجعل والكف و الزيغ واللعن والإلهام والصبر وغيرها من الأفعال المضافة هي فعل تعالى مع سلامة فاعليها وصحتهم ، وهذا رد على القدرية .

ومع ذلك فالعباد لهم قدرة ولهم إرادة بها فعلوا أفعالهم ، وبها كلفوا وكانوا مسلمين طائعين وكانوا بها أئمة للهدى . وهذا رد على الجبرية .

وقد جاء في الحديث : (إن ا يصنع كل صانع وصنعته)[4].

وفي الصحيحين أنه ﷺ كان يقول بعد انقضاء صلاته : (لا إله إلا ا وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد)[5] .

---

(1) سورة النمل ، آية : ١٩ .

(2) سورة المائدة ، آية : ١١ .

(3) سورة الفتح ، آية : ٢٤ .

(4) خلق أفعال العباد للبخاري : ٢٥ .

(5) سبق تخريجه ص (١٩٥) .

وقال عليه الصلاة والسلام لأبي موسى : (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا با) [(١)] .

ومما يوضح هذا أن ا سبحانه وتعالى فاعل غير منفعل ، أما العبد فهو فاعـل منفعل للفاعل الذي لا ينفعل .

وهنا نقطة الخطأ عند الفرق المخالفة للسلف ، فمن أضـاف الفعـل والانفعـال كلاهما إلى المخلوق . فقد أخطأ ، وهو شهود القدرية النفاة ، فهم شهدوا كـون العبـد فاعلاً محضاً غير منفعل في فعله .

ومن أضاف الفعل والانفعال كلاهما إلى ا . فقد أخطأ ، وهو شهود الجبرية ، فقد شهدت كون العبد منفعلاً يجري عليه الحكم بمنزلة الآلة والمحل .

وكل من الطائفتين نظر بعين عوراء ، وكان فهمه قاصراً ، وكل منهما عنـده حق وباطل ، فكل دليل للقدرية يبين أن للعبد اختياراً وقدرة على فعله ، فهـو حـق ، وكل دليل للجبرية يدل على شمول مشيئة ا وعموم قدرته ، فهو حق ، فخذ الحق من كل طائفة وانبذ ما عدا ذلك .

وأهل السنة والجماعة وحزب ا وأنصار الرسالة ، هم الذين أضافوا الفعل إلى ا حقيقة وإلى المخلوق حقيقة ، كما أضافهما ا تعالى .

فقد أضاف سبحانه وتعالى كلاً من الفعلين إلى من قام به فقال عزوجل : ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾[(٢)] . فأضاف الهداية إليه تعالى حقيقة ، وأضاف الاهتداء إلى العبـد حقيقـة ، وكما أن الهادي تعالى ليس هو عين المهتدي ، فكذلك ليست الهداية هي عين الاهتداء .

(1) سبق تخريجه ص (١٩٤) .

(2) سورة الكهف ، آية : ١٧ .

وقوله تعـالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(1) .

فالتسيير فعله ، والسير فعل العباد ، وهو أثر التسيير .

وقولـه تعـالى : ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾(٢).

فالتجنيب فعله سبحانه وتعالى ، والاجتناب هو فعل الخليل عليه السلام ، وهـو أثر فعل ا ، ولا سبيل إلى فعل الخليل إلا بعد فعل ا ، ولذلك دعا ربه وسأله تجنيبه عبادتها .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾(٣).

فالضحك والبكاء فعلان اختياريان ، وهو سبحانه المضحك المبكـي حقيقـة ، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة .

وقوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِى ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(٤) .

فأخبر سبحانه وتعالى أن تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين هو فعلـه ، وأمـا الثبات والضلال فهي أفعالهم(5) .

فإذا قيل : هل يصح أن يقال : أقتل ا العبد وأسرقه وأزناه ؟

ويكون المعنى : أن العبد هو الذي سرق وقتل وزنى وهو أثر فعل ا فيه .

---

(1) سورة يونس ، آية : ٢٢ .

(2) سورة إبراهيم ، آية : ٣٥ .

(3) سورة النجم ، آية : ٤٣ .

(4) سورة إبراهيم ، آية : ٢٧ .

(5) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ١٦٦/١ وما بعدها ، ص ٣٣٩ وما بعدها .

فنقول : إن ذلك اللفظ لم يرد في لغة العرب ، فلا يقال : أزنـى ا الرجـل ، وأسرقه ، وأشربه ، ولكن في لغتهم أقامه وأقعده وأنطقه وأضحكه ، ولكن ذلك لا يمنع من جعله يسرق ويزني .

فالذنب الذي يحدثه الإنسان إنما هو عقوبة له على ذنب سبقه ، والـذنب الأول هو عقوبة على ترك ما خلق له وفطر عليه ، فإن ترك عبادة ا ومحبته والإنابة إليـه ذنب بترك ما خلق العبد له وفطر عليه ، فعوقب بأن زين له الشيطان ما يفعلـه مـن المعاصي . وهذا العدم الذي عوقب عليه إنما هو ستر محض لا يعود إلى ا سـبحانه وتعالى ، وهو أمر عدمي وليس وجودياً فلا يحتاج إلى فاعل .

والعبد هو الفاعل وهو الذي أوجد المعصية وأحدثها وأبرزها من العـدم إلـى الوجود بإقدار ا له من غير إلجاء ولا إضطرار ، وا خالق هذه الأفعال باعتبار ما خلق في العبد من الإرادة والمشيئة والقدرة ، فالعبد في جملته مخلوق تعـالى ، وا خلقه على نشأة وصفة يتمكن بها من إحداث إرادته وأفعاله ، وتلك النـشأة بقـدرة ا وإرادته وهي من تكوينه سبحانه ، وا جعله محدثاً لأفعاله ، وبذلك أمره ونهاه وأقـام عليه حجته ، وعرضه للثواب ، فأمره بما هو متمكن من فعله ونهاه عما هو متمكن من تركه ، ورتب سبحانه وتعالى ثوابه وعقابه على هذه الأفعال ، وجعل المـدح والـذم عليها .

وا سبحانه وتعالى له في عباده عقوبتان :-

إحداهما : جعله مذنباً خاطئاً ، وهذه هي العقوبة على عدم إخلاصـه ومحبتـه وعبادته وحده ، وقد لا يحس العبد بألمها ومضرتها لموافقتها شـهواته وإرادتـه ، وهي في الحقيقة أعظم العقوبات .

الثانية : العقوبة المؤلمة بعد فعله للسيئات .

وقد قرن ا هاتين العقوبتين في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[1] . فهذه العقوبة الأولى : ثم قال : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[2] . وهذه العقوبة الثانية [3] .

والمقصود : أن الذنوب هي عقوبة على ذنوب قبلها ، فالذنب يكسب الذنب ، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [5] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [6] .

وسيأتي بيان ذلك إن شاء ا تعالى[7].

أما الطاعة والأعمال الصالحة التي يفعلها العبد من الإخلاص والمحبة والإنابة والخضوع ، والذل والخوف والرجاء فهذه محض منة من ا وفضل ، وهو الخير الذي بيده سبحانه يؤتيه من يشاء من عباده ، قال تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

(1) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ٤٤ .

(2) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ٤٤ .

(3) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٤٤٠ – ٤٤١ .

(4) سورة الصف ، آية : ٥ .

(5) سورة التوبة ، آية : ٧٧ .

(6) سورة التوبة ، آية : ١٢٧ .

(7) انظر ص (٦٩٦) من هذا البحث .

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [1] .

ولا يكون سبحانه وتعالى بمنع هذا الفضل عن بعض عباده ظالماً ، لأنه ليس حقاً لهم ، بل هو محض فضل الله وإحسانه ، والظلم الذي حرمه الرب تبارك وتعالى على نفسه هو أن يمنع أحداً حقاً له ، فمنع الحق ظلم ، ومنع الفضل والإحسان عدل ، وهو محض منته وفضله ، ومن أعظم الخير الذي بيده ، والخير كله بيده .

فله الحكمة في عطائه ومنعه وتخصيصه وحرمانه وخلقه وأمره وثوابه وعقابه ولو كشف الله بصيرة العبد فأبصر طرفاً يسيراً من حكمته البالغة لاستدل بما علمه على ما لم يعلمه . وليس من مصلحة العبد أن يعلم تفاصيل حكمته سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه وتعالى أعلم بالمحل الذي يصلح للخير والفضل ، والمحل الذي لا يصلح لذلك .

قال الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [3] .

وكما قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [4] .

---

(1) سورة الحديد ، آية : ٢١ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ٥٣ .

(3) سورة الأنعام ، آية : ١٢٤.

(4) سورة المائدة ، آية : ١١٨.

فلم يقل : إنك أنت الغفور الرحيم بل قال : إنك أنت العزيز الحكيم ، لأن المقام يقتضي إثبات كمال حكمة ا في أفعاله سبحانه ، وكمال عزه وقهره وسلطانه تبـارك وتعالى، فإنه سبحانه يعذب عباده أو يغفر لهم بحكمته البالغة التي لا تدركها العقول .

وصدق ا العظيم إذ يقول : ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (1) فمع أن ناصية كل دابة بيده ، لا تتحرك إلا بإذنه ، ولا تفعل إلا بمشيئته فهو المتصرف فيها ، وهو في تـصرفه ونفـوذ قـضائه وقدره فيها على صراط مستقيم ، لا يفعل إلا بحكمة وعدل ومصلحة (٢) .

وإذا فهم هذا فقد فُصل النزاع بين الطائفتين المخالفتين لمذهب الـسلف ، فـا خالق العبد وفاطره ومنشئه ، وخالق قدرته وأفعاله وإرادته ، والعبد هو فاعـل فعلـه حقيقة بإقدار ا له ، فالفعل الذي وقع من العبد هو فعل للعبد قائم به حقيقة وهو فعـل ا حقيقة ، والعبد فاعل منفعل بفعله سبحانه وتعالى ، ولا فعل للعبد إلا بإفعـال ا تبارك وتعالى له .

فإن فعل العبد سبب في وقوع الفعل وإخراجه إلى الوجود ، وذلك السبب يحتاج إلى أسباب كثيرة حتى يتمكن من الخروج والوقوع في الأعيان .

فالسبب الأول هو الذي أخرجه من الجبر وأدخله في العدل ، والسبب الثاني هو الذي أخرجه من الشرك والتعطيل وأدخله في التوحيد .

وبذلك أثبت السلف التوحيد والعدل معاً ولم يكونوا ممن نقض العـدل بالتوحيـد ولا من الذين نقضوا التوحيد بالعدل (٣) .

والمقصود أنه سبحانه وتعالى شملت مشيئته كل الوجود ، وعمت قدرتـه كـل خلقه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . فلا يحدث في هذا الكون من شـيء إلا قـد علمه ا تبارك وتعالى وكتبه وشاءه وخلقه بحكمة بالغة وحجة داحضة .

---

(1) سورة هود ، آية : ٥٦ .

(2) انظر مدارج السالكين ، لابن القيم : ٢٨/١ .

(3) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٣٧٤/١ .

وهنا تنتهي معرفة البشر بالقدر .

وكما أننا نؤمن بذات ا سبحانه وتعالى، فإننا نؤمن بأن أسماءه كلها حـسنى ، وصفاته كلها صفات كمال ، وأفعاله كلها أفعال حكيمة ، وإن لم نكن نعلم تفاصيل ذلك.

يقول ابن تيمية رحمه ا : (فكل ما فعله علمنا أن له فيه حكمة ، وهذا يكفينـا من حيث الجملة وإن لم نعرف التفاصيل ، وعدم علمنا بتفصيل حكمته بمنزلـة عـدم علمنا بكيفية ذاته ، وكما أن ثبوت صفات الكمال له معلوم لنا ، وأماكُنْه ذاتـه فغيـر معلومة لنا ، فلا نكذب بما علمناه ما لم نعلمه) [1] .

ونخلص من ذلك إلى قول ما يلي :

- إن ما يجريه ا تبارك وتعالى من فعله في مخلوقاته فهذا لا اختيـار لأحـد فيـه ، كإنزال المطر ، وإنبات الزرع ، والإحياء والإماتة ، وهذه لا خلاف في أنه لا اختيار لأحد فيها .

- إن ما تفعله الخلائق كلهـا مـن ذوات الإرادة فهـذه الأفعـال تكـون باختيـارهم وإرادتهم ، لأن ا تعالى هو الذي جعل ذلك لهم ، وهو الذي خلق الإرادة فيهم ، كمـا قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [2].

- إن هذه المخلوقات من ذوات الإرادة قد يحصل لهم أفعال اضطرارية مثـل بعـض الأمراض من الرعشة ، والحمى ، وسلس البول ، أو بعض الحركـات التـي تكـون خارجة عن إرادتهم مثل السقوط من أعلى إلى أسفل ، فهذه أفعال تكون منهم ، ولكنها خارجة عن إرادتهم ، والإنسان يعرف الفرق بين الفعلين وأن الأول اختيـار والثـاني

---

(1) مجموعة الفتاوى : ٧٥/٦ .

(2) سورة الكهف ، آية : ٢٩ .

إجبار . والإنسان مسئول عن فعله الاختياري وهو المثاب المعاقب عليه ، مع أن هـذا الفعل لا يخرج عن مقدورات الله تعالى[1] .

المبحث الثاني :

(1) انظر القضاء والقدر ، لابن عثيمين : ١٠٨ وما بعدها .

علاقة العدل الإلهي بالحسن والقبح.

تعريف الحُسن والقبح في اللغة :

يقول الجوهري : (الحسن : نقيض القبح ، والجمع محاسن ، على غير قياس ، وحسنت الشيء تحسيناً زينته وأحسنت إليه به .

والقبح : نقيض الحسن ، وقد قَبح قباحة فهو قبيح ، وقبحه ا أي نحـاه عـن الخير ، فهو من المقبوحين ، يقال : قبحاً له ، وقبحاً أيضاً وأقبح فلان : أتى بقبـيح ، واستقبحه رآه قبيحاً والاستقباح : ضد الاستحسان ... وقبح عليه فعله تقبيحاً) [(١)].

وقال ابن منظور : (الحسن : ضد القبح ونقيضه ، والحسن نعت لما حـسن ، والقُبح ضد الحسن يكون في الصورة ، ... قال الأزهري : هو نقيض الحسن ، عـام في كل شيء) [(٢)].

قال الفيروزآبادي : (الحسن بالضم الجمال : وهو عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه) [(٣)].

---

(١) الصحاح ، للجوهري : ٢٠٩٩/٥ ، ٣٩٤/١.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور : ١١٤/١٣ وما بعدها ، ٥٥٢/٢ .

(٤) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ٢١٣/٤ ، ٢٤١/١ .

ومن الواضح بعد هذا العرض أن الحسن والقبح ضدان ، وقد فسر اللغويون الحسن بأنه نقيض القبح ، إضافة إلى أنهم قد ذكروا بأن الحسن معناه التزيين والتجميل، وأنه عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه ، أما القبيح فلم يزيدوا على قولهم بأنه ضد الحسن أو أنه نقيض الحسن ، ولم يذكروا له معنى.

ويبدو أن ذلك لوضوحه فبضدها تتميز الأشياء ، فإذا فهم الحسن فهم ضده وهو القبح.

وقد ورد لفظ الحسن وما يشتق منه في القرآن الكريم في عدة آيات :

منها قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ (1).

وقال تعالى : ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (2).

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ (3).

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٤.

(2) سورة آل عمران ، آية : ١٩٥.

(3) سورة البقرة ، آية : ٨٣.

وقوله تعـالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [1].

وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [4].

وقال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [5].

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [6].

إلى غير ذلك من الآيات التي ورد فيها لفظ (الحسن) .

أما لفظ (القبح) فلم يرد إلا مرة واحدة في القرآن الكريم في قولـه تعـالى : ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةًۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ [1].

---

(٤) سورة الكهف ، آية : ٨٦.

(٥) سورة العنكبوت ، آية : ٨.

(١) سورة آل عمران ، آية : ٣٧.

(٢) سورة الحديد ، آية : ١١.

(٣) سورة الأنعام ، آية : ١٦٠.

(٤) سورة الزمر ، آية : ١٠.

يقول الرازي : (ويبن أنهم يوم القيامة من المقبوحين أي المبعدين الملعـونين) والقبح هو الإبعاد ، قال الليث : يقال قبحه ا ، أي نحاه عن كل خيـر ، وقـال ابـن عباس رضي ا عنهما : من المشئومين بسواد الوجه وزرقة العين ، وعلى الجملة فالأولون حملوا القبح على القبح الروحاني وهو الطرد من رحمة ا تعالى ، والباقون حملـوه علـى القبح في الصور ، وقيل : إنه تعالى يقبح صورهم ويقـبح علـيهم عملهـم ويجمـع بـين الفضيحتين)[٢].

والحسن على ثلاثة أضرب : مستحسن من جهة العقل ، ومستحسن مـن جهـة الهوى ، ومستحسن من جهة الحسن ، والحسن أكثر ما يقال في تعارف العامـة فـي المستحسن بالبصر ، يقال رجل حسن ، ... وامرأة حسناء ، وأكثر ما جاء في القـرآن فاللمستحسن من جهة البصيرة)[٣].

والقبح وإن لم يرد إلا مرة واحدة في القرآن فإنه قـد ورد مـا يـساويه وهـو (السيئة) فإن السيئة نقيض الحسنة.

وقد ورد اقتران لفظ السيئة بالحسنة للدلالة على عكس المعنى في عدد من آيات القرآن الكريم ، مما يدل على أنهما ضدان ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [٤].

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٥].

---

(٥) سورة القصص ، آية : ٤٢.

(١) التفسير الكبير : ١٢/ ٢٥٥.

(٢) انظر بصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي : ٤٦٤/٢ -٤٦٥ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٢٠.

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٩٥.

يقول الفيروزآبادي : (والحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادها ، وقوله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [1] أي خصب وسعة وظفر ، ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي جدب وضيق وقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [2] أي ثواب ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ [3] أي عذاب) [4].

الحسن والقبح في الاصطلاح :

لم أقف على تعريف مصطلح عليه عند السلف لكون الفعل حسناً أو قبيحاً.

ولكن الواضح من أقوالهم أن الفعل الحسن عندهم هو ما كان صفة كمال ملائـم للطبع ومتعلـق المدح به ، والفعل القبيح ما كان صفة نقص منافر للطبع ومتعلق الذم به ، مع مراعاة الأحوال والاعتبارات مما يجعل الفعل يقتضي المـصلحة أو المفـسدة في حال دون حال ، وعدم تعليق الثواب أو العقاب بالأفعال إلا بعد ورود الشرع[5].

وكذلك المعتزلة فقد ذهبوا إلى أن حسن الفعل أو قبحه إنما يدرك بوقوعه علـى وجه ، متى وقع عليه عرف قبحه أو حسنه ، وعرف استحقاق فاعله للمدح أو الذم أو الثواب أو العقاب[6].

---

(5) سورة النساء ، آية : ٧٨.

(١) سورة النساء ، آية : ٧٩.

(٢) سورة النساء ، آية : ٧٩.

(٣) بصائر ذوي التمييز : ٢ / ٤٦٥.

(٤) انظر الرد على المنطقين ، لابن تيمية : ٤٢٢ ، ومفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٢/ ٢٨، ٦٤، ٦٥.

(٥) انظر شرح الأصول الخمسة : ٣١٠ ، والمحيط بالتكليف : ٢٣٦.

أما الأشاعرة فإنهم يعرفون الحسن بأنه كون الشيء ملائماً للطبع والفرح وكون الشيء صفة كمال كالعلم ، وكون الشيء متعلق المدح كالعبادات ، والحسن هـو مـا يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل[١].

ومن الأشاعرة من نفى ذاتية الحسن والقبح للأفعال ، بل جعل الحسن ما أمر به الشرع ، والقبح ما نهى عنه الشرع ، وهذا هو المشهور عنهم[٢].

ومسألة الحسن والقبح للأفعال مسألة خلافية بين الفرق.

فالمعتزلة ومن وافقهم ممن يبالغون في تعظيم العقل ورفعه وتحكيمه فـي كـل الأمور ، أثبتوا الحسن والقبح كصفات ذاتية للأفعال ، ونفوا توقف العلم بالحسن والقبح وإدراكهما على وورد الشرع ، وجعلوا الشرع كاشفاً فقط عما في الأفعال من حسن أو قبح . وهذا ليس صحيحاً من كل وجه.

ويكمن الخطأ عندهم في اعتمادهم على العقل وحده في إدراك الحسن والقـبح ، فالعقل قد يعجز عن إدراك بعض الأشياء ، وقد تغيب عنه ، وذلك لما يعتري الإنـسان من علل كالمرض والكبر والوهم وغيره ، كما أن العقل يخضع للتأثيرات المحيطة بـه من العوامل الاجتماعية والنفسية والبيئية ، فالعقول تختلف في أحكامها بالحسن والقـبح باختلاف العوامل والتأثيرات ، ولذلك لا يصح الاعتماد على العقل في إدراك الحـسن والقبح دون الرجوع إلى الشرع.

وإذا كان قول المعتزلة هذا ينطبق عندهم على أفعال ا   فهذا أكبر خطأ وأعظم فداحة ، وهذا ما وقع منهم بالفعل حيث قاسوا أفعال ا   على أفعال العباد ، وجعلوا مـا يحسن من العبد يحسن من ا   ، وما يقبح من العبد يقبح من ا   ، ولزمهم مـن ذلـك لوازم باطلة ، منها إخراج أفعال العباد عن مخلوقات ا   لأن منها مـا هـو قبـيح ، وترتيب الثواب والعقاب على ما في الأفعال من حسن أو قـبح قبـل ورود الـشرع ، وقولهم بالإيجاب العقلي على ا   ، وأنه يجب عليه فعل كل ما هو حسن وترك كل مـا

---

(٦) التعريفات ، للجرجاني : ٧٧.

(٧) انظر ص (٢١٩) من هذا البحث .

هو قبيح ، ولذلك جاء مفهوم العدل الإلهي عندهم مستنداً على ذلك ، وقد تقدم ذكر مذهب المعتزلة وأدلتهم والرد عليهم [١] .

والصواب أن العقل يدرك الحسن والقبح في بعض الأفعال وليس في كلها ، والخطأ عند إطلاق ذلك على كل الأمور حتى أفعال الله ، ثم ترتيب الثواب العقاب على إدراكات العقل دون النظر إلى الشرع ، فما حسنه العقل فإن صاحبه مثاب على فعله في الآخرة ، وما قبحه العقل فإن صاحبه معاقب عليه في الآخرة ، وهذا في غاية الفساد والتعالي على الله تبارك وتعالى.

أما الأشاعرة ومن وافقهم فكانوا على النقيض تماماً من المعتزلة ، فقد نفوا أن يكون للأفعال صفات ذاتية ، وجعلوا ما أمر الشرع به هو الحسن ، وما نهى عنه هو القبيح ، ولا حسن عندهم ولا قبح إلا بعد ورود الشرع.

والحق غير ذلك فإن للأفعال صفات ذاتية يدرك العقل حسنها أو قبحها قبل أن يأمر الشرع بها أو ينهى عنها ، وإنما العقل قاصر عن معرفة أمر الله بها أو نهيه عنها إلا بأمر الشرع ، فأوامر الشرع ونواهيه تأتي كثيراً معللة بما في الأفعال من معاني الحسن والقبح ترغيباً فيها أو زجراً عنها.

ومذهب الأشاعرة هذا يلزمه لوازم باطلة ، منها تجويز أمر الله تعالى بما نهى عنه ونهيه عما أمر به ، وقد تقدم ذكر أدلة الأشاعرة والرد عليهم[٢].

وأما أهل السنة والجماعة فهم وسط بين الفرق ، لم يبالغوا في تعظيم العقل ورفعه أكثر من قدره كما فعلت المعتزلة ، ولم يعطلوا عمل العقل تماماً ويسلبوا قدرته على التفكير والتمييز كما فعل الأشاعرة ، وإنما أعطوا كل ذي حق حقه ، فهم يثبتون الحسن والقبح كصفات ذاتية لبعض الأفعال التي تعلم بالعقل ، كحسن العدل والصدق وقبح الظلم والكذب ، ولكنهم لا يرتبون التكليف والثواب والعقاب على هذه الصفات من الحسن والقبح إلا بعد ورود الشرع ، يقول ابن القيم رحمه الله : (والحق الذي لا يجد

---

(١) راجع ص (١٣٥) من هذا البحث .

(١) راجع ص (٢٥٦) من هذا البحث.

التناقض إليه سبيلاً أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة ، كما أنها نافعة وضارة ، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بأمر أو نهي ، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكـون قبيحاً موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه ، بل هو في غاية القبح ، وا لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل ، فالسجود للشيطان والأوثان والكذب والزنا والظلم والفواحش كلهـا قبيحة في ذاتها ، والعقاب عليها مشروط بالشرع) [1].

فالصواب هو إثبات صفات ذاتية للفعل من الحسن أو القـبح ، وإثبـات عـدم التلازم بين هذه الصفات وبين الثواب والعقاب إلا بعد ورود الشرع بالأمر أو النهي.

والحسن والقبح الذاتيان هو ما تتصف به الأفعال من صفات الكمـال الملائمـة للفطرة ، أو صفات النقص المنافرة للفطرة ، فلا يكون الفعل حسناً إلا وهـو متـصف بالكمال وملائم للفطرة ، ولا يكون قبيحاً إلا وهو متصف بالنقص ومنـافر للفطـرة ، فالعدل والصدق أفعال لا يمكن تصورها إلا من حيث إنها متصفة بالكمال ، فهي أفعال حسنة ، والظلم والكذب أفعال لا يمكن تصورها إلا من حيث إنها متصفة بالنقص فهي أفعال قبيحة.

وإنما تكون الأفعال حسنة وقبيحة لما يترتب عليها من المصلحة أو المفـسدة ، فالفعل الحسن متصف بالكمال وملائم للفطرة لما يترتب عليه من المصلحة ، والفعـل القبيح متصف بالنقص ومنافر للفطرة لما يترتب عليه من المفسدة.

وذلك لأنه ليس للأفعال وجود مستقل عن الفاعل تكون به كاملة أو ناقصة فـي ذاتها ، وإنما يكون كمالها ونقصانها من حيث هي مقتضية لمصلحة الفاعل أو مفسدته.

وعلى ذلك فإن المصلحة أو المفسدة قد تكون ملازمة لبعض الأفعال ، بحيث لا يمكن تصورها إلا من حيث هي مقتضية للمصلحة أو مقتضية للمفسدة ، وهذه الأفعال لا يمكن أن يرد فيها النسخ مثل الإيمان با أو الكفر به . أما الأفعـال التـي يكـون تضمنها للمصلحة أو المفسدة في حال دون حال ، فإنها تكون حسنة في حال اقتضائها

---

(٢) مدارج السالكين ، لابن القيم : ٢٣١/١-٢٣٢.

للمصلحة ، وقبيحة في حال اقتضائها للمفسدة ، وهذه الأفعال هي التي يجـري فيهـا النسخ.

وعلى ذلك فإن ذاتية الحسن والقبح للفعل لا تستلزم عدم انفكاكها عنه بحـال ، وإنما تقتضي أنها متعلقة به باقتضائها للمصلحة أو المفسدة.

وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية رحمه ا ، وأكد على أن الحسن والقبح إنما يدرك بالوجوه والاعتبارات ، يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (من الناس مـن يظـن أن الحسن والقبح صفة لازمة للموصوف ، وأن معنى كون الحسن صفة ذاتية لـه ، هـذا معناه ، وليس الأمر كذلك ، بل قد يكون الشيء حسناً في حال ، قبيحاً في حال ، كمـا يكون نافعاً ومحبوباً في حال ، وضاراً وبغيضاً في حال ، والحسن والقبح يرجع إلـى هذا ، وكذلك يكون حسناً في حال ، وسيئاً في حال ، باعتبار تغير الصفات) [1].

ويقول ابن القيم رحمه ا تعالى : (إن كون الفعل حسناً أو قبيحاً لذاته أو لصفة ، لم يعن به أن ذلك يقوم بحقيقة لا ينفك عنها بحال ... ، وإنما نعني بكونه حسناً ، أو قبيحاً لذاته ، أو لصفته ، أنه في نفسه منشأ للمصلحة والمفسدة ، وترتبهـا عليـه كترتـب المسببات على أسبابها المقتضية لها ، وهذا كترتب الري على الشرب ، والشبع علـى الأكل ، وترتب منافع الأغذية والأدوية ومضادها....، فإن ترتب آثارها عليها كترتـب المعلولات والمسببات على عللها وأسبابها ، ومع ذلك فإنها تختلف باختلاف الأزمـان والأحوال ، والأماكن ، والمحل القابل ، ووجود المعارض) [2].

وكون الحسن والقبح ذاتيين بهذا التوجيه صحيح ، ولا يمنع من إدراك الحـسن والقبح عقلاً ، لأن حد الأمور النسبية أو التي فيها جهات إضافية نسبية ، يكون بـذكر تلك القيود الاعتبارية الإضافية ، وإلا لما صح في الذهن حقيقة عقلية ، إذ غالب العلوم والمعارف من هذا القبيل.

---

(١) الرد على المنطقيين ، لابن تيمية : ٤٢٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٢/ ٢٨، ٦٤، ٦٥.

ولذلك فقد ذهب ابن تيمية إلى إثبات الحسن والقبح العقليين لـبعض الأفعـال ، دون بعض . وإن الحسن والقبح قد يثبتان بمجرد نص الشارع ، فيكتسب الفعل صـفة الحسن والقبح به ، فإذا أمر الشارع بشيء صار حسناً ، وإذا نهى عن شـيء صـار قبيحاً ، وهذا كالأمر بكثير من العبادات غير معقولة المعنى.

وكذلك إذا جاء الشارع امتحاناً للعبد هل يطيعه أم يعصيه ؟ كما أمـر سـبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه.

فالحكمة في هذين الأمرين من نفس الأمر ، لا من نفس المأمور[1].

وقول ابن تيمية : إن من الأفعال ما لا يدرك حسنها بالعقل لا ينفى ثبوت الحسن والقبح العقليين ، فالحسن والقبح ثابتان ، والتحريم والوجوب بنص الشرع وخطابـه ، والثواب والعقاب بعد الإرسال والبعثة ، وهذا ما نقله ابن قاضي الجبل[2] حيث قـال : قال شيخنا – يعني ابن تيمية – وغيره : الحسن والقبح ثابتان ، والإيجـاب والتحـريم بالخطاب ، والتعذيب متوقف على الإرسال [3].

ويدل على إثبات الحسن والقبح الذاتين للأفعال ما يلي :

أولاً : الضرورة الفطرية :

فإن ملاءمة الأفعال أو منافرتها للفطرة لابد من أن يستند إلى ما للأفعـال مـن صفات ذاتية اقتضت أن تكون ملائمة للفطرة أو منافرة لها ، ولو لـم يكـن للأفعـال صفات ذاتية من الحسن أو القبح بل كانت متساوية في صفاتها، للزم أن لا يكون بينها فرق بمقتضى الإدراك الفطري.

ودلالة الفطرة على حسن الأفعال وقبحها ضرورية.

---

(٣) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨/ ٤٣٥-٤٣٦ ، ومجموعة الرسائل والمسائل ، لابن تيمية : ١٨٣/٤.

(١) أحمد بن الحسن بن عبد ا بن قدامة ، جمال الإسلام ، شرف الدين ، ابن قاضي الجبل ، شيخ الحنابلـة فـي عصره ، أصله من القدس ، ولد سنة ٦٩٣هـ ، وتوفي سنة ٧٧١هـ . انظـر الـدرر الكامنـة : ١٢٠/١ ، الأعلام : ١١١/٥ .

(٢) شرح الكوكب المنير ، لابن قاضي الجبل : ٢٠٣/١.

ويلزم من ذلك أن تكون الصفات الذاتية للأفعال من الحسن أو القبح ثابتـة لهـا بالضرورة[١].

ثانياً : دلالة النصوص الشرعية :

فقد جاءت آيات في القرآن الكريم تدل على أن الأمـر والنهـي فـي الأحكـام الشرعية يكون مطابقاً لصفات ثابتة للأفعال قبل ورود الشرع.

فما أمر ا به فلا بد أن يكون أمراً حسناً فيه مصلحة لأمر يعود إليه لذاته ، لا لمجرد أن ا تعالى قد أمر به فصار حسناً ، ومع ذلك فإن هذا الأمر يزيده حسناً آخر إضافة إلى حسنه الذاتي ، وكذلك ما نهى عنه فلا بد أن يكون أمراً قبيحاً فيـه مفـسدة لأمر يعود إليه لذاته ، لا لمجرد أن ا تعالى قد نهى عنه فصار قبيحاً ، ومع ذلك فإن هذا النهي يزيده قبحاً إلى قبحه الذاتي[٢].

ومن هذه الآيات قوله تعـالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [٣].

فدلت الآية على إثبات الحسن والقبح الذاتيين للأفعال قبل ورود الـشرع ، فقـد ذكر ا المعروف والمنكر والطيبات والخبائث وهي أوصاف ذاتية ثابتة للأفعال قبـل ورود الشرع ، فالمعروف هو ما تعرفه الفطر السليمة وتقره العقول ، والمنكـر هـو الذي تنكره ولا تقبله ، وكذلك الطيبات والخبائث ، فإن الأفعال تكون طيبة أو خبيثة لما لها من أوصاف ذاتية ثابتة لها.

---

(٣) انظر المعرفة في الإسلام ، لعبد ا القرني : ٢٧٣-٢٧٤.

(١) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٤٣٤/٨-٤٣٦.

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧.

يقول ابن القيم رحمه ا : (فهذا صريح في أن الحلال كان طيباً قبل حله وأن الخبيث كان خبيثاً قبل تحريمه ، ولم يستفد طيب هذا وخبث هـذا مـن نفـس الحـل والتحريم)[1].

وقد جعل ا هذا أمره فيما هو حسن في الفطر والعقول ، ونهيـه عمـا هـو مستقبح في الفطر والعقول ، فأثبت أنه أحل ما هو طيب في نفسه قبـل الحـل فـزاد بإحلاله له طيباً آخر ، وحرم ما هو خبيث في نفسه قبل الحرمة فزاد بتحريمه له خبثاً آخر [2] .

يقول السعدي رحمه ا تعالى في تفسير هذه الآية : (" أنه يأمرهم بالمعروف " وهو كل ما عرف حسنه وصلاحه ونفعه . و" ينهاهم عن المنكر " وهو: كل ما عرف قبحه في العقول والفطر فيأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم ، والحج ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والإحسان إلى الجار والمملوك ، وبذل النفع لسائر الخلق ، والـصدق ، والعفاف ، والبر ، والنصيحة ، وما أشبه ذلك ، وينهى عن الشرك با ، وقتل الـنفس بغير حق ، والزنا ، وشرب ما يسكر العقل ، والظلم لسائر الخلق ، والكذب والفجور ، ونحو ذلك . فأعظم دليل على أنه رسول ا ، ما دعا إليه ، وأمر به ، ونهى عنـه ، وأحله وحرمه) [3].

وقد جاءت نصوص القرآن الكريم مقررة للحسن والقبح الذاتيين للأفعـال قبـل ورود الشرع بالأمر أو النهي.

وقد جاء هذا الإقرار بعدة صور:

الطريقة الأولى : جعل ا تبارك وتعالى أوامره بما هو حسن ونواهيه عما هو قبيح دليلاً على صدق نبوة محمد ﷺ .

---

(٣) مفتاح دار السعادة : ٣٥٧/٢.

(٤) انظر المصدر نفسه : ٣٥٧/٢ .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي : ٢٦٨.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (1) . ولو كان الطيب والخبيث إنما استفادا التحريم أو التحليل لم يكن في ذلك دليل على صدق نبوته صلى ا عليه وسلم ، فهو بمثابة أن يقال : يحل لهم ما يحل ويحرم عليهم ما يحرم ، وهذا لا فائدة فيه (2) .

ولهذا لما سأل هرقل أبا سفيان عن أدلة نبوة محمد ﷺ ، سأله عما يأمر به النبي ﷺ فقال : بم يأمركم ؟ قال : يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف ، فجعل ما يأمر به أدلة نبوته ، فإن أكذب الخلق هو من ادعى النبوة وهو كاذب على ا ، فيأمر بما يليق بكذبه وفجوره.

أما الصادق البار فهو أصدق الخلق وأبرهم ، فدعوته تليق به ، فهي أكمل وأشرف وأجل دعوة ، والعقول تشهد بحسنها وكمالها.

ولو كانت الأفعال سواء لا فرق فيها بين الحسن والقبح ، لم يكن هناك فرق فيما يجوز أن يدعو إليه الرسول وما لا يجوز.

ومثل ذلك سؤال النجاشي لجعفر وأصحابه.

فالرسل تدعو إلى الأفعال الحسنة ، وتنهى عن الأفعال القبيحة ، وذلك آية صدقهم ودليل رسالتهم ، وهو عند أولي الألباب أعظم من مجرد خوارق العادات(3).

الطريقة الثانية : بين ا تعالى أن فحش الأفعال وقبحها هو سبب تحريمها ، وأنها في نفسها قبيحة قبل النهي عنها ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ

---

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧.

(٣) انظر مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ٣٥٧/٢ .

(١) انظر مفتاح دار السعادة : ٣٦٣/٢.

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

فدلت الآية على أن هذه الأفعال فواحش في نفسها تستقبحها العقول ولا تستحسنها ، ولذلك تعلق التحريم بها لفحشها ، وأنه سبحانه حرمها لكونها فواحش.

وهذا هو علة تحريمها ، والعلة يجب أن تغاير المعلول ، ولو كان معنى فاحشة أنها منهي عنها ما كانت العلة غير المعلول (٢).

ومن هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (٣).

فالمنهي عنه وهو (الزنا) هو فاحشة في نفسه مستقبح لذاته ، وليس كونه فاحشة لأنه منهي عنه ، ولو صح ذلك لكان تعليلاً للشيء بنفسه وهذا لا فائدة فيه.

الطريقة الثالثة : احتجاجه تبارك وتعالى على فساد مذهب من عبد غيره بالأدلة العقلية التي تقبلها الفطر والعقول ، وجعله تبارك وتعالى ما ركبه في العقول من حسن عبادة ا وقبح عبادة غيره من أعظم الأدلة على ذلك . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢ ﴾ (٤).

فذكر سبحانه ضروب نعمه على عباده منبهاً بذلك على استقرار حسن عبادة ا واهب هذه النعم في الفطر والعقول ، وقبح الإشراك به وعبادة غيره.

---

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٣٣.

(٣) انظر مفتاح دار السعادة : ٣٥٨/٢.

(٤) سورة الإسراء ، آية : ٣٢.

(١) سورة البقرة ، آية : ٢١-٢٢.

ومن هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤ ﴾ [1].

فذكر سبحانه مثلاً ضربه لهم من عقولهم ليدلهم على أن هذا الذي يدعون من دون ا على صفة وهيئة مستقر قبحها في كل عقل وإن لم يرد به شرع ، ولذلك فعبادته أيضاً مستقر قبحها في العقل والفطر ، بخلاف عبادة ا وحده فإنه مستقر حسنها في العقل والفطر.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2].

وهذا مثل ذكره سبحانه لمن عبده وحده ولمن عبد آلهة متعددة : فلا يستوي أمر الاثنين في العقول ، فإن العقل يدرك حسن عبادة ا وحده وقبح عبادة غيره معه [3].

كما أنه سبحانه أنكر التسوية بين الأبرار والفجار فقال عز سبحانه : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [4].

ومثل ذاك قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [5].

فأخبر سبحانه أن هذا حكم سيء وأمر قبيح معلوم قبحه في العقول ينزه ا عنه . ولم ينكره سبحانه من جهة أنه لا يكون ، وإنما لقبحه لذاته ، وذلك لأنه مناف لحكمته سبحانه وكمال عدله.

---

(٢) سورة الحج ، آية : ٧٣.

(٣) سورة الزمر ، آية : ٢٩.

(١) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم : ٢ /٣٥٩ – ٣٦٠.

(٢) سورة ص ، آية : ٢٨.

(٣) سورة الجاثية ، آية : ٢١.

وكذلك أنكر سبحانه أن يكون خلقه عبثاً وسـدى فقـال : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦ ﴾ (٢).

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يترك عباده هملاً بلا أمر ولا نهي ولا ثـواب ولا عقاب ، فإن ذلك مستقبح في العقل ، ولا يليق أن ينسب إلى ا سبحانه وتعالى لأن فيه نسبة العبث إليه ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

أما السنة فقد تقدمت أحاديث تدل على ثبوت الحسن والقبح الذاتيين للأفعال ومن ذلك : حديث النواس بن سمعان رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس) (٣).

وحديث وابصة رضي ا عنه أن النبي ﷺ قال : استفت قلبك ، البر ما اطمأن إليه القلب ، واطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في القلب ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك) (٤).

وروى أبو ثعلبة الخشني (٥) رضي ا عنه قال : قلت يا رسول ا أخبرني بما يحل لي ويحرم علي ، قال : فصعد النبي ﷺ وصوب في النظر ، فقال النبي ﷺ : (البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمـئن إليـه القلب، وإن أفتاك المفتون) (٦).

---

(٤) سورة القيامة ، آية : ٣٦.

(٥) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥-١١٦.

(١) سبق تخريجه ص(٢٥٧).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٥٨).

(٣) أبو ثعلبة الخشني صحابي مشهور معروف بكنيته ، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً : قيل جرهم وقيل زيد وقيل جرهوم وغيره ، وهو منسوب إلى بني خشين ، توفي سنة : ٧٥هـ . انظر الإصابة : ٢٩/٤.

(٤) أخرجه أحمد : ٤/ ١٩٤ ، قال الهيثمي : (رجاله ثقات) . مجمع الزوائد : ١٧٥/١ .

يقول ابن رجب : (دل حديث وابصة وما في معناه على الرجوع إلى القلـوب عند الاشتباه فما سكن إليه القلب ، وانشرح إليه الصدر فهو البر والحلال ، وما كـان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام ، وقوله في حديث النواس بن سمعان : (الإثم ما حـاك في الصدر وكرهت أن يطلّع عليه الناس) إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجاً وضيقاً وتلفاً واضطراباً ، فلم ينشرح له الصدر ، ومع هذا فهو عند النـاس مـستنكر، بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه) [1].

وقد سلم بعض من النفاة أن كون الفعل حـسناً أو قبيحـاً بمعنـى الملائمـة أو المنافرة أو الكمال أو النقصان ، وإنما النزاع في إثباته عقلاً ، بمعنـى كونـه متعلـق المدح والذم عاجلاً والثواب والعقاب آجلاً ، وعندهم أنه لا مدخل للعقل في ذلك [2] .

والصواب أن المدح والذم مترتب على النقصان والكمال ، وهـو أمـر عقلـي فطري وإنكاره يزاحم المكابرة.

أما العقاب والثواب على فعل القبيح أو الحسن فهو مشروط بالـسمع ، وينتفـي عند إنتفاء السمع ، إنتفاء المشروط لانتفاء شرطه ، لا انتفاءه لانتفاء سببه ، فإن سـببه قائم ومقتضيـه واجب وهو أن الفعل محبوب لكونـه كـاملاً وملائمـاً للفطـرة ، أو مبغوض لكونـه ناقصاً ومنافراً للفطرة ، إلا أنه لم يتم الثواب والعقاب لتوقفـه علـى شرطه.

ولذلك فإن استحقاق الثواب والعقاب على الأفعال إن أريد به الاسـتحقاق التـام فالصواب نفيه ، وإن أريد به قيام السبب والتخلف لفوات شرط أو وجود مانع، فـالحق إثباته ويدل على ذلك قوله تعـالى : ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [3].

---

(٥) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ص (٢٢١) .

(٦) انظر ص (٢٢١) من هذا البحث .

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

فهذا نص صريح أن ا لا يعذب بدون بعثة الرسل وإقامة الحجة على عباده ، ولذلك قال تعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [١].

فهذا يدل على أن ا سبحانه لا يعذبهم قبل مجيء الرسل إليهم لأن الحجة حينئذ لم تقم عليهم.

فالصواب هو إثبات الحسن والقبح عقلاً ، ونفي التعذيب على ذلك إلا بعد بعثة الرسل[٢] .

وإذا ثبت لدينا ذاتية الحسن والقبح للأفعال ، وإدراك العقول للحسن والقبح ، فإن هذا لا يستلزم أن تكون كافية ، فإنه لا غنى للفطرة أو العقل عن الوحي ، ولو كان كذلك لما كان هناك حاجة للرسالة ، والأمر غير ذلك ، بل إن هذا في غاية الفساد.

فالشرع اختص بأمور معارف لا يمكن للعقل أو الفطرة أن يستدل عليها ، مثل معرفة ا بأسمائه وصفاته ومواقع محبته ورضاه وسخطه وكراهته وكافة المسائل الغيبية ، والشعائر التعبدية وتفاصيل الثواب والعقاب والجنة والنار ، فليس للعقل مجال في معرفتها وتقريرها بدون دلالة الشرع على ذلك.

أضف إلى ذلك أن العقل قد يعترضه مرض أو وهم أو خرف أو كبر سن مما يؤثر في إدراكه لجوانب الحسن والقبح في الأفعال .

ومما يدل على عدم الاكتفاء بالعقل في إدراك الحسن والقبح والمصالح والمفاسد في الأحكام الشرعية ، أن من المصالح ما يكون ظاهراً جلياً فيأتي الوحي مطابقاً لما قرره العقل ، ومن المصالح أو المفاسد ما يكون خفياً لا يدركه كل أحد ، وهنا تكون الحاجة إلى الوحي ظاهرة ، وقد يعرض على الأمر أحوال تخفي وجه المصلحة أو المفسدة فيه فيأتي الشرع ببيان وجه المصلحة أو المفسدة ، وقد يكون الأمر مشتملاً على مصلحة ومفسدة، ولا يعلم العقل أيهما أرجح ، فيأتي الشرع ببيان ذلك ويأمر

---

(٢) سورة النساء ، آية : ١٦٥.

(٣) انظر مفتاح دار السعادة : ٣٩١/٢ .

براجح المصلحة على راجح المفسدة ، وقد يكون الفعل مصلحة في الظاهر مفسدة في الباطن ولا يعلم العقل ذلك ، وقد يكون الفعل مفسدة في الظاهر مصلحة في الباطن ولا يعلم العقل ذلك ، فيأتي الشرع ببيان ذلك[1].

وهذا مما يدل على ضرورة الوحي في بيان ما يدركه العقل كما يدل على عدم التعارض بين العقل والفطرة والوحي ، فإن الوحي إنما يأتي موافقاً للعقل والفطرة ، ومكملاً لها ولا يأتي بما يناقضها ويعارض دلالتها.

بالإضافة إلى أن الفعل وإن كان مصلحة في نفسه متصفاً بالكمال والملائمة للفطرة مما يجعله حسناً عند العقول ، أو كان مفسدة في نفسه متصفاً بالنقص والمنفارة للفطرة مما يجعله قبيحاً عند العقول ، فإنه لا يلحق به ثواب ولا عقاب إلا بعد ورود الشرع ونزول الوحي ، وهذا من أعظم حاجاتنا إلى الوحي والرسالة.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا : (إن الخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

النوع الأول : أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم يشتمل على فسادهم ، وقد يعلم هذا الحسن والقبح بالعقل ، والشرع قبح هذا وحسن ذاك لا لأنه أثبت للفعل صفة لم تكن فيه ، ولكن ليلزم من حصول هذا القبح أن يكون صاحبه معاقباً عليه في الآخرة ، ولا من حصول هذا الحسن إلا أن يكون صاحبه مثاباً عليه في الآخرة . إذا لم يرد الشرع بذلك.

النوع الثاني : أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً ، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً ، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشرع.

الثالث : أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد ، هل يطيعه أم يعصيه !

ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه ، ليمتحن صدقه وطاعته لربه ، فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح.

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة : ٥٢٥/٢.

وكذلـك حديث الأبرص والأقرع والأعمى ، لما بعث ا إلـيهم مـن سـألهم الصدقة ، فلما أجاب الأعمى قال الملك : أمسك عليك مالك ، فإنما ابتليـتم ، فرضـي عنك ، وسخط عن صاحبيك[1].

فالحكمة منشأها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به[2].

وإذا علم هذا علم مدى حكمته سبحانه ورحمته ، فلم يأمر إلا بما هو حسن طيب في نفسه محبب إلى النفوس ، مستحسن لدى العقول ، ولم ينه إلا عما هو قبيح خبيـث في نفسه مكروه مبغوض لدى النفوس ، مستقبح لدى العقول.

وإن أمر عبداً له بما لا يحبه ، فإن ذلك لمصلحة عظيمة له ، أو للابتلاء ، ليعلم المؤمن من المفسد ، فتؤول جميع أوامره ونواهيه إلى حصول المصالح ودرء المفاسد ، وإدراك الحكم المطلوبة ، والعواقب المحمودة ، وهذا من غاية حكمته سبحانه ورحمته وعدله بخلقه ، فلم يأمر عباده بما هو مكروه لهم مستقبح لدى عقولهم مبغـوض لـدى نفوسهم ، ولم ينههم عما هو محبوب لهم مستحسن لدى عقولهم محبوب لدى نفوسهم ، فإن ذلك يجعلهم في ضيق وحرج وشدة . ولكنه وهو الخبير بعباده العلـيم بـأحوالهم أمرهم بما يحبون ويستحسنون ، ونهاهم عما يكرهون ويـستقبحون ، ورتـب ثوابـه وعقابه على فعل أمره وترك نهيه سبحانه ، وصدق ا إذ يقـول : ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [3] .

فما أمر ا به فهو حسن لذاته لما يترتب عليه من المصالح للعباد في الدارين ، فيحصل له في الدنيا من المصلحة ما يحصل ، ويحصل له في الآخـرة مـن الأجـر والثواب ما وعده ا به ، وما نهى عنه فهو قبيح لذاته لما يترتب عليه من المفاسد في الدارين ، فيحصل له من المفاسد في الدنيا ما يحصل ، ويحصل له في الآخـرة مـن العقاب والألم ما أعده ا لمن عصاه.

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل : ١٢٧٦/٣ .
صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق : ٢٢٧٦/٤ .

(٢) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨ /٤٣١-٤٣٦.

(١) سورة الملك ، آية : ١٤.

وإذا فهم هذا في مسألة الحسن والقبح ، فإنه يجب الإيمان بأن ما يـصدر عـن الرب تبارك وتعالى إنما هو صادر عن حكمة بالغة لا تدركها العقول ، وذلك لأن فعله سبحانه لا يماثل أفعال خلقه ، وكذلك حكمته لا تماثل حكمة خلقه ، وله سـبحانه فـي أفعاله حكمة حسنة راجحة لأجلها يفعل ويترك . وإن كان ظاهرها أنها قبيحة .

والذي أود الإشارة إليه في هذا المبحث هو علاقة الحسن والقبح فـي الأفعـال بالعدل الإلهي في الثواب والعقاب.

فإن المثبتين للحسن والقبح جعلوا إثابة ا لعباده المطيعين وعقابه للعاصين واجـب عليه سبحانه لأنه حق لعباده عليه ، ولأن ذلك يحسن من ا ، ويقبح منه عدم إثابـة عبـاده المؤمنين، وعقاب العاصين، ولذلك كان تعريفهم للعدل بأنه تعالى لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه، فهم مشبهة الأفعال، شبهوا أفعال ا بأفعال عباده، فما حسن من المخلـوق حسن عندهم من الخالق، وما قبح من المخلوق قبح عندهم من الخالق، وعلى ذلك فإن إثابـة المطيع وعقاب العاصي هو أمر واجب حتمي على ا تعالى يجب عليه أن يفعله، لمـا فـي الإثابة والعقاب من الحسن الذاتي والقبح الذاتي الذي يستلزم معه إيجاب فعل ا لذلك.

وهذا بلا شك قياس باطل ، فلا وجه للشبه بين أفعال العباد وأفعال رب العباد. ولـو أن أحداً أوجب على الملك ما يوجبه على عبيده لكان ذلك الإنسان ساذجاً ، فما بالك بمن شبه أفعال العباد بأفعال رب العباد ، وأوجب عليه كما يوجب على عباده. وكل العباد هو خـالقهم وبارئهم تبارك وتعالى .

والصواب أن ا تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهو عدل في أفعاله كلها بدون إيجاب عليه أو تحريم أو تحسين أو تقبيح ، بل له الحكم والخلق والأمر ، وفعلـه صادر عن حكمة، فما يفعله فهو الحسن، وما يتركه فهو القبيح بلا إيجاب عليه ولا سؤال له.

أما النفاة الذين نفوا الحسن والقبح فقد نفوا بناء على ذلك أن يكون إثابـة ا لعبـاده المؤمنين أو عقابه لعباده العاصين واجبة ، فنفوا الوجوب عليه ، ومنعوا أن يكـون هنـاك أموراً واجبة عليه ، ونفوا حتى الأمور التي أوجبها سبحانه على نفسه.

وأجازوا إخلاف ا لوعده ووعيده ، وجعلوا عقاب ا للمؤمنين وإثابته للكافرين أمراً جائزاً ، وهذا في غاية الفساد.

وكل طائفة من هاتين على خطأ عظيم ، وذلك لأن كل طائفة اعتمدت على أصـولها الفاسدة ، فنبت كل أصل عندها على أصل فاسد قبله ، وأعرضوا عن كتاب ا وسنة نبيه ، حتى انحرفوا عن الطريق المستقيم ، فمال بهم هواهم عن سبيل المؤمنين .

فالقول الوسط هو قول السلف عليهم رضوان ا ، وهو إثبات الحـسن والقـبح الذاتي للأفعال ، ولكن الثواب والعقاب مشروط بورود الشرع بالأمر أو النهي ، وهـذا ما دلت عليه الأدلة العقلية والأدلة النقلية كما تقدم .

المبحث الثالث :

علاقة العدل الإلهي بالوجوب.

تعريف الوجوب في اللغة :

يقول الجوهري : (وجب الشيء ، أي لـزم ، .... واسـتوجبه اسـتحقه ...، وأوجب البيع فوجب ، وأوجب الرجل إذا عمل عملاً يوجب له الجنة أو النار.

والواجبة : السقطة مع الهدة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

ووجب الميت إذا سقط ومات ... ووجبت الشمس إذا غابت (٢).

الوجوب في الاصطلاح :

يعرف السلف الوجوب كما هو مشهور في أصول الفقه بأنـه : (مـا توعـد بالعقاب على تركه ، وقيل: ما يعاقب تاركه ، وقيل : ما يذم تاركه شرعاً) (٣).

---

(١) سورة الحج ، آية : ٣٦.

(٢) الصحاح ، للجوهري : ٢٣١/١-٢٣٢ ، وانظر لسان العرب لابن منظور : ٧٩٣/١-٧٩٤.

(٣) ورد هذا التعريف للواجب في المستصفي للغزالي : ١/ ٦٦ ، والآمدي في الأحكام : ١/ ٩٧ ، والـرازي فـي المحصول : ١/ ق١/ ١١٨ ، وذكر هؤلاء هذا التعريف بدون نسبة إلى أحد ، انظر روضـة النـاظر وجنـة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل تأليف : موفق الدين : عبد ا بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق د. عبد الكريم بن علي النملة .

الوجوب في اصطلاح المعتزلة :

عرف المعتزلة الوجوب بأنه : (ما إذا لم يفعله القادر عليه استحق الـذم ، أو هو: ما للإخلال به مدخل في استحقاق الذم)[1].

الوجوب في اصطلاح الأشاعرة :

عرف الأشاعرة الوجوب بعدة معانٍ : فالوجوب الشرعي : (ما يكون تاركـه مستحقاً للذم والعقاب.. والوجوب العقلي : ما لزم صدوره عن العاقل بحيث لا يـتمكن من الترك بناء على استلزامه محالاً)[2].

فكلمة (وجب) في اللغة وفي الاصطلاح لم تخرج عن معاني اللزوم والثبـات والاستحقاق.

وعلى ذلك فإن الإيجاب على ا تعالى معناه : ما ألزم ا تبارك وتعالى نفسه بفعله.

والتعريف الاصطلاحي للوجوب عند السلف إنما هو في الأمور الفقهية أما فـي حق ا تعالى فإن المقصود بالإيجاب عليه : ما ألزم به نفسه مـن الأفعـال الربانيـة الحميدة.

وليس المقصود بالإيجاب ما يلحق تاركه الذم والعقاب ، وما يلحق فاعلَه المدح والثواب فإن هذا التعريف إنما كان في الأمور الفقهية المتعلقة بأفعال المكلفين.

وقد ذهب الأشاعرة – كما تقدم – إلى أن جميع معاني الإيجاب لا تتصور فـي حق ا تعالى[3] .

ومسألة الإيجاب على ا تعالى مسألة خلافية بين الفرق :

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٣٩ وانظر ص (١٥٩) من هذا البحث.

(٢) التعريفات ، للجرجاني : ٢٢٣ وانظر ص(٢٢٦) من هذا البحث.

(٣) انظر ص (٢٢٧) من هذا البحث .

فقد ذهب السلف إلى القول بإيجاب الأفعال التي أوجبها ا على نفسه تبارك وتعالى ، وفي ذلك موافقة لآيات الكتاب الكريم . ونصوص الحديث الصحيح ، فقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على أن ا سبحانه وتعالى قد أوجب على نفسه أموراً ، وجاء ذلك في صور مختلفة :

أولاً : إخباره سبحانه عن نفسه أنه كتب على نفسه أموراً ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٣).

ثانياً : إخباره سبحانه وتعالى عن نفسه أنه أحق عليها أموراً ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٥).

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لمعاذ : (أتدري ما حق ا على عباده ؟ قلت : ا ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . أتدري ما

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ٥٤.

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٢.

(٣) سورة المجادلة ، آية : ٢١.

(٤) سورة الروم ، آية : ٤٧.

(٥) سورة التوبة ، آية : ١١١.

حق العباد على ا إذا فعلوا ذلك ؟ قلت ا ورسوله أعلم ، قال : حقهـم عليـه أن لا يعذبهم)[1].

ثالثاً : إخباره سبحانه وتعالى بما أعد لعباده من النعيم وتسميته تلك الأفعال التي ألزم بها نفسه المقدسة " وعداً " .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ [2].

يقول ابن كثير : (أي هذا وعد من ا ، ووعد ا معلوم حقيقة أنـه واقـع لا محالة ، ولهذا أكده بالمصدر على تحقيق الخبر وهو قوله حقاً)[3].

ومن ذلك قولـه تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [4].

فأكد سبحانه هذا الوعد وأخبر بأنه قد كتبه على نفسه ، وأنزله على رسله فـي كتبه الكبار وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

وهو سبحانه لا يخلف وعده ولذلك قال : ﴿ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ﴾ . لأن من قـام بمقتضى هذا العقد فإن له الفوز العظيم والنعيم وهذا واقع لا محالة[5].

ومنه قوله تعـالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [1].

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٦٣) .
(٢) سورة النساء ، آية : ١٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير : ١/ ٨٤٥.
(٤) سورة التوبة ، آية : ١١١.
(٥) انظر تفسير ابن كثير : ٢/ ٦٠٨.

رابعاً : ما ورد في القرآن الكريم بصيغ القسم المتضمن معنى إيجـاب المقـسم على نفسه – أو منعه – أموراً ، وهو القسم الطلبي المتضمن للحظر والمنع ، بخـلاف القسم الخبري المتضمن للتصديق والتكذيب.

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢).

وقوله تعـالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٣).

وقوله تعـالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (٤)(٥) .

ومما يدل عقلاً على إثبات إيجاب الرب على نفسه أموراً ، أن من المعقـول أن العبد يكون طالباً من نفسه وآمراً لها ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ (٦).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٧).

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٧٢.
(٢) سورة الحجر ، آية : ٩٢.
(٣) سورة إبراهيم ، آية : ١٣.
(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٩٥.
(٥) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٤/ ٨٧ .
(٦) سورة النازعات ، آية : ٤٠.
(١) سورة يوسف ، آية : ٥٣.

فالعبد يأمر نفسه بأمور وينهاها عن أمور . مع أنه عبد له آمر وناه ، وفوقه رب العالمين يأمره وينهاه.

والله سبحانه ليس فوقه آمر ولا ناه ، فكيف يمتنع أن يكون طالباً من نفسه أموراً، فيوجب عليها ويكتب ويحق عليها ، ويحرم عليها ، بل إن ذلك أولى في تصوره منه في العبد[1] ، وهذا ما دلت عليه الدلالة القطعية للنصوص الشرعية.

يقول ابن تيمية رحمة الله تعالى : (المأمور المنهي الذي فوقه آمر ناه هو ناقص بالنسبة إلى من ليس فوقه آمر ناه ، لكن إذا كان هو الآمر لنفسه بما ينبغي أن يفعل ، والمحرم عليها ما لا ينبغي أن يفعل ، وآخر يفعل ما يريده بدون أمر أو نهي من نفسه ، فهذا الملتزم لأمره ونهيه – الواقعين على وجه الحكمة – أكمل من ذلك، وقد قال تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [2]. وقال : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) [3][4].

وما أوجبه الله تبارك وتعالى على نفسه وكتبه وأحقه عليها متضمن لإرادته ذلك ومحبته له ورضاه به ، وإنه لابد أن يفعله بمشيئته واختياره.

وما حرمه سبحانه على نفسه متضمن لبغضه لذلك وكراهته له ، وإنه لا يفعله أبداً مع قدرته عليه لو شاء .

وقد تقدم بيان مذهب المعتزلة في قولهم بالوجوب العقلي على الله تعالى ، وجعلهم الإيجاب هو العقل بناء على أصولهم في التحسين والتقبيح العقليين ، فما كان حسناً من الأفعال فهو واجب على الله تعالى فعله ، ولا يجوز له تركه ، وما كان قبيحاً من الأفعال فواجب على الله تركه ولا يجوز فعله.

---

(٢) انظر مجموعة الفتاوى : ١٤/ ٨٨.

(٣) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ٥٤.

(٤) حديث قدسي سبق تخريجه ص (٧٨).

(٥) مجموعة الفتاوى : ٦/٧٦.

وهم يعرفون الواجب بأنه ما يلحق تاركه الذم ، وعلى ذلك فـإنهم يـستوجبون على ا تعالى فعل الحسن وترك القبيح حتى لا يلحقه لوم أو ذم أو مسألة ، كما أن ما أوجبه عليه إنما هو استحقاق لعباده عليه ، فزعموا أن عليه تعـالى أن يفعـل العـدل والنصر والرحمة والعفو ، وكل فعل حسن استحقاقاً لعبادة الطائعين عليه – تعـالى ا عن ذلك علواً كبيراً.

والحقيقة أن هذا في غاية التطاول على ذات ا تبارك وتعالى ، فإنـه سـبحانه ليس فوقه من يسأله أو يملك له لوماً أو ذماً ، وما يفعله ا تبارك وتعالى مـن أفعـال حسنة أوجبها هو على نفسه إنما هي على سبيل التفضل والإنعام.

فهؤلاء المعتزلة حجروا عليه تعالى أن يفعل إلا ما ظنوا بعقلهم أنه جائز لـه ، حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجوير ، فأوجبوا عليه بعقولهم وحرموا عليه أموراً كثيرة ، لا بمعنى أن العقل آمر له وناه ، فإن هذا لا يقوله عاقل ، بل بمعنى أن تلـك الأفعال علم بالعقل وجوبها وتحريمها ، ولكنهم أدخلوا كثيراً من المنكرات بما بنوه على بدعتهم من التكذيب بالقدر وما تبع ذلك(١).

وقد تقدم ذكر أقوال المعتزلة والرد عليهم مما أغنى عن إعادتـه ، و الحمـد والمنّة(٢).

أما الأشاعرة فهم على النقيض تماماً من المعتزلة ، فقد نفوا الإيجاب علـى ا تعالى مطلقاً ، وجعلوا ذلك تنزيهاً له سبحانه عن اللوم والجبر ، ولزمهم من ذلك عـدم رعاية ا تعالى للحكم والمصالح في أفعاله ، إضافة إلـى أن قـولهم هـذا مخـالف للنصوص الشرعية التي أثبتت إيجاب ا على نفسه أموراً لم يوجبها عليه أحد ، وإنما أوجبها هو على نفسه تفضلاً وإكراماً منه سبحانه.

---

(١) انظر مجموعة الفتاوي : ١٨/ ٨٦.

(٢) انظر ص(١٥٩) من هذا البحث.

وهؤلاء الأشاعرة لم ينزهوا الرب تبارك وتعالى عن فعل من الأفعال ، ولا يعلم – عندهم – وجه لامتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لا يفعله ، المطابق لعلمه بأنه لا يفعله.

وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر به من أنه كتب على نفسه أموراً ، مثل : الرحمة ونصرة المؤمنين ، وحرم على نفسه أموراً منها الظلم.

ولم يعلم هؤلاء أن الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركـه ، إذ العلم يطابق المعلوم ، فعلمه بأنه يفعل هذا ، وأنه لا يفعل هذا ليس فيه تعريض ، لأنه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على نفسه ، كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا ولا يفعل كذا ، لم يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هـذا ، ولا في ذلك ما بين قيام المقتضي لهذا المانع من هذا ، فإن الخبر المحض كاشف عـن المخبر عنه ، وليس فيه بيان ما يدعو إلى الفعل ولا إلى الترك ، بخلاف كتابته تعـالى على نفسه الرحمة وتحريمه الظلم على نفسه ، فإن التحريم مانع من الفعل ، وكتابتـه على نفسه داعية إلى الفعل ، وهذا بين واضح.

إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أن يفعل هذا ويترك ذاك ، فهذه كتابة التقدير ، كما ثبت في الصحيح أنه تبارك وتعالى قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلـق الـسماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء [(١)].

ولو أريد كتابة التقدير لكان قد كتب على نفسه الغضب ، كما كتب على نفـسه الرحمة ، إذا كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ، ولكان قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الإحسان كما حرم الظلم[(٢)].

وقد تقدم ذكر أدلة الأشاعرة ، والرد عليهم مما أغنى عن إعادتـه و الحمـد والمنّة [(٣)].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام : ٢٠٤٤/٤ عن أبي هريرة رضـي ا عنه.

(٢) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨٦/١٨، ٨٧.

(٣) راجع ص (٢٦٣) من هذا البحث.

والسبب الذي أوقع المعتزلة والأشاعرة في الخطأ في هذه المسألة ، هـو أنهـم قاسوا أفعال ا بأفعال العباد ، وساووا بينها . وأدخلوا أفعال الـرب تبـارك وتعـالى وأفعال عباده تحت حكم واحد ، ولذلك اضطربت عليهم مـسائل القـضاء والقـدر ، والحكمة والتعليل والتعديل والتجوير والتحسين والتقبيح وغيرها.

والصواب أن هناك فرقاً بين فعل ا تبارك وتعالى الذي هو فعله ، وفعل عباده الذي هو مفعوله.

فإن محبته ورضاه لفعله توجب وقوعه ، وكراهيته له توجب امتناعـه ، أمـا محبته ورضاه لفعل العبد فإنها توجب وقوعه ، وكراهيته لفعل العبد لا توجب امتناعه.

فإنه سبحانه يحب من عباده كلهم الإيمان والطاعة ، والتزام أوامره ، واجتنـاب نواهيه ، وإن لم تكن محبته سبحانه موجبة لطاعتهم وإيمانهم جميعـاً ، إذا لـم يـرد إعانتهم وتوفيقهم ، وخلق ذلك لهم ، وذلك لمصلحة وحكمة بالغة يعلمها ا وحده ، ولا يعلم الناس تفاصيلها.

كما أنه سبحانه يكره من عباده كلهم الكفر والفسوق والعصيان والظلم ، وإن لم تكن كراهته مانعه من وقوع الكفر والعصيان منهم ، إذا أراد ا خذلانهم وإضـلالهم وذلك لمصلحة وحكمة وغاية محمودة محبوبة ، يقصر عنها عقول أكثر الناس.

ولذلك فإن أنواع الكفر والفسوق والعصيان تقع فـي العـالم وليـست أفعالـه سبحانـه ، وإنما هي مفعولاته المنفصلة عنه التي لا يتصف بها سبحانه.

وبذلك يتبين محل زلل المعتزلة الذين أخرجوا أفعال العباد من مخلوقاته تعـالى لعدم فهمهم لهذه القاعدة العظيمة ، وعدم تفريقهم بين الأفعال.

وهذا أيضاً مازلت فيه الأشاعرة ، الذين مالوا إلى الجبر ، ونفوا الحسن والقـبح الذاتيين ، ونفوا الإيجاب على ا تعالى.

لأنهم لم يدركوا هذا الفرق بين أفعال ا تعالى وأفعال العباد[١].

---

(١) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٤٤٧/١.

يقول ابن تيمية - أيضاً - رحمه ا تعالى : (وأما المثبتون للقدر مـن أهـل السنة ، فمتفقون على أن ا تعالى لا يقاس بخلقه في أفعاله ، كما لا يقـاس بهم فـي ذاته وصفاته ، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وليس مـا وجب على أحدنا وجب مثله على ا تعالى ، ولا ما قبح منا قبح من ا ، ولا ما حسن من ا حسن من أحدنا ، وليس لأحد منا أن يوجب على ا تعالى شيئاً ولا يحرم عليه شيئاً)[1].

والفرق بين إيجاب السلف وإيجاب المعتزلة ، أن المعتزلة أوجبوا على ا تعالى أموراً بمقتضى ما أدركته عقولهم من حسن الأفعال أو قبحها.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم أوجبوا ما أوجبه هو على نفسه بقدرته واختيـاره ومشيئته ، ولم يوجبه عليه أحد من عقل ولا غيره ، ونفوا ما حرمه ا تعـالى علـى نفسه مع قدرته عليه ، ولم يحرمه عليه أحد.

يقول ابن تيمية رحمه ا : (وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خـالق كـل شيء وربه ومليكه ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً ، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال : إنه كتب على نفسه الرحمـة ، وحرم الظلم على نفسه ، لا إن العبد نفسه مستحق على ا شيئاً ، كما يكون للمخلـوق على المخلوق ، فإن ا هو المنعم على العباد بكل خير ، فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل ، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح)[2].

وهو سبحانه إن كان قد كتب على نفسه الرحمة ، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض ، الـذي يكـون عـدلاً لا فضلاً ، لأن ذلك إنما يكون لأن بعض الناس أحسن إلى بعض فاستحق المعاوضـة ، ولهذا لم يكن المتعاوضان لأحدهما فضل على الآخر لتكافؤهما.

---

(١) المصدر نفسه : ١/ ٤٤٥ وما بعدها.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تيمية : ٣٧١ .

وقد بين ا تعالى في الحديث القدسي أن العباد لن يبلغوا ضره ولا نفعه ، فقال في الحديث الطويل : ((يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغـوا نفعـي فتنفعوني)) [١] ، فامتنع حينئذ أن يكون لأحد من جهة نفسه له حق على ا تعالى ، بل هو تعالى الذي أحق الحق على نفسه بكلماته[٢].

وبناء على موقف الطوائف من الأصل ، وهو الوجـوب علـى ا – تحـددت أقوالهم في مسألة الثواب والعقاب.

فأوجبت المعتزلة على ا تعالى إنفاذ الوعد والوعيد وجوباً عقلياً ، فلا يجـوز عندهم الخلف في الوعد ولا الخلف في الوعيد ، أما الوعد فلأنه – عندهم – حق للعبد على ا تعالى عقلاً ، وأما الوعيد فلأنه لا يجوز عليه الكذب في الخبر أو الخلف فـي الوعيد ، لأن ذلك قبيح من ا تعالى.

وقد وافق المعتزلة الخوارج على وجوب إنفاذ الوعيد ، فالخوارج يعتبـرون أن زوال جزء من العمل – أي فعل الواجبات وترك المحرمات – يـستلزم زوال أصـل الإيمان ، وتبعاً لهذه النظرة رأوا في المشهور عنهم أن مرتكب الكبيرة كافر كفراً أكبر، ولذلك رتبوا على ارتكاب الكبيرة أحكام الكفر الدنيوية والأخروية ، فلا يجوز عنـدهم غفران كبيرته ولا إخلاف الوعيد المترتب على كبيرته ، كما يجب عندهم خلوده فـي النار[٣].

ولتمسك المعتزلة والخوارج بمبدأ إنفاذ الوعيد سموا بـ " الوعيدية ".

أما الأشاعرة فإنهم لا يوجبون على ا تعالى تحقيق الوعد بإثابة المطيـع ، ولا تحقيق الوعيد بعقاب العاصين ، ولا يلزم من ذلك خلف في الوعيد ولا كذب في الخبر.

ويرون أن الثواب تفضل من ا تعالى على عباده ، وليس حقاً مستحقاً للعبـاد على ا تعالى.

---

(١) جزء من حديث سبق تخريجه ص(٧٨) من هذا البحث.

(٢) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١١٦/١٨.

(٣) انظر ص (١٢٣) من هذا البحث .

والذي يؤخذ على الأشاعرة في هذه القضية أنهم أساءوا فهم إثبـات مـشيئة ا وإرادته ، فظنوا أن قولهم بالإيجاب على ا وفق ما أوجب هو سبحانه علـى نفـسه ينافي عموم المشيئة الإلهية شمول القدرة الربانية.

ولذلك كان تجويزهم للخلف في الوعد والوعيد مبني على نفيهم للوجوب المطلق على ا تعالى ، حتى ما أوجبه تعالى على نفسه.

ثم إنهم لم يفصلوا بين وعيد الكفار والمشركين ، ووعيد العـصاة الموحـدين ، فأجازوا الخلف في وعيد الجميع ، مع أن الصواب أن وعيد الكفار والمشركين واقع لا محالة ، ووعيد العصاة من المسلمين هو الذي يجوز فيه الخلف.

أما إيجاب الثواب والعقاب على ا تعالى أو تجويز الخلف فيهما عند السلف فقد جاء مفصلاً.

فقد قرر السلف الصالح ما جاءت به النصوص القرآنيـة ، فـأثبتوا نـصوص الوعد، وأثبتوا نصوص الوعيد ، ولم يوجبوا بعقولهم ولم يحرموا ولم يجوزوا إلا مـا أوجبه ا على نفسه وأصر عليها. ومع ذلك فقد قاموا بمراعاة عدة أمور :

أولاً : إن قيام سبب الوعيد بمعين لا يعني وجوب لحوق الوعيد بـه ، كمـا أن قيام سبب الوعد بمعين لا يعني وجوب لحوق الوعد به ، لأن وجود الـسبب لا يكفـي وحده في حصول المسبب ، بل لابد مع ذلك من وجود شروط تأثيره ، وانتفاء موانعـه وهذه قاعدة معتبرة في الأسباب الشرعية والقدرية.

فالمطر مثلاً : سبب قدري لإنبات النبات ، كما دل على ذلـك قولـه تعـالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشۡرَىۢ بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[(١)].

ومع ذلك فالمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهـواء والتـراب وغير ذلك ، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له.

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٥٧.

والدعاء مثلاً : سبب شرعي للاستجابة ، كما دل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1].

ومع ذلك فإن وجود الدعاء لا يكفي في حصول الاستجابة ، بل لابد مع ذلك من وجود شروط تأثيره ، كحضور القلب ، واستيقان الإجابة ، وانتفاء موانعه ، كأكل الحرام والاستعجال.

وإذا كانت قاعدة الأسباب هذه منطبقة على أسباب الوعد والوعيد ، فإن النصوص الشرعية المحكمة دلت على شروط تأثير هذه الأسباب ، وعلى الموانع من تأثيرها بطريق التفصيل.

فقد دلت النصوص على شروط تأثير أسباب الوعد وهي : الإخلاص والمتابعة. على أن الموانع من تأثيرها الردة وما في معناها ، والمن بالصدقة ونحوها.

ودلت أيضاً على أن شرط تأثير أسباب الوعيد انتفاء العذر الشرعي المعتبر في حق من قام به سبب الوعيد ، ودلت على أن الموانع من تأثيرها ، التوبة والاستغفار والحسنات الماحية ، ودعاء المؤمنين ، والشفاعة المقبولة ، والمصائب المكفرة ، وإهداء القربان ، والعفو الإلهي.

وبناء على ذلك فإن قيام سبب الوعد أو الوعيد في معين لا يترتب عليه مقتضاه إلا إذا وجدت جميع الشروط وارتفعت جميع الموانع[2].

ثانياً : إنه يجوز على الله تعالى إخلاف الوعيد دون إخلاف الوعد ، وقد استدل أصحاب هذه الطريقة بالشرع واللغة والعقل.

أما الشرع فقوله تعالى : ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

---

(١) سورة غافر ، آية : ٦٠.

(٢) انظر مجموعة الفتاوى : ١٢/ ٤٨٢-٤٨٤ ، ومدارج السالكين : ١/ ٣٩٦، ٣٩٧.

ووجه الدلالة من الآية : أن ا تعالى أوعد المنافقين أصـحاب هـذه الأفعـال بالإخراج من المدينة ، ثم إنه لم ينفذ ما توعدهم به ، بدليل بقائهم مع النبـي  حتـى وفاته ، مع بقائهم على أفعالهم تلك ، فدل ذلك على جواز إخلاف الوعيد شرعاً ، بـل على وقوعه.

وكذلك فإن العرب تعد إخلاف الوعد نقيصة ، وتعد إخلاف الوعيد مع القـدرة على إنفاذه كرماً ، وتسميه عفواً ، ولذلك مدحوا به وتمدحوا به ، فيقول أحدهم :

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي	ولا اختشي من صولة المتهدد
وإني إن أوعدته أو وعدته	لأخلف إيعادي وأنجز موعدي[2]

وأما العقل فإنه يقتضي عدم التسوية بين إخلاف الوعد والوعيـد ، لأن بينهمـا فرقاً ، فالوعيد حق تعالى ، وإخلافه عمن وهبه إسـقاط ، وهـو موجـب الجـود والإحسان ، والوعد حق عليه أوجبه على نفسه ، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد[3].

وبعد هذا نستطيع تلخيص موقف السلف من مسألة الثواب والعقاب ، أو الوعـد والوعيد - كما أطلق عليها بعض المتكلمين - على النحو التالي :

أولاً : موقف السلف من انجاز الوعد :

---

(1) سورة الأحزاب ، آية : ٦٠.

(2) ديوان عامر بن الطفيل : ٥٨.

(3) انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي : ٦/ ١٢٠٨، والبعث والنـشور للبيهقـي : ٧٥. ومدارج السالكين ، لابن القيم : ٣٩٦/١ ، وإيثار الحق على الخلـق : ٣٤٨ ، وتفـسير القرطبـي : ١٣٨/٤، ٢٤٨/١٤.

ذهب السلف الصالح عليهم رضوان ا تعالى إلى أن ا تبارك وتعالى لا يخاف وعده ، وأنه سبحانه منزه عن إخلاف الوعد ، لأنه هو الذي أوجبه على نفسه ، ولم يوجبه عليه أحد ، وذكر ذلك في كتابه كما قال : ﴿ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا ﴾ [1] ، أن ا تبارك وتعالى يتنزه عن إخلاف الوعد ، لأنه لا يليق به تبارك وتعالى ، بل هو من عمل الشيطان ، قال ا تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [2].

والعبد لا يستحق على ا الثواب بسعيه لأن أعماله مجرد أسباب وا متفضل على عبده ، لأن أعمال العبد مهما عظمت لا تفي بحق نعم ا عليه.

يقول ابن القيم – رحمه ا تعالى- : (فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله ، وإن كان أوجبه على نفسه ، كما حرم على نفسه الظلم ، ووعد بذلك كما قال : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ [3] وقال : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [4] ، فوعده واقع لا محالة ، والخلق لا يوجبون عليه إلا ما أوجبه على نفسه بل هم أعجز عن ذلك وأقل ، والعبد لا يستحق على ا شيئاً على سبيل المقابلة والمعاوضة ، وإنما مدار الأمر عندهم بعد الأخذ بالأسباب على تفضل ا تعالى على عباده ، ولهذا لا يدخل أحداً عمله الجنة أبداً ، ولا ينجيه من النار.

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١١١.

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٢٢.

(٣) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ١٢ .

(٤) سورة الروم ، جزء من الآية : ٤٧.

وا   تعالى بفضله وكرمه ومحض جوده وإحسانه ، أكد إحسانه وبره بأن أوجب لعبده عليه حقاً بمقتضى وعده له ، فإن وعد الكريم إيجاب ، ولو بـ " عسى ولعل " ، ووعد اللئيم خاف ولو اقترن به العهد والحلف) [1].

ثانياً : موقف السلف من إنجاز الوعيد :

ذهب السلف إلى أن عقاب ا   للكفرة والمشركين واقع بهم ضـرورة ، لقولـه تعالى : ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [2].

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [3]، فالوعد في حق هؤلاء لا يتخاف ، كما ذكـر ذلـك رب العالمين في كتابه العزيز.

أما عصاة المؤمنين من أهل الكبائر فيدخلون تحت المشيئة إن شاء ا   تبـارك وتعالى عذبهم ، وإن شاء غفر لهم ، وهذا العفو عنهم يكون مانعاً من إنفاذ الوعيد بهـم في الآخرة ، وهذا بنص قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [4].

---

(١) مدارج السالكين ، لابن القيم : ٣٣٨/٢ – ٣٣٩.

(٢) سورة ق ، آية : ١٤.

(٣) سورة المائدة ، آية : ٧٢.

(٤) سورة النساء ، آية : ١١٦.

الباب الثاني :

العدل الإلهي في الحياة الدنيا .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : إرسال الرسل .

الفصل الثاني : نسبة الخير والشر إلى الله تعالى .

الفصل الثالث : الثواب والعقاب الدنيوي .

الفصل الأول :

إرسال الرسل .

وفيه عدد من المباحث :

المبحث الأول : دعوة الرسل .

المبحث الثاني : التبشير والإنذار .

المبحث الثالث : عدم وقوع التعذيب قبل قيام الحجة.

المبحث الرابع : التكليف بما لا يطاق .

المبحث الأول :

دعوة الرسل .

توطئة

المعرفة البشرية محدودة بطبيعتها ، وهذا مما هو معروف لدى جميع العقلاء.

فإن هناك حدوداً تقف عندها المعرفة البشرية ، خاصة في المجالات التي يوجد بين الوحي والعلم البشري اشتراك فيهما من حيث الجملة.

والاستدلال العقلي وإن دل على بعض الأمور كوجود ا والمعاد وغيرهما ، إلا أنه لا يستطيع أن يكشف عن جميع الحقائق الغيبية على التفصيل ، وإنما يمكنـه الاسـتدلال عليها جملة ، أما الوحي والرسالة فإنه يختص بالتفصيل في الأمور التي يعجز العقل عـن إدراكها أو إدراك تفاصيلها.

ومن هنا تتضح أهمية الرسالة ، وتظهر ضرورة الوحي وحاجة البشرية إلى رسول يقودها إلى السبيل ، ويدعوها إلى شرع ا ، وفي ذلك إقامة لحجة ا تعالى على خلقه ، وإعذار لهم ، وهذا هو مقتضى عدله سبحانه وحكمته ، يقول الشيخ عبد الرزاق عفيفـي[1] رحمه ا : (اقتضت حكمة ا أن يرسل رسله بالهدى ودين الحق رحمة منـه بعبـاده ، وإقامة للعدل بينهم ، وتبصيراً لهم بما يجب عليهم من حقوق خـالقهم وحقـوق أنفـسهم وإخوانهم ، وإعانة على أنفسهم ، وإعذاراً إليهم ، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من ا ، من أجل ذلك أرسل الرسل ، وأنزل الكتب) [2].

---

(١) عبد الرزاق عفيفي عطية عبد البر شرف الدين النـوبي ، كـان عالماً زاهداً ، تقياً ، ورعاً ، مجتهداً ، ولد عام ١٣٢٣هـ ، توفي ١٤١٥هـ . انظر ترجمته في مقدمة الحكمة من إرسال الرسـل : ٥ .

(٢) الحكمة من إرسال الرسل ، فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه ا : ١٥.

ولقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول ا ﷺ قال : (وليس أحد أحب إليه العذر من ا من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل) [1].

بهذا يتبين أن إرسال ا تعالى الرسل إلى الناس هو مقتضى حكمته ، وموجب فضله وإحسانه وعدله ورحمته بعباده.

تعريف النبي والرسول :

أصل النبوة في اللغة يدور على ثلاث معان :

الأول : النبأ هو الأخبار ، والنبأ هو الخبر ، والجمع أنباء.

وحكي عن الجوهري : أن النبي هو : المخبر عن ا [٢].

وقال الفيروزآبادي : النبأ محركة : الخبر ، والنبي : المخبر عن ا ، وتـرك الهمز المختار وجمعه : أنبياء [٣].

الثاني : النبوة أو النباوة : بمعنى الارتفاع.

قال ابن منظور : (النبي مشتق من النباوة وهي الشيء المرتفع) [٤].

الثالث : النبي : النبئ : الطريق الواضح [٥].

---

(٣) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب غيرة ا تعالى وتحريم الفواحش : ٢١١٤/٤ عن عبد ا بن مسعود رضي ا عنه .

(١) انظر لسان العرب ، لابن منظور : ١٦٢/١.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي :

(٣) لسان العرب لابن منظور : ١٦٣/١.

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور : ١٦٤/١.

وعلى ذلك فالنبي مأخوذ من النبأ وهو الخبر ، وقد يكون من الارتفـاع لعلـو شأنه ورفعة قدره ، أو من الطريق الواضح لأن معرفته والإيمـان بـه يرشـد إلـى الطريق الحق إلى ا تعالى [١].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذين المعنين في أصل اشتقاق النبي وهما : النبأ بمعنى الخبر ، والنبوة بمعنى الارتفاع والعلو ، وبين رحمه ا أن الإنباء فـي عامة موارده استعماله أخص من مطلق الإخبار ، فهو يستعمل في الإخبار بـالأمور الغائبة المختصة ، واستدل على ذلك بآيات كثيرة ، كما في قوله تعـالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ ۖ أَنِّىٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمۡ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [٢].

ثم ذكر رحمه ا المعنى الثاني وهو الارتفاع والعلو وبين أنه داخل فـي المعنـى الأول وهو الأنباء أو الأخبار ، وعلل ذلك بأن من أنبأه ا وجعله منبئاً عنـه لا يكـون إلا رفيع القدر علياً ، وقد يكون من عامة الناس من يوصف بالعلو مع أنه ليس بنبي وفي ذلك يقول : (وأما لفظ العلو فلا يدل على خصوص النبوة ، وإن كان هذا يوصف به من لـيس بنبي بل يوصف بأنه الأعلى كما قال تعـالى : ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ [٣][٤].

الرسول فإنه يطلق على ثلاث معان :

---

(٥) انظر مذكرة التوحيد لفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي : ص٣٣ .

(١) سورة آل عمران ، آية : ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١٣٩.

(٣) انظر النبوات لابن تيمية :٢٢٢-٢٢٣.

الأول : الإرسال بمعنى التوجيه ، فذلك واضح ، وبه فسر إرسال ا أنبياءه ، قال تعالى : ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (١)(٢).

الثاني : المتابعة : فقد يكون معنى الرسول في اللغة : إخبار الذي يتابع الذي بعثه ، أخذاً من قولهم : جاءت الإبل رسلاً ، أي متتابعة (٣).

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤).

قال ابن عباس : تترا بمعنى يتبع بعضهم بعضاً (٥).

الثالث : وهو الانبعاث على تؤده ، قال الراغب الأصفهاني :

(أصل الرسالة الانبعاث على التؤده ... ومنه الرسول المنبعث ... والرسول يقال تارة للقول المتحمل ، وتارة لتحمل القول والرسالة) (٦).

ولا يمنع أن يكون الرسول اسما جامعاً لكل المعاني الثلاثة وهي :

التوجيه والمتابعة والإخبار ، فهي صحيحة في الدلالة على معنى الرسول الذي أرسله ا ، فهو موجه من ا تعالى ، ومتابع لأخبار ا وأخبار من سبقه من الأنبياء والرسل ، وهو منبعث على تؤده إلى قومه.

والإرسال اسم يراد به كل ما أخبر ا تعالى عن إرساله في القرآن كالملائكة والرياح والنار والشياطين ، يقول تعالى عن إرسال الملائكة :

---

(٤) سورة النمل ، آية : ٣٥.

(٥) انظر لسان العرب ، لابن منظور : ٥٨٣/١١.

(٦) لسان العرب ، لابن منظور : ٥٨٤/١١.

(٧) سورة المؤمنون ، آية : ٤٤.

(٨) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٤٥/٣.

(١) المفردات للراغب الأصفهاني : ١٩٥.

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ (١) ، **وقال تعالى :** ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ (٢) **أي جبريل كما قال ابن عباس وغيـره** (٣) **وقولـه تعالى :** ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾ (٤) **وقوله تعالى :** ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴾ (٥) ، **وقال تعالى في إرسال الريـاح :** ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦) **وقال عن إرسال الشياطين :** ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ (٧) **وقال تعالى عن إرسال النـار :** ﴿ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ (٨).

والفرق بين رسل ا من الناس وبين عموم المخلوقات التي يرسلها ا تعالى هو أن جميع المخلوقات من عموم الملائكة والرياح والجن والنار وغيرها إنما يكون إرسالها لتفعل فعلاً بمشيئة ا وقدرته لا لتبلغ رسالة ، وهذا عام لكـل الخلـق لأن جميع الخلق يفعلون بمشيئته وإذنه . فأهل الإيمان يفعلون ما يحبه تعـالى ويرضـاه بمشيئته وإذنه ، أما من يرسلهم ا من الشياطين فيفعلون بأهوائهم مالا يحبـه ا ولا يرضاه وإن كانوا إنما يفعلون بمشيئته الكونية.

---

(٢) سورة الحج ، آية : ٧٥.

(٣) سورة التكوير ، آية : ١٩.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤/٤٧٩.

(٥) سورة هود ، آية : ٨١.

(٦) سورة هود ، آية : ٧٧.

(٧) سور الأعراف ، آية : ٥٧.

(٨) سورة مريم ، آية : ٨٣.

(١) سورة الرحمن ، آية : ٣٥.

أما رسل الله تعالى عند الإطلاق فهم الذين يبلغون أمره ونهيه ولا يكون ذلك إلا من الملائكة والبشر ، ولذلك فإن الرسول المضاف إلى الله تعالى ، أي إذا قيل : " رسول الله " فهو من يأتي برسالة من الملائكة والبشر ، كما قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [1][2].

والفرق بين إرسال الملائكة والبشر ، أن الملائكة يرسلون إلى شخص واحد لتبليغ أمر ما ، كما جاءت الرسل إلى إبراهيم ، ولوط عليه السلام ، أو للتبشير بأمر ما ، كما جاءت إلى مريم ورأتها سارة زوجة إبراهيم عليه السلام ، أو ما يكون وحياً وهو ما يختص به جبريل عليه السلام حيث يرسله الله تعالى برسالته ليوحيها إلى الرسل في الأرض.

أما الرسول البشري فهو الذي يرسل إلى قوم يبلغهم وينذرهم ويبشرهم ويتعامل معهم ويتعايش بينهم.

وقد فرق شيخ الإسلام بين إرسال البشر وإرسال غيرهم فجعل إرسال البشر من الإرسال الديني الشرعي ، وأما إرسال غيرهم فهو من الإرسال الكوني[3].

النبي والرسول اصطلاحاً :

لم يتفق المسلمون على تعريف مصطلح للنبي أو الرسول ، وذلك لاختلافهم في التفريق بينهما ، فمنهم من رأى أنه لا فرق بينهما فكل نبي رسول ، وكل رسول نبي ، ومنهم من فرق بينهما ولكنهم اختلفوا في بيان ذلك الفرق على أقوال عدة وفيما يلي عرض لهذه المذاهب.

أولاً : مذهب المعتزلة في الفرق بين النبي والرسول :

---

(٢) سورة الحج ، آية : ٧٥.

(٣) انظر النبوات لابن تيمية : ٣٨٣-٢٨٤.

(١) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية : ١١٧.

يرى المعتزلة أنه لا فرق بين النبي والرسول ، فكل نبي رسول ، وكل رسول نبي.

يقول القاضي عبد الجبار: (فاعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبـي) [١].

وقد نقل أبو الحسن عن الجبائي ما نصه : (إن اختيار الله للأنبياء هو اختيار لإرسالهم) [٢].

واستدل المعتزلة على ما ذهبوا إليه بعدد من الأدلة على النحو التالي :

أولاً : قوله تعـالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [٣].

وقالوا : إن الذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو أنهما يثبتـان معـا ويزولان معاً في الاستعمال ، ولو ثبت أحدهما وانتفى الآخر لتناقض الكلام.

ثانياً : إن الله تعالى قد فصل بين نبينا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء ، ومع هذا فإن نبينا واحد من جملة الأنبياء.

وذلك لأن مجرد الفصل لا يدل على اختلاف الجنسين[٤].

ثالثاً : إن الله تعالى خاطب محمداً مرة بالنبي ومرة بالرسول فدل على أنـه لا منافاة بينهما.

رابعاً : إنه تعالى نص على أنه خاتم النبيين.

خامساً : إن اشتقاق لفظ النبي من النبأ وهو الخبر ، أو من الارتفاع والعلو ، والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة [١].

---

(٢) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٥٦٧.

(٣) مقالات الإسلاميين ، لأبي الحسن الأشعري : ٢٢٣.

(٤) سورة الحج ، آية : ٥٢.

(١) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٥٦٨.

الرد على المعتزلة :

لقد رد الرازي على المعتزلة وبين بطلان ما استدلوا به ، وأثبت أن هناك فرقا بين النبي والرسول . وجاء رده كما يلي :

أولاً : قولهم إن قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [٢] **دليل على اتفاق الكلمتين قول فاسد ، بل هو دليل عليهم وذلك أن الآية دالة على الفرق بين اللفظين والمعنيين معاً ، ذلك أن الله تعالى عطف النبي على الرسول ، والعطف يوجب المغايرة ، وهو من العطف العام على الخاص ، لأن العلاقة بين النبي والرسول علاقة عموم وخصوص ، فالنبي أعم من الرسول.**

ثانياً : قولهم إن الله خاطب محمداً مرة بالنبوة ومرة بالرسالة ليس فيه ما يدل على مدعى المعتزلة من عدم الفرق إذ إن المعلوم أن محمداً ﷺ نبي ورسول وكلاهما حق في حقه ، والله يخاطب في كل موضع بما يناسب مقام الخطاب.

ثالثاً : كونه ﷺ خاتم الأنبياء ، فذلك تنبيه من الله تعالى بالأدنى على الأعلى ، فإذا ختم تعالى به النبوة فقد ختم به الرسالة من باب أولى ، فلا نبي بعده ولا رسول.

رابعاً : أما الاشتقاق ، فإن قولهم غير مسلم به لأن النبي المنبأ من الله تعالى قد جمع بمجرد ذلك جميع المعاني التي اشتق فيه اسمه ، وقد حصلت له الرفعة وعلو الشأن ، وإن لم يحصل له الرسالة .

ومن المعتزلة من يرى التفريق بين الرسول والنبي ، وقد ذكر ذلك شارح المقاصد .[٣]

وكذلك اختار الزمخشري هذا الرأي في تفسيره ، حيث قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ

---

(٢) انظر التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي : ١٢/٥٠.

(٣) سورة الحج ، آية : ٥٢.

(١) شرح المقاصد ، لسعد الدين التفتازاني : ٨٧٣/٢.

ٱللَّهُ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) : (دليل بين على تغاير الرسول والنبي) (٢).

ثانياً : مذهب الأشاعرة في الفرق بين الرسول والنبي :

ذهب الأشاعرة إلى إثبات الفرق بين النبي والرسول .

وهذا القول موافق لما عليه السلف كما سيأتي ، وهو القول الراجح في هـذه المسألة ويدل على ذلك ما ورد في كتاب الله تعالى من عطف النبي على الرسـول ، حيث قال تعـالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِىٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣).

وقد وصف تعالى بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدل على أن الرسالة أمـر زائد على النبوة ، كقوله في حق موسى عليه السلام : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (٤).

والأشاعرة رغم إقرارهم بوجود فرق بين النبي والرسول إلا أنهم اختلفوا في حقيقة هذا الفرق.

فالرازي الذي رد على المعتزلة في ادعائهم أنه لا فرق بين النبي والرسول ، جعل الفرق هو أن من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ، ومن لم يكن كذلك بل رأى في المنام كونه رسولاً أو أخبره أحد من الرسل بأنـه رسـول الله فهو النبي الذي لا يكون رسولاً (٥).

وقول الرازي هذا يرد عليه عدد من الاعتراضات :

---

(٢) سورة الحج ، آية : ٥٢.

(٣) الكشاف ، للزمخشري : ٩٢/٢ .

(٤) سورة الحج ، آية : ٥٢.

(١) سورة مريم ، آية :٥١.

(٢) انظر التفسير الكبير ، للرازي : ٥١/١٢ .

١- إن هذا التعريف ينفي العموم والخصوص بين النبي والرسول ، وهذا مـا ذكره الرازي في الرد على المعتزلة ، وإنما تكون العلاقة بينهما علاقة تباين ، فليس الرسول نبياً ، وليس النبي رسولاً ، فالرسول عنده من يأتيه الملك ظـاهراً بـالوحي يقظة فقط ، والنبي من يأتيه الوحي مناماً ولا يرى الملك حقيقة في اليقظة وإلا لصار رسولاً.

٢- إن تخصيص النبي بالوحي المنامي دعوى عارية من الدليل ، فليس لهـا مستند لا من كتاب ولا سنة ، ولا شك أن ما لا دليل عليه لا يعتد به ، ومثـل هـذه المسائل لا يؤخذ فيها بالرأي.

أما عبد القاهر البغدادي فقد فرق بين النبي والرسول بأن قرر أن النبي مـن أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي ، والرسول من يـأتي بـشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله ، فكل رسول نبي وليس كل نبـي رسولاً.

وهذا التعريف غير مسلم به حيث ثبت أن هناك من الرسل من كان على شريعة من قبله من الرسل ولم يأتوا بشريعة جديدة ، ولم ينقل عنهم بالدليل الصحيح أنهم أتوا بنـسخ كل أو بعض شرائع من بعثوا على شريعتهم مثل إسماعيل ويوسف كانـا علـى شـريعة الخليل ، وداود وسليمان كانا على شريعة موسى عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه[١].

ومن الأشاعرة من رأى أنه لا فرق بين النبي والرسول مثل الآمدي[٢] والإيجي[٣]، والجويني[٤] ، فهم يرون أن النبوة تثبت لمن قال له الله تعالى أو الملك " أنت رسـولي " ، فالرسالة والنبوة عندهم بمعنى واحد.

---

(١) النبوات ، لابن تيمية : ٢٨٢ .

(٢) غاية المرام ، للآمدي : ٣١٧.

(٣) المواقف ، للإيجي : ٣٢٩/٣ .

(٤) الإرشاد ، للجويني : ١٤٣.

ولكن هذا القول هو المشهور عن المعتزلة.

ثالثاً : مذهب السلف في التفريق بين النبي والرسول :

ذهب السلف إلى إثبات الفرق بين النبي والرسول.

والقول المشهور عنهم : هو أن الرسول هو من أوحى ا إليه بـشرع وأمـر بتبليغه ، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ ، وعلى ذلك فكل رسول نبي ولـيس كل نبي رسولاً.

وممن قال بهذا الرأي ابن جرير الطبري في " جامع البيان " [(١)] ، وابـن القـيم [(٢)] ، وشارح الطحاوية [(٣)] ، والسفاريني في " لوامع الأنوار " [(٤)].

ولكن هذا القول ترد عليه بعض الردود من ذلك :

أولاً : إن ا تعالى نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل فـي قولـه تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ **(٥)** .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ **(٦)**.

---

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري : ١٨٩/١٧ .

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين : ٣٤٩.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية : ١٥٨.

(٨) لوامع الأنوار البهية للسفاريني : ١/ ٤٩.

(١) سورة الحج ، آية : ٥٢.

(٢) سورة الزخرف ، آية : ٦.

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِى قَرۡيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [2].

ولا شك أن الإرسال يقتضي البلاغ ، وعلى ذلك يكون كلّ من النبي والرسـول مرسلاً ومبلغاً.

ثانياً : قول الرسول : (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد...) [3].

فدل هذا الحديث على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنهم يتفاوتون في مـدى الاستجابة لهم.

ثالثاً : حديث البراء بن عازب[4] رضي ا عنه أن رسول ا ﷺ قـال : (إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم

---

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٩٤.

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢١٣.

(5) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائـف من المسلمين بغير حساب ولا عذاب : ١٩٩/١ عن ابـن عبـاس رضي ا عنه .

(١) البراء بن عازب بن الحارث الفقيه الكبير ، أبو عمارة المدني ، صحابي شهد غزوات كثيرة ، واستصغر يوم بدر ، تـوفي سـنة

إني أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، واجعلهن من آخر كلامك ، فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة) .

قال : فرددتهن لاستذكرهن فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت فقال : (قل آمنت بنبيك الذي أرسلت) [١]**.**

وهذا الحديث والذي سبقه لا يستدل بمفرده على المطلوب ، فربما كان الذين عرضوا على الرسول هم المرسلون لأنهم في نفس الوقت أنبياء ، وكذلك قوله ﷺ : " نبيك الذي أرسلت " . لا يثبت الرسالة للنبوة . فربما كان يقصد برسولك فهو رسول ونبي أيضاً

ولكن هذين الحديثين يضاف إليهما غيرهما من الأدلة السابقة للدلالة على أن النبي مبلغ عن ا .

رابعاً : إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي قام نبي ، كما ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي ..) [٢]**.**

٧٢هـ وقيل ٧١هـ ، وله بضع وثمانون سنة . سير أعلام النبلاء : ١٩٤/٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع : ١٢٨١/٤.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل : ١٢٧٣/٣ ، صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء

وأنبياء بني إسرائيل كلهم مبعوثون بشريعة موسى ، وكانوا مأمورين بـإبلاغ قومهم وحي ا إليهم.

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِن بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(1) **، فدلت الآية على أن النبي يوحى إليه شيء يبلغه إلى قومه(2).**

خامساً : إن أتباع الأنبياء وهم العلماء ، مطالبون بالتبليغ والدعوة والجهاد ، فكيف بالأنبياء وهم أفضل الخلق ، وقد اختصهم ا تعالى بالوحي ، وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (3).

وقال تعـالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(4).

ببيعة الخلفاء الأول فالأول : ١٤٧١/٣ من حـديث أبـي هريـرة رضي ا عنه .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٤٦.

(٢) انظر الرسل والرسالات ، د. عمر سليمان الأشقر : ١٥.

(٣) سورة يوسف ، آية : ١٠٨.

(٤) سورة فصلت ، آية : ٣٣ .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد ذهب إلى أن الرسول هـو مـن يبعـث إلـى مخالفين أي إلى قوم كافرين ، فيدعوهم إلى الإسلام ، والنبي هو مـن يرسـل إلـى موافقين يقيم فيهم حكم ا الذي يعرفونه ويؤمنون به.

ولم يشترط شيخ الإسلام رحمه ا تعالى كون الرسول مبعوثاً بشرع جديد أو أنزل عليه كتاب [1] ، وله على ذلك أدلة قوية من القرآن الكريم والسنة المطهـرة ، وهي على النحو التالي :

أولاً : إن نوحاً عليه السلام كان أول الرسل بعث إلى أهل الأرض ، وقد كـان قبله أنبياء وهم شيث وإدريس عليهما السلام ، وآدم عليه السلام كان نبياً مكلماً.

قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح ، عشرة قرون كلهم على الإسلام فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من ا بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكـونهم مؤمنين بهم، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد ا وعبادته وحده لا شـريك له ، فأولئك هم الرسل ، كما حدث لنوح عليه السلام حيث أرسل إلـى قـوم عبـدوا أصناماً صنعوها ، كما قال تعالى عن قوم نوح : ﴿ وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ **[2].**

فهذا أول شرك حدث في البشرية وهو ما كان في قوم نوح ، ونوح هـو أول الرسل لأنه أول من أرسل لأول من خالف التوحيد وعبد غير ا تعالى[3].

ثانياً : إن الرسل لابد أن يكذبوا قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾**[1] ، وقـال :** ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾**[2].**

---

(٥) انظر النبوات ، لابن تيمية : ٢٨١ .

(١) سورة نوح ، آية : ٢٣ .

(٢) انظر النبوات ، لابن تيمية : ٢٨١.

وهذا دليل على أن الرسل ترسل إلى مخالفين ، فيكذبهم بعضهم ، ولو كـانوا على نفس الملة أو الشريعة نفسها لما حصل لهم التكذيب من بعض من يدعوهم[٣].

ثالثاً : قوله تعـالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [٤].

فهذا دليل على أن النبي مرسل ، ولا يسمى رسولاً عند الإطـلاق ، لأنـه لـم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه ، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء .

رابعاً : استدل ابن تيمية رحمه ا تعالى على أنه ليس من شرط الرسـول أن يأتي بشريعة جديدة بأن يوسف عليه السلام كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾ [٥].

وكذلك داود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة ، قال ا تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣

---

(٣) سورة الذاريات ، آية : ٥٢.

(٤) سورة فصلت ، آية : ٤٣ .

(٥) انظر النبوات ، لابن تيمية : ٢٨٢.

(٦) سورة الحج ، آية : ٥٢.

(١) سورة غافر ، آية : ٣٤.

وَرُسُلاً قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلاً لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيماً ١٦٤ ﴾ [1].

فهذا دليل على أن الرسول لا يشترط فيه أن يأتي بشرع جديد ، لأن يوسف عليه السلام كان رسولاً كما ثبت في الآية مع أنه لم يأت بشرع بل كان يحكم بشريعة إبراهيم عليه السلام.

وكذلك داود وسليمان فهما رسولان بنص الآيات ومع ذلك كانا يحكمان بشريعة التوراة ولم يأتيا بشرع جديد [2] .

وفي رأيي فإن هذا التعريف هو أرجح التعاريف لاعتماده على الدليل الصحيح المستند إلى الكتاب والسنة ، ولسلامته من القوادح والمعارضة.

وهناك من رأي بأن هذا التعريف جامع وليس مانعاً ، بحيث يدخل فيه الرسل من غير البشر مثل الملائكة والجن والرياح [3] .

وهذا الاعتراض منقوض بقول ابن تيمية الذي ذكر سابقاً وهو أن إرسال عموم الملائكة والجن والرياح هو من الإرسال الكوني ، أما إرسال البشر فهو من الإرسال الديني[4].

والذين اعترضوا على هذا التعريف واختاروا التعريف المشهور عن السلف ، وردوا على الاعتراضات الواردة بأن قالوا إن النبي هو كل من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ ، والرسول هو من أوحي إليه وأمر بالبلاغ.

---

(٢) سورة النساء ، آية : ١٦٣، ١٦٤.

(٣) انظر النبوات ، لابن تيمية : ٢٨٢.

(٤) انظر النبي والرسول ، لأحمد ناصر الحمد : ٦٠ – ٦٢ .

(٥) انظر ص (٤٢٥) من هذا البحث.

وفرقوا بين البلاغ والدعوة ، فجعلوا النبي داعية ، والرسول مبلغاً ، وذكروا أن المبلغ هو من أرسل إلى مخالفين ، والداعية هو من أرسل إلى قوم مؤمنين فهو يدعوهم ويرشدهم إلى الطريق الصحيح.

يؤول تعريفهم إلى تعريف شيخ الإسلام بل هو نفسه وإنما الخلاف لفظي.

كما أنه لا مسوغ للتفريق بين التبليغ والدعوة ، ولم يذكر أصحاب هذا الرأي دليلاً صحيحاً في التفريق بين البلاغ والدعوة وعلى ذلك لا يسلم لهم قولهم هذا.

وبهذا يتبين أن تعريف شيخ الإسلام هو أقوى التعاريف وأصحها وهو يثبت أن الأنبياء والرسل كلهم مرسلون ومبلغون عن ا إلى الناس.

وبعد .. فلم أكن أود الخوض في هذه القضية – وهي تعريف الرسول والنبي والفرق بينهما – إلا أنني وجدت أنه من المهم بيان التعريف الصحيح للنبي والرسول ، وتوضيح الفرق بينهما ، وإثبات أن كلاً من الأنبياء والرسل مبلغون عن ا تعالى ، وهذا هو مقتضى عدله سبحانه حيث لم تخل أمة من رسول أو نبي يبلغ ويرشد ويدعو الناس إلى الصراط المستقيم.

فإرسال الأنبياء والرسل جماً غفيراً بهذه الكثرة لإرشاد الناس وإقامة الحجة ، لهو أقوى دليل على عدله سبحانه ، فلو عذب عباده لعذبهم وهو غير ظالم لهم حيث قدم بين يدي عذابه منذرين ومبشرين متتابعين على مدى الأزمنة وفي مختلف الأمكنة.

حاجة البشر للرسالة :

إن حاجة البشر للرسالة حاجة ماسة ، بل الإنسان أحوج إلى معرفة ما جاءت به الرسل واتباعه منه إلى الطعام والشراب والهواء ، فإن الطعام والـشراب والهـواء إذا فات حصل الموت فـي الدنيا ، أما الوحي والرسالة إذا فات حصل الـضلال فـي الـدنيا والآخرة ، يقول ابن تيمية رحمه ا : (الرسالة ضرورية للعباد ، لابـد لهـم منهـا، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء ، والرسالة روح العالم ونوره وحياته ، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسـالة ، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة ، وهو من الأموات ، قال تعـالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [(1)].

فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل ، فأحياه ا بروح الرسالة ونور الإيمان ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس ، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات) [(2)].

ويقول ابن القيم رحمه ا تعالى : (لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الـدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيـب والخبيـث علـى التفصيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا ا البتة إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح ، الـذي علـى أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمـال ، وبمتـابعتهم يتميـز أهـل الـضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير) [(3)].

ولهذا فإن أساس العلم هو وحي ا تعالى إلى رسله ، ولهذا كان طائفة من أئمة المصنفين للسنن على الأبواب ، إذا جمعوا فيها أصناف العلم ابتدءوها بأصـل العلـم والإيمان . وهو الوحي والرسالة.

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٢٢ .

(٢) مجموعة الفتاوى لابن تيمية : ٩/ ٩٣.

(٣) زاد المعاد ، لابن القيم : ١/ ١٥.

ومن هؤلاء البخاري حيث ابتدأ صحيحة ببدء الوحي ونزوله ، فأخبر عن صفة نزول الوحي والعلم على الرسول ﷺ أولاً وبين كيفية ذلك ، ثم أتبعه بكتـاب الإيمـان الذي بين فيه الإقرار بما جاء في الباب الأول وبين العلم الذي جاء به الـوحي ، ثـم كتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به الوحي ، فكان ذلك هو الترتيب الحقيقي كما قال ابن تيمية رحمه ا [1].

وكذلك الإمام أبو محمد الدرامي[2] صاحب (المسند) ابتدأ كتابه بدلائل النبوة، ولهـذا كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم هذين الإمامين لأنهما فقيهان في الحديث أصولاً وفروعاً[3].

وقد دل القرآن الكريم على أن الرسالة هي أصل العلم ، وأنها طريق الهدايـة ، حيث قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَابُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [4] ، وقولـه تعـالى : ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ [6] ، وقوله تعـالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [7].

ولا شك أن هناك أموراً يتوقف العقل البشرى عن إدراكها ومعرفتها، وإن كـان بإمكانه الاستدلال على بعضها إلا أن الاستدلال العقلي يتوقف عـن إدراك كُنـه هـذه الأمور وحقيقتها ، ومن هذه الأمور التي يعجز العقل عن الإحاطة بها وجود ا تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله ، وكذلك تفاصيل الشرائع والشعائر من الأمر والنهي ، وكذلك

---

(١) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢/ ٩.

(٢) عبد ا بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي ، أبو محمد ، من حفـاظ الحـديث ، كان عاقلاً فاضلاً مفسراً فقيهاً ، ولد سنة ١٨١هـ ، وتوفي سنة ٢٥٥هـ . انظر تـذكرة الحفـاظ : ١٠٥/٢ ، تهذيب التهذيب : ٢٩٤/٥ ، الأعلام : ٩٦/٤ .

(٣) انظر مجموعة الفتاوي : ٢/ ٩.

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢.

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٣٨.

(٦) سورة الإسراء ، آية : ٩.

(٧) سورة الشورى ، آية : ٥٢.

التكاليف ، وغيرها ، وما يترتب عليها من ثواب وعقاب وجنة ونار ، وتفاصيل المعاد واليوم الآخر ، فكل هذه من الغيبيات التي يتوقف العقل البشرى عن إدراك حقيقتها وماهيتها.

ولذلك فإن الرسالة مهمة في بيان تفاصيل هذه الأمور وتوضيحها للناس ، ولقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن ضرورة الرسالة والنبوة مبنية على ثلاثة أصول :

الأصل الأول : ويتضمن إثبات صفات الله وأسمائه والتوحيد والقدر ، وذكر قصص الأمم السابقة ، وقصص الأنبياء والأولياء وذكر الأمثال وغيرها.

الأصل الثاني : ويتضمن تفاصيل الشرائع والأمر والنهي ، والتكليف ، والإباحة ، وبيان مواقع حبه سبحانه ومواقع بغضه ، وما يحب وما يكره.

الأصل الثالث : يتضمن الإيمان باليوم الآخر ، وصفات الجنة وصفات النار ، وما يوصل إلى الجنة من أعمال ، وما يوصل إلى النار من محرمات ، وبيان الثواب والعقاب.

يقول ابن تيمية رحمه الله بعد ذكر هذه الأصول : (وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر ، والسعادة والفلاح موقوفة عليها ، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل ، فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ، ومعرفة حقائقها ، وإن كان يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة ، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه ، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض ، وتنزيل الدواء عليه ، وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب ، فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان ، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا ترجى الحياة معه أبداً أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً ، فلا فلاح إلا باتباع الرسول)[1].

ومما سبق يتضح أن الوحي والرسالة قد اختصا بأمور لا يمكن الوصول إليها إلا من طريقها ، ويمكن تلخيص ذلك في أمرين :

١- الإخبار بالغيب المتضمن لتفاصيل الثواب والعقاب.

---

(١) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٩/ ٩٦- ٩٧.

٢- التشريع المتضمن للعبادات والمعاملات.

وكلا هذين الأمرين متلازمان بحيث لا يتصور شرعاً أحدهما دون الآخر. فالعبادات والمعاملات والتكاليف والأمر والنهي يترتب عليها ثواب أو عقاب.

وكذلك الثواب والعقاب هما من آثار الأعمال والعبادات ومن مسبباتها ولما كانت حقيقة هذين الأمرين لا يمكن التعرف عليها عن طريق الاستدلال العقلي والمعرفة البشرية ، فقد جاء الوحي موضحاً لهما ومبيناً لحقيقتها حتى تقوم الحجة على الخلق ببيان تلك الأمور وتوضيحها ، ولا يبقى لهم عذر بعد ذلك.

ولقد جاء تقرير الحجة في القرآن بإرسال الرسل في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [1].

وقوله تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [2].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [3].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىۤ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [4].

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٦٥.

(٢) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

(٣) سورة طه ، آية : ١٣٤.

(١) سورة القصص ، آية : ٥٩.

وقوله تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ (١).

وغيرها من الآيات التي توضح أن إرسال الرسل حجة على خلقه ، وبإرسالهم تنقطع حجة العباد ، ولا يكون لهم عذر بعد ذلك.

وفيما يلي توضيح للأمور التي جاءت بها الرسل .

أولاً : الإخبار بالغيب .

المقصود بالغيب هو كل موجود لم تدركه الحواس ، وإن أمكن أن تدركه في بعض الأحوال . فا غيب ، وكذلك ما يتعلق بأحوال المعاد والثواب والعقاب ، واليوم الآخر ، والجنة والنار ، كلها غيب لأن كل ذلك غير مدرك بالحواس في هذه الدنيا، وإن أمكن أن يكون مدركاً في الآخرة (٢).

والموجودات الغيبية تنقسم إلى قسمين :

الأول : الغيبيات المعقولة ، وهي التي يمكن الاستدلال على وجودها عن طريق العقل ، لتوقف العلم بها على دلالة العقل.

الثاني : الغيبيات المحضة ، وهي التي لا يمكن الاستدلال على وجودها عن طريق العقل ، لتوقف العلم بها على دلالة الوحي والخبر الصادق.

وأساس الفرق بين الغيب المعقول والغيب المحض هو أن العلم بالغيب المعقول ليس مبنياً على استدلال عقلي محض ، بحيث يمكن أن يدرك بحدس عقلي مباشر ، وإنما هناك واسطة محسوسة تكون دليلاً من جهة كونها ظاهرة حادثة ، فيتم إدراك الغيب المعقول بناء على رابطة التلازم الضروري بين الحقيقة الغيبية وآثارها المحسوسة ، وفق مبدأ السببية الذي يقتضي أن هذه الآثار المحسوسة لابد أن يكون لها سبب متحقق الوجود في الخارج وإن لم تدرك حقيقته وكيفيته.

---

(٢) سورة الملك ، آية : ٨.

(٣) درء تعارض العقل والنقل : ٥/ ١٧٢.

وعلى ذلك فإنه لا يمكن الاستدلال على الغيب المحض ، لأنه ليس بينه وبين العقل واسطة يمكن الاستدلال بها عليه ، وإنما يعلم وجوده بالوحي والرسالة.

وضرورة التسليم بالحقائق الغيبية ليست محصورة في العقائد الدينية ، وخاصة ما يتعلق بوجود ا كما قد يظن ، بل هي ضرورة في معرفة يتحقق فيها التلازم بين أي ظاهرة محسوسة ولازمها الغيبي.

وليس هنا مجال البحث في كل هذه المعارف ، والذي يهمنا ما يتعلق بالعقائد الدينية الغيبية.

فكل مسألة من دين ا تعالى لابد أن يرد فيها نقل ، ذلك أن ا تعالى قد أكمل لنا الدين كما قال تعالى : ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١) .

ومسائل الاعتقاد على قسمين . فما أمكن أن يستدل له بالأدلة العقلية فلا بد أن يرد في الوحي ما يدل عليه بحيث لا تكون الدلالة فيه عقلية خالصة ، فتكون تلك المسائل عقلية من جهة دلالة العقل عليها ، ونقليه من جهة دلالة النقل عليها ، وكونها من الدين المنزل.

والأدلة النقلية إنما ترشد إلى تلك الدلالة العقلية ، وذلك أن ا تعالى ما جعل الأدلة العقلية إلا لتعقل ويستدل بها.

أما ما لا يمكن الاستدلال عليه بالأدلة العقلية فلا بد أن يرد به الوحي لكونه من الغيب المحض.

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٣.

وبذلك يظهر أن الوحي قد شمل جميع الموجودات الغيبية ، بينها ودل عليها[1].

ومن ذلك : وجود ا تعالى ووحدانيته.

فمع أن وجود ا حقيقةٌ فطرية معلومة بالضرورة . وذلك عند الفطر السليمة.

فقد جاء الوحي بالدلالة عليه بالأدلة النقلية التي ترشد إلى الدليل العقلي . وذلك لأنها من الأمور الغيبية في جملتها.

والاستدلال على وجود ا تعالى إنما يقوم على دلالة المخلوقات عليـه ، بنـاء على مبدأ السببية الذي يقتضي استحالة أن يكون وجود المخلوقات على ما هي عليه من الإتقان والإحكام من غير سبب ، بل لا بد أن يكون لها موجد.

فدلالة العقل على وجود ا تعالى عن طريق دليلين ، وهمـا : دليـل الخلـق والإيجاد ، ودليل الإحكام والإتقان.

فدليل الخلق والإيجاد وهو أنه لا يتصور أن يكون هذا الخلق وهذه الموجودات إلا بموجد وخالق لها.

وقد جاء الوحي بدليل نقلي يشير إلى ذلك الدليل العقلي وهو قوله تعالى : ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يَبۡدَأُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [3].

أما دليل الإحكام والإتقان فقد أرشد ا تعالى إليه بدليل نقلـي ، وهـو قولـه تعالى : ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ

---

(١) انظر المعرفة في الإسلام ، د. عبد ا القرني : ١٥٧ وما بعدها .

(٢) سورة الطور ، آية : ٣٥.

(٣) سورة النمل ، آية : ٦٤.

كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢).

وقوله تعـالى : ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ (٤).

فهذه الآيات تدل على الإحكام والإتقان في المخلوقات ، وأنه لا يمكن أن يتحقق الانتظام من غير مدبر ، وهذا ما يقتضي وجود الله تعالى.

والمقصود أنه مع دلالة العقل والفطرة السليمة علـى وجـود الله مـن خـلال الظواهر والموجودات المحكمة التي تستلزم أن يكون لازمها موجوداً غيبياً لا تدركـه الحواس.

ومع هذه الدلالة العقلية فقد أشار القرآن بدليل نقلي إلى هذه الأدلة العقلية حتـى يرشد إلى هذا الأمر الغيبي وهو وجود الله ، وبذلك يكون الاستدلال علـى وجـود الله بدليل عقلي ودليل نقلي معاً.

وكذلك وحدانية الله تعالى فهي كذلك أمر غيبي ، وهو أن خالق الكون ومـدبره واحد ، وذلك لعدم إمكان تعدد الآلهة المدبرة للعالم مـع تحقـق هـذا الانتظـام فـي المخلوقات.

---

(١) سورة الفرقان ، آية : ٢.

(٢) سورة النمل ، آية : ٨٨.

(٣) سورة السجدة ، آية : ٧.

(٤) سورة الملك ، آية : ٣.

فتعدد الآلهة المدبرة للعالم يلزم منه اختلاف إرادتهم في تدبير المخلوقات ، وهذا يستلزم فساد المخلوقات وعدم انتظامها ، وذلك لامتناع وجود مقدور بين قادرين لكـل منهما تمام التأثير في وجوده .

ولكن المخلوقات منتظمة ، وهذا يدل على أن المدبر لها لابد أن يكـون واحـداً وهو ا تعالى.

وهذا الدليل العقلي على وحدانية ا تعالى هو الذي يسميه المتكلمـون (دليـل التمانع) وهو في أصله صحيح ، بل هو مقتضى الضرورة العقليـة ، وإن كـان قـد يعرض لهم خطأ في بعض تفاصيله ، وقد أشار ا تعالى في القرآن الكريم إلى هـذا الدليل العقلي بدليل نقلي حيث قال تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [1].

ومن هذه النصوص المتضمنة لهذه الدلالة العقلية على وحدانية ا تعالى قولـه تعالى : ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [2].

والمقصود أن هذه المسألة مع كونها غيبية إلا أنه يمكن الاستدلال عليها عقلاً ، وقد أشار الوحي إليها بدليل نقلي ، وذلك لأنها عقيدة دينية بل هي أساس دين ا فـي الأرض ، وهو التوحيد ، وبذلك تكون هذه المسألة ثابتة عقلاً ونقلاً.

ثانياً : صفات الله تبارك وتعالى :

فما هو معلوم أنها توقيفية ، بحيث لا يصح إثبات صفة لم يرد بها نص فـي الكتاب أو السنة ، وكذلك لا يصح نفي صفة وردت في الكتاب أو السنة ، ولا يصح تأويلها أو صرف النصوص عن ظاهرها بدون صارف.

وهذه الصفات هي من الأمور الغيبية وذلك لأن ا تعالى المتصف بها يعد من الغيب.

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : ٩١.

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٢٢.

ولكن من هذه الصفات ما يمكن الاستدلال بالعقل على ثبوتها تعالى ، مع أن الوحي قد ورد بها ، ومنها ما يتوقف العلم بها على الوحي ، بحيث لا يمكن إثباتها إلا بدليل نقلي.

وأساس التصديق والإيمان بصفات ا أن يكون الوحي قد دل عليها سواء أمكن ثبوتها بالعقل أم لا ، فعدم دلالة العقل على أمر لا يدل على عدمه في ذاته ، بل قـد يكون ثابتاً ولا يمكن العلم به إلا من طريق النقل.

ومن الصفات التي يمكن الاستدلال عليها بالعقل صفة العلم والحكمـة والعـدل والسمع والبصر وغيرها ، فهذه يمكن الاستدلال عليها عقلاً ، كما أن النـصوص قـد وردت بالدلالة عليها.

ومن الصفات التي لا يمكن الاستدلال عليها بالعقل هي مـا تـسمى بالـصفات الخبرية لتوقف التسليم بها على الخبر الصادق وهي مثل الاستواء والمجيء والإتيـان والساق والقدم وغيرها.

ويمكن الاستدلال على صفات ا تعالى – التي يمكن الاستدلال عليها بالعقل – عن طريق القياس الأولى ، والذي أساسه أن كل كمال ثبت للمخلوق ولم يستلزم نقصاً فا متصف به لأنه هو خالق المخلوقات وخالق الكمال ، وهو الذي جعـل المخلـوق على تلك الصفة ، فيكون أحق وأولى بالاتصاف بها.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الدلالة العقلية على إثبات الصفات بدليل نقلـي حيث قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَأُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ (٢).

---

(١) سورة الروم ، آية : ٢٧.

(١) سورة فصلت ، آية : ١٥.

وكذلك يمكن الاستدلال على إثبات صفات ا عن طريق التقابل والتناقض بـين صفات الكمال والنقص ، والذي يقتضي أن إثبات أحدهما يستلزم نفـي الآخـر ، لأن التقابل بينهما هو من تقابل السلب والإيجاب الذي لا يمكن فيه اجتمـاع المتقـابلين ولا انتفاؤهما معاً.

وهذا يستلزم أن كل وصف كمال لا يستلزم نقصاً فلا بد أن يكون كمالـه ، لأنه إذا لم يتصف به اتصف بضده وهو النقص – وا منزه عن ذلك سبحانه.

وعلى هذا فكل صفات الكمال هي ثابتة لأنه منزه عن نقيضها وهي صـفات النقص.

وقد أشار القرآن إلى هذه الدلالة العقلية بدليل نقلي ، حيث قال تعـالى : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه الـسلام : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾ (٢).

وقال أيضاً : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ ﴾ (٣).

فعاب عليهم ا تعالى عبادة من يتصف بصفات النقص التـي تـستلزم عـدم اتصافهم بصفات الكمال . وهذا دليل على استحقاقه تعالى للعبادة ، لأنه هو المتـصف بصفات الكمال المطلق.

ومما سبق يتبين أن الأدلة العقلية التي تثبت الصفات تعالى قد أشـار إليهـا القرآن الكريم ، وذلك لأن صفات ا تعالى من الغيب النسبي الذي يمكـن الاسـتدلال على بعضها عقلاً ، ولكن الوحي أشار إليها لأنها عقيدة دينية لابد أن تثبت عقلاً ونقلاً.

---

(٢) سورة النحل ، آية : ١٧ .

(٣) سورة مريم ، آية : ٤٢.

(٤) سورة الأعراف ، آية : ١٩٥.

ثالثاً : أخبار المعاد واليوم الآخر والجزاء العادل وتفاصيل الثواب والعقاب.

تفاصيل الثواب والعقاب والجنة والنار وأخبار المعاد واليوم الآخر كلهـا مـن الأمور الغيبية المعقولة التي يمكن الاستدلال عليها عقلاً.

فأما البعث فإنه قد يستدل عليه عقلاً بوقوعه في الحياة الدنيا ، وله أمثلة كثيـرة جاءت في القرآن الكريم ، حيث قال تعالى عن بني إسـرائيل : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ ﴾ (1).

وقال تعالى في قصة البقرة التي حدثت في بني إسرائيل : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (2).

وقد يثبت البعث بوجود نظيره حيث يحي ا الأرض بعد موتها بـالمطر وقـد أشار القرآن إلى هذه الدلالة العقلية حيث قال تعـالى : ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (3).

وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة في الفصل الثالث من الباب الثالث إن شاء ا تعالى(4).

والمقصود أن البعث ممكن من حيث الاستدلال العقلي عليه ، ومن جهة إخبـار الوحي به في عدد من آيات القرآن الكريم حيث أثبت القـرآن هـذه الحقيقـة وبـين

---

(1) سورة البقرة ، آية : 55-56.

(2) سورة البقرة ، آية : 73.

(3) سورة الزخرف ، آية : 11.

(1) انظر ص (843) من هذا البحث.

ضرورتها لقيام الجزاء العادل بين الناس يقول تعـالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾(١).

أما الجزاء العادل في الآخرة ، وحصول الثواب والعقاب فهو مقتضى الإيمـان بحكمة ا تعالى وعدله وأنه لا يمكن أن يخلق الخلق عبثاً بلا أمر ولا نهي ولا حساب ولا جزاء.

وهذا الدليل العقلي على إثبات الجزاء ، وهو أن حكمته تعالى وعدله يـستلزمان وقوع الجزاء في دار أخرى غير هذه الدار ، حيث يقتضي ا للمظلوم من الظـالم ، وهذا ما ينفي العبث عن خلق ا تعالى . قد أشار إليه القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾ (٢).

كذلك فإن حصول الجزاء في الآخرة هو مقتضى عدله سبحانه وتعـالى وعـدم تسويته بين المؤمن والكافر ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حيث قال : ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢ ﴾(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ ﴾ (٤).

أما تفاصيل الثواب والعقاب الجنة والنار والصراط والميزان والحشر وغيرهـا فهذه من الأمور الغيبية المحضة التي لا يمكن الاستدلال عليها ، ولذلك فقد بينها الوحي في آيات وأحاديث كثيرة وصف فيها ا تعالى عرصات يوم القيامة والحشر ، ووصف

---

(٢) سورة التغابن ، آية : ٧ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥ – ١١٦.

(١) سورة الجاثية ، آية : ٢١ – ٢٢.

(٢) سورة القلم ، آية : ٣٥ – ٣٦.

لنا الجنة ونعيمها والنار وسمومها بما يكفي في إقامة الحجة على الخلق ، وسيأتي بيان ذلك لاحقاً إن شاء ا تعالى[1].

والمقصود أن كل هذه الأمور الغيبية التي لا تدرك بالحواس قد أشار ا إليهـا في وحيه ورسالته ، وهذه من أعظم الحكم من إرسال الرسل وإنزال الكتـب ، فهـذه الأمور الغيبية وإن دل عليه العقل فإن الإيمان واليقين بها لا يحصل إلا بإرسال الرسل وتصديقهم والإيمان بما جاءوا به .

فإرسال الرسل بهذه الأمور الغيبية المراد منه أمران :

أولاً : إخبار الناس بهذه الأمور التي بها صلاح دينهم ودنياهم حيث هـي مـن العقائد الدينية التي لا يصلح دين المرء إلا باعتقادها والإيمان بها.

ثانياً : إقامة الحجة على الخلق ، وذلك بإخبارهم بهذه الأمور الغيبيـة التـي لا يمكن معرفتها عن طريق العقل وحده ، ولذلك فقد أرسل ا الرسل لإرشاد الناس إلى هذه الأمور ، وبيان مواقع محبته وثوابه ، ومواضع غضبه وعقابه حتى إذا عذبهم لـم يكن ظالماً لهم سبحانه.

ثانياً : التشريع .

إن مهمة الرسل عليهم صلوات ا وسلامه- وهي الدعوة إلى توحيد ا تعالى وإفراده بالعبادة ، وبيان الجزاء العادل لمن وحده ولمن أشرك به ، والتحذير من عقاب ا والتبشير بفضله وثوابه- تقتضي أن يكون هناك تشريع ييسر الوصول إلى مرضاة ا .

---

(٣) راجع ص (٨٣٠) وص (٩٧٢) من هذا البحث.

فالأمر بالتوحيد والدعوة إلى ا تعالى والتحذير من العذاب والتبشير بـالثواب كلها أمور لا تستقيم إلا بوضع تشريع إلهي ومنهج رباني يشمل جميع شـئون الحيـاة سواء العبادات منها أو المعاملات وذلك إكمالاً لإقامة الحجة وإتماما لهذا الأمر.

وأساس ذلك أن البشر لا يمكنهم أن يدركوا طرق التعبد تعالى ، ولا يمكـنهم أن يستقلوا بالتشريع المناسب لأنفسهم فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات.

ولذلك فقد أرسل ا تعالى رسله مبينين للناس التشريع الإلهـي فـي العبـادات والمعاملات ، ومقررين لهم المنهج القويم الذي ارتضاه لهم رب العالمين في أمر دينهم ودنياهم.

وإرسال الرسل من ا تعالى بالتشريع للخلـق فـي أمـورهم التعبديـة وفـي معاملاتهم هو مقتضى عدله سبحانه ، وهو حجته على خلقه.

أما العبادات فأولها الدعوة إلى التوحيد ، وهو أساس دعوة الرسل ولأجله أرسل ا الرسل ، وأنزل الكتب ، وهو الدعوة إلى عبادة ا وحده لا شريك له ، وكل الرسل من أولهم إلى أخرهم جاءوا تحت لواء التوحيد والدعوة إلى إفراد ا تعـالى بالعبـادة وترك كل ما كان يعبد من دون ا ، فقد جاءت الدعوة إلى التوحيد على لـسان كـل الأنبياء ، يقول تعالى : ﴿ وَاسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (١).

وقـال تعـالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٢).

ولذلك حرم ا التفريق بين الرسل والأنبياء ، أو الإيمان ببعض والكفر ببعضهم الآخر ، لأنه في الحقيقة تكذيب لجنس الرسالة والنبـوة ، قـال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ

---

(١) سورة الزخرف ، آية : ٤٥.

(١) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥.

وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ١٥٠ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ١٥١ ﴾ (1).

ولذلك عقب سبحانه بمدح المؤمنين جميعا فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ (2).

فالإيمان برسول واحد لا يكفي بل لابد من الإيمان بكل الرسل والتكذيب برسول واحد هو تكذيب لسائر الرسل ، وطاعة رسول واحد هو طاعة لجميع الرسل.

ولذلك حكم ا تعالى على كل أمة كذبت رسولها بأنها كذبت المرسلين.

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (3). وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (4) . وقال تعالى : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (5) . مع أن نوح هو أول الرسل(6).

وتوحيده سبحانه وتعالى في العبادة ونبذ ما سواه هو الأصل الذي يرتكز عليه التشريع في العبادات.

ولذلك كانت دعوة الرسول ﷺ أولاً إلى التوحيد وترك الشرك وعبادة الأصنام ، ثم فرضت عليه الفروض والعبادات بعد ذلك.

فإن توحيد ا تعالى يقتضي إفراد ا بالتشريع ، والاعتراف بأنه حق خالص ، وليس لأحد غيره أن يشاركه.

---

(2) سورة النساء ، آية : 150-151.

(3) سورة النساء ، آية : 152.

(4) سورة الشعراء ، آية : 160.

(5) سورة الشعراء ، آية : 105 .

(6) سورة الفرقان ، آية : 37.

(7) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : 19-85.

والتشريع في العبادات يقوم على أساس أن البشر لا يمكنهم أن يستقلوا بـإدراك طرق التعبد تعالى ، كما لا يمكنهم أن يستقلوا بوضع القوانين والشرائع لأنفسهم في العبادة ، والاستدلال العقلي لا يمكنه التوصل إلى مواطن محبة ا ومـواطن بغـضه الدقيقة.

فإن التفصيل الدقيق هو من وظيفة الرسالة والوحي فقط.

والعبادة هي من حق ا تعالى على عباده ، ولهذا كان المشرع للعبادة هـو ا وحده ، والرسل هم الذين بينوا للناس ما يحبه ا وما يرضاه وما يبغضه وما يسخطه.

وانفراده سبحانه بالتشريع في العبادات هو مقتضى عدله سبحانه ، فهو المعبود وحده الذي يبين لعباده الطرائق التعبدية الدقيقة التي يحبها ويرضاها ، لأنه هو وحـده الذي يجازي عباده على أعمالهم .

ولذلك كان ما جاء من غير ا تعالى بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، لأنها لم يأمر ا بها ولا رسوله ، فالرسل جاءت من عند ا موضحة للعباد الطرق التعبدية التـي يريدها ا سبحانه وتعالى ، وكانوا قدوة في أنفسهم وفي تعبدهم ، وتطبيق كل ما جـاءوا به من عند ا من الصلاة والصيام وغيرها من الشرائع ، يقول تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراًۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ (1).

ويقول تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً ﴾ (2).

وقد صلى رسول ا ﷺ وقال : (صلوا كما رأيتموني أصلي) (3).

وصام رمضان مع أصحابه وأوضح لهم أحكامه ووقته وشروطه ونواقضه.

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ٩٠ .

(1) سورة الأحزاب ، آية : ١٢ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة : ٢٢٦/١ من حديث مالك بن الحويرث رضي ا عنه .

وحج معهم في آخر حياته وقال لهم : (لتأخذوا مناسككم) [1].

وأما المعاملات وما يتعلق بالعلاقات العامة بين الناس فقد تفرد ا سبحانه وتعالى بالتشريع فيها بناء على توحيده وأمره بإفراده بالعبادة.

ووضع قانوناً وتشريعاً للبشر يتحاكمون إليه ، يقوم على أصل أن الإنسان اجتماعي بطبعه فلا بد له من جماعة يعيش معها ، بل ولا يستطيع أن يعيش فرداً .

فلا بد للإنسان من تعاون مع أفراد جنسه لسد حاجته ، ولذلك فإن الجماعة البشرية كلها يحتاج بعضها إلى بعضها الآخر ، وكل فرد يؤدي عملاً يعود نفعه عليه وعلى الجميع.

ووسط هذا التفاعل بين الناس تنشأ الخلافات والتناقضات ، وذلك لتفاوت العقول والإدراكات واختلاف الطبائع وتعدد النزعات ، وهذا ما يؤدي إلى الفساد في الأرض.

ولذلك فقد أرسل ا الرسل بالتشريع العادل الذي يضمن حق كل فرد من أفراد المجتمع ، ويجمع الجميع حول دائرة الحق والعدل ، يقول فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي : (إن تفاوت العقول والمدارك وتباين الأفكار واختلاف الأغراض والمنازع ينشأ عنه تضارب الآراء وتناقض المذاهب ، وذلك مما يفضي إلى سفك الدماء ، ونهب الأموال ، والاعتداء على الأعراض ، وانتهاك الحرمات ، وبالجملة ينتهي بالناس إلى تخريب وتدمير ، لا إلى تنظيم وحسن تدبير ، ولا يرتفع هذا إلا برسول يبعثه ا بفصل الخطاب ، ليقيم به الحجة ، ويوضح به المحجة ، فاقتضت حكمة ا أن يرسل رسله بالهدى ودين الحق رحمة منه بعباده ، وإقامة للعدل بينهم ، وتبصيرا لهم بما يجب عليهم من حقوق خالقهم وحقوق أنفسهم وإخوانهم ، وإعانة لهم على أنفسهم ، وإعذاراً إليهم ، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من ا) [2].

---

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب استحباب رمي جمرة العقبة : ٩٤٣/٢ عن جابر رضي ا عنه .

(١) الحكمة من إرسال الرسل ، لفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي : ١٥.

وانفراده سبحانه وتعالى بالتشريع يقوم على أساسين ضروريين ، يتعلق أحدهما بتوحيد ا   وما يقتضيه من إفراد ا   بالتشريع ، والأساس الثاني يتعلق بطبيعة النفس البشرية وتكوينها ، وما يقتضيه ذلك من عدم إمكان استقلال الإنسان بالتشريع لنفسه .

أما الأساس الأول وهو انفراد ا   بالتشريع بناء على انفراده بالعبادة ، وذلك لأن التشريع هو الإلزام والأمر والإيجاب والتحريم ممن يملك الحق في الأمر والنهي ، وا تعالى هو المنفرد بالتدبير والملك ، فلزم أن يكون منفردا بالأمر . فله الأمر الشرعي والكوني.

والأمر إذا أطلق في كتاب ا   شمل الأمر الكوني كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [1]. وشمل كذلك الأمر الشرعي كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [2].

ولاشك أن إيمان العبد لا يتحقق إلا بالتسليم   في أمره الكوني والشرعي معا.

ولذلك فإن التحاكم إلى شرع ا   شرط في تحقيق الإيمان كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ [4].

ولأن التحاكم إلى شرع ا   شرط من شروط الإيمان ، فإن التحاكم إلى غير الشريعة الإلهية كفر وخروج من الملة ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ

---

(٢) سورة يس ، آية : ٨٢.

(٣) سورة السجدة ، آية : ٢٤.

(٤) سورة النساء ، آية : ٦٥.

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٣٦.

وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (1).

أما الأساس الثاني وهو أن البشر لا يمكنهم أن يدركوا ما تختص به الشرائع من الدلالة على طرق التعبد تعالى ، والاستقلال بالتشريع في أمور المعاملات ، ويرتكز ذلك على عدة ركائز.

الأولى : هي جهل الإنسان عن إدراك الأحكام المطلقة التي يقوم عليها التشريع، فالبشر يعجزون عن إدراك الغايات والحكم التي يستند إليها التشريع ، بحيث يشمل ذلك التشريع كل زمان ومكان ، وهذا ما يشهد له الواقع ، حيث لم يتمكن الإنسان من وضع قانون بشري يحقق هذه الغاية ، فما زال البشر يضعون قانونًا يرجعون عنه في سنوات مقبلة ، ويرفضون قانونًا يلجأون إليه بعد ذلك.

ولذلك فإن جميع المجتمعات التي تحكم بالقوانين الوضعية ما زالت تموج فـي مظاهر الفساد والانحراف ، وذلك أكبر برهان على فساد تلك القوانين وعـدم وفائهـا بمصالح الناس.

أما الركيزة الثانية : فهي غلبة الهوى على النفس البشرية ، بحيث لا يمكـن أن يكون التشريع البشري محققًا للعدالة ، وحب الإنسان لنفسه يعميه ويصمه عـن الحـق والعدل ، ولذلك قابل ا تعالى بين العدل واتباع الهوى على أساس التنـاقض بينهمـا حيث قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ (2).

وعلى هذا فإن شريعة ا لا تحكمها الأهواء ، وقد نهى ا تعالى رسـله مـن اتباع الهوى في الحكم بين الناس فقال لنبيه محمـد ﷺ : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ

(2) سورة المائدة ، آية : ٤٤.

(1) سورة النساء ، آية : ١٣٥.

مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ۚ إِلَىٰ الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [1] ، وقال لنبيه داود عليه السلام : ﴿ يَٰدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [2].

والواقع يشهد أن الناس إذا شرعوا فإنما يشرعون لمصالحهم ، لا للحق والعدل وتجد الدول القوية التي لها نفوذ في العالم تعارض أي قرار لا يتحقق مع أهوائها ومصالحها الخاصة ، وحق النقض وهو ما يسمونه(حق الفيتو) - وهو حق الاعتراض على أي قرار يعارض مصالح أي قوة من تلك القوى العظمى دون نظر إلى حقوق غيرهم - هو أكبر دليل على تحكم الأهواء في القوانين البشرية المعاصرة[3].

وأساس احتياج الناس إلى التشريع الإلهي وكونه ضرورة لهم ، أن البشر لا يدركون الفرق بين المصالح والمفاسد في الجملة.

وإن كانت الفطرة والعقل يدلان على ذلك إلا أن دلالتهما مجملة ، أما الشرع فإنه يختص بالتفصيل والبيان ، ولذلك فإن الوحي والرسالة لا غنى عنها ، وقد تقدم بيان ذلك في قضية التحسين والتقبيح العقليين[4].

ومن تأمل الشريعة في أمر المعاملات ، ويجد أن الشرع لم يأت بمخالفة ما كان عليه الناس من كل وجه في كل شيء ، بل أبقاهم على كثير مما كانوا عليه ، وإنما

---

(٢) سورة المائدة ، آية : ٤٨.

(٣) سورة ص ، آية : ٢٦.

(٤) انظر المعرفة في الإسلام ، لـ د. عبد ا محمد القرني : ١٦٣ وما بعدها.

(١) انظر ص (١٥٣) من هذا البحث.

حرم عليهم ما كانت مفاسده ظاهرة ، فحرم الزنا وأبطل بعض أنواع النكاح التي كانوا عليها، وأحل لهم من النكاح ما تتحقق به المصلحة المقصودة به وأبقاهم عليه.

وكذلك حرم الربا الذي كانوا يتعاملون به ، وأحل لهم البيـع وأبقـاهم عليـه ، وهكذا في جميع ما يتعلق بالعقود والعادات وسائر المعاملات ، وكذلك المآكـل حيـث حرم عليهم الدم والخنزير والخمر وبعض المآكل مع إبقائهم على ما هـم عليـه مـن غيرها من الأطعمة والأشربة ، وفي الملابس حرم على الرجال الحريـر والـذهب ، وحرم لباس الشهرة ، والتشبه بالكفار وغيرها من الألبسة ، مع إبقائهم على ما هم عليه من اللباس.

وهذا ما يبين أن الأصل في التشريع في المعاملات الإباحة ، ولا يحل أحـد شـيئاً ، ولا يحرم إلا بدليل شرعي ، فما ورد الشرع بتحليله فهو حلال ، وما ورد النهي عنـه فهو حرام .

وهذا ما يبين الفرق بين التشريع في العبادات والتشريع في المعـاملات ، فأمـا العبادة فإنه لا يأتي أحد بشيء إلا بما شرعه ا ، والمعاملات والعقود لا ينفـي أحـد شيئاً منها إلا بما شرعه ا .

فالعبادة لا يدخل أحد فيها أمراً إلا بدليل شرعي ، والمعاملات لا يخـرج أحـد منها إلا بدليل شرعي [(١)].

وفي بيان ذلك يقول ابن القيم رحمه ا : (الفرق بينهما أن ا سبحانه لا يعبد إلا بما شرعه ا على ألسنة رسله ، فإن العبادة حقه على عباده ، وحقه الذي أحقه هو رضي به وشرعه . وأما العقود والشروط والمعاملات فهو عفو حتى يحرمها ، ولهـذا نفى ا سبحانه وتعالى على المشركين مخالفة هذين الأصليين وهو تحريم ما لـم يحرمـه ، والتقرب إليه بما لم يشرعه) [(٢)].

---

(١) انظر المعرفة في الإسلام ، د. عبد ا القرني : ١٦٦.

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم : ٣٤٤/١.

وبعد .. فإن وضع التشريع الإلهي الذي أرسلت به الرسل هو مقتـضى عدلـه سبحانه ، فهو سبحانه الذي أحاط بكل شيء علماً ، علم ما عليه خلقه من جهل وضعف وعجز واختلاف ، فوضع لهم قانوناً عادلاً ، وشرع لهم شرعاً قويماً ومنهجاً وسـطاً ، ولم يترك في شرعه شيء إلا وبينه لهم ، وأمرهم بالسير عليه واتباعه ونبذ ما سـواه من الطرق والسبل والشرائع والمنـاهج ، يقـول تعـالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1].

وبذلك فقد أقام ا له حجة ظاهرة على خلقه ، فليس لأحد أن يقول : قد ضـللنا السبيل . فإن السبيل واضحة بما أرسلت به الرسل مـن الأخبـار الغيبيـة والأمـور والنواهي التشريعية في الشرائع التعبدية والمعاملات والعقود ، ولا مجال إلـى إنكـار ذلك ولا الاعتذار به.

وتظهر دلائل عدله سبحانه في إرساله الرسل إلى خلقه ، لإقامة الحجة علـيهم في دعوة الرسل نفسها في عدة أمور وهي :

أولاً : إن الرسل جميعهم عليهم صلوات ا وسلامه ، قد جاءوا لتقريـر مبـدأ واحد، وأصل واحد ، وهو عبادة ا وحده ، وترك ما يعبد من دون ا تعالى ، وهـو لب دعوة الرسل ، وجوهر الرسالات كافة ، وقد قرر ا تعالى في القرآن الكريم هذه المسألة وأكدها في مواضع متعددة ، فقد ذكر تعالى إن نوح عليه السلام دعى قومه إلى التوحيد فقال لهم : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [2] ، وكذلك إبراهيم عليه السلام حيث قال لقومه : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3]، وهـود عليه السلام قال لقومه : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

(٣) سورة الأنعام ، آية : ١٥٣ .

(١) سورة الأعراف ، آية : ٥٩.

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ١٦.

غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١) ، وصالح عليه السلام إذ قال لقومه : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

وأكد سبحانه ذلك عندما ذكر أن الدعوة إلى التوحيد كانت هي أساس دعوة الرسل جميعا فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٤).

ورغم اتفاق الرسل جميعاً في الدعوة إلى التوحيد وترك الشرك ، ورغم أن الدين الذي جاءت به الرسل هو دين واحد وهو دين الإسلام ، إلا أن شرائع الأنبياء مختلفة.

فكل رسالة جاءت قبل رسالة محمد ﷺ كانت رسالة خاصة ولمرحلة خاصة ، ولمجموعة خاصة ، وفي بيئة خاصة ، ومن ثم كانت كل رسالة من تلك الرسالات السابقة محكومة بظروفها ، ومتكيفة مع هذه الظروف ، فكل رسالة لها شريعة تناسب الحياة الواقعية التي تتآلف مع الحياة الاجتماعية والظروف البيئية والزمانية ، مع أن جميع الرسالات كانت تدعو إلى إله واحد وإلى عبودية واحدة (٥).

واختلاف الشرائع لا يكون في المسائل الأساسية ، وإنما الاختلاف في المسائل الفرعية ، أما المسائل الأساسية فهي موضع اتفاق جميع الرسالات . والمسائل الأساسية هي توحيد ا أولاً ، ثم الصلاة والزكاة ، والصوم والحج ، وغير ذلك من العبادات والمسائل الأساسية ، حيث لم تخل رسالة من هذه الأصول ، ولكن الاختلاف يكون في

---

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٦٥.

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٧٣.

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥.

(٦) سورة الزخرف ، آية : ٤٥.

(١) انظر في ظلال القرآن ، لسيد قطب : ٤٨٢/٦.

بعض تفاصيل هذه الأصول ، ويكون الاختلاف كذلك في الأحكام الفرعية التي تقبـل التغيير والتبديل .

وقد بين ا تعالى في القرآن الكريم اختلاف الـشرائع فقـال : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ۚ إِلَىٰ الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (1) ، يقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن السعدي يرحمه ا تعـالى : ﴿ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ۚ ﴾ أي : سبيلاً وسنة . وهذه الشرائع التـي تختلـف باختلاف الأمم ، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال ، وكلها ترجـع إلـى العدل ، في وقت شرعتها.

وأما الأصول الكبار ، التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان ، فإنها لا تختلف فتشرع في جميع الشرائع) (2).

وفي بيان اتفاق الرسل في العقيدة واختلافهم في الشرائع ضرب رسـول ا ﷺ لنا مثلا فقال : " الأنبياء أولاد علات .. " (3).

وفي رواية الإمام أحمد : " الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد " (4) .

قال ابن الحجر : (الأنبياء أولاد علاّت... والعلات بفتح المهملة : الـضرائر ، وأولاد العلات : الإخوة من الأب ، أمهاتهم شتّى ، ومعنى الحديث : أن أصل ديـنهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع) (5).

---

(٢) سورة المائدة ، آية : ٤٨.

(٣) تيسر الكريم الرحمن في كلام المنان ، لعبد الرحمن السعدي : ١٩٦.

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم : ١٢٧٠/١ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام : ١٨٣٧/٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣١٩/٢ .

(٣) فتح الباري بشرح بصحيح البخاري : ٤٨٩/٦ .

ومن الأمثلة على ذلك أن ا تعالى قد أحل لآدم عليه السلام تزويج بناته مـن بنيه ، ثم حرمه ا بعد ذلك.

فلما كانت البشرية بحاجة إلى هذا التشريع لحفظ النسل أباحه ا وشـرعه لآدم عليه السلام ، ثم حرمه فيما بعد لما انتفت المصلحة من تشريعه.

واختلاف الشرائع باختلاف الأمم والأحوال والأماكن والأزمان إنما هو من تمام عدله سبحانه ، وكمال حكمته حيث لم يكلف أحداً مالا يطيق ، بل جاءت دعوة الرسـل متلائمة مع الخلق متناسقة مع ظروفهم في كل زمان ومكان ، وهذا أبلـغ فـي إقامـة الحجة ، وأكمل في القبول والتلقي.

يقول فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه ا : (ومن تمام رحمه ا بعباده ونعمته عليهم ، وكمال حكمته في إقامة الحجة ، والإعذار فيما سبق عليه القول منهم ، أن جعل شريعة كل رسول من رسله شاملة لكل ما تحتاجه أمته ، جامعة لمـا يـصلح شأنها ، وينهض بها في إقامة دولتها وبناء مجدها وتقويم أودها وحفظ كيانها ، ويجعلها مثلاً أعلى في جميع شؤونها ، سعيدة في الدنيا والآخرة.... بل تضمنت فوق ذلك مـا يكمل الضروريات والحاجبات والتحسينات على خير حال وأقوم طريق) [1].

ثانياً : ختم النبوات بنبوة محمد ﷺ ، وجعل رسالته عامة : فإن ا تعـالى لمـا أرسل رسله وأنبياءه إلى البشر متتابعين منذ عهد آدم عليه السلام ، فقـد كانـت كـل رسالة خاصة بأقوام معينين ، حتى إذا أراد ا تعالى أن يختم رسالته إلى البشر ، جعل الرسالة الخاتمة رسالة عامة لكل الناس .

وهذا مقتضى حكمته سبحانه وتعالى ، فإن الرسالة الخاتمة لابد أن تمتاز عـن جميع الرسالات بما يجعلها صالحة لكل زمان ومكـان ، وملائمـة لكـل الظـروف والأحوال ، ومناسبة لكل الأقوام والأمم والأجناس ، وهذا فعلاً ما كان يميـز رسـالة محمد ﷺ.

---

(٤) الحكمة من إرسال الرسل ، للشيخ عبد الرزاق عفيفي : ٢٦،٢٧ .

يقول الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه ا تعالى : (أما هذه الأمة المحمدية ، فتشريعها خاتمة الشرائع ، ورسولها خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا نبي بعده ، فاقتضت حكمة ا أن تكون شريعته فيهم عامة دائمة إلى يوم القيامة ، كفيلة بجميع مصالحهم الدينية والدنيوية ، منظمة لنواحي حياتهم المختلفة ، مغنية لهم عما سواها في جميع أمورهم وشؤونهم ، ولو طال بهم الأمد ، واختلاف أحوالهم على مر الأيام والعصور حضارة وثقافة ، وتباينت أفكارهم ذكاء وغباوة ، وحالهم قوة وضعفاً وغنى وفقراً. وجاءت تكاليف هذه الشريعة جملتها وتفصيلها قواعدها وجزيئاتها بتحقيق مقاصد التشريع الضرورية التي لابد منها في قيام مصالح العباد الدينية والدنيوية) [1].

ولقد وصف ا تعالى الرسالة الخاتمة بأنها كاملة فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

كما أشار تعالى إلى كمال هذه الرسالة وشمولها في غير موضع من كتابه الكريم ، فقال : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [3]. وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [4].

---

(١) الحكمة من إرسال الرسل ، للشيخ عبد الرزاق عفيفي : ٣٠،٢٩.

(٢) سورة المائدة ، آية : ٣.

(١) سورة النحل ، آية : ٨٩.

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٣٨.

وشمول الرسالة الخاتمة جعلها رسالة تخاطب الإنسان من وراء كل الظروف والبيئات والأزمنة ، وجعلها شريعة تتناول حياة الإنسان من جميع النواحي ، فتصنع لها المبادئ والقواعد الأساسية ، والأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لا يتطور ولا يتحور بتغير الزمان والمكان ، ولذلك كانت الشريعة محتوية على كل ما يحتاجه الإنسان منذ زمان تلك الرسالة إلى آخر الزمان ، من ضوابط وتوجيهات ، وتشريعات وتنظيمات ، لكي تستمر ، وتنمو وتتطور ، وتتجدد[١].

ولذلك فقد جمعت الشريعة الخاتمة محاسن الرسالات السابقة ، بل وتفوقت عليها حسنًا وكمالاً ، ولذلك كانت ناسخة لكل ما قبلها من الرسالات.

ولما كانت هذه الرسالة هي الرسالة الخاتمة ، وهي الرسالة الشاملة العامة ، فقد تكفل ا سبحانه وتعالى بحفظها وصيانتها من التحريف والتبديل ، وأبعد عنها أيدي العابثين . يقول تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [٢].

ويقول تعالى عن الكتاب العزيز : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [٣].

والحاصل أن ختم رسالة محمد ﷺ للرسالات السابقة وكونها عامة وشاملة وصالحة لكل زمان ومكان ، تم حفظها من قبل ا تعالى لهو دليل صريح على إقامة الحجة على الخلق بهذا الدين الذي حفظه لهم ، وهي بيان لكمال حكمته وعدله سبحانه، فما زالت الآيات تتلى منذ عهد الرسول ﷺ إلى هذه الساعة ، وما زال القرآن مليئاً بالتوجيهات والتنظيمات ، والحكم والمواعظ ، والقصص والأمثال والعبر ، وتفصيل الثواب والعقاب ، والبشارة والنذارة التي ترشد الإنسان إلى جادة الصواب.

والذي نفسي بيده إن هذا الكتاب العزيز وهو القرآن الكريم لهو أعظم حجة تعالى على خلقه ، ولذلك يقال للمنكرين الجاحدين يوم القيامة : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ

---

(٣) انظر في ظلال القرآن ، لسيد قطب : ٤٨٢/٦.

(٤) سورة الحجر ، آية : ٩.

(٥) سورة فصلت ، آية : ٤٢ .

عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (1) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ (2).

ولذلك فقد أنكر ا تعالى على من يكفر با مع وجود هذا الكتاب الكريم ، يقول تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (3).

ثالثاً : بشرية الرسل ، فاصطفاء ا تعالى لرسله وأنبيائه لا يخرجهم عن طور البشرية ، بل هم بشر كغيرهم من سـائر النـاس ، لا يتميـزون عـنهم إلا بـالوحي والرسالة، قـال تعـالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا ﴾ (4).

ولذلك فإنه يجوز عليهم ما يجوز على سائر البشر من أكـل وشـرب ونكـاح ومرض وموت وغير ذلك . يقـول تعـالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ (5) ، وقال تعالى على لسان المخالفين للرسل : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (6) ، وقـال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ

---

(1) سورة المؤمنون ، آية : ١٠٥.

(2) سورة الجاثية ، آية : ٣١.

(3) سورة آل عمران ، آية : ١٠١.

(4) سورة الكهف ، آية : ١١٠.

(1) سورة الفرقان ، آية : ٢٠.

(2) سورة المؤمنون ، آية : ٣٣.

كِتَابٌ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [2].

ولقد اعترض كثير من الناس على بشرية الرسل ، واستعظموا أن يختار ا بشرا رسولاً ، فقال تعالى عن هؤلاء المعترضين : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلاَّ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ [3].

ولهذا كانت بشرية الرسل سبباً في تكذيب كثير من الأقوام لرسلهم وأنبيائهم يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ٢٦ فَقَالَ ٱلْمَلأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلاَّ ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ٢٧ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَراً مِّنَّا وَٰحِداً نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذاً لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ٢٤ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ٢٥ ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ

(٣) سورة الرعد ، آية : ٣٨.

(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٤٤.

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٩٤.

(٦) سورة هود ، آية :٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧.

(١) سورة القمر ، آية : ٢٣ – ٢٥.

مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾ (١).

وهؤلاء المعترضون على بشرية الرسل، لم ينظروا إلى حكمة ا وفضله في جعل الرسل من البشر أنفسهم، إضافة إلى اعتراضهم على قدر ا واختياره ، فلم يقدروا ا حق قدره حيث جعلوا اختياره للبشر مستحيلاً أو مخلاً وشائنًا لأمر الرسالة ومنافياً للحكمة ، مع أن الحكمة إنما هي في كون الرسل بشراً ، ولذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ (٢).

وهؤلاء المعترضون نظروا بقصير نظرهم إلى اختيار ا واستكبروا أن يختار ا من البشر الذي يأكل ويشرب وينام ويمشي ويتزوج رسولاً ، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ (٣).

وما علم هؤلاء أن الرسالة اصطفاء رباني ، وهبة إلهية يلقبها ا على من يشاء من عباده ، ويعد ا لها واحدا من جنس البشر إعداداً خاصاً لتحملها يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ (٤).

---

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ١٠ – ١١.
(٣) سورة الأنعام ، آية : ٩١.
(٤) سورة الفرقان ، آية : ٧.
(١) سورة ص ، آية : ٤٧.

وهو سبحانه يعلم حيث يجعل رسالته ، وحكمته سبحانه وتعالى في ذلك بالغة ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [٢].

والمعترضون على بشرية الرسل أرادوا أن يكون الرسول من الملائكة ولـذلك قـال تعـالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ [٣].

ولقد بين ا تعالى في القرآن الكريم أن حكمته سبحانه إنما هي في جعل الرسل بشراً ، أما جعل الرسل ملائكة فإن هذا مما ينافي الحكمة وذلك لعدة أمور:

١- إن الملائكة ليس مكانهم الأرض، ولم يعهد أن الملائكة ينزلون ويمشون مع الناس ، ولذلك قال تعالى في معرض الرد على هؤلاء المكذبين : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾ [٤].

٢- إن البشر لا يستطيعون رؤية الملائكة ولا التلقي عنهم ، فلـو شـاء ا أن ينزل عليهم ملكًا لجعله على هيئة إنسان وعلى شكل رجل حتى يستطيع مخـاطبتهم ، ويكون بإمكان الناس التلقي عنه وإلفه والاقتراب منه ، وهذا ما يجعل الأمـر ملتبـسا

---

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٢٤.
(٣) سورة إبراهيم ، آية : ١١.
(٤) سورة الفرقان ، آية : ٢١.
(٥) سورة الإسراء ، آية : ٩٥.

عليهم ، يقـول تعـالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [1] ، يقول ابن كثير رحمه ا تعالى : (يخبر ا أنه لو بعث رسولاً ملكاً ، لكان على هيئة رجل ، ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس الأمر علـيهم) [2].

إن بشرية الرسل عليهم صلوات ا وسلامه إنما هي مقتضى حكمتـه سـبحانه وعدله ، فكون الرسل بشراً أشد في التوضيح للناس ، وأكمل في تبليغ الرسالة ، وذلك لأن الرسول البشري أقدر على قيادة الأمة وتوجيهها ، وهو بذلك قدوة لأتباعه ، أسوة لهم ، فإرسال الرسل من البشر ضروري لكي يتمكن الناس من مخاطبتهم والأخـذ عـنهم ، ولكي يتمكن الرسل من إفهام الناس والتبيين لهم ، وهذا مالا يمكن أن يكون لـو كـان الرسل ملائكة.

وذلك لأن الملائكة ليسوا من جنس البشر ، ولا يدركون طبيعة البشر ، والبشر لا يدركون طبيعة الملائكة ولا يمكنهم رؤيتهم على صورتهم الحقيقية ، وهذا ما يسبب المشقة والعناء عند الاتصال بهم.

يقول فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه ا تعالى : (وليس بدعاً أن يختار ا نبيا من البشر ، ويبعث في الناس رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهـم الكتاب والحكمة ، بل ذلك مقتضى الحكمة وموجب العقل ، وما جرت به سنة ا فـي أنبيائه ، فإن ا سبحانه قد مضت سنته في خلقه أن يجعلهم أنواعـاً مختلفـة ، علـى طرائق شتى وطبائع متباينة ، لكل نوع غرائزه وميوله ، أو خواصه ومميزاتـه التـي تقضي بالأنس والتآلف بين أفراده ، وتساعد على التفاهم والتعاون بـين الجماعـات ، ليقوم الوجود ، وينتظم الكون ، فكان اختيار الرسول من الأمة أقرب إلى أخذها عنه ، وأدعى إلى فهمها منه وتعاونها معه لمزيد التناسب ومكان الإلف بـين أفـراد النـوع

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٢٥/٢ .

الواحد ، ولو كان عمار الأرض من الملائكة ، لاقتضت الحكمة أن يبعث ا إليهم ملكاً رسولاً)[1].

فالأمم التي يرسل إليها الرسل فإنها تجد فيه قدوة حية ، وذلك بتطبيقه كـل مـا يأمر به ، ولا يكون لهم حجة في رد ما يأمرهم به ، ولا وجه لهم لأن يقولوا : إنما هو ليس من جنسنا وما يأمرنا به لا طاقة لنا به.

وفي ذلك يقول سيد قطب [2] : (وإنها لحكمة تبدو في رسالة واحد من البـشر إلى البشر ، واحد من البشر يحس بإحساسهم ، ويتذوق مواجدهم ، ويعاني تجـاربهم ، ويدرك آلامهم وآمالهم ، ويعرف نوازعهم وأشواقهم ، ويعلم ضروراتهم...، ومن ثـم يعطف على ضعفهم ونقصهم ، ويرجو في قوتهم واستعلائهم ، ويسير بهم خطوة خطـوة ، وهو يفهم ويقدر بواعثهم وتأثراتهم واستجابتهم ، لأنه في النهاية واحد منهم ، يرتاد بهم الطريق إلى ا ، بوحي من ا وعون منه على وعثاء الطريق.

وهم من جانبهم يجدون فيه القدوة الممكنة لأنه بشر مثلهم ، يتسامى بهم رويـداً رويداً ، ويعيش فيهم بالأخلاق والأعمال والتكاليف التي يبلغهم أن ا قد فرضـها علـيهم ، وأرادها منهم ، فيكون بشخصه ترجمة حية للعقيدة التي يحملها إليهم ، وتكون حياتـه

---

(١) الحكمة من إرسال الرسل ، فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفـي : ٢١ ، ٢٢.

(٢) سيد بن قطب بن إبراهيم ، مفكر إسـلامي مـصري ، طالـب ببرامج تتمشى والفكر الإسلامي ، وانضم إلى الإخوان المسلمين ، وسجن معهم وصدر أمر بإعدامه سـنة ١٣٨٧هـ ـ ، الأعـلام : ١٤٨/٣ .

وحركاته وأعماله صفحة معروضة لهم ، ينقلونها سطراً سطراً ، ويحققونهـا معنـى معنى ، وهم يرونه بينهم ، فتهفو نفوسهم إلى تقليدها ، لأنها ممثلة في إنسان)[1].

وبهذا تتضح ضرورة أن يكون الرسول من البشر ، ويتبين لنا أن جعل الرسول من البشر هو من أهم مقومات التبليغ والدعوة.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن كل رسول جاء بلسان قومه ، كما قال تعـالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوۡمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [2].

فلم يكن الرسول من جنس البشر فقط ، وإنما أرسل كل رسول بلسان قومه ليبين لهم دينهم ، ويشرع لهم ما أراد ا تشريعه . وبذلك تتحقق أهداف الرسـالة والنبـوة وهي بيان الحق وإقامة الحجة على الخلق.

يقول فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه ا : (... اقتـضت حكمتـه أن يرسل إليهم رسولاً من أنفسهم ، بل اقتضت حكمته ما هو أخص من ذلـك ، ليكـون أقرب إلى الوصول للغاية ، وتحصيل المقصود من الرسالة ، فكتـب علـى نفـسه أن يرسل كل رسول بلسان قومه) [3].

رابعاً : أحوال الأنبياء والرسل وتأييدهم بالمعجزات.

فقد اختار ا لرسالته خير الخلق وأكمل الناس وأفضلهم وذلك لأمرين :

---

(٣) في ظلال القرآن ، لسيد قطب : ٢٥٥٣/١٩.

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٤.

(٢) الحكمة من إرسال الرسل ، فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفـي : ٦٠ ، ٦١.

الأول : إن مقام النبوة مقام كريم ومنزلتها منزلة عظيمة ، فلا يليق أن تكـون النبوة والرسالة فيمن اتصف بصفات النقص البشري ، لأن الاتصاف بصفات الـنقص يعد عائقاً في سبيل تبليغ الدعوة والرسالة.

الثاني : إن الكمال البشري أدعى إلى انقياد الناس لهم ، وذلـك لأن النـاس لا ينقادون لمن كثرت نقائصه ، وقلت فضائله ، وسرعان ما ينقادون لمن كثرت فضائله ، وتعددت محامده.

ولذلك فقد جعل ا رسالته في أكمل الناس خَلقاً وأخلاقاً ، وأعدهم قبل البعثـة إعداداً لا مثيل له ، وقد قال تعالى لموسى عليه الـسلام : ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾ [1]، وقال : ﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [2].

فجميع الرسل عليهم صلوات ا وسلامه كانوا ذا نسب شريف ، فكل الرسـل بعد نوح من ذرية نوح ، وجميع الرسل بعد إبراهيم من ذرية إبراهيم ، يقول تعـالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [3].

وفي صحيح مسلم : عن النبي ﷺ : (إن ا اصطفى كنانة من ولد إسـماعيل واصطفى من كنانة قريش واصطفى من قريش بني هاشم) [4].

---

(٣) سورة طه ، آية : ٤١ .

(١) سورة طه ، آية : ٣٩ .

(٢) سورة الحديد ، آية : ٢٦.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب الرسـول ﷺ : ١٧٨٢/٤ من حديث واثلة رضي ا عنه .

إضافة إلى النسب الشريف للأنبياء فهم أحرار بعيدون عن الرق ، وذلك أقـوى في تبليغ الدعوة على الوجه الأكمل ، والاستمرار في دعوة الناس آناء الليل وأطـراف النهار ، وهذا ما لا يتيسر للعبد الرقيق.

والناس لا ينقادون للرقيق ، ويأنفون ويستنكفون عن اتباعه وطاعته ، والأنبياء منزهون عن ذلك [١].

كذلك فقد وهب ا الأنبياء عقولاً راجحة ، وذكاء فذاً ، ولساناً مبيناً ، وبديهـة حاضرة ، وحجة بالغة ، وغير ذلك من المواهب والقدرات التي لابـد منهـا لتحمـل الرسالة ، ثم إبلاغها ، ومتابعة الذين تقبلوها بالتوجيه والتربية.

ولقد ظهرت هذه القدرات في مناقشة الأنبياء لأقـوامهم وثبـت بـذلك رباطـة جأشهم، وقوة بأسهم في مقام الدعوة ونصرة الحق ، وقد قال ا تعالى عـن إبـراهيم عليه السلام عندما حاج قومه : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢]. وقال تعالى عن يعقوب عليه الـسلام : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣].

وقال تعالى عن يوسـف عليـه الـسلام : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٤] . وقال عن موسى عليـه الـسلام : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [١].

---

(٤) انظر لوامع الأنوار البهية ، للسفاريني : ٢٦٥/٢.

(١) سورة الأنعام ، آية : ٨٣ .

(٢) سورة يوسف ، آية : ٦٨.

(٣) سورة يوسف ، آية : ٢٢.

كذلك فقد جعل ا تعالى رسله وأنبياءه رجالاً ، ولم يبعث رسولاً من النـساء ، ويدل على ذلك صيغة الحصر التي وردت في قوله تعـالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [٢] ، وذلك لأن الرسالة تقتضي قوامة الرسول على أتباعه ، فهو الآمر الناهي بأوامر ربه ونواهيـه ، وعليـه الاشتهار بالدعوة ، ومقابلة الناس في كل الأوقـات ، والتنقـل فـي فجـاج الأرض ، ومواجهة المكذبين ومحاجتهم ومخاطبتهم ومخاصمتهم ، وإعداد الجيوش وقيادتها ، ولو كانت الرسالة موكلة بها امرأة لم يتم لها ذلك على الوجه الأكمل ، ولاستنكف النـاس عن الاتباع والطاعة لأمرها . وقبل ذلك كله ما هو معروف من أن الرجل أكمل وأقدر من المرأة في تحمل مثل هذه الأمور ، إضافة إلى ما قد يطرأ على المرأة من عوارض قد تعطلها عن مهمتها ووظيفتها في الدعوة والتبليغ.

ومن أهم الصفات التي اتصف بها الأنبياء أخلاقهم الكريمة وشـمائلهم النبيلـة، وخصالهم الحميدة التي اشتهروا بها بين أقوامهم ، وأهم هذه الأخلاق الصدق والأمانة، وصلة الرحم ، وإعانة المحتاج ، وإكرام الضيف ، والترفع عن القبائح مثـل الكـذب والخيانة والغدر والخداع.

فهذا موسى عليه السلام وصفه ا على لسان ابنـة العبـد الـصالح :﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [٣].

وأثنى ا على إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد فقال : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ [١].

---

(٤) سورة القصص ، آية : ١٤.

(٥) سورة يوسف ، آية : ١٠٩ .

(١) سورة القصص ، آية : ٢٦.

وقال ا تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (٢).

واعترف قوم شعيب بكريم خلق نبيهم فقالوا له كما قص ا عنهم : ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ (٣).

وأثنى تعالى على خلق النبي ﷺ فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤).

وسمو أخلاق الأنبياء دليل على صدق نبوتهم ، وقد استدل بها عدد من الخلق ، فهذه خديجة رضي ا عنها (٥) ، عندما رجع إليها رسول ا يرجف فؤاده ، فدخل عليها رضي ا عنها ، وقال : زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فأخبر خديجة بالخبر وقال لها : لقد خشيت على نفسي ، فقالت : كلا وا ما يخزيك ا أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر (٦).

---

(٢) سورة مريم ، آية : ٥٤.

(٣) سورة هود ، آية : ٧٥.

(٤) سورة هود ، آية : ٨٧.

(٥) سورة القلم ، آية : ٤.

(٦) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، من قريش : زوجة رسول ا ﷺ الأولى ، ولدت بمكة ، كانت تُكنى بأم هند ، وأولاد النبي كلهم منها غير إبراهيم ، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات . انظر طبقات ابن سعد : ٧/٨ ، الأعلام : ٣٠٢/٢ .

(١) انظر روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ، للمباركفوري : ٢٠.

وكذلك نستدل على صدق النبوة بما كانت عليه دعوة الأنبيـاء والرسـل ومـا اشتملت عليه من أمور حسنة ، تناسب الفطرة ويغلبها العقل ، وهذا إنمـا يـدل علـى سلامة الشريعة التي يدعون إليها وصلاحها في هداية البشرية ، والأخـذ بيـدها إلـى الطريق الحق.

وذكر ابن تيمية في ذلك كلاماً نفيساً فقال : (وما من أحد ادعـى النبـوة مـن الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليـه مـا ظهر لمن له أدنى تمييز ، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليـه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز.

فإن الرسول لابد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولابد أن يفعل أموراً.

والكذاب يظهر في نفس ما يأمر به ، ويخبر عنه ، وما يفعله ما يبين به كذبـه من وجوه كثيرة ، والصادق يظهر في نفس ما يأمر به ، وما يخبر عنه ، وما يفعله ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة.....

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة حتـى فـي المـدعين للصناعات والمقالات كالفلاحة والكتابة وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك. فما مـن أحد يدعي العلم بصناعة أو مقالة إلا والتفريق في ذلك بين الصادق والكاذب له وجـوه كثيرة.

وكذلك من أظهر قصداً وعملاً لمن يظهر الديانة والنصيحة والمحبة وأمثال ذلك من الأخلاق فإنه لابد أن يتبين صدقه وكذبه من وجوه متعددة.

والنبوة مشتملة على علوم وأعمال فلابد أن يتصف الرسول بها وهـي أشـرف العلوم وأشرف الأعمال) [١].

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ، لابن تيمية :١٢١- ١٢٢.

ولذلك فإن العلماء يعلمون جنس ما جاء به الأنبياء والمرسلون ، ويعلمون مـا كانوا يدعون إليه ، ولم يزل الناس عندهم من آثار الرسول ما يعرفون به جنس ما جاء به الرسل [1].

ويقول ابن تيمية رحمه ا : (من تأمل ما جاء به الرسل عليهم الـسلام فيمـا أخبرت به وما أمرت به ، علم بالضرورة أن مثل هذا لا يصدر إلا عن أعلـم النـاس وأصدقهم وأبرهم ، وأن مثل هذا يمتنع صدوره عن كاذب متعمد للكذب مفتر على ا يخبر عنه بالكذب الصريح ، أو مخطئ جاهل ضال يظن أن ا تعـالى أرسـله ولـم يرسله.

وذلك لأن ما أخبروا به وما أمروا به من الأحكام والإتقان وكـشف الحقـائق ، وهدي الخلائق ، وبيان ما يعلمه العقل جملة ويعجز عن معرفته تفصيلاً ، ما يبين أنهم من العلم والمعرفة والخبرة في الغاية التي باينوا بها أعلم الخلق ممن سواهم فيمتنع أن يصدر مثل ذلك عن جاهل ضال ، وفيها من الرحمة والمصلحة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ، ومنع ما يضرهم ما يبين أن ذلك صدر عن راحم بـار يقـصد غاية الخير والمنفعة للخلق ، وإذا كان ذلك يدل على كمال علمهم وكمال حسن قصدهم فمن تم علمه وتم حسن قصده امتنع أن يكون كاذباً على ا يدعي عليه هذه الـدعوى العظيمة التي لا يكون أفجر من صاحبها إذا كان كاذباً متعمداً ، ولا أجهل منه إن كان مخطئاً) [2].

وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية طرق الدلالة على صدق النبـوة مـن أحـوال الأنبياء إلى قسمين :

الأول : المسلك النوعي : وهو أن جميع ما جاءت به الرسل هو من جنس واحـد ، وأن ما حصل لنبي هو من نوع ما حصل للأنبياء من قبله.

---

(٢) انظر المصدر نفسه : ١٢٢.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ، لابن تيمية : ١٣٩.

الثاني : المسلك الشخصي : وهو ما يظهر من سيرة الأنبياء الذاتية من أخـلاق وصفات وتعامل مع أقوامهم.

والمقصود أنه قد تعددت طرق الدلالة على النبوة وذلك هـو مقتـضى حكمتـه تعالى.

ذلك أن الخبر الواحد يحصل منه في القلب نوع من الظن ، والخبر الآخـر يقويـه ، فإذا تزايدت الأخبار قوي اليقين بالخبر.

كذلك أمر النبوة وما يجري للنبي من الأمور وما يراه الناس فيه من الأحـوال، فإنها تصدق بعضها بعضاً [(١)].

ولقد استدل بهذه الطريقة هرقل ملك الروم عندما كتب له النبي ﷺ كتابا يـدعوه فيه إلى الإسلام ، فطلب هرقل من كان عنده من العرب ، وكان أبو سفيان [(٢)] قد قـدم في طائفة من قريش في تجارة إلى غزة، فطلبهم هرقل وسألهم عن أحوال النبي ﷺ.

وبعد أن وجه إليهم الأسئلة والاستفسارات وهم يجيبون ، بين لهم ما فـي هـذه المسائل من الدلالة على صدق النبوة وعلاماتها التي ثبتت للنبي ﷺ ، وما فيهـا مـن علامات الكذب المنتفية في حقه ، فلم يكن في آبائه ملك وإلا كان مقتديا بهم ، ولم يكن قومه يتهمونه بالكذب ، ومن كان يدع الكذب على الناس فإنه لا يكذب على ا .

وكذلك كان ضعفاء الناس يتبعونه وهذا هو حال الرسل ، وأتباعه في زيـادة ، ولا يرتد أحد منهم إلا فيما ندر وهذا من علامة صدق النبـوة لأن الكـذاب لابـد وأن يفتضح في آخر عمره.

---

(١) انظر المصدر نفسه : ١٣٢.

(٢) المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشـم ، أبـو سـفيان الهاشمي القرشي ، أخو رسول ا ﷺ من الرضاع ، توفي ٢٠هـ . انظر طبقات ابن سعد : ٣٥/٤ ، الأعلام : ٢٧٦/٧ .

وكذلك فإنه في الحرب يهزم تارة ، وينتصر تارة ، وهو لا يغدر ، وكل هذه من أحوال الرسل الذين لا يغدرون ، وتارة ينصرهم ا ، وتارة يبتليهم بالسراء والضراء لينالوا درجة الصبر والشكر.

وكذلك دعوته فإنها متضمنة لعبادة ا وحده ، والأمر بالصلاة والصدق والعفاف والأمانة وصلة الرحم ، والنهي عن الشرك وكل القبائح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا بعد ذكر هذه المحاورة : (فمثل هذا السؤال والبحث أفاد هذا العاقل اللبيب علماً جازماً بأن هذا هو النبي الذي ينتظره) ثم قال : (.... كل عاقل سليم الفطرة إذا سمع هذا السؤال والبحث علم أنه من أدل الأمور على عقل السائل وخبرته واستنباطه ما يتميز به هل هو صادق أو كاذب وأنه بهذه الأمور يتميز له ذلك) [1].

أما تأييد الأنبياء والرسل بالآيات والمعجزات فهو دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء إضافة إلى الطرق الأخرى المتنوعة.

فالمعجزة دليل على صدق النبوة إضافة إلى الأدلة الأخرى [2].

وا سبحانه وتعالى لم يدع الأنبياء يدعون أمتهم إلى الإيمان بما جاءوا به من الشرائع والشعائر والأخبار دون أن يؤيدهم ببرهان يكون شاهداً على صدق دعواهم وأنه وحي من ا وأن هذا هو شرعه الذي ارتضاه لعباده دينًا.

ولذلك فقد أيد ا رسله بالمعجزات والآيات ، حتى لا يكون ما يدعو إليه الرسل إلزاماً دون إقناع تقوم به الحجة ويسقط به العذر.

بل تحدى كل رسول أمته بما آتاه ا من الآيات البينات والمعجزات الباهرات ، التي يخضع لها العقل السليم ، وتتصاغر أمامها قوى البشر ، وطلب منهم أن يأتوا

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ، لابن تيمية : ١٣٢.

(٢) انظر شرح العقيدة الأصفهانية ، لابن تيمية : ١٢٠.

بمثل ما ظهر على يده من خوارق العادات ، فلما عجزوا عنه ، كان ذلك دليلاً واضحاً على صدق الرسل في دعواهم الرسالة ، وأن ما جاءوا به شرع ا ودينه الحق [1].

ولقد أيد ا سبحانه وتعالى كل رسول بمعجزة مناسبة لما انتشر في عصره وبرز في قومه من الصناعات والمهارات ، حتى يكون ذلك أدعى إلى فهمها وأعظم في دلالتها على المطلوب ، وأقوى في التحدي والإعجاز.

فموسى عليه السلام انتشر السحر في قومه ومهروا فيه ، وسحروا أعين الناظرين فكان ما آتاه ا لموسى فوق ما تبلغه القوى البشرية ، وفوق ما يدرك بالأسباب والوسائل.

وعيسى عليه السلام برع قومه في الطب ، فكان ما آتاه ا من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ما يعجز عنه الطب والأطباء.

أما محمد ﷺ فقد بلغ قومه الغاية في الفصاحة وقوة البيان ، وجرت الحكمة على ألسنتهم ، فأنزل ا القرآن الكريم على رسوله ، فكانت بلاغته وبيانه إعجازاً للمشركين ، حيث عجزوا عن الإتيان بآية من مثله.

يقول ﷺ في أمره وأمر الأنبياء من قبله : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه ا إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) [2].

---

(١) انظر الحكمة من إرسال الرسل ، للشيخ عبد الرزاق عفيفي : ٦٤.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي : ١٩٠٥/٤ .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ : ١٣٤/١ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

وليست معجزات الأنبياء قاصرة على ما ذكر ، وإنما ذلك بيان لما تحدى كـل رسول به قومه ، وجعله قاعدة يبني عليها دعوته ويثبت بها شـريعته ، وإلا فلهـؤلاء الأنبياء وغيرهم من الأنبياء كثير من الآيات البينات ، والدلائل الواضحات التي دلـت على صدقهم وثبوت دعواهم.

وللتفريق بين خوارق العادات التي تظهر على أيدي الأنبياء أو السحرة أو المتنبـين وتمييز ما هو معجزة منها وما هو سحر وشعوذة ، ينظر في سيره مدعي النبـوة وأحوالـه ودعوته وما تتضمنه من أوامر ونواه ، فكل ذلك طرق ودلائل تصدق بعضها بعضاً ، فيميز بها الصادق النبي من الكاذب الساحر المتنبئ .

ولقد تعددت معجزات الأنبياء ما بين حسية ومعنوية ، كتسخير الريح والطير والجبال لسليمان عليه السلام ، وإلانة الحديد لداود عليه السلام ، وجعل النار برداً وسلاماً لإبـراهيم عليه السلام ، وحبس الشمس ليوشع بن نون عليه السلام ، وانـشقاق القمـر لمحمـد ﷺ ، وتسبيح الحصى ، وانفجار الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام وغيرها.

ومن المعجزات ما يأتي بعد طلب من المكذبين والجاحدين ، فتأتي المعجزات دفعـاً للحرج عن الرسل ، وزيادة في التثبيت لهم ، والإعذار إلى من كفر بهم وإقامة الحجة عليهم.

وذلك مثل انشقاق القمر للنبي ، وناقة صالح ، والمائدة التي طلبها بنو إسرائيل.

وهذه المعجزات يطلبها المكذبون تعجيزاً منهم لأنبيائهم وتحد منهم للرسل ، وأكثرهم لا يؤمنون بما جاءت به الرسل حتى بعد ما طلبوه منهم.

وقد حكى ذلك ا تعالى في القرآن الكريم ، وذكر أن ما يطلبه المكذبون إنمـا هـو تعجيز للرسل ، ولن يحصل منهم الإيمان بما طلبوه لو جاء ، يقول تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا

بَشَرًا رَّسُولاً ﴿ [1] ، وهذا التكذيب لا يطعن في إعجاز المعجزات وكونها شاهداً على صدق نبوة الرسل وإنما هو دليل على انطماس فطرة هؤلاء المكذبين الجاحدين ، وأنه سبق في علم ا تعالى عدم صلاحهم للهداية والرشاد .

حكم إرسال الرسل :

مذهب المعتزلة في إرسال الرسل :

يرى المعتزلة أن إرسال الرسل واجب على ا تعالى ، لأن في البعثة صـلاحاً للمكلفين ، ولأنه مقتضى عدله سبحانه وتعالى ، ولأنها لطف من ا تعالى.

يقول القاضي عبد الجبار : (إنه قد قرر في عقل كل عاقل وجوب دفع الضرر عن النفس ، وثبت أيضاً أن ما يدعو إلى الواجب ويصرف عن القبيح فإنه واجـب لا محالة ، وما يصرف عن الواجب ويدعو إلى القبيح فهو قبيح لا محالة ، إذا صح هـذا وكنا نجوز أن يكون في الأفعال ما إذا فعلناه كنا عند ذلك أقرب إلـى أداء الواجبـات واجتناب المقبحات ، وفيها ما إذا فعلناه كنا بالعكس من ذلك ، ولم يكن في قوة العقل ما يعرف به ذلك ، ويفصل بين ما هو مصلحة ولطف وبين ما لا يكون كذلك ، فلابد أن يعرفنا تعالى حال هذه الأفعال كي لا يكون عائداً بالنقص على غرضه بـالتكليف ، وإذا كان لا يمكن تعريفنا ذلك إلا بأن يبعث إلينا رسولاً مؤيداً بعلم معجـز دال علـى صدقة فلابد أن يفعل ذلك ، ولا يجوز له الإخلال به) [2].

ويرى المعتزلة أن بعثة الرسل لطف للمبعوث إليهم، كما أنها لطـف للمبعـوث أيضاً ، يقول القاضي عبد الجبار : (.. البعثة لابد أن تكون لطفاً لنا، وكما تكون لطفاً لنا فلابد أن تكون لطفاً للمبعوث ، لأنه لا يجوز من الحكيم تعالى أن يحمـل المكلـف مشقة لنفع مكلف آخر فقط) [3].

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٨٩ ، ٩٣.

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٥٦٤.

(٢) المصدر نفسه : ٥٧٥.

ويتمسك القاضي عبد الجبار برأيه حتى أنه يرى أن ا تعالى إذا علم صلاح المكلفين إنما يكون ببعثة رسولين وجب عليه إرسال رسولين ، إذا علم تعالى أن صلاحهم إنما يكون ببعثة رجل بعينه وجب أن يرسل ذلك الشخص بعينه [1].

ونقل الجرجاني عن بعض المعتزلة اشتراطهم للوجوب علم ا تعالى من أمته أنهم يؤمنون ، فيجب عندها إرسال النبي إليهم لما فيه من استصلاحهم ، وإن لم يعلم ذلك بل علم أنهم لا يؤمنون لم يجب الإرسال بل يحسن ، لقطع العذر عليهم[2].

وهكذا يتبين أن البعثة عند المعتزلة إنما وجبت بناء على وجوب اللطف ، وتأصيلاً على ما ذهبوا إليه في مسألة التحسين والتقبيح العقليين ، والقول بالإيجاب العقلي على ا تعالى.

وأما قضية التحسين والتقبيح والقول بالإيجاب العقلي على ا فقد تقدم بيان وجه خطأ المعتزلة فيهما.

وأما القول بوجوب اللطف على ا فسيأتي في مبحث قادم إن شاء ا ، والرد على قولهم بوجوب البعثة يكون ضمن الرد على وجوب اللطف[3].

---

(٣) انظر المصدر نفسه : ٥٧٥.

(١) انظر شرح المواقف ، للشريف الجرجاني : ٣٥٩/٣ .

(٢) انظر ص (٥٨٥) .

مذهب الأشاعرة :

ذهب الأشاعرة إلى أن إرسال الرسل ليس مستحيلاً ، كما أنه ليس واجباً علـى ا تعالى عقلاً ، بل هو جائز يقول ابن فورك : (إن إرسال الرسل إلى الخلق غيـر واجب على ا تعالى في العقول ، وكان له أن يرسل الرسل ، وله أن لا يرسل ، ولا يكون بترك الإرسال سفيهاً ، وإن علم أنه إذا أرسل الرسل آمن قوم عنده ، أو ازدادوا تمسكاً بالكفر... فعل ذلك ، وأن له أن يفعل اللطف الذي يؤمن عنده الكافر به ، وله أن لا يفعله، فإن فعله كان منه تفضلاً ، وإن تركه لم يكن ثمة جوراً) [١].

ويقول الآمدي : (مذهب أهل الحق أن النبوات ليست واجبـة أن تكـون ، ولا ممتنعة أن تكون ، بل الكون وأن لا تكون بالنسبة إلى ذاتها وإلى مرجحها سيان) [٢].

ويتضح من قول الأشاعرة السابق أنهم لا يوجبون على ا إرسال الرسـل ولا يرون أنها مستحيلة ، وهذا توسط حسن بين الوجوب والإنكار ، وهم بذلك يوافقون ما عليه السلف من أهل السنة والجماعة ، إلا أن قولهم استند إلى أصلهم في عدم الوجوب على ا ، وأن أن يفعل ما يشاء بدون مراعاة حكمة أو مصلحة أو غاية محمودة أو عاقبة مطلوبة.

ولا شك أن ما أصلوا عليه قولهم لا يسلم لهم ، ولقد مر قبل ذلك الـرد علـى مقالاتهم هذه ، وبيان الخطأ فيها ، وإقرارهم على ما أصابوا فيه [٣] .

---

(١) مجرد مقالات الأشعري ، لابن فورك : ١٧٤.

(٢) غاية المرام في علم الكلام : ٣١٨ .

(٣) انظر ص (٢٦٣) من هذا البحث .

ومن الأشاعرة من قال : إن البعثة واجبة لما فيها من مصلحة وعاقبة حميـدة ، ولكنه لا يقصد بذلك ما قصد إليه المعتزلة من الوجوب على ا تعالى بحيث يمدح إذا فعل ، ويذم إذا ترك ، وإنما يقصد أنها واجبة من جهة أن الحكمة تقتضيها ، وا تعالى لا يجب عليه شيء وإنما هو سبحانه يفعل ما يشاء ويختار[1].

وهذا القول مع أنه قريب من مذهب السلف الذين ذهبوا إلى عدم الإيجاب علـى ا تعالى إلا ما أوجبه هو على نفسه وفق ما تقتضيه الحكمـة والمـصلحة ، إلا أنـه مناقض لقول الأشاعرة أنفسهم الذين قالوا إنه لا يجب شيء علـى ا تعـالى ، وإنـه سبحانه له أن يفعل ما له فعله بدون مراعاة حكمة ولا مصلحه ويوجد من الأشاعرة من يذهب إلى القول بأن بعثة الأنبياء ضرورية ، وأن الضرورة هنا عقلية ولا يجـوز أن تتخلف[2].

وهذا القول قريب من قول المعتزلة ، والاختلاف لفظي فقـط ، وهـو أيـضاً مناقض لمذهب الأشاعرة وقولهم بعدم وجوب شيء على ا تعالى.

---

(٤) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٧/٥.

(١) انظر : نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشهرستاني : ٤٢٦.

المبحث الثاني :

التبشير والإنذار .

توطئة

إن دعوة الإنسان إلى ما فيه خيره وصلاحه وسعادته ، وبيـان تفاصـيل ذلـك الخير ودقائقه يستوجب من النفس الاستجابة لذلك الـداعي ، والإقبـال عليـه جملـة وتفصيلاً.

وتحذير الإنسان مما فيه شقاوته وفساد أحواله ، وبيـان ذلـك لـه بالتفـصيل يستوجب من النفس النفور عن ذلك الشر ، والبعد عنه واجتنابه.

وإذا ارتبط أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية بما هو محبب للنفس ، وبما تـسر به وتلتذ وتجد فيه منفعتها وسعادتها ، كان ذلك أدعى إلى طاعة ذلك الأمر ، بعكس لو كان الأمر لا ارتباط له بما تشتهيه النفس وتسعد به.

وكذلك النواهي إذا ارتبطت بما تنفر منه النفس وتكرهه ، وبمـا فيـه مـضره وشقاء لها ، يكون ذلك أدعى إلى ترك تلك الأمور المنهي عنها واجتنابها.

وعلى ذلك فقد اقتضت حكمة الله تعالى وعدله أن لا تقتصر مهمة الرسل علـى الدعوة إلى الله تعالى وحده لا شريك له ، وطاعته واتباع أوامـره ، وتـرك الـشرك وعبادة غير الله تعالى ، واجتناب نواهيه سبحانه ، بل كان لابد من تبشير وإنـذار للنـاس ، تبشير بما تحبه النفوس ، وإنذار مما تكرهه النفوس.

والتبشير بالأمر يقتضي الرغبة فيه والحرص عليه ، والطمـع فيـه ، وتنفيـذ الأوامر والتكاليف الموصلة إليه.

والإنذار من أمر ما يقتضي الترهيب والتخويف منه ، وحصول الفزع في النفس من حصوله ، وبالتالي البعد عن كل ما يؤدي إلى تلك المخاوف والمكروهات.

ولذلك فالتبشير يقتضي حث المرء على الأمر والقيام به ، رغبة في ما يـؤدي إليه ذلك الأمر من المحبوبات.

والإنذار يقتضي تنفير المرء من الأمر والبعد عنه ، رهبة مما يؤدي إليه ذلـك الأمر من المكروهات.

ولما كان التبشير والإنذار أسلوباً ناجحاً في تقويم النفوس وردها إلى الحق ، فقد كان عنصراً مهماً في دعوة الرسل ، بل هو ملازم لها في معظم الأحيان.

ولشدة ارتباط التبشير والإنذار بالدعوة إلى الله تعالى ، فقد قصر الله تعالى مهمة الرسل عليهما في بعض آياته في القرآن الكريم ، حيث قـال : ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ

إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُواْ ءَايَٰتِى وَمَا أُنذِرُواْ هُزُواً ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ (٦).

ولقد سمى ا تعالى الرسل بالنذر لإنذارهم الخلق من عقاب ا تعالى حيث قـال : ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُوْلَىٰ ﴾ (٧).

---

(١) سورة الكهف ، آية : ٥٦.
(٢) سورة النساء ، آية : ١٦٥.
(٣) سورة البقرة ، آية : ٢١٣.
(٤) سورة البقرة ، آية : ١١٩.
(٥) سورة الإسراء ، آية : ١٠٥.
(١) سورة الفتح ، آية : ٨.
(٢) سورة النجم ، آية : ٥٦.

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراًۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [١].

ويقول النبي ﷺ : (مثلي ومثل ما بعثني ا به كمثل رجل أتى أقواماً ، فقال : يا قوم ، إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأولجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبته طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش ، فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق) [٢].

والحكمة من التبشير والإنذار ، وذكر هذه الأمور على ألسنة الرسل تتضح في أمرين :

الأول : إن التبشير والإنذار أسلوب ناجح في حث المدعوين للاستجابة إلى الأوامر ، وترك النواهي ، وهو أبلغ في التأثير على النفس البشرية التي جبلت على حب الخير وكراهة الشر.

الثاني : إن التبشير والإنذار إنما هو إخبار بتفاصيل الثواب والعقاب الذي أعده ا تعالى لعباده المؤمنين والكافرين ، والذي هو مقتضى عدله سبحانه وتعالى ، وبذكر تلك التفاصيل تكتمل إقامة الحجة على الخلق ، وينقطع عذرهم ، وهذا دليل واضح على عدله سبحانه وتعالى بإقامة حجته على خلقه ، بإرساله رسله إلى الناس بهذه المهمة العظيمة.

فأما الأول وهو أن التبشير والإنذار له تأثير على النفس البشرية فإن هذا مما يثبته علماء النفس ولا ينكرونه ، وذلك لأن الرغبة نزعة فطرية في كيان الإنسان ، وهي شرط ضروري لكل فعل إرادي ، ويقابلها في النفس الرهبة وهي أيضاً نزعة فطرية في النفس الإنسانية ، ومن الرغبة والرهبة معاً يتشكل زمام ضابط لهذه النفس.

---

(٣) سورة فاطر ، آية : ٢٤.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي : ٢٣٧٨/٥ .

صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته : ١٧٨٨/٤ من حديث أبي موسى رضي ا عنه .

ولما كانت النفس هي التي تقوم بتوجيه الجسم في عمله وترشده في جميع أحواله ، فإن أسلوب التبشير والإنذار يعنى بهاتين النزعتين الفطريتين عناية بالغة ، ويقوم هذا الأسلوب بالتأثير في النفس تأثيراً شديداً.

وهاتان النزعتان بقوتهما وتشابكهما بالكيان البشري كله ، يؤثران في حياة الإنسان ، ويحددان اتجاهه وسلوكه ومشاعره وأفكاره ، وعلى قدر ما يخاف ويرجو ، ويحب ويكره ، ويرغب ويرهب يتخذ لنفسه منهاجاً في حياته بين ما يرجو ويخاف [1].

يقول الماوردي[2] : (اعلم أن لكل مطلوب باعثاً ، والباعث على المطلوب شيئان رغبة ورهبة) [3].

أما الثاني وهو أن التبشير والإنذار إنما هو إخبار بتفاصيل الثواب والعقاب ، فالبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير [4] ، والإنذار لا يكون إلا في التخويف [5] .

والتبشير عام في الإخبار بكل ما فيه خير للنفس ، والإنذار عام في الإخبار بكل ما فيه شر للنفس.

وعلى ذلك فإن تبشير الرسل يكون في صور متعددة لأنواع متعددة لما تحبه النفوس وتتمناه ، وكذلك الإنذار يكون في صور متعددة عن أنواع متعددة لما تكرهه النفوس وتبغضه.

ورغم تعدد صور التبشير والإنذار ، وكثرة أنواع ما بشرت به الرسل وما أنذرت منه ، إلا أن جميع ما بشر به وما أُنْذِر منه يندرج تحت ثواب ا وعقابه ، أو ما يقتضي ذلك ، وهذا الثواب والعقاب دنيوي وأخروي ، فالتبشير والإنذار شامل لكل

---

(١) انظر دراسات في النفس الإنسانية : ٧٦، ٧٧.

(٢) علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي ، أقضى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين ، ولد عام ٣٦٤هـ ، وتوفي سنة ٤٥٠هـ . انظر وفيات الأعيان : ٣٢٦/١ ، الأعلام : ٣٢٧/٤ .

(٣) أدب الدنيا والدين ، للماوردي : ٥٤، ٥٥.

(٤) انظر الصحاح ، للجوهري : ٥٩١/٢ ، وقد تكون البشارة بالشر إذا كانت مقيدة مثل قوله تعالى : ﴿ فبشره بعذاب أليم ﴾ انظر الصحاح للجوهري : ٥٩١/٢ .

(٥) انظر المصدر نفسه : ٨٢٥/٢ .

ثواب أو عقاب يحصل في الدنيا أو الآخرة ، يقول الماوردي : (اعلم أن لكل مطلوب باعثاً ، والباعث على المطلوب شيئان رغبة ورهبة ، أما الرغبة ففي ثواب ا تعـالى لطالبي مرضاته وحافظي مفترضاته ، وأما الرهبة من عقاب ا تعالى لتاركي أوامره ومهملي زواجره) [1].

ولشمول التبشير لكل ثواب مما هو محبوب لدى النفوس ، ولشمول الإنذار لكل عقاب مما هو مكروه لدى النفوس فقد تعددت صور التبـشير والإنـذار ، واسـتوعب التبشير كل محبوب للنفس ، واستوعب الإنذار كل مكروه لدى النفس.

ويتضح ذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم وعلى لسان رسل ا سـبحانه وتعالى ، وبما وعد ا تعالى به عباده وبما أنذرهم منه في كتابه الكريم.

صور التبشير والإنذار :

أولاً : التبشير بما تقتضيه أسماؤه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى من الرحمـة والمغفرة ، وحصول الثواب ، والإنذار مما تقتضيه أسماؤه وصفاته وأفعالـه سـبحانه وتعالى من العقاب العادل والردع والزجر.

---

(١) أدب الدنيا والدين ، للماوردي : ٥٤-٥٥.

ومن ذلك قولـه تعـالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝ ﴾ (1).

وكـذلك قولـه تعـالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (2).

وقوله تعالى : ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (3).

وقد ذكر ذلك نوح عليه السلام لقومه ، حيث قال تعالى على لسان نـوح عليـه الـسلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ ﴾ (4).

فذكر أسماء الله وصفاته التي تقتضي المغفرة والرحمة والعفو تبشيراً بثواب الله تعالى ومغفرته لأنه مقتضى أسمائه وصفاته.

وكذلك في ذكر أسماء الله وصفاته التي تقتضي العقاب والردع إنذار من عقاب الله تعالى وغضبه الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته.

ثانياً : التبشير بالخير العاجل في الدنيا ، والإنذار من الشر والعقاب العاجل في الدنيا.

والتبشير بالخير العاجل في الدنيا يتحقق عند تحقق الإيمان الصادق ، والاستقامة عليه بطاعة الله تعالى التي تحصل بها السعادة والبركات في الدنيا قبل الآخرة.

---

(1) سورة الحجر ، آية : 49-50.

(2) سورة الرعد ، آية : 6.

(3) سورة فصلت ، آية : 43.

(4) سورة نوح ، آية : 5-10 .

والسعادة في الدنيا تأتي بصور متعددة.

١- الحياة الطيبة والسلامة من كل مكروه.

يقول ا تعالى تبشيراً لعباده المؤمنين بالثواب الدنيوي على أعمالهم الـصالحة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

٢- التبشير بالإمداد بأنواع الخيرات ، والزيادة مع الشكر ، قال تعالى عن نوح عليه الـسلام : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّاراً ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰراً ۝١٢ ﴾ (٢).

وقال تعـالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ (٣).

وذكر ا تعالى هود عليه السلام إذ قال لقومه : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ (٤).

٣- التبشير بأنواع التأييد والنصر والتوفيق والتمكين والاستخلاف في الأرض ، يقول تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة النحل ، آية : ٩٧.

(٢) سورة نوح ، آية : ١٠ -١٢.

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ٧.

(٤) سورة هود ، آية : ٥٢.

(١) سورة النور ، آية : ٥٥.

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

وقـال تعـالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [4].

أما الإنذار بالشرور العاجلة فله صور متعددة أيضاً منها :

١- الإنذار من الحياة الشاقة العسيرة ، وحلول العذاب في الدنيا يقـول ا تعـالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [5].

٢- الإنذار من حلول العقاب والمصائب والإعراض عنهم وخذلانهم ، يقول ا تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [6].

ويقول تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [7].

---

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٥٧ .

(٣) سورة الروم ، آية : ٤٧.

(٤) سورة المنافقون ، آية : ٨ .

(٥) سورة النساء ، آية : ١٤١.

(٦) سورة طه ، آية : ١٢٤

(١) سورة النور ، آية : ٦٣.

(٢) سورة محمد ، آية : ١١ .

٣- التبشير بذكر سنة ا تعالى فيمن مضى من عباده المخلـصين ، والإنـذار بذكر سنة ا فيمن مضى من عباده الكافرين.

وفي ذكر سنة ا تعالى فيمن مضى من المؤمنين إطماع لعباد ا في الحصول على أمثالها للمؤمنين إذا اتجهوا إلى ا تعالى ، ومن أمثلة ذلك ذكره لقصص الأنبياء وعباده المؤمنين واستجابته لدعائهم ، ومن ذلك إجابته لنبيه أيوب بعد أن بلغ به الضر منتهاه ، يقول تعـالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤ ﴾[1].

وكذلك إجابته لنبيه يونس عليه السلام حيث قال تعـالى : ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨ ﴾[2].

وكذلك ذكر قصص أنبياءه وأوليائه المؤمنين من عباده ، وكيف نجاهم ا عنـد حلول العقاب بأقوامهم ، فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4].

ولقد أنجى ا نبيه نوحاً عليه السلام والمؤمنين معه وأهله عند حلول العـذاب بقومه ، فقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[1].

---

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٨٣-٨٤.

(٤) سورة الأنبياء ، آية : ٨٧-٨٨.

(١) سورة يونس ، آية : ١٠٣.

(٢) سورة الزمر ، آية : ٦١.

وحكى ذلك سبحانه عن هود عليه السلام حيث قال : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ [٢].

وقال تعالى عن نبيه صالح عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [٣].

وكذلك الآمرين بالمعروف من بني إسرائيل فقد نجاهم ا عند حلول العذاب بأقوامهم ، حيث قال تعالى في قصة أصحاب السبت : ﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ ﴾ [٤].

وكذلك مؤمن آل فرعون[٥] حيث نجاه ا تعالى فقال : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [٦].

وفي مقابل ذلك فقد أنذر ا عباده بذكر مصير الأمم التي كذبت رسلها ، وهذا النوع له أعظم الأثر والوقع في النفوس ، لأنه من أعظم العبر لمن اعتبر ، ولأنه يبين سنة ا تعالى فيمن كذب رسله عليهم الصلاة والسلام ، أو جحد نعمة ا عليه ، ووقف موقف الإعراض والاستكبار بعد إقامة الحجة عليه .

---

(٣) سورة يونس ، آية : ٧٣ .

(٤) سورة هود ، آية : ٥٨.

(٥) سورة هود ، آية : ٦٦.

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٦٤، ١٦٥.

(٢) المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون ، واختار ذلك ابن جرير ورد قول من قال إنه إسرائيلياً . انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٧٨/٤ .

(٣) سورة غافر ، آية : ٤٥.

وقد ذكر ا تعالى هذه القصص حتى تكون محلاً للقيـاس عليهـا ، حيـث إن المعذبين أقوام متشابهة ، قد قامت عليهم الحجة ، فكانت سنة ا تعـالى فـيهم هـي تدميرهم وإهلاكهم وعقابهم وجعلهم عبرة وأحاديث .

ولقد أنذر الرسل أقوامهم بهذه الطريقة ، فهذا شعيب عليه السلام يقـول لقومـه كما ذكر ا تعالى : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ (١).

ولقد أمر ا سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ بتذكير قومه بمصير من قبلهم من المكذبين ، فقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾(٢).

وقـال تعـالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ٤٢ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ٤٣ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥ ﴾ (٣).

ولقد ذكر ا سبحانه وتعالى تنوع عقابه للمكذبين ، وذلـك تخويفـاً وترهيبـاً وإنذاراً منه لعباده ، حتى يكون ذلك رادعاً لهم ودافعاً للاستجابة إلـى دعـوة الرسـل وقبول الحق.

ومن ذلك قوله تعالى بعد ذكر قصص وأحوال الأنبياء مع أقوامهم المكذبين لهم: ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (٤).

---

(٤) سورة هود ، آية : ٨٩.

(٥) سورة فصلت ، آية : ١٣.

(١) سورة الحج ، آية : ٤٢-٤٥.

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٤٠.

٤- التبشير بالثواب الآجل في الآخرة ، والإنذار من العقاب الآجل في الآخرة.

والوعد بالنعيم المقيم والأمن التام والرحمة والمغفرة وتكفير السيئات ودخول الجنات ، والخلود فيها ، كل ذلك لمن تحقق فيه شرط الإيمان والعمل الصالح.

والقرآن الكريم مملوء بوصف الجنة ، وبيان أحوال المؤمنين فيها ، ووصف النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، ولهذا قال الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : (قال ا : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرءوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1][2].

وقد وصف ا تعالى الجنة ونعيمها وأنهارها ومساكنها وأهلها وزوجاتهم وحليهم وطعامهم وشرابهم وصفاتهم وأطوالهم وفواكههم ولباسهم ، وأعظم نعيم أهل الجنة النظر إلى وجه ا الكريم.

وذكر ذلك للمدعوين يجعل العاقل يشمر عن ساعد الجد ليسعد بهذا الفوز العظيم ، والسعادة الأبدية ، والنعيم الدائم.

وسيأتي مزيد تفصيل لهذا النعيم في موضعه إن شاء ا [3].

ويقابل هذه البشارة بالنعيم الآجل الدائم الأخروي ، النذارة من العقاب الآجل الأخروي ، وهذه من الأقوال العظيمة الحكيمة التي ترقق قلوب أهل العقول حين تُذكر ببطش ا ونقمته وعذابه الأليم لمن حاد ا ورسوله وتعدى حدوده ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَٰلِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [4].

---

(٣) سورة السجدة ، آية : ١٧.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة : ١٨٥/٣ .
وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها : ٢١٧٤/٤ .

(١) انظر ص (١٠٠٩) من هذا البحث .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٤.

ولقد ذكر ذلك الأنبياء لأقوامهم ومنهم نوح عليه السلام . كما ذكر ا ذلك فـي كتابه الكريم : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦ ﴾ [1] .

وشعيب عليه السلام إذ قال لقومه : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ [2].

ولقد ذكر ا تعالى حال الكفار فـي الآخـرة ، ووصـف أصـناف العـذاب والعقاب ، ووصف لنا شرابهم وطعامهم ، وأغلالهم ، ومقامعهم ، مما يثيـر الخـوف والرعب والفزع في النفوس ، ويحملها على أن تفر إلـى ا ربهـا ، فـتخاص لـه العبودية وتتوب إليه لتنجو من عذابه ، ومن خزي هذا اليوم العظيم.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [3].

وقوله تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ ﴾ [4].

إضافة إلى ما هم فيه من العذاب النفسي الأليم ، يقول تعـالى : ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٨ ﴾ [1].

---

(٣) سورة هود ، آية : ٢٥-٢٦.

(٤) سورة هود ، آية : ٨٤.

(١) سورة الزمر ، آية : ٦٠.

(٢) سورة الحج ، آية : ١٩-٢١.

وسيأتي مزيد تفصيل لذلك في موضعه إن شاء ا تعالى[٢][٣].

وهنا قد يقول قائل : أليس فعل الإنسان للخير بدافع المنفعة الذاتيـة العاجلـة أو الآجلة من جراء التأثر بالترغيب في الثواب ، والترهيب من العقاب يتنافى مع إخلاص العمل ؟.

والجواب عن هذا التساؤل : أنه لا تنافي بين الأمرين ، وذلك لأن فعـل العبـد العمل الصالح بالنية الخالصة يقتضي أن تحدث له به هذه المنافع ، وتندفع عنـه هـذه المضار ، ولا مناقضة بين الأمرين ، فإن من أراد ا تعالى وابتغى رضوانه فإنه يريد ثوابه ويطمع فيه ، ويخاف عقابه ويحذر منه.

ولقد أثنى ا تعالى على من كان يسأله جنته ويتعوذ به من ناره ، فقـال علـى لسانهم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ ﴾[٤].

وقال سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ ﴾[5].

وكذلك أثنى عليهم وقال عنهم : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[٦].

---

(٣) سورة الزخرف ، آية : ٧٧-٧٨.

(٤) انظر ص (٩٧٢) من هذا البحث .

(٥) انظر كل ما سبق الحكمة في الدعوة إلى ا تعالى ، لسعيد بن وهف القحطاني : ٤٨٧ وما بعدها .

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٩١-١٩٤.

(٢) سورة الشعراء ، آية : ٨٢-٨٦.

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٩٠.

وأخبر تعالى عن عباده المؤمنين أنهـم هـم : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ ﴾ [١].

وقال عنهم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [٢].

وثناء ا تعالى على عباده يدل على رضاه عنهم ومحبته لأفعالهم .

المبحث الثالث :

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٦٥-٦٦.

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٦.

عدم وقوع العذاب قبل قيام الحجة .

توطئة

إن إنذار ا الخلق وإخبارهم بأمر دينهم وعاقبة أمرهم وتفاصيل مآلهم هو مقتضى عدله سبحانه ، وهذا ما أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب .

ولقد نزه ا نفسه عن الظلم وحرمه على نفسه وذكر في آياته أنه لا يعذب أحداً من خلقه ما لم تبلغه الدعوة ، ويصل إليه نور الهداية ، وتقوم عليه الحجة ، وتقطع عنه الأعذار . قال تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [1].

ونَفْي وقوع العذاب الرباني على أقوام معينين يتناول أمرين :

أولاً : عدم وقوع العقاب الأخروي لمن لم تبلغه الدعوة في الدنيا من أهل الفترة ومن في حكمهم.

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

ثانياً : عدم وقوع العذاب والعقاب الدنيوي للأقوام المنحرفة حتى يبعث ا فيهم رسولاً يقيم عليهم الحجة.

وهذا ما سيأتي بيانه بالتفصيل .

أولاً : أهل الفترة ومن في حكمهم.

إن من عظيم حجته سبحانه وتعالى على خلقه أن بعث في كل أمـة رسـولاً ، وأرسل الرسل متتابعين في كل الأمم ، وعلى مدى الأزمنة . وهذا ما تدل عليه آيـات كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [2].

---

(1) سورة النحل ، آية : ٣٦.

(2) سورة فاطر ، آية : ٢٤.

وقــال تعــالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (1).

وقوله تعــالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (2).

فهذه الآيات تدل على أن الرسل قد بعثت لكل الأمم ، وأنه لم تخـل أمـة مـن رسول ، وتنفي وجود فترة خلت من الرسل والأنبياء لم ينذر أهلها ، ولم تـبلغهم الـدعوة ، وتدل دلالة واضحة على أن جميع الخلق قد قامت عليهم الحجة ، فإذا عذبهم الله بعـد ذلك لم يكن ظالماً لهم.

ولكن هذه الآيات تتعارض مع آيات كثيرة تثبت وجود فترة خلت مـن الرسـل والأنبياء ، وتثبت وجود أقوام لم ينذروا ولم تبلغهم الدعوة.

ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (3).

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (4).

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (5).

---

(3) سورة يونس ، آية : ٤٧.

(٤) سورة الرعد ، آية : ٧.

(١) سورة يس ، آية : ٦.

(٢) سورة السجدة ، آية : ٣.

(٣) سورة المائدة ، آية : ١٩.

فهذه الآيات تدل دلالة صريحة على أن هناك أقواماً لم يأتهم نذير ، ولم تنذر من قبل ، وكما تدل على وجود فترة خلت من الرسل والنذر.

والحق أنه لا تعارض بين الآيات ، وحاشا أن يكون كتاب ا يضرب بعـضه بعضاً ، ولذلك لابد من إثبات أمرين :

أولاً : التأكيد على وجود فترة من الرسل :

ويدل على ذلك ما سبق ذكره من الآيات مثل قوله تعـالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [١]. وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴾ [٢]. وقولـه تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [٣]. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يعني بهم العرب فإنه ، ما أتاهم من نذير من قبله ، وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم كمـا أن ذكـر بعض الأفراد لا ينفي العموم) [٤].

أما من السنة فقد وردت جملة من الأحاديث الصحيحة التي نصت صراحة على وجود فترة وسيأتي بيانها عند الحديث عن حكم أهل الفترة[٥].

وقبل الخوض في بيان مدة الفترة وحكم أهلها يجدر الإشارة إلى تعريفها.

---

(٤) سورة المائدة ، آية : ١٩.

(٥) سورة سبأ ، آية : ٤٤.

(٦) سورة يس ، آية : ٦.

(١) تفسير ابن كثير : ٥٦٣/٣.

(٢) انظر ص (٥١٢) من هذا البحث .

الفترة لغة :

وردت كلمة (فتْر) للدلالة على ما بين طرفي السبابة والإبهام إذا فتحهتمـا ، والفتر أيضاً ما بين طرفي الإبهام وطرفي المشيرة [(١)] والفُتْر : جمع فَتُـور : وهـي المرأة البطيئة الحركات لضم جسمها [(٢)] وفترة الوحي : أي انقطاعه مدة من الزمـان كما في الحديث.

إذاً كلمة فتْر وفُتر تدل على طول المسافة وهدوء الحركة وبطئها ، وهـذا مـا يتناسب مع كلمة " فترة " التي تعني انقطاع الرسالة والوحي ، وطـول الزمـان بـين الرسولين ، وهدوء حركة الوحي ونزوله من السماء.

---

(١) انظر لسان العرب ، لابن منظور : ٦/ ٣٤٩ ، والصحاح ، للجوهري : ٢/ ٧٧٧.

(٢) إكمال الإعلام بتثليث الكلام ، لابن مالك محمد بن عبد ا الجياني تحقيق ، سعد بن حمدان الغامدي : ٤٧٤/٢.

اصطلاحاً :

اختلف العلماء في تحديد الفترة في الاصطلاح على قولين :

القول الأول : قول من اقتصر في تعريف الفترة على الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وقد ذكر ذلك الشوكاني في تفسيره ونصره وبين أن المقصود بالفترة اصطلاحاً : هي انقطاع الرسل قبل بعثة الرسول ﷺ مدة من الزمان[1].

القول الثاني : قول من جعل الفترة اصطلاحاً : عامة تشمل أي انقطاع بين أي رسولين ، وهو قول الجمهور . وقد عرف ابن كثير الفترة بقوله : (هي ما بين كـل نبيين ، كانقطاع الرسل بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ) [2].

فابن كثير عمم الفترة ، لتشمل كل انقطاع بين أي نبيين ، ومثل لهما بالانقطـاع الذي حصل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

وعرفها السبكي[3] بأنها : ما كان بين رسولين لم يرسل إليه الأول ولم يـدرك الثاني[4].

وأما الحافظ ابن حجر فإنه يقول في تعريفها : (المراد بالفترة المدة التي يبعث فيها رسول من ا ، ولا يمتنع أن ينبأ فيها من يدعو إلى شريعة الرسول الأخير) [5].

وقال الطبري : (الفترة انقطاع الرسل بعد مجيئهم ، من فتر الأمـر إذا هـدأ وسكن ، ويراد سكون مجيء الرسل) [6].

---

(٣) انظر فتح القدير ، للشوكاني : ٢/ ٢٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢/ ٣٥.

(١) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر : قاضي القضاة ، المؤرخ ، الباحث ، ولد في القـاهرة عام ٧٢٧هـ ، وتوفي عام ٧٧١هـ . انظر : الدرر الكامنة : ٤٢٥/٢ ، الأعلام : ١٨٥/٤ .

(٢) جمع الجوامع ، للسبكي : ١/ ٦٣.

(٣) فتح الباري ، لابن حجر : ٧/ ٢٧٧.

(٤) جامع البيان للطبري : ١٥٦/١٠ .

والذي أراه – وا أعلم – أن لفظ (الفترة) عام ، ويقصد به أي مدة انقطـاع بين الرسل ، وليس خاصاً بفترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ ، ولكن إذا أطلقت الفترة كان المقصود بها الفترة الأخيرة ، وهي التي كانت بين عيسى ومحمـد عليهمـا الـصلاة والسلام.

وبهذا تعلم أن الفترة هي المدة التي لم يبعث فيها رسول من ا تعالى ، بحـث يكون أهلها بين رسولين لم يدركوا أياً منهما ، أو لم يدركوا الثاني ولم يرسـل إلـيهم الأول.

ثانياً : التأكيد على أن الآيات التي تدل على إرسال الرسل إلى جميع الأمم صحيحة في دلالتها : –

ذلك أن ا تعالى قد بعث في كل الأمم رسلاً مبشرين ومنذرين ، ولم تخل أمة من رسول يبين لها ويقطع أعذار أهلها ، ويقيم حجة ا العظيمة عليهم.

فا تعالى عندما أثبت الرسالة أثبتها لجميع الأمم ، وحين نفاها نفاها عن بعض الأقوام ، مثل العرب ، واليهود ، والنصارى قبل نبينا محمد.

والقوم جزء من الأمة ، والأمة أعم من القوم ، والقوم أخص من الأمـة ، وا سبحانه وتعالى أثبت الرسالة للعام ونفاها عن الخاص.

ولذلك فكل الأمم قد أنذرت ، وجاءها نذير بنص القرآن الكريم ، وأما مـن لـم يأتهم نذير كما جاء في الآيات والأحاديث فهم ليسوا أمة إنما أقوام.

ونفي النذير عن القوم لا ينفيه عن الأمة ، وإثبات النذير لكل الأمم لا يثبته لكل الأقوام ، فالأمة شملت أقواماً كثيرين منهم من أنذر ، ومنهم من لم ينذر.

ولا شك أن أكثر الأمة قد أنذر ، وإنما تخلفت النذر عن الأقوام التي تأتي فـي أطراف الأمم من حيث الزمان أو المكان.

يقول الشنقيطي رحمه ا تعالى : (فآباء القوم الذين لم ينذروا مثلاً المذكورون في قوله : ﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [(١)] ليسوا أمة مستقلة ، يرد الإشكال في عـدم إنذارهم ، مع قوله : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [(٢)] بل هم بعض أمة ، وقولـه تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [(٣)] لا يشكل عليه قوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً ﴾ [(٤)].

لأن المعنى أرسلنا إلى جميع القرى ، بل إلى الأسود والأحمر رسولاً واحداً هو محمد ﷺ ، مع أنا لو شئنا أرسلنا إلى كل قرية بانفرادها رسولاً ، ولكن لم نفعل ذلـك ليكون الإرسال إلى الناس كلهم فيه الإظهار لفضله ﷺ على غيره من الرسل بإعطائـه ما لم يعطه أحد مثله من الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام) [(٥)].

وأما الألوسي [(٦)] فقد كان كلامـه في غاية الدقة عندما أشار إلى هـذا المعنـى بقوله : (... يعتبر العرب أمة ، وبنو إسرائيل أمة ، ونحو ذلك أمة ، دون أهل عصر واحد ، وتحمل من لم يأتيهم نذير على جماعة من أمة لم يأتهم بخصوصهم نذير ، ومما يستأنس به في ذلك أنه حين ينفى إتيان النذير ينفى عن قوم لا عن أمة فليتأمل) [(٧)].

وهذا الذي أشار إليه الألوسي هو بيت القصيد كما يقولون ، فا عز وجل حين ينفي النذير ، ينفيه عن القوم ، وحين يثبته ويشير إلى عدم تخلفه ينفيه في حق الأمة ، والقوم جزء من الأمة.

---

(١) سورة يس ، جزء من الآية : ٦ .

(٢) سورة فاطر ، جزء من الآية : ٢٤ .

(٣) سورة فاطر ، جزء من الآية : ٢٤ .

(٤) سورة الفرقان ، جزء من الآية : ٥١ .

(٥) أضواء البيان ، للشنقيطي : ١٠/ ١٦٦.

(١) محمود بن عبد ا الحسيني الآلوسي ، شهاب الدين ، أبو الفضل ، مفسر ، محدث ، أديب ، من أهل بغـداد ، ولد عام ١٢١٧هـ ، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ . انظر : جلاء العينيين : ٢٧ ، أعيان البيان : ٩٩ ، الأعلام : ١٧٦/٧ .

(٢) روح المعانـي في تفسيـر القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسـي : ٢١/ ١١٧.

أما قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[1] فظاهر هذه الآية أن لكل قوم رسولاً ، وهذا يتعارض مع ما أثبتناه آنفاً ، ولكن العلماء لهم في تفسير هذه الآية أربعة أوجه :

الوجه الأول : إن معنى (هاد) أي (داعٍ) ، يقول الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره هذه الآية : (لكل قوم هاد) أي داع يدعوهم ويرشدهم إما إلى خير كالأنبيـاء ، وإما إلى شر كالشياطين ، أي وأنت يا رسول الله منذر وهاد إلى كل خير)[2].

ويؤيد هذا القول ما جاء في القرآن الكريم من استعمال " الهدى " فـي الإرشـاد إلى الشر أيضاً كقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[3].

وقولـه تعالـى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٦٩ ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾[5].

وعلى هذا الوجه يكون معنى الآية : أن لكل قوم داعٍ يدعوهم إما إلـى الخيـر وإما إلى الشر ، ولا يعني أن لكل قوم رسولاً ونبياً ، لأن هناك أقواماً لم يأتهم نبي ولا نذير كما في قوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[6].

وقد ذكر هذا الوجه جمع من المفسرين فـي كتـبهم مـنهم ابـن كثيـر[7] ، والطبري[1].

---

(٣) سورة الرعد ، آية : ٧ .

(٤) أضواء البيان ، للشنقيطي : ١٠/ ١٦٣.

(٥) سورة الحج ، آية : ٤.

(١) سورة النساء ، آية : ١٦٨-١٦٩.

(٢) سورة القصص ، آية : ٤١.

(٣) سورة يس ، آية : ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤/ ٣٥٦.

الوجه الثاني : وهو أن معنى (الهادي) هو ا تعالى.

ويكون معنى الآية : إنما أنت منذر يا محمد ، وأنا هادي كل قوم . وهذا الوجه منقول عن ابن عباس ، وعن سعيد بن جبير ، وعن الضحاك [٢] ، وغيرهم ، وذكـره ابن كثير وغيره [٣].

وذكره ابن تيمية وضعفه ، بل لعله مال إلى رده حيث قال : (والهـادي : بمعنـى الداعي المعلم المبلغ لا بمعنى الذي يجعل الهدى في القلوب ، كقوله تعـالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَامَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاوَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٤][٥].

الوجه الثالث : يرى أصحابه أن (الهادي) هو القائد ، والقائد هو الإمام وقـد يكون الإمام هو العمل.

وهذا مروي عن أبي العالية [٦] ، وعلى هذا القول فالمعنى : ولكل قـوم عمـل يهديهم إلى ما هم صائرون إليه من خير وشر [٧] .

الوجه الرابع : أن المراد بالهادي هنا النبي ﷺ ، والمراد بالقوم الأمـة ، والمعنـى : ولكل أمة نبي ، كقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١].

---

(٥) جامع البيان ، للطبري : ١٠٧/١٣ وما بعدها .

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم أو أبو محمد الخرساني ، ثقة كثير الإرسال ، توفي سنة ١٠٢هـ ـ أو ١٠٥هـ . انظر طبقات ابن سعد : ٣٦٩/٧ ، تهذيب التهذيب : ٤٥٣/٤ .

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٤/ ٣٥٦ ، وفتح القدير ، للشوكاني : ٣/ ٦٨ ، وأضـواء البيـان ، للشنقيطي : ١٠/ ١٦٤.

(٨) سورة الشورى ، آية : ٥٢.

(٩) الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح : ١/ ٢١٠.

(١) أبو العالية البراء ، بالتشديد ، البصري ، اسمه زياد ، وقيل كلثوم ، وقيل : أدينه ، ثقة ، توفي سنة ٩٠هـ ـ . انظر تقريب التهذيب : ١١٦٨ .

(٢) انظر جامـع البيان ، للطبـري : ١٣/ ١٠٧ ، وتفسيـر ابن كثير : ٢/ ٥٠١ ، وأضواء البيان للـشنقيطي : ١٠/ ١٦٥.

وقوله تعـالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٢].

وهذا القول مروي عن قتادة [٣] ، ومجاهد ، وعكرمة [٤] ، وعبد الرحمن بـن زيد [٥] ، والضحاك ، ورجحه جمع من المفسرين ، منهم ابن كثير ، والشوكاني ، كما رجحه شيخ الإسلام وقال : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ - في أصح الأقـوال – ولكل قوم داع يدعوهم إلى توحيد ا وعبادته كما أنت هاد أي داعٍ لمن أرسلت إليهم)[٦].

وبهذا يكون المعنى المراد من الآية : أن القوم المراد به الأمة ، والهادي هـو النبي ، ومعنى الآية : لكل أمة نبي ، كقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾ .

وبهذا يتهاوى التعارض بين الآيات ، وتكون الفترة ثابتة بنص القرآن ، والقرآن يصدق بعضه بعضاً ، ويؤيد بعضه بعضاً ، وكأنه عقد من النور ، لا تنفصل حباتـه ، ولا تتنافر معانيه ، ولا تنتهي أسراره.

ونخلص من ذلك بأنه يجوز أن يتخلف النذير عن بعض الأقوام ، وعن جـزء من الأمة ، ولكنه لا يتخلف عن أمة بأسرها ، فما من أمة من الأمم إلا جاءها نـذير ، وبعث فيها رسول.

---

(٣) سورة يونس ، آية : ٤٧.

(٤) سورة فاطر ، آية : ٢٤.

(٥) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز ، أبو الخطاب الدوسي البصري ، مفسر حافظ ضرير أكمه . قـال الإمـام أحمد بن حنبل ، قتادة أحفظ أهل البصرة ، ولد سنة ٦١هـ ، وتوفي سنة ١١٨هـ . انظر تـذكرة الحفـاظ : ١١٥/١ ، الأعلام : ١٨٩/٥ .

(٦) عكرمة بن عمار بن عقبة الحنفي العجلي اليمامي ، أبو عمار : شيخ اليمامة في عصره . من رجال الحديث . أصله من البصرة ، توفي سنة ١٥٩هـ . انظر تـاريخ بغـداد : ٢٥٧/١٢ ، تهـذيب التهـذيب : ٢٦١/٧ ، الأعـلام : ٢٤٤/٤ .

(٧) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي ، كان من أتم الرجال خلقة ، روى الحديث عن أبيه وغيره ، ولد سنة ٥هـ ، وتوفي نحو سنة ٦٥هـ . انظر تهذيب التهذيب : ١٧٩/٦ ، الأعلام : ٣٠٧/٣ .

(١) الجواب الصحيح ، لابن تيمية : ١/ ٢١٠.

وبما أن الفترة ثابتة بنص القرآن الكريم ، فقد ثبت وجود أقوام لم تقـم علـيهم حجة ا تعالى ، ولم تبلغهم الرسالة ، فما هو حكمهم ؟ هل هم معذبون بذنوبهم ؟ أم أن العذاب لا يقع عليهم لعدم قيام الحجة عليهم ؟ هذا ما سيأتي بيانه إن شاء ا تعالى.

حكم أهل الفترة :

ذهب السلف إلى أن ا تعالى يرسل رسولاً إلى كل من لم تبلغه الدعوة ، وذلك في عرصات يوم القيامة ، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة ، ومن عصى دخـل النـار ، وبذلك تقام عليهم الحجة ، ويظهر علم ا تعالى وعدله فيهم.

واستدلوا بحديث الأسود بن سريع [1] رضي ا عنه أن النبي ﷺ قال : " أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، وأما الأصم فيقول : رب ! لقد جاء الإسلام وما أسمع شـيئاً ، وأمـا الأحمق فيقول : رب ! لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر ، وأما الهرم فيقول :

---

(١) الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس ، من بني تميم الـسعدي الـشاعر المشهور ، صاحب رسول ا ﷺ ، توفي سنة ٤٢هـ . انظر الإصابة : ٥٩/١ ، الاستيعاب : ٧٢/١ بهـامش الإصابة .

رب! لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقـول : رب ! مـا أتاني لك رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ! فمن دخلهـا كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يستجر إليها " [1].

وعن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " أربعة يحتجون يـوم القيامة.. " وذكر مثل حديث الأسود بن سريع.

وأخرجه ابن جرير في تفسيره بلفظ : (إذا كان يوم القيامة ، جمع ا تبـارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة ، والمعتوه ، والأصم ، والأبكم والشيوخ الذين جـاء الإسلام وقد خرفوا....، وذكر مثل حديث الأسود وأخرجه أحمد والبزار إلا أنه قال في آخره : (فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يسحب إليها ، وهذا لفظ أحمد أيضاً [2].

وعن ثوبان[3] رضي ا عنه أن النبي ﷺ قال : (إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم ، فيسألهم ربهم ؟ فيقولون : ربنا ! لم ترسـل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكنا أطوع عبادك ، فيقول لهـم ربهم : أريتك إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون : نعم ! فيأمرهم أن يعمـدوا إلـى جهنم فيدخلوها ، فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً ، فرجعوا إلـى ربهـم فيقولون : ربنا ! أجرنا منها ؟ فيقول لهم : ألـم تزعمـوا إن أمـرتكم بـأمر تطيعوني ! فيأخذ على ذلك مواثيقهم ، فيقول : اعمدوا إليها فادخلوها ، فينطلقون حتى

---

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤/ ٢٤ ، وقال الهيثمي في المجمع : (هذا لفظ أحمد ، رجاله في طريق الأسـود ، وأبـي هريرة رجال الصحيح ، وكذلك رجال البزار فيهما) ، مجمع الزوائد : ٧/ ٢١٥ فيه قتادة وهو مدلس وقد عنعن هنا .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٤/٤ .

وصححه الهيثمي في المجمع وقال : (رجالهما رجال الصحيح) ، مجمع الزوائد : ٧/ ٢١٥ .

(١) ثوبان بن يجدد ، أبو عبد ا ، مولى رسول ا ﷺ ، أصله من أهل السراة ، اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقـه ، فلـم يزل يخدمه إلى أن مات ، توفي سنة ٥٤هـ . انظر الاستيعاب : ٢٠٩/١ ، الأعلام : ١٠٢/٢ .

إذا رأوها فرقوا ورجعوا ، فقالوا : ربنا ! فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها ! فيقول : (أدخلوها داخرين ، فقال النبي ﷺ : لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً [1].

وهذا القول ذهب إليه ابن تيميـة [2] ، وابـن القـيم [3] ، وابـن كثيـر [4] ، والشنقيطي[5] ، وأحاديث امتحان أهل الفترة كثيرة يقوي بعضها بعضاً ولـذلك اعتمـد عليها العلماء فيما ذهبوا إليه .

يقول ابن القيم رحمه ا : (يرسل إليهم ا تبارك وتعالى رسولاً ، وإلى كـل من لم تبلغه الدعوة ، فمن أطاع الرسول دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار ، فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار ، وهذا قول جميع أهل الـسنة والجماعـة حكـاه الأشعري عنهم)[6].

مذهب المعتزلة :

ذهب المعتزلة إلى القول بأن أهل الفترة في النار معذبون ، لا ينفعهم وجـودهم في زمن الفترة ولا يغني عنهم شيئاً ، لأنهم أشركوا با ، وا تعالى قد توعد المشرك بعدم المغفرة له أبداً ، قال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن

---

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك : ٤/ ٤٥٠ ، وقال : (صحيح على شرط البخاري ومسلم) ووافقه الذهبي ، وقال السيوطي في رسالة السبل الجلية ، أحاديث الامتحان كثيرة ، والصحيح منها ثلاثة ، حـديث الأسـود ، وأبـي هريرة ، وثوبان) : ٢١٦ فيه إسحاق بن إدريس ، قال أبو زرعة : (واه) وقال البخاري : (تركـه النـاس) وقال الدار قطني : (منكر الحديث) وقال ابن سعد : (كذاب يضع الحديث) لسان الميزان ، لابـن حجـر : ٣٢٢/١ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل : ٨/ ٤٠١، ٤٣٦، ٤٣٧ ، والجواب الصحيح ، ١/ ٣١٢.

(٤) طريق الهجرتين : ٣٩٦ ، ومدارج السالكين : ١/ ١٨٨، ١٨٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٣٢.

(٦) أضواء البيان : ٣/ ٤٨٢.

(٧) أحكام أهل الذمة ، لابن القيم : ٢/ ٦٤٨، ٦٤٩.

يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْماً عَظِيماً ﴾ [1]، وقـال تعالـى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [2].

واستدل أصحاب هذا القول بما ورد في بعض الأحاديث من النص على تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحي[3] حيث قال رسول ا ﷺ : وعن أنـس رضـي ا عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال : أين أبي ؟ قال : " في النار " ، فلما قفا دعـاه فقـال : (إن أبي وأباك في النار) [4].

وعن عائشة رضي ا عنها قالت : قلت يا رسول ا إن ابن جدعان [5] كـان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : (لا ينفعه إنه لـم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) [6].

وعن أبي هريرة رضي ا عنه قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى مـن حوله : فقال : استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن ، واسـتأذنته فـي أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور ، فإنها تذكر الموت) [7].

وقالوا إذا صح الحديث بتعذيب أفراد من أهل الفترة ، وجب أن يعم الحكم على جميعهم ، وقد صح الحديث في عذاب بعض أهل الفترة ، فعلى هذا وجب الحكم بالكفر على أهل الفترة ، والكافر حكمه الخلود في النار.

وهذا القول للمعتزلة مبني على ما أصلوه من وجوب الاستدلال علـى معرفـة ا ، وأن العبد مطالب بالاستدلال بعقله على وجود ا ، وجعلوا أهل الفترة ومن لم تبلغـه

---

(١) سورة النساء ، آية : ٤٨.

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٦١.

(٣) عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي ، من قحطان : أول من غير دين إسماعيل ودعا العـرب إلى عبادة الأوثان ، كنيته أبو ثمامة . انظر سيرة ابن هشام : ٢٧/١ ، البداية والنهاية : ١٨٧/٢ ، الأعلام : ٨٤/٥ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار : ١٩١/١ .

(٥) عبد ا بن جدعان التيمي القرشي ، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة ، وكانـت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب . انظر خزانة البغدادي : ٥٣٧/٣ ، الأعلام : ٧٦/٤ .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل : ١٩٦/١ .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه : ٦٧١/٢ .

الدعوة مطالباً بالاستدلال العقلي ، وبما يدل عليه عقله من حسن الأشياء وقبحها ، مما يوجب العقاب في الآخرة على التقصير ، أو يوجب الثواب على فعل الحسن ، وهـذا وفق ما ذهبوا إليه من القول بالحسن والقبح العقليين [(١)].

وهذا القول مرجوح بلا شك ، وهو مردود بعدة أوجه :

أولاً : إن هناك آيات كثيرة وأحاديث صحيحة ترد هذا القول على أعقابه وتنفي وقوع العذاب الدنيوي والأخروي على من لم تبلغه الدعوة ، وتبـين أن ا تعـالى لا يعذب أحداً حتى تقوم عليه المحجة ، وتبلغه الرسالة قبل قوله تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [(٢)].

وقد قال الطبري في تفسيرها : (وما كنا مهلكي قوم إلا بعـد الإعـذار إلـيهم بالرسل ، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم) [(٣)].

وإذا كانت الأحاديث قد صحت في تعذيب أحد من أهل الفترة فإن ذلك لا يسوغ تعميم الحكم على كافة أهلها ، فإن تلك الأحاديث وردت في أشخاص معينين ، ولم ترد أحاديث صحيحة في أن كافة أهل الفترة معذبون.

بل إن ما صح من الأحاديث إنما هو في نفي وقوع العذاب عليهم كما سيأتي إن شاء ا تعالى.

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [(٤)].

خاصة لمن بلغته الدعوة وجاءه الرسول ، وقد سبق بيان ذلك[(١)].

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٥٤ – ٨٨ – ٣٠٣ - ٣١٠.

(٢) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

(٣) تفسير الطبري : ١٥/ ٥٤.

(١) سورة النساء ، آية : ٤٨.

ثالثاً : إن قول المعتزلة هنا يتناقض مع قولهم بوجوب إرسال الرسل ، كما سبق ذكر ذلك.

فإذا كان الإنسان يستطيع بعقله أن يستدل على وجود ا ، وعقله يكفيـه عـن الشرع ، وهو مطالب بالاستدلال العقلي عندهم ، فما هو وجه إيجاب الرسل عندهم ؟ !

بل إن قولهم هذا ينسب السفه والعبث لأفعال ا ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وقد سبق بيان ذلك[٢].

وبهذا يتبين أن هذا القول ضعيف ، ومردود ، ولا يقوى على مجاراة الأقـوال الأخرى [٣] .

مذهب الأشاعرة :

اختلف الأشاعرة في حكم أهل الفترة على قولين :

القول الأول : وهو أن أهل الفترة ناجون يوم القيامة وأنهـم يـدخلون الجنـة مع الداخلين ، لأن الدعوة لم تبلغهم ، ولأن حجة الرسـالة لـم تعمهـم ، وا تعـالى

---

(٢) انظر ص (١٦٤) من هذا البحث .

(٣) انظر ص (٤٨٠) من هذا البحث .

(٤) انظر الآيات والآثار والأحاديث الواردة في أهل الفترة ومن في حكمهم ، مروان حمدان : ٣٤١ .

يقـول : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [1].

والآيات في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴾ [2].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ۝٢٠٩ ﴾ [3].

وأصحاب هذا القول استدلوا بالأحاديث التي ذكر رسول الله فيها أن بعضاً من أهل الفترة ناجون مثل قس بن ساعدة [4]، وزيد بن عمرو بن نفيل [5]، وورقة بن نوفل[6] ، لما ورد فيهم أنهم من أهل الجنة ، حيث قال رسول الله ﷺ في قس : " يرحم الله قساً ، أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده " [7].

---

(1) سورة الإسراء ، آية : 15.

(2) سورة القصص ، آية : 59.

(3) سورة الشعراء ، آية : 208، 209.

(4) قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك ، من بني إياد ، أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ، توفي قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة . انظر عيون الأثر : 1/68 ، الأعلام : 5/196 .

(5) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ، القرشي العدوي ، أحد الحكماء ، لم يدرك الإسلام ، وكان يكره عبادة الأوثان ، وكان يعبد الله على دين إبراهيم ، توفي قبل الهجرة بسبعة عشر عاماً . انظر خزانة البغدادي : 3/99 ، الأعلام : 3/60.

(1) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، من قريش ، حكيم جاهلي ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام ، وتنصر ، وقرأ كتب الأديان ، أدرك أوائل عصر النبوة ، ولم يدرك الدعوة ، وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها . توفي قبل الهجرة بإثني عشر عاماً . انظر خزانة البغدادي : 2/38 ، الأعلام : 8/115 .

(2) انظر سيرة ابن هشام : 1/ 222، والبداية والنهاية ، 2/ 234، 235 ، ومجمع الزوائد ، للهيثمي : وقال : (رواه الطبراني والبزار وفيه محمد بن الحاج اللحمني وهو كذاب ، والسيرة النبوية لابن كثير : 1/ 141. ودلائل النبوة للبيهقي : 1/ 453 ، وعن غالب بن أبجر قال ذكرت قساً عند النبي ﷺ فقال: ((رحم الله قساً إنه كان يبعثه على دين أبي إسماعيل بن إبراهيم)) ، قال الهيثمي ، (أخرجه الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات برقم : 663، ولفظه ((قساً)) بدل ((قساً)) ، مجمع الزوائد :10/ 52 .

وقال في زيد بن نفيل : " إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده " [١].

وقال في ورقة بن نوفل : " لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتان " [٢] .

وقالوا : إذا ثبت الحكم لهم بالجنة ، فإن الحكم يعم جميع أهل الفترة.

واستدل أصحاب هذا القول بحديث عبد ا بن مسعود رضي ا عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " ليس أحد أحب إليه المدح من ا عز وجل ، من أجل ذلك مدح نفـسه ، وليس أحداً أغير من ا ، من أجل ذلك حرم الفواحش ، وليس أحد أحب إليه العذر من ا ، من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل " [٣].

وهذا قول بعض الأشاعـرة ، وعليه من العلماء الزركـشي [٤][٥]، والغزالـي وغيره ، ونقله عنه السيوطي [٦] .

وقول الأشاعرة هذا مرجوح لعدة أمور :

أولاً : إن الآيات الكثيرة التي تنفي العذاب عن كل من لم تبلغه الدعوة ، وتقـام عليه الحجة ، أدلة ثابتة لا تندفع ، وليس في أي منها ما يفيد أن من لم تبلغه الدعوة في الجنة ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [٧] ينفي عـنهم العـذاب ومع ذلك لم يحكم لهم بجنة ولا غيرها.

---

(٣) انظر البداية والنهاية : ٢/ ٢٣٨ ، وسيرة ابن هشام : ١/ ٢٤٢ ، وقال الهيثمي : (رواه الطبراني والبـزار ، وفيه المسعودي ، وقد اختلط رجاله ثقات) ورواه أحمد بلفظه بزيادة (فاستغفروا له ، مجمع الزوائـد) ٩/ ٤٢٠ ، وقال الهيثمي أيضاً : (رواه أبو يعلي بلفظ يأتي يوم القيامة أمة واحدة) وإسناده حسن : ٤١٨/٩ .

(٤) قال الهيثمي : رواه البزار متصلاً ومرسلاً ، ورجال المسند والمرسل رجـال الـصحيح ، مجمـع الزوائـد : ٤١٩/٩.

(٥) الحديث سبق تخريجه ص (٤١٩).

(٦) محمد بن بهادر بن عبد ا الزركشي ، أبو عبد ا ، بدر الدين : عالم بفقه الشافعية والأصـول ، ولـد سـنة ٧٤٥هـ ، وتوفي سنة ٧٩٤هـ . انظر الدرر الكامنة : ٣٩٧/٣ ، شذرات الذهب : ٣٣٥/٦ ، الأعلام : ٦٠/٦.

(٧) انظر البحر المحيط ، للزركشي : ١٣٤ وما بعدها.

(٨) مسالك الحنفا في والدي المصطفى ، للسيوطي : ٢٢ ، وانظر خاتم النبيين ، محمد أبو زهرة : ١٣٢/١ .

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

ثانياً : قياسهم أهل الفترة على زيد بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل ، لا يسلم لهم، لأن هؤلاء صح الخبر عن رسول ا ﷺ فيهم بأعيانهم أنهم في الجنة.

كما أنه معروف من سيرتهم أنهم كانوا على الحنيفية ، ولهذا فإنه لا يعمم الحكم على كل أهل الفترة حتى يشمل الحنفاء وغيرهم.

ثالثاً : إن هناك أحاديث صحيحة وردت في امتحان أهل الفترة في عرصات يوم القيامة ، ولو أنها لم تصح ، لكان لهذا القول قوته ، أما وقد صحت سنداً ومتناً ، وقال بها أهل السنة والحديث ، وارتضاها جمع كبير من العلماء الأنداد ، فإن القول بنجاتهم من العذاب قول مرجوح.

القول الثاني : هو القول الموافق لما ذهب إليه السلف وهو أنهم يمتحنـون فـي عرصات يوم القيامة.

وذهب إلى هذا القول الأشعري ، وحكاه فـي " الإبانـة " عـن أهـل الـسنة والجماعة[(١)]، كما نصره البيهقي في " الاعتقاد " [(٢)] ، والـسيوطي [(٣)] فـي " البـدور السافرة " [(٤)] ، ونقله الطبري عن الإيجي [(٥)] ، وابن حجر في الفتح [(٦)].

ومن الواضح أن قول السلف هو أرجح الأقوال لعدة أمور :

---

(١) الإبانة : ٦٣، ١٧٧.

(٢) الاعتقاد ، للبيهقي : ٧٠.

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي ، جلال الدين ، إمـام حـافظ مـؤرخ أديـب ، ولد عام ٨٤٩هـ ، وتوفي سنة ٩١١هـ . انظر شذرات الـذهب : ٥١/٨ ، والكواكـب الـسائرة : ٢٢٦/١ ، الأعلام : ٣٠١/٣ .

(٤) البدور السافرة : ٣٠٢.

(٥) جامع البيان ، للطبري : ٣٩٥/١ .

(٦) فتح الباري : ٣/ ٢٤٦.

أولاً : إن جملة من الأحاديث قد نصت عليه ، وليس فيها موضوع ولا باطل ، وذكرت هنا الصحيح منها فقط ، مع أن منها الحسن ، ومنها الضعيف الذي يجبر بغيـره ، فيكون حسناً لغيره ، وهي بمجموعها تفيد القطع في ذلك بلا تردد.

ثانياً : إنه هو الموافق للقرآن الكريم ، وقواعد الشرع ، وفيه تأييد وتفصيل لما أخبر ا به من أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، وبلوغ الرسالة إليه ، ولما كان أهل الفترة لم تقم عليهم الحجة في الدنيا ، فإن ا تعالى يقيمها عليهم في الآخرة.

وقد جاءت آيات كثيرة تنفي وقوع العذاب على من لم تبلغه الرسالة مثل قولـه تعـالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [1]، فالآية تدل على أن ا تعالى لـم يحكم لهم بالجنة أو بالنار ، ولكنه نفى عنهم العذاب فحسب ، فظهر أن لهم حكماً آخـر يختص بهم ، وبكل من لم يأته رسول في الدنيا ، ألا وهو الامتحان المذكور ، يقول السعدي في تفسير هذه الآية (وا أعدل العادلين لا يعذب أحداً حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ، ثم يعاند الحجة . وأما من انقاد للحجة ، أو لم تبلغه حجة ا تعالى ، فإن ا تعالى لا يعذبه ، استدل بهذه الآية على أن أهل الفترات ، وأطفال المشركين ، لا يعـذبهم ا ، حتى يبعث إليهم رسولاً ، لأنه منزه عن الظلم) [2] .

ثالثاً : إن هذا القول هو القول الموافق للعقل والمنطق ، وهو مقتضى العدل الإلهي ، وبه يتبين عظم عدالة ا سبحانه وتعالى بين خلقه ، ويدرأ الظلم بكل أنواعه وصوره من أن ينسب إلى ا عزوجل ، وهو الذي مدح نفسه بكمال الإنصاف ، ودقة العدالـة ، وعظـيم الحجة على الخلق ، بقطع معاذيرهم ، فقال تعـالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [3].

---

(٧) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

(١) تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٤٠٦ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٤٩.

وإذا كان أهل الفترة لم تبلغهم الرسالة ولم يدركوا زمن أحـد مـن الرسـل أو الأنبياء ، فإن هناك أفراداً أدركوا زمن الرسالة والدعوة ، ولكن لم تبلغهم الرسالة ، ولم يسمعوا شيئاً من وحي السماء ولم يعقلوه ، لعوارض أتت علـيهم ، مثـل الـصمم ، والخرف ، أو الصغر والجنون.

فما حكم هؤلاء ، وما هو مصيرهم ، وهل هم معذبون أم ناجون يوم القيامـة ؟ هذا ما سيأتي بيانه إن شاء ا تعالى.

حكم الصم والبكم :

الصمم : هو انسداد الأذن ، وثقل السمع [1].

والبكم : هو الخرس ، كالبكامة ، وقد يكون مع عمى وبلـه ، أو أن يولـد ولا ينطق ولا يسمع ، ولا يبصر[2].

والأصم الذي لا يستطيع السمع يكون عادة أبكم لا يستطيع الكـلام ، لأن مـن الثابت المشاهد أن من ولد أصم فهو أبكم ، وكذلك من طرأ عليه الصمم فـي طفولتـه فيكون أبكم .

---

(١) القاموس المحيط ، للفيروز آبادي : ١٤٥٩.

(٢) نفس المصدر : ١٣٩٧.

فالأصل هو السمع ، ومن فقد السمع فقد القدرة على الكلام ، ومن ثم كان أصم وأبكم [١].

ولقد ربط ا تعالى بين هاتين الحاستين حيث قال : (إن شر الدواب عنـد ا الصم البكم اللذين لا يعقلون) [٢]، وقال تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [٣].

وقال تعـالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [٤].

والسمع مهم لبلوغ الدعوة إلى المدعو ، وعن طريقه تقام الحجة علـى النـاس بتبليغهم دعوة ا ، وقد وردت آيات كثيرة تبين أهمية السمع في هذا الأمر ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴾ [٥].

ومنها قوله تعـالى : ﴿ وَيۡلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرًا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ [٦].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾ [٧].

وقال تعـالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [١].

---

(٣) انظر إعجاز القرآن في حواس الإنسان ، د. محمد كمال عبد العزيز : ١/ ٦.
(٤) سورة الأنفال ، آية : ٢٢.
(٥) سورة البقرة ، آية : ١٨.
(٦) سورة الأنعام ، آية : ٣٩.
(١) سورة الروم ، آية : ٢٣ .
(٢) سورة الجاثية ، آية : ٧- ٨.
(٣) سورة التوبة ، آية : ٦.

وقال تعـالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَآ سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ (٣).

وقـال تعـالى : ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ (٤).

ولأهمية السمع فقد ربط ا بينه وبين العقل في مثل قوله تعـالى : ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ (٥).

وحين تتعطل حاسة السمع لدى الإنسان ، يصبح الإنسان في عزله تامـة عـن سماع أي قول أو هدى ، فيشبه بذلك الأموات.

ومن هنا فإن أصحاب الكهف لما ضرب ا على آذانهم ، وعطل حاسة الـسمع عندهم ناموا نوماً عميقاً ، لمدة طويلة ، يقـول ا تعـالى : ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ ﴾ (٦). وهذا التعبير القرآني يشعر بطول لبثهم في الكهف ، ويشعر أنهم كانوا كالأموات ، ولذلك قـال ا تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴾ (٧)، ومن المعلوم أن السمع لا يتعطل حتى في أثناء النوم ، ولما تعطل أصبحوا كالأموات.

---

(٤) سورة الجن ، آية : ١٣.
(٥) سورة المائدة ، آية : ٨٣.
(٦) سورة آل عمران ، آية : ١٩٣.
(٧) سورة الأنعام ، آية : ٣٦.
(١) سورة البقرة ، آية : ١٨ .
(٢) سورة الكهف ، آية : ١١-١٢.
(٣) سورة الكهف ، آية : ١٢ .

وهذا ما يؤكد على أن الأصم معزول عن هذه الحياة ، ولا يعيش معهـا ، ولا يتفاعل مع أحداثها ، ولا يفهم شيئاً مما يجري حوله ، وإن كان يـرى أمامـه أشـكالاً مختلفة لكنه لا يعرف حقيقتها ، ولا كنهها ولا معناها.

ومع أن البصر مهم أيضاً ، إذ به يرى الإنسان النور ، وينظر في آيات الكـون كله ، والإنسان في حاجة ماسة لبصره ونظره إلا أن أهمية البصر تقـل عـن أهميـة السمع.

فالسمع مقدم على البصر ، وقد قدمه ا تعالى في آيات كثيـرة ، منهـا قولـه تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [١].

وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٢].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [٣].

وهذا القول اختاره الزركشي في " البحر المحيط " [٤] ، وابن القيم في " مفتـاح دار السعادة " ، يقول ابن القيم : (وكذلك من عدم السمع فإنـه يفقـد روح المخاطبـة والمحاورة ، ويعدم لذة المذاكرة ونعمة الأصوات الشجية ، وتعظم المؤنة على النـاس في خطابه ، ويتبرمون به ، ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم ، فهـو بيـنهم شاهد غائب ، وحي كميت ، وقريب كبعيد . وقد اختلف النظار في أيهما أقـرب إلـى الكمال وأقل اختلالاً لأموره ، الضرير أو الأطرش ، والذي يليق بهذا الموضع أن يقال

---

(٤) سورة الإسراء ، آية : ٣٦.

(١) سورة النحل ، آية : ٧٨ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٤٦.

(٣) البحر المحيط للزركشي : ١/ ٦٦.

عادم البصر أشدهما ضرراً ، وأسلمهما ديناً ، وأحمدهما عاقبة ، وعادم السمع أقلهما ضرراً في دنياه ، وأجهلهما بدينه ، وأسوأ عاقبة ، فإنه إذا عدم السمع عدم المواعظة والنصائح وانسدت عليه أبواب العلوم النافعة ، وانفتحت له طرق الشهوات التي لا يدركها البصر ، ولا يناله من العلم ما يكفه عنها ، فضرره في دينه أكثر ، وضرر الأعمى في دنياه أكثر ، ولهذا لم يكن في الصحابة أطرش ، وكان فيهم جماعة أضراء ، وقل أن يبتلي ا أولياءه بالطرش ، ويبتلي كثيراً منهم بالعمى . فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة فمضرة الطرش في الدين ، ومضرة العمى في الدنيا ، والمعافى من عافاه ا منهما ، ومتعه بسمعه وبصره وجعلهما الوارثين منه) [1].

وقول ابن القيم هنا يؤكد على أهمية السمع في صلاح الدين ، لأنه طريق الهدى وبه يسمع الحق والرشد ، وبغير السمع لا يصل إلى الإنسان شيء من نور النبوة ، ولذلك فإن السمع أفضل من البصر من هذه الناحية.

أما البصر فإنه أفضل من السمع في صلاح أمور الدنيا وتهذيب الحياة المعيشية ، فالأعمى هنا أسوأ من الأصم في أمور دنياه .

والذي يهمنا في هذا البحث هو قيام الحجة على الإنسان ، وحصول السعادة له في الدنيا والآخرة بحصول الثواب الرباني واندفاع العقاب الرباني ، وهذا لا يتحقق إلا برحمة ا تعالى وصلاح الدين الذي لا يتم إلا بالسمع ، ومن هذا الوجه كان السمع أفضل من البصر في إقامة الحجة وبلوغ الرسالة وحصول الهداية.

والصمم أنواع منها ما هو صمم جزئي ومنها ما هو صمم كلي ، ومنها الصمم البسيط الذي يمكن علاجه ، لأنه طارئ أي ناتج عن مرض في أجزاء من الأذن ، ومنها ما هو صمم خلقي عميق ، وهذا هو الذي لا علاج له ، ولا يمكن لصاحبه أن يسمع شيئاً البتة [2].

---

(٤) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم : ١/ ٣٠٢ - ٣٠٣.

(١) ذكر أهل الاختصاص أنواعاً كثيرة للصمم منها :

١) النقلي : وهو ناتج عن تلف أحد أعضاء الأذن ويمكن علاجه .

ومع إمكان تعليم الأصم الذي صممه متوسط أو ضعيف ، بعدة طرق عـصرية معروفة تعتمد على حاسة النظر وتحريك الشفتين ، أو عـن طريـق الإرشـادات أو البرامج المرئية (1) ، إلا أن نسبة إدراك الصم وفهمهم تختلف بحسب عقولهم وقدراتهم وذكائهم ، فمنهم من يدرك المقصود ، ومنهم من يدرك أكثره ، ومنهم من لا يدرك إلا يسيراً منه ، ومنهم من لا يدرك شيئاً البتة .

وعلى هذا فيمكن إبلاغ الأصم الذي صممه بسيط الدعوة بحسب ما يستطيع.

أما الذين أصيبوا بصمم عميق فلا يسمعون شيئاً ، فإن إيصال الدعوة إليهم أمر في غاية الصعوبة والمشقة.

وإفهام الأصم شيئاً عن الطعام والشراب واللباس يختلف كلياً عن إفهامه شـيئاً عن اليوم الآخر ، وما فيه من جنة ونار وحـساب ، فـإن الحركـات والإشـارات لا تستطيع أن توصل تلك المعاني إلى الأصم ، وقد يفهم الأصم شيئاً من ذلك ، ولكنـه لا يفهمه جيداً ، ولا يدركه إدراكاً تاماً مما يجعل العذر باقياً في حقه لو سمع وأدرك شيئاً من الأمور.

وهو بذلك محاسب على قدر ما استوعبه وفهمه ، ومعذور في كل ما جهلـه ، ولم يدركه ، وهو مقتضى قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا

---

٢) الإدراكي : ويتفرع إلى صمم مزدوج ، وقصور سمعي متوسط ، وقصور سمعي خطير ، وقـصور سمعي عميق.

أما الصمم المزدوج ، والقصور السمعي المتوسط فيمكن علاجه ، وأما القصور السمعي الخطيـر ، والقـصور السمعي العميق فلا يمكن علاجه . انظر : دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية ، د. محمد الراجحـي ود. عبد الرزاق عمار : ٨٤-٨٥ . وانظر تربية المعوقين في الوطن العربي ، د. لطفي بركات : ٨٢-٨٣.

(٢) انظر تفصيل ذلك : تربية المعوقين في البلاد العربية ، د. محمد الراجحي ود. عبد الرزاق عمار : ٨٨ ومـا بعدها ، وتربية المعوقين في الوطن العربي ، د. لطفي بركات : ٩٧-١٠٤.

حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [1].

أما الأصم والأبكم الأعمى فإنه لا يمكن إبلاغه شيئاً من الـدعوة البتـة ، لأن مداخل العلم الثلاثة مسدودة عنده بالكلية ، فليس له طريق لأنه كالذي يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض.

أما حكم الأصم الذي لم تبلغه الدعوة إطلاقاً فهو الامتحان ، كما ورد ذلك فـي أحاديث الامتحان المتقدمة[2].

ومن سمع شيئاً من الدعوة فهو مكلف على قدر ما سمع ، لأن حكم من لم تبلغه الدعوة مثل أهل الفترة الذين لم يدركوا رسولاً وقد قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [3].

فمن وصلته الدعوة ولم يؤمن كان من أهل النار ، ومن لم تصله دعوة الرسول نفي عنه العذاب ، ولكنه لم يحكم له بالجنة ، وهذا ما يحقق معنى الامتحان في حقهـم والله أعلم [4] .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦.

(٢) انظر ص (٥١٢) من هذا البحث .

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

(٢) انظر رسالة الآيات والأحاديث الواردة في أهل الفترة ومن في حكمهم ، مروان حمدان لمن أراد المزيد .

حكم صبيان المشركين :

والخلاف في صبيان المشركين الذين ماتوا قبل البلوغ ، مع أنهم بلغتهم الرسالة وسمعوا الدعوة ، فهل قامت الحجة على هؤلاء لبلوغهم الدعوة ، أم أن الحجة لم تقـم عليهم لعدم بلوغهم سن التكليف ؟ وما هو مصيرهم في الآخرة .

والجواب عن ذلك يقتضي بيان أقوال العلماء في أطفال المشركين وصـبيانهم ، فقد اختلف العلماء في حكمهم على عدة أقوال :

القول الأول : وهو الوقف أو التوقف فيهم ، وهذا يعني أننا لا نحكم لهم بجنـة ولا نار ، ونكل علمهم إلى الله تعالى ، وهذا القول نقله البيهقي عن الشافعي في حـق صبيان المشركين [1].

وذكر الحليمي [1] هذا القول عن جماعة من العلماء [2].

(1) انظر الاعتقاد للبيهقي : ١٦٨.

وذكر ابن قدامة (٣) في المغني : أن الإمام أحمـد رحمـه ا – سـئل عـن أولاد المشركين ؟ فقال : أذهب إلى قول النبي ﷺ : ا أعلم بما كانوا عاملين ، وقال : (كان ابن عباس يقول: فأبواه يهودانه وينصرانه ، حتى سمع : ا أعلم بما كانوا عاملين فتـرك قوله) (٤).

ونقل عن الإمام أحمد قوله : (ونحن نمر هذه الأحاديث على ما جاءت به ، ولا نقول شيئاً) (٥).

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا عن الإمام أحمد رحمه ا هذا القـول وقال : (فإن النصوص عن الإمام أحمد وغيره ، الوقف في أطفال المشركين) (٦).

ونصر هذا القول البغوي في شرح السنة حيث قال : (أطفال المشركين لا يحكم لهم بجنة ولا نار ، بل أمرهم موكول إلى علم ا تعالى فيهم ، كما سبق لهم في علـم ا سبحانه وتعالى من السعادة والشقاوة) (٧).

القول الثاني : إنهم في النار.

واستدل أصحاب هذا القول بحديث عائشة رضي ا عنها ، قالـت : (سـألت رسول ا ﷺ عن أولاد المسلمين أين هم ؟ قال : (في الجنـة) وسـألته عـن أولاد المشركين أين هم يوم القيامة ؟ قال : (في النار) فقلت ، لم يدركوا الأعمـال ، ولـم

---

(٢) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني ، أبو عبد ا : فقيه شافعي ، قاض ، كان رئيس أهل الحديث في ماوراء النهر ، ولد سنة ٣٣٨هـ ، وتوفي سنة ٤٠٣هـ . الرسالة المستطرفة : ٤٤ ، الأعـلام : ٢٣٥/٢ .

(٣) منهاج الدين ، للحليمي : ١/ ١٥٩.

(٤) سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر ، تقي الدين ، ابن قدامة ، المقدسي ، فقيه حنبلي ، كان مسند الـشام فـي وقتـه ، ولد سنة ٦٢٨هـ ، وتوفي سنة ٧١٥هـ . انظر : الـدرر الكامنـة : ١٤٦/٢ ، البدايـة والنهايـة : ٧٥/١٤ ، الأعلام : ١٢٤/٣ .

(٥) المغني مع الشرح الكبير : ١٠/ ٦٣٣.

(٦) المصدر نفسه : ١٠/ ٦٣٤.

(١) المصدر نفسه : ١٠/ ٦٣٤.

(٢) شرح السنة ، للبغوي : ١/ ٥٥، ١٥٦.

تجر عليهم الأقلام . قال : (ربك أعلم بما كانوا عاملين والذي نفسي بيده لـئن شـئت أسمعتك تضاغيهم في النار) [(١)].

واستدلوا كذلك بحديث علي رضي ا عنه أنه قال : (سألت خديجة رسول ا ﷺ عن ولدين ماتا في الجاهلية ؟ فقال : (هما في النار . فلما رأى الكراهية في وجهها قال : (لو رأيت مكانهما لأبغضتهما . قالت : يا رسول ا ، فولدي منك ؟ قـال : إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار[(٢)].

القول الثالث : الإمساك :

وهو ترك الخوض في هذه المسألة نفياً وإثباتاً ، تورعاً من الخوض فيما استأثر ا بعلمه.

يقول ابن القيم : (والإمساك هو ترك الكلام في المسألة نفياً وإثباتـاً بالكليـة ، وجعلها مما استأثر ا بعلمه وطوى معرفته عن الخلق) [(٣)].

والإمساك يختلف عن الوقف ، فإن بين الوقف والإمساك فرقاً دقيقاً ، ومن هنـا جعل كل قول منفصلاً عن القول الآخر.

يقول ابن حجر : (وفي الفرق بين الوقف والإمساك دقة) [(٤)].

---

(٣) هذا الحديث ضعيف باتفاق العلماء ، وقال فيه الحافظ ابن حجر : (ضعيف جداً ، لأن في اسناده أبا عقيل مولى بهيه وهو متروك) فتح الباري : ٣/ ٢٤٦ ، وقال الهيثمي : (رواه أحمد وفيه أبو عقيل يحيى بـن المتوكـل ضعفه جمهـور الأئمة أحمد وغيره ويحيى بن معين) : ٢١٧/٧ ، وقال السيوطي في البدور السافرة : ٢٩٩ ، (أخرجه أحمد بسند ضعيف جداً عن عائشة) .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره وضعفه : ٣/ ٣٢ ، وقال الهيثمي : (رواه عبد ا بن أحمد ، وفيه محمد بن عثمان ولم أعرفـه ، وبقية رجاله رجال الصحيح) : ١٧/٧ ، ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (حـديث موضـوع كذب) ، درء التعارض : ٨/ ٣٩٨ ، وضعفه ابن القيم في طريق الهجرتين : ٣٨٩.

(١) أحكام أهل الذمة ، لابن القيم : ٢/ ٦٤٨.

(٢) فتح الباري ، لابن حجر : ٣/ ٢٤٧.

فالذي يمسك مع علمه بهذه المسألة وعلمه بالخلاف فيها ، ولكنـه آثـر السكوت ، والمتوقف يتوقف لتعارض النصوص في هذا الباب ، أو أنه متوقف عمـلاً بالأحاديث التي تنص على التوقف في أمرهم ، أو لعدم علمه.

ومن الأحاديث التي تنص على الإمساك عن الخوض فيهم ، عن أبـي رجـاء العطاردي [(١)] قال : سمعت ابن عباس رضي ا عنهما يقول : (لا يزال أمـر هـذه الأمة موائماً – أو مقارباً – حتى يتكلموا في الولدان والقدر ، وفي لفظ (حتى ينظروا في الأطفال والقدر) [(٢)].

وهذا القول روي عن ابن عباس كما تقدم ، والقاسم بن محمد ابـن أبـي بكـر الصديق [(٣)] ومحمد بن الحنفية [(٤)] وغيرهم ، ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره [(٥)].

القول الرابع : إنهم يمتحنون يوم القيامة.

وذهب أصحاب هذا القول إلى أن ا تعالى يرسل إليهم رسولاً ، وإلى كل مـن لم تبلغه الدعوة ، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة ، ومن عصى دخل النـار وبهـذا تقـام عليهم الحجة يوم القيامة ، ويظهر عدله سبحانه.

---

(٣) عمران بن ملحان ، ويقال تيم البصري ، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره ، ثقة عابد معمر ، تـوفي سـنة بـضع ومائة ، وله مائة وبضع وعشرون سنة . انظر طبقات ابن سعد : ١٣٨/٧ ، تهذيب التهذيب : ١٤٠/٨ .

(٤) قال الهيثمي : (رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار ورجـال الـصحيح) : ٢٠٢/٧ ، وذكره الذهبي في السير وقال : (هذا حديث صحيح ولم يخرج في الكتب الستة) : ١٠٤/١٦ .

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، ولد سنة ٣٧هـ ، وتـوفي سنة ١٠٧هـ . انظر وفيات الأعيان : ٤١٨/١ ، حلية الأولياء : ١٨٣/٢ ، الأعلام : ١٨١/٥ .

(٢) محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفيـة ، وهـو أخـو الحـسن والحسين ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، ينسب إليها تمييزاً له عنهما . كان واسع العلـم ، ورعـاً ، قويـاً ، شجاعاً ، ولد سنة ٢١هـ ، وتوفي سنة ٨١هـ . انظر طبقات ابن سعد : ٦٦/٥ ، وفيات الأعيان : ٤٤٩/١ ، الأعلام : ٢٧٠/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٥٤.

وهذا القول هو الذي جاءت الأحاديث صريحة به ، وقد ظهر من أحاديث الامتحان السابقة أن الأطفال من الممتحنين يوم القيامة[1].

وهذا القول : هو قول أهل السنة ، وهو قول ابن تيمية [2] وابن القيم [3].

ونصره ابن كثير في تفسيره [4] .

وهذا القول هو القول الراجح لاعتماده على الأحاديث الصحيحة ولموافقته لنصوص القرآن الكريم وعدم تعارضه معها ، كما أنه موافق للعقل والفطرة ، ومثبت لعدله سبحانه ورحمته وحكمته .

مذهب المعتزلة في أطفال المشركين :

ذهب المعتزلة إلى أن أطفال المشركين لا يعذبون بذنوب آبائهم وحجتهم في ذلك أن تعذيب الغير من غير ذنب ظلم ، والله تعالى لا يجوز أن يكون ظالماً باتفاق الأمة ، ولأن ذلك العمل قبيح من الله تعالى ، والله لا يفعل القبيح لعلمه بقبحه ، لغناه .

يقول القاضي عبد الجبار : (... فالذي يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم ، هو أن تعذيبه الغير من غير ذنب ظلم والله تعالى لا يجوز أن يكون ظالماً باتفاق الأمة ، ولأنه قبح ، والله تعالى لا يفعل القبيح لعلمه بقبحه وبغناه عنه)[5].

وقول المعتزلة هذا لا دليل عليه من النقل الصحيح وإنما هو قول قائم على الاستنتاج العقلي فقط.

والسلف لم يذهبوا إلى القول بتعذيب الولدان بذنوب آبائهم ، ولم يقل ذلك أحد منهم.

---

(٤) انظر ص (٥١٢) من هذا البحث .

(٥) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : ٨/ ٤٠١، ٤٣٦، ٤٣٧ والجواب الصحيح ، لابن تيمية : ٣١٢/١.

(٦) انظر أحكام أهل الذمة : ٢/ ٦٣٨، ٦٤٩، ٦٥٤ ، وطريق الهجرتين : ٣٩٦، ٣٩٧ ، ومدارج السالكين : ١٨٨/١.

(٧) تفسير ابن كثير : ٣/ ٣٢.

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٤٧٧-٤٧٨.

وإنما ذهب السلف إلى ما ثبت في الأحاديث الصحيحة من حصول الامتحان في يوم القيامة لهم.

وقد ذكر القاضي عبد الجبار هذا القول ونسبه للمجبرة ، وقال إنه من " البله " ، واحتج على منع الامتحان ، بأن الآخرة ليست دار تكليف ، وإنما دار جزاء [1].

والحق أن القاضي عبد الجبار لا يريد إثبات ما أثبته أهل السنة من حقيقة الامتحـان في حق من لم تبلغه الدعوة تمشياً مع منهج المعتزلة في تقديم العقل على النقل ، وحتـى لا تنتقض أصولهم التي أكدوا فيها أن الجنة إنما هي مستحقه بالعمل ، وهؤلاء لا عمل لهم ولو حصل لهم الامتحان يوم القيامة ، فآمنوا وصدقوا لدخلوا الجنة بغير عمل حصل مـنهم فـي الدنيا .

ومع أن القاضي عبد الجبار منع القول بتجويز تعذيبهم خلافاً لما ذهب إليـه مـن أن أهل الفترة في النار إلا أنه لم ير امتحانهم ولا دخولهم الجنة ، ولم أقف على نص له يبين فيه مذهبه وربما كان متوقفاً في المسألة وا أعلم.

مذهب الأشاعرة :

اختلف الأشاعرة في حكم أطفال المشركين الذين لم تبلغهم الدعوة على قولين :

القول الأول : إنهم في الجنة.

وهذا القول هو اختيار ابن حجر [2] ، والنووي حيث قـال : (وهـو المـذهب المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِى لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [3]

---

(٢) انظر المصدر نفسه : ٤٨١ .

(١) فتح الباري : ٣/ ٢٤٧.

(٢) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

وإذا كان ا   تعالى لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة ، فلأن لا يعذب غير العاقل من باب أولى) [١].

وإلى هذا القول ذهب القرطبي في تفسيره حيث قال عن هذا القول : (وهذا هو الصحيح) [٢].

القول الثاني : إنهم يمتحنون يوم القيامة ، وهذا القول موافق لمـا ذهـب إليـه السلف ، وقد ذهب إليه الأشعري في " الإبانة " [٣] ، وذكره السيوطي فـي " البـدور السافرة " [٤].

---

(٣) شرح النووي على مسلم : ١٦/ ٢٠٨.

(٤) تفسير القرطبي : ٧/ ٣١٧.

(٥) انظر الإبانة للأشعري : ٦٣، ١٧٧.

(٦) انظر البدور السافرة : ٣٠٢.

وذكر العلماء أقوالاً أخرى في أطفال المشركين منها :

الأول : إنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار.

وهذا المقام الذي يوضعون فيه ، لأنهم لا طاعة لهم ، ولا معصية . فإنهم لم يعملوا ما يبلغهم الجنة ، وكذلك لم يقترفوا الذنوب والمعاصي التي تدخلهم النار ، وهذا القول جعلهم كأصحاب الأعراف.

وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن هذا المنزل مستقرهم أبداً ، فهذا قول باطل مـردود ، لأن أهـل الأعـراف مصيرهم إلى الجنة.

ولأنه لا دار ثالثة يوم القيامة ، فإما إلى جنة ، وإما إلى نار ، وهذا أمر لا خلاف فيه.=

= وإن أرادوا أنهم يقفون فيه زمناً ثم يصيرون إلى الجنة ، فمعنى ذلك أن الأطفال مصيرهم إلى الجنـة ، ولا حاجة لهذا القول ، لأنه يؤول إلى ما قبله وهذا القول هو قول عبد العزيز الكناني ، كما ذكر ذلك ابـن القـيم ، انظر أحكام أهل الذمة : ٢/ ٦٤١ ، وطريق الهجرتين : ٣٩٣.

القول الثاني : إنهم في مشيئة ا .

وأصحاب هذا القول يقولون : إنه يجوز أن يعمهم ا برحمته جميعهم ، ويجوز أن يعذبهم جميعاً ، ويجـوز أن يدخل بعضهم الجنة ، وبعضهم النار . وأصحاب هذا القول هم الجبرية نفاة الحكمة والتعليل ، وهو قول كثيـر من مثبتي القدر وغيرهم ، وقد رد عليهم ابن القيم بقوله : (وقد ظن كثير من هؤلاء أن هذا جـواب النبـي ﷺ حين سئل عنهم ، فقال : ا أعلم بما كانوا عاملين ، وهذا الفهم غلط على رسول ا ﷺ وجوابه لا يـدل علـى ذلك أصلاً ، بل هو حجة عليهم ، فإنه لم يقل هم في مشيئة ا ، يفعل فيهم ما يشاء بلا سبب ولا عمـل ، بـل أخبر أن ا يعلم أعمالهم التي يستحقون بها الثواب أو العقاب لو عاشوا وهو مذهب مخالف للعقـل والفطـرة والقرآن والسنة وجميع ما جاءت به الرسل) . انظر أحكام أهل الذمة ، لابن القيم : ٢/ ٦٤٢.

القول الثالث : إنهم تبع آبائهم.

ثانياً : عدم وقوع العذاب الدنيوي قبل البعثة .

وهذا القول حكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج ، الفصل ، لابن حزم / ٧٥٢٣.

وحجتهم في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ سـورة نـوح ، آيـة : ٢٦.ويرى ابن حزم أن قولهم هذا في حكم الدنيا لا في أحكام الآخرة ، وهذا ما جزم به ابن تيمية وابـن القـيم وهو الحق انظر ، أحكام أهل الذمة ، لابن القيم : ٢/ ٦٤٦.

وهذا القول وما سبقه من الأقوال التي تجوز تعذيبهم أقوال مردودة لقوله تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ سورة الإسراء ، آيـة :١٥. وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة التحريم ، آية : ٧. وكل الآيات التي تنفي العذاب عن كل من لم يأته نذير أو يسبق بالعمل.

وكذلك الحديث الصحيح الذي بين فيه رسول ا ﷺ أن القلم مرفوع عن الأطفال حتى يبلغوا ، فقد قـال عليـه الصلاة والسلام " رفع القلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يحتلم ". رواه البخاري ، في التعليقات ، باب الطلاق في الإغلاق.

القول الرابع : إنهم يصيرون تراباً.

وقد ذكر ذلك ابن القيم في أحكام أهل الذمة ، أحكام أهل الذمة لابن القيم : ٢/ ٦٤٧.

وهذا قول مروي عن ثمامة بن أشرس ، وذكر ذلك ابن حجر في الفتح ، انظر ، فتح الباري ، لابن حجر ، ٢٤٦/٣.

وثمامة هذا من كبار المعتزلة ، وقد رد عليه ابن القيم بقوله : (لعل ثمامة اخترع هذا القول من تلقاء نفسه ، فلا يعـرف عن أحد من السلف . وكأن قائله رأى أنهم لا ثواب بهم ولا عقاب فألحقهم بالبهائم) ، أحكام أهل الذمة : ٢/ ٦٤٧.

وقد ضعف السيوطي هذا القول وقال : (لا دليل على ذلك) ، ا لبدور السافرة للسيوطي : ٣٢.

وهذا القول ساقط لأنه لا دليل عليه.

القول الخامس : إنهم خدم أهل الجنة ، انظر أحكام أهل الذمة : ٢/ ٦٤٣ ، والفصل لابن حزم : ٣/ ٧٩ ، وفتح الباري لابن حجر : ٣/ ٢٤٦ ، وشرح السنة للبغوي : ٥٧/١ ، وأصحاب هذا القول يحتجـون بحـديث أنـس رضي ا عنه أنه قال : سألنا رسول ا ﷺ عن أولاد المشركين فقال : (هم خدم أهل الجنة) وقد تتبع ابـن= =حجر طرق أنس كلها وحكم بضعفها ، فتح الباري : ٦٠٠/٣ ، وكذلك ابن تيمية في مجموعة الفتاوى : ١١/٤ ، وابن القيم في طريق الهجرتين : ٣٩٤ .

واستدلوا بحديث سلمان رضي ا عنه أنه قال : (أطفال المشركين خدم أهل الجنة) أخرجه الـسيوطي فـي الجامع الصغير : ١٠٣٥ ، وقال هو موقوف على سلمان ، وقال ابن القيم : (قد صح القول بأنهم خدم الجنـة عن سلمان) وأحاديث الامتحان أصح وأشهر ، أحكام أهل الذمة : ٢/ ٦٥٥.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا القول ضعيف مردود ، حين سئل عن (الولدان الذين يكونون في الجنـة هل هم أبناء الدنيا) ؟

فأجاب : (الولدان الذين يطوفون على أهل الجنة خلق من خلق الجنة ، ليسوا بأبناء أهل الدنيا ، بل أبناء أهـل الدنيا إذا دخلوا الجنة ، يكمل خلقهم كأهل الجنة ، على صورة آدم ، أبناء ثلاث وثلاثين سنة ، في طول سـتين ذراعاً ، وقد روى أيضاً أن العرض سبعة أذرع ، مجموعة الفتاوى لابن تيمية : ٣١١/٤ ، وأحكام أهل الذمة : ٢/ ٦٥٦.

المقصود بالعقاب الدنيوي هنا العذاب الذي ينزله الرب تبـارك وتعـالى علـى الأقوام المكذبة للرسل ، والمنحرفة عن الصراط المستقيم.

وليس المراد بالعقاب الدنيوي هنا كل ما يحصل في الدنيا من المصائب والبلايا مما يندرج تحت مسمى العقاب ، فإن هذا الأخير له مبحث مستقل خاص به سيأتي إن شاء ا تعالى[1].

والعقاب الدنيوي الواقع من الرب تبارك وتعالى على الأمم المكذبة لابد أن يسبق بالإنذار والإعذار الحاصل بإرسال الرسل.

ويؤكد هذا آيات كثيرة في كتاب ا تعالى تدل دلالة واضحة على هذا الأصل ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾[2].

كما أن استقراء أحوال الأمم مع الرسل ، ومصير المكذبين مـنهم ، يؤكـد أن الإنذار سابق لوقوع العقاب والعذاب الدنيوي.

إضافة إلى أن العقاب إنما حصل بسبب إصرار الأقوام المنحرفة على مـوقفهم المناهض للرسل ، مع تكرار الدعوة لهم وبيان الحجـة وتأييـد الرسـل بـالمعجزات الباهرات ، لكن الإصرار على المعاصي وتكذيب الرسل والاستكبار عليهم ، هو السبب الأول في وقوع العذاب الدنيوي.

ومن هنا يتضح لنا أمران رئيسيان :

الأول : إن وقوع العقاب في الدنيا لا يكون إلا بعد قيام الحجة والإنذار.

الثاني : إن وقوع العذاب سببه الإصرار على المعاصي وظلم الأقوام لأنفسهم ، وليس ظلماً من ا تعالى ، بل هو من تمام عدله.

---

(١) انظر ص (٥٩٥) من هذا البحث .

(٢) سورة القصص ، آية : ٥٩.

فأما الأول وهو أن وقوع العذاب لا يكون إلا بعد قيام الحجة ، يؤكده عدد مـن الآيات في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [1].

قال الطبري في تفسيرها : (وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل ، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم ، ثم ساق بسنده عن قتـادة قولـه فـي تفسير الآية : إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبـر ، أو يأتيه من الله بينة ، وليس معذباً أحداً إلا بذنبه) [2].

وقـال القرطبي : (أي لـم نترك الخلق سـدى ، بل أرسلنا الرسل ، ثم قال : (والجمهور على أن هذا في حكم الدنيا ، أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد الرسالة إليهم والإنذار ، وقالت فرقة : هذا عام في الدنيا والآخرة لقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا ﴾ [3][4].

ويقول الألوسي : (تدل بعمومها على أن الله تعالى لا يعذب أحداً ، بنوع مـن العذاب – دنيوياً أو أخروياً – حتى يبعث إليها رسولاً يهدي إلى الحق ، ويـردع عـن الضلال ، ويقيم الحجج ، وعلى تسليم أن المناسب لسياق الآية أن المراد هو العـذاب الدنيوي ! فالجواب : أنه إذا دلت الآية على أن اللائق بالحكمة أن لا يعذب أحـداً فـي الدنيا على ترك واجب - وقبل بعثة الرسول – فدلالتها على أن لا يعذب أحداً العـذاب الأكبر – وهو عذاب الآخرة – من باب أولى) [5].

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

(٢) جامع البيان ، للطبري : ١٥/ ٥٤.

(٣) سورة الملك ، جزء من الآية : ٨-٩.

(٤) تفسير القرطبي : ١٠/ ٢٣١.

(١) تفسير الألوسي : ١٥/ ٣٦.

ومن هذه الآيات أيـضاً قولـه تعـالى : ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩ ﴾ [1].

قال ابن كثير : (قال تعالى مخبراً عن عدله في خلقه إنه ما أهلك من أمة مـن الأمم إلا بعد الإعذار إليهم والإنذار لهم ، وبعثة الرسل إليهم وقيام الحجة عليهم) [2].

قال الشوكاني : (وما أهلكنا قرية من القرى إلا بعد الإنذار إلـيهم والإعـذار بإرسال الرسل ، قوله (ذكرى) بمعنى تذكرة (وما كنا ظالمين) في تعذيبهم ، فقـد قدمنا الحجة إليهم وأنذرناهم وأعذرنا إليهم) [3].

يقول الشيخ السعدي : (يخبر تعالى عن كمال عدله ، في إهـلاك المكـذبين ، وأنه ما أوقع بقرية هلاكاً وعذاباً ، إلا بعد أن يعذرهم ، ويبعث فيهم النـذر بالآيـات البينات ، فيدعونهم إلى الهدى ، وينهونهم عـن الـردى ، ويـذكرونهم بآيـات ا ، وينبهونهم على أيامه في نعمه ونقمه (ذكرى) لهم وإقامة حجة علـيهم (ومـا كنـا ظالمين) فنهلك القرى ، قبل أن ننذرهم ، ونأخذهم ، وهم غافلون عن النذر) [4].

والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [5].

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ [6].

وأما الثاني وهو أن وقوع العقاب الدنيوي إنما هو مسبب عـن ذنـوب الأمـم المكذبة للرسل ، وإصرارهم على تكذيبهم وجحودهم.

---

(٢) سورة الشعراء ، آية : ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) تفسير ابن كثير : ٣/ ٣٤٨.

(٤) فتح القدير : ٤/ ١١٩.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي : ٥٤٨.

(١) سورة القصص ، آية : ٥٩.

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٣١.

ويدل على ذلك ما جاء في آيات القرآن الكريم من إلقاء مسئولية وقوع العـذاب عليهم لما كانوا عليه من ذنوب ومعاصٍ واستكبار في الأرض فكان ذلك هـو سـبب الإهلاك والأخذ والعقاب.

يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ﴾ (1).

وفي بيان سبب وقوع العذاب والعقاب الدنيوي – وهو ذنوب الأمم المعذبـة – تنزيه تعالى عن الظلم ، وبيان عدله ، ببيان تقدم حجته لهم ، والإعذار إليهم .

ولذلك ينفي ا تبارك وتعالى الظلم عن نفسه بعد بيان قصص الرسـل والأنبيـاء ، مبيناً أن عذابهم بسبب ذنوبهم ، وموضحاً أن عذابه لهم مـسبوق بالإعـذار والإنـذار وإقامة الحجة.

يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (2).

يقول ابن كثير : (وما كان ا ليظلمهم فيما أحل بهم من العـذاب والنكـال ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، أي وإنما أوتوا مـن أنفـسهم حيـث كـذبوا بآيـات ا واستهزؤوا بها ، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم) (3).

ويقول ا تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ (1).

---

(3) سورة غافر ، آية : 21-22.

(1) سورة الروم ، آية : 9.

(2) تفسير ابن كثير : 3/ 681.

يقول السعدي رحمه ا : (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظـالمون بـالكفر والمعاصي ، مستحقون للعقوبة . والحاصل أن ا لا يعذب أحداً إلا بظلمه ، وإقامـة الحجة عليه) [٢].

ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى قوله تعـالى : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٣].

وقد ذكر ا هذه الآية بعد آيات عديدة قص فيها سبحانه أحوال الأمم المكذبة ، وبين فيها وقوع العقوبة التي نزلت بهم . ثم بين بعد ذلك أن هذه العقوبات كانت بسبب ذنوبهم ، وفي ذلك نفي الظلم عن ا تعالى ووصف المكذبين به فاستحقوا العقاب نتيجة ظلمهم لأنفسهم.

ويقول ا تبارك وتعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ ﴾ [٤].

ويقول تعـالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ ﴾ [٥].

---

(٣) سورة القصص ، آية : ٥٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٥٧١ .

(٥) سورة العنكبوت ، آية : ٤٠.

(١) سورة الأنبياء ، آية : ١١.

(٢) سورة الحج ، آية : ٤٢-٤٥.

ويقول تبارك وتعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣ ﴾ (١).

ويختلف العقاب الإلهي الدنيوي ويتنـوع بـاختلاف ذنـوب الأمـم وتكـذيبهم وإصرارهم على ذنوبهم.

وكثيراً ما يذكر ا سبحانه وتعالى في آياته الكريمة ذنوب الأمم في معـرض بيان أحوالهم والعقوبات التي حلت بهم.

يقول ا تبارك وتعالى ذاكراً قصة فرعون : ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(٢).

فذنب فرعون الذي ذكره ا في هذه الآية هو كفره ، وذلك مثل قوله تعـالى : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ ﴾(٣).

ويقول ا تبارك وتعالى في ذكر عقاب التكذيب برسل ا تعالى : ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤ ﴾ (٤).

كذلك من الذنوب التي كانت سببا في إحلال الهلاك والعقاب ، ادعاء الألوهيـة والربوبية من دون ا تعالى ، يقول ا تبارك وتعالى حاكياً عـن فرعـون : ﴿ وَقَالَ

---

(٣) سورة النحل ، آية : ١١٢-١١٣.

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٥٢.

(١) سورة التغابن ، آية : ٥-٦.

(٢) سورة ق ، آية : ١٢- ١٤.

فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ (1).

ونتيجة لتأليه نفسه وتنصيبه لنفسه رباً وإلهاً لبني إسرائيل وإيجابه على النـاس طاعته وتكذيبه برسل ا ، جعله ا عبرة في الدنيا والآخرة وكان عقابه الغرق فـي البحر يقول ا تبارك وتعـالى : ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ (2).

وقال تبارك وتعالى وهو يقص حال آل فرعون في قبـورهم : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ (3).

ومن الذنوب التي كانت سبباً في وقوع العقاب إيذاء الرسل والاسـتهزاء بهـم وإخراجهم ، يقول ا تبـارك وتعـالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (4).

وقال تعـالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (5).

ومن ذنوب الأمم السابقة التي كانت سبباً في وقوع العذاب ، الاستكبار والامتناع عن قبول الحق ، يقول ا تعالى : ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾ (6).

---

(٣) سورة القصص ، آية : ٣٨.

(٤) سورة البقرة ، آية : ٥٠ .

(٥) سورة غافر ، آية : ٤٦.

(١) سورة الرعد ، آية : ٣٢.

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ١٣.

(٣) سورة العنكبوت ، آية : ٣٩.

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡىِ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأَخِرَةِ أَخۡزَىٰ ۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ۝ ﴾ (١).

وكذلك المكر : يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ ﴾ (٣).

ومن الذنوب التي تستحق العقاب الإسراف : وهو مجاوزة القصد في الأمـور (٤) ، وأما كونه من أسباب العقاب الإلهي فلأنهم تجاوزوا الحد في الكفر والمعاصي وقد يأتي الإسراف بمعنى الشرك كما جاء في قوله تعـالى : ﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (٥). والمسرفون في هذه الآية هم المشركون(٦).

ومن الذنوب المهلكة أيضاً الترف والبطر: والبطر هو الطغيان عند النعمة وعدم القيام بشكرها (٧) يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً

---

(٤) سورة فصلت ، آية : ١٥، ١٦.

(٥) سورة النحل ، آية : ٢٦.

(٦) سورة النمل ، آية : ٥٠-٥١.

(١) انظر لسان العرب ، لابن منظور : ٦/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٩.

(٣) انظر تفسير الطبري : ١٨/ ٤١٥ ، وفتح القدير : ٣/ ٣٩٩.

(٤) انظر لسان العرب ، لابن منظور : ١/ ٤٣٠.

يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (1).

وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (2).

والأمم التي أهلكها الله تعالى بسبب بطرها كثيرة ، ولا زالت بعض آثارها إلى اليوم ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكان الوارث لها هو الله عز وجل حيث لم يكن لمساكنهم وارث ولا مالك(3).

وأما ما حل بأفراد الأمم مثل قارون وأصحاب الفيل وغيرهم فهم أيضاً كانوا أصحاب ذنوب ومعاصٍ ، ومن ذنوبهم الاستكبار في الأرض بغير الحق والإسراف والسيطرة والطغيان .

وأما العقوبات الإلهية الدنيوية التي جاءتنا أخبارها فإنها لم تكن من باب الاستئصال الكامل كما حدث لأصحاب الفيل ، وقوم فرعون ، وثمود ، وعاد ، وغيرهم ، وإنما كانت عقوبات مختلفة لحكمة إلهية حيث جعل الله عقوباته مناسبة لذنوب أصحابها ، مثل ما حدث لأصحاب الجنة وقارون وغيرهم.

فإن من المصائب ما يكون عقوبة للعبد على فعله ، كما سيأتي بيان ذلك (4).

ونخلص من ذلك أن ما عجله الله تعالى في الدنيا من العقوبات الإلهية إنما هي مقتضى عدله تبارك وتعالى .

---

(5) سورة النحل ، آية : ١١٢.

(6) سورة القصص ، آية : ٥٨.

(7) انظر تفسير الطبري : ١٩/ ٦٠٢.

(1) انظر ص (٦١٧) من هذا البحث .

المبحث الرابع :

التكليف بما لا يطاق .

توطئة

تتناول هذه المسألة أمرين رئيسين وقع فيهما النزاع بين الفرق وهما :

الأول : الاستطاعة والقدرة.

الثاني : جواز تكليف ما لا يطاق.

والاستطاعة والقدرة شرط من شروط إيجاد الفعل الذي هو أمر أو ترك ، وعليه يكون الثواب والعقاب ، فلا بد من بيان حقيقة هذه القدرة ومكانتها من الفعل.

وكذلك التكليف الإلهي للعبد هل يجوز أن يكون خارجـاً عـن نطـاق القـدرة والاستطاعة ، أم لا بد أن يكون مما هو في مقدور العبد ؟ وما مدى علاقة ذلك بعدلـه سبحانه وتعالى.

هذه الأسئلة تؤكد ارتباط هذه المسألة بقضية العدل الإلهي.

أولاً : الاستطاعة.

الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع ألفاظ متقاربة ، وهي من الألفاظ المترادفة.

وجاء هذا القول في شرح الطحاوية [(١)] وعند ابن تيمية [(٢)] وهو قول الجرجاني في التعريفات [(٣)] ، وقال به القاضي عبد الجبار في شرحه للأصول الخمسة ، واستدل على ذلك بأن كل واحد من هذه الألفاظ يصح أن يعبر به عن الآخر ، ولا يصح إثبات أحد هذه الألفاظ ، ونفي الألفاظ الأخرى يقول القاضي عبد الجبار : (وعلامة اتفـاق هذه الألفاظ في المعنى ، أنك لو أثبت ببعضها ونفيت بالبعض لتناقض الكلام) [(٤)].

وإضافة إلى أن هذه الألفاظ من المترادفات فهي من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى تفصيل ، ولهذا فقد ذهب السلف إلى تقسيم الاستطاعة والقدرة إلى قسمين :

أحدهما : القدرة الشرعية المصححة للفعل أو المشترطة للفعل ، والتي هي مناط الأمر والنهي ، وهذه متقدمة على الفعل.

وهذه القدرة هي القوة على الفعل ، وسلامة الأسباب ، ووفرة المؤنة التي تعين على الفعل ، وهي المذكورة في قوله تعـالى : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(٥)].

وهذه الاستطاعة لا تكون إلا قبل الفعل ، ولا تكون مقارنة لـه ، ولـو كانـت مقارنة له لم يجب حج البيت إلا على من حج ، فلا يكون من لم يحج عاصـياً بتـرك الحج ، سواء كان له زاد وراحلة ، وهو قادر على الحج أو لم يكن.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ٤٣٢.

(٢) درء التعارض العقل والنقل : ١/ ٦٠ – ٦١.

(٣) التعريفات للجرجاني : ١٣.

(٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٣٩٣.

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٩٧.

وهذه القدرة هي المرادة من قوله ﷺ لعمران بن حصين رضي ا عنه : "صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب " (١).

وقوله ﷺ : " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " (٢).

ولو أن المراد أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لقال : فافعلوا منه ما تفعلون ، فلا يكون من لم يفعل شيئاً عاصياً له ، وهذه الاستطاعة في كتب الفقه ولسان عموم الناس.

الثانية : هي القدرة القدرية الموجبة للفعل التي هي مقارنة للمقدور لا يتأخر عنها.

وهذه القوة هي التي يتأدى بها الفعل مباشرة ، وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾ (٣)، وقوله تعالى : ﴿ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١ ﴾ (٤).

والمراد نفي حقيقة القدرة ، لا نفي الأسباب والآلات ، لأنها كانت ثابتة ، وهذه الاستطاعة هي المقارنة للفعل الموجبة له(٥).

واستطاعة العبد وقدرته هي أول نزاع في قضية تكليف ما لا يطاق ، فقد ذهب كل من المعتزلة والأشاعرة إلى مذهب خاص بهم.

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب تقصير الصلاة ، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب : ٣٧٦/١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول ا ﷺ : ٢٦٥٨/٦ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

(٣) سورة هود ، آية : ٢٠.

(٤) سورة الكهف ، آية : ١٠٠ – ١٠١.

(٥) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٧٥/٨ وما بعدها ، ودرء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ٦٠/١، ٦٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٤٣٢.

مذهب المعتزلة في الاستطاعة :

ذهب المعتزلة إلى أن الاستطاعة والقدرة والقوة والطاقة أسماء مترادفة لمعنى واحد ، وربما كانت بين كل هذه الأسماء وبين الطاقة ، فرق بسيط ولكن ذلك لا يخرجها عن معناها المشترك.

وعلى هذا فإن الاستطاعة أو القدرة سابقة ومتقدمة لمقدورها غير مقارنة له – عند المعتزلة – وليس عندهم إلا القدرة المصححة للتكليف.

يقول القاضي عبد الجبار : (فصل في الاستطاعة وهو الكلام في أن القدرة متقدمة لمقدورها غير مقارنة له ، ووجه اتصاله بباب العدل ، أنه يلزم على القول بمقارنتها للمقدور تكليف ما لا يطاق ، وذلك قبيح ، ومن العدل ألا يفعل القبيح) [١].

فكون القدرة مقارنة للفعل عند المعتزلة يلزم منه تكليف ما لا يطاق ، حيث يكون الإنسان والحالة هذه ، مكلفاً بما لا قدرة له عليه ، وذلك قبيح ، وا لا يفعل القبيح ، لأن فعله للقبيح يطعن في عدله - سبحانه وتعالى - على حد قولهم.

وفي تصوير مذهبهم هذا يقول الأشعري : (وأجمعت المعتزلة على أن الاستطاعة قبل الفعل وهي قدرة عليه وعلى ضده ، وهي غير موجبة للفعل ، وأنكروا بأجمعهم أن يكلف ا عبداً ما لا يقدر عليه) [٢].

واستدل المعتزلة على صحة ما ذهبوا إليه بأن القدرة صالحة للضدين ، فلو كانت مقارنة لهما لوجب بوجودها وجود الضدين ، فيجب في الكافر وقد كلف الإيمان أن يكون كافراً مؤمناً دفعة واحدة ، وذلك محال [٣] وهؤلاء المعتزلة ظنوا أن القدرة نوع واحد يصلح للضدين ، وأنه لو كانت الاستطاعة مع الفعل فإنها لا تكون عندها صالحة للضدين.

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٣٩٠.

(٢) مقالات الإسلاميين ، للأشعري : ١/ ٣٠٠.

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٣٩٦.

والصواب أن القدرة نوعان كما تقدم : نوع مصحح للفعل ، يمكن معـه الفعـل والترك ، وهذه هي التي يتعلق بها الأمر والنهي ، وهذه تحصل للمطيع والعاصـي ، وتكون قبل الفعل ، وهذه تبقى إلى حين الفعل ، إما بنفسها عنـد مـن يقـول ببقـاء الأعراض ، وإما بتجدد أمثالها عند من يقول إن الأعراض لا تبقى زمانين ، وهذه قـد تصلح للضدين ، وأمر ا بها مشروط بهذه الطاقة ، ولا يكاف ا من ليس معه هـذه الطاقة ، ولكن هذه الاستطاعة مع بقائها إلى حين الفعل ، إلا أنها لا تكفي في وجـود الفعل ، ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل ، بل لا بد من إحداث إعانة أخرى تقارن الفعل ، مثل جعل الفاعل مريداً ، فإن الفعل لا يـتم إلا بقـدرة وإرادة ، والاسـتطاعة المقارنة للفعل تدخل فيها الإرادة الجازمة ، بخلاف المشروطة في التكليف ، فإنـه لا يشترط فيها الإرادة . فا يأمر بالفعل من لا يريده ، لكنه سـبحانه وتعـالى لا يـأمر بالفعل من لو أراد أن يفعل الفعل لعجز عنه ، وإذا اجتمعت الإرادة الجازمـة والقـوة التامة لزم وجود الفعل[1].

وما قالته المعتزلة مبني على أصلهم الفاسد ، وهو أن إقدار ا للمؤمن والكافر والبر والفاجر سواء ، وأن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الإعانة والإقدار سواء. ولذلك امتنع على أصولهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه ، لأن القدرة التـي تخـص الفعل لا تكون للتارك ، وإنما تكون للفاعل ، ولا تكون القدرة إلا من ا تعالى.

وهم لما رأوا أن القدرة لا بد أن تكون قبل الفعل ، قالوا : لا تكون مع الفعـل ، لأن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك ، وحال وجود الفعل يمتنع الترك ، فلهـذا قالوا : القدرة لا تكون إلا قبل الفعل . وهذا باطل قطعاً ، فإن وجود الأمر مـع عـدم بعض شروطه الوجودية ممتنع ، بل لابد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعـل مـن الأمور الوجودية موجوداً عند الفعل ، فنقيض قولهم حق ، وهو : أن الفعـل لابـد أن يكون معه قدرة.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٤٣٣ – ٤٣٦.

وقول المعتزلة بأن الاستطاعة متقدمة على الفعل يلزم منه القول بأن استطاعة الفعل هي استطاعة الترك ، وهذا يلزم منه أن العباد لم يكلفوا إلا بما هم مستوون في طاقته وقدرته واستطاعته ، لا يختص الفاعل دون التارك باستطاعته خاصة.

وهذا مبني على قولهم إن العبد هو خالق فعله بنفسه ، أما ما يكون من الله تعالى فهي إزالة الموانع والأمراض والعلل ، والإقدار والتمكين ، أما خلق الفعل فهو من العبد.

ولذلك فقد استوى عندهم الفاعل والتارك في هذه الاستطاعة ، والفرق عندهم هو أن الفاعل خلق فعله بقدرته وإرادته ، أما التارك فلم يخلق الفعل مع وجود أسبابه.

ولهذا كان من لوازم قولهم أن العبد مستغن في حال الفعل عن معونة من الله تعالى يفعل بها ، وسووا بين نعمته تعالى على المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وقد سبق بيان قولهم هذا فيما تقدم [1][2].

والحاصل أن المعتزلة أثبتوا للعبد قدرة من جهة الصحة والوسع ، والتمكن وسلامة الآلات ، وهي القدرة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [3]. فأوجب سبحانه التقوى بحسب الاستطاعة ، والحج بحسب الاستطاعة.

ولكنهم مع إثباتهم لهذه القدرة المصححة للفعل ، إلا أنهم تغافلوا عن القدرة التي تكون مع الفعل ، والتي هي حقيقة القدرة ، وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا

(١) راجع ص (١٢٨) من هذا البحث.

(٢) انظر مجموعة الفتاوى : ٨/ ١٧٧ وما بعدها.

(٣) سورة التغابن ، آية : ١٦.

كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾ [1] ، والمراد هنا نفي حقيقة القدرة ، لا نفي الأسباب والآلآت ، لأنها كانت ثابتة.

ولهذا جاء قول المعتزلة في هذه المسألة مجانباً للصواب ، لاستناده على أصول فاسدة من القول بخلق العباد لأفعالهم ، وأن قدرة الفاعل والتارك علـى الفعـل قـدرة متساوية.

والصواب هو إثبات الاستطاعة الواردة في كتاب ا تعالى بنوعيهـا المتقدمـة على الفعل ، والمقارنة له ، وبذلك تكون المسألة موافقة للعقل والنقل معاً.

(1) سورة هود ، آية : ٢٠.

مذهب الأشاعرة في قدرة العبد ومكانها من الفعل :

ذهب الأشاعرة إلى أن الاستطاعة والقدرة والقوة مترادفة ، أما الاستطاعة الحقيقية فهي التي مع الفعل.

يقول الجرجاني : (الاستطاعة الحقيقية هي : القدرة التامة التي يجب عندها صدور الفعل ، فهي لا تكون إلا مقارنة للفعل) [(١)].

وقول الأشاعرة هذا يستند على أصولهم في أن العرض لا يبقى زمانين ، والاستطاعة عرض ، فلا يصح أن تكون متقدمة للفعل ، ومع الفعل في آن واحد ، بل لابد أن تكون معه ، ولا يصح أن تكون متقدمة عليه [(٢)].

وقالوا : لو بقيت القدرة لاستحال عدمها ، وإلا اجتمع الضدان معاً.

يقول الجويني : (القدرة الحادثة عرض من الأعراض عندنا ، وهي غير باقية ، وهذا حكم جميع الأعراض عندنا ، وأطبقت المعتزلة على بقاء القدرة .

والدليل على استحالة بقاء جميع الأعراض أنها لو بقيت لاستحال عدمها) [(٣)].

والجواب أن القدرة نوعان كما تقدم : نوع مصحح للفعل ، يمكن معه الفعل والترك ، وهذه تكون قبل الفعل ، وهي تبقى إلى حين الفعل ، إما بنفسها عند من يقول ببقاء الأعراض ، وإما بتجدد أمثالها عند من يقول إن الأعراض لا تبقى زمانين ، وأمر ا مشروط بهذه الطاقة ، ولا يكلف ا أحداً ليس معه هذه الطاقة [(٤)]. ونوع مع الفعل مقارنة له ، وهي القدرة الحقيقية .

---

(١) التعريفات ، للجرجاني : ١٣ ، وانظر اللمع للأشعري : ٩٤، ٩٦، والتمهيد للباقلاني : ٣٢٤ . والإرشاد للجويني : ٩٠ ، وغاية ا لمرام للآمدي : ٢٤٥.

(٢) انظر الإرشاد ، للجويني : ٩٠.

(٣) الإرشاد ، للجويني : ٩٠.

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٤٣٣ – ٤٣٥.

وقد أصاب الأشاعرة في إثبات القدرة الحقيقة ، وهي التي تكون مـع الفعـل ، وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾(1).

وهذه الاستطاعة المنفية هنا هي حقيقة القدرة لا نفي الأسباب والآلات ، لأنهـا كانت ثابتة لهم.

ولكن الأشاعرة اغفلوا جانب الاستطاعة المتقدمة على الفعل ، وهي القدرة مـن جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات ، وهي التي لا بد أن تتقدم عن الفعـل ، ولا تكون معه ، وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(2) ، والمراد منها استطاعة الأسباب والآلات .

وهي المذكورة فيما حكاه ا سبحانه وتعالى من قول المنـافقين : ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (3) ، وقد كذبهم ا تعالى في ذلك القول ، ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل ما كانوا بنفيهم عن أنفـسهم كاذبين ، وحيث كذّبهم دل على أنهم أرادوا بذلك المرض أو فقد المال على ما بين ا تعالى : ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا

---

(1) سورة هود ، آية : ٢٠.

(2) سورة المجادلة ، آية : ٤.

(3) سورة التوبة ، آية : ٤٢.

يُنفِقُونَ ٩٢ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَأۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٩٣ ﴾ [1].

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [2] ، والمراد : استطاعة الآلات والأسباب.

وقول الأشاعرة بمقارنة القدرة للفعل ، واستحالة تقدمه عليه ، يقتضي القول بأن العاصي كلف ما لا يطيقه ، وأن كل أحد كلف حين كان غير مطيق ، وأن الكافر كلف الإيمان وهو غير قادر عليه ، لأنه لم يؤمن والقدرة لا تكون إلا مع الفعل ، فكان حاله قبل الفعل عاجزاً ، وكان تكليفه الإيمان تكليفاً بما لا قدرة له عليه [3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يحرر النزاع في هذه المسألة : (فالنوع الأول – (أي من النزاعات الواقعة في مسألة التكليف بما لا يطاق) – كتنازع المتكلمين من مثبتة القدر ونفاته في استطاعة العبد ، وهي قدرته وطاقته هل يجب أن تكون مع الفعل لا قبله ، أم يجب أن تكون متقدمة على الفعل ؟ أو يجب أن تكون معه ، وإن كانت متقدمة عليه ؟

فمن قال بالأول ، لزمه أن يكون كل عبد لم يفعل ما أمر به قد كلف ما لا يطيقه إذا لم تكن عنده قدرة إلا مع الفعل ، ولهذا كان الصواب الذي عليه محققو المتكلمين وأهل الفقه والحديث والتصوف وغيرهم ما دل عليه القرآن ، وهو أن الاستطاعة –

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٩١ – ٩٣.

(٢) سورة النساء ، آية : ٢٥.

(٣) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨/ ١٧٩.

التي هي مناط الأمر والنهي ، هي المصححة للفعل ، ولا يجب أن تقارن الفعل، وأمـا الاستطاعة التي يجب معها وجود الفعل فهي مقارنة له) [1].

ويرجع خطأ المتكلمين في هذه القضية إلى اقتصار كل مذهب على أحد معـاني كلمة (الاستطاعة) دون الآخر.

حيث اقتصر المعتزلة على تفسيرها بالقدرة السابقة المتقدمة للفعل مـن صـحة الآلات وكمال الأسباب ، متجاهلين الاستطاعة المقارنة للفعل ، والتي لا يكون الفعل إلا بها، وهو ما تشهد به كثير من النصوص .

واقتصر الأشاعرة على تفسيرها بالقـدرة المقارنـة لأداء الفعـل ، وأنكـروا الاستطاعة المتقدمة على الفعل ، مخالفين بذلك استعمالات هذه الكلمة في القرآن الكريم من الدلالة على ما يكون للإنسان قبل الفعل من المكْنَة والاستعدادات الخارجيـة التـي تؤهل صاحبها للقيام بالأفعال التي كلف بها ، ويكون بها مستعداً لتحمل التكليـف وأداء الأفعال.

وقد أدى اقتصار كل من المذهبين في أمر الاستطاعة والطاقة على أحد معنييها إلى إختلافهما في ما يترتب على ذلك من أحكام التكليف ، بين من يرى مـنهم جـواز التكليف بما لا يطاق ، ومن لا يرى جواز ذلك – على ما سـيأتي بيانـه إن شـاء ا تعالى.

(١) درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ١/ ٦٠-٦٢.

ثانياً : جواز التكليف بما لا يطاق.

ذهب السلف إلى أن إطلاق القول بجواز التكليف بما لا يطاق أو عدمه من البدع المحدثة في الإسلام ، وهي كإطلاق القول بالجبر نفياً أو إثباتاً كما سبق بيان ذلك[1].

ولذلك فقد ذهبوا إلى التفصيل في هذه القضية لما تحتويه من بعـض الألفـاظ المجملة التي تحتاج إلى تفصيل وتفنيد مثل لفظ (الطاقة) والتي هـي الاسـتطاعة ، فقالوا : إن أريد بها الاستطاعة الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي ، والتي لا يصح التكليف إلا بها ، والتي لا يكلف الله أحداً بدونها ، فإن الله تعالى لا يكلف أحداً مـا لا يطيقه بهذا التفسير.

وإن أريد بها الاستطاعة المقارنة للفعل ، فجميع الأمر والنهي تكليـف بمـا لا يطاق بهذا الاعتبار ، ولا يجوز عند ذلك القول بأنه يجوز تكليف ما لا يطاق . لأن من قال بأن القدرة مع الفعل وجوز التكليف بما لا يطاق كان كل ما لم يفعل هـو ممـا لا يطاق ، حتى الكافر والفاجر مكلف بما لا يطيقه من الإيمان والتصديق بالرسل [2].

وعند التحقيق فإن تكليف ما لا يطاق عند أهل السنة على ضربين :

أحدهما : ما لا يطاق لوجود ضده من العجز ، وذلك مثل أن يكلف المقعـد القيـام ، والأعمى الخط ونقط الكتاب ، وأمثال ذلك.

فهذا مما لا يجوز تكليفه وهو مجمع عليه ، وذلك لأن عدم الطاقة والقدرة فيـه جعلته من الممتنع والمستحيل.

الثاني : ما لا يطاق لا لوجود ضده من العجز بل للاشتغال بضده ، كما في أمر العباد بعضهم بعضاً ، فإنهم يفرقون بين هذا وهذا ، فلا يأمر السيد عبده الأعمى بـنقط المصاحف ، ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم ، ويعلم الفرق بين ذلك بالضرورة ، وكمـا في تكليف الكافر الذي سبق في علم الله أنه لا يستجيب لتكليف كفرعون وأبـي جهـل وأمثالهم ، فهذا جائز.

---

(١) راجع ص (١٨٨) من هذا البحث.

(٢) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨/ ١٧٧.

ولكن الصحيح الذي تدل عليه النصوص أن هذا لا يطلق عليه تكليف ما لا يطاق ، وإطلاق هذا القول عليه من البدع في الشرع واللغة[1].

ويرجع ذلك إلى أنه لم يأت في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح : أنه تكليف ، وإنما أطلق ذلك أهل الكلام وبعض الفقهاء.

وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2] . وقوله تعالى : ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [3] . وقوله تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [4].

والمراد أنه إن وقع في الأمر تكليف ، فلا يكلف إلا قدر الوسع ، لا أنه يسمى جميع الشريعة تكليفاً.

وذلك لأن غالب هذه الأعمال الصالحة لذة للأرواح وسرور للقلوب وقرة للعيون ، لأنه سبحانه هو الإله الحق الذي تطمئن إليه القلوب ، وتتوجه إليه دون غيره[5].

والمقصود أن هذه المسائل التي تحتوي على الكلمات المجملة لابد فيها من التفصيل وعدم إطلاق القول نفياً أو إثباتاً ، لأن كل واحد من طرفي النفي والإثبات

---

(١) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨/ ٣٠١-٣٠٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ٤٣٦-٤٤٦.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦.

(٣) سورة النساء ، آية : ٨٤.

(4) سورة الطلاق ، آية : ٧.

(5) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١/ ٢٤.

على باطل ، وإن كان فيه حق أيضاً ، والواجب إطلاق العبـارات الحـسنة ، وهـي المأثورة التي جاءت بها النصوص ، والتفصيل في العبارات المجملة المشتبهة.

وهذا هو الواجب في سائر أبواب أصول الدين ، وهو أن يجعل مـا أثبتـه ا تعالى في آياته وأثبته رسوله ﷺ ، وأجمع عليه السلف هو النص المحكـم ، وتجعـل العبارات المحدثة المتقابلة بالنفي والإثبات المشتملة في كل من الطـرفين علـى حـق وباطل من باب المجمل المشتبه المحتاج إلى تفصيل ، الممنوع من إطلاق طرفيه .

مذهب المعتزلة في تجويز تكليف ما لا يطاق :

ذهب المعتزلة إلى عدم جواز التكليف بما لا يطاق ، وذلك لقبحه ، وعدم إمكان تصور صدوره من ا تعالى ، لأنه لا يفعل القبيح.

يقول القاضي عبد الجبار : (كل عاقل يعلم بكمال عقله قبح تكليف الزمن بالمشي ، وتكليف الأعمى بنقط المصاحف على وجه الصواب ، والدافع له مكابر جاحد للضروريات)[1].

واستدلوا على ذلك بدليل عقلي هو : أن تكليف مالا يطاق قبيح ، وا تعالى لا يفعل القبيح لعلمه به ولاستغنائه عنه.

وأوردوا دليلاً نقلياً على طريق الاستئناس ، لا على طريق الاستدلال والاحتجاج ، بناء على أصلهم في أن كل مسألة تقف صحة السمع عليها ، فالاستدلال بالسمع على تلك المسألة لا يصح.

والدليل الذي أوردوه هو قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2][3].

فالمعتزلة ينفون جواز تكليف ما لا يطاق ، وينفون وقوعه من باب أولى.

ولا شك أن مذهب المعتزلة قد اختلط فيه حق وباطل ، فإن قولهم : إنه لا يجوز أن يكلف ا تعالى أحداً ما لا يطيقه مبني على قولهم إن الاستطاعة هي المتقدمة على

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٤٠٠.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦.

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ٤٠٠ – ٤٠١ ، والمغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ٤/ ١١ ، والمحيط بالتكليف : ٥٨ وما بعدها ، ١٢٩، ٣٦٧، ٣٩١.

الفعل ، وهذا قول صحيح ، ولكن قولهم هذا مبني على نفيهم القدرة مع الفعل ، وهذا ما سبق بيان بطلانه.

أضف إلى ذلك أن قولهم : إنه لا يجوز أن يكلف ا أحداً ما لا يطيقه لقبحه ، مبني على أصولهم الفاسدة من الإيجاب والتحريم العقلي على ا تعالى ، ووجوب فعله سبحانه لكل الأفعال الحسنة ، وتركه لكل الأفعال القبيحة ، وهذا مبني على قياس الغائب على الشاهد ، فما كان قبيحاً في الشاهد فهو قبيح من ا تعالى ، وهذه هي طريقتهم في تنزيهه عن العبث والقبح والنقائص.

ولا شك أن هذا الدليل هو محض التشبيه في الأفعال ، وقياس الغائب على الشاهد بين ا وعباده باطل ، ولا يصح كما تقدم[1] ، وهذا القياس يحيله العقل في حكم الشاهد بين السيد وعبده ، وليس له من الفضل عليه إلا السلطة والقوامة الاعتبارية ، فكيف يجوز في حق الخالق المتفرد بالملك والملكوت ، ومن له مطلق السيادة والقيومية ، ومن له كمال الحكمة في فعله وتركه ، والذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فتشبيه أفعال ا بأفعالنا تشبيه باطل لا وجه له ، والمعتزلة لم يقدروا ا حق قدره ، فليس بصحيح أن ما قبح منا وجب أن يقبح من ا ، ولا ما حسن منا وجب أن يحسن من ا ، لأن أفعاله لا تماثل أفعالنا ، وحكمته لا تشابه حكمة أحد من خلقه ، حتى يتحجج بقياس الغائب على الشاهد.

أما الدليل النقلي وهو قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

---

(١) راجع ص (١٥٤) من هذا البحث.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦.

فهو صحيح في عدم تكليف الله تعالى من لا قدرة له ولا استطاعة ، وهذه الاستطاعة هي القدرة المصححة للفعل من سلامة الآلات ووجود القوة والوسع ، وهي المتقدمة على الفعل.

والآية صحيحة في دلالتها – لو استدلوا بها – على نفي جواز تكليف العاجز بفعل ما يعجز عنه كما تقدم.

ولكن المعتزلة لم يستدلوا بهذه الآية ، وإنما أوردوها على سبيل الاستئناس ، واكتفوا بالأدلة العقلية التي رأوا أنها قطعية ، والحق أن دليلهم العقلي لا يصح منه شيء ، ولا يسلم لهم ، لقيامه على أساس فاسد في الاستدلال وهو قياس الغائب على الشاهد.

مذهب الأشاعرة في تجويز التكليف بما لا يطاق :

اختلف الأشاعرة في تجويز التكليف بما لا يطاق على عدة أقوال.

والناظر في أقوال رجال الأشاعرة يلمس التناقض والتشابك في الأقوال والآراء، وعند التحقيق نجد أن بعض الأشاعرة قد حرر هذا المذهب ، وبين مواطن النزاع مما يزيل الإشكال في فهم هذه المسألة عند الأشاعرة .

فتكليف ما لا يطاق عندهم على مراتب :

أدناها : ما يمتنع بعلم ا تعالى عدم وقوعه ، لإرادته ذلك ، أو لإخباره عن ذلك.

وأوسطها : ما أمكن في نفسه ، لكن لم يقع متعلقاً لقدرة العبد أصلاً كخلق الجسم ، أو الصعود إلى السماء.

وأقصاها : ما يمتنع لذاته ، كقلب الحقائق ، وجمع الضدين أو النقيضين.

وبناء على هذا التقسيم نستطيع أن نبين مذهب الأشاعرة :

أولاً : مذهب جمهورهم وهو تجويز التكليف بما لا يطاق في المرتبة الوسطى، لعدم قبح شيء منه ، مع عدم وقوعه ، بحكم الاستقراء ، واستدل أصحاب هذا الـ رأي بقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦.

أما المرتبة الأولى فالتكليف واقع فيها بالاتفاق ، وجعل التكليف فيها من قبيل ما لا يطاق تجويز.

أما المرتبة القصوى فهي ممتنعة لذاتها.

وإلى هذا ذهب الإيجي[١] والتفتازاني[٢] والجرجاني[٣].

وأصحاب هذا القول يمنعون التكليف في المستحيل لذاته ويمنعون وقوع التكليف في المرتبة الوسطى لأنه منفي بحكم الاستقراء ، وبشهادة قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٤] ، فهذه الآية تنفي عندهم وقوع تكليف ما لا يطاق ، مع دلالتها على جوازه لأنه سبحانه نفى ما يمكن ويجوز له أن يفعله.

أما المرتبة الأولى وهو التكاليف الشرعية التي علم ا تعالى وأخبر أنها لا تقع ، مثل تكليف أبي لهب بالإيمان مع إخباره أنه لا يؤمن ، فإنه يجوز عندهم وقوع هذا التكليف ، وتسميته تكليف بما لا يطاق من باب التجويز فقط.

وذلك لأن هذه التكاليف داخلة في نطاق مقدور العبد ، ولكن المكلف منشغل عنها بضدها.

وقول هؤلاء بجواز التكليف في المرتبة الأولى مع أن إطلاق ما لا يطاق عليها تجوز قول صحيح.

---

(١) انظر المواقف وشرحه ، للإيجي : ٢٩١/٣ .

(٢) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٢٩٨/٤ .

(٣) شرح المواقف : ٢٩٢/٣ وما بعدها .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦.

وأما قولهم بجواز التكليف في المرتبة الوسطى وهو الصعود إلى السماء أو حمل الجبل ، وخلق الجسم ، فهذا غير صحيح.

والخلاف بينهم وبين السلف في عدم الجواز ، أما عدم الوقوع فهو محل اتفاق ، ولعل قولهم هذا يستند على أصلهم في تجويز أن يفعل الله سبحانه وتعالى كل فعل ، حتى ما كان خالياً من الحكمة والعلة.

وهذا ما سبق بيان بطلانه.

الفريق الثاني من الأشاعرة هو مذهب أبي الحسن الأشعري ، وهو القول بجواز تكليف ما لا يطاق ، واختلاف العلماء في وقوع التكاليف بالمحال عنده.

فقد روى عنه بعض العلماء منع جواز التكليف بما هو مستحيل لذاته ، كالجمع بين النقيضين ، ومنع التكليف بالممكن المعجوز عنه ، كأمر المقعد بالمشي والأخرس على الكلام ، وأما ما لا يقدر على فعله ، لا لاستحالته ، ولا للعجز عنه ، لكن لتركه والاشتغال بضده ، كتكليف الكافر بالإيمان حال كفره ، فهو غير عاجز عنه ، ولا مستحيل منه كالذي لا يقدر على العلم لاشتغاله بالمعيشة[1].

وروى عنه بعض العلماء تجويز التكليف بالممتنع لذاته ، بل وقوعه ، كما روى الجويني عنه ذلك[2]، ويؤيد هذا النقل قول الشيخ في الإبانة : (يقال لهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ ﴾[3] وأمره مع ذلك بالإيمان ، فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن ، وأن الله صادق في إخباره عنه أنه لا يؤمن ، وأمر مع ذلك أن لا يؤمن ، ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون، ولا يقدر القادر على أن يؤمن ، وأن يعلم أنه لا يؤمن . وإذا كان

---

(١) انظر اللمع ، للأشعري : ٩٨ ، والتمهيد للباقلاني : ٣٣٢-٣٣٥ ، ومجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٩٥/٨-٢٩٦.

(٢) انظر الإرشاد ، للجويني : ٩٤ .

(٣) سورة المسد ، آية : ١، ٢، ٣.

هذا هكذا فقد أمر ا   سبحانه أبا لهب بما لا يقدر عليه ، لأنه أمره أن يؤمن وأنه يعلـم أنه لا يؤمن) [1].

ويرى ابن تيمية أن النقل عن الأشعري ، وعن أكثر أصحابه ، القـول بوقـوع التكليف بما لا يطاق خطأ عليهم[2].

ولعل قول ابن تيمية يرجع إلى قوله إن الخلاف بين السلف والأشاعرة في هـذه المسائل إنما هو في الجواز وليس في الوقوع ، فإن منع وقوع ذلك محل اتفـاق كمـا تقدم[3].

واستدل أصحاب هذا القـول ، بقولـه تعـالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [5].

وقوله تعـالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [6].

والجواب أن هذا التكليف غير واقع في الشريعة ، والخطاب في مثل هذه الآيات إنما هو خطاب تعجيز على وجه العقوبة لا خطاب تكليف تشريعي ، فقوله تعـالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [7]. إنما هو خطاب تعجيز علـى وجه العقوبة لهم ، لتركهم السجود وهم سالمون ، فيعاقبون بمنعهم مـن العبـادة بـأن أمروا بها حال عجزهم عنها على سبيل العقوبة لهم.

---

(٤) الإبانة ، للأشعري : ١٩٤ – ١٩٥.

(٥) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨/ ٤٧٠.

(١) انظر ص (٢٤٩) من هذا البحث.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٣١.

(٣) سورة القلم ، آية : ٤٢.

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٣.

(٥) سورة القلم ، آية : ٤٢.

وخطاب العقوبة لا يشترط فيه قدرة المخاطب ، إذ ليس المطلوب فعله[1].

كما استدل أصحاب هذا القول بأن إيمان أبي لهب وغيره من هذا الباب ، حيث كلاف أن يصدق بالأخبار التي من جملتها الإخبار بأنه لا يؤمن [2].

وقد أجاب شيخ الإسلام على هذا الدليل وبين غلطه وقال : (وهذا غلط ، فإنه من أخبر ا أنه لا يؤمن وأنه يصلى النار بعد دعاء النبي له إلى الإيمان فقد حقت عليه كلمة العذاب ، كالذي يعاين الملائكة وقت الموت لم يبق بعد هذا مخاطباً من جهة الرسول بهذين الأمرين المتناقضين) [3].

فأبو لهب كان مدعواً إلى الإيمان قبل نزول هذه الآيات ، وبعد نزولها حقت عليه كلمة العذاب وأخبر بأنه لن يؤمن ، وأن ا تعالى علم بأنه لن يؤمن ، وهو بعد ذلك لم يعد مخاطباً من جهة الرسول بالإيمان ، لأن الإيمان في حقه بعد هذا الخطاب لا يفيد ، لأنه كالذي يعاين الملائكة وقت الموت ، فإن إيمانه وقتئذ لا يفيد ، يقول ا تعالى : ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [4] .

وقد وافق الأشعري في هذا القول الرازي [5] والجويني [6] والغزالي [7] .

والذي يتضح في هذه المسألة أن بعض الأشاعرة يرى أن التكليف في المرتبة الدنيا هو من باب التكليف بالمحال الممتنع لذاته ، ولذاك قالوا بجواز وقوعه في الشريعة ، وهذا هو ما ذهب إليه الأشعري وأتباعه ، حيث يرى الأشعري أن تكليف

---

(٦) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨/ ١٨١-١٨٢.

(٧) انظر الإبانة ، للأشعري : ١٩٤- ١٩٥، والجويني في الإرشاد : ٩٤ ، ٩٥ ، والرازي في المطالب العالية : ٣/ ٣٠٥-٣٠٦ ، والاقتصاد للاعتقاد ، للغزالي : ١١٢-١١٤.

(١) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٨/ ١٨١.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢١٠ .

(٣) المطالب العالية : ٣/٣٠٥ .

(٤) الإرشاد : ٩٤ ، ٩٥ .

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد : ١١٢ .

الكافر الذي أخبر ا تعالى أنه لا يؤمن وعلم أنه لا يؤمن هو من تكليف ما لا يطاق ، لأنه لو آمن لا نقلب علم ا تعالى وصار خبره كاذباً ، ولذلك كان من المحال إيمانه ، مع أنه مكلف به.

وعلى هذا فقد جوزوا وقوع ذلك في الشريعة.

وأصحاب القول الأول قالوا بأن المرتبة الدنيا ليست من تكليف ما لا يطاق وإنما يطلق هذا عليها تجوزاً ، لأن تكليف العبد ما يمكنه فعله ولكنه مشتغل بغيره جائز فـي الشريعة.

إذاً الخلاف في رأيي بين الأشاعرة لم يكن في المرتبة القصوى ولا الوسـطى فقط بل حتى في المرتبة الدنيا.

فالفريق الأول : قالوا بامتناع وقوع التكليف في المرتبـة الوسـطى والمرتبـة القصوى ، وجواز وقوعه في المرتبة الوسطى فقط ، أما القصوى فلا يجـوز وقوعـه فيها وهذا مذهب الإيجي والتفتازاني والجرجاني وغيرهم.

والفريق الثاني : قالوا بجواز التكليف في جميع المراتب ، وجواز وقوعه حتـى في المرتبة القصوى ، وجعلوا فعل العبد الواقع تحت قدرته وإرادته مع علم ا تعـالى أنه لا يفعله من باب المحال الممتنع لذاته ، مع أن أصحاب القول الأول جعلـوه مـن المرتبة الأولى التي رأوا أن جواز وقوع التكليف فيها إتفاقي.

وأصحاب القول الثاني نظروا إلى فعل العبد الواقع بقدرته الذي علم ا تعـالى وأخبر أنه لا يقع ، فجعلوه من المحال لذاته ، ثم جوزوا وقوعه في الشريعة.

وفي رأيي أن هذا هو محل النزاع ، وهو هل يسمى هذا الفعـل محـالاً أو لا يسمى محالاً لذاته.

ولذلك قال ابن تيمية إن النقل عن الأشعري وأتباعه القول بوقوع المحال لذاتـه خطأ عليهم.

وبذلك يتضح أن النزاع في المرتبة الدنيا في تسميته مع الاتفاق على وقوعه. فأصحاب القول الأول : لا يسمونه تكليفاً بما لا يطاق وجوزوا وقوعه . وأصحاب القول الثاني أطلقوا عليه تكليفاً بما لا يطاق وجوزوا وقوعه.

وبها يتضح لنا حقيقة مذهب الأشاعرة.

الفريق الثالث من الأشاعرة : الذين ذهبوا إلى منع تجويز التكليف بما لا يطاق رأساً ، كما قالت المعتزلة ، وهذا يروى عن أبي إسحاق الاسفرائيني [1] حيث قال : (قال أهل الحق : يستحيل تكليف ما لا يطاق لاستحالة وجود المعنى الذي يقتضيه التكليف مع العجز إلا للقبح والسفه) [2].

والحاصل أن أصحاب القول الأول هم أقرب إلى الاعتدال من غيرهم ، وأما أصحاب القول الثاني فقد تبين لنا خطأ أدلتهم التي اعتمدوا عليها. وأصحاب القول الثالث يرد عليهم بما يرد على المعتزلة.

والحق هو ما ذهب إليه سلف الأمة من عدم وقوع التكليف بما لا يطاق للعجز عنه لقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ

---

(١) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، عالم بالفقه والأصول ، كان يلقب بركن الدولة ، توفي سنة ٤١٨هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٤/١ ، طبقات السبكي : ١١١/٣ ، الأعلام : ٦١/١ .

(٢) تبصرة الأدلة ، لأبو العين النسفي : ٢/ ٥٨٦.

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة ، آية :١٨٥.

جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[1].

وهذا القول الذي ذهب إليه السلف هو الأقرب إلى عدله سبحانه في أمره ونهيه وتكليفه ، فإن تكاليفه ليست تعجيزاً للعباد وإنما هي مصلحة ورحمة وحكمة لهم ، وسبب في حصول ثوابه أو عقابه سبحانه وتعالى ، ولذلك فإنه سبحانه لا يكلف أحداً إلا ما يقدر عليه.

الفصل الثاني :

نسبة الخير والشر إلى الله تعالى .

وفيه ثلاثة مباحث :

(١) سورة الحج ، آية : ٧٨.

المبحث الأول : اللطف .

المبحث الثاني : المصائب والآلام .

المبحث الثالث : النعم .

المبحث الأول :

اللطف .

تعريف اللطف لغة :

قال ابن منظور : (لطف : اللطيف صفة من صفات ا   واسم من أسمائه وفي التنزيل العزيز ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾[١] وفيه ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[٢]) .

ومعناه وا   أعلم ، الرفيق بعباده [٣] .

ويقول الزجاج : (أصل اللطف في الكلام : خفاء المـسلك ودقـة المـذهب ، واستعماله في الكلام على وجهين يقال فلان لطيف إذا وصف بصغر الجـرم. وفـلان لطيف إذا وصف بأنه محتال متوصل إلى أغراضه في خفاء مسلك .

وفلان لطيف في علمه يراد به أنه دقيق الفطنة ، حسن الاستخراج له .

---

[1] سورة الشورى ، جزء من الآية : ١٩ .

[2] سورة الأنعام ، جزء من الآية : ١٠٣ .

[3] لسان العرب ، لابن منظور : ٣١٦/٩ .

فهذا الذي يستعمل منه ، وهو في وصف الله ، يفيد أنه المحسن إلى عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون ، ويسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [1] .

فأما اللطف الذي هو قلة الأجزاء فهو مما لا يجوز عليه سبحانه) [2] .

فاللطف في معناه اللغوي يدور حول الرفق واليسر والإحسان من جهة ، والدقة في تدبير الأمور الدقيقة بطرق خفية من جهة أخرى .

واسم (اللطيف) يتضمن هذين المعنيين ، فهو سبحانه الرفيق بعباده ، العـالم بدقائق الأمور .

وقد أورد بعض اللغويين تعريفاً آخر للطف وهو التوفيق والعصمة .

ويقول الجوهري : (لطف الشيء يلطف لطافه أي صغر فهو لطيف ، واللطف في العمل : الرفق فيه ، واللطف من الله تعالى : التوفيق والعصمة) [3] .

وهنا يتضح تأثر اللغويين بالمتكلمين كما سيأتي عنـد بيـان أقـوال المعتزلـة والأشاعرة [4] ، وإلا فليس في الاستعمالات اللغوية لكلمة اللطف ومشتقاتها ما يقتضي تحديد مفهومها في التوفيق والعصمة – فيما إذا أسندت إلى الله تعالى – وربما قصدوا بذلك ذكر بعض ألطاف الله بعباده ، والله تعالى أعلم .

تعريف اللطف اصطلاحاً عند السلف :-

لم يكن السلـف يصطلحون في اللطف على تعريـف معيـن ، وإنمـا اكتفـوا في تعريفـه بما يفسرونـه من آيات القرآن الكريم التي ورد فيهـا ذكر اسم الله تعالى (اللطيف) ، فيفسرونها بما يتناسب مع المعاني اللغوية لكلمة (اللطيف) ، أي بمعنى

---

(1) سورة الطلاق ، جزء من الآية : ٣ .

(2) تفسير أسماء الله الحسنى ، للزجاج : ٤٤-٤٥ .

(3) الصحاح ، للجوهري : ١٤٢٦/٤-١٤٢٧ .

(4) انظر ص(٥٧٨) من البحث .

البر والإحسان من ا بعباده ، والعلم بدقائق الأمور ، وحسن تدبيرها بدقـة وعنايـة ورحمة فائقة .

وأما وضع مصطلح خاص لها ، فذلك ما لم يفعله السلف ، خاصـة وأن كلمـة (اللطف) لم ترد في القرآن الكريم بصيغة المصدر ، ولذلك لم تكن مـصطلحاً قرآنيـاً لـه مفهوم شرعي خاص به .

وبناء على ذلك فإن السلف لم يخوضوا في هذه القضية كما فعل المتكلمون ولم يكن لها عندهم تعريف مصطلح عليه .

ولم يوجب السلف اللطف على ا تعالى ، استناداً إلى عدم إيجاب ا على نفسه لطفاً بالعباد .

وإن كان في معانيه ما أوجبه ا على نفسه بمحض مشيئته وحكمتـه ، مثـل : الرحمة ، والمغفرة للمؤمنين ونحوه .

ولكن السلف مع إعراضهم عن الخوض في هذه المسألة التي لم يرد بها نـص قرآني ولا دليل شرعي ، لم ينكروا لطفه تعالى بعباده ومراعاته سبحانه لمـصالح عبـاده ، وإحسانه إليهم بما يوافق حكمته ومشيئته .

يقول ابن الأثير : (لطف في أسماء ا تعالى (اللطيف) هو الذي اجتمع لـه الرفق في الفعل ، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه ، يقال : لَطف به وله بالفتح ، يلطف لطفاً ، إذا رفق به ، فأما لطُف بالضم يلطف فمعناه صغر ودق .

وفي حديث الإفك ، ولا أرى منه اللطف الذي كنت أعرفه [١] ، أي الرفق والبر)[٢].

ويقول ابن جرير الطبري : (وأما قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [١] فا تعالى ذكره ، المتيسر لـه من إدراك الأبصار ، والمستأتي من الإحاطة بها رؤية ما يعسر على الأبصار من إدراكها إياه وإحاطتها به ويتعذر عليها) [٢] .

---

(1) صحيح البخاري : ١٥٥/٣ ، كتاب الشهادات ، باب تعديل النساء وبعضهن بعضاً : ٩٤٣/٢ ، وصحيح مسلم : كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف : ٢١٣١/٤ عن عائشة رضي ا عنها .

(2) النهاية في غريب الحديث : ٢٥١/٤ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (٣) يقول الطبري : (لطف بيوسف وصنع لـه ، حتى أخرجه من السجن ، وجاء بأهله من البدو ، ونزع من قلبه نزغ الشيطان وتحريشه على إخوته) (٤) .

وقال ابن كثير : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ (٥) أي إذا أراد أمراً قيض له أسباباً ويسره وقدره) (٦) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ (٧) : (... إنه لطيف يدرك الدقيق ، خبير يدرك الخفي) (٨) .

ومما سبق يتبين أن (اللطف) لم يتناوله السلف كما تناوله المتكلمون .

ولم أكن أود الخوض في هذه المسألة ، لولا أن لهذه القضية عناية خاصة عنـد المتكلمين ، وخاصة المعتزلة التي جعلتها من المسائل المندرجة تحت باب العدل الإلهـي ، كما سيأتي بيانه إن شاء ا تعالى .

مذهب المعتزلة في اللطف :-

اهتم المعتزلة بمسألة اللطف اهتماماً بالغاً ، لم يسبقهم إليه أحد .

---

(1) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ١٠٣ .
(2) جامع البيان ، للطبري : ٢٢/١٢ .
(3) سورة يوسف ، آية : ١٠٠ .
(4) جامع البيان ، للطبري : ٢٧٧/١٦ .
(5) سورة يوسف ، جزء من الآية : ١٠٠ .
(6) تفسير ابن كثير : ٣٣٦/٢ .
(7) سورة الملك ، آية : ١٤ .
(8) مجموعة الفتاوى : ٤٣/١٦ .

ويعرف القاضي عبد الجبار اللطف من جهة اللغة فيقول : (هو ما يدعو إلى الفعل) [١] ، ويقول في موضع آخر ، (وقد تكون المفسدة لطفاً في القبيح ، كما أن المصلحة لطف في الطاعة) [٢] .

فهو بذلك جعل اللطف عاماً لكل ما يدعو إلى فعل ما ، سواء كان حسناً أم قبيحاً . رغم أن أحداً من علماء اللغة لم يذكر اللطف بما يدعو إلى المفسدة ، كما صرح به المعتزلة .

ولكن القاضي عبد الجبار عاد في تعريف اللطف اصطلاحاً إلى تخصيصه بالطاعة فقط .

تعريف اللطف إصطلاحاً عند المعتزلة :

ذهب المعتزلة في تعريف اللطف اصطلاحاً بأنه : (ما يدعو إلى الطاعة على وجه يقع اختيارها عنده ، أو يكون أولى أن يقع عنده) .

وقيل : (هو كل حادث جنس يختار عنده ما تناوله التكليف من واجب أو ندب ، أو يكون المكلف عنده إلى اختياره أقرب) [٣] .

وقيل : هو (فعل يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية لا إلى حد الإلجاء) [٤] .

وقيل : (اللطف هو ما يختار عنده المرء الواجب ، ويتجنب القبيح ، أو ما يكون عنده المرء أقرب إما إلى اختيار أو ترك القبيح) [5] .

ومن خلال تعريفهم الاصطلاحي يتضح أن اللطف عندهم له معنيان :

الأول : ما يدعو إلى فعل الطاعة وهو التوفيق .

---

(1) المغني في أبواب التوحيد والعدل : ٩/١٣ .

(2) المصدر نفسه : ٩/١٣ .

(3) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ١١/١٣ .

(4) شرح العقائد العضدية : ١٨٩/٢ .

(5) شرح الأصول الخمسة : ٥١٩ .

الثاني : ما يدعو إلى ترك المعصية وهو العصمة .

وقد فرق المعتزلة بين تعريف كلٍ من التوفيق والعصمة .

فالتوفيق : هو ما تختار عنده الطاعة .

والعصمة : ما تختار عنده الامتناع عن المعصية .

ويشترط فيها أن لا يطلق عليها الاسم إلا بعد حصول الاختيـار فـي التوفيـق وحصول الامتناع في العصمة فعلاً [1] .

وقد قسم المعتزلة اللطف باعتبار فاعله إلى ثلاثة أقسام :

الأول : ما يكون من فعل ا تعالى ، فا هو اللطيف بعباده حيث يرى بعضهم أن اللطف لا يكون إلا من ا تعالى .

واشترطوا في مثل هذا الفعل حتى يكون لطفاً شروطاً خاصة ، منها ما يتعلـق بوقته ، ومنها ما يتعلق بعلم المكلف به (أي اللطف) ، ومنها ما يرجع إلـى الحـسن والقبح إلى غير ذلك ، فلا يكون الفعل منه تعالى لطفاً واجباً إلا إذا توفرت فيه الشروط التالية :

١- أن يكون متأخراً عن التكليف الذي هو لطف فيه ، فلا يسمي فعله تعالى قبل التكليف – وإن دعا للطاعة – لطفاً لأنها لم تجب بعد . وكذلك ما يفعله تعالى بعد قيام العبد بما كلف به .

٢- أن يكون الفعل الذي هو لطف معلوماً لمن هو لطف له قبل إيجاده الفعـل ، بحيث يدفعه فعلاً إلى الطاعة ويقربه إليها ، أو يكون الفعل ممكن العلم به .

٣- أن يكون بينه وبين الفعل الذي هو لطف فيه تعلق ومناسبة ، حتـى يكـون لطفاً فيه أولى من أن يكون لطفاً في غيره .

٤- أن لا يكون إلا حسناً ، لأنه ما دام يفعله تعالى ، ويجب عليه ، فيجـب أن تنتفي عنه صفة القبح التي لا تثبت في أفعاله تعالى .

([1]) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل : ١٢/١٣ .

٥- أن يكون مميزاً من وجوه التمكين ، لأن التمكين لا يحـدث الفعـل بدونـه إطلاقاً ، أما اللطف فهو لا يعدو أن يكون داعياً إلى الفعل .

٦- أن لا يكون متقدماً على الفعل بوقت كبير ، حتى يلاحظ ارتباطهما وتعلقهما ببعض [١] .

فهذه الشروط لا بد أن تتوفر في اللطف الذي يكون من ا تعالى .

الثاني : ما يكون من فعل نفس المكلف ، فإن بعض المعتزلة يـرى أن العبـد يمكن أن يلطف لنفسه فيما هو مكلف به من ا تعالى ، وذلك مثل :

من أراد طاعة كالصلاة يمكنه أن يفعل أفعالاً أخرى تقربه وتـدعوه إلـى أداء الصلاة ، كالذهاب إلى المسجد ومصاحبة الأتقياء ونحو ذلك ، ولكن لا يكون واجباً إلا للطف الذي هو من ا تعالى ، ولكنه يمكن أن يكون واجباً في الواجبات منـدوباً فـي المندوبات .

الثالث : ما يكون من غير فعل ا تعالى وغير فعل المكلف ، وذلك كأن يكون في معلوم ا تعالى أن رزق إنسان إذا اتسع عليه كان أقرب إلى الطاعة ، فيوسع عليه الرزق ، ثم قد يكون ذلك بهبة أو وصية وهما من فعل العبد ، ويمكن أن يحصل ذلـك بالتنبيه والوعظ والتذكير وغير ذلك من أفعال العباد [٢] .

كما قسم المعتزلة اللطف باعتبار وقته إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : ما يكون متقدماً على التكليف ، وهذا لا يجب على ا تعالى لأنـه إنمـا يصدر لإزاحة علة التكليف ، وإذا كان متقدماً فلا تكليف حتى يحتـاج لإزاحـة علـة باللطف .

ثانياً : ما يكون مقارناً للتكليف ، وهذا أيضاً لا يجـب علـى ا تعـالى عنـد البصريين من المعتزلة ، لأنهم لا يقولون بوجوب التكليف على ا ، بل يـرون أن ا تعالى متفضل بأصل التكليف فكذلك ما هو تابع له .

---

(1) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ١٣/٢٧-٢٩ .

(2) انظر تبصرة الأدلة ، لأبو المعين النسفي : ٢/٧٨١ .

ثالثاً : ما يكون متأخراً عن التكليف ، وهذا هو اللطف الواجب .

قال القاضي عبد الجبار : (فاعلم أن شيوخنا المتقدمين كانوا يطلقـون القـول بوجوب الألطاف ، ولا وجه لذلك بل يجب أن يقسم الكلام ويفصل ، فنقول : إن اللطف إما أن يكون متقدماً للتكليف ، أو مقارناً له ، أو متأخراً عنه ، ولا رابع .

فإن كان متقدماً فلا شك في أنه لا يجب ، لأنه إذا كان لا يجـب إلا لتـضمنه إزاحة علة المكلف ، ولا تكليف هناك حتى يجب هذا اللطف لمكانه ، وأيضاً فإنـه إذا جرى مجرى التمكين ، ومعلوم أن التمكين قبل التكليف لا يجب ، فكذلك اللطف .

وإذا كان مقارناً له فلا شبهة أيضاً في أنه لا يجب ، لأن أصل التكليف إذا كان لا يجب ، بل القديم تعالى متفضل به مبتدأ ، فلأن لا يجب ما هو تابع له أولى ، فصح أن مراد المشايخ بذلك الإطلاق ما ذكرناه) [١] .

ومن خلال هذا التقسيم للطف عند المعتزلة يظهر مدى ارتبـاط هـذه المـسألة بقضية العدل الإلهي في الثواب والعقاب .

فاللطف يلتف حول التكليف والمكلف بحيث يقرب المكلف من الطاعة ومن ثـم إلى الثواب ، أو يبعده عن المعصية ومن ثم من العقاب .

ونتيجة لذلك ولما يشتمل عليه اللطف من معاني البـر والإحـسان ، ورعايـة مصالح الخلق وحسن تدبير أمورهم بدقة ، فقد أوجبه المعتزلة على ا تعالى وجوبـاً عقلياً .

وقد نقل القاضي عبد الجبار عن المعتزلة الاتفاق على إيجاب اللطف علـى ا تعالى حيث قال : (إنه يجب عليه تعالى أن يفعل بالمكلف الألطاف وهو الذي يـذهب إليه أهل العدل حتى منعوا أن يكون خلاف هذا القول قولاً لأحد من مشايخهم) [٢] .

وعلى العكس مما ذكره القاضي ، فإن من المعتزلة من خالف في إيجاب اللطف عليه تعالى . وقد ذكرهم الأشعري في مقالاته ، وذكر أقوالهم على النحو التالي :

---

(1) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٥٢٠-٥٢١ .

(2) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ٤/١٣ .

١- بشر بن المعتمر [١] : وقد قال : بأن عند ا تعالى لطيفة لو أتاها الخلـق لآمنـوا ، وليس يجب على ا تعالى فعل ذلك عنده [٢] .

٢- جعفر بن حرب [٣] : وهو القائل بأن عند ا تعالى لطفاً لو أتى به الكـافرين لآمنوا اختياراً إيماناً يستحقون عليه من الثواب ما يستحقونه مع عدم اللطف إذا آمنوا، والأصلح ما فعل ا بهم [٤] .

٣- أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي : وهو وإن قال بعدم وجود لطف لـو فعله تعالى بمن علم أنه لا يؤمن فيؤمن عنده . إلا أنه يقر بأن ا تعالى يقـدر أن يفعل بالعباد ما لو فعله بهم لازدادوا طاعة فيزيدهم ثواباً ، ولكن ليس ذلـك واجباً عليه ، ولا إذا تركه كان عابثاً [٥] .

٤- ضرار بن عمر [٦] : وأتباعه يسمون الضرارية ، وكتب الفرق تعـدهم مـن المعتزلة ، إلا أن القاضي عبد الجبار يقول عنهم : إنهم خالفوا التوحيد والعدل فلا تلزمهم سمة الاعتزال ، وبذلك لا يكون لرأيهم المخالف كبير قيمة [٧] .

ولم يذكر القاضي عبد الجبار أحداً من هؤلاء المخالفين لهم إلا بشر بن المعتمر وأصحابه [٨] .

أدلة وجوب اللطف عند المعتزلة :

---

(1) بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي ، أبو سهل ، فقيه معتزلي مناظر ، من أهل الكوفة ، تنسب إليـه الطائفـة " البشرية " ، توفي سنة ٢١٠هـ . انظر طبقات المعتزلة : ٥٢ ، الأعلام : ٥٥/٢ .

(2) مقالات الإسلاميين ، للأشعري : ٣١٣/١ .

(3) جعفر بن حرب الهمداني ، من أئمة المعتزلة ، من أهل بغداد ، ولد سنة ١٧٧هـ ، وتوفي سـنة ٢٣٦هـ ـ . انظر تاريخ بغداد : ١٦٢/٧ ، مروج الذهب : ٢٩٨/٢ ، الأعلام : ١٢٣/٢ .

(4) مقالات الإسلاميين : ٣١٣/١ .

(5) نفس المصدر : ٣١٤/١ .

(6) ضرار بن عمرو الغطفاني ، قاض من كبار المعتزلة ، توفي سنة ١٩٠هـ . انظر لسان الميـزان : ٣٠٣/٣ ، وفضل الاعتزال : ٣٩١ ، الأعلام : ٢١٥/٣ .

(7) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ٥/١٣ .

(8) انظر شرح الأصول الخمسة : ٥١٩ .

استدل المعتزلة على وجوب اللطف بأدلة عقلية ، كما أوردوا أدلة نقلية تؤكد ما توصلوا إليه بأدلتهم العقلية من وجهة نظرهم .

الأدلة العقلية على وجوب اللطف عند المعتزلة :

أولاً : إن اللطف لازم لحصول الثواب أو العقاب ، ولذلك فهو حسن من الله تعالى ، والمكلف وهو الله تعالى يلزمه أن يلطف بالمكلف وهو العبد حتى يعرضه للمنفعة ، وليتم للمكلف قصده وغرضه ، يقول القاضي عبد الجبار : (إن المكلف يلزمه للتكليف السابق أن يلطف للمكلف ، كما يلزمه أن يقدره ويمكنه) [1] .

والقاضي هنا يوافق شيخه أبا هاشم حيث قال : (اعلم أن شيخنا أبا هاشم يقول : لو لم يلطف تعالى لبعض المكلفين كان لا يحسن منه أن يعاقبه) [2] .

ولم أجد رداً للسلف في هذه المسألة لعدم عنايتهم بها واكتفائهم بمعانيها الواضحة ، وترك المعاني المبتدعة لها . أما الأشاعرة فقد ردوا هذا الدليل وقالوا : إن الواجب الذي لا يتم إلا بما يحصله أو يقرب منه يكون هذا المحصل أو المقرب له واجباً أيضاً ، بمعنى أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وهذه القاعدة هنا غير مسلمة ، لأن الوجوب المفروض على المكلف هنا مشروط بكونه مقدوراً له ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [3] ، فإذا لم يكن الواجب مقدوراً للمكلف فقد سقط التكليف لسقوط شرطه الموجب له ، وهذا كاف في سقوط العقوبة عنه ، وإن كان قد قصد إلى هذا الفعل طلباً للثواب ولم تكتمل الشروط الموجبة له فسقوط الفعل عنه لا يحرمه من الثواب عليه .

---

(1) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ٣٨/١٣ .

(2) نفس المصدر : ٧٤/١٣ .

(3) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ .

إذاً فلا حاجة للقول باللطف في مثل هذه المسألة فضلاً عن إيجابها عليه تعالى [١] .

الدليل الثاني : إن منع اللطف تحصيل للمعصية أو تقريب منها ، وكلاهما قبيح ويجب تركه [٢] .

وقد رد التفتازاني على هذا الدليل بجواز أن يكون منع اللطف لفائدة أكبر منها ، كما جاء في قصة الراهب الذي ترك إجابة نداء أمه ليؤدي بعض النوافل وظن أن هذه الطاعة أفضل من طاعة إجابة نداء الوالدين فكان أن دعت عليه أمـه واسـتجاب ا تعالى لدعائها [٣] .

فمنع ا إجابته لنداء أمه لحصول فائدة أكبر وهي تعريفه بفضل طاعة الوالدين [٤] .

من جهة أخرى فإن المنع من الطاعة لا يعني بالضرورة الإغراء بالمعصية أو التحريض عليها أو التقريب منها ، لجواز أن يمنع من الطاعة ولا يفعل المعصية [5].

الدليل الثالث للمعتزلة : إن منع اللطف نقض لغرض المكلف الذي هو الإتيـان بالمأمور ، ونقض الغرض قبيح .

يقول القاضي عبد الجبار : (فالذي يدل على صحة ما اخترناه من المـذهب ، هو أنه تعالى إذا كلف المكلف وكان غرضه بذلك تعريضه إلى درجة الثواب ، وعلـم أن في مقدوره ما لو فعل به لاختار عنده الواجب . واجتنب القبيح ، فلا بـد مـن أن يفعل به ذلك الفعل ، وإلا عاد بالنقض على غرضه) [٦] .

وضرب القاضي لذلك الدليل بمثال : وهو أن أحدنا إذا أراد من بعض أصدقائه أن يجيبه إلى طعام قد اتخذه ، وعلم من حاله أنه لا يجيبه إلى طعامه إلا إذا بعث إليـه

---

(1) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ١٦٠/٢ .

(2) المغني ، للقاضي عبد الجبار : ١٨/١٣ .

(3) القصة في صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب إذا هدم حائطاً فليبن مثله : ٨٧٨/٢ .
وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالـصلاة وغيرهـا : ١٩٧٦/٤ مـن حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

(4) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ١٦١/٢ .

(5) انظر تنزيه ا مما أوجبه عليه المعتزلة ، وأحمد بناني : ١٧١-١٧٠ .

(6) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٥٢١ .

بعض أعزته من ولد أو غيره ، فإنه يجب عليه أن يبعث ، حتى إذا لم يفعل عاد بالنقض على غرضه .

والقاضي هنا يشير إلى لطفه تعالى في إرساله رسله وما في ذلك من تقريبه عباده للطاعة ودرجات الثواب (١) .

وضرب مثلاً آخر : وهو أن الوالد الذي يحب من ولده أن يتعلم ، ومكنه من ذلك بإيجاد معلم ، فمتى علم وقوي في ظنه أنه متى رفق به فإن الولد يقبل على الدرس فإذا ترك الرفق به ناقض الغرض مع سهولته عليه فلا بد أن يختار الرفق به، بل تركه الرفق يكون ناقضاً للغرض ، بمنزلة تركه التمكين (٢) .

ويجاب على هذا الدليل من وجهين :

الأول : إنه قد يكون فعل المأمور به غير مراد أصلاً ، كما في المختَبِر عبده يطيعه أم يعصيه في مثل من قال لعبده : (اضربني إن شئت) فهذا الأمر من السيد لعبده غير مراد التحقق ، وإن كان مأموراً .

وإذا كان لا يلزم من الأمر أن يكون الغرض منه الامتثال لا يقال إن عدم اللطف مع الأمر نقض للغرض (٣) .

الثاني : إن الإرادة تنقسم إلى نوعين : إرادة كونية ، وإرادة شرعية ، كما سبق ذكر ذلك ، وما أمر به الشرع فقد أراده إرادة شرعية ، وأحبه ورضيه ، فلا يحب شيئاً ويرضاه إلا وجوده خير من عدمه .

ولا يلزم من الأمر بالشيء أن يكون مراداً إرادة كونية ، فقد أمر ا تعالى الناس جميعاً بالإسلام ، ولكنه لم يرد ذلك من الكفار إرادة وقوع وتحقق وهي الإرادة الكونية ، وإن كان يريد ذلك إرادة شرعية (٤) .

---

(1) انظر شرح الأصول الخمسة : ٥٢١ .

(2) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل : ١٨/١٣ .

(3) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ١٦٠/٢ .

(4) انظر ص (٣٤٥) من هذا البحث .

والحاصل أن الأمر الإلهي لا يكون إلا بتحصيل المصالح وتكميلها ، وبتعطيل المفاسد وتعليقها ، وإذا تعارض أمران رجح الشرع أحسنهما ، وليس في الشريعة أمر يفعل إلا وجوده للمأمور خير من عدمه ، ولا نهى عن فعل إلا وعدمه خير من وجوده.

الأدلة النقلية التي أوردها المعتزلة على إيجاب اللطف على الله تعالى :-

أولاً : قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [1] .

ووجه الاستدلال فيها – عندهم – هو أن هذا الفضل وهذه الرحمة إنما هي اللطف [2] .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ٣٥ ﴾ [3] .

ووجه الاستدلال بهذه الآيات – عند المعتزلة – أن ا تعالى لم يفعل للكفار كل ذلك من أنواع الترف والنعم لكي لا يكون الناس أمة واحدة في الكفر وهذا هو المفسدة التي لا يفعلها ويفعل خلافها وهو اللطف [٤] .

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾ [1] .

---

(1) سورة النساء ، آية : ٨٣ .

(2) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ١٩٠/١٣ .

(3) سورة الزخرف ، الآيات : ٣٣-٣٤-٣٥ .

(4) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ١٩٢/١٣ .

ووجه الاستدلال هو أنه تعالى قد بين أنه لا يبسط الرزق للعباد بسطاً يفسدون عنده لعلمه بأحوالهم ، أي إنه لا يفعل إلا ما يصلحون عنده دون ما يفسدون عنده ، وهذا هو اللطف [٢] .

رابعاً : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [٣] .

ووجه الاستدلال : أنه تعالى قد بين أنه لولا كان لهم لطف على وجه الاختيار لفعله ليؤمنوا ، لكنه قد علم أنهم لا يؤمنون عند شيء البتة على هذا الحد إلا أن يشاء حملهم عليه وإلجاءهم إليه ، وهذا لا يقع منه لهم تكليف ولا إيمان ، ويخرج من أن يقع على وجه يستحق عليه الثواب [٤] .

ويلاحظ على كل ما استدل به المعتزلة من الآيات القرآنية أن وجه استدلالهم بها يختلف عن المراد إتيانه من هذه الآيات .

فغاية ما يمكن أن يفهم من الآيات الكريمة هو وجود اللطف في أفعال ا تبارك وتعالى ورعايته سبحانه لمصالح عباده وحكمته البالغة في أفعاله ، ولكن وجود هذه الحكم والمصالح لا يستلزم وجوبها عليه سبحانه ، بل إن الآيات ليس فيها ما يدل على الإيجاب مطلقاً .

وقد رد عليهم الأشعري فقال : (يقال لهم : أليس ا عز وجل قادراً أن يفعل بخلقه من بسط الرزق ما لو فعله بهم لبغوا في الأرض ، وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكفار لكفروا كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [5] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ ﴾

---

(1) سورة الشورى ، آية : ٢٧ .

(2) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ١٩٣/١٣ .

(3) سورة الأنعام ، آية : ١١١ .

(4) انظر المغني ، للقاضي عبد الجبار : ١٩٤/١٣ .

(5) سورة الشورى ، جزء من الآية : ٢٧ .

[1] ، فلا بد من نعم ، يقال لهم : فما أنكرتم من أنه قادر أن يفعل بهم لطفاً لو فعله بهم لآمنوا أجمعين ، كما أنه قادر أن يفعل بهم أمراً لو فعله بهم لكفروا كلهم .

ويقال لهم : أليس قد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [2] .

وقال : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [3] ، وقال: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [4] ، يعني وسط الجحيم ، قال : ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ ﴾ [5] ، وما الفضل الذي فعله بالمؤمنين الذين لو لم يفعله لاتبعوا الشيطان ؟ ولو لم يفعله ما زكى منهم من أحد أبداً ؟ وما النعمة التي لو لم يفعلها لكانوا من المحضرين ؟ وهل ذلك شيء لم يفعله بالكافرين وخص به المؤمنين ؟

فإن قالوا : نعم ، تركوا قولهم [6] ، وأثبتوا تعالى نعماً وفضلاً على المؤمنين ابتدأهم به جميعاً ، ولم ينعم بمثله على الكافرين ، وصاروا إلى القول بالحق ، وإن قالوا: قد فعل ا ذلك أجمع بالكافرين كما فعله بالمؤمنين ، فقل لهم : فإن كان ا تعالى قد فعل ذلك أجمع بالكافرين ، فلم يكونوا زاكين وكانوا للشيطان متبعين ، وفي النار محضرين ، وهل يجوز أن يقول للمؤمنين : لولا أني خلقت لكم أيدي وأرجل لكنتم للشيطان متبعين ، وهو قد خلق الأيدي والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين .

---

(1) سورة الزخرف ، جزء من الآية : ٣٣ .
(2) سورة النساء ، آية : ٨٣ .
(3) سورة النور ، جزء من الآية : ٢١ .
(4) سورة الصافات ، آية : ٥٥ .
(5) سورة الصافات ، آية : ٥٦-٥٧ .
(6) وهو قول المعتزلة : بأن ا تعالى لم يختص المؤمنين بنعمة دينه دون الكافرين ، راجع ص (.....) وص(١٢٨) من هذا البحث .

فإن قالوا : لا يجوز ذلك ، قيل لهم : وكذلك لا يجوز ما قلتموه ، وهذا يبين أن الله تعالى اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يعط الكافرين وفضل عليهم المؤمنين) [(١)] .

ورد الأشاعرة على المعتزلة في منع وجوب اللطف صحيح ، إلا أنه يؤخذ عليهم استنادهم على أصلهم في عدم إيجاب شيء على الله تعالى ، وقد سبق بيان ذلك ، والرد عليه [(٢)] .

ومن الألطاف التي يراها المعتزلة واجبة على الله تعالى – إرسال الرسل – لأن فيه تقريباً إلى الطاعة ، ودفعاً عن المعصية ، وقد نبهت إلى ذلك فيما تقدم عند الحديث عن إيجاب المعتزلة بعثة الرسل على الله تعالى .

أما رد السلف على المعتزلة في هذه المسألة فيظهر في ردهم عليهم في الإيجاب على الله تعالى وجوباً عقلياً ، وبيان خطئهم في عدة أمور :

أولاً : إنهم حولوا كلمة اللطف ومشتقاتها الواردة في الكتاب والسنة بمعانيها اللغوية إلى مصطلح شرعي خاص ، بينما لم يرد هذا في الكتاب أو السنة .

ثانياً : إنهم قصروا كلمة (اللطف) على معنى واحد ، بينما تتعدد معانيه اللغوية من الرفق والبر والإحسان .

ثالثاً : إيجابهم ذلك المعنى على الله تعالى وجوباً عقلياً ، والله سبحانه منزه عن أن يوجب عليه الخلق فعلاً من أفعاله .

وليس معنى ذلك نفي ألطاف الله بعباده ، ولا نفي ذكرها في الكتاب والسنة .

رابعاً : ما أوجبه القائلون بوجوب اللطف على الله تعالى من فعله ، لم يقرب العباد جميعاً من الطاعة ويبعدهم من المعصية ، وما أوجبوه من ذلك إنما هو بناء نظري لا يقوم في ذاته ولا في أدلته على مطابقة الواقع ، فلم يجعل الله لكل عبد من العباد أقصى ما يقدر عليه من الألطاف في جميع أحواله وأزمانه ، كما يوجبه المعتزلة.

---

(1) انظر الإبانة ، لأبي الحسن الأشعري : ١٨٢-١٨٥ .

(2) راجع ص (٢٦٣) من هذا البحث .

خامساً : القول بوجوب اللطف بمفهومه الخاص عند المعتزلة لا يخالف الواقع فقط ، بل يخالف كذلك الآيات القرآنية التي تنص على أن ما يفعله ا بالعباد من ألوان الهداية والتوفيق ليس على سبيل الوجوب عليه بل هو معلق بمشيئة ا واختياره [١] .

مذهب الأشاعرة في وجوب اللطف على الله تعالى :-

اللطف عند الأشاعرة هو : خلق قدرة الطاعة .

وهذا يسمى عندهم العصمة .

ويقابله خلق قدرة المعصية ويسمى خذلاناً .

والعصمة عند الأشاعرة هي التوفيق بعينه .

والفرق بين الأشاعرة والمعتزلة في هذه القضية :-

هو أن المعتزلة يرون أن فعل الطاعة توفيق ، وترك المعصية عصمة ، وكلاهما يسمى " لطفاً " .

أما الأشاعرة فيرون أن العصمة هي خلق قدرة الطاعة ، والخذلان هو خلق قدرة المعصية .

وخلق قدرة الطاعة يسمى عصمة ويسمى توفيقاً ويسمى لطفاً [٢] .

يقول التفتازاني : (المبحث الثاني اللطف والتوفيق والعصمة خلق قدرة الطاعة ، والخذلان خلق قدرة المعصية ، فالمؤمن لا يعصي وبالعكس ، وقيل العصمة أن لا يخلق ا تعالى في العبد الذنب ، وقيل خاصية يمتنع بسببها صدور الذنب عنه) [٣] .

فهم يرون أن اللطف والتوفيق معنى واحد .

والتوفيق هو العصمة بعينه ، وهنا يقتربون من المعتزلة ، فالمعتزلة يرون أن التوفيق هو فقط تقريب فعل الطاعة ، والأشاعرة عندهم التوفيق هو العصمة ،

([1]) انظر المصطلحات الكلامية في أفعال ا تعالى ، إعداد أحمد محمد طاهر عمر : ٨٥-٨٦ .

([2]) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٣١٢/٤ .

([3]) انظر المصدر نفسه ونفس الصفحة .

والعصمة هي خلق قدرة الطاعة ، وهنا يبتعدون عن المعتزلة ، لأن البعد عن الـذنب هو العصمة عند المعتزلة .

ويجعل الأشاعرة التوفيق عاماً للعصمة ونحوها .

وكأنهم يقولون اللطف هو التوفيق ، وهو يكون بترك المعصية ، أو فعل الطاعـة ، وإن أردت التوفيق الخاص فهو العصمة ، وهو خلق قدرة الطاعة .

فالخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في الألفاظ والمسميات ، مع أنهم اتفقوا علـى أن اللطف هو : خلق قدرة الطاعة أو ترك المعصية .

ويرى الأشاعرة عدم وجوب اللطف على ا تعالى .

وهذه المسألة – عندهم – فرع من مسألة الوجوب العقلي على ا تعالى وكذلك تستند على مسألة التحسين والتقبيح .

ولذلك فإن منع وجوب اللطف على ا عند الأشاعرة مستند على عدم وجـوب شيء على ا تعالى – عندهم - .

أدلة الأشاعرة على عدم وجوب اللطف على الله تعالى :–

استدل الأشاعرة على عدم وجوب اللطف على ا تعالى بأدلة عقلية وأخرى نقلية :

أولاً : الأدلة العقلية :–

١- إنه لو وجب اللطف لما أخبر ا تعالى بسعادة بعض الخلق وشـقاوة بعـضهم بحيث لا يطيع البتة ، لأن ذلك إقناط وإغراء بالمعصية ، وهو قبيح ولـو فـي حق من علم ا أنه لا يجري عليه اللطف .

٢- إنه لو وجب لكان في كل عصر نبي ، وفي كل بلد معصوم ، يأمر بالمعروف ويدعو إلى الحق ، وعلى وجه الأرض خليفة ينتصف للمظلوم من الظالم ، إلى غير ذلك من الألطاف .

٣- لو وجب اللطف على الله تعالى لما وجد في المكلفين عاصٍ ولا مذنب ، ولما بقي كافر ولا فاسق [(١)] .

ثانياً : الأدلة النقلية :–

١- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [(٢)] .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [(٣)] .

٣- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [(٤)] .

٤- قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [(٥)] .

ووجه الدلالة من كل هذه الآيات إثبات المشيئة العامة والاختيار المطلق لله عز وجل ، فهو يفعل بمقتضى مشيئته واختياره ولا يجب عليه شيء – عند الأشاعرة - .

ورغم أن كثيراً مما قاله الأشاعرة في مسألة اللطف قد حالفه الصواب ، إلا أن أقوالهم لم تخل من أخطاء تتضح فيما يلي :

أولاً : مسايرتهم للمعتزلة في جعلهم كلمة (اللطف) تقتصر على معنى واحد ، بينما تتعدد معانيها اللغوية .

---

(1) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٣١٢/٤-٣١١ .

(2) سورة السجدة ، آية : ١٣ .

(3) سورة يونس ، آية : ٩٩ .

(4) سورة هود ، آية : ١١٨ .

(5) سورة الأنعام ، آية : ١٤٩ .

ثانياً : استنادهم على أصلهم في عدم إيجاب شيء على ا تعالى حتى ما وافق الحكم والمصالح .

والحق أن الأشاعرة في هذه القضية أقرب إلى الصواب من المعتزلة .

أما السلف فإنهم لا يوجبون على ا تعالى إلا ما أوجبه على نفسه بمشيئته وحكمته ، وبالتالي فإنهم لا يوجبون اللطف ، لأنه لم يرد إيجاب ا له على نفسه لا في كتاب ولا سنة .

ولكن نفي الإيجاب العقلي على ا تعالى لا يتنافى مع إثبات مراعاة ا لمصالح عباده ولطفه بهم ورفقه وإحسانه إليهم ، وذلك مما لا يعد ولا يحصى .

وقد ذكر ا تعالى لطفه بعباده وذكرهم بفضله عليهم في كتابه العزيز حيث قال: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ (١) ، وقال : ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ (٢) .

ولكن ذكر القرآن لهذه الألطاف لا يعني إيجاب شيء من ذلك على ا وجوباً عقلياً ، وإنما كان ذلك منه تعالى على سبيل الفضل والنعمة والرفق والإحسان ، لا على سبيل الوجوب والإلزام .

ومما سبق يتبين أن المعنى الذي اختاره المتكلمون للطف ليس لهم على تخصيصه به دليل شرعي ولا لغوي ، وإنما معاني اللطف كثيرة ومتعددة .

ولم يلتزم السلف بأي معنى دون الآخر .

أما ما ذكره المتكلمون من جعل التوفيق من اللطف ، فإن التوفيق له عند السلف معانٍ أخرى سوف يأتي الحديث عنها في موضعها إن شاء ا (٣) .

---

(1) سورة الشورى ، آية : ١٩ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ١٠٣ .

(3) انظر ص (٧٢٩) من هذا البحث .

وانظر إلى قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

فقد أثنى يوسف عليه السلام على ربه وحمده على لطفه في أفعاله في عباده ورعايته لمصالحهم وإحسانه إليهم ، وقد بين ذلك حين قال : ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ أي أخرجني من كربة السجن ، وأنعم علي بتفريج الهم وإزالة الحزن ، وقد جاء بكم من البدو على بعد المسافة بيني وبينكم [2] .

وهذا فيه من البر والإحسان والرفق من ا تعالى بيوسف وأهله ما هـو بـين واضح ولم يشر عليه الصلاة والسلام إلى توفيق أو عصمة مع أن قصة يوسف فيهـا من ذلك ، حيث عصمه ا من الفاحشة ، ووفقه إلى عبادة ا ، وترك الشرك ، ومـع ذلك لم يشر إليها ، وإنما أشار إلى ما يدل عليه معنى اللطيـف وإن كانـت العـصمة والتوفيق من معانيها .

وهذا إنما يدل على عدم اختصاص اللطف بمعنى التوفيق أو العصمة ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (أي إذا أمر أمراً قيض له أسباباً وقدر به وييسره (إنه هو العليم) بمصالح عباده (الحكيم) في أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده) [3] .

---

(1) سورة يوسف ، آية : ١٠٠ .

(2) انظر تفسير ابن كثير : ٧٦٠/٢ .

(3) تفسير ابن كثير : ٧٦٠/٢ .

المبحث الثاني :

المصائب والآلام .

١١- توطئة

يستند مذهب السلف مسألة ا صائب والآلام الواقعة هذا العا ، على قضية وجود ا والشر .

و ا لا شك فيه أن ا والشر من الأمور ا سوسة ا لامسة للعبد ، وإطلاق وصف ا أو الشر على أمر ما يتوقف على اعتبار ملائمته للمصا وا نافع ا سية وا عنوية ، فكل ما كان ملائماً للطبع ، وفيه لذة ومصلحة ومنفعة كان خ اً ، فا ال خ والولد والأنعام وا آكل وا شارب وغ ها كلها خ ات .

وكل ما كان فيه منافرة للطبع ، أو تضمن أ أ أو ضرراً أو تفويت مصلحة كان شراً ، فا صائب والآلام ، والأمراض والسموم ، وإبليس وجنوده ، والكفر والفسوق ، كلها أمور شريرة .

فا والشر إ ا اعت ا بالنظر إ واقع الأمر ا سوس ا شاهد ، وما يلزم ذلك من منافرة أو ملائمة للطباع ، أو تكميل أو تفويت ا صا .

وهذا يستند في الحقيقة على إثبات الحسن والقبح الذاتيين للأشياء ، وعلى إثبـات كمال حكمته تعالى في أفعاله ومراعاته لمصالح خلقه والغايات المطلوبة ، والعواقـب المحمودة في أفعاله تبارك وتعالى .

والسلف لم ينكروا أن في المصائب والآلام شراً وخيراً في ذاتها ، وأن فيها ألماً للنفس ومشقة عليها ، سواء الواقع منها بالمكلفين أم غيـر المكلفـين ، مثـل البهـائم والأطفال والمجانين ونحوهم .

إلا أن وجود هذه الآلام إلى جانب الملاذ العظيمة ، والخير الكثير الحاصل لكل المخلوقات هو مقتضى الحكمة الإلهية .

وعلى ذلك فقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الخير هو ما كان وجوده خيراً من عدمه ، والشر ما كان عدمه خيراً من وجوده ، فكل ما أوجده ا تعالى وخلقه فيه خير ، ووجوده خير من عدمه .

وعلى ذلك فإن الشر لا يضاف مفرداً إلى ا عز وجل .

ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول في دعاء الاستفتاح : (الخير كله بيديك ، والشر ليس إليك) [1] أي إنك لا تخلق شراً محضاً ، بل كل ما يخلقه تعالى فيه حكمة هو باعتبارها خير وباعتبار بعض الناس قد يكون شراً ، ولكنه شر نسبي إضـافي لأن ا تعالى منزه عن خلق الشر الكلي والشر المطلق .

ولم يُضف الشر إلى الله في كتابه الكريم إلا على أحد الوجوه الثلاثة :

([1]) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه : ٥٣٥/١ عن علي رضي ا عنه.

الأول : على طريق العموم كقوله : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [(1)] .

الثاني : أن يضاف إلى السبب كقوله : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [(2)] .

الثالث : أن يحذف الفاعل كقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ [(3)(4)] .

وعلى ذلك فإن بيان موقف السلف من قضية المصائب والآلام يتركز في بيـان أمرين هامين :

الأول : إثبات السلف الحكمة من وجود المصائب والآلام .

ثانياً : إثبات وجود الأعواض عن المصائب والآلام .

أولاً : الحكمة من وجود المصائب والآلام وأنواع الشرور :-

إن وجود المصائب والآلام في هذا العالم له حكم ربانية عديدة ، منها ما يدركها العقل ، ومنها ما لا يدركها العقل ، ولا يحيط بها علماً ، ومن هذه الحكم ما يلي :

١- إن الله سبحانه وتعالى خلق كثيراً من المتضادات في هذا الكون لتـدل علـى ربوبيته سبحانه : فقد خلق الله تعالى الليل والنهار ، والحر والبرد ، واللـذة والألم ، والجوع والشبع ، وكلها دليل على كمال ربوبيته تعالى .

([1]) سورة الزمر ، آية : ٦٢ .

([2]) سورة الفلق ، آية : ٢ .

([3]) سورة الجن ، آية : ١٠ .

([4]) انظر مجموعة الفتاوى : ٤٤٦/٨-٤٤٧ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ٣٦٥-٣٦٦ .

فلو شاء تعالى لجعل خلقه على طبيعة واحدة ، وخلق واحد ، لم يفاوت بيـنهم ، إلا أن تنوع المخلوقات واختلافها دليل على أن ا تعالى فاعل بالاختيار ، ولـو كـان غير ذلك لكانت أفعاله ومفعولاته لا تختلف ، ولفعل شيئاً واحداً فقط .

ولما كان خالق العالم فاعلاً مختاراً فقد وجدت الحوادث والمخلوقات فـي هـذا العالم على حسب إرادته واختياره ، وهذا أكبر دليل على ربوبيته وقدرتـه واختيـاره ووقوع كل الكائنات على وفق مشيئته .

ولولا هذا الاختلاف في المخلوقات لوجد الملحد مقالاً وقـال : هـذا مقتـضى الطبيعة ، فلو كان فاعلاً بالاختيار لتنوعت أفعاله ومفعولاته ولفعـل الـشيء وضـده والشيء وخلافه [1] .

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي بكر بن أبي الدنيا [2] ما رواه بسنده عن الحسن البصري أنه قال : كانوا يقولون – يعني أصحاب رسول ا ﷺ - : (الحمد الرفيق الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف ، لقال الشاك في ا : لو كـان لهذا الخلق رب لحادثه ، وإن ا قد حادثه بما ترون من الآيات : إنه جاء بضوء طبق ما بين الخافقين ، وجعل فيها معاشاً وسراجاً وهاجاً ، ثم إذا شاء ذهب بـذلك الخلـق وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين ، وجعل فيها سكناً ونجوماً وقمراً ، وإذا شاء بنـى بناء جعل من المطر والبرد والرعد والصواعق ما شاء ، وإذا شاء صرف ذلك ، وإذا شـاء جاء ببرد يقرقف الناس ، وإذا شاء لذهب بذلك وجاء بحر يأخذ بأنفاس الناس ، لـيعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما يرون من الآيات ، كذلك إذا شـاء ذهـب بالـدنيا والآخرة) [3] .

---

(1) انظر : طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم : ١٣٠ .

(2) عبد ا بن محمد بن عبيد بن سفيان ، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي ، مولاهم ، البغدادي ، أبو بكـر ، حـافظ للحديث ، مكثر من التصنيف ، ولد سنة ٢٠٨هـ ، وتوفي سنة ٢٨١هـ . انظر تـذكرة الحفـاظ : ٢٢٤/٢ ، وتهذيب التهذيب : ١٢/٦ ، الأعلام : ١١٨/٤ .

(3) جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٣٩/١ .

وقد علق شيخ الإسلام على ذلك فقال : (فقـد ذكـر الحـسن مـن الـصحابة الاستدلال بهذه الحوادث المشهودة على وجود الرب سبحانه المحدث الفاعـل بمـشيئته وقدرته ، وبطلان أن يكون موجباً يقارنه موجبه ، فإن ذلك يمتنع محادثته ، أي إحداث الحوادث فيه) [1] .

والمقصود أن ا تبارك وتعالى يخلق الخلق بمشيئته واختياره ، وهو خالق هذا الكون بما فيه من الأحوال المختلفة ، والمخلوقات المتضادة ليدل على كمال ربوبيتـه وقيوميته على خلقه . وهذا هو ما اختاره ا تعالى وقدره ، وهو لا يفعل إلا الأفـضل والأحسن والأكمل .

٢- المصائب والآلام ما هي إلا شرور مغمورة في خير كبير ولولا ذلك لما وجـد الخير .

فقد خلق ا تبارك وتعالى الدنيا ممزوجاً خيرها بشرها ، ولا يصلح بمقتضى الحكمة الإلهية تعطيل أسباب الخيرات والمصالح العظيمة لما في ضمنها من الـشرور والآلام الجزئية .

وتحقيق الأمر في ذلك : أن الشر نوعان :-

- شر محض حقيقي من كل وجه ، وهذا لا يدخل في الوجود ، إذ لو دخل فـي الوجود لم يكن شراً محضاً [٢] .
- شر نسبي إضافي من وجه دون وجه ، وهذا هو الذي يدخل في الوجود .

فالخير هو الأصل ، والشر نسبي إضافي ، ومن تأمل هذا العالم وجد أن الخير فيه غالب ، وأن الأمراض وإن كثرت فالصحة أكثـر منهـا ، والآلام وإن عظمـت فالعافية أعظم منها ، والغرق والحرق والهدم ونحوها وإن كثرت فالسلامة أكثر منها .

والبرد الشديد والحرق والغرق ، ونحو ذلك مما يـصيب الحيـوان والنبـات فيفسده، فهذا بلا شك شر وجودي مستند إلى سبب وجودي ، ولكنه شر نسبي إضافي ،

---

(1) نفس المصدر : ١٤٠/١ .

(2) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٣٩/١ وما بعدها .

وهو خير من وجه آخر ، بل إن خيره أكثر من شره ، فإن وجود ذلك الحـر والبـرد يترتب عليه مصالح وخيرات كلية ، هذا الشر بالنسبة إليها جزئي .

والنار كذلك فإن في وجودها منافع كثيرة ، وفوائد جمة ، ففيها دفء ومنـافع وضياء للناس ، وهي إلى جانب ذلك لها مفاسد أيضاً ، وإذا قابلنا ما بـين مـصالحها ومفاسدها ، لم تكن لمفاسدها نسبة إلى جانب مصالحها .

ولو لم يوجد هذا الخلق الذي خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفـات الخير الغالب . وفوات الخير الغالب شر غالب [1] .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (فتعطيل تلك الأسباب لتفويت هـذا الـشر الجزئي يتضمن شراً أكثر منه ، وهو فوات تلك الخيرات الحاصلة بها ، فإن ما يحصل بالشمس والريح والمطر والثلج والحر والبرد من مصالح الخلق أضعاف أضعاف مـا يحصل بذلك من مفاسد جزئية هي في جنب تلك المصالح كقطرة في بحر . هذا لو كان شرها حقيقياً فكيف وهي خير من وجه وشر من وجه ، وإن لم يعلم جهة الخير فيهـا كثير من الناس . فما قدّرها الرب سبحانه سدى ولا خلقها باطلاً) [2] .

فكل ما خلقه الله تعالى من الشرور فهو شر جزئي إضافي ، لأن فيه من الخير العام والحكمة والرحمة أضعاف ذلك .

حتى الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم فإن ما حصل من تلك الأمـم من التكذيب والمكر مما أوجب عليهم الهلاك شر إضافي بالنسبة لهم ، ولكن الرسـالة حصل بها من النفع العام للخلق إلى يوم القيامة ما حصل ، وحصل بما أصاب الأمـم المكذبة من الاعتبار والانزجار من الخير لغيرهم ما هو أضعاف الشر النـسبي الـذي حصل للمكذبين .

---

(1) انظر شفاء العليل : ٧٠/٢ وما بعدها .

(2) المصدر نفسه : ٧٢/٢ .

ولذلك قال ا تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ۝٥٦ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴾ [2] .

وكذلك نبوة محمد ﷺ ، فقد شقي برسالته طائفة من مشركي العرب ، وكفار أهل الكتاب وهم الذين كذبوه ، ولكن سعد به أضعاف أضعاف هؤلاء [3] ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى : (فالمصلحة بإرساله وإعزازه ، وإظهار دينه ، فيها من الرحمة التي حصلت بذلك ما لا نسبة لها إلى ما حصل بذلك لبعض الناس من شر جزئي إضافي ، لما في ذلك من الخير والحكمة أيضاً ، إذ ليس فيما خلق ا سبحانه شر محض أصلاً ، بل هو شر بالإضافة) [4] .

ثم إن الشر الذي وصف به القدر فقيل : خيره وشره ، إنما هو باعتبار المقدورات والمفعولات ، لا باعتبار التقدير الذي هو تقدير ا وفعله .

وكذلك المفعول الذي هو شر ، قد يكون شراً في نفسه ، لكنه خير من جهة أخرى ، كما تقدم ، وعلى ذلك يكون الشر في هذا المقدور شراً إضافياً ، وذلك يعني أنه ليس شراً في الحقيقة .

ونخلص من ذلك كله إلى قول ما يلي :

- الشر الذي وصف به القدر هو شر بالنسبة للمقدور ، أما تقدير ا ، فكله خير.
- الشر الذي في المقدور ليس شراً محضاً ، بل قد ينتج عنه أمور خيرية فيكون الشر حينئذ أمراً إضافياً [5] .

---

(1) سورة الزخرف ، آية : ٥٥ - ٥٦.

(2) سورة النازعات ، آية : ٢٦ .

(3) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٥٣/١٤ وما بعدها .

(4) المصدر نفسه : ١٥٤/١٤ .

(5) انظر شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ٧٠/١-٧٢ .

٣- إن وجود المتضادات طريق إلى معرفة ما أعده ا في الدار الآخرة من النعيم والعذاب .

وذلك بأن ا تعالى خلق هذه الدار فيها من المشهيات والملذات ما هو رحمـة منه بعباده المؤمنين تسوقهم إلى الدار التي هي أكمل منها ، فهذه الملذات في الدنيا هي زاد وعبرة ودليل ، وأثر من آثار رحمته التي أودعها ا سـبحانه للـدار الآخـرة ، والمؤمن يتذوق ملذات الدنيا فتشتاق نفسه إلى ما هو أكمل منه حتى تتوق إلى النعـيم المقيم في جوار الرب الكريم .

وكذلك أخرج ا في هذه الدار من آثار غـضبه ونقمتـه وآلامـه ، والمحـن والمكروهات من الأعيان والصفات ما يستدل بجنسه على ما في دار الشقاء من ذلك ، فما في هذه الدار من المصائب دليل وعبرة .

فعن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ اشتكت النار إلى ربهـا فقالت : رب أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نفس في الـشتاء ، ونفـس فـي الصيف ، فأشد ما تجدون في الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير) [1] .

وإلى ذلك أشار ا تعالى في نار الدنيا حيث قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥ ﴾ [3] .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر : ١٩٩/١ .
وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحر في طريقه : ٤٣١/١ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

(2) سورة الواقعة ، آية : ٧٣ .

(3) سورة آل عمران ، آية : ١٤-١٥ .

فهذه الدار ممزوج خيرها بشرها ، وألمها بلذتها ، ونعيمهـا بعـذابها ، ولـذلك اقتضت حكمة رب العالمين أن خلّص الخير من الشر وخصه بدار أخـرى هـي دار الخيرات المحضة ودار السرور المحض ، وخص الشر بدار أخـرى هـي دار الآلام والمصائب والعذاب . وكما خلط بين الخير والشر في دار الدنيا خلط بين أهلها ، ولما خلّص الخير من الشر في الدار الآخرة ، خلّص الفريقين من بعضهما وميز أهل الخير من أهل الشر .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (والمقصود أنه سبحانه أشهد في هذه الدار ما أعد لأوليائه وأعدائه في دار القرار ، وأخرج إلى هذه الدار من آثار رحمته وعقوبتـه ما هو عبرة ودلالة على ما هناك من خير وشر ، وجعل هذه العقوبات والآلام والمحن والبلايا سياطاً يسوق بها عباده المؤمنين ، فإذا رأوها حذروا كل الحذر ، واستدلوا بما رأوه منها وشاهدوه على ما في تلك الدار من المكروهات والعقوبات ، وكان وجودهـا في هذه الدار وإشهادهم إياها وامتحانهم باليسير منها رحمة منه بهـم وإحـساناً إلـيهم وتذكرة وتنبيهاً) [(1)] .

٤- إن تنوع المخلوقات واختلاط الخير والشر في هذا الكون من الأسـباب التـي يظهر العبودية لله تعالى .

فالعبودية لله تبارك وتعالى لم تكن لتقوم إلا على هذا الوجه ، فإن خلق الأضداد إنما هو من لوازم العبودية ، ذلك أن الله تعالى خلق ذواتاً وأسـباباً وأعمـالاً وأخلاقـاً وطبائع منها ما هو محبب للنفس ومنها ما هو مكروه لها .

وجعل سبحانه طريق جنته وثوابه باتباع أوامره وترك نواهيه ، وقد تبعد عمـا تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله تعالى ، وهنا تتحقق المحبة الصادقة من العبد لله تعالى ، فإن كل أحد يحب الراحة والدعة واللذة ، وإذا ترك العبد

([1]) طريق الهجرتين ، وباب السعادتين ، ابن القيم : ١٥١ .

ذلك – فيما حرمه الله تعالى – ابتغاء مرضاة ربه وطمعاً في ثوابه تحققت عبوديته ، وظهر صدق محبته وإخلاصه لربه [1] .

كذلك فقد سلط الله تعالى إبليس وجنوده على بني آدم ليعلم سبحانه من يصبر ويجاهد نفسه فيصل بذلك إلى رضا ربه ويحظى بالفوز بجنته .

ولولا هذه الأضداد لتعطلت مصالح كثيرة في العباد ولتعطل الجهاد ونصرة دين الله تعالى وغيرها من العبادات التي لا تحصل إلا بمغالبة الشهوات .

وطاعات العبد المختلفة لربه وتركه واجتنابه لنواهيه ، إنما حدثت بمجاهدة النفس والهوى والشيطان ، وبذلك تحققت عبودية العبد لربه تبارك وتعالى ، يقول ابن القيم : (.. فلولا خلق الله الأضداد وتسليط أعدائه وامتحان أوليائه بهم لم يستخرج خالص العبودية من عبيده الذين هم عبيده ، ولم يحصل لهم عبودية الموالاة والمعاداة فيه ، والحب فيه والبغض فيه والعطاء له والمنع له ، ولا عبودية بذل الأرواح والأموال والأولاد والقوة في جهاد أعدائه ونصرته ، ولا عبودية مفارقة الناس أحوج ما يكون إليهم عندهم لأجله ، وفي مرضاته ، ولا يتحيز إليهم وهو يرى محاب نفسه وملاذها بأيديهم فيرضى بمفارقتهم ومشاققتهم وإيثار موالاة الحق عليهم ، فلولا الأضداد والأسباب التي توجب ذلك لم تحصل هذه الآثار) [2] .

وقال في موضع آخر : (.. فإن من كمال الحكمة والقدرة إظهار شرف الأشياء الفاضلة بأضدادها ، فلولا الليل لم يظهر فضل النهار ونوره وقدره ، ولولا الألم لم يعرف فضل اللذة وشرفها وقدرها ، ولولا المرض لم يعرف فضل العافية ، ولولا وجود قبح الصورة لم يظهر فضل الحسن والجمال) [3] .

---

(1) انظر مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ٢٠٨ .

(2) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم : ١٣٠ .

(3) مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ٢٠٧ .

٥- إن ما خلقه ا تعالى من المتضادات يكون من باب الاختبار والإبتلاء للعباد .

وهذا الاختبار والابتلاء يستلزم أسباباً يحصل بها ، فلا بد من خلـق أسـبابه ، ولهذا لما كان من أسباب الابتلاء خلق الشهوات وما يدعو إليها وتزيينها ، فعل ذلك .

وقد قال ا تعالى مشيراً إلى هذا الابتلاء والاختبار في خلق السماوات والأرض : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [2] .

فوجود الشهوات والشرور والخيـرات ، والمخلوقـات المختلفـة ، والإرادات المخالفة للعبودية ، يظهر كمال العبودية والمحبة والطاعة .

وتتبين كذلك حقيقة الإيمان وذلك عند المعارضة والامتحان ، وحينئـذ يتبـين الصادق من الكاذب .

قال ا تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ

---

(1) سورة هود ، آية : ٧ .

(2) سورة الكهف ، آية : ٧ .

(3) سورة العنكبوت ، آية : ١-٢-٣ .

(4) سورة البقرة ، آية : ٢١٤ .

ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴾ (٢) .

فبين سبحانه أن ليس كل من ابتلاه ا في الدنيا فقد أهانه ، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء ، فالنعمة بلاء ، والمصيبة بلاء ، والواجب على العبد الصبر والشكر في كل هذه البلايا ، وهذا هو الخير له ، فبالصبر والشكر تكون المصيبة والآلام نعمة للعبد المؤمن يكفر ا بها عنه سيئاته (٣) .

٦- إن من المصائب والآلام ما يكون نعمة على العبد وإن كان ظاهرها أنها نقمة.

وذلك لأن هذه المصائب والآلام يكفر ا بها خطايا العبد ويثيبه عليها بالصبر ، إضافة إلى ما فيها من حكمة ومصلحة للعبد قد تخفى عليه ولا يعلمها ، يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام : (لا يقضي ا للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) (5) .

ولذلك فإن النعم والمصائب في حق المؤمن حشوها نعم وكلتا النعمتين تحتاج إلى الشكر مع الصبر .

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٧٩ .

(2) سورة الفجر ، آية : ١٥-١٦-١٧ .

(3) انظر مجموعة الفتاوى : ٤٨/٨ .

(4) سورة البقرة ، آية : ٢١٦ .

(5) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب المؤمن أمره كله خير : ٢٢٩٥/٤ من حديث صهيب رضي ا عنه .

والصبر في الضراء ظاهر ، ولكن الشكر فيها خفي ، لكن من نظر إلى عاقبتها إن صبر عليها وعلم أن لربه فيها حكمة كانت نعمة عليه تستحق الشكر منه لربه تبارك وتعالى .

أما النعم اللذيذة للنفس فإن الشكر فيها ظاهر والصبر فيها خفي .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (لكن لما كان في السراء اللذة ، وفي الضراء الألم ، اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [1] .

وأيضاً ، صاحب السراء أحوج إلى الشكر ، وصاحب الضراء أحوج إلى الصبر ، فإن صبر هذا وشكر هذا واجب ، وأما صبر السراء فقد يكون مستحباً ، وصاحب الضراء قد يكون الشكر في حقه مستحباً ، واجتماع الشكر والصبر يكون مع تألم النفس وتلذذها ، وهذا حال يعسر على كثير ...

والمقصود أن الله تعالى منعم بهذا كله ، وإن كان لا يظهر في الابتداء لأكثر الناس ، فإن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وأما ذنوب الإنسان فهي من نفسه ، ومع هذا فهي مع حسن العاقبة نعمة ، وهي نعمة على غيره لما يحصل له بها من الاعتبار)[2] .

ولا تناقض بين هذا الحديث وبين قضاء الله تعالى على العبد بالسيئات الموجبة للعقاب ، فإن كل قضاء قضاه الله للمؤمن فهو خير ، ولكن السيئات الموجبة للعقاب ، الظاهر منها أنها شر وليست خيراً ، وهذا له جوابان :

الأول : إن أعمال العباد لا تدخل في هذا الحديث ، وإنما المراد بالحديث ما يصيب الإنسان من النعم والمصائب . وهذا ظاهر لفظ الحديث ، لأنه قال : (إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) [1] .

---

(1) سورة هود ، آية : ٩-١١ .

(2) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٢٧/٨ .

الثاني : إن رسول الله ﷺ قال : (من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن) [٢] .

وفي ذلك دليل على أن أعمال العبد إذن داخلة في الحديث ، فإن المؤمن له في أفعاله حالتان :

- أن يحسن ، فيسر بذلك ، فيشكر الله تعالى ، وهذا خير له .
- أن يسيء ، فهي سيئة يستحق عليها العقوبة إذا لم يتب منها ، فإن تاب أبدلت حسنة ، فيشكر الله عليها . وإن لم يتب يبتلى بمصائب تكفرها فيصبر عليها ، فيكون ذلك خيراً له .

ثم إن الرسول ﷺ خص بهذا الفضل المؤمن ، والمؤمن لا يصر على ذنب ، بل يتوب منه ، فيكون حسنة له .

والحاصل من ذلك : أن المؤمن قد يحصل له الذنب ، وهذا الذنب قد يحصل له من الحسنات بسببه ما لم يكن يحصل بدونه ، فيكون هذا القضاء خيراً له [٣] .

وقد ذكر ابن القيم حكماً تظهر فيها تخلية الله تبارك وتعالى بين العبد وبين ذنبه وإقداره عليه وتهيئته أسباباً له ، والناظر إلى هذه الحكم يستشعر أنها نعمة عليه ، فيرجع إلى ربه وينيب إليه ، مع أن له سبحانه حكماً أخرى لا يعلمها أحد من عباده ، ونذكر على سبيل الإيجاز بعضاً من هذه الحكم مما علمها البشر وأدرك بعضها ، ولله سبحانه حكم كثيرة غيرها لا نعلمها ولا نحصيها :

أ- إن الله تبارك وتعالى يحب التوابين ويفرح بتوبتهم ، فلمحبته للتوبة وفرحه به قضى على عبده بالذنب ، ثم إذا كان ممن سبقت له العناية قضى له بالتوبة .

---

(1) سبق تخريجه ص (٦٠٦) .

(2) أخرجه الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة : ٤٦٥/٤ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه. وقال (حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه) ، قال الهيثمي : (رواه الطبراني وأحمد باختصار عنه ورجال الطبراني رجال الصحيح) مجمع الزوائد : ٢٩٥/١٠ .

(3) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٨٠/١٤-١٨١ .

ب- تعريف العبد عزة ا سبحانه في قضائه ، ونفوذ مشيئته ، وجريان حكمه، فلو شاء العبد لعصم نفسه ، ولكن مشيئته تابعة لمشيئة ربه .

ج- تعريفه حاجته إلى حفظ ربه وصيانته له ، وأنه إن لم يحفظه ويصنه فهـو هالك ولا بد .

د- تعريف ا تعالى عبده سعة حلمه وكرمه في ستره عليه .

ه- تعريفه كرمه في قبول توبته ومغفرته له على ظلمه وإساءاته [1] .

وغيرها كثير من الحكم التي قد لا يعلمها أحد من الخلق .

وليس المقصود هنا الرضا بالذنب والركون إليه وإنما المقصود أن تعالى في كل أفعاله حكم بالغة ، ومن ذلك المصائب والشرور والآلام التي تصيب العبد ، فإن تعالى في خلقها حكماً عظيمة .

والصابر على البلاء والمصائب تنقلب المصيبة في حاله إلى نعمة ، لما لها من عاقبة حميدة تعود عليه بسبب صبره .

٧- إن هذه المصائب والآلام قد تكون عقوبة على ذنوب العباد .

فإن ا تبارك وتعالى لا يحبس فضله عن العبد لحاجته له ، وهو سبحانه يحب الجود والعطاء والبذل والإحسان ، ويحب العفو والرحمة ، وسبقت رحمته غضبه وعقابه .

فإن أصاب العبد مصيبة أو ألماً أو شراً فإنما أوتي العبد من نفسـه ، وهـذا ما أشار ا تعالى إليه بقوله : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ

(1) انظر طريق الهجرتين ، وباب السعادتين ، لابن القيم : ١٨٠ وما بعدها .
(2) سورة الشورى ، آية : ٣٠ .
(3) سورة آل عمران ، آية : ١٦٥ .

عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَا لِهَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ٧٩ ﴾ (1) .

والحسنات والسيئات في هذه الآية هي النعم والمصائب ، وليست الطاعات والمعاصي . ويؤيدها قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (2) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (3) ، وقوله تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (4)(5).

وآيتا النساء ، قد يظن فيهما التناقض حيث أكد ا سبحانه وتعالى في الآية الأولى أن جميع الحسنات والسيئات هي من ا تعالى ، وفي الآية الثانية نسب تبارك وتعالى الحسنات إلى نفسه ، ونسب السيئات إلى العباد .

ولا تناقض في الواقع فإن المقصود بالآية أن السيئات هي بسبب فعل العبد وذنبه ، وليس المراد أنها من خلقه وإيجاده بدون إقدار ا وخلقها فيه .

فقد ظن قوم ممن في قلوبهم مرض أن المصائب إنما تصيبهم بسبب ما جاءهم به محمد ﷺ ، وظنوا أن ما جاءهم من حسنة فهو من عند ا ، وما جاءهم من سيئة فهي من عند محمد ﷺ بسبب دينه وما أمر به .

---

(1) سورة النساء ، آية : ٧٨-٧٩ .

(2) سورة الأعراف ، آية : ١٦٨ .

(3) سورة الأعراف ، آية : ١٣١ .

(4) سورة آل عمران ، آية : ١٢٠ .

(5) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٩٩/٨ .

فرد عليهم ا تعالى فقال : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ، فما جاء به رسول ا ﷺ ليس سبباً لشيء من المصائب ، ولا تكون طاعة ا ورسوله سبباً للمصيبة ، بل إن طاعة ا ورسوله لا تقتضي إلا جزاء أصحابها بخيري الدنيا والآخرة .

ولكن قد تصيب المؤمنين با ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم ، لا بسبب طاعتهم ورسوله ، كما حدث لهم يوم أحد بسبب ذنوبهم ، لا بسبب طاعتهم ورسوله . وذلك تمحيصاً وامتحاناً لهم وتخليصاً لما في نفوسهم من الشر ، يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (1) .

وهذا كان قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، فقد رأوا أن ما أصابهم من المصائب إنما هو من عند الرسول ﷺ ، وهذه المصائب تتناول الجهاد الـذي يوجـب القتل أو الهزيمة ، وأيضاً مصائب الرزق على جهة التشاؤم والتطير .

وقد سبقهم إلى ذلك أمثالهم في الأمم السابقة ، قـال تعالى عن قـوم صالح : ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ (2) .

وقال تعالى عن آل فرعون : ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (3) .

---

(1) سورة آل عمران ، الآيات : ١٤٠-١٤١-١٤٢ .

(2) سورة النمل ، آية : ٤٧ .

(3) سورة الأعراف ، آية : ١٣١ .

وكذلك قال أهل القرية للمرسلين : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾ [1] .

وهم يقولون (من عندك) أي بسوء تدبيرك ، أو تشاؤماً منه [2] . لا أنهم يقصدون أنك أنت الذي أحدثتها ، وقد ذكر المفسرون المعنى الأول والثاني ، دون الثالث.

فقد ذكر ابن عباس والسدي [3] وغيرها في تفسير هذه الآيات : أنهم يقولون هذا تشاؤماً بدينه .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [4] قال : بسوء تدبيرك ، يعني كما قال له عبد الله بن أُبي بن سلول وغيره يوم أحد ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [5] .

فقولهم من عندك هو طعن في أمر الله وأمر الرسول ﷺ ، وجعلهم ذلك هو الموجب للمصائب التي تصيب المؤمنين .

وقد رد الله تعالى عليهم في قوله : ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ [6] .

أما قوله تعالى في الآية : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [1] بين الله تبارك وتعالى أن السيئة من

---

(1) سورة يس ، آية : ١٨-١٩ .

(2) في هذه الآية رد على المعتزلة في قولهم : إن العبد هو خالق المعصية وحده ، فدلت الآية على أن كلاً من المعصية والطاعة من الله تعالى .

(3) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي ، حجازي الأصل ، سكن الكوفة ، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس ، توفي سنة ١٢٨هـ ، اللباب : ٥٣٧/١ ، الأعلام : ٣١٧/١ .

(4) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم ، توفي سنة ٨٢هـ . انظر تقريب التهذيب : ٥٧٨ .

(5) سورة آل عمران ، آية : ١٦٨ .

(6) سورة النساء ، جزء من الآية : ٧٨ .

عند العبد بسبب ذنبه ، فعن ابن عباس قال في قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [٣] : معايبكم ، وقال قتادة : عملكم عند ا .

فبين ا سبحانه وتعالى أن طائرهم – وهو الأعمال وجزاؤها – هو من عند ا وهو معهم . فهو معهم لأن أعمالهم وما قـدر من جزائها معهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [٤] ، وهو من ا ، لأن ا تعالى – قدر تلك المصائب بأعمالهم - . فمن عنده تتنزل عليهم المصائب جزاء على أعمالهم ، لا بسبب الرسل واتباعهم [٥] .

يقول ابن تيمية في تفسير آيتي النساء : (والمقصود هنا أن الحسنة مضافة إليه – سبحانه – من كل وجه ، والسيئة مضافة إليه لأنه خلقها ، كما خلق الحسنة فلهذا قـال : ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ ثم إنه إنما خلقها لحكمة ، ولا تضاف إليه من جهة أنها سيئة ، بل تضاف إلى النفس التي تفعل الشر بها لا لحكمة ، فتستحق أن يضاف الشر والسيئة إليها ، فإنها لا تقصد بما تفعله من الذنوب خيراً يكون فعله لأجله أرجح ، بل ما كان هكذا فهو من باب الحسنات ، ولهذا كان فعل ا حسناً ، لا يفعل قبيحاً ولا سيئاً قط) [٦] .

---

(1) سورة النساء ، آية : ٧٩ .
(2) سورة يس ، آية : ١٩ .
(3) سورة الأعراف ، آية : ١٣١ .
(4) سورة الإسراء ، آية : ١٣ .
(5) انظر مجموعة الفتاوى : ١٤٧/١٤ وما بعدها .
(6) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٥٨/١٤ .

فالعبد إنما يصيبه الشر بذنبه ، وقد أثر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي ا عنه أنه قال : (لا يرجون عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه) (١) .

وقال أيضاً : (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة) (٢) وأثر مثل هذا القول عن عمر بن عبد العزيز (٣) رحمه ا تعالى (٤) .

ولهذا قال ا تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ (٥) أي : هلا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا ، وأنابوا حتى يرفع عنهم البلاء الواقع بذنوبهم .

وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ (٦) نهى ا سبحانه وتعالى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان ، وأمرهم بخوفه وحده تعالى ، وذلك لأن خوفه يوجب فعل ما أمر به من الطاعات ، وترك ما نهى عنه من الذنوب والمعاصي ، وهذا يستلزم الاستغفار من الذنوب ، وحينئذ يندفع البلاء ، ويحصل النصر على الأعداء (٧) .

---

(1) مجموعة الفتاوى : ٩٩/٨ .

(2) المصدر نفسه : ١٠٠/٨ .

(3) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو حفص ، الخليفة الصالح ، والملك العادل ، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم . ولد سنة ٦١هـ ، توفي سنة ١٠١هـ . انظر تهذيب التهذيب : ٤٧٥/٧ ، حلية الأولياء : ٢٥٣/٥ ، الأعلام : ٥٠/٥ .

(4) انظر مجموعة الفتاوى : ١٠٠/٨ .

(5) سورة الأنعام ، آية : ٤٢-٤٣ .

(6) سورة آل عمران ، آية : ١٧٣-١٧٥ .

(7) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٠٠/٨-١٠١ .

ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] ، فلا يسلبهم النعمة إلا إذا غيروا ما في أنفسهم بالمعاصي والذنوب ، فسلب النعم إنما هو بالسيئات والمعاصي المقتضية لذلك [2] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (وهو سبحانه لا يعذب أحداً إلا بذنبه بمقتضى الحكمة والعدل ، وفي تعذيبه أنواع الحكمة والرحمة ، وهذا ظاهر فيما يبتلي به المؤمنين في الدنيا من المصائب التي هي جزاء سيئاتهم ، فإن في ذلك من الحكمة والرحمة والعدل ما هو بين لمن تأمل ، ولا يعاقب أحداً إلا بذنبه) [3] .

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٩٦ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩٩ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ١٠٠ ﴾ [4] .

يقول ابن سعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : (لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسل ، يبتلون بالضراء موعظة وإنذاراً ، وبالسراء استدراجاً ومكراً ، ذكر أن أهل القرى ، لو آمنوا بقلوبهم ، إيماناً صادقاً صدقته الأعمال ، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً بترك جميع ما حرم الله ، لفتح عليهم بركات من السماء والأرض ، فأرسل السماء عليهم مدراراً ، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون ، وتعيش بهائمهم ، في أخصب عيش ، وأغزر رزق ، من غير عناء ولا تعب ، ولا كد ولا نصب ، ولكنهم لم

(1) سورة الأنفال ، آية : ٥٣ .

(2) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٣٤/١ .

(3) جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٣٤/١ .

(4) سورة الأعراف ، آية : ٩٦-١٠٠ .

يؤمنوا ويتقوا ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [1] بالعقوبات والبلايا ، ونزع البركات ، وكثرة الآفات ، وهي بعض جزاء أعمالهم ، وإلا ، فلو أخذهم بجميع ما كسبوا ، ما ترك على ظهرها دابة) [2] .

ثم قال رحمه الله تعالى : (يقول تعالى منبهاً للأمم بعد هلاك الأمم الغابرين ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ ﴾ [3] أي أولم يتبين ويتضح للأمم الذين ورثوا الأرض بعد إهلاك من قبلهم بذنوبهم ، ثم عملوا كأعمال أولئك المهلكين ؟ أو لم يهتدوا أن الله لو شاء لأصابهم بذنوبهم ، فإن هذه سنته في الأولين والآخرين) [4] .

والعقوبة على الذنوب تكون بالذنوب بعدها ، ثم تأتي العقوبة على الذنوب الأخرى بالمصائب والآلام .

فإن من عقاب السيئة السيئة بعدها [5] ، وهذه هي العقوبة الأولى .

ثم تأتي العقوبة الثانية على هذه الذنوب بالمصائب والآلام .

والذنب الأول إنما هو عقوبة على ترك ما خلق الله وفطر عليه من محبة الله وعبادته والإنابة إليه ، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [6] ، فلما لم يفعل العبد ما خلق له وفطر عليه من محبة الله وعبوديته عوقب على ذلك بما زينه له الشيطان من الشرك والمعاصي [7] ، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (العقوبة نوعان : فيعاقب على هذا العدم بفعل السيئات لا بالعقوبة المؤلمة ، ثم يعاقب على فعل السيئات

---

(1) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ٩٦ .

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي : ٢٦٠ .

(3) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ١٠٠ .

(4) المصدر نفسه : ١٦١ .

(5) سيأتي بيان ذلك في الفصل الثالث من الباب الثاني ، ص (٦٩٧) .

(6) سورة الروم ، آية : ٣٠ .

(7) انظر مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ٩٨-٢٠١ .

بالآلام ، ولا يعاقب عليها حتى تقوم الحجة عليه بالرسالة ، فإذا عصى الرسول استحق العقوبة التامة) [1] .

وهذا ما أشار الله تعالى إليه في قوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فهذه العقوبة الأولى ، ثم قال : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ فهذه العقوبة الثانية ، فرتب سبحانه هاتين العقوبتين إحداهما على الأخرى [2] .

ومما هو مؤكد أن الله سبحانه وتعالى ليس له غرض في تعذيب عباده ، فلا يعذبهم سبحانه تشفياً فيهم ، ولا حاجة به إلى ذلك ، ولا يعذبهم سدى بلا سبب ، ولكن العبد ترك الشكر والإيمان واستبدله بالكفر والشرك والطغيان ، فوقع عليه جزاء ذلك وعقوبته من ربه ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾ [3] .

وهذه العقوبة هي مقتضى العدل والحكمة الإلهية في حق عباد الله العاصين . ولذلك فقد نفى الله الظلم عن نفسه ونسبه إلى العباد ، فقال : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [4] .

وفي هذا المعنى أيضاً وهو بيان تمام عدله سبحانه في إنزال العقوبة على الخلـق بالمصائـب والآلام والشرور قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [5] ، يقول ابن القيم رحمه الله : (وتأمل قوله الحق ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ﴾[6] وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [7] كيف عدل

---

(1) المصدر نفسه : ٢٠١ .

(2) انظر المصدر نفسه : ١٩٩ .

(3) سورة النساء ، آية : ١٤٧ .

(4) سورة النحل ، آية : ١١٨ .

(5) سورة الحشر ، جزء من الآية : ١٩ .

(6) سورة الحشر ، جزء من الآية : ١٩ .

(7) سورة الحشر ، جزء من الآية : ١٩ .

فيهم كل العدل بأن نسيهم كما نسوه وآتاهم حظوظ أنفسهم ونعيمها وكمالها ، وأسباب لذاتها وفرحها ، عقوبة لهم على نسيان المحسن إليهم بصنوف النعم ، المتحبب إليهم بآلائه ، فقابلوا ذلك بنسيان ذكره والإعراض عن شكره ، فعدل فيهم بأن أنساهم مصالح أنفسهم فعطلوها ، وليس بعد تعطيل مصلحة النفس إلا الوقوع فيما تفسد به وتتألم بقوته غاية الألم) [1] .

والمقصود من كل ما سبق أن الآلام والمصائب التي خلقها ا تبارك وتعالى وجعلها في هذا العالم ، ليس في شيء منها ظلم للعباد ، بل كلها عدل منه تبارك وتعالى ، وذلك بالنظر إلى ما في هذه الآلام من الحكم العظيمة ، والعواقب الحميدة ، والغايات المطلوبة .

فكل ما يحصل من الشرور إنما وضع في الموضع الذي يناسبه ولا يناسبه غيره ، بل قد لا يستقيم الخلق إلا به . ومن تأمل حكم ا تعالى في خلقه علم أن كل ما في الكون لم يخرج عن عدله تبارك وتعالى وحكمته وتدبيره .

ثانياً : إثبات السلف لوجود الأعواض من الله تبارك وتعالى .

العوض هو البدل [2] أو الخَلَف [3] .

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ٢١٠ .

(2) انظر : لسان العرب ، لابن منظور : ١٩٢/٧ .

(3) انظر : القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ٣٣٧/٢-٣٣٨.

وقد ذهب السلف إلى الإيمان بوجود الأعواض والبدائل على ما يصيب العبد المؤمن من المصائب والآلام في الدنيا ، إلى جانب إيمانهم بأن هذه المصائب وتلك الآلام إنما هي مقتضى حكمة الرب تبارك وعلمه في خلقه .

ومستند إثبات السلف للأعواض هو الكتاب والسنة . فقد جاء في كتاب ا الكريم وسنة نبيه ﷺ الإشارة إلى كثير من الأعواض التي تنقسم إلى قسمين :

١- العوض على الأعمال الصالحة .

٢- العوض عن المصائب والآلام .

١- العوض على العمل الصالح :-

فقد جاءت عدة آيات أثبت ا تعالى فيها أعواضاً للعباد جزاء أعمالهم الصالحة منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١) .

فهذه مبايعة عظيمة ، ومعاوضة جسيمة ، وهي أنه تعالى اشترى بنفسه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة بما فيها من ملذات ونعيم ، فالعوض هنا هو أكبر الأعواض وأجلّها وهو الجنة (٢) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) .

---

(1) سورة التوبة ، آية : ١١١ .

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي : ٣١٠ .

(3) سورة البقرة ، آية : ٢٤٥ .

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٣ ﴾ (2) .

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أيضاً إثبات الأعواض على الأعمال الصالحة ، فعن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (تكفل ا لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيل ا وتصديق بكلماته ، أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر وغنيمة) (3) .

وعنه رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس ا عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على مسلم في الدنيا يسر ا

---

(1) سورة النساء ، آية : ١٣ .

(2) سورة الصف ، آية : ١٠-١١-١٢-١٣ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الخمس ، باب قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم : ١١٣٥/٣ ، صحيح مسلم ، كتاب الأمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل ا : ١٤٩٦/٣ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر ا عليه في الدنيا والآخرة وا في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) [1] .

وعنه رضي ا عنه أن النبي ﷺ قال : (ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً) [2] .

وعنه رضي ا عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (قال ا تبارك وتعالى : يا ابن آدم أَنفق أُنفق عليك) [3] .

ومما يدل على وجود الأعواض أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [4] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم ، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل ، وفي الآخرة بالجزاء والثواب) [5] .

٢- الأعواض عن المصائب والآلام :-

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن : ٢٠٧٤/٤ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

(2) البخاري : كتاب الزكاة ، باب قوله تعالى : { فأما من أعطى واتقى } : ٥٢٢/٢ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : في المنفق والممسك : ٧٠٠/٢ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله وكان عرشه على الماء : ١٧٢٤/٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف : ٦٩٠/٢ .

(4) سورة سبأ ، آية : ٣٩ .

(5) تفسير ابن كثير : ٨٦١/٣ .

فقد جـاء في كتاب ا تعالى بيان عوض الصابرين على المصائب من المؤمنين ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٢ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٤ ﴾ (1)(2).

وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾ (3) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ٥٨ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩ ﴾ (4).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (5) .

---

(1) سورة الرعد ، آية : ٢٢-٢٤ .

(2) هذه الآية تتناول الصبر بنوعيه على المصائب وعلى الطاعـات وفعلها وهذا يتضح من السياق العام للآية ، وا أعلم .

(3) سورة الحج : ٣٤-٣٥ .

(4) سورة العنكبوت ، آية : ٥٨-٥٩ .

(5) سورة الزمر ، آية : ١٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوفْ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾ [١]
.

وعن عطاء بن أبي رباح [٢] قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة فقلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء ، أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع وإني أتكشف ، فادع الله لي ، قال : (إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ، فقالت : أصبر ، فقالت : إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف ، فدعا لها) [٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يشاكها) [٤] .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ١٥٥-١٥٦ .

(2) عطاء بن أسلم بن صفوان ، تابعي من أجلاء الفقهاء ، كان عبداً أسود ، ولد في اليمن سنة ٢٧هـ ، ونشأ بمكة ، وكان مفتي أهلها ومحدثهم وتوفي فيها سنة ١١٤هـ ، انظر تذكرة الحفاظ : ٩٢/١ ، تهذيب التهذيب : ١٩٩/٧ ، الأعلام : ٢٣٥/٤ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، باب فضل من يصرع من الريح : ٢١٤٠/٥ .

وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض : ١٩٩٤/٤ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرض : ٢١٣/٥ .

وعن ابن مسعود رضي ا عنه أن رسول ا ﷺ قال : (ما من مسلم يـصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط ا به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها) [1] .

وعن أنس رضي ا تعالى عنه قال : سمعت رسول ا ﷺ يقول : (إن ا عز وجل قال ، إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة) يريد عينيه [2] .

وبناء على ما ورد في كتاب ا وسنة نبيه تعالى من إثبات الأعـواض علـى الأعمال الصالحة ، والصبر على المصائب والآلام الذي هو من ضمن أعمـال العبـد الصالحة ، فإن السلف ذهبوا إلى إثبات العوض وعدم نفيه .

ولكن إثبات السلف لوجود العوض يتضمن أمرين :

الأول : إن إثبات الأعواض لا يستلزم إيجابها على ا تعالى ، فقد ذهب السلف إلـى عدم إيجاب شيء على ا تعالى إلا ما أوجبه على نفسه ، بما يوافق منته وكرمه وفضله .

كما أنه لم يرد في كتاب ا ولا في سنة رسول ا ﷺ وجوب الأعواض علـى ا تعالى ، وإنما حاصل ما في كتاب ا تعالى أنه قد وعد عباده المؤمنين بأصـناف من النعيم والعطايا جزاء على أعمالهم الصالحة ، أو صبرهم على قـضاء ا تعـالى وعلى ما نزل بهم من مصائب أو آلام .

وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب ثـواب المـؤمن فيمـا يصيبه من مرض : ١٩٩٠/٤ .

(1) البخاري ، كتاب المرضى ، باب شدة المرض : ٢١٤٥/٥ .

ومسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيمـا يصيبه من مرض : ١٩٩١/٤ .

(2) البخاري ، كتاب المرضى ، باب فضل مـن ذهـب بـصره : ٢١٤/٥ .

وإن كان بعض هذا الجزاء قد دخل ضمن وعود الله للعباد ، فإنه سبحانه هو الموجب له بمحض فضله ورحمته التي يؤتيها من يشاء من عباده ، وليست من باب الإيجاب العقلي أو المعاوضة بين الخالق والمخلوق [١] .

الثاني : إن إثبات العوض على الأعمال الصالحة والمصائب والآلام ليس مماثلاً للمعاوضة التي تكون بين المخلوق والمخلوق ، أو بين الأجير والمستأجر ، فإن هذا لا يمكن تصوره ، وفيه كثير من المفاسد ، فإن ما يعوض الله تعالى به عباده إنما هو محض فضله وكرمه ، ولا حق لأحد من عباده عنده ، إلا ما أحقه هو سبحانه على نفسه.

وقد جاء عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها كانت تقول : قال رسول الله ﷺ : (سددو وقاربوا وأبشروا ، فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل) [٢] . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (فنفى بهذا الحديث ما قد تتوهمه النفوس من أن الجزاء من الله عز وجل على سبيل المعاوضة والمقابلة ، كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا ، فإن الأجير يعمل لمن استأجره فيعطيه أجره بقدر عمله على طريق المعاوضة ، إن زاد زاد أجرته ، وإن نقص نقص أجرته ، وله عليه أجرة يستحقها كما يستحق البائع الثمن . فنفى ﷺ أن يكون جزاء الله وثوابه على سبيل المعاوضة والمقابلة والمعادلة) [٣] .

ولعل بعض الطوائف نظرت في الآيات التي ترتب الجزاء على الأعمال ، فتوهمت أن ما يكون من الجزاء إنما هو على سبيل العوض والمقابلة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ

---

(1) انظر ص(١٧٣) من هذا البحث .

(2) سبق تخريجه ص (١٧١) .

(3) جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١/١٤٧-١٤٨ .

لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (1) .

وقوله تعالى : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ (2) .

وقوله تعالى : ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (3) . والحق أن هذه النصوص تبين أن العمل سبب للثواب والباء للسبب ، وهذا حق لا مرية فيه ، ولا تنافي بين هذه الآيات وبين حديث رسول الله ﷺ السابق ذكره ، فالحديث ينفي المعاوضة والمقابلة التي يولد اعتقادها ما يولد من مفاسد ، والآيات تثبت السبب الموجب لحدوث الجزاء وهو العمل ، فلا بد من العمل المأمور به ، ولا بد من رجاء رحمة الله وعفوه وفضله ، أما أن تكون الباء هنا كالباء الداخلة في المعاوضات ، كما يقال : استأجرت هذا بكذا ، وأخذت أجرتي بعملي فهذا غلط من وجوه (4) :

الأول : إن الله سبحانه وتعالى غني عن عباده ، لا يحتاج إلى عمل عامل منهم ، والحاجة إلى العمل وإعطاء العوض مقابلاً له إنما يتصور بين المخلوق والمخلوق ، كما يحتاج المخلوق إلى عمل من يستأجره ، وهذا لا يصلح في حق الله

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .

(2) سورة الحاقة ، آية : ٢٤ .

(3) سورة السجدة ، آية : ١٩ .

(4) سبق ذكر جزء من هذه الوجوه في سياق الرد على المعتزلة في وجوب الثواب على الله تعالى ، ورأيت إعادته بزيادة تفصيل لأهميته في هذا المبحث ، والله أعلم ، راجع ص(١٧١) من هذا البحث .

تبارك وتعالى ، وهو القائل في الحديث : (يا عبـادي إنكـم لـن تبلغـوا ضـري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) [1] .

وعلى ذلـك فإن ثمرة عمل العبد ، تعود على العبد نفسه ، كما قـال تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [4].

أما العباد فإنهم هم المحتاجون إلى الله تعالى ، لجلب منفعة أو دفع مضرة ، أما الرب تبارك وتعالى فلا يتصور ذلك في حقه . ولا يكون ما يعطيه لعباده من الجـزاء على الأعمال هو عوض عن عملهم له ، فإنه تعالى لا ينفعه عمل عبـد ولا يـضره ، وما يعطيه الله تبارك وتعالى للعباد من الثواب والجزاء إنما هو رحمة منه وفـضل ، وهو من تمام عدله وعظيم رحمته .

ثانياً : إن الله تعالى قد من على عباده بالنعم الكبيرة ، والآلاء الجسيمة ، فهـو الذي خلقهم وأحياهم وأوجدهم وأقدرهم ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل إليهم الكتـب ،

---

(1) سبق تخريجه ص(٧٨) .
(2) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .
(3) سورة الزمر ، آية : ٧ .
(4) سورة النمل ، آية : ٤٠ .

وهو بذلك قد يسر لهم العمل ، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم ، وكـره إلـيهم الكفر والفسوق والعصيان .

وهذا لا يكون بين المخلوق والمخلوق ، فإن المخلوق إذا عمل لغيره عمـلاً لـم يكن المستعمل هو الخالق لعمل أجيره ، ولا هو الذي أقدره ولا أحياه ولا أوجده ، ولا هو منعم عليه ، ولذلك فإن على المستعمل عوضاً مستحقاً للأجير ، فكيف يتـصور أن يكون للعبد على الله عوض وهو الذي خلقه وأحدثه وأنعم عليه .

ولو صلح ذلك ، لكان الله تبارك وتعالى يعطي عباده عوضاً على نعمته الأخرى وهو المنعم بكلتا النعمتين (الإيجاد والخلق وتيسير العمل – والجزاء على العمل) بل بكل النعم .

ثالثاً : إن عمل العبد لو بلغ ما بلغ ، فليس هو مما يكون مقابلاً لثواب الله ، ولا معادلاً له حتى يكون عوضاً ، والواجب في العوض أن يكون على قدر المنفعـة المقدمـة ، وهذا لا يتحقق في عمل العبد . فإن أقل أجزاء ثواب الله تعالى يستوجب أضعاف العمل من العباد ، بل إن العبد قد يمتع في الدنيا وينعم ، بما يستحق فـي مقابلـة أضـعاف أضعاف عمله إذا طلبت المعادلة والمقابلة ، وهذا ما لا قدرة للعبد فيه .

رابعاً : إن العباد لا بد لهم من سيئات ، ولا بد لهم في حياتهم مـن تقـصير . ولولا عفو الله تعالى لهم عن كثير من السيئات ، ولولا تقبله أحسن أعمالهم ، لما كـان لهم ثواب أصلاً ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : (من نوقش الحساب عذب . قالت عائشة : يا رسول الله ، أليس الله يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ۝ ﴾[1] قال : ذلك العرض ، ومن نوقش الحساب عذب)[2] .

---

(1) سورة الإنشقاق ، آية : ٧-٨ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتـى يعرفه : ٥١/١ .

ولهذا لما سأل الصحابة عليهم رضوان الله تعالى رسول الله ﷺ فقـالوا : (ولا أنت يا رسول الله ؟) أجابهم عليه الصلاة والسـلام : (ولا أنـا إلا أن يتغمـدني الله برحمته) [1] ، فتبين بهذا الحديث أنه لا بد من عفو الله وتجاوزه عن العبد ، وإلا فلـو ناقشه تبارك وتعالى على عمله لما استحق به الجزاء .

فالله سبحانه وتعالى يتقبل من عباده أحسن أعمالهم وأصوبها ، ويعفو عن كثير منها ، وهذا ما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [2] ، وقـال تعالـى : ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [3][4] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (أفاد هذا الحـديث ألا يعجـب العبد بعمله ، بل يشهد نعم الله عليه ، وإحسانه إليه في العمل ، وأنه لا يستكثر العمل ، فإن عمله لو بلغ ما بلغ ، إن لم يرحمه الله ويعف عنه ويتفضل عليه ، لم يستحق بـه شيئاً ، وأنه لا يكلف من العمل ما لا يطيق ضامناً أنه يزداد بذلك أجره ، كمـا يـزداد أجر الأجير الذي يعمل فوق طاقته فإن ذلك يضره) [5] .

وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، بـاب إثبـات الحساب : ٢٢٠٥/٤ .

(1) سبق تخريجه ص(١٧١) .

(2) سورة الأحقاف ، آية : ١٦ .

(3) سورة الزمر ، آية : ٣٥ .

(4) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٤٨/١-١٥٠ .

(5) جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٥١/١ .

خامساً : إن الحديث السابق جاء في سياق أمره عليه الصلاة والسلام لأصـحابه بالاقتصـاد في العمل على قدر الطاقة ، وعدم الغلو والتنطع وتكليـف الـنفس مـا لا تطيق ، فقال عليه الصلاة والسلام : (سددوا وقاربوا ، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله) [1] .

وعن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (إن الدين يسر ولن يشاد الـدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) [2] .

فهذا الحديث ينفي المعاوضة والمقابلة التي يولد اعتقادها كثيراً مـن المفاسـد ، وإنما يثبت الحديث السبب الذي لا بد منه من جهة العبد ، وهو العمل [3] .

وإذا كان هذا هو قول السلف في باب الجزاء على الأعمال ، فإن الجزاء علـى المصائب مندرج معه ، والقول في الأعواض عن المصائب لا يختلف عن القول فـي الأعواض عن الأعمال الصالحة ، فإن الأعواض التي تكون على المـصائب – مـع إثباتها – فهي ليست حقاً للعبد ، ولا مستحقة له على ربه تبارك وتعالى .

ولكن ا تبارك وتعالى جعل لجزائه وثوابه على الأعمال الصالحة وعلى الصبر على البلايا أسباباً ، وهذه المصائب والآلام التي تصيب العبد إنما هي أسباب لإيـصال الجزاء الذي هو محض فضله تعالى ومنه على خلقه .

وكما مر معنا فإن السبب لا يوجب المسبب ، بل لا بد من أن يضم ا تعـالى إليه أموراً أخرى ، وأن يدفع عنه آفات أخرى ، حتى يحدث المسبب [4] .

---

(1) سبق تخريجه ص(١٧١) من هذا البحث .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر : ١٦٠/٣ .

(3) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٤٧/١ ، ١٥١ .

(4) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٥٢/١ .

وإذا ثبت لدينا وجود أعواض وعد ا بها عباده المؤمنين ، وهي محض فضله وكرمه ورحمته وليست هي واجبة عليه . فإن من وقعـت علـيهم المـصائب والآلام تختلف أعواضهم بحسب أحوالهم .

فالمكلفون من المؤمنين ذكرنا بعضاً مما أعد ا لهم جزاء عملهـم وصـبرهم وشكرهم على بلاء ا تعالى .

وأما المكلفون من غير المؤمنين فإن ما يصيبهم من المصائب في هـذه الـدنيا قسمان :

- إما أن يكون من الاستئصال الذي يصيب ا به الأمم المكذبة ، كما وقع في الأمم المكذبة لأنبيائها ، فهؤلاء يمتد بهم العذاب في الآخـرة ، ولا أعواض لهم ، لأن الآلام التي وقعت بهم إنما هي من باب العقاب المتعجل في الدنيا ، ويدل على ذلك قوله تعالى من آل فرعون : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [1] .

  فذكر سبحانه وتعالى أن النار هي مأواهم في البرزخ ، ويوم القيامة ، فعذابهم في الدنيا بالغرق هو مما عجله ا لهم قبل الآخرة [2] .

- وأما ما يصيب الكفار من الشرور والمصائب والآلام في الدنيا فهي عقوبة لهم على ذنوبهم ، وهي من إمهال ا لهم ليزدادوا إثماً على إثمهـم ، ثـم إن تعالى في ذلك حكماً كثيرة لا نعلمها .

ولا أعواض للكافرين في الآخرة ، ذلك أن الأعواض إنما هي جزاء المـؤمنين على صبرهم وشكرهم تعالى على جميع أفعاله تعالى فيهم ، وهذا مـا لا يحـصل للكافر ، فإن الكفر محبط لجميع الأعمال .

---

(1) سورة غافر ، آية : ٤٦ .

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٦٨٥ .

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ (١) : (أي لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان (٢) ، فإن من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأطم) (٣) .

أما غير المكلفين فهم قسمان :

الأول : غير المكلفين من الأطفال والمجانين :

وهؤلاء يدخلون الجنة عن طريق التبعية ، حيث إن الأبناء يتبعون الآباء المؤمنين ، يقول ا تبارك وتعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ (٤) .

وقد يدخلون الجنة بعد الامتحان الحاصل في عرصات يوم القيامة ، كما جـاءت به الآثار (٥) .

وهؤلاء فإن ما حصل لهم من المصائب والآلام اليسيرة المنقطعة ، كانت لهم به مصلحة ورحمة ونعمة ، في جنب ما ينالهم من السعادة العظيمة ، والنعيم المقيم (٦) .

---

(1) سورة العنكبوت ، آية : ٤ .

(2) إشارة إلى قوله تعـالى : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ ، سورة العنكبوت ، آية : ١.

(3) تفسير ابن كثير : ٦٤٥/٣ .

(4) سورة الطور ، آية : ٢١ .

(5) انظر ص(٥١٢) من هذا البحث .

(6) انظر مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩٦ .

الثاني غير المكلفين من الحيوانات والبهائم ، فإنه يحصل لهم من اللذة والخيـر والنعيم في الدنيا أعظم ما يحصل له من الألم بأضعاف مضاعفة ، وذلك لأن الحيـوان يلتذ بأكله وشربه ونومه وراحته ونكاحه وغير ذلك . فنعيمه أضعاف ألمه .

وقد خلق ا تعالى الحيوان على هذه الهيئة ، وهذه النـشأة بمقتـضى الحكمـة الإلهية ، ولو لم يكن على هذه النشأة التي يلتذ ويتألم ويشبع ويجوع ويعطش ويعـري بمقتضاها لتعطلت عدة مصالح في وجودها خير عظيم . فهنا لا بد من أربعة احتمالات :

الأول : أن يعطل ا تعالى جميع المصالح الحاصلة للحيوان وغيـره ، بتـرك خلق الحيوان ، لئلا يحصل له الألم ، وهذا ممتنع لمنافاته للحكمة ، لأنه يستلزم تعطيل منافع ومصالح كثيرة ، لما يتضمنه من مفاسد قليلة .

وترك الخير الكثير لأجل ما فيه من الشر القليـل منـاف للحكمـة والرحمـة والمصلحة .

الثاني : أن يخلق الحيوان على نشأة لا يلحقه بها ألم .

وهذا ممتنع في نفسه ، وذلك لأن من لوازم إنشائه في هـذا العـالم أن يكـون عرضة للمتضادات من الحر والبرد ، والجوع والعطش ، والتعب والراحة ، وهذا هو شأن العالم الذي مزج خيره وشره .

ولو اقتضت الحكمة تخليص الحيوان من ألمه ، لكان الإنسان الذي هو أفـضل منه أولى بذلك ، ولو فعل سبحانه ذلك لفاتت مصالح كثيرة سبق وأن ذكرنا طرفاً منها.

الثالث : أن ينشأ الحيوان على صفة لا ينال بها لذة .

ولا ريب أن ذلك مفسدة خالصة ، فلا تقتضيه الحكمـة الإلهيـة ، إذ لا يكـون لإيجاده مصلحة .

فلم يبق إلا القسم الرابع والأخير وهو :

الرابع : أن يكون على هذه الصفة ، وهذه النشأة التي هـو عليهـا . وهـو أن يعترضه الألم والجوع والعطش ، إلى جانب ما يحصل له من اللذة والنعيم والراحة .

وهذا القسم هو الحاصل ، وهو الأفضل ولا يستقيم خلق الحيوان إلا به . وهـو مقتضى حكمة الرب تبارك وتعالى ، ومراعاته لمصالح عباده [1] .

وإذا فهم هذا علم أن تعذيب الحيوان وتعريضه للألم ليس ظلماً لـه ، فـإن ا تعالى قد خلقه على نشأة وصفة ، بحيث يحصل له من النعيم والراحة ما يكون أضعاف أضعاف ما يحصل له من الألم والجوع والعطش والذبح ، ففي خلـق الحيـوان بهـذه الصفة مصلحة للحيوان وللعباد .

وقد جاء في الحديث الصحيح ما يدل على اقتصاص الحيوانـات بعـضها مـن بعض ، وهذا مما يدل على تمام عدله سبحانه وتعالى ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء [2] من الشاة القرناء) [3] .

وهذا إنما يدل على تمام العدل الإلهي وكماله ، وسعة رحمته تبـارك وتعـالى بجميع خلقه .

---

(1) انظر مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم : ١٩٦ وما بعدها .

(2) الجلحاء : التي لا قرن لها ، انظر النهاية في غريب الحـديث : ١٩٩/١ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب تحريم الظلـم : ١٩٩٧/٤ مـن حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

مذهب المعتزلة في المصائب والآلام ودخول الشر في القضاء الإلهي :

يستند مذهب المعتزلة في مسألة المصائب والآلام على أصلهم في الخير والشر ، ودخوله في القضاء الإلهي .

فقد ذهب المعتزلة إلى أن الخير هو : (النفع الحسن وما يؤدي إليه) .

والشر هو : (الضر القبيح وما يؤدي إليه في الأصل) .

وعلى ذلك فإن الضرر الحسن لا يقال إنه شر ، والضرر الحسن هو ما يفعلـه ا تعالى من العقاب في الآخرة ، وما أمر به وشرعه في الدنيا من الحدود ونحوها .

ويرى المعتزلة أن تسمية هذا الضرر وما يماثله بالضرر الحسن ، بالنظر إلـى عواقبه الطيبة ، وموافقته الحسن والقبح العقليين ، وإصابة الحكمة والعدل فـي الـدنيا والآخرة ، أما الضرر القبيح فهو الضرر المحض الذي لا نفع فيه ، وهو الشر ، وهذا لا يوصف به الخالق [1] .

---

(1) انظر فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : ١٧٨ ومـا بعـدها ، ورسائل العدل والتوحيد : ٢٧١/١ .

يقول القاضي عبد الجبار : (فإن قيل : أليس المعلوم على لسان الأمة أن الخير والشر من ا ، وأن الخير والشر بقضاء ا وقدره ، ولا شـر أعظـم مـن الكفـر والمعاصي ، فقولوا : إنهما من ا ، وإلا خرجتم عن الإجماع .

قيل : إن الخير هو النفع الحسن وما يؤدي إليه ، والشر هو الضرر القبيح ومـا يؤدي إليه في الأصل ، ويجري على غيره مجازاً ، ولذلك لا يقال في الضرر الحـسن إنه ستر ، ولذلك لا نصف ما يفعله ا تعالى من العقاب في الآخرة ولا ما أمر به في الدنيا من الذم ، وإقامة الحدود وغيرها ، بأنه شر ، وعلى هذا الوجـه لا يوصـف ا تعالى بأنه شرير ، وإن أكثر من المضار الحسنة ، ومن وصفه بذلك أو قال هو مـن الأشرار ، يكون كافراً . فإذا صح ذلك ، وثبت أنه لا يفعل القبيح ، كـان مـن بـاب الضرر وغيره ، لم يجز أن يقال : إنه تعالى يفعل الشر ، ولما كان ما ينزل بـالمؤمن من مرض وفقر ومصيبة منها ، لما يقع به من المضار القبيحة كالظلم وغيره ، تـوهم الناس الذين يقل تمييزهم ، وقد علموا أن ذلك من قبل ا تعالى ، أنه يجوز أن يقال : خالق الشر ومتى بين لهم أن كل ذلك من باب المصالح ، ومما للمرء فيـه أغـراض ، وله في الصبر عليه ثواب ، ....علموا أن ذلك الوصف لا يليق با ، وإنما يستجيز إطلاق ذلك ، من يـزعم أن أفعـال العبـاد مخلوقة تعالى) [1] .

وقد قسم المعتزلة الشر الواقع في العالم إلى قسمين :

الأول : الشرور الواقعة في أفعال العباد ، وما تولد منها من ظلم وقبح ، فهذه لا تدخل عندهم في القضاء الإلهي تنزيها للرب عن نسبتها إليه .

الثاني : الشرور الأخرى التي لا تتعلق بأفعال العباد ، كالـسموم والأمـراض والآلام والمصائب وغيرها ، فهذه عندهم من ا تعالى ، على سبيل المجاز لا الحقيقة ، إلا عند عباد ، فقد أنكر خالق ا ذلك على الحقيقة ، ولكن قوله يؤول إلى قـول جمهـور المعتزلة ، لأن إنكاره خالق ا تعالى للشرور في الحقيقة يدل على أنه يخلقها مجازاً .

---

(1) فضائل الاعتزال وطبقات المعتزلة : ١٧٨-١٨٠ .

وعلى ذلك فالمعتزلة متفقون على أن ا يخلقها مجازاً ، وقالوا : إن ذلك كلـه حسن ، لما فيه من المصلحة العاجلة والآجلة [١] .

وهذا القول عن المعتزلة نقله عنهم ابن القيم ، كما نقله الأشعري ، وهو موافـق لكلام القاضي عبد الجبار في فضائل المعتزلة .

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَا لِهَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ [٢] فقالوا : إن المراد بهذه الحسنة الخصب والرخاء ، وبهذه السيئة الشدة والأمراض .

أما قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً ﴾ [٣] قالوا : المراد بذلك الطاعات والمعاصي .

وجعلوا تفسيرهم هذا لهذه الآيات دافعاً للتناقض الظاهر من الآيات [٤] ، ولـذلك قال القاضي عبد الجبار في تفسيره لهذه الآيات : (ولولا حكمة ما ذكرناه لكان الكلام متناقضاً ولقالت العرب لرسول ا ﷺ أنت تزعم في القرآن أنه لو كان من عند غيـر

(1) انظر طريق الهجرتين ، وباب السعادتين : ١٥٨ ومـا بعـدها ، ومقالات الإسلاميين للأشعري : ٤١٢/١ .
(2) سورة النساء ، آية : ٧٨ .
(3) سورة النساء ، آية : ٧٩ .
(4) انظر تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار : ١٠٢ .

ا لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، وقد وجدنا ذلك ، وإنما عدلوا عـن هـذا القـول ، لأن المراد بالأول المصائب والأمراض ، وبالثاني المعاصي فأضافها إلى نفس الإنسان) [١].

واختلف المعتزلة فـي الآلام وحكمها ومدار الحكم عليها ، على عدة أقـوال : الأول : ذهب بعضهم إلى أن الآلام قبيحة ، إلا إذا كان فيها نفع أو استحقاق ، ولـيس المراد بالنفع الأعواض ، وإنما تحسن للاعتبار والمصلحة ، وهو قول عباد [٢] .

الثاني : ذهب أبو علي الجبائي إلى أن الآلام إنما تحسن من ا تعالى لمجرد ما يكون لها من الأعواض .

الثالث : ذهب أبو هاشم إلى أنها لا تحسن إلا للعوض والاعتبار معاً .

وإلى ذلك ذهب القاضي عبد الجبار ، بعد أن ذكر الاختلاف في هذه المسألة [٣].

ويرى القاضي عبد الجبار : أن الآلام شأنها شأن غيرها من الأفعال ، تقبح مرة وتحسن أخرى ، فإذا حسنـت فلوجـه وهو وجه العوض والاعتبار ، وفي ذلك يقول : (وأعلم أن الصحيح في هذا الباب أنها تحسن لانتفاء وجوه القبح عنها ، فما ينفي وجوه القبح عنها هو أن تكون للعوض فقط ، لأنها بذلك تكون عبثاً ، فا تعالى قادر علـى الابتداء بجنس الأعواض ، وإن لم يكن هناك ألم) [٤] .

وعلى ذلك فإن الآلام والمصائب عند المعتزلة إنما تحسن من ا تعالى لما فيها من أمرين :

---

(1) المصدر نفسه ونفس الصفحة .

(2) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٤٨٩ .

(3) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبـار : ٢٢٦/١٣ ، ٢٢٧ ، وطريق الهجرتين وباب الـسعادتين : ١٥٩ – ١٦٠ .

(4) انظر شرح الأصول الخمسة : ٤٩٤ .

١- الاعتبار وهو أخذ العبرة منها لمن لم تحصل له .

٢- العوض وهو ما يعرفه المعتزلة بأنه : (كل منفعة مستحقة لا على طريق التعظيم والإجلال) [١] .

ويعنون بذلك أن ا تبارك وتعالى يعوض العبد الذي أصابته المصائب والآلام في الدنيا ، بما يكون عوضاً عن تلك الآلام في الآخرة .

فالآلام عند المعتزلة شأنها شأن جميع الأفعال تقبح مرة وتحسن مرة ، بغض النظر عن الفاعل ، فلا فرق في اختلاف الفاعلين ، يقول القاضي عبد الجبار : (إن الآلام كغيرها من الأفعال في أنها تقبح مرة وتحسن أخرى ، فإذا حسن فإنما يحسن لوجه ، متى وقع على ذلك الوجه حسن من أي فاعل كان ، وهكذا في القبيح) [٢] .

وجعل القاضي أحوالاً لكون الآلام حسنة :

١- إذا كان فيها نفع .

٢- إذا كان فيها دفع ضرر أعظم من الألم .

٣- إذا كان فيها استحقاق للألم .

٤- الظن لأحد الوجهين المتقدمين وهما جلب النفع أو دفع الضرر ، ولا يعتبر ظن الاستحقاق ، خلافاً لأبي هاشم الذي ذهب إلى أن ظن الاستحقاق يقوم مقام العلم [٣] ، أما القاضي عبد الجبار فيرى أن ظن الاستحقاق لا يصلح في كون الآلام حسنة من فاعلها ، لأن من آلم غيره لظن الاستحقاق ، فإنه

---

(1) انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(2) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٤٨٤ .

(3) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٤٨٤ .

لا يأمن أن يكون مقدماً على ظن قبيح ، والإقدام مع الظـن علـى القبـيح كالإقدام عليه مع القطع [1] .

ومما تقدم يظهر أن المعتزلة قد ذهبوا إلى وجوب العوض على الله تعالى وجوباً عقلياً ، لأن عـدم العوض يقبح فعله من الله تعالى ، والله سـبحانه وتعـالى لا يفعـل القبيح ، ولا تكون أفعاله إلا حسنة .

ويتبين ذلك من تعريفهم للعوض بأنه (منفعة مستحقة) أي أنه واجب علـى الله تبارك وتعالى بحكم استحقاق العبد له .

وهذا هو مقتضى العدل الإلهي عند المعتزلة ، وهو أن يكون العوض واجبـاً على الله تعالى وجوباً عقلياً ، وذلك في حالتين :

الأولى : إذا كان الألم من الله تعالى لا لذنب أو إخلال بواجب من العبد ، بـأن يكون الألم ابتداء من الله تعالى ، أما إذا استحقه العبد بشيء من ذلك فلا يجب على الله تعالى .

الثانية : إذا كان الإيلام من مكلف لم يصرفه الله تعالى عن إلحاق الألم بالمجني عليه ، وكذلك لم يكن له حسنات يعوض بها الذي لحقه الألم [2] .

ويرى المعتزلة أن الذين يحصل لهم الألم والمصائب قسمان :

- مكلفون .
- غير مكلفين .

فأما المكلفون فلا بد في حالتهم من مراعاة أمرين معاً :

- العوض .
- الاعتبار ، وقد يكون للمكلف ، أو لغيره ، أو له ولغيره .

---

(1) انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(2) انظر المصدر نفسه : ٤٨٥ .

أما غير المكلف كالأطفال والبهائم والمجانين ، فلا بد أن يقابل ألمهم بعوض يكون على قدر الألم أو يزيد ، حتى لا يكون الإيلام ظلماً ، كما أنه لا بد أن يقصد بذلك اعتبار المكلفين ، حتى لا يكون عبثاً [١] .

والمتأمل يلحظ أنه لا فرق في الحقيقة في حال المكلفين أو غير المكلفين فلا بد في الحالين من العوض والاعتبار معاً ، وذلك على قول من ذهب إلى وجوب العوض والاعتبار معاً .

واختلف المعتزلة في دوام العوض :

- فذهب أبو علي الجبائي وغيره ، إلى أن العوض يستحق على طريق الدوام .

- وذهب أبو هاشم إلى أن العوض ينقطع ، وهذا الذي رجحه القاضي عبد الجبار وحكى رجوع الجبائي إليه [٢] .

وضرب المعتزلة مثالاً على عدم دوام العوض ، بما يشبهه من قيم المتلفات ، وأروش الجنايات ، وهذه لا تستحق على طريق الدوام .

واستدلوا بذلك على صحة عدم دوام العوض ، يقول القاضي : (والذي يدل على صحته ، هو أن نظير العوض في الشاهد قيم المتلفات وأروش الجنايات ، ومعلوم أن ذلك لا يستحق على طريق الدوام ، فإن من مزق على غيره ثوبه لا يلزمه أن يعطيه كل يوم ثوباً جديداً ، وأيضاً فلو كان كذلك لكان يجب أن لا يحسن في الواحد منا تحمل المشاق طلباً للأرباح والمنافع المنقطعة) [٣] .

---

(1) انظر شرح الأصول الخمسة : ٤٨٥ .
(2) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٤٩٤ .
(3) المصدر نفسه : ٤٩٤ .

أدلة المعتزلة على إيجاب العوض :-

استدل المعتزلة على وجوب العوض على الله تعالى بأدلة عقلية منها :

أولاً : إن عدم التعويض عن المصائب والآلام ظلم من الله تعالى ، والله تبارك وتعالى منزه عن الظلم لأنه قبيح .

ثانياً : إنه لا يحسن في الشاهد إيلام الإنسان بدون تعويضه بمنفعة أكبر ، أو دفع ضرر أعظم ، فكذلك في الغائب .

ثالثاً : انتصاف الله تعالى للبهائم يوم القيامة ، كما جاء في الحديث الذي جاء فيه عن النبي ﷺ : (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يعاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) [١] [٢] .

نقد مذهب المعتزلة :

يتضح مما تقدم من بسط مذهب المعتزلة في الآلام والمصائب ، ودخول الشر في القضاء الإلهي ، أن المعتزلة قد استندوا في ذلك على قولهم في التحسين والتقبيح العقليين ، وما لزم من ذلك من القول بالوجوب العقلي على الله تعالى .

وبناء على أصولهم هذه ، وعلى تعريفهم للعدل الذي نزهوا فيه أفعال الله تعالى عن القبح وترك الواجب ، قالوا بوجوب العوض على الله تعالى ، إيجاباً عقلياً ، وهذا الإيجاب الذي أوجبوه على الله تعالى هو المعتبر في كون الآلام التي يصيب الله بها عباده لا توصف بالقبح ، إضافة إلى إخراجهم بعض الشرور من أن تكون خلقاً لله تعالى إلا على سبيل المجاز .

---

(1) سبق تخريجه ص (٦٣٢) .

(2) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٤٩٤-٥٠٥ .

وقول المعتزلة إن خلق ا تعالى للشرور ليس حقيقة وإنما مجاز هو قول مبهم يحتاج إلى تفصيل :

- فإن كان مرادهم أن أفعال ا تعالى كلها خير ، وأن إطلاق الشر على ذلـك إنما هو من باب المجاز ، فهذا قول صحيح ، فإن الشرور في الوجود ، ليـست شـراً محضاً وإنما هي شر نسبي إضافي ، وبالنظر إلى ما فيه مـن المـصلحة والعواقـب الحميدة ، لا يكون شراً في الحقيقة ، لأن الخير دائماً هو الغالب .

- وإذا كان مرادهم أن نسبة خلق ا تعالى لهذه الشرور هي من المجاز ، وأن الحقيقة أن ا تعالى لم يخلق شراً ، فهذا قول فاسد يتنافى مع إثبات تفـرده سـبحانه وتعالى بخلق كل شيء .

والحق أن المعتزلة أرادوا المعنى الأول ، وهو أن ما يطلق عليه شر في أفعال ا تعالى ، ليس شراً محضاً ، ويؤيد ذلك قول القاضي عبد الجبـار الـسابق ، إلا أن المعتزلة أَخْرجوا أفعال العباد عن خلق ا فعلاً ، وكان مرادهم في أفعال العباد أنهـا تنسب إلى خلق ا تعالى من باب المجاز فقط وهو المعنى الثاني المراد من قـولهم ، وقد سبق تفصيل الرد على ذلك [1] و الحمد والمنة .

ولذلك فإن ما ذهب إليه المعتزلة يكمن خطؤه في نفيهم خلق ا تعالى لـبعض الشرور ، ومن ذلك أفعال العباد مع اعترافهم أن ا تعالى هو خـالق العبـد وخـالق قدرته.

أما ما أوردوه من الاستئناس بقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [2] فقالوا : هي الطاعات والمعاصي ، فقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وأبطل أقوالهم من عدة وجوه :

---

(1) راجع ص(١٨٠) من هذا البحث .

(2) سورة النساء ، آية : ٧٩ .

أولاً : إن أصلهم الذي بنوا عليه وهو أن فعل العبد حسنة كان أو سيئة هو مـن نفسه ، لا من الله تعالى ، بل إن الله قد أعطى كل واحد من الاستطاعة ما يفعـل بـه الحسنات والسيئات ، ولكن المؤمن – عندهم – أحدث فعل الحسنات ، والكافر أحـدث فعل السيئات ، وليس واحد من هذه الأفعال من فعل الرب ولا من إحداثه – عندهم - .

فهذا لا يتفق مع الآية التي فرق الله فيها بين الحـسنات والـسيئات ، وهـم لا يفرقون في الأعمال بين الحسنات والسيئات إلا من جهة الأمر ، لا من جهة كـون الله تعالى خالق الحسنات دون السيئات ، فهو – عندهم – لم يخلق هذا ولا هذا .

ثانياً : إن الآية حجة عليهم ، فإن الإنسان فاعل للحسنات والسيئات والله تعـالى هو المنعم بالحسنات – عملها وجزائها – فإنه إذا كان ما أصابه من حسنة فمـن الله ، فالنعم من الله ، وبذلك فإن العمل الصالح من الله ، لأنه نعمة أنعم الله بها على العبـد ، وهم يسلمون أن النعم من الله تعالى ، ونعمة الهداية والعمل الصالح أعظم النعم وأجلّها. فعادت كل الحسنات إلى الله تعالى لأن كلها نعم منه تبارك وتعالى [1] .

وقول المعتزلة بوجوب الأعواض وقصد الاعتبار على الله تعالى قول باطـل ، وإن كان متضمناً لإثبات معنى صحيح .

فقد ثبت عند السلف – كما تقدم – وجود أعواض وعد الله بها عباده المؤمنين ، ولكن لم يوجبها عليه أحد ، وهنا يكمن خطأ المعتزلة .

أما قولهم بالاعتبار ، فإنه لا شك أن من حكم الله تعالى في المصائب والآلام أن تكون عبرة لغير المصاب بها ، وهي بذلك تكون نعمة على غيره مـن العبـاد ، لمـا يحصل بها من الاعتبار ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى على لسان موسى وقومه : ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [2] .

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٤/١٤٤ .

(2) سورة يونس ، آية : ٨٥ .

ولكن المعتزلة أخطأوا في حصر الحكمة من المصائب في العوض والاعتبـار فقط ، فلو لم يكن فيها قصد الاعتبار لكانت عبثاً .

فهم مع إصابتهم في إثبات الحكم من المصائب ، أخطأوا في حصر هذه الحكـم في حدود ما أدركته عقولهم واستحسنته ، وغاب عنهم أن الله أجل وأعظم من أن تدرك حكمته عقول البشر .

ومما يزيد الأمر خطورة أنهم أوجبوا قصده تعالى لتلك الحكـم التـي أدركتهـا عقولهم ، وإلا كان سبحانه تاركاً لما هو واجب عليه ، وهذا يستلزم عندهم فعله للقبيح وتركه للحسن – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - .

ومما تقدم يتضح خطأ المعتزلة في عدة جوانب :

أولاً : إيجابهم العوض عن الآلام على الله تعالى إيجاباً عقلياً مبنياً على أصـلهم في التحسين والتقبيح العقليين ، وعلى هذين الأصليين اعتمد المعتزلة فـي تـصورهم للآلام والمصائب الواقعة من الله تعالى ، فأوجبوا تبعاً لذلك الأعواض .

ثانياً : إنكار بعضهم أن يكون الله تعالى متفضلاً بمثل الأعواض ، ومن جـوز ذلـك منهم قال : إن استيفاء المستحق حقه أهنأ له وألذ من قبول التفضل واحتمال المنة ، وفي ذلك استنكاف عن قبول فضل الله تعالى ومنته على خلقه ، وقد قال عـز مـن قائـل : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (1) .

وقولهم هنا مستند إلى قولهم باستحقاق العبد أموراً على الله تبارك وتعالى منهـا الثواب والعوض .

وعلى ذلك فإن ما ينال العبد من الأعواض والثواب إنما هو حق خالص للعبـد على الله تعالى ، ولا يعد تكرماً ولا تفضلاً من رب العالمين – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - .

---

(1) سورة الحجرات ، آية : ١٧ .

فبأي حق استحق العبد الإنعام عليه بالإيجاد والخلق وحسن الصورة والقـدرة ، وإعطائه القوى والآلات والأعضاء وغيرها من نعمه سبحانه التي لا تعد ولا تحصى .

ولكن المعتزلة لم يقدروا ا حق قدره ، بل قاسوا أفعاله على أفعـال عبـاده ، فوقعوا في كثير من الأخطار والأخطاء .

ثالثاً : حصرهم حسن الآلام في الاستحقاق ، أو أن تكون لجلب نفع أو دفع ضر أهم منها ، وإعراضهم عن أن تكون هذه الآلام والمصائب لحكمة بالغة .

فمع أن المعتزلة قد أصابوا في إثبات الحكمة في أفعـال ا تعـالى : إلا أنهـم أخطأوا في حصرها فيما أدركته عقولهم من الحكم ، مع أن تعالى حكماً بالغة ، منها ما تعلمه العقول ، ومنها ما لا يعلمه أحد [1] .

نقد أدلتهم على وجوب العوض :

الدليل الأول : وهو قولهم بأن عدم العوض عن المصائب والآلام ظلم من ا تعالى .

يرد عليه : بأن ا تعالى له حكمة بالغة في إيلام المخلوق ، منها ما نعلمه ، ومنها ما يخفى علينا .

ثم إن هذا الدليل مبني على تعريف المعتزلة للعدل الإلهـي ، وهـو أن ا لا يفعـل القبيح، وإذا أثبتنا حكمته – تبارك وتعالى – البالغة في كل أفعاله لا يكون إيلام المخلوقـات قبيحاً .

أضف إلى ذلك أن المعنى الصحيح للظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، وهـذا لا يقتضي إيجاب العوض على ا تعالى عقلاً .

الدليل الثاني : وهو قولهم إنه لا يحسن في الشاهد الإيلام بدون تعويض ، فكذلك فـي الغائب .

يرد عليه : بأن هذا الدليل مبني على قياس الغائب على الشاهد ، وقياس الخالق على المخلوق ، ولا شك أن ذلك قياس مع الفارق .

---

(1) انظر المصطلحات الكلامية في أفعال ا : ١١٩ .

الدليل الثالث : وهو ما جاء في الحديث من الاقتصاص بين البهائم يوم القيامة .

يرد عليه : بأن الحديث لا يدل على وجوب العوض ، وغاية ما يدل عليه هو عظيم فضل الله تعالى ، وسعة رحمته ، وتمام عدله وحكمته في حصول القصاص في الآخرة حتى بين البهائم [1].

مذهب الأشاعرة في المصائب والآلام ودخول الشر في القضاء الإلهي :

ذهب الأشاعرة إلى أن الوجود كله خير ، والموجودات كلها خير لا شر فيها ، وكل ما يقع من المصائب والآلام فهو حسن من الله تعالى [2] وعرف الأشاعرة الشر بأنه : (عدم ملاءمة الشيء للطبع) [3] ، وعلى ذلك فإن الخير هو ملاءمة الشيء للطبع ، بناء على تناقضهما وتقابلهما .

وذكر الآمدي تعريفاً قريباً من ذلك فقال : (والوجود من حيث هو وجود خير محض لا شر فيه ، وهو ما يقع مراداً للباري تعالى ، وأما الشر من حيث هو شر فليس مستنداً إلا إلى اختلاف الأغراض ، أو إلى قول الشارع : افعل أو لا تفعل .. وذلك مما لا يوجب كونه شراً في نفسه ، فإذن ليس الشر بما هو شر ذاتاً يطلب حدوثها ولا عدمها حتى يقال إن ما اقتضاه يجب أن يكون غير ما اقتضى نفس الخير ، ثم لو قدرنا أن ذلك مما يصح قصده وأنه ذات وأنه حقيقة ، لكن لا يخفى التحكم بدعوى انتسابه في الإيجاد إلى غير ما نسب الخير له ، بل لا مانع من أن يكون إيجادهما بإيجاد موجد واحد) [4] .

---

(1) انظر تنزيه الله عما أوجبه عليه المعتزلة ، د. أحمد البناني : ٢٣٣ .

(2) انظر الإرشاد ، للجويني ، ١١٢ ، ونهاية الإقدام ، للشهرستاني : ٢٥٢ .

(3) انظر التعريفات ، للجرجاني : ١١٢ .

(4) غاية المرام في علم الكلام : ١٥٥ .

فالآمدي جعل الشر ما كان منافراً للغرض أو أمر الشارع بتركه ، وعلى ذلـك فما كان ملائماً للغرض وأمر الشارع بفعله فليس شراً بل هو خير ، وقـول الآمـدي يشير إلى إثبات الأشاعرة بأن ا هو خالق الخير وخالق الشر معاً .

وذهب الأشاعرة إلى أن كل ما أوجده ا تعالى فهو خير ، أما الشر فقد شارك الخير في الوجود ، فهو أيضاً خير ولا يكون شراً محضاً ، يقول الشهرستاني : (ثـم الوجود خير كله من حيث هو وجود .. فأما الشر فمن حيث هو موجود فقـد شـارك الخير فهو من ذلك الوجه خير ومراد ، وعلى هذا لا يتحقق في الوجود شر محض فهو تعالى يريد الخير والعبد يريد الخير والشر) [1] .

ويتبين مما سبق أن ما ذهب إليه الأشاعرة مستند على نفيهم الحسن والقبح فـي الأفعال ، فالوجود كله خير لأنه من أفعال ا تبارك وتعالى .

والحق أن الأشاعرة أصابوا في إثبات تفرده سبحانه بخلق كل شيء ، إلا أنهـم أخطأوا في زعمهم أن الوجود كله خير لا شر فيه ، وأن العدم كله شر محض لا خير فيه .

والواقع أن هذا كلام مجمل ، يتضمن صواباً وخطأً ، وفيه إنكار للواقع المشاهد في الوجود من مظاهر الخير والشر ، فالنار والمطـر ، والحـر والبـرد ، وبعـض المخلوقات المتضمنة للشرور ، فإنها موجودة ويلزم منها شر جزئي مغمور في خيـر أعظم منه .

ثم إن هناك أموراً خيرية في العدم ، مثل الأمور التي وجودها شر من عدمها ، والرب تبارك وتعالى لا يخلقها فتبقى معدومة ، فعدمها خير ، لأن عدمها خيـر مـن وجودها ، فوجودها فيه ضرر راجح وعدم الضرر الراجح خير ، فهو خير عدمي في العدم ، إذ العدم لا يكون فيه وجود [2] .

---

(1) نهاية الإقدام في علم الكلام : ٢٥٢ .

(2) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ١٣١/١ .

والسلف عندما نفوا أن يكون في الوجود شر محض ، كـان مـستندهم إثبـات الحكمة في أفعاله تبارك وتعالى .

فالشر موجود ، ولكنه بالنظر إلى عواقبه الحميدة وإثبات حكمة ا البالغة فـي أفعاله سبحانه وتعالى فإنه يكون خيراً .

أما الأشاعرة فإنهم لم يعتبروا بوجود الحكمة في أفعاله تبارك وتعالى فجعلوا كل ما أوجده الخالق خيراً مع ما في قولهم من مكابرة للعقول وإنكار للواقع المحسوس.

والحق أن الأشاعرة وإن أصابوا في إسناد كل شيء تعالى ، إلا أنهم تكلمـوا بتعميمات غير دقيقة في الحكم بالخير أو الشر على الأفعال والموجودات ، مما ترتـب عليـه مفاسد عدة ، يقول شيخ الإسلام : (أن من الناس من يقول : الخير كلـه فـي الوجود ، والشر كله في العدم ، والوجود خير والشر المحض لا يكون إلا معـدوماً . وهذا لفظ مجمل ، فإذا أريد بذلك أن كل ما خلقه ا وأوجده ففيه الخير ووجوده خيـر من عدمـه فهذا صحيح . وكذلك ما لم يخلقه ولم ينشئه ، وهو المعدوم البـاقي علـى عدمه ، لا خير فيه ، إذ لو كان فيه خير لفعله سبحانه ، فإنه سـبحانه بيـده الخيـر ، فالشر العدمي هو عدم الخير لا أن في العدم شراً وجودياً .

وأما إذا أريد به أن كل ما يقدر وجوده فوجوده خير ، وكل ما يقدر عدمه فعدمه شر فليس بصحيح ، بل من الأشياء ما وجوده شر من عدمه ، ولكن هذا لا يخلقه الرب فيبقى معدومـاً ، وعدمه خير ، فهذا خير من هذا العدم بمعنى أن عدمـه خيـر مـن وجوده ، إذا كان وجوده فيه ضرر راجح ، وعدم الضرر الراجح خير ، فهـو خيـر عدمي في العدم ، إذا العدم لا يكون فيه وجود) [1] .

مذهب الأشاعرة في الأعواض :

---

(1) المصدر نفسه : ١٣١/١ ، ١٣٢ .

ذهب الأشاعرة إلى أن الآلام إذا وقعت من الله تعالى فهي حسنة منـه ، سـواء كانت ابتداء أم جزاء . وعلى ذلك فلا يجب عليه تعالى عليها عوض [1] .

يقول الجويني : (الآلام والملذات لا تقع مقدورة لغير الله تعالى ، فإذا وقعت من فعل الله تعالى فهي منه حسن ، سواء وقعت ابتداء أو حدثت منه مسماة جـزاء . ولا حاجة عند أهل الحق في تقديرها حسنة إلى تقدير سبق استحقاق عليهـا ، أو اسـتجاز التزام أعواض عليها ، أو روح جلب نفع أو دفع ضرر موفيين عليها ، بل ما وقع منها فهو من الله تعالى حسن ، لا يعترض عليه في حكمه) [2] .

أدلة الأشاعرة على نفي إيجاب العوض على الله تعالى :

استدل الأشاعرة بعدد من الأدلة العقلية التي تفيد عدم إيجـاب شـيء علـى الله تعالى ، وبالتالي فهي تدل على عدم إيجاب العوض على الله تعالى ، ومن هذه الأدلة ما يلي :

---

(1) انظر اللمع ، للأشعري : ١١٦ ، والإرشاد ، للجويني : ١١٢ ، ١١٣ .

(2) الإرشاد ، للجويني : ١١٢ ، ١١٣ .

أولاً : إنه يجوز الإيلام من الله تعالى من غير عوض ولا جرم ، وليس ذلك ظلماً منه تعالى لأن الظلم وهو التصرف في ملك الغير ، وهو غير متصور في حق الله تعالى [1] .

ثانياً : إن الله تعالى أن يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل ، فله أن يثيب العاصي ، ويعذب المطيع ، ويؤلم بدون عوض ، والدليل على ذلك أنه المالك القاهر الذي ليس فوقه آمر ولا زاجر ولا حاظر ، فإذا كان هذا هكذا لم يقبح منه شيء [2] .

ثالثاً : إن العقل لا يحكم بحسن شيء ، ولا قبحه في أفعال الله ، فوجوب العوض عند المعتزلة مبني على القول بالتحسين والتقبيح العقليين ، أما الأشاعرة فقد ردوا كل ما أوجبه المعتزلة بنفي الحسن والقبح العقليين .

يقول الجويني : (ولو لزمنا أصلنا في نفي تقبيح العقل وتحسينه ، ففي التمسك به نقض جميع ما أصلوه) [3] أي المعتزلة .

نقد أدلتهم :-

الدليل الأول : هذا الدليل مبني على تعريف الأشاعرة للظلم ، والحق أن تعريفهم للظلم تعريف خاطئ ، فالظلم : هو وضع الشيء في غير موضعه ، أما تعريف الأشاعرة للظلم بأنه التصرف في ملك الغير ، فإنه يقتضي أن الله تعالى يتصرف في ملكه بمحض المشيئة بدون مراعاة الحكمة أو المصلحة ، وهذا لازم قولهم .

ولا شك أن ذلك باطل ، فإن الله تعالى يتصرف في ملكه كيف شاء بمقتضى حكمته البالغة ، وعدله التام ، وفي ذلك كمال الربوبية وتمام الحمد ، وقد سبق بيان ذلك و الحمد لله [1] .

---

(1) انظر المسامرة بشرح المسايرة ، لكمال بن أبي شريف : ٥٦/٢-٥٧ .

(2) انظر اللمع للأشعري : ١١٧ .

(3) الإرشاد ، للجويني : ١١٨ ، وانظر اللمع ، للأشعري : ١١٧ .

الدليل الثاني : وهو قولهم : إن ا تعالى يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عن شـيء من أفعاله ، فهو مبني على نفي الحكمة في أفعال ا تعالى ، وقد سبق بيان ذلك والرد عليه ، وبيان كمال حكمته تعالى في تصرفه وجميع فعله ، مما أغنى عن إعادتـه و الحمد والمنة [٢] .

الدليل الثالث : وهو قولهم بأن الحسن والقبح في الأفعال شرعيان ، لا ذاتيان ولا عقليان ، فقد سبق بيان ذلك وبسطه والرد عليه و الحمد [٣] .

---

(1) انظر ص(٢٦٣) من هذا البحث .

(2) انظر ص(٢٧٠) من هذا البحث .

(3) انظر ص(٢٥٦) من هذا البحث .

١٢ – المبحث الثالث :

النعم .

توطئة

إن كل حي إنما يعمل لما فيه تنعمه ولذته ، فالتنعم هو المقصود من كل قصد ، كما أن التألم والعذاب هو المكروه ، وهو سبب كل بغض وكل حركة امتناع ، وذلك

لأن التنعم إنما يوافق إدراك مصلحة للعبد ودرء مفسدة عنه ، والتألم إنما يوافق حصول مفسدة للعبد ، وفوات مصلحة له [١] .

فالنعمة هي : كل فضل أو إحسان من ا عز وجل على عباده [٢] .

وتنقسم النعمة إلى قسمين :

أولاً : نعمة عامة .

ثانياً : نعمة خاصة .

أما النعم العامة فهي النعم الدنيوية : وهي التي تكون للمؤمنين وغيرهم .

وأما النعمة الخاصة فهي النعمة الدينية : وهي خاصة بالمؤمنين ، ولا يدخل فهيا الكافرون .

والنعمة الخاصة قسمان :

- خاصة أعم .
- خاصة أخص .

والعامة للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين والمؤمنين .

أما نعمة ا تبارك وتعالى للنبيين والرسل بالنبوة والرسالة فهي أخص النعم ، ولا يلحق المؤمنون فيها النبيين [٣] .

إن ا تبارك وتعالى خالق كل شيء ، وهو وحده المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ، كان هو سبحانه خالق النعم ، وهو سبحانه المنعم بها على من يشاء من

---

(1) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٢٢/٢ .

(2) انظر شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ١٥٢/١ .

(3) انظر المصدر نفسه : ١٥٢/١ – ١٥٣ .

عباده ، وهو سبحانه أعلم حيث يضعها ، فلا يضعها إلا في موضعها المناسب لها ، وفق ما تقتضيه حكمته البالغة وعلمه السابق .

وفي ذلك يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (2) .

وقال تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (3) .

فدلت هذه الآيات أن ا تبارك وتعالى هو وحده المتفرد بالفضل والإحسان على عباده ، وهو الذي يضع نعمته في المكان المناسب لها ، بمقتضى حكمته وعدله سبحانه.

ومما يدل على أن جميع النعم هي من ا تعالى ، قوله تبارك وتعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ٧٩ ﴾ (4).

وهذه الآيات لا تناقض فيها كما قد يظن ذلك ، وقد بينا ذلك فيما مضى .

---

(1) سورة النحل ، آية : ٥٣ .

(2) سورة البقرة ، آية : ١٠٥ .

(3) سورة آل عمران ، آية : ٧٤ .

(4) سورة النساء ، آية : ٧٨-٧٩ .

ولكن ا تبارك وتعالى فرق بين الحسنة والسيئة ، وجعل السيئة من العبد بسبب ذنبه ، والحسنة من ا تعالى ، مع أن كليهما مقدرة وهي من خلق ا تعالى .

وذلك لأن الحسنة والسيئة والنعمة مع اشتراكهما في أنهما من خلق ا وبقدرته وهي مقدرة له ، إلا أن بينهما فروقاً عدة منها :

أولاً : إن نعم ا تعالى على عباده تقدم ابتداء بلا سبب منهم أصلاً .

فهو سبحانه وتعالى ينعم على عباده بأنواع النعم والعطايا من العافية والرزق والمطعم والمشرب والملبس والنصر ونحوها ، وقد ينعم بها على من لا يعمل خيراً قط.

وذلك لأن الحسنات سواء النعم منها أم الطاعات إنما هي فضل ا التي يؤتيها من يشاء ، ولكن السيئات لا يعاقب ا عليها إلا من وقعت منه ، فإذا عاقبه عاقبه فيها بعدله ، ولذلك كانت الحسنات من ا والسيئات من العبد .

ثانياً : إن الذي يعمل الحسنات وهي الطاعات فإنما يفعلها بإحسان ا تعالى له وبفضله عليه بالهداية والتوفيق .

فخلق ا لهم وإحياؤه وإيجاده لهم ، وجعله لهم السمع والأبصار والأفئدة هو من نعم ا تعالى قال ا تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨ ﴾ (1) .

فكل هذه نعم محضة ومنة تعالى على خلقه ، بلا سبب سابق يوجب لهم ذلك حقاً .

فهو سبحانه خالق نفوسهم ، وخالق أعمالهم ، وخالق الجزاء عليها .

ولذلك كانت الحسنة من عند ا ، أما السيئة فلا تكون إلا بذنب العبد ، مع أن كليهما من ا تعالى .

---

(1) سورة الحجرات ، آية : ٧-٨ .

ثالثاً : إن الحسنة يضاعفها ا   تعالى وينميها ، أما السيئة فلا يضاعفها ، فيعطي صاحب الحسنة من الحسنات فوق ما عمل ، وصاحب السيئة لا يجزيه إلا بقدر عمله ، قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

رابعاً : أضيفت الحسنة إلى ا   تعالى ، لأنه أحسن بها من كل وجه ، أما السيئة فهو إنما يخلقها بحكمة ، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه ، فإن ا   تعالى لا يفعل شراً محضاً . بل فعله كله حسن وكله خير ، فكل ما يخلقه ا   له في حكمة ، هو باعتبارها خير . ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس .

ولذلك فإن ا   تعالى محسن على العباد من جميع الوجوه ، وهذا القول مبناه أن ما في الوجود لا يكون شراً محضاً وإنما هو شر نسبي إضافي من وجه دون وجه ، بل الخير هو الغالب على كل المخلوقات (٢) .

وعلى ذلك فإن قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً ﴾ (٣) حق من كل وجه ظاهراً وباطناً .

وللتفريق بين الحسنة والسيئة ، ونسبة الحسنات إلى ا   فوائد منها التنبيه على الاستغفار والتوبة والاستعاذة با   من شر النفس ، والاستعانة به على فعل كل خير .

أما لو أخبر أن الجميع من عند ا   فقط ، ولم يفرق بينهما ، فإنه قد يحصل من ذلك التسوية بينهما ، فيعرض العاصي المذنب عن ذم نفسه ، ويعرض عن التوبة من ذنوبه ، كما يعرض العبد عن طلب الهدى والعون من ا   تعالى (١) .

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١٦٠ .

(2) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية : ١٤٩/١٤ وما بعدها .

(3) سورة النساء ، آية : ٧٩ .

يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل ا ، فشكر ا ، فزاده من فضله عملاً صالحاً ، ونعماً يفيضها عليه ، وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه استغفر وتاب ، فزال عنه سبب الشر . فيكون العبد دائماً شاكراً مستغفراً ، فلا يزال الخير يتضاعف له ، والشر يندفع عنه ، كما كان النبي ﷺ ، يقول في خطبته : " الحمد " فيشكر ا ، ثم يقول : " نستعينـه ونستغفره " نستعينـه على الطاعـة ، ونستغفره من المعصية ، ثم يقول : " ونعوذ با من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا " [٢] .

فيستعيذ به من الشر الذي في النفس ، ومن عقوبة عمله ، فليس الشر إلا من نفسه ومن عمل نفسه ، فيستعيذ با من شر النفس أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا ، ثم

---

(1) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية : ١٥٣/١٤ .

(2) عن عبد ا بن مسعود قال : (علمنا رسول ا ﷺ التشهد فـي الصلاة والتشهد في الحاجة قال التشهد فـي الـصلاة التحيـات والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة ا وبركاتـه السلام علينا وعلى عباد ا الصالحين أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمداً عبده ورسوله والتشهد في الحاجة إن الحمد نـستعينه ونستغفره ونعوذ با من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا فمن يهـده ا فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلـه إلا ا وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. الحديث) . سـنن الترمـذي ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح : ٤١٣/٣ ، قال أبـو عيسى : حديث عبد ا حديث حسن ، وانظر سـنن أبـي داود ، كتاب النكاح ، باب في خطبة النكاح : ٢٣٨/٢ ، وسنن النـسائي ، كتاب الجمعة ، باب كيفية الخطبة : ١٠٤/٣ .

إذا عمل استعاذ با من سيئات عمله ومن عقوبات عمله ، فاستعان على الطاعة وأسبابها ، واستعاذ به من المعصية وعقابها .

فعلم العبد بأن ما أصابه من حسنة فمن ا ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه ، يوجب له هذا وهذا فهو سبحانه فرق بينهما هنا ، بعد أن جمع بنيهما في قوله تعال : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَا لِهَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (1) ، فبين أن الحسنات والسيئات : والنعـم والمصائب ، والطاعـات والمعاصي ، ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَا لِهَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٢) ، ثـم بيـن الفـرق الـذي ينتفعـون بـه ، وهو أن هذا الخير من نعمة ا ، فاشكروه يزدكم ، وهذا الشر من ذنوبكم ، فاستغفروه ، يدفعه عنكم) (٣) .

ونعم ا تبارك وتعالى تنقسم إلى قسمين كما تقدم :

أولاً : النعمة الدنيوية :

فهي نعمة ما تقوم به الأبدان من الأمور الحسية : مثل الأكل والشرب واللباس والسكن وما يتبع ذلك ، والأمور النفسية : مثل الرياسة والسلطان والعزة والنصر على الأعداء ونحوها .

---

(1) سورة النساء ، آية : ٧٨ .

(2) سورة النساء ، آية : ٧٨ .

(3) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٥٢/١٤ .

وهذه الأنواع من النعم يشترك فيها جميع الخلق ، فالمؤمن والكافر والمنافق مشتركون في جنسها ، ولكن التنعم بها ليس حقيقة واحدة متساوية بين جميع العباد ، بل هم متفاوتون في قدرها ووصفها تفاوتاً عظيماً .

فإن أنواع التنعم كثيرة ومتعددة بتعدد أنواع الأطعمة والأشربة واللباس والمساكن والمناكح وغيرها ، ولكل إنسان درجة خاصة فيما يتنعم به ، حتى إن بعض العباد يتنعم بما يتأذى به بعضهم الآخر ، فإن من الناس من يتنعم بشيء من المآكل والمشارب مما يتأذى به غيرهم .

وأصل ذلك أن التنعم في الدنيا إنما يكون بحسب الحاجة إلى تلك الأمور والانتفاع بها ، وكلما كانت الحاجة أقوى والمنفعة أكثر كان التنعم واللذة أكمل .

والنعم الدنيوية عامة للمؤمن والكافر ، فنعم الكفار إنما هي تنعم ولذة وسرور ، ولم يسم في حقهم نعمة على الخصوص ، وإنما تسمى نعمة باعتبار أنها نعمة في حق عموم بني آدم ، لأن الكافر ينعم بها في الدنيا ، أما المؤمن فيسعد بها في الدنيا والآخرة.

ومما يدل على أن ا تعالى قد أنعم على الكفار بأنواع من النعم الدنيوية قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ٢٩ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (١) .

---

(1) سورة إبراهيم ، آية : ٢٨-٢٩ .

(2) سورة المزمل ، آية : ١١ .

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

وقال صالح عليه السلام لقومه : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٣) .

ولكن هل هذه النعم التي تحصل للكفار هي نعم حقيقة أم لا ؟

والجواب عن ذلك بأن يقال : إن اللذات في نفسها ليست نفس فعل العبد ، بل قد تحدث عن فعله مع سبب آخر ، كسائر الأفعال التي يخلقها ا تعالى بأسباب متعددة منها فعل العبد .

وهذه النعم التي يتنعم بها الكافر هي نعمة من وجه دون وجه ، فليست من النعم المطلقة ، مع أنها من جنس النعم ، فهي نعمة في باب الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، باعتبار ما فيها من التنعم وما يطلب فيها من الشكر وغيره ، وقد تكون وبالاً على صاحبها باعتبار أن صاحبها يترك فيها المأمور ، ويفعل فيها المحظور الذي يزيد عذابه على ما تنعم به منها ، فهي بذلك ليست نعمة في حقه ، في باب القضاء والقدر ، والخلق والمشيئة العامة .

أما المؤمن فله حال آخر مع النعم ، فهو شاكر لها ، قائم بحقها من الشكر ونحوه إذا فعل المأمور وترك المحظور ، وهو يتنعم بها فكانت له نعمة حقيقية في الدنيا والآخرة .

---

(1) سورة الأحقاف ، آية : ٢٠ .

(2) سورة النحل ، آية : ١١٢ .

(3) سورة الأعراف ، آية : ٧٤ .

أما الكافر فإن ذلك لا يتصور فيه ، ولذلك فإن نعم الله عليه في الدنيا هي من باب الاستدراج والإمهال ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [(١)] [(٢)] .

وهنا لا بد من التنبيه على أمر هو في غاية الأهمية :

وهو أن الإنسان قد يرى أو يسمع بما يصيب كثيراً من الكفار والفجار في الدنيا من الرياسة والمال وغير ذلك ، ويرى في مقابل ذلك ما يصيب كثيراً من أهل الإيمان والإسلام في الدنيا من المصائب والقهر والاضطهاد ، فيعتقد أن النعيم في الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفجور ، وأن المؤمنين ليس لهم في الدنيا من النعم إلا القليل ، وأن العزة والنصر إنما هي مستقرة لدى المنافقين والكفار .

وإذا سمع ما جاء في كتاب الله تعالى من مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [(٣)] ، وذُكر بما وعد الله تعالى به المتقين من حسن العاقبة حمل هذه الآيات على الدار الآخرة فقط ، أما الدنيا فلا نعيم فيها للمؤمن عنده [(٤)] .

وهذا واقع كثير من المسلمين في عصرنا هذا ،

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المقالة من بعض المسلمين ، وبين رحمه الله تعالى أنها مبنية على مقدمتين :

الأولى : حسن ظن من اعتقد ذلك بدين نفسه نوعاً أو شخصاً ، حيث اعتقد أنه قائم بما يجب عليه ، تارك لما نهي عنه ، وأنه على دين الله الحق ، واعتقاده في

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ٤٤ .

(2) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٥١/٢ .

(3) سورة الصافات ، آية : ١٧٣ .

(4) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٢٤/٢ ، ٣٢٥ .

خصمه خلاف ذلك . من أن دينه باطل نوعاً أو شخصاً ، وأنه تارك للمأمور وفاعل للمحظور .

الثانية : اعتقاده أن ا تعالى لا يؤيد صاحب الدين الحق ولا ينصره ، وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا .

فأما الأولى : فما أكثر من اعتقد أنه قائم بالدين الحق ، وأنه فاعل للمأمور ، وتارك للمحظور ، وهو على العكس من ذلك ، وما أكثر من يترك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها ، وما أكثر من يفعل محرمات لا يعلم بتحريمها ، بل ما أكثر من يعبد ا بما حرم ، ويترك ما أوجب ، وكثير من يعتقد أنه مظلوم ومحق من كل وجه ، وأن خصمه هو الظالم المبطل من كل وجه ، والأمر بخلاف ذلك ، بل إن معه نوعاً من الباطل والظلم ، وفي خصمه نوع من الحق والعدل .

وهذا أساسه حب الإنسان لنفسه ، فهو لا يرى إلا محاسنها ، وبغضه لعدوه وخصمه ، فهو لا يرى إلا مساوئه [1] .

وليس المراد تنزيه ساحة الكفر ، ورمي المسلمين بالظلم وحدهم ، ولكن المقصود هو التنبيه على ما آلت إليه أحوال كثير من بلاد المسلمين اليوم من البعد عن ا تعالى ، وترك أوامره ، وفعل نواهيه ، وعبادته على طريقة لا تصح ، وهذا واقع مشاهد ، فالقبور والأضرحة في كل مكان من بلاد المسلمين - إلا من رحم ربي - تزار وتقدم لها القرابين ويحج إليها ، والفساد الديني والخلقي والاجتماعي متفشٍ في جميع دول العالم الإسلامي ، إضافة إلى انغماسهم في الفساد والانحلال شعوباً وحكومات .

ولست هنا في مجال بسط الحديث عما أصاب أمتنا من فساد وانحلال وبعد عن منهج ا تعالى ، ولكن المقصود هو التنبيه على أن ما يصيب المسلمين من الذل والهوان والانهزام إنما هو بسبب أعمالهم وذنوبهم .

---

(1) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٢٤/٢ وما بعدها .

ولا تنافى بين انهزامهم وبين وعد ا لهم بالتمكين في الأرض والنصر على الكفار ، فإن وعد ا تعالى للمؤمنين بالتمكين في الأرض ، مشروط بشروط عدة ، أهمها عبادة ا وحده ، قال تعالى :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِى لَا يُشۡرِكُونَ بِى شَيۡـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [1] .

فهذه الآية ذكر ا فيها أحد وعوده الصادقة ، وهو وعد لمن قام بالإيمان والعمل الصالح ، وهذا الوعد يتضمن الاستخلاف في الأرض ، بأن يكونوا هم الخلفاء فيها ، المتصرفين في تدبيرها ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الإسلام ، بأن يتمكنوا من إقامته ، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة .

فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوق على غيرهم . فمكنهم من البلاد والعباد ، وفتحت لهم مشارق الأرض ومغاربها ، وحصل الأمر التام ، والتمكين التام ، ولا يزال الأمر كذلك إلى قيام الساعة ، مهما قام المسلمون بالإيمان ، والعمل الصالح فلا بد أن يوجد ما وعدهم ا ، وإنما يسلط ا عليهم الكفار والمنافقين ، في بعض الأحيان ، بسبب إخلالهم بالإيمان والعمل الصالح [2] .

وإذا فهم هذا علم أن ا تعالى وهو الصادق في خبره ، لم يمنع وعده لعباده إلا عندما بغوا ما شرطه عليهم .

أما المقدمة الثانية : وهي الاعتقاد بأن أهل الدين الحق في الدنيا لا يكونون إلا معذبين ، وما يلزم ذلك من تكذيب بوعد ا تعالى وبنصره للمسلمين .

---

(1) سورة النور ، آية : ٥٥ .

(2) انظر تفسير ابن كثير : ٣/٤٨٠-٤٨٣ .

وتيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٥٢١-٥٢٢ .

والله سبحانه وتعالى قد بين في كتابه الكريم أن أهل الدين الحق هم المنصورون في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (1) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣ ﴾ (2) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ٥٦ ﴾ (3) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً ﴾ (4) .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (5) .

وأكد سبحانه وتعالى أن أهل الديانات الباطلة لا ينصرهم الله تعالى ، ولا يعزهم فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (1) .

---

(1) سورة غافر ، آية : ٥١ .
(2) سورة الصافات ، الآيات : ١٧١-١٧٢-١٧٣ .
(3) سورة المائدة ، آية : ٥٥-٥٦ .
(4) سورة الفتح ، آية : ٢٨ .
(5) سورة آل عمران ، آية : ١٣٩ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

أما ما يصيب المؤمنين من البلاء والهزيمة ، وفي مقابل ذلك يتنعم الكفار بالنصر والظهور على المسلمين ، فإن له وجوهاً بها حكمة منه تبارك وتعالى :

الأول : إن ما يحصل للمسلمين هو بسبب ذنوبهم ونتيجة أعمالهم ، قال تعالى في يوم أحد : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [4] .

ولذلك فقد أمر ا تعالى رسوله والمؤمنين باتباع ما أنزل إليهم ، وطاعته سبحانه ، وأمر عباده بانتظار وعده والاستغفار والصبر ، لأنهم لا بد أن يحصل لهم تقصيـر وذنوب يزيلها الاستغفار ، وبالاستغفار تتم الطاعة ، وبالصبر يتم اليقين بالوعد ، قال تعالى : ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [5].

الثاني : إن ما يحصل للمسلمين من قتل أو جروح وغيرها لا يعد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني آدم ، فإن كل الخلق يموتون ، فليس القتل في سبيل ا مصيبة

---

(1) سورة المجادلة ، آية : ٥ .
(2) سورة المجادلة ، آية : ٢٠-٢١ .
(3) سورة المنافقون ، آية : ٨ .
(4) سورة آل عمران ، آية ١٦٥ .
(5) سورة يونس ، آية : ١٠٩ .

مختصة بالجهاد ، فإن الموت يعرض لبني آدم بأسباب عامة وهي المصائب والأمراض وغيرها ، وكل ذلك لا يخرج عن حكمته تعالى في تدبير أمور خلقه .

واللذين يعتادون القتال لا يصيبهم أكثر مما يصيب من لا يقاتل ، بل الأمر بالعكس ، ثم إن موت الشهيد أيسر الميتات .

ثالثاً : إن جهاد الكفار أصلح من هلاكهم بعذاب سماوي .

ومما يظهر من ذلك من الحكم ما يلي :

١- إنه يكون سبباً في علو درجات المؤمنين ، وعظم ثوابهم لما يفعلونه من الجهاد في سبيل الله تعالى .

٢- إنه أنفع للكفار أيضاً ، فإنهم قد يؤمنون من الخوف ، ومن أُسر منهم وسبى من الصغار يسلم أيضاً .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [1] ، قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام) [2] .

وهذا من معاني كونه ﷺ ما أرسل إلا رحمة للعالمين ، فهو رحمة في حق كل أحد بحسبه حتى المكذبين له ، هو في حقهم رحمة أعظم مما كان غيره .

ونخلص من ذلك : أن صاحب المقدمة الأولى جاهل بدين الله تعالى ، وصاحب المقدمة الثانية جاهل بوعد الله تعالى ، يقول ابن تيمية رحمه الله : (والمقدمتان اللتان بنيت عليهما هذه السلبية مبناهما على الجهل بأمر الله ونهيه ، وبوعده ووعيده ، فإن

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

(2) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب كنتم خير أمة أخرجت للناس : ١٦٦٠/٤ .

صاحبهما إذا اعتقد أنه قائم بالدين الحق ، فقد اعتقد أنه فاعل للمأمور ، تارك للمحظور ، وهو على العكس من ذلك ، وهذا يكون من جهله بالدين ، وإذا اعتقد صاحب الحق أن ا لا ينصره في الدنيا ، بل قد تكون العاقبة في الدنيا للكفار على المؤمنين ، ولأهل الفجور على أهل البر ، فهذا من جهله بوعد ا تعالى) [١] .

٣- إن جهاد الكفار أعظم عزة للإيمان وأهله ، فهو يوجب من علو الإيمان وكثرة أهله ما لا يحصل بدون ذلك [٢] . وقس على ذلك جميع ما يحصل للكفار من النعم الدنيوية فهي نعمة على الكافر من وجه ونقمة من وجه آخر ، وهي نعمة على المؤمنين ، وإن كان ظاهرها أنها شر .

هذا بالنسبة لنعم الكافر الدنيوية ، وكونها في حق الكافر لا تعد نعمة مطلقة ، وإنما هي نعمة من وجه دون وجه .

أما نعم المؤمن الدنيوية فإنه لا تنافي بين الإقرار بالآخرة ونعيمها والجد في طلب ذلك ، وبين طلب حسن العاقبة في الدنيا ، فإن العبد لا بد له من طلب ما يدفع عنه الضرر ، ويجلب له المنفعة ، بل الخطأ فيمن يظن أن الدين الحق ينافي ذلك ، وأن الدين لا يحصل له كمال إلا بفساد الدنيا ، فهذا من الجهل بحقيقة الدين ، وبحقيقة النعيم الذي هو مطلوب النفوس .

فإن التنعيم في الدنيا قد أحله ا تعالى للمؤمنين فيما أحل لهم ، فقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [٣] .

---

(1) جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٢٧/٢ .

(2) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٢٨/٢ .

(3) سورة البقرة ، آية : ١٧٢ .

وقال تعالى : ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [1] .

إلا أن العبد مطالب بشكر ا على هذه النعم ، والاستعانة بها على طاعة ا ومرضاته فعن أنس بن مالك رضي ا تعالى عنه أن رسول ا ﷺ قال : (إن ا يرضى للعبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها) [2] .

وقد قال ا تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [3] .

والسؤال هنا هو طلب شكره ، لا الإثم فيه ، فإن ا تعالى قد أحل لعباده كثيراً من النعم ، وطلب منهم شكر نعمه [4].

وعن أبي هريرة رضي ا عنه قال : خرج رسول ا ﷺ ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟) ، قالا : الجوع ، يا رسول ا : قال : (وأنا ، والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا ، فقاموا معه ، فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته ، فلما رأته المرأة قالت : مرحباً ! وأهلاً : فقال لها رسول ا ﷺ : " أين فلان ؟ ، قالت ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول ا ﷺ وصاحبيه ، ثم قال : الحمد ، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني ، قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بر وتمر ورطب ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المدية ، فقال له رسول ا ﷺ : (إياك والحلوب) فذبح لهم ، فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا ، قال

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .

(2) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب حمد ا تعالى بعد الأكل والشرب : ٢٠٩٥/٤ .

(3) سورة التكاثر ، آية : ٨ .

(4) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٥٠/٢ .

رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : (والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم) [١] .

ولذلك فقد أوجب الله تعالى على عباده شكر نعمه عليهم فقال : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [٢] .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (فالله تعالى يطلب من عباده شكر نعمه ، وعليه أن لا يستعين بطاعته على معصيته ، فإذا ترك ما وجب عليه في نعمته من حق ، واستعان بها على محرم ، صار فعله بها وتركه لما فيها سبباً للعذاب أيضاً ، فالعذاب استحقه – بترك المأمور وفعل المحظور – على النعمة التي هي من فعل الله تعالى . وإن كان فعله وتركه بقضاء الله وقدره : بعلمه ومشيئته وقدرته وخلقه) [٣] .

ولهذا كانت هذه النعم من البلاء ، وهو مصداق قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ ﴾ [٤] .

فقد أنكر الله تبارك وتعالى قول المبتلي ، لأن الذي أصابته النعمة ظن أن هذه كرامة مطلقة ، وليس الأمر كذلك ، بل الله تعالى ابتلاه بها إبتلاء ، ليتبين هل يطيعه فيها أم يعصيه [٥] .

---

(1) رواه مسلم ، كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك : ١٦٠٩/٣ .
(2) سورة إبراهيم ، آية : ٧ .
(3) جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٥٠/٢-٣٥١ .
(4) سورة الفجر ، آية : ١٥ ، ١٧ .
(5) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٥٢/٢ .

ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًاۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [2] .

وقال تعالى في قصة سليمان عليه السلام : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [3] .

يقول ابن سعدي رحمه الله تعالى : (أي : ليختبرني بذلك ، فلم يغتر عليه السلام بملكه ، وسلطانه ، وقدرته ، كما هو دأب الملوك الجاهلين ، بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة . ثم بين أن هذا الشكر ، لا ينتفع الله به ، وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه فقال : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [4] غني عن أعماله ، كريم ، كثير الخير ، يعم به الشاكر والكافر، إلا أن شكر نعمه ، داع للمزيد منها ، وكفرها داع لزوالها) [5] .

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ٣٥ .

(2) سورة الأعراف ، آية : ١٦٨ .

(3) سورة النمل ، آية : ٤٠ .

(4) سورة النمل ، آية : ٤٠ .

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن ، لابن سعدي : ٥٥٤ .

وعلى ذلك فإن النعمة لها وجهان : فهي من باب الأمر والشرع نعمة يجب الشكر عليها ، وفي باب الحقيقة القدرية ابتلاء وامتحان ، يمكن أن تكون من أسباب سعادة العبد إذا أدى حقها ، وقد تكون من أسباب شقاوته إذا لم يؤد حقها [١] .

ولهذا فإن النعم والملذات التي هي من ثواب طاعة العبد ، إذا عصى ا فيها كانت سبباً في عذابه ، وكذلك المكاره والمصائب التي هي عقوبة على معصية العبد إذا أطاع ا فيها كانت سبباً لسعادته .

ولذلك فإن النعم والمصائب في الحقيقة القدرية سواء ، فإن النعم قد تكون نعمة في ظاهرها ، أما في عاقبتها فقد تكون نعمة حقاً إذا أدى صاحبها حقها ، وقد تكون نقمة وعذاباً إذا لم يؤد صاحبها حقها .

وكذلك المصائب فقد تكون في ظاهرها مصيبة ، أما في عاقبتها فهي نعمة إذا أدى صاحبها حقها وصبر عليها وشكر ورضي بها [٢] ، وقد تكون مصيبة وعذاباً إذا لم يصبر عليها وإنما كفر وجزع .

يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (فتدبر هذا لتعلم أن الأعمال بخواتيمها ، وأن ما ظاهره نعمة هو لذة عاجلة قد تكون سبباً للعذاب ، وما ظاهره عذاب هو ألم عاجل قد يكون سبباً للنعيم ، وما هو طاعة – فيما يرى الناس – قد يكون سبباً لهلاك العبد برجوعه عن الطاعة ، إذا ابتلي في هذه الطاعة ، وما هو معصية فيما يرى الناس قد يكون سبباً لسعادة العبد بتوبته منه ، وتصبره على المصيبة ، التي هي عقوبة ذلك الذنب ، فالأمر والنهي يتعلق بالشيء الحاصل ، فيؤمر العبد بالطاعة مطلقاً ، وينهى عن المعصية مطلقاً ، ويؤمر بالشكر على كل ما يتنعم به .

---

(1) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٥٣/٢ .

(2) انظر ص(٦٠٦) من هذا البحث .

أما القضاء والقدر ، وهو علم الله وكتابته ، وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه ، فهو باعتبار الحقيقة الآجلة ، فالأعمال بخواتيمها ، والمنعم عليهم في الحقيقة هم الذين يموتون على الإيمان) [١] .

فكلٌ من الابتلاء بالسراء ، أو الابتلاء بالضراء إما أن يكون مصلحة للعبد أو مفسدة للعبد ، وذلك بالنظر إلى ما يؤول إليه الأمر ، فمن أطاع الله في السراء أو الضراء كان هذا الابتلاء مصلحة له ، لما يورثه له من لذة ونعيم ، ومن عصى الله في السراء أو الضراء كان هذا الابتلاء مفسدة له ، لما يورثه له من عذاب وألم [٢] .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (فكما أن التنعم العاجل ليس بنعمة في الحقيقـة ، قد يكون في الحقيقة بلاء وشراً باعتبار المعصية فيه ، والطاعة المتقدمة قد تكون حابطة وسبباً للشر باعتبار ما يعقبها من ردة وفتنة ، فكذلك التألم العاجل قد يكون في الحقيقة خيراً أو نعمة ، والمعصية المتقدمة قد تكون سبباً للخير باعتبار التوبة والصبر على ما تعقبه من مصيبة ، لكن تتبدل الطاعة والمعصية) [٣] .

ومما يدل على أن من نعم الله تعالى ما يكون بلاء للعبد واختباراً له أيشكر عليها أم يكفر بها قصة الأبرص والأقرع والأعمى ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمـع رسول الله ﷺ يقول : (إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس به ، قال : فمسحه فذهـب عنه قذره ، فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال

---

(1) جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٥٥/٢ ، وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الـشيخ : ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

(2) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٥٦/٢ .

(3) نفس المصدر : ٣٥٧/٢ .

: الإبل أو البقر ، فأعطي ناقة عشراء ، وقال : بارك ا   لك فيها . قال فأتى الأقرع ، فقال أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس به ، فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطي شعراً حسناً ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل ، فأعطي بقرة حاملاً ، قال : بارك ا   لك فيها . فأتى الأعمى ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد ا   إلي بصري فأبصر به الناس ، فمسحه ، فرد ا   إليه بصره ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطي شاة والداً ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم ، قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا با   ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة . فقال : كأني أعرفـك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك ا   عز وجل المال ، فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر ، فقال : إن كنت كذاباً فصيرك ا   إلى ما كنـت . وأتى الأقرع في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا . فقال إن كنت كاذباً فصيرك ا   إلى ما كنت . قال : وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا با   ثم بك . أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فرد ا   إلي بصري ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوا   لا أجهدك اليوم بشيء أخذته   ، فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضي ا   عنك وسخط على صاحبيك) [1] .

فتبين من هذا الحديث وجوب شكر النعمة ، وهذا الشكر لا يتأتى إلا بثلاثة أمور هي:

١- الإقرار بالنعمة والإحساس بها .

٢- نسبة النعمة إلى ا   تعالى .

---

(1) سبق تخريجه ص(٣٩٧) من هذا البحث .

٣- أداء حق الله تعالى فيها ، وبذلها فيما يحب الله تعالى [١] .

يقـول الشيخ عبـد الرحمن بن حسن آل الشيخ [٢] في شرحه لكتاب التوحيد : (وهذا الحديث عظيم ، وفيه معتبر ، فإن الأولين جحدا نعمة الله ، فما أقرا بنعمة ، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها ، ولا أديا حق الله فيها فحل عليهما السخط ، وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله ، ونسبها إلى من أنعم عليه بها ، وأدى حق الله فيها ، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة ، لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها ، وهي الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم ، وبذلها فيما يحب) [٣].

ولذلك فقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من فتنة الفقر ، وشر فتنة الغنى ، فقد كان يدعو : " اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر ، وعذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ، ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة القبر ... " [٤] .

---

(1) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ٥٢٩ .

(2) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، فقيه حنبلـي ، من علماء نجد ، وهو حفيد العلامة المجدد الشيخ محمد بـن عبـد الوهاب ، ولد سنة ١١٩٣هـ ، وتوفي سنة ١٢٨٥هـ . انظـر فـتح المجيد ، مقدمة الناشر ، الأعلام : ٣٠٤/٣ .

(3) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : ٥٢٩ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، بـاب التعـوذ مـن المـأثم والمغرم : ٢٣٤١/٥ من حديث عائشة رضي الله عنه.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه : " وا ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتتنافسوا فيها كما تنافسوا فيها ، وتهلككم كما أهلكتهم " [(١)] .

وبهذا يظهر حسن حال المؤمن ، وترجحه في النعيم واللذة على الكافر في الدنيا قبل الآخرة .

وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، فذلك بالنظر إلى عاقبة النعم التي حصلت له ، فأما ما وعد به المؤمن بعد الموت من الكرامة والثواب والنعيم ، فإن الدنيا تكون إليه سجناً ، وأما الكافر بعد الموت وما هو فيه من عذاب ا وغضبه وعقابه ، فإن الدنيا تكون بالنسبة إليه جنة [(٢)] ، وعلى ذلك فإن تنعم الكفار في الدنيا إنما هو من اللذة التي عجلت لهم وليس لهم في الآخرة إلا النار .

ذلك أن ا سبحانه وتعالى إنما يعاقب الناس بأعمالهم والكافر إذا كانت له حسنات أطعمه ا بحسناته في الدنيا فإذا لم تبقَ له حسنة عاقبه بكفره قال ا تعالى : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [(١)] .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجزية ، باب الجزية والموادعة في الحرب : ١١٥٢/٣ ، وصحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، الباب الأول : ٢٢٧٣/٤ من حديث عمرو بن عوف رضي ا عنه .

(2) انظر جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٣٦٢/٢ .

(3) سورة آل عمران ، آية : ١٤١ .

فهؤلاء الكفار يحصل لهم في الدنيا شيء من النعيم والملذات وليس لهم في الآخرة إلا العذاب قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٦ ﴾ (٢) .

وقد يكون الكفار من أعظم الناس تنعماً في الملذات والمأكولات ونحوها ، ولكن قد تجد قلوبهم لا تطمئن بشيء من ذلك ، وأما العاجز منهم عن تحصيل النعم والملذات فلا يزال في أسف على ما فاته وما أصابه ، فلا يكون صابراً على أمر ربه ، ولا شاكراً ولا راضياً .

أما المؤمن فلو كان من أهل النعم والملذات فتجده يؤدي شكرها وحقها ، وأما من لم يكن من أهلها تراه صابراً راضياً ، وهذا ما يوجب طمأنينة قلبه وانشراح صدره بما يفعله في هذا وذاك ، وهذا مصداق قوله ﷺ : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " (٣) .

وإنما وقع خطأ كثير من الناس في فهم هذا الباب ، لجهلهم عن حقيقة الإيمان وحلاوته ، وجهلهم بأمر ا تعالى وما فيه من المصالح والمنافع لعباده .

ونخلص من كل ذلك إلى أن نعم ا تعالى على عباده كثيرة ، حتى ما كان منها في ظاهره شراً ، فإنه قد يكون نعمة إذا شكر صاحبها ورضي بها .

ثم إن هذه النعم هي محض فضله تعالى الذي يؤتيه من يشاء من عباده ، وهو محض عدله الذي يضعه في مكانه المناسب له لمقتضى حكمته البالغة ، وعلمه السابق.

---

(1) سورة التوبة ، آية : ٨٥ .

(2) سورة هود ، آية : ١٥-١٦ .

(3) سبق تخريجه ص(٦٠٦) .

فكل ما يحصل للعبد المؤمن هو نعمة إذا تأمل ذلك ، ونظر إلى حاله بعين الرضا بالقضاء والقدر واليقين بحكمة ا تعالى وعلمه ، وأن ما اختاره لعباده له فيه حكمة عظيمة وغاية جليلة ، يقول ابن تيمية رحمه ا : (وما يصيب الإنسان ، إن كان يسره فهو نعمة بينة ، وإن كان يسوؤه فهو نعمة ، لأنه يكفر خطاياه ويثاب عليه بالصبر ، ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها العبد .. والمقصود أن ا تعالى منعم بهذا كله ، وإن كان لا يظهر في الابتلاء لأكثر الناس ، فإن ا يعلم وأنتم لا تعلمون) [١].

ولذلك كان الشكر أعم من الحمد من جهة أنواعه ، والحمد أعم من الشكر من جهة أسبابه ، فإن الحمد يكون على نعمة وعلى غير نعمة ، أما الشكر فإنه يكون بالقلب واللسان واليد .

وإذا كان كل مخلوق فيه نعمة ، فالحمد على كل حال ، لأنه ما من حال يقتضيها إلا وهي نعمة على عباده .

ولذلـك فإن في المخلوقات من النعم ما لا يحصى ، وهو مصداق قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [٢] .

وقد كان رسول ا ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع يقول : " ربنا ولك الحمد ، ملء السماء ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد " [٣] .

---

(1) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٢٧/٨ .

(2) سورة النحل ، آية : ١٨ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا رفع رأسه مـن الركوع : ٣٤٧/١ من حديث أبي سعيد الخدري رضي ا عنه .

وفي هذا القول بيان أن الحمد أحق ما قاله العباد ، والحمد ضد الذم ، وهو ذكر محاسن المحمود ، مع المحبة له ، فإذا كان سبحانه يفعل الخير والحسنات ، وهو حكيم ورحيم بعباده ، أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، أوجب ذلك أن يحبه عباده ويحمدوه ، فله تعالى الحمد على كل حال ، لأنه لا يفعل إلا الخير والإحسان في جميع الأحوال وإن كان العباد لا يعلمون [1] .

ثانياً : النعمة الدينية :-

وهذه هي النعمة الخاصة بالمؤمنين . وهي نعمة الدين والهداية إلى فعل ما أمر ا به من واجب ومستحب ، وترك ما نهى عنه من المحرمات ، وهذه النعمة هي التي ينبغي طلبها باتفاق المسلمين ، وهي النعمة الحقيقية عند أهل السنة [2].

ونعمة الهداية مغايرة لنعمة المآكل والمشارب والمساكن والملابس فإن هذه ظاهرة لكل أحد ، أما نعمة الهداية فهي خفية عن بعض الناس ولكنها أهم النعمتين وأجلهما وبهما صلاح الدنيا والآخرة .

ومن آتاه ا نعمة الدنيا بلا نعمة الدين ، فقد عجل له نعمه في الدنيا ، وليس له في الآخرة من نعيم ، وأما من آتاه ا نعمة الدين - وإن سلبه نعمة الدنيا - فهو في نعمة عظيمة يعقبها نعيم سرمدي دائم ، ومما يدل على أن نعمة الدين أهم من نعمة الدنيا ، أن ا تعالى جعل ما أنعم به على عباده في الدنيا طريقاً لمعرفة ا تعالى وإثبات قدرته وربوبيته ، وبيان حكمته وهذا مما يحصل به نعمة الهداية ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُوراً ﴾ [3] . أي شكر ا على نعمه ، فاختلاف الليل والنهار آيات كونية قد جعلها ا تعالى نعمة

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٤/١٧٦-١٧٩ .

(2) انظر الواسطة بين الحق والخلق ، لابن تيمية : ٢٧ .

(3) سورة الفرقان ، آية : ٦٢ .

للعبد في الدنيا ، وهي نعمة أخرى لدلالتها على خالقها وبارئها ، فكلما نظر العبد إلى فعل ربه شكر ، وإذا نظر إلى فعل نفسه تذكر فاستغفر ، فالتذكر قد يكون بتذكر ذنوبه وعقاب ربه له على ذلك ، أو يكون بتذكر آلآء ا تعالى ونعمه ، فذلك يدعو إلى الشكر ، والمتذكر يتذكر هذا وهذا ، قال تعالى : ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُم أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِ إِخۡوَاناً وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُمۡ مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [2] [3] .

وجعل سبحانه وتعالى كل ما خلقه في الكون دليلاً يستدل به على قدرته ، وهذا مما تحصل به نعمة الهداية أيضاً ، وقد ذكر ا تعالى في سورة الرحمن كثيراً من نعمه على عباده ويفصل تبارك وتعالى بين كل آيتين بقوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [4] ، ولكنه تعالى يذكر مثل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٍ ﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [6] ، ثم يقول : ﴿فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا

---

(1) سورة الأعلى ، آية : ١٠ .

(2) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(3) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١١٠/١٦ ، ١١١ .

(4) سورة الرحمن ، آية : ١٣ ، وتكررت هذه الآية كثيراً في سورة الرحمن .

(5) سورة الرحمن ، آية : ٢٦ .

(6) سورة الرحمن ، آية : ٤٤ .

تُكَذِّبَانِ ﴾ [1] ، فهذا يدل على أنهما آيتان دالتان على قدرة الله تعالى وعلى ربوبيته ووحدانيته ومن هنا كانت نعمة على عبده .

ونقل ابن تيمية عن ابن قتيبة قوله في سورة الرحمن : (لما عدد الله في هذه السورة – سورة الرحمن – نعماءه ، وذكر عباده آلاءه ، ونبههم على قدرته ، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين نعمتين ، ليفهم النعم ويقررها بهم) ،

وقال البغوي : كلها مواعظ ، فهي نعمة ، لأنها تزجر عن المعاصي [2] .

وقال بعض العلماء منهم الزجاج [3] ، وابن الجوزي [4] في سورة الرحمن وقوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ كلها نعم في دلالتها إياكم على توحيد الله ، ورزقه

---

(1) سورة الرحمن ، آية ٢٧ ، ٤٥ .

(2) انظر ، معالم التنزيل ، للبغوي : ٢٧٣/٤ ، وانظـر مجموعـة الفتاوى : ١٧٣/١٤ .

(3) إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، عالم بـالنحو واللغة ، ولد سنة ٢٤١هـ ، توفي سنة ٣١١هـ . انظـر تـاريخ بغداد : ٨٩/٦ ، الأعلام : ٤٠/١ .

(4) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، أبـو الفرج ، علامة عصره في التاريخ والحديث ، ولد سنة ٥٠٨هـ ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ . انظر وفيات الأعيـان : ٢٧٩/١ ، البدايـة والنهاية ، لابن كثير : ٢٨/١٣ ، الأعلام : ٣١٦/٣ .

إياكم ما به قوامكم ، وقالوا في قوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ [١] فبأي نعم ربك التي تدل على وحدانيته تشكك ، وقال ابن عباس : تكذب [٢] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى : (فجميع المخلوقات فيها إنعام على العباد ، كالثقلين المخاطبين بقوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، من جهة أنها آيات للرب ، يحصل بها هدايتهم وإيمانهم الذي يسعدون به في الدنيا والآخرة ، فيدلهم عليه وعلى وحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته) ،

ثم قال : (ففي المخلوقات نعم من جهة حصول الهدى والإيمان ، والاعتبار والموعظة بها ، وهذه أفضل النعم) [٣] .

ومما يدل على أن كمال الدين وحصول الهداية نعمة من ا تعالى ، قوله عز من قائل حكيم : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٤] .

والشاهد من الآية : أن النعمة قد تمت عليهم بإكمال الدين [٥] .

---

(1) سورة النجم ، آية : ٥٥ .

(2) انظر تفسير ابن جرير الطبري : ١٢٤/٢٧ .

(3) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٧٣/١٤ ، ١٧٤ .

وانظر المصدر نفسه : ١٢٧/٨ .

(4) سورة المائدة ، آية : ٣ .

(5) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٩/٢ .

وقد ذكر ا تعالى منته على عباده بهذه النعمة فقال : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (1) .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (2) فمنته عليهم بهدايتهم للإسلام ومنته عليهم بالإيمان ، أفضل من كل شيء (3) .

وقوله تبارك وتعالى في ذكر ما قاله المؤمنون في الجنة : ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ (4) أي فمن علينا بالهداية والتوفيق (5) .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (6) . فهذا قول المؤمن مبتهجاً بنعمة ا عليه ، وهي نعمة الثبات على طريق الهدى (7) .

ونعمة الهداية هي فعل ا تبارك وتعالى ، ولا تنال إلا منه وحده ، ولذلك قال : ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (8) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ

---

(1) سورة الحجرات ، آية : ١٧ .
(2) سورة آل عمران ، آية : ١٦٤ .
(3) انظر تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٧٤٦ .
(4) سورة الطور ، آية : ٢٧ .
(5) انظر تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٧٥٧ .
(6) سورة الصافات ، آية : ٥٧ .
(7) انظر تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٦٤٩ .
(8) سورة الأعراف ، آية : ١٧٨ .

لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [2] ، وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [3].

وقد قسم أهل السنَّة والجماعة الهداية إلى أربع مراتب :

المرتبة الأولى : الهدى العام ، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها وهذا أعم مراتب الهدى ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [4] ، وقال عز وجل : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [5] ، فهداه إلى أمور معاشه وحفظ نوعه ، وعم بهذه الهداية كل مكلف ، وأعطاه من العقل والفطنة والمعارف الضرورية ، بل إن هذه الهداية شاملة لجميع المخلوقات ، وقد ذكر ابن القيم عجائب المخلوقات وكيف هداها ا في تصريف أمورها ومعيشتها ، وليس هنا محل بسطها[6].

المرتبة الثانية : الهداية بمعنى البيان والدلالة ، والتعليم والإرشاد ، والدعوة إلى مصالح العبد في معاده ، وهذه عامة لجميع المكلفين ، وهي حجة ا تعالى على خلقه ، فلا يعذب أحد بدونها ، وهذه الهداية جعلت للناس بدعاء الرسل لهم ، وإنزال القرآن

---

(1) سورة القصص ، آية : ٥٦ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ٨٨ .

(3) سورة البقرة ، آية : ١٢٨ .

(4) سورة الأعلى ، آية : ٣ .

(5) سورة طه ، آية : ٥٠ .

(6) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ١٨٢/١ وما بعدها .

والكتب السماوية قبله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (1) .

وقال تعالى في حق النبي ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (2) ، فأثبت له سبحانه هذا النوع الذي هو هداية الدلالة والإرشاد ، وهذه المرتبة من مراتب الهداية لا تستلزم حصول الاهتداء ، إما لعدم كمال السبب ، أو لوجود مانع كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (3) .

المرتبة الثالثة : هداية التوفيق والإلهام ، وخلق المشيئة المستلزمة للفعل ، وهذه الهداية تستلزم أمرين :

الأول : فعل الرب تبارك وتعالى وهو الهدى .

الثاني : فعل العبد وهو الاهتداء ، وهو أثر فعله سبحانه ، فهو الهادي والعبد المهتدي ، قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (4) ، فإذا اهتدى العبد كافأه ا بمزيد من الهدى ، كما يثيب على الحسنة بحسنة مثلها .

---

(1) سورة التوبة ، آية : ١١٥ .

(2) سورة الشورى ، آية : ٥٢ .

(3) سورة فصلت ، آية : ١٧ .

(4) سورة الكهف ، آية : ١٧ .

فأسباب الهدى مقدورة للعباد واقعة باختيارهم وإراداتهم وفعلهم ، وأما الهدى وهو المسبب عن تلك الأسباب فليس مقدوراً للبشر ، كما أن شرب الدواء وهو سبب الشفاء مقدور للعبد ، ولكن حصول الشفاء وزوال العلة غير مقدور له .

وهذه الهداية لا تنال إلا من الله تعالى ، ولذلك كان النبي ﷺ حريصاً على هداية عمه أبي طالب بعد كمال البيان وتمام الحجة ، فقال له الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [2] .

ولذلك فإن من أضله الله فلا أحد يستطيع هدايته ، قال تعالى : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [3] .

المرتبة الرابعة : الهداية إلى الجنة أو النار يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ ﴾ [4] ، وقـال تعالـى : ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾ [5] أي يهديهم إلى طريق الجنة ،

---

(1) سورة القصص ، آية : ٥٦ .

(2) سورة النحل ، آية : ٣٧ .

(3) سورة الأعراف ، آية : ١٨٦ .

(4) سورة الصافات ، آية : ٢٢- ٢٣ .

(5) سورة محمد ، آية : ٥ – ٦ .

وقال تعالى في وصف حال المؤمنين في الجنة : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (1) .

وهذه الهدايات الأربعة مترتبـة ، فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية ، بل لا يصح تكليفه ، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة ، ولكن لا يستلزم من حصول الأولى والثانية حصول الثالثة والرابعة (2) .

والحاصل أن نعمة الهداية هي أعظم النعمتين ، وكل نعمة فهي دون الهداية ، ونعمة الهداية هي محض فضله تعالى ورحمتـه بعباده ، وهو سبحانه أعلم حيث يضعها ، وهو أعلم بمن تصلح له ، ومن لا تصلح له ، فأفعاله تعالى صادرة وفق علمه وحكمته وعدله تبارك وتعالى .

قال ا تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (3) .

بل إن من تمام عدله تعالى وحكمته أنه لا يضع الهداية إلا في مكانها المناسب ، فمن لم يهده ا فذلك لأنه غير صالح لهذه النعمة ، وليس ذلك من تقصير ا في حقه ، تعالى ا عن ذلك ، ولا هو ظلم منه سبحانه ، وإنما هو دليل على حكمته البالغة التي لا تدركها العقول ، ولذلك فقد أنكر ا تبارك وتعالى أن يضع هداه في مكان لا يليق به

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .

(2) انظر شفاء العليل لابن القيم : ١٨٢/١ وما بعدها .

وبصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي : ٣١٣/٥ – ٣١٤ .

ومجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٤/٢ ، ٩٩/١٤ ، ١٠٠ .

(3) سورة الشورى ، آية : ١٣ .

فقال عز وجل : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ (1) .

وقال سبحانه : ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٣) .

فمن كان وصفه الكذب أو الفسق أو الظلم أو الكفر ونحوها ، تأتيه المواعظ والآيات ولا يزول عنه ما اتصف به ، ويريه ا الآيات ، فلا يؤمن بها ، فهذا أنى له الهدى وقد سد على نفسه الباب ، وعوقب بأن طبع ا على قلبه ، فهو لا يؤمن ولا تحصل له الهداية (٤) .

فالعبد لم تحصل منه الإرادة الجازمة ولا قصد الهداية ، فمنعها ا تعالى عنه ، عقوبة له على جحد وكفر آيات ا ، وتكذيب رسله (٥) .

ولا يكون تخصيصه تبارك وتعالى لطائفة من عباده بالهدى والتوفيق دون طائفة أخرى ظلماً منه تعالى ، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، أما إذا وضع الهدى في موضعه المناسب له ، الذي علمه بعلمه السابق وحكمته البالغة ، فإن ذلك عين العدل الإلهي .

---

(1) سورة الزمر ، آية : ٣ .

(2) سورة المنافقون ، آية : ٦ .

(3) سورة الصف ، آية : ٧ .

(4) انظر تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٦٦٥ ، ٧٩٧ .

(5) انظر ص(٦٩٧) من هذا البحث .

فالله تبارك وتعالى له محض الاختيار والاصطفاء والتخصيص ، قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

وهو مع ذلك لا يتصرف ولا يختار إلا بمقتضى حكمته البالغة ، وعدله التام وعلمه السابق .

أما نعمته على الأنبياء فهي أخص النعم ، وهي أفضل نعمة ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ (٣) .

فذكر سبحانه وتعالى منته على موسى وهارون عليهما السلام ابني عمران ، بنعمة النبوة والرسالة .

وكما سبق فإن اختيار الرسل واصطفاءهم من الخلق لهي محض فعل رباني منفرد ، وهو سبحانه عليـم بالمكان المناسب لجعل الرسالة فيه بما تقتضيه حكمته سبحانه ، وقال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) .

---

(1) سورة القصص ، آية : ٦٨ .

(2) سورة النساء ، آية : ١١٣ .

(3) سورة الصافات ، آية : ١١٤ .

(4) سورة آل عمران ، آية : ١٧٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾ [1] .

يقول الشيخ عبد الرحمـن السعـدي رحمـه ا تعالى في تفسير هذه الآيات : (وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم ، وقاموا برد الحق الذي جاءت به الرسل ، حسداً منهم وبغياً ، فقالوا : ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ﴾ من النبوة والرسالة . وفي هذا اعتراض منهم على ا ، وعجب أنفسهم ، وتكبر على الحق الذي أنزله على أيدي رسله ، وتحجر على فضل ا وإحسانه .

فرد ا عليهم اعتراضهم الفاسد ، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير ، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد ا الصالحين ، فضلاً عن أن يكونوا من النبيين والمرسلين. فقال : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ فيمن علمه يصلح لها ، ويقوم بأعبائها ، وهو متصف بكل خلق جميل ، ومتبرئ من كل خلق دنيء ، أعطاه ا ما تقتضيه حكمته أصلاً وتبعاً ، ومن لم يكن كذلك ، لم يضع أفضل مواهبه عند من لا يستأهله ، ولا يزكو عنده ، وفي هذه الآية ، دليل على كمال حكمة ا تعالى ، لأنه ، وإن كان تعالى رحيماً واسع الجود ، كثير الإحسان ، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله)[2].

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١٢٤ .

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بـن سعدي : ٢٣٤ ، ٢٣٥ . وانظر ص : ٧١٠ ، ٧١١ .

مذهب المعتزلة في النعم :

يعرف المعتزلة النعمة بأنها : (كل منفعة حسنة واصلة إلى الغير إذا قصد فاعلها بها وجه الإحسان) [١] .

ويشترطون في النعمة عدة شروط :

- أن تكون منفعة ، فلو كانت مضرة محضة لما كانت نعمة .
- أن تكون حسنة ، لأنها بذلك يستحق المنعم الشكر عليها .

وهذا ما ذهب إليه أبو علي الجبائي ، أما أبو هاشم فقد جوز أن تكون النعمة قبيحة، واستدل على ذلك بأن ا تعالى قد يثيب من لم يستحق الثواب ، ويكون بذلك منعماً عليه مع أن ذلك قبيح [٢] .

- واشترط المعتزلة في النعمة أن يقصد بها المنعم الإحسان إلى المنعم عليه .

---

(1) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٧٧ .

(2) انظر المصدر نفسه : ٧٨ ، ٧٩ .

وبما أن النعمة عند المعتزلة هي المنفعة فقد عرف المعتزلة المنفعة بأنها : (اللذة والسرور أو ما يؤدي إليهما أو إلى أحدهما) [١] .

ويرى المعتزلة أن المنعم يستحق الشكر إذا خلصت النعمة من الإساءة ، والشكر هو : (الاعتراف بنعمة المنعم مع ضرب من التعظيم ، ولا بد من اعتبار الوصفين جميعاً) [٢] .

ويكون الشكر بالقلب وباللسان وبالأعمال المخصوصة مثل العبادات التي تؤدى إلى ا تعالى ، فإنها جارية مجرى الشكر ، وهذه الطريقة في الشكر لا يستحقها إلا ا تعالى ، لأنه وحده هو القادر على أصول النعم ، فيجب أن يصرف إليه غاية التذلل والخضوع .

وذهب المعتزلة إلى أن العبد إذا أدى هذه العبادات تعالى ، وأدى الشكر له تعالى ، استحق من ا تعالى نفعاً آخر ونعمة أخرى ، وهذا بخلاف الشكر بين المخلوق والمخلوق فإنه لا يستحق عليه شيئاً .

وسبب ذلك أن ا تعالى جعل الشكر المأمور به العبد شاقاً عليه ، وما دام أنه شاق فلا بد أن يكون في مقابله ما يوفي عليه شكره ، وإلا كان ظلماً ، وكان ذلك بمنزلة أن يكلف أحد ما غيره عملاً شاقاً ، ولم يعط عليه أجراً ، فكما أنه قبيح في الشاهد فهو كذلك في الغائب .

ويرى المعتزلة أن أول نعمة للعبد على ا تعالى هو خلقه له حياً ليتم له المنفعة . ولا بد من الوصفين معاً . وهما الحياة والمنفعة حتى تكون نعمة ، وذلك لأنه لا يصح التنعم إلا بالحياة .

وبناء على ذلك يرى المعتزلة أن ا تعالى لم يكن منعماً على الكفار أصلاً ، لأنه لم يقصد بخلقهم نفعهم حيث أعادهم إلى النار [١] .

---

(1) المصدر نفسه : ٨٠ .

(2) المصدر نفسه : ٨١ .

ثم قسم المعتزلة المنفعة المقصودة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : التفضل : وهو النفع الذي لفاعله أن يوصله لغيره ، وله أن لا يوصله.

الثاني : العوض : وهو النفع المستحق لا على سبيل التعظيم والإجلال .

الثالث : الثواب : وهو النفع المستحق على سبيل التعظيم والإجلال .

والفرق بين هذه الأقسام أن التفضل غير مستحق على ا تعالى للعباد ، وأما العوض والثواب فهو مستحق للعباد على ا تعالى – عندهم - .

والتفضل عام في جميع المخلوقات والأحياء التي خلقها ا تعالى . أما العوض فهو للمكلف وغيره ، والثواب للمكلف فقط [٢] .

ويعترف المعتزلة أن كل ما بنا من نعمة فهو من ا تعالى ، يقول القاضي عبد الجبار : (فإن قيل : فما كمال نعم ا ، قلنا لا سبيل لنا إلى علم ذلك مفصلاً ، وإنما نعلم على سبيل الجملة أن جميع ما بنا من النعم ، أصولها وفروعها ، مبتدؤها ومنشؤها من قبل ا تعالى ومن عنده) [٣] .

ويقسم المعتزلة النعم إلى قسمين :

الأول : ما لا يقدر عليه إلا ا تعالى مثل : الإحياء والإقدار وإكمال الفعل ونحو ذلك .

الثاني : ما يقدر عليه ا تعالى ، ويقدر عليه غيره ، وهذا ينقسم إلى قسمين :

١- ما يصل إلينا من جهة ا على الحقيقة مثل : المنافع التي تصل إلينا بطريق الإرث ، فإنها لم تصل إلينا إلا من جهة ا تعالى وبتشريعه لذلك ، وإلا لقلت : إن المال خلفه صاحبه لمن سبق وحازه .

---

(1) المصدر نفسه : ٨٤ .

(2) انظر المصدر نفسه : ٨٥ .

(3) المصدر نفسه : ٨٦ .

٢- ما يكون في الحكم كأنه من جهة ا تعالى مثل : الهبات والصدقات والهدايا. فإنها في الحكم كأنها من قبل ا ، وإن كان المتولي لها غير ا .

والسبب في أنها في الحكم كأنها من قبل ا تعالى ، لأنه سبحانه هو خالق الواهب والموهوب والموهوب له .

وعلى ذلك فيرى المعتزلة أن التكليف قد أنعم ا تعالى به علينا لأنه نعمة مؤدية إلى منفعة ، إلا أنهم عادوا ومنعوا القول بأن ا تعالى منعم علينا بالإيمان ، لأن ذلك قد يوهم الخطأ ، وإنما الصواب – عندهم – أن ا تعالى هو الذي خلقنا وأحيانا وأقدرنا وأكمل عقولنا وكلفنا وأمكننا من اختيار الإيمان أو الكفر ، فكأنه هو الذي خلق فينا الإيمان وأنعم به علينا ، إلا أنهم لا يطلقون ذلك لأنه موهم للخطأ ، فأصول المعتزلة تمنع أن يخلق ا تعالى الإيمان في العبد .

وعلى ذلك فالمعتزلة لا يرون أن ا تعالى يستحق الشكر على الإيمان نفسه ، إنما يستحقه على مقدماته ، وتعالى ا عن ذلك علواً كبيراً ، فله المنة وله الفضل وله الثناء الحسن – يقول القاضي عبد الجبار [1] : (فإن قيل : لو كان الأمر على ما ذكرتموه لكان يجب أن يكون القديم تعالى منعماً علينا بالتكليف ، فعليه نستحق الثواب وبه نتوصل إليه . قلنا : هكذا نقول ، لأنه لا فرق في النعمة بين أن تكون منفعة يمكن الالتذاذ بها ، وبين أن تكون مؤدية إلى منفعة .

فإن قيل : يلزم على هذا أن يكون القديم تعالى منعماً علينا بالإيمان ، وأن يستحق من جهتنا الشكر عليه ، قلنا : كذلك نقول ، إلا أنا لا نطلق القول به ، لأنه يوهم الخطأ . يبين ذلك ، أنه هو الذي خلقنا وأحيانا وأقدرنا وأكمل عقولنا وخلق فينا شهوة القبيح أو نفرة الحسن ، وكلفنا وجعلنا بحيث أمكننا اختيار الإيمان بدلاً من الكفر ، والكفر بدلاً من الإيمان ، وعرضنا بذلك إلى درجة الثواب ، فكأنه هو الذي خلق فينا الإيمان وأنعم به علينا ، إلا أنا لا نطلق القول بذلك لما ذكرناه من كونه موهماً للخطأ ، حتى لو لم يوهم ذلك ، وعرف من حالنا أنا لا نعني به أنه هو الذي خلق الإيمان فينا ،

---

(1) قد تقدم ذكر قول القاضي ، ورأيت إعادته هنا لأهميته .

وأنه لا يستحق الشكر عليه نفسه ، وإنما يستحق الشكر على مقدماته ، لجوزنا إطلاق القول في ذلك) [١] .

وبناء على أصلهم هذا لم يعترف المعتزلة بأن الله تعالى الذي خلق الهدى والإيمان في قلوب المؤمنين ، وصرفوا آيات القرآن الكريم عن معناها الصحيح ، وقالوا بأن الهدى الوارد في القرآن الكريم هو بمعنى البيان الرشاد فقط .

وأما ما جاء في القرآن من آيات فيها تخصيص الهداية لبعض الناس مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [٣] ، فقالوا في تفسير هذه الهداية : هداه أي سماه مهتدياً ، وأضله أي سماه ضالاً ، وقالوا : إن الله هدى الكافرين أي أرشدهم فلم يهتدوا ، ونفعهم بأن قواهم على الطاعة فلم ينتفعوا .

يقول القاضي عبد الجبار في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [٤] : (إنه تعالى هدى الخلق بالأدلة والبيان ، ويهدي من ءآمن بالثواب خاصة ويهديهم أيضاً بالألطاف ، ونقول إنه يضل من استحق العقاب بالعاقبة ، وبأن يعدلهم عن طريق الجنة ، وبأن لا يفعل بهم من الألطاف ما ينفعهم ، ولا نقول إنه يضل عن الدين

---

(1) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٥٢٦ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ١٢٥ .

(3) سورة فاطر ، آية : ٨ .

(4) سورة البقرة ، آية : ٢٦ .

بأن يخلق الضلال فيهم ولا أنه يريده ولا أنه يدعوهم إليه ، لأن ذلك هو الذي يليق بالشياطين والفراعنة ، وإنما قال تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ﴾ وأراد يعاقب بالكفر به ، ﴿ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ أي يثيب بالإيمان به كثيراً) [1] .

والناظر في تفسير المعتزلة للآيات التي جاء فيها أن ا يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، يجد أنهم يؤولونها إلى اللطف أو زيادة الهدى ، وأن الإضلال بمعنى التسمية أو ترك اللطف ، ويظهر ذلك واضحاً في تفسير الكشاف ، وتنزيه القرآن عن المطاعن .

نقد مذهب المعتزلة في النعم :

يتبين لنا مما تقدم أن المعتزلة قد أصابوا في نسبة كل النعم إلى ا تعالى كبيرها وصغيرها ، وأصابوا في إثبات وجوب شكره تبارك وتعالى على جميع نعمه .

إلا أن المعتزلة عادوا وناقضوا أنفسهم ، فأخرجوا بعض نعم ا تعالى على خلقه – بل أعظمها – من عموم خلق ا تعالى ، وجوزوا إطلاق كونها نعمة تعالى مجازاً فقط ، لكونه خالق مقدماتها .

وعلى ذلك ، ومما تقدم من عرض مذهب المعتزلة ، يتبين لنا عدة جوانب أخطأ فيها المعتزلة :

أولاً : أخطأوا في جعلهم الشكر سبباً في استحقاق العبد نعمة أخرى من ربه ، مع أن نعم ا تعالى هي محض فضله وكرمه وإحسانه إلى خلقه . وإن كان ا تعالى قد وعد من شكره بالزيادة فهذا على وجه التفضل منه سبحانه لا على سبيل الاستحقاق.

ثانياً : أخطأ المعتزلة في إخراج الإيمان با تعالى ونعمته الدينية من كونها نعمة إلا على سبيل المجاز ، والسبب في قولهم هذا أنهم أرادوا الابتعاد عن التناقض في أصولهم ، إلا أن تناقضهم واضح ، فبعد اعترافهم بأن كل نعمة هي من ا تعالى عادوا وأخرجوا الهداية والإيمان من عموم خلق ا تعالى ومن عموم نعمه على عباده

---

(1) تنزيه القرآن عن المطاعن : ٢٠ – ٢١ .

المؤمنين ، وظنوا بذلك أنهم قد نزهوا ا تعالى عن الظلم وأثبتوا له العدل ، وهذا مبني على أساس قولهم في خلق أفعال العباد ، وإخراجهم لها عن عموم خلق ا تعالى.

ثالثاً : أخطأ المعتزلة في إنكارهم أن ا تعالى قد أنعم على الكفار بنعم متعددة ، وسبب ذلك – عندهم – أنه تعالى لم يقصد من خلقهم منفعتهم فلما انتفى القصد انتفت النعمة عن الكفار . مع أنهم قد أثبتوا أن ا عز وجل قد تفضل على جميع خلقه بنعم وملذات ابتدأهم بها .

وأهل السنة والجماعة ذهبوا إلى إثبات نعم ا الدنيوية على الكفار ، ونفوا أن تكون له عليهم نعمة دينية وهي الإيمان والهدى ، فإن تلك النعمة خاصة بالمؤمنين . إلا أن السلف لم يكن السبب عندهم في نفي النعمة الدينية عن الكفار هو انتفاء القصد من خلقهم أن ينتفعوا أو تقريبهم من المنفعة ، وإنما السبب في ذلك أن الكافر ترك محبة ربه والإنابة إليه والإخلاص والخضوع له مع إحياء ا تعالى له ، وإقداره وتمكينه وإرسال الرسل إليه وإقامة الحجة عليه ، فقابله ا تعالى بعدم خلق الهدى فيه ، جزاء منه تعالى على ترك ما خلق له وفطر عليه .

رابعاً : أخطأ المعتزلة في قولهم إن ا تعالى لا يستحق الشكر على نعمة الإيمان نفسها ، لأن العبد هو الذي خلقه ، وإنما يستحق الشكر على مقدماته وتمكينه للعبد من اختيار الإيمان دون الكفر .

وهذا خطأ فادح فإن هذه المقدمات حاصلة للمؤمن والكافر ، فيكون ا تعالى قد أنعم على المؤمن وعلى الكافر بنعمة دينية واحدة ، ولا فرق بينهما ، ولم يختص سبحانه عباده المؤمنين بنعمة دينية دون الكافرين ، وهذا مناقض لقولهم الذي تقدم وهو نفي أن يكون ا تعالى منعماً على الكافر . وقد تقدم بيان ذلك [1].

وبناء على هذه الأصول عند المعتزلة فقد صرفوا معنى الهداية الوارد في القرآن الكريم عن معناه ومدلوله ، واكتفوا بإثبات الهداية بمعنى البيان والإرشاد فقط ، ونفوا

---

(1) انظر ص(١٢٨) من هذا البحث .

هدايته تعالى لعباده وتوفيقه لهم ، وقالوا بأن معنى (هداه) أي (سماه) مهدياً ، وواضح ضعف هذا القول ، وأنه ليس هو المراد من كلام ا تعالى ، كما أنه لم يثبت في لغة العرب تفسير كلمة (هداه) بمعنى (سماه) بذلك ، وهم قد استدلوا على ما ذهبوا إليه ، ببعض الكلمات التي في اللغة مثل : أحمدت الرجل وأبخلته وأجننته إذا وجدته كذلك أو نسبته إليه ، وغير ذلك مما لا نجد له شاهداً في اللغة ولا يستقيم به تفسير الآيات القرآنية ، والواقع أن هذا إنما ورد في ألفاظ معدودة ونادرة فلا يطرد ولا يقاس عليه ، وإلا فهل يمكن أن ينسحب مثل هذا المعنى على قول القائل : قام وأقمته وقعد وأقعدته ، وذهب وأذهبته وسمع وأسمعته ، ونام وأنمته ، وكذا ضل وأضله ا وأسعده وأشقاه إلى غير ذلك من الألفاظ .

وأما تفسير القرآن الكريم بهذه المعاني فلا يستقيم ولا يصح حمل الآيات القرآنية عليه ، وهل يصلح أن يفهم من قوله تعالى : ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ (1) ليس عليك تسميتهم مهتدين ، ولكن ا يسمي من يشاء مهتدياً ؟ وهل يصح أن يفهم منه ليس عليك وجودهم مهتدين ؟ وهل يمكن إذا كانت الهداية هنا بمعنى البيان والإرشاد أن ينفيها ا تعالى عن رسوله ﷺ وقد أثبتها له في مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (٢) وهل يمكن أن يفهم من قول الداعي ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ أي سمني مهتدياً (٣) .

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه ا تعالى : (والقدرية ترد هذا كله إلى التشابه ، وتجعله من متشابه القرآن ، وتتأوله على غير تأويله ، بل تتأوله بما يقطع ببطلانه

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٢٧٢ .

(2) سورة الشورى ، آية : ٥٢ .

(3) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢١٦/١ ، ٢١٧ .

وعدم إرادة المتكلم له ، كقول بعضهم (المراد بذلك تسمية العبد مهتدياً وضالاً) فجعلوا هداه وأضله مجرد تسمية العبد بذلك ، وهذا مما يعلم قطعاً أنه لا يصح حمل هذه الآيات عليه ، وأنت إذا تأملتها وجدتها لا تحتمل ما ذكروه البتة ، وليس في لغة أمة من الأمم فضلاً عن أوضح اللغات وأكملهـا (هـداه) بمعنى سمـاه مهتدياً ، و (أضله) سماه ضالاً وهل يقال (علمه) إذا سمـاه عالماً و (فهمه) إذا سمـاه فهيمـاً ، وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [1] فهل فهم أحد - غير القدرية - المحرفة للقرآن من هذا ليس عليك تسميتهم مهتدين ولكن الله يسمي من يشاء مهتدياً ، وهل فهم أحد قط من قوله سبحانه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [2] لا تسميه مهتدياً ولكن يسميه الله بهذا الاسم ؟ وهل فهم أحد من قول الداعي ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [3] .. ونحوه اللهم سمني مهتدياً وهذا من جناية القدرية على القرآن) [4] .

وقال ابن أبي العز الحنفي ، وهو يشرح قول الطحاوي : (يهدي من يشاء ، ويعصم ويعافي فضلاً ، ويضل من يشاء ، ويخذل ويبتلي عدلاً) ، قال : (هذا رد على المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله ، وهي مسألة الهدى والضلال ، قالت المعتزلة : الهدى من الله : بيان طريق الصواب ، والإضلال تسمية العبد ضالاً ، وحكمه تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه ، وهذا مبني على أصلهم الفاسد : أن أفعال العباد مخلوقة لهم ، والدليل على ما قلناه قوله

---

(1) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٧٢ .

(2) سورة القصص ، جزء من الآية : ٥٦ .

(3) سورة الفاتحة ، آية : ٦ .

(4) شفاء العليل ، لابن القيم : ٢١٧/١ .

تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [١] ولو كان الهدى بيان الطريق لما صح هذا النفي عن نبيه ، لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [٢] ، ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [٣] ، ولو كان الهدى من الله البيان ، وهو عام في كل نفس – لما صح التقييد بالمشيئة . وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [٤] ، وقوله تعالى : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٥] [٦] .

وقد علق بعض أهل العلم على تفسير الزمخشري عند تفسيره الضلال بترك اللطف ، والهداية باللطف ، وأشار إلى أن ذلك من تحريفاته لمعاني الهداية والضلال ، حتى يتمشى مع معتقده الفاسد في أن الله لا يخلق الهدى ولا الضلال ، وإنما ذلك من فعل العباد أنفسهم ، وأشار إلى أن النصوص القرآنية كثيراً ما تخرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرقعها وقد اتسع الخرق على الراقع [٧] .

مذهب الأشاعرة في النعمة :

---

(1) سورة القصص ، جزء من الآية : ٥٦ .

(2) سورة السجدة ، جزء من الآية : ١٣ .

(3) سورة النحل ، جزء من الآية : ٩٣ .

(4) سورة الصافات ، آية : ٥٧ .

(5) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ٣٩ .

(6) شرح العقيدة الطحاوية ، آية : ١٤٨ .

(7) انظر الانتصاف المطبوع بذيل الكشاف ، أحمد بن منير الإسكندري المالكي : ١٣/٢ .

لا شك أن الأشاعرة ينسبون كل نعمة إلى ا تعالى ، بناء على ما ذهبوا إليه من أن كل خير أو شر في هذا الوجود فهو من ا كما مر معنا .

وعلى ذلك فإنهم يعترفون أن كل نعمة فهي من ا تعالى ، يستحق سبحانه عليها الشكر ، ومن ذلك نعمة الهداية .

فيرى الأشاعرة أن هداية ا تعالى للمؤمنين بخلق هداهم ، وتنوير قلوبهم بالإيمان ، وشرح صدورهم ، وتوفيقهم وإعانتهم ، يقول الباقلاني : (فإن قال : وما معنى هدايته للمؤمنين ؟ قيل له : قد يهديهم بأن يخلق هداهم وينور بالإيمان قلوبهم ، وقد يهديهم أيضاً بأن يشرح صدورهم ويتولى توفيقهم وإعانتهم عليه وتسهيله لهم السبيل إليه ، كل ذلك هداية منه لهم . وقد يهديهم أيضاً في الآخرة إلى الثواب وطريق الجنة وذلك هدى لهم من فعله) [1] .

وقال الجويني عند تفسير بعض الآيات التي وردت في تخصيص ا تعالى بعض عباده بالهداية : (اعلم أن الهدى في هذه الآي لا يتجه حمله إلا على خلق الإيمان ، وكذلك لا يتجه حمل الضلال على غير خلق الضلال ، ولسنا ننكر ورود الهداية في كتاب ا عز وجل على غير المعنى الذي رمناه) [2] .

وبهذا يتبين أن الأشاعرة يحملون الهداية على خلق ا تعالى الإيمان في قلب العبد المؤمن ، وإن كانوا يقرون بأن الهداية تأتي لمعان أخرى كالبيان والإرشاد والهداية إلى الجنة والنار وغير ذلك .

ولذلك تجدهم يجعلون الهداية من ا تعالى على وجهين :

الأول : هداية من جهة إبانه الحق ، الدعوة إليه ، ونصب الأدلة عليه ، وهذه هي الهداية التي يصح اسنادها إلى الرسل ، وكل من سار على طريقتهم في الدعوة إلى

---

(1) التمهيد ، الباقلاني : ٣٧٦ – ٣٧٨ ، وانظـر أصـول الـدين ، للبغدادي : ١٤٠ – ١٤٢ .

(2) الإرشاد ، للجويني : ٢١١ .

الله تعالى ، ومنها قوله تعالى عن رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١] .

ثانياً : هداية بمعنى خلق الاهتداء في القلوب ، وهذا لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] .

والهداية الأولى عامة وشاملة ، والثانية خاصة بالمهتدين [٣] .

ولا شك أن مذهب الأشاعرة لا يبتعد عن مذهب السلف ، وذلك لاعتماده على إقرارهم بأن الله خالق كل شيء حتى أفعال العباد .

---

(1) سورة الشورى ، آية : ٥٢ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ١٢٥ .

(3) انظر أصول الدين ، للبغدادي : ١٤٠ – ١٤٢ .

١٣ – الفصل الثالث :

الثواب والعقاب في الحياة الدنيا .

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : العقاب بالسيئات .

المبحث الثاني : الثواب بالحسنات .

المبحث الثالث : تعجيل العقوبة في الدنيا .

المبحث الأول :

العقاب بالسيئات .

توطئة

السيئة نقيض الحسنة – كما تقدم -[1] ويدل على ذلك : اقتران لفظ السيئة بالحسنة للدلالة على عكس المعنى في عدد من آيات القرآن الكريم .

ولما كان تعريف الحسنة بأنها كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، فإن السيئة تضادها ، بمعنى أنها كل ما يسوء الإنسان في نفسه أو بدنه أو حاله .

فقوله تعالى : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [2] المراد بها الخصب والسعة والظفر ، وقوله ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ [3] أي جدب وضيق ، وقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ [4] أي من ثواب ، و﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ [5] أي عذاب [6] .

والسيئة تشمل أمرين :

١- المصائب .　　　　　　٢- الذنوب .

ولفظ السيئة في القرآن تناول هذا وهذا .

فمما جاء ليدل على المصائب قوله تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [7] . وقوله تعالى : ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [8] . وقوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ

---

(1) انظر ص(٣٧٩) من هذا البحث .
(2) سورة النساء ، جزء من الآية : ٧٨ .
(3) سورة النساء ، جزء من الآية : ٧٨ .
(4) سورة النساء ، جزء من الآية : ٧٩ .
(5) سورة النساء ، جزء من الآية : ٧٩ .
(6) انظر بصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي : ٢٦٥/٢ .
(7) سورة آل عمران ، آية : ١٢٠ .
(8) سورة التوبة ، آية : ٥٠ .

﴿مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [1] . وقوله تعالى : ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ [2] .

أما الأعمال المنهي عنها من المعاصي والذنوب فقد جاء لفظ السيئة ليدل عليها في مثل قوله تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [3] . وقوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [5] .

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [6] : (إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة) [7] .

- أما المصائب فقد تقدم الحديث عنها مما أغنى عن إعادته و الحمد .

وأما الذنوب فلا شك في أنها سيئة تنال العبد في نفسه وحاله ، وهي عقوبة على ذنوب قبلها . وهذا ما سيكون الحديث عنه في هذا المبحث إن شاء ا تعالى .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٦٨ .
(2) سورة الشورى ، آية : ٤٨ .
(3) سورة الأنعام ، آية : ١٦٠ .
(4) سورة هود ، آية : ١١٤ .
(5) سورة الفرقان ، آية : ٧٠ .
(6) سورة هود ، آية : ١١٤ .
(7) تفسير ابن كثير : ٧١٤/٢ .

العبد هو فاعل الذنب ، وفعله قائم به ، حاصل بسببه ، مع أن الذنوب مقدرة عليه من ا تعالى . كذلك الجزاء الذي هو مسبب عن هذه الذنوب هو من نفس العبد أيضاً ، وإن كان ا تعالى هو الذي قدره عليه وخلقه فيه وعاقبه به . ولذلك كان النبي ﷺ يستعيذ من شرور النفس ومن سيئات الأعمال فكان يقول : (ونعوذ با من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا) [1] .

وقال له أبو بكر رضي ا عنه [2] : علمني دعاء . فقال له رسول ا ﷺ : (قل اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، وشر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره على مسلم ، قله إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك) [3] .

فعلمه عليه الصلاة والسلام الاستعاذة من شرور النفس وغيرها من الشرور .

فإن من عقوبة الذنب الذنب يحصل بعده ، فالمعصية الثانية قد تكون عقوبة على المعصية الأولى ، فتكون المعصية من سيئات الجزاء ، مع أنها من سيئات العمل .

ومن تدبر القرآن الكريم تبين له أن عامه ما يذكره ا في خلق الكفر والمعاصي يجعله جزاء لذلك العمل ، مثل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [4] . وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(1) سبق تخريجه ص(٦٥٤) .

(2) عبد ا بن أبي قحافة عثمان بن عامر ابن كعب التيمي القرشي ، أبو بكر أو الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن رسول ا ﷺ من الرجال ، وأحد أعاظم العرب ، ولد قبل الهجرة بإحدى وخمسين سنة ، وتوفي سنة ١٣هـ . انظر طبقات ابن سعد : ٢٦/٩ ، حلية الأولياء : ٩٣/٤ ، الأعلام : ١٠٢/٤ .

(3) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب رقم (١٤) : ٤٦٧/٥ ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(4) سورة الروم ، آية : ١٠ .

ﭐتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴿٣﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [3] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [4] .

وعن حذيفة رضي ا عنه [5] عن النبي ﷺ قال : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، وآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا [6] لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً) [7] .

---

(1) سورة محمد ، آية : ١-٣ .

(2) سورة آل عمران ، آية : ١٥١ .

(3) سورة الصف ، آية : ٥-٧ .

(4) سورة البقرة ، آية : ٨٨ .

(5) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي ، أبو عبد ا ، واليمان لقب حسل ، صحابي ، وكان صاحب رسـول ا ﷺ في المنافقين ، توفي سنة ٣٦هـ . انظر تهذيب التهذيب : ٢١٩/٢ ، صفوة الـصفوة : ٢٤٩/١ ، الأعـلام : ١٧١/٢ .

(6) مجخياً : بضم الميم وفتح الجيم وكسر الخاء ، أي : مائلاً أو منكوساً ، وفي ذلك وصف له بالسواد وأنـه قلـب منكس لا يعلق به خير ولا حكمة ، فهو كالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه . انظر شرح النـووي علـى صحيح مسلم : ١٧٣/٢ .

(7) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً : ١٢٨/١ .

وعن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستعتب صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذي ذكر ا تعالى : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [1]) [2] .

وعن عبد ا بن مسعود رضي ا عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند ا صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند ا كذاباً) [3] .

فهذه الذنوب وإن كانت خلقاً تعالى ، فهي عقوبة للعبد على عدم فعله لما خلق له ، فإن ا تعالى قد خلقه لعبادته وحده لا شريك له ، وهذه هي الفطرة التي فطر ا الناس عليها كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [4] .

وذنبه الأول هو عدم فعله لما خلق له ، وفطر عليه ، وأمر به من معرفة ا تعالى وحده ، وعبادته وحده ، فعوقب على ذلك بالسيئات .

وعدم فعل العبد للحسنات ليس أمر وجودياً ، حتى يقال : إن ا خلقه ، بل هو أمر عدمي ، وأمر به ، والعقوبة الحاصلة هي العقوبة على هذا الأمر العدمي ، ولكن هذه العقوبة تكون بفعل السيئات ، لا بالعقوبات التي يستحقها بعد إقامة الحجة بالنار ونحوها .

---

(1) سورة المطففين ، آية : ١٤ .

(2) سنن الترمذي كتاب التفسير ، باب تفسير سورة ويل للمطففين : ٤٣٤/٥ .
وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا وكونوا مع الصادقين : ٢٢٦١/٥.
صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله : ٢٠١٣/٤ .

(4) سورة الروم ، آية : ٣٠ .

والله سبحانه وتعالى لا يعاقب عبده على السيئات حتى يرسل إليه الرسل ، فإن عصى الرسل وقامت عليه الحجة استحق حينئذ العقوبة التامة ، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده وإمهاله لهم ، فلا يعاقب أولاً إلا بما يمكن النجاة من شره بأن يتوب العبد منه [1] .

والسيئات جميعها منشؤها الجهل والظلم ، فإن فاعل السيئة لا يخرج عن حالتين :

- عدم علمه بكونها سيئة قبيحة .
- هواه وميل نفسه إلى فعل السيئة .

وكذلك تارك الحسنات لا بد له من حالتين :

- عدم علمه بوجوب الحسنات .
- بغض نفسه لفعل الحسنات .

وفي الحقيقة فإن السيئات والذنوب ترجع كلها إلى الجهل ، فلو كان العبد عالماً علماً نافعاً بأن فعل هذه السيئة يضره ضرراً راجحاً ، ما فعله أبداً ، وهذه خاصية العاقل ، فالسارق لم يسرق إلا لأنه لم يجزم بأنه يؤخذ ويقطع ، والزاني لم يزنِ إلا لأنه لم يجزم بأنه يرجم أو يجلد ، وكذلك الذنوب ، متى جزم طالب الذنب بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله ، وإذا فعله فلا بد له من حالين :

- إما أن لا يكون جازماً بتحريمه .
- أو يكون غير جازم بعقوبته ، بل يرجو العفو بحسنات يفعلها ، أو توبة ، أو يعفو الله عنه ، أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر تحريماً ولا وعيداً ، فيبقى غافلاً جاهلاً ، والغفلة والجهل ضد العلم قال تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَاةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ

[1] انظر مجموعة الفتاوى ، ابن تيمية : ١٤/١٨٧-١٨٩ .

زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [1].

كذلك الهوى فإنه لا يستقل وحده بفعل السيئات إلا مع الجهل ، وإلا فصاحب الهوى إذا علم أن ذلك يضره ضرراً راجحاً ، انصرفت نفسه عنه بالطبع ، فإن ا تعالى قد جبل النفس على حب ما ينفعها ، وبغض ما يضرها ، فلا تفعل ما تجزم بضرره ضرراً راجحاً ، ومتى فعل العبد ذلك دل على ضعف عقله .

والمقصود أن أصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل ، وهو عدم العلم بكون السيئات تضرهم ضرراً راجحاً ، ولهذا نُقل عن الصحابة رضي ا عنهم قولهم بأن كل من عصى ا فهو جاهل ، وفسروا بذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3].

قال أبو العالية : سألت أصحاب محمد ﷺ عن هذه الآية :

- ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ... ﴾ الآية ، فقالوا : كل من عصى ا فهو جاهل ، ومن تاب قبيل الموت فقد تاب من قريب .

وروي عن قتادة قوله : أجمع أصحاب محمد ﷺ على أن كل من عصى ربه فهو في جهالة ، عمداً كان أو لم يكن ، وكل من عصى ا فهو جاهل . فكذلك قال التابعون ومن بعدهم ، قال مجاهد : من عمل ذنباً – من شيخ أو شاب – فهو بجهالة ،

---

(1) سورة الكهف ، آية : ٢٨ .

(2) سورة النساء ، آية : ١٧ .

(3) سورة الأنعام ، آية : ٥٤ .

وقال : من عصى ربه فهو جاهل ، حتى ينزع عن معصيته ، وقال – أيضاً – من عمل سوءاً خطأ أو إثماً عمداً ، فهو جاهل ، حتى ينزع منه [1] .

ومما يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [2] . فكل من خشيه وأطاعه وترك معصيته فلديه علم ، كما قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [3] .

والمقصود أن العلم هو أساس فعل الحسنات ، والجهل أصل فعل السيئات ، فعدم العلم ليس شيئاً موجوداً ، بل هو أمر عدمي ، والعدم لا فاعل له ، ولا يضاف إلى ا تعالى [4] .

ويقول ابن تيمية رحمه ا تعالى بعد هذا التوضيح : (فإن العلم بما أنذرت به الرسل يوجب الخوف ، فإذا كان العلم يوجب الخشية الحاملة على فعل الحسنات ، وترك السيئات ، وكل عاص فهو جاهل ، ليس بتام العلم . يبين ما ذكرنا من أن أصل السيئات الجهل ، وعدم العلم ، وإذا كان كذلك فعدم العلم ليس شيئاً موجوداً ، بل هو مثل عدم القدرة ، وعدم السمع والبصر ، وسائر الأعدام . والعدم لا فاعل له ، وليس هو شيئاً ، وإنما الشيء الموجود . وا تعالى خالق كل شيء ، فلا يجوز أن يضاف العدم المحض إلى ا) [5] .

وعلى ذلك فالذنب الأول هو ذنب عدمي لا يضاف إلى ا تعالى ، ولكنه سبب في عقاب ا تعالى للعبد بالسيئات بعدها .

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٦٧/١٤ .

(2) سورة فاطر ، آية : ٢٨ .

(3) سورة الزمر ، آية : ٩ .

(4) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٦٨/١٤ .

(5) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٦٨/١٤ .

ومن هذه العقوبات التي تكون بسبب الذنوب إضلال ا تعالى للعبد ، وقد تقدم في المبحث السابق أن نعمة الهداية والإيمان من الأمور التي تفرد ا تعالى بها ، ويأتي في مقابلها الضلال ، وهو أعظم ما يبتلى به العبد ويقدر عليه ، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال .

والضلال بيد ا تعالى ، لا بيد العبد ، والعبد هو الضال ، أما الإضلال فهو فعل ا سبحانه وتعالى ، ولذلك فإن من يضله ا فلا هادي يستطيع أن يهديه ، قال تعالى : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (1) .

والضلال عند السلف ، هو ضلال العبد بعد أن يهديه ا هدى البيان ، ويبين له طريق الهدى والرشاد ، بأن يرسل إليه الرسل ، وينزل عليه الكتب ، فإذا اختار العبد طريق الضلال ، وترك ما أمر بفعله وما خلق له ، فإن ا يضله بأن يخذله وهذا يقتضي عدم توفيقه وإعانته ، وعدم خلق المشيئة المستلزمة للهداية .

واستناداً على هذا الأصل عند السلف ، فقد قالوا : إن ما يحصل للعبد من الضلال والخذلان والطبع والختم وغيرها إنما هي عقوبة من ا تعالى للعبد وجزاء له على ذنوبه ، وإعراضه عن الحق ، واختياره للغي والفساد (2) .

ومن الأفعال الربانية الحميدة التي يخلقها سبحانه في العبد عقوبة له على ذنوبه ، الخذلان : وهو أن يخلي ا تعالى بين العبد وبين نفسه ويكله إليها ، ومن خلى ا تعالى بينه وبين نفسه فقد هلك ، ولذلك قال تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (3) .
وكان عليه الصلاة والسلام يقول : (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك) (4) .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٨٦ .

(2) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٢٨/١ .

(3) سورة آل عمران ، آية : ١٦٠ .

(4) مستدرك الحاكم : ٧٣٠/١ ، قال : (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ، وقال الهيثمي (رواه البـزار ورجاله رجال عثمان بن موهب وهو ثقة) ، مجمع الزوائد : ١١٧/١٠ ، والحديث من رواية أنس رضي ا عنه .

ومن هذه العقوبات الربانية الطبع والختم ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَِٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [2] .

والختم والطبع بمعنى واحد ، قال ابن منظور : (ختمه يختمه ختماً وختاماً : طبعه ... والختم على القلب أن لا يفهم شيئاً ، ولا يخرج منه شيء ، كأنه طبع . وفي التنزيل العزيز : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [3] ، هو كقوله : ﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [4] فلا تعقل ولا تعي شيئاً ، قال أبو إسحاق : (معنى ختم وطبع في اللغة واحد ، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء) [5] .

وقال الفيروزآبادي : (ختمه يختمه ختماً وختاماً طبعه ، وطبع على قلبه جعله لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء) [6] .

فالختم والطبع يفسر كل منهما بالآخر في اللغة ، بمعنى اشتراكهما في الدلالة على التغطية والاستيثاق ، قـال القرطبي في قولـه تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَِٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [7] (والطبع الختم) [8] .

---

(1) سورة النساء ، آية : ١٥٥ .

(2) سورة الأعراف ، آية : ١٠٠ .

(3) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٧ .

(4) سورة التوبة ، جزء من الآية : ٩٣ .

(5) لسان العرب ، لابن منظور : ١٦٣/١٢ .

(6) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ١٠٢/٤ .

(7) سورة النساء ، آية : ١٥٥ .

(8) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٨/٦ .

وقال ابن جرير رحمه ا تعالى بعد ذكر حديث أبي هريرة الذي تقدم [1] : (فأخبر رسول ا ﷺ أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل ا تعالى والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر عنها مخلص ، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر في قوله تعالى : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [2][3] .

وقال الشيخ الشنقيطي – رحمه ا تعالى - : (والختم : الاستيثاق من الشيء حتى لا يخرج منه داخل فيه ، ولا يدخل فيه خارج عنه) [4] .

وقال السعدي – رحمه ا تعالى - : (ختم ا على قلوبهم وعلى سمعهم أي : طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان ، ولا ينفذ منها فلا يعون ما ينفعهم ، ولا يسمعون ما يفيدهم) [5] .

ومما يشبه الطبع والختم الران ، فقد قال تعالى : ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [6] ، والران من أغلاظ الحجب على القلب وأكثفها ، قال مجاهد : (هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب عليه) [7] . وقال قتادة : (أعمال السوء إي وا ذنب على ذنب وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسود) [8] .

ومن ذلك أيضاً القفل : قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [9] .

---

(1) انظر ص(٧٠١) من البحث .
(2) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٧ .
(3) جامع البيان ، للطبري : ١١٢/١ ، وانظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٧٣/١ .
(4) أضواء البيان ، للشنقيطي : ١١٠/١ .
(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٢٤ .
(6) سورة المطففين ، آية : ١٤ .
(7) جامع البيان ، للطبري : ١٠٠/٣٠ .
(8) المصدر نفسه : ٩٩/٣٠ .
(9) سورة محمد ، آية : ٢٤ .

أي على قلوبهم أقفالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معاني القرآن ، حتى يفتحها ا أو يفرجها [1] .

ومن ذلك الصمم والوقر والعمى ، قال ا تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [4] .

والمعنى : أنهم لا يسمعون ولا يفقهون ، كأنهم ينادون من مكان بعيد ، ومن دعي من مكان بعيد لا يسمع ، ولا يفهم [5] .

ومن ذلك الصرف ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [6] .

فأخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية عن فعلهم ، وهو الانصراف ، وعن فعله فيهم وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره ، لأنهم ليسوا أهلاً له بما فيهم من الجهل والظلم وعدم العلم [1] .

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٨١/٤ .

(2) سورة محمد ، آية : ٢٣ .

(3) سورة الأعراف ، آية : ١٧٩ .

(4) سورة فصلت ، آية : ٤٤ .

(5) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٥١/١ ، وانظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٠٤/٤ .

(6) سورة التوبة ، آية : ١٢٧ .

ومن ذلك : المرض ، قال تعالى : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ (٢) ، ومرض القلب خروجه عن صحته واعتداله ، وصحته إنما تكون في معرفة ا تعالى وإيثار محبته على غيره (٣) .

ومن ذلك : الزيغ ، قال ا تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى عن عباده المؤمنين أنهم سألوه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (5) .

وأصل الزيغ : الميل ، ومنه زاغت الشمس إذا مالت ، وإزاغة القلب ، إمالته ، وزيغه : ميله عن الهدى إلى الضلال (٦) .

ومن ذلك أيضاً : قسوة القلب ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (١) ، وقسوة القلب تقتضي عدم اتعاظه بالمواعظ ، وعدم انتفاعه بالآيات لغلظته وقسوته (٢).

---

(1) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٥٤/١ .
(2) سورة البقرة ، آية : ١٠ .
(3) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٥٧/١ .
(4) سورة الصف ، آية : ٥ .
(5) سورة آل عمران ، آية : ٨ .
(6) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٦٠/١ .
(7) سورة المائدة ، آية : ١٣ .

إلى غير ذلك من أفعال الرب تبارك وتعالى التي خلقها في عباده عقوبة لهم على ترك عبادته ومعرفته ومحبته ، وهي جميعها تقتضي الحجب عن معرفة الحق والبعد عن الانتفاع بالحق والتمادي في الغي والطغيان .

وقس على ما ذكرت ما لم أذكره مثل السد ، والأكنة والغلاف ، والحجاب ، والوقر ، والغشاوة ، والصد ، والإغفال ، والإركاس ، والتثبيط ، ونحوها .

والمقصود أن جميع هذه الأفعال إنما ذكرت في القرآن الكريم لتبين أن عامة ما يخلقه ا تعالى من هذه الأفعال إنما هي جزاء العمل الواقع من العباد .

وكل هذه المعاني إنما هي معانٍ حقيقية ، وليست مجازات ولا استعارات ، ومن الخطأ اعتقاد أن حقيقة القفل إنما تكون من حديد والختم بشمع أو طين ، والمرض يكون بعمى أو سقم أو غيرها من أمراض البدن ، والموت بمفارقة الروح للبدن ، والعمى ذهاب ضوء العين الذي تبصر به ، فالصواب غير ذلك ، لأن هذه المعاني حقيقية وليست مجازية ، ونسبة قفل القلب إلى القلب كنسبة القفل إلى الباب ، وكذلك الختم والطبع ، فنسبته إلى القلب كنسبة الخاتم والطابع على الباب أو الصندوق ، وكذلك موت القلب وحياته نظير موت البدن وحياته ، بل إن هذه الأمور ألزم للقلب منها للبدن ، فالعمى والبكم والموت والقفل في الحقيقة إنما هو للقلب ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (٣) ، والمعنى أن معظم العمى وأصله للقلب ، وهذا لا يعني نفي العمى عن العين ، وإنما المراد أن العمى الحقيقي هو ما يكون في القلب مع أن غيره أيضاً يسمى عمى (٤) ، ومن ذلك قوله ﷺ : (ليس الغنى عن كثرة

---

(1) سورة الحج ، آية : ٥٣ .

(2) انظر تفسير ابن كثير : ٥٤/٢ .

(3) سورة الحج ، آية : ٤٦ .

(4) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٤٣/١ ، ٢٤٢ .

العرض ولكن الغنى غنى النفس) [(١)] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عن الغضب) [(٢)] .

يقول ابن القيم رحمه ا تعالى معلقاً على هذه الأحاديث : (ولم يرد بذلك نفي الاسم عن هذه المسميات ، وإنما أراد أن هؤلاء أولى بهذه وأحق ممن يسمونه بها)[(٣)].

ويقول ابن جرير الطبري – رحمه ا تعالى – في إثبات حقيقة هذه المعاني للقلب ، وبيان أن معنى الختم والطبع الذي يحصل للقلب إنما هو (نظير الختم والطبع على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلّها ، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف ا أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحل رباطه عنها) [(٤)] .

وعقوبته سبحانه وتعالى بالختم والطبع والاحتلال نظير عقوبته للعبد في الآخرة ، مع دخول النار ، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ [(٥)] .

وكذلك يعاقبهم في الآخرة بصدهم عن السجود له ، جزاء لامتناعهم عن السجود له في الدنيا ، قال تعالى : ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣ ﴾ [(٦)] .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الغنى غنى النفس : ٢٣٦٨/٥.
صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب ليس الغنى عن كثرة العرض : ٧٢٦/٢ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب : ٢٢٦٧/٥ .
ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب : ٢٠١٤/٤ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .
(3) شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٤٢/١ .
(4) جامع البيان ، لابن جرير الطبري : ١١٢/١ .
(5) سورة المطففين ، آية : ١٥-١٦ .
(6) سورة القلم ، آية : ٤٢ ، ٤٣ .

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية : وكذلك يعاقب الله تعالى عباده في الآخرة بأن يعمي قلوبهم عن الهدى ، عقوبة لهم على عماهم في الدنيا ، قال تعالى : ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِىٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾ [2] .

يقول ابن كثير – رحمه الله تعالى - : (يحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة .. ولهذا يقول : ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِىٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾ [3] أي في الدنيا ، قال : ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [4] أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك ، وتناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها ، كذلك اليوم نعاملك معاملة من ينساك .. فإن الجزاء من جنس العمل) [5] .

وكل من الذنب والعقوبة فعل العبد ، والفرق بينهما : أن أسباب هذه الذنوب والجرائم في الدنيا ، كانت مقدورة للعبد واقعة باختيارهم وفعلهم ، أما العقوبة فإنها لم تكن مقدورة ، بل قضاء جار من الله عليهم ، وهو عدل فيهم [6] .

والحاصل أن كل هذه الأفعال الربانية من الطبع والختم والقفل والإضلال والصد وغيرها هي أفعال حميدة ، لأن الله تعالى قد وضعها في مواضعها المناسبة لها ، ولم يضعها في غير موضعها .

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٧٢ .

(2) سورة طه ، آية : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

(3) سورة طه ، جزء من الآية : ١٢٥ .

(4) سورة طه ، جزء من الآية : ١٢٦ .

(5) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٧١/٣ .

(6) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٢٨/١ ، ٢٢٩ .

يقول ابن القيم رحمه ا : (والختم والطبع والقفل والإضلال أفعال حسنة من ا وضعها في أليق المواضع بها ، إذ لا يليق بذلك المحل الخبيث غيرها) [١] .

وكل ذلك من تمام عدله وتمام ملكه وتصرفه في خلقه بحكمته وعدله وإحسانه .

وهذه الأفعال الربانية تنزل على العبد عقوبة له على أفعاله ، ولم يفعلها الرب بالعبد من أول وهلة ، حين أمره بالإيمان وأرشده له ، وإنما فعلها بعد تكرار الدعوة منه سبحانه ، والتأكيد في البيان والإرشاد والعبد ما زال في تكرار الإعراض عن ربه والمبالغة في الكفر والعناد ، فحينئذ طبع ا على قلبه ، وختم عليه ، فالذنب الأول الحاصل من العبد لم يكن مع ختم أو طبع ، بل كان اختيارياً ، فلما تكرر عاقبه ا على ذنبه بأن طبع على قلبه.

وا سبحانه هو خالق العباد ، وخالق فعلهم ، وهو خالق السبب والمسبب ، لكن السبب باختيار العبد ، أما المسبب فخارج عن قدرته واختياره [٢] ، وفعله تبارك وتعالى فيهم إنما هو مقتضى علمه السابق فيهم ، وأنهم ليسوا أهلاً للخير ، فالمحل غير صالح ولا قابل ، فإن صلاحية المحل بشيئين ، حسن فهم ، وحسن قصد ، وهؤلاء قلوبهم لا تفقه ، وقصودهم سيئة ، ولذلك قال تعالى : ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [٣].

فأخبر سبحانه عن أمرين :

- عدم قابلية الإيمان فيهم ، وأنه لا خير منهم .
- قام مانع آخر ، وهو الكبر والإعراض والتولي .

والأمر الأول مانع من الفهم ، والثاني مانع من الانقياد والطاعة ، وقد رجح ابن جرير الطبري تأويل هذه الآية على أن ا تعالى لو علم في هؤلاء المنافقين خيراً

---

(1) المصدر نفسه : ٢٣٤/١ .
(2) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٤٦/١ وما بعدها .
(3) سورة الأنفال ، آية : ٢٣ .

لأسمعهم مواعظ القرآن وغيره حتى يعقلوا حجج الله وأدلته وبراهينه ، ولكنه تعالى قد علم أنه لا خير فيهم ، وأنهم ممن كتب عليهم الشقاء فهم لا يؤمنون [١] .

فأفعال العباد من الذنوب والمعاصي منهم ، وخلقت فيهم ، لكونهم لم يفعلوا ما خلقوا له .

وقد خلق الله العبد على هيئة لا بد لهم فيها من حركة وإرادة ، فما لم يتحركوا بالحسنات ، حركهم سبحانه بالسيئات ، عدلاً منه ، حيث وضع تلك السيئات في محلها القابل لها ، وهو القلب الذي لا بد وأن يكون عاملاً مريداً متحركاً ، فإذا لم يعمل الحسنة ، كان محلاً لاستعمال السيئة [٢] .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : (وعلى كل تقدير ، فالذنوب التي يعملها هي من نفسه ، وإن كانت مقدرة عليه ، فإنه إذا كان الجزاء الذي هو مسبب عنها من نفسه ، فعمله الذي هو ذلك الجزاء من نفسه بطريق الأولى) [٣] .

فمبدأ الذنب عند العبد هو تركه للإيمان بربه ، ومبادرته الأسباب الصادة عن الهدى ، وميله إلى ما يهواه قلبه ، وكل هذه الأسباب لم تتحكم فكان يمكنه صرف داعيته عنها ، ومخالفة الأسباب الصادة عن الهدى ، وكان الإيمان ممكناً مع هذه الموانع لو شاء العبد ذلك ، ولكن العبد لما استمر على ميله وغفلته وإيثار شهوته وكبره ، على الحق والهدى ، استحكمت عليه أسباب الضلال ، واستمكنت منه ، فلم يعد قادراً على صرف قلبه إلى الهدى والمحبة ، فَطُبِع على قلبه وخُتم عليه ، وكان الانصراف مقدوراً له في أول الأمر ، فلما تمكنت أسبابه لم يبق مقدوراً له [٤] ، ويضرب ابن القيم لذلك مثلاً فيقول : (ونظير ذلك المبادرة إلى إزالة العلة قبل

---

(1) انظر جامع البيان ، للطبري : ٢١٣/٩ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى : ١٨٩/١٤ .

(3) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٤٣/٤ .

(4) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٣٦/١ ، ٢٣٧ .

استحكام أسبابها ولزومها للبدن لزوماً لا ينفك منها ، فإذا استحكمت العلة وصارت كالجزء من البدن عز على الطبيب استنقاذ العليل منها) [١] .

إلا أنه يجب التنبه على أن الطبع والختم والقفل لا يمنع معه حصول الإيمان ، فإن ا تعالى قادر على هداية العبد بعد ضلاله ، وهو قادر سبحانه على إرشاد العبد بعد غيه ، فا سبحانه وتعالى فعال لما يريد ، يتصرف في خلقه كيف شاء ، بما يوافق حكمته ، وذلك لأن أسباب فتح القفل وإزالة الطبع مقدورة للعبد غير ممتنعة عليه ، إلا أن فك الختم وفتح القفل غير مقدور له ، وذلك نظير شرب الدواء ، فإنه مقدور للعبد ، إلا أن زوال العلة ، وحصول العافية غير مقدور له [٢] .

ولعل من الأسباب المؤدية إلى الشفاء من الختم والطبع ، كراهية العبد لما هو عليه من الضلال ، ورغبته في فك ذلك عنه ، فقد يكون ذلك سبباً من أسباب الشفاء والهداية ، أما الإصرار على الذنب مع محبته له ورضاه به وكراهته الهدى والحق ، فإنه سبب في عدم زوال الطبع على القلب [٣] .

ومما يدل على ذلك أيضاً الواقع الملموس فإن ا تعالى قال عن الكفار : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [٤] .

ومعلوم أن ذلك لم يكن عاماً في جميع الكفار ، فهذه الآيات كانت في حق أقوام مخصوصين من الكفار ، فإن من الكفار من آمن بالرسول ﷺ بعد ما كان من أشد الناس كفراً وعداوة لدين ا ولرسوله . مثل أبي سفيان بن حرب ، وخالد بن الوليد ، وعمر بن الخطاب ، وغيرهم ، فقد هداهم ا تعالى فكانوا هداة مهتدين ، واختارهم ا لصحبة نبيه ﷺ [٥] .

---

(1) المصدر نفسه : ٢٣٧/١ .

(2) انظر المصدر نفسه : ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ .

(3) انظر المصدر نفسه : ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ .

(4) سورة البقرة ، آية : ٦ ، ٧ .

(5) انظر جامع البيان ، للطبري : ١٠٩/١ ، انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٣٩/١ ، ٢٤٠ .

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (وهو سبحانه قد يعاقب بالضلال عن الحق عقوبة دائمة مستمرة ، وقد يعاقب به إلى وقت ثم يعافي عبده ويهديه) [١] .

(1) شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٤٠/١ .

مذهب المعتزلة :

يستند مذهب المعتزلة في هذه المسألة على أصلهم في عدم خلق ا تعالى لأفعال العباد ، فالهداية والإضلال عندهم من أفعال العباد ، وإلا لما صح توجيه التكليف الشرعي للعباد بالأوامر والنواهي والمدح والذم والثواب والعقاب .

ولذلك فقد فسروا الهداية والإضلال بما تقدم ذكره من أن إضلال ا تعالى للعبد معناه تسميته ضالاً ، وحكمه عليه بذلك وغيرها من التأويلات ، يقول القاضي عبد الجبار في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [١] : (والمراد من يضله عن الثواب في الآخرة ولا هادي له إليه) [٢] .

وبناء على ذلك فقد أنكروا أن يكون الطبع والختم والقفل والأكنة ونحوها من فعل ا تعالى في العبد ، وفسروا ذلك بعدة معانٍ ، مع اعترافهم بأن ا تعالى قد يخلق ذلك في العبد عقوبة له ، ولا يصح ذلك ابتداء .

والسبب عندهم في التفريق بين الفعلين ، أن الثاني يحسن من ا تعالى لكونه عقوبة ، والأول لا يحسن من ا لأنه ابتداء ، ففيه ظلم من ا تعالى .

ومما يدل على إثباتهم لهذه الأفعال الربانية ونسبتها إلى ا تعالى على سبيل العقوبة ما قاله القاضي عبد الجبار في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [٣] فقال: (ربما قيل : كيف يصح أن يسمى ما يفعله بهم تعالى سوءاً ، وذلك لا يكون إلا قبيحاً ، وجوابنا أنه أجرى هذا اللفظ على ما هو جزاء عليه كقوله : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٤]) [٥].

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٨٦ .

(2) تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار : ١٥٣ . وانظر ص : ٢٠ .

(3) سورة الروم ، آية : ١٠ .

(4) سورة الشورى ، آية : ٤٠ .

(5) تنزيه القرآن عن الطاعن : ٣٢ ، وانظر ص : ١٧٣ ، ١٤٣ ، ١٧٠ .

والمتأمل في أقوال المعتزلة يجد أن لهم عدة تأويلات لهذه الأفعال الربانية فمن هذه المعاني ما يلي :

الأول : إن التعبير بالختم والطبع إنما جاء على سبيل التشبيه ، أي إن الله تعالى لما أزاح علل العباد فلم يقبلوا صاروا كالذين ختم على قلوبهم .

الثاني : إن الختم علامة يفعلها الله تعالى في قلوبهم لتعرف الملائكة كفرهم وأنهم لا يؤمنون فتجتمع على ذمهم .

الثالث : إن الختم من الله سبحانه والطبع على قلوب الكفار ، هو الشهادة والحكم بأنهم لا يؤمنون ، وليس ذلك بمانع لهم من الإيمان [١] .

---

(1) انظر المصدر نفسه : ١٤ ، وانظر مقالات الإسلاميين : ٣٢٣/١ ، وشفاء العليل .

نقد مذهب المعتزلة :

هذه المسألة تتعلق بخلق أفعال العباد وتستند إليها ، ولقد ظهر جلياً في هذه المسألة تأويل المعتزلة لكثير من نصوص القرآن الكريم التي جاءت صريحة في نسبة أفعال العباد إلى ا تعالى من الهدى والضلال والطبع والختم والقفل والسد ونحوها .

وما دفع المعتزلة لاتخاذ هذا المنهج إلا حرصهم على الحفاظ على سلامة مذهبهم ، وصحة أقوالهم ، حتى لو كان ثمن ذلك تأويل نصوص القرآن وصرفها عن ظاهرها .

والمتأمل لتأويلات المعتزلة يجد أن تأويلهم لم يكن له مبرر ، فليس هناك قرينة صارفة ، ولم يكن تأويلهم موافقاً للغة ولا للشرع ، ولكنه اتباع الهوى وتحكيم العقل بعيداً عن نور الوحي ، فلا يرى المعتزلة أن ا تعالى يختم على قلوب العباد ، أو يطبع عليها بحيث لا يدخلها الإيمان والهدى ، بحجة أن ابتداء ا تعالى عباده بالختم والطبع والقفل ونحوها ظلم قبيح منه تعالى لذلك فهو لا يفعله ، وكذلك إضلال العباد لا يصح نسبته إلى ا تعالى لأن معه تسقط التكاليف والثواب والعقاب .

وهذا القول لا يسلم لهم ، فإن ما يفعله ا تعالى من الختم والطبع والقفل ونحوها إنما هي على سبيل العقوبة على المعاصي ولا يفعلها ابتداء كما تقدم ذلك عند عرض مذهب السلف [1] .

والحق أن ما ذهب إليه المعتزلة فيه حق وباطل ، فقولهم إن هذه الأفعال هي من العبد وبسببه ، وهي عقوبة له على ذنبه قول صحيح . وهذا القول فيه تنزيه ا عن الظلم ، أما قولهم بأن ا لم يخلق ذلك الفعل في العبد أبداً ، وأن ذلك الطبع والختم ونحوها من فعل العبد وحده ، فهذا قول باطل مخل بجهة التوحيد وكمال القدرة ونفوذ المشيئة [2] .

---

(1) انظر ص(٦٩٨) من هذا البحث .

(2) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٢٧/١ .

ثم هم متناقضون ، فبعد نفيهم خلق ا لهذه الأفعال في العبد ، وتأويلهم لكثير من نصوص القرآن التي جاءت مثبتة لخلق ا تعالى لهذه الأفعال ، عادوا واعترفوا بأن تلك الأفعال قد يخلقها ا تعالى في العبد عقوبة له على كفره وإعراضه السابق ، فإن ا يعاقب على الضلال المقدور بالإضلال بعده .

وهذا قول صحيح وفيه باطل ، فقد أصابوا في قولهم إن الطبع والختم إضلال من ا تعالى على سبيل العقوبة للعبد ، وأخطئوا في جعلهم الإضلال الأول خارجاً عن خلق ا تعالى ، بل العبد عندهم هو خالق ضلاله الأول .

والصواب ما ذكره السلف من أن الذنب الأول ذنب عدمي لا فاعل له ، ثم توالت بعده الذنوب التي كانت عقوبة على الذنب العدمي حتى توالت تلك الذنوب فطبع ا على قلب العبد [1] .

والمعتزلة لم يقصدوا هذا المعنى ، وإنما أرادوا إخراج أفعال العباد عن خلق ا واستثنوا من ذلك ما كان على سبيل العقوبة والجزاء .

ولقد رد ابن جرير الطبري على من قال أن معنى قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي إخبار من ا عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق كما يقال ، إن فلاناً أصم عن هذا الكلام إذا امتنع من سماعه ، ورفع نفسه عن تفهمه تكبراً .

وصرح ابن جرير بأن هذا القول لا يصح ، لأن ا تعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم [2] .

وقد قرر الزمخشري ما رواه ابن جرير وتأول الآية من خمسة أوجه ، يقول ابن كثير رحمه ا تعالى : (وقد أطنب الزمخشري في تقرير ما رواه ابن جرير ههنا وتأويل الآية من خمسة أوجه ، وكلها ضعيفة جداً ، وما جرأه على ذلك إلا اعتزاله لأن الختم على قلوبهم ومنعها وصول الحق إليها قبيح – عنده – يتعالى ا عنه في اعتقاده ، ولو

---

(1) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٢٨/١ ، وانظر ص(٦٩٨) من هذا البحث .

(2) انظر جامع البيان ، للطبري : ١١٣/١ .

فهم قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ (١) وقوله : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ (٢) وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقاً على تماديهم في الباطل ، وتركهم الحق ، وهذا عدل منه تعالى حسن ، وليس بقبيح ، فلو أحاط علماً بهذا لما قال ما قال وا أعلم) (٣) .

ومما يرد به على المعتزلة ما ذكره ابن جرير من طلب التفصيل في قولهم بتأويل الختم بالإعراض والاستكبار ، فيقال لهم : أخبرونا عن استكبار الذين وصفهم ا جل ثناؤه بهذه الصفة أفعل منهم ؟ أم فعل من ا تعالى بهم ؟

فإن زعموا أن ذلك فعل منهم ، وهذا هو قولهم ، قيل لهم : فإن ا تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وسمعهم ، فكيف تقولون غير ما قاله ا تعالى ؟

وإن زعموا أن ذلك جائز لأن تكبره وإعراضه كانا عن ختم ا على قلبه وسمعه ، فلما كان الختم سبباً لذلك ، جاز أن يسمى مسببه به ، فقد تركوا قولهم ، وأوجبوا أن الختم من ا تعالى ليس هو إعراض الكافر وتكبره ، بل هو معنى آخر ، وهذا هو بعينه ما أنكروه (٤) .

ونزاع المعتزلة للسلف في مسألة خلق الأفعال ، إنما هو من جهة أن ا تعالى لا يخلق الذنوب في العباد ، ويقولون : إنه خلق الطاعة على سبيل المجاز والتوسع .

ومع ذلك فإنهم يقولون : إنه تعالى ما خلق شيئاً من الذنوب ابتداء ، بل خلقها على سبيل الجزاء حتى لا يكون ظالماً .

---

(1) سورة الصف ، جزء من الآية : ٥ .
(2) سورة الأنعام ، آية : ١١٠ .
(3) تفسير ابن كثير : ٧٢/١ .
(4) انظر جامع البيان ، لابن جرير الطبري : ١١٣/١ .

والحق أن أول ذنب للعبد لم يحدثه الله تعالى ، وإنما أحدث الجزاء على ذلك ، وهذا تفصيل ما تقدم ذكره ، وهو أن أول الذنوب الوجودية هو المخلوق ، وذلك عقوبة على عدم فعل العبد لما فطره الله وخلقه له ، وهذا العدم لا يضاف إلى الله ، وليس بشيء ، حتى يكون له فاعلاً أو خالقاً ، ولذلك فإنه لا يندرج في مخلوقات الله ، ولا يضاف إليه تعالى ، وعلى ذلك يكون أول الذنوب الوجودية عقوبة للعبد على هذا الذنب وهذا الترك [1] .

وفي تصوير مذهب المعتزلة هذا والرد عليه يقول ابن تيمية رحمه الله : (وكثير من أولئك يسلمون أن الله خاق للعبد من الأعمال ما يكون جزاء له على عمل منه تقدم ، ويقولون: إنه خاق طاعة المطيع ، فلا ينازعون في نفس خاق أفعال العباد ، لكن يقولون : ما خاق شيئاً من الذنوب ابتداء ، بل إنما خلقها جزاء لئلا يكون ظالماً .

فنقول : أول ما يفعله العبد من الذنوب هو أحدثه ، لم يحدثه الله ، ثم ما يكون جزاء على ذلك فالله محدثه ، وهم لا ينازعون في مسألة خاق الأفعال إلا من هذه الجهة ، وهذا الذي ذكرناه يوافقون عليه ، لكن يقولون : أول الذنوب لم يحدثه الله ، بل يحدثه العبد لئلا يكون ذلك الجزاء عليه ظلماً .

وما ذكرناه يوجب أن الله خالق كل شيء ، ما حدث شيء إلا بمشيئته وقدرته ، لكن أول الذنوب الوجودية هو المخلوق ، وذلك عقوبة على عدم فعل العبد لما خاق له ، ولما كان ينبغي له أن يفعله .

وهذا العدم لا يجوز إضافته إلى الله ، وليس بشيء حتى يدخل في قولنا ، ﴿ اللهُ خالق كل شيء ﴾ ، وما أحدثه من الذنوب الوجودية ، فأولها عقوبة للعبد على هذا العـدم ، وسائرها قد يكون عقوبة للعبد على ما وجد ، وقد يكون عقوبة له على استمراره على العدم)[2] .

والحاصل أن أفعال العباد من الذنوب منهم ، وخلقت فيهم ، لكونهم لم يفعلوا ما خلقوا له .

([1]) انظر مجموعة الفتاوى : ١٨٨/١٤ وما بعدها .

([2]) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٨٩/١٤ ، ١٩٠ .

وا   عاقبهم على ذنوبهم بذنوب أخرى ، عدلاً منه ، حيث وضع ذلك في موضعه القابل والمناسب له .

مذهب الأشاعرة :

ذهب الأشاعرة إلى إجراء معاني هذه الأفعال الربانية على ظاهرها بدون تأويل ، وهذا موافق لما قالوا في الهدى والضلال من إثباتهم نسبتها إلى ا   تعالى ، وذلك استناداً منهم إلى قولهم إن ا   تعالى هو خالق أفعال العباد بما في ذلك الكفر والمعاصي ونحوها .

ويرى الأشاعرة أن هذه الأفعال الربانية موانع من الهدى في الحقيقة ، يقول الجرجاني : (ذهب أهل الحق إلى أنها ، (أي الختم والطبع والقفل ونحوها) ، عبارة عن خلق الضلال في القلوب ، وذلك لأن هذه الأمور في اللغة موانع في الحقيقة ، وإنما سميت بذلك لكونها مانعة ، وخلق الضلال في القلوب مانع من الهدى ، فصح تسميته بهذه الأسماء) [1] .

والحق أن قول الأشاعرة موافق لما ذهب إليه السلف من أن هذه الأفعال هي من خلق ا   تعالى في العبد حقيقة .

([1]) شرح المواقف في علم الكلام ، للجرجاني : ٢٤٤/٣ .

المبحث الثاني :

الثواب بالحسنات .

توطئة

الحسنة هي كل ما ينال العبد من خير في نفسه وبدنه وأحواله ، وقد تقدم ذكـر هذا التعريف للحسنة [١] .

ولذلك فإن الحسنات تشمل أمرين :

([1]) انظر ص(٣٧٩) من هذا البحث .

١- النعم .   ٢- الطاعات .

ولفظ الحسنة في القرآن الكريم تناول هذا وهذا ؛ فمما جاء ليدل على النعم قوله تعـالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [1] . وقوله تعـالى : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [2] .

أما الأعمال الصالحة التي أمر ا تعالى بها ، فقد جاء لفظ الحسنة ليدل عليهـا في مثل قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [3] . وقولـه تعـالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [4] .

أما النعم فقد تقدم الحديث عنها بما أغنى عن إعادته و الحمد والمنـة ، وأمـا الطاعات فهي ما سيتناوله هذا المبحث ، فالحديث عن ثواب ا تعالى الـذي يحـصل للعبد بالطاعات يتناول أمرين :

أولاً : الحسنات ثواباً .   ثانياً : مضاعفة ا للحسنات .

أولاً : إن من الحسنات ما يكون ثواباً على حسنات قبلها .

الطاعة هي من فضل ا تعالى على العبد ، وهي من نعمته عليه ، بـل هـي أعظم نعمة على العبد من ربه .

ومن الطاعات ما يكون ثواباً على طاعات قبلها ، وذلك أن من ثـواب الحـسنة الحسنة بعدها ، فالقول في الحسنة مثل القول في السيئة ، فإن بعض أفعال الخير تكون

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٢٠ .

(2) سورة الأعراف ، آية : ١٦٨ .

(3) سورة الأنعام ، آية : ١٦٠ .

(4) سورة هود ، آية : ١١٤ .

جزاء على أفعال قبلها ، وقد ذكر في غير موضع من القرآن الكريم ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الحسنة الأولى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ٦٦ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٦٨ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [4] .

وعن ابن مسعود رضي ا عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (عليكم بالصدق ، إن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند ا صديقاً . وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند ا كذاباً) [5] .

والحسنات – عملها وجزاؤها – هي من نعم ا تعالى على العبد ، وهي جميعاً منه تعالى ، فالحسنة الأولى من ا ، والثانية من ا تعالى أيضاً ، وإن كانت جميعاً من فعل العبد.

---

(1) سورة النساء ، آية : ٦٦ ، ٦٨ .

(2) سورة العنكبوت ، آية : ٦٩ .

(3) سورة الحديد ، آية : ٢٨ .

(4) سورة الأحزاب ، آية : ٧٠-٧١ .

(5) سبق تخريجه ص(٧٠١) .

فنعم الله وإحسانه تقع على العبد ابتداء بلا سبب ، والذي يعمل الحسنات ، فنفس عمله للحسنات هو من إحسان الله تعالى إليه وفضله عليه بالهداية والتوفيق .

ولذلك جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى مقررة لذلك ، مثل قوله تعـالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨ ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [2] .

وقد جاء في الحديث القدسي : (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكـم ثـم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[3].

وابتداء الله تبارك وتعالى عباده بالحسنات ، إنما هو مستند على علمه السابق في عباده ، وعلمه بالمحل الذي يصلح للهدى ، والذي هو قابل للإيمان ، وهذا هو فـضل الله الذي يؤتيه من يشاء ، وهو سر الله في خلقه ، ولذلك يقول الله تبـارك وتعـالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [4] .

يقول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (﴿ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ علـم أنهم يصلحون للهداية ، فهداهم ، ثم من عليهم فاجتباهم) [5] .

---

(1) سورة الحجرات ، آية : ٧ ، ٨ .

(2) سورة الزمر ، آية : ٢٣ .

(3) سبق تخريجه ص(٧٨) من هذا البحث .

(4) سورة الأنعام ، آية : ١١٧ .

(5) تيسير الكريم الرحمن ، في تفسير كلام المنان ، للسعدي : ٤٠٤ .

ومن ذلك قولـه تعـالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾ [1] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝٣٠ ﴾ [3] .

فأول الحسنات هي من الله تعالى نعمة على عبده ، واقعة بتوفيقه لعبده وهدايته لـه ، وهذه الهداية تفرد الله تعالى بها وهو وحده الذي يمنحها لمن يشاء من عباده بمقتضى حكمته وعلمه وعدله ، فإن عدله سبحانه هو وضعه للشيء في موضـعه ، وتخصيـصه سـبحانه لبعض عباده بالهداية لما علم فيهم من مناسبة وملائمة لهذه الهداية هو من تمام عدلـه فـي خلقه. بل إن وضع الهداية في غير محلها اللائق بها هو من الظلم الذي نزه الله سبحانه نفسه عنه .

وهذه الهداية التي نعنى بها هي هداية التوفيق ، وهي المرتبة الثالثة من مراتب الهداية .

تعريف التوفيق :

والتوفيق لغة : هو (الرشد والإلهام) ، قال ابن منظور : (وفقه الله للخيـر : ألهمه وهو التوفيق .. والوفق ، التوفيق ، وإن فلاناً موفق ، أي رشيد) [4] .

واصطلاحاً : هو (أن لا يدع الله تعالى العبد ونفسه ، ولا يكله إليها ، بل يصنع له ، ويلطف به ، ويعينه ، ويدفع عنه) [1] .

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٨٤ .

(2) سورة القصص ، آية : ٥٦ .

(3) سورة النجم ، آية : ٢٩ ، ٣٠ .

(4) لسان العرب ، لابن منظور : ٣٨٢/١٠ ، وانظر القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ٢٩٠/٣ .

ويقابل التوفيق الخذلان ، وهو : (أن يخلي ا   تعالى بين العبد وبين نفسه ويكله إليها) [٢] .

يقول ابن القيم : (التوفيق إرادة ا   من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد ، بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه مريداً له ، محباً له ، مؤثراً له على غيره ، ويبغض إليه ما يسخطه ، ويكرهه إليه ، وهذا مجرد فعله ، والعبد محل له ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨ ﴾ [٣] ، فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له . حكيم يضعه في مواضعه ، وعند أهله ، لا يمنعه أهله ، ولا يضعه عند غير أهله ..

والخذلان : أن يكلك ا   إلى نفسك ، ويخلي بينك وبينها ، وله سبحانه في هذه التخلية بينك وبين الذنب وخذلانك حتى واقعته حكم وأسرار) [٤] .

ولقد جاء إثبات نسبة التوفيق إلى ا   تعالى في قوله عز وجل سبحانه : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [5] .

ونخلص من ذلك إلى أن ا   سبحانه وتعالى يثيب عبده على الطاعات بطاعة أخرى، وذلك بأن يوفقه لها ولا يخذله ، وأما الطاعة الأولى ، وهداه الأول فهو محض كرمه وفضله وإحسانه إلى عباده ، الذي يضعه في موضعه .

---

(1) انظر مدارج السالكين ، لابن القيم : ١٨٠/١ .
(2) انظر شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٦٠/١ .
(3) سورة الحجرات ، آية : ٧-٨ .
(4) مدارج السالكين ، لابن القيم : ١٨٠/١ ، وانظر المصدر نفسه : ٤١٣/١-٤١٥ .
(5) سورة هود ، آية : ٨٨ .

وابتداؤه سبحانه عباده بالتوفيق للطاعة ، ثم توفيقه مرة أخـرى للعبـد لطاعـة أخرى على سبيل الجزاء والثواب ، كل ذلك عدل منه سبحانه لا ظلم فيه ، لأنه تبارك وتعالى بذلك قد وضع الهداية والثواب عليها في المكان المناسب لها ، وهذا هو عـين العدل الإلهي .

وهذه المسألة اختلفت فيها الطوائف .

مذهب المعتزلة :

يعرف المعتزلة التوفيق بأنه : (اللطف الذي يوافق الملطوف فيه في الوقـوع ، ومنه سمي توفيقاً) [(١)] .

ويقول القاضي في تفسيره قوله تعالى : ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ

([1]) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٧٨٠ .

قوله : (ربما قيل في قوله : ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [1] : ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [2] إن ذلك يدل على أن الطاعات فعل ا تعالى.

وجوابنا أن التوفيق من فعل ا تعالى في الحقيقة ، وهو ما يفعله مما يدعو العبد إلى العبادة كخلق الولد والغنى وما شاكله ، فنحن نقول بالظاهر ، والقوم [3] لا يمكـنهم ذلك إذ قالوا : إن ا يخلق أعمال العباد لأن خلقه كذلك ، ممـا يغنـي عـن اللطـف والتوفيق والمعونة والهداية ، فكان ذلك على مذهبهم يجب ألا يصح) [4] .

ويقول الزمخشري في تفسير هذه الآية : (وما كوني موفقاً لإصابة الحق فيمـا آتي وأذر ووقوعه موافقاً لرضى ا إلا بمعونته وتأييده ، والمعنى أنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه وفـي ضـمنه تهديـد للكفار وحسم لأطماعهم فيه) [5] .

فأقوال المعتزلة في التوفيق تبين أنهم يثبتون نسبة التوفيق إلى ا تعالى ، وأنه فعل من أفعاله ، إلا أنهم لا يعنون بذلك التوفيق نفس الأعمال الصالحة التي تحصل من العبد ، - إنما يقصدون بالتوفيق مقدمات هذه الأفعال من التمكين والإقدار ونحوها فهذه من فعل ا تعالى فقط ، وهي سبب في نسبة الأعمال الصالحة تعالى عندهم كما مر معنا[6].

ويستند ذلك على أن التوفيق عند المعتزلة يدور مع اللطف ، فقد سبق بيـان أن التوفيق هو أحد أقسام اللطف ، وهو خلق قدرة الطاعة أو التقريب منها ، واللطف عند

---

(1) سورة هود ، آية : ٨٨ .

(2) سورة هود ، آية : ٨٨ .

(3) يقصد بهم القاضي عبد الجبار اللذين يثبتون أن ا تعالى خالق أفعال العباد .

(4) تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار : ١٨٣-١٨٤ . وانظر ص (١٩٥) .

(5) الكشاف للزمخشري : ٢٣٠/٢ .

(6) انظر ص(١٨٠) من هذا البحث .

المعتزلة فعل من أفعال ا ، بل هو واجب عليه – كما زعموا – إلا أن اللطف عندهم عام لجميع المكلفين ، أما التوفيق فهو خاص بالمؤمنين الذين يخصهم ا تعالى بهذا النوع .

وعلى ذلك نجد أن قول المعتزلة فيه شيء من التناقض ، إذ لا يصح تفسير التوفيق الخاص باللطف العام ، في الوقت الذي يوجبون فيه اللطف بجميع المكلفين ، ثم يخصصون التوفيق ويجعله للمؤمنين فقط .

فالتوفيق هو فعل ما يعين العبد على اختيار الطاعة ، أو خلق قدرة الطاعة ، ومعنى ذلك أنه لا يتناول الطاعة نفسها .

والسبب في هذا التناقض أن المعتزلة أوجبوا اللطف بجميع المكلفين ، لأنه فعل حسن ويقبح تركه من ا تعالى ، لأن عدم اللطف بالمكلفين جميعاً فيه نسبة الظلم والجور تعالى ، إذ لا يصح عندهم تخصيص بعض العباد باللطف دون غيرهم ، ثم عادوا وجعلوا التوفيق هو ما يعين العبد على فعل الطاعة ، وهذا لا يحصل إلا للمؤمنين . وهذا في غاية التناقض .

والحق أن التوفيق نوع من الهداية إلى الطاعة ، وليس مجرد تهيئة ما يعين العبد على اختيارها ، وقد تقدم ذكر إنكار المعتزلة للهداية أن تكون من ا ، مع أنهم ينسبون اللطف والتوفيق إلى ا تعالى ، وهذا في ظاهره في غاية التناقض .

والذي أدى بالمعتزلة إلى إنكار الهدى والتوفيق ، هو إنكارهم خلق ا تعالى لأفعال العباد ، بدعوى تنزيه ا تعالى عن الظلم ، وبالتالي فقد ترتب على ذلك إنكارهم أن يكون ا تعالى خص بعض المؤمنين بفضله ورحمته وهدايته على نحو ما ذكر في فصل الهداية والإضلال بما لم يكن لغيرهم مثله .

مذهب الأشاعرة :

يعرف الأشاعرة التوفيق بأنه : (خلق القدرة الخاصة على الطاعة) .

يقول الشريف الجرجاني : (فإن الشيخ الأشعري ، وأكثر الأئمة من أصحابه حملوا التوفيق على خلق القدرة على الطاعة .. ، وقال إمام الحرمين : التوفيق خلق الطاعة لا خلق القدرة ؟ ، ولا تأثير لها) [1] .

ويقول الشهرستاني : (قالت الأشعرية : التوفيق والخذلان ينتسبان إلى الله تعالى نسبة واحدة على جهة واحدة ، فالتوفيق من الله تعالى خلق القدرة الخاصة على الطاعة .. والخذلان خلق قدرة المعصية) [2] .

فالأشاعرة ينسبون التوفيق إلى الله تعالى اعتماداً منهم على أصلهم في خلق الأفعال ، وفي نسبة الهداية والإضلال إلى الله تعالى .

ثانياً : مضاعفة الحسنات :-

---

(1) شرح المواقف للإيجي : ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(2) نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشهرستاني : ٤١٢ .

إن الثواب من ا تعالى لعبده بالحسنات ، لا يقتصر على التوفيق لحسنة أخرى فقط ، بل إن ذلك يتعداه إلى مضاعفة تلك الحسنة أضعافاً كثيرة .

ولقد جاء إثبات مضاعفة ا تعالى للحسنات في القرآن الكريم فـي عـدد مـن الآيات ، وبعدة صور :

الصورة الأولى : ذكر مضاعفة ا تعالى للحسنات ، وزيادتها بدون تقييد بعدد معين ، والإخبار بالمجازاة على الحسنة بخير منها ، ومن ذلـك قولـه تعـالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [2] . وقـال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [3] . وقال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [4] .

وقال تعـالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [5] ، وفي هذه الآية ذكر ا تبارك وتعالى مقـام الفضل وهو مضاعفة الحسنات في الآخرة أضعافاً مضاعفة ، وذكر مقام العدل وهـو جزاء السيئة بسيئة مثلها [6] .

الصورة الثانية : تضعيف الحسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ؟ ومـن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ

(1) سورة النمل ، آية : ٨٩ .

(2) سورة القصص ، آية : ٨٤ .

(3) سورة النساء ، آية : ٤٠ .

(4) سورة النمل ، آية : ٨٩ .

(5) سورة القصص ، آية : ٨٤ .

(6) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٦٤١/٣ .

﴿ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [1] ، وهذه الآية مفصلة للآيات السابقة : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ [2]
وقد جاءت أحاديث كثيرة في معنى هذه الآية ، فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ممن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة) [3] .

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل : (من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر ، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة ، ومن اقترب إلى شبراً اقتربت إليه ذراعاً ، ومن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة) [4] .

ومما يدل على تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [5] ، فهذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق ماله في سبيله ، وابتغاء مرضاته ، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة ، وفيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١٦٠ .

(2) سورة القصص ، آية : ٨٤ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب من هم بحسنة أو سيئة : ٢٣٨٠/٥ .

وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب : ١١٨/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وانظر جامع بيان العلم ، لابن جرير الطبري : ١٠٧/٨ وما بعدها .

(4) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب فضل الذكر والدعاء : ٢٠٦٨/٤ .

(5) سورة البقرة ، آية : ٢٦١ .

لأصحابها ، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة [1] ، ولذلك قال في آخر هذه الآية ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، أي أن فضله واسع كثير وهو عليم بمن يستحق ومن لا يستحق .

وقد يضاعف الله تعالى لمن يشاء بحسب حال العامل وعمله وإخلاصه ومحله ومكانه [2] .

والمقصود أن الله تعالى قد أمتن على عباده بعظيم فضله ورحمته ، فأخبر في كتابه وعلى لسان نبيه أن من عمل حسنة فإن الله يضاعفها له أضعافاً كثيرة ، رحمة منه تعالى وفضلاً .

أما من عمل سيئة فإن الله تعالى يعاقبه عليها دون مضاعفة لها ، وهذا من تمام عدله سبحانه ، فإنه قد يضاعف ثوابه لعباده برحمته ، أما عقابه فإنه لا يصيب به إلا على قدر الذنب ، فرحمته سبحانه سبقت غضبه ، وثوابه لعباده تفضلاً منه ورحمة وعدلاً ، وعقابه لهم عدل لا ظلم فيه .

المبحث الثالث :

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤٧٢/١ .

(2) انظر المصدر نفسه : ٤٧٤/١ .

تعجيل العقوبة في الدنيا.

توطئة

العقاب العاجل في الدنيا له عدة أنواع :

أولاً : العقاب بالمصائب والآلام .

ثانياً : العقاب بالذنوب والسيئات .

ثالثاً : العقوبات الشرعية المقدرة على الجرائم .

أما الأول والثاني فقد تقدم الحديث عنهما [1] .

وأما الثالث وهو العقوبات الشرعية المقدرة على الجرائم من الحدود والقصاص وغيرها ، والتي هي عقوبات عاجلة قد تصيب بعض العباد علـى اقتـرافهم لجـرائم معينة.

وهذه المسألة هي محل البسط في هذا المبحث .

---

(1) انظر ص(٥٩٥) وص(٦٩٦) من هذا المبحث .

العقوبات الشرعية :

هي جزاء وضعه الشارع للردع عن ارتكاب ما نهى الله تعالى عنه أو ترك ما أمر به ، فهي جزاء مادي مفروض سلفاً يجعل المكلف يحجم عن ارتكاب الجريمـة ، فإذا ارتكبها زجر بالعقوبة ، حتى لا يعاودها مرة أخرى كما يكون عبرة لغيره .

فالعقوبات موانع قبل الفعل ، زواجر بعده ، أي العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل ، وإيقاعها بعده يمنع العودة إليه .

قـال الماوردي : (الحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكـاب مـا حظر ، وترك ما أمر ، لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيـد الآخـرة بعاجل اللذة ، فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة ، حذراً من ألم العقوبة ، وخيفة من فكاك الفضيحة ، ليكون ما حظر من محارمه ممنوعاً ، وما أمر به من فروضه متبوعاً ، فتكون المصلحة أعم والتكليف أتـم ، قـال الله تعـالى : ﴿وَمَآ

أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [1] يعني في استنقاذهم مـن الجهالـة ، وإرشـادهم مـن الضلالة ، ولكفهم عن المعاصي ، وبعثهم على الطاعة) [2] .

والعقوبات منها ما هو مقدر كالحدود ، ومنها ما هو غير مقـدر كالتعـازير ، وتختلف مقاديرها وأجناسها وصفاتها باختلاف أحوال الجرائم كبيرهـا وصـغيرها ، وذلك لأن الشريعة قد قسمت الجرائم إلى قسمين :

القسم الأول : الجرائم الماسة بكيان المجتمع وأمنه مساساً شديداً ، وهذه نوعان:

النوع الأول : جرائم الحدود التامة الستة ، وهذه الجرائم وضعت لها الـشريعة الإسلامية عقوبات مقدرة كماً ونوعاً وصفة ، وليس للقاضـي ، ولا لـولي الأمـر أن ينقص منها أو يزيد فيها أو يستبدل بها غيرها ، بل وليس لولي الأمر أن يعفـو عـن الجريمة بحال من الأحوال .

وهذه الجرائم لم تنظر الشريعة فيها إلى المجرم أصـلاً ، لأن هـذه العقوبـات بالذات حماية للمجتمع الإسلامي ، ولذلك وقفت الشريعة موقفاً صارماً متشدداً من حيث العقوبة في هذه الجرائم وجعلتها مقدرة شرعاً .

النوع الثاني : يشمل جرائم القصاص والدية وهي جرائم القتل والجرح سـواء أكانت عمداً أو خطأً بأنواعها .

وهذه الجرائم قد وضعت الشريعة عقوبات مقدرة لها هما القصاص أو الدية في حالة العمد ، والدية في حالة الخطأ ، وليس للقاضي أو ولي الأمر كذلك أن ينقصا من هاتين العقوبتين أو يزيدا فيها .

القسم الثاني : الجرائم الأخرى التي لا تدخل في جرائم القسم الأول بنوعيـه ، وهذه الجرائم ليست في خطورة الجرائم في القسم الأول ، لهذا كان لها حكم مختلـف

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .

(2) الأحكام السلطانية ، للقاضي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي : ٢١٣ .

فإنه في هذا القسم تركت الحرية للقاضي أو ولي الأمر في تقدير كمية العقوبة ونوعها ووصفها مع تقدير ظروف الجاني ، وظروف الجناية ، والظروف المحيطة بهذا كله[1].

وسوف يكون الحديث إن شاء ا تعالى عن الحدود والقصاص ، وهي العقوبات التي قدرها رب العالمين وعجلها في الدنيا ، لنبين ما تضمنته هذه العقوبات من الحكمة والعدل الإلهي .

تعريف الحد :

الحد لغة : يأتي الحد في اللغة بعدة معانٍ منها :

- المنع : قال الجوهري : (الحد : المنع ... ويقال للسجان حداد ولأنه يمنـع من الخروج) [٢] .

وقال ابن منظور : (حد السارق وغيره : ما يمنع عن المعاودة ، ويمنع أيـضاً غيره من إتيان الجنايات) [٣] .

- الفصل بين شيئين : قال ابن منظور : (الحد : الفصل بـين الـشيئين لـئلا يختلط أحدهما بالآخر ، أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر ..) [٤] .

- نهاية الشيء الذي ينتهي إليه : يقول الجوهري : (حد الشيء : منتهـاه، تقـول : حددت الدار حداً) [٥] .

فالمعاني اللغوية تتناول عدة معانٍ منها المنع ، والفصل بين الشيئين ، ونهايـة الأشياء ، وكل هذه المعاني تنطبق على الحد ، فهو مانع عن المعاصي ، ومـانع مـن

---

(1) انظر فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون ، فكري أحمد عكاز : ٥٢ ، ٥٣ .

(2) الصحاح للجوهري : ٤٥٩/١ .

(3) لسان العرب ، لابن منظور : ١١٥/٤ .

(4) المصدر نفسه ، ونفس الجزء والصفحة .

(5) الصحاح ، للجوهري : ٤٥٩/١ .

العودة إليها ، وهو فاصل بين الحلال والحرام ، وحاجز بين الحق والباطل ، وهو نهاية ارتكاب الجرائم [١] .

الحد اصطلاحاً :

تعرف الحدود في الاصطلاح بأنها : (عقوبة مقدرة من الشارع الحكيم ، وجبت حقاً تعالى على ارتكاب موجبها) [٢] .

أو هي : (عقوبات مقدرة شرعاً في معصية تمنع من الوقوع في مثلها) [٣] .

وهذه التعاريف للحدود حصرت لفظ الحد في العقوبات على الجنايات ، وهذا هو المشهور في اصطلاح الفقهاء .

أما ابن تيمية رحمه ا تعالى فيرى أن الحدود في كتاب ا تعالى وسنة نبيـه محمد ﷺ المراد بها المعنى اللغوي فقط ، وهو الفصل بين الحلال والحرام ، أما إطلاق لفظ الحدود على العقوبات فهو من الأمور المتعارف عليها بعد ذلك ، ويقول في ذلك : (الحدود في لفظ الكتاب والسنة يراد بها الفصل بين الحلال والحرام ، .... وأما تسمية العقوبة المقدرة حداً فهو عرف حادث) [٤] .

أما ابن القيم فإنه يرى أن تخصيص لفظ الحدود بالعقوبات فقط ، إنما هو عنـد الفقهاء فقط ، ويرى أن لفظ الحد أعم من ذلك ، حيث يقول : (الحد في لسان الشارع أعم منه في اصطلاح الفقهاء ، فإنهم يريدون بالحدود عقوبات الجنايات المقدرة بالشرع خاصة ، والحد في لسان الشارع أعم من ذلك ، فإنه يراد به هـذه العقوبـات تـارة ، ويراد به نفس الجنايات تارة أخرى ، لقوله تعـالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ

---

[1] انظر العقوبات المقدرة ، لمطيع ا اللهيبي : ٤٤ ، ٤٥ .

[2] انظر نيل الأوطار ، للشوكاني : ٧،٩٨ ، والإقناع ، للخطيب : ٢٢٩/٤ ، وكشاف القناع ، للبهـوتي : ٧٧/٦ ، والعقوبات المقدرة ، لمطيع ا اللهيبي : ٤٥ .

[3] انظر كشاف القناع ، للخطيب : ٧٧/٦ ، والإنصاف : ١٥٠/١٠ .

[4] مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٣٤٧/٢٨ ، ٣٤٨ .

عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [2] فالأول حدود الحرام ، والثاني حدود الحلال) [3] .

ولقد كانت الحدود الشرعية وما زالت من وحي السماء ، وهي مما شـرعه ا تعالى في الأمم السابقة كما شرعه لنا ، فقد جاء في كتاب ا تعالى قوله عز من قائل : ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [4] .

وقد اتفق العلماء على ستة أنواع من الحدود وهي :

حد الردة – وحد الحرابة – وحد السرقة – وحد الزنا – وحد القـذف – وحـد الخمر - واختلفوا فيما عدا ذلك ، وقد حكى الحافظ ابن حجر في الفتح سبعة عشر حداً ثم قال : (نقل اتفاق الأئمة على الستة المذكورة) [5] .

أما حد القتل والقصاص فهو مختلف عن هذه الحدود ، ذلك أن عقوبة القصاص حق مشترك بين ا تعالى وبين العبد ، وحق العبد فيه غالب ، ولذلك كان لـه العفـو

(1) سورة البقرة ، آية : ١٨٧ .

(2) سورة البقرة ، آية : ٢٢٩ .

(3) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم : ٢٩/٢ .

(4) سورة المائدة ، آية : ٤٥ .

(5) انظر فتح الباري ، لابن حجر : ٦١/١٥ .

والصلح عليه ، أو أخذ الدية ، أما الزنا والسرقة وشرب الخمـر والـردة والمحاربـة والقذف فهي عقوبات خالصة ، لذلك فهي لا تسقط بالعفو [١] .

والحديث يتناول الحدود والقصاص ، لأنها كلها من العقوبات المقدرة الـشرعية المعجلة في الدنيا .

ولقد جاء تقرير هذه الحدود والعقوبات الشرعية ومقدارها في القـرآن الكـريم وفي السنة النبوية .

أما الردة وهي : (الخروج من الإسلام إلى الكفر) [٢] .

فقد جاء تقدير العقوبة عليها في الشرع المطهر وهو القتل : والدليل على ذلـك عن مسروق [٣] عن عبد ا بن عباس رضي ا عنه أن رسول ا ﷺ قال : (لا يحل دم امـرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا ا وأني رسول ا إلا بإحـدى ثـلاث : الـنفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق عن دينه المفارق للجماعة) [٤] .

وروى البخاري في صحيحه بسنده عن عكرمة قال : (أتى علي رضي ا عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم ، لنهي رسول ا ﷺ : (لا تعذبوا بعذاب ا) ، ولقتلتهم لقول رسول ا ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه)) [5] .

أما الحرابة : (وهي قطع الطريق على المسلمين ومن في حكمهم ، من ملتـزم للأحكام ذي قوة ومنعة ، بقصد سلب الأموال مجاهرة ، خارج المصر باتفاق أو داخله على الصحيح عند الجمهور ، كالذين يؤلفون العصابات المسلحة بقصد سلب الأموال) [١] .

---

(1) انظر فقـه عبد ا بن عمر في الحدود والجنايات والكفارات والتعزيرات : ٤٠٩ .

(2) انظر المغني والشرح الكبير ، لابن قدامة المقدسي : ٧٤/١٠ ، وكشاف القناع ، للبهوتي : ١٦٧/٦ ، والعقوبـة والجريمة لمحمد أبو زهرة : ١٩٢ .

(3) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد ا الهمداني الوادعي الكوفي ، أبو عائشة ، العابد الفقيه ، تـوفي سنة ٦٢ أو ٦٣هـ . انظر تهذيب التهذيب : ١٠٠/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٦٣/٤ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الديات ، باب قول ا تعالى أن النفس بالنفس : ٢٥٢١/٦ .

صحيح مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب ما يحل به دم المسلم : ١٣٠٣/٣ . واللفظ للبخاري .

(5) البخاري كتاب : استتابة المرتدين ، باب حكم المرتد والمرتدة : ٢٥٣٧/٦ .

والمحاربة على مراتب متفاوتة ، وأنواع مختلفة ، لذلك جاء حدها فـي الآيـة أنواعاً من الحدود المختلفة ، فكان لكل نوع حد معين ، وهي محصورة في أربعة أنـواع ، تبعاً للحدود التي ذكرت في الآية ، وهي قوله تعـالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَآءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٌ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [٢] ، المـال ، والقتـل ، فعليه الصلب إن ظهر عليه قبل توبته ، وإذا حارب وأخذ ، ولم يقتل ، فعليه اليد والرجل من خلاف إن ظهر عليه قبل توبته ، وإذا حارب وأخاف السبيل فإنما عليه النفي) [٣] .

وعن قتادة قال : (حدود أربعة أنزلها ا ، فأما من أصاب الدم والمال جميعـاً صلب ، وأما من أصاب الدم وكف عن المال قتل ، ومن أصاب المال وكف عن الـدم قطع ، ومن لم يصب شيئاً من هذا نفي) [٤] .

وجرى على هذا التفصيل الإمام الشافعي [٥] [٦] ، والإمـام أحمـد وبـه قـال الجمهور[٧].

وذهبت طائفة من العلماء إلى أن الآية على التخيير . وبه قال مجاهد وعطـاء والحسن البصري ، وإبراهيم النخعي [٨] ، والضحاك ، وعمر بن عبد العزيز ، وابـن

([1]) انظر الأم ، للشافعي : ١٥٢/٦ ، وكشاف القناع ، للبهوتي : ١٤٩/٦ ، والعقوبات المقدرة ، للهيبي : ٧٠ .

([2]) سورة المائدة ، آية : ٣٣ .

([3]) جامع البيان ، للطبري : ٢١١/٦ .

([4]) المصدر نفسه : ٢١٢/٦ .

([5]) انظر أحكام القرآن للشافعي ، جمع البيهقي : ٣١٣/١-٣١٤ .

([6]) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي ، أبو عبد ا ، أحد الأئمة الأربعـة عند أهل السنة ، كان أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات ، ولد سنة ١٥٠هـ ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ. انظر تذكرة الحفاظ : ٣٢٩/١ ، تهذيب التهذيب : ٢٥/٩ ، الأعلام : ٢٦/٦ .

([7]) انظر جامع البيان ، للطبري : ٢١٤/٦ ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثيـر : ٢٥٩/٢ ، والتفـسير الكبيـر للرازي : ٢١٦/١١ .

([8]) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران النخعي ، من مذحج ، من أكابر التـابعين صـلاحاً وصـدق رواية وحفظاً للحديث ، من أهل الكوفة ، ولد سنة ٤٦هـ ، وتوفي سنة ٩٦هـ . انظر طبقـات ابـن سـعد : ١٨٨/٦ ، حلية الأولياء : ٢١٩/٤ ، الأعلام : ٨٠/١ .

عباس في رواية أخرى ، كما ذكر ذلك الطبري [(١)] ، وذهب إلى هذا القول جماعة من العلماء المعاصرين منهم الشيخ محمد أبو زهرة [(٢)] [(٣)] وسيد قطب [(٤)] وغيرهم [(٥)] .

ولكل طائفة أدلتها وحججها ، ليس هذا محل بسطها .

أما السرقة وهي : (أخذ البالغ العاقل المختار الملتزم بأحكام الشريعة مالاً لغيره بلغ نصاباً خفية من حرز مثله ، وليس له فيه شبهة ، سواء في ذلك الحر والعبد والذكر والأنثى) [(٦)] .

وحد السرقة ، هو قطع اليد اليمنى من الرسغ ، وهو المفصل الذي بين الكـف والساعد [(٧)] .

والدليل قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلاً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [(٨)] .

وعن عائشة رضي ا عنها أن قريشاً اهمتهم المرأة المخزومية التـي سـرقت فقالوا : من يكلم رسول ا ﷺ ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبيـب رسـول ا ﷺ ، فكلم رسول ا ﷺ فقال : (أتشفع في حد من حدود ا ؟ ثم قام فخطب فقال : " يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم ا لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " [(٩)] .

---

(1) انظر جامع البيان ، للطبري : ٢١٤/٦ .

(2) محمد بن أحمد أبو زهرة ، أكبر علماء الشريعة في عصره ، تولى تدريس العلوم الشرعية والعربية عدة سنوات ، كان عضواً بالمجلس الأعلى للبحوث الإسلامية ، توفي سنة ١٣٩٤هـ . انظر الأعلام : ٢٦/٦ .

(3) العقوبة والجريمة : ١٧٢ ، ١٧٣ .

(4) ظلال القرآن : ٨٨٠ .

(5) العقوبات المقدرة : ٧٨ .

(6) المغني والشرح الكبير ، لابن قدامة : ٢٧٤/١٠ ، والعقوبات المقدرة : ٩١ .

(7) انظر فتح الباري : ١٠٣/١٥ ، ٣٠٤ ، وشرح صحيح مسلم للنووي : ١٨٥/١١ .

(8) سورة المائدة ، آية : ٣٨ .

(9) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف : ١٢٨٢/٣ .
وصحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود : ١٣١٥/٣ .

وعن عبد ا بن عمر رضي ا عنهما أنه قـال : (أن رسـول ا ﷺ قطـع سارقاً في مجن قيمته ثلاثة دراهم [1]) [2] .

أما الزنا وهو : (وطء مكلف عامد عالم بالتحريم ، قُبلَ امرأة حيـة ، وطئـاً عارياً عن الملك والنكاح والشبهة) [3] .

والزنا يختلف حده شرعاً باختلاف الزاني نفسه .

فالزاني المحصن عقوبته الرجم حتى الموت ، والدليل على ذلك أن أبا هريـرة رضي ا عنه قال : أتى رجل من المسلمين رسول ا ﷺ فناداه فقال : يا رسول ا ، إني زنيت . فأعرض عنه ، فتنحى تلقاء وجهه فقال لـه : يا رسول ا إني زنيـت ، فأعرض عنه حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شـهادات ، دعاه رسول ا ﷺ فقال : (أبك جنون ؟) قال : لا ، قال : فهل أحصنت ؟ قـال : نعـم ، فقال رسول ا : " اذهبوا به فارجموه " [4] .

وعن ابن عباس رضي ا عنهما قال : قال عمر (لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل : لا نجد الرجم في كتاب ا ، فيضلوا بترك فريضة أنزلهـا ا ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامـت البينـة أو كـان الحمـل أو الاعتراف) قال سفيان : كذا حفظت ألا وقد رجم رسول ا ﷺ ورجمناه بعده [5] .

وزاد مسلم : ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها .

(1) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) : ٢٤٩٣/٦ .
وصحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب حد السرقة ونصابها : ١٣١٣/٣ واللفظ له .

(2) إنما كان القطع لليد اليمنى ، لقراءة ابن مسعود : (فاقطعوا أيمانهما) وللإجماع عليه ، كما نقل ذلك ابن حجر في فتحه (١٥:١٠٥) ، والسيوطي في الإكليل في استنباط التنزيل : ٩١ .

(3) انظر العقوبات المقدرة ، د. مطيع ا اللهيبي : ١٠٨ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب المحاربين ، باب لا يرجم المجنون والمجنونة : ٢٤٩٩/٦ .
وصحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى : ١٣١٨/٣ واللفظ له .

(5) صحيح البخاري ، كتاب المحاربين ، باب الاعتراف بالزنا : ٢٥٠٣/٦ .

أما الزاني غير المحصن فحده مائة جلدة ، وهو محل اتفاق لقوله تعـالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٍ ۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ ۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [١] .

ومن تمام الحد التغريب ، وذهب إلى ذلـك الجمهـور ، وروي عـن الخلفـاء الراشدين ، وبه قال ابن مسعود وابن عمر ، وإليه ذهب عطاء والثوري ، والشافعي ، وغيرهم [٢] .

واستدلوا بما رواه البخاري عن أبي هريرة وخالد [٣] رضي ا عنهما قالا : كنا عند النبي ﷺ فقام رجل فقال : أنشدك ا ألا قضيت بيننا بكتاب ا ، فقام خـصمه – وكان أفقه منه – فقال : اقض بيننا بكتاب ا ، وأذن لي . قال : (قل) . قـال : إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته ، فافتديت منه بمائة شاة وخادم ، ثـم سـألت رجالاً من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وعلـى امرأتـه الرجم . فقال النبي ﷺ : " والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب ا جل ذكره . المائة والخادم رد ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام . واغد يا أنيس على امرأة هذا فـإن اعترفت فارجمها ، فغدا عليها فاعترفت فرجمها " [٤] .

أما القذف : (وهو رمي البالغ العاقل من أحصن بصريح الزنا أو ما في معناه أو بنفي نسبه في معرض التعيير) [٥] .

وحد القذف : إذا لم تقم البينة على صدق القاذف فيما قذف به غيره ، هو الجلد ثمانين جلدة ، ويترتب عليه رد شهادته والحكم بفسقه ، بسلب العدالة عنه حتى يتوب .

---

(1) سورة النور ، آية : ٢ .

(2) انظر المغني والشرح الكبير ، لابن قدامة المقدسي : ١٣٣/١٠ .

(3) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ، سيف ا الفاتح الكبير ، صحابي ، كان من أشراف قريش فـي الجاهلية . أسلم قبل الفتح سنة ٧هـ ، كان فارساً شجاعاً ، توفي سنة ٢١هـ . انظـر الإصـابة : ٤١٣/١ ، صفوة الصفوة : ٢٦٨/١ ، الأعلام : ٣٠٠/٢ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود : ٩٥٩/٢ .
وصحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا : ١٣٢٥/٣ .

(5) انظر العقوبات المقدرة ، د. مطيع ا اللهيبي : ١٣٥ .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ ﴾ [1] .

أما شرب الخمر : (وهو تعاطي كل ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب خاصة ، أو من كل مسكر خامر العقل وخالطه ، سواء كان من عصير العنب أو من سائر الأنبذة الأخرى المتخذة من غير عصير العنب كالتمر والشعير والذرة والعسل)[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام " [3] .

ولم ينص القرآن الكريم على حد شارب الخمر ، بل ثبت حده بالسنة الصحيحة من قوله وفعله ﷺ .

فعن أنس رضي الله عنه قال : (جلد النبي ﷺ في الخمر بالجريد والنعال ، وجلد أبو بكر أربعين) [4] .

وعن أنس أيضاً : (أن النبي ﷺ كان يضرب في الخمر بالنعال والجريد أربعين)[5].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه : أن النبي ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين قال : وفعله أبو بكر ، فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن [6] : أخف الحدود ثمانون) [1] .

---

(1) سورة النور ، آية : ٤ ، ٥ .

(2) انظر العقوبات المقدرة ، د. مطيع الله اللهيبي : ١٣٩ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام : ١٥٨٨/٣ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في ضرب شارب الخمر : ٢٤٨٧/٦ .

(5) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب حد الخمر : ١٣٣٠/٣ .

(6) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ، أبو محمد الزهري القرشي ، من أكابر الصحابة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد السابقين للإسلام ، كان اسمه في الجاهلية " عبد الكعبة " فسماه الرسول ﷺ

وعلى ذلك فحد الشرب أربعون ، كما فعل رسول ا   وأبو بكر وما فعله عمـر زيادة مقبولة على سبيل التعزير [٢] .

أما القصاص وهو : (معاقبة الجاني على جريمة القتل أو القطـع أو الجـرح عمداً بمثلها) [٣] .

ولقد جاء تقرير القصاص في القتل والجروح في القرآن الكريم والسنة النبوية .

فقد جاء في عقوبة القتـل قولـه تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [5] .

وهناك آيات عامـة تقرر مبدأ المماثلة بين الجريمة والعقوبة مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٦] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [1] .

" عبد الرحمن " ، ولد قبل الهجرة بأربع وأربعين سنة ، وتوفي سنة ٣٢هـ . انظر صفوة الصفوة : ١٣٥/١ ، حلية الأولياء : ٩٨/١ ، الأعلام : ٣٢١/٣ .

(1) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب حد الخمر : ١٣٣٠/٣ .

(2) انظر العقوبات المقدرة : ١٥٣ .

(3) المدخل الفقهي العام : ٦١٣/٢ ، والتعريفات : ١١٧ .

(4) سورة البقرة ، آية : ١٧٨ .

(5) سورة الإسراء ، آية : ٣٣ .

(6) سورة النحل ، آية : ١٢٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢) .

وعن عبد ا بن عمر رضي ا عنهما قال : قال رسول ا ﷺ (لا يحـل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا ا وأني رسول ا إلا بإحدى ثلاث : النفس بـالنفس ، والثيب الزاني ، والمفارق لدينه) .

ولبيان العدل الإلهي في تقدير هذه العقوبات الشرعية لابد من بيان أمرين هامين :

الأول : بيان الحكمة من مشروعية هذه الحدود .

الثاني : بيان العدل في تقدير هذه الحدود .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ١٩٤ .

(2) سورة الشورى ، آية : ٤٠ .

أولاً : الحكمة من مشروعية هذه الحدود .

إن جميع الحدود والعقوبات المقدرة شرعاً لم تخل من حكم عظيمة ، وعواقـب حميدة تظهر في تقدير هذه الحدود ، وعلاقتها بالجريمة ، وأثرها على بنـاء الأمـة ، ومن أهم هذه الحكم العظيمة ما يلي :

١-الحفاظ على المجتمع الإسلامي .

وذلك أن هذه العقوبات الشرعية لا ينظر فيها إلى مقـدار الجريمـة ، بالنـسبة للمجني عليه ، بقدر ما ينظر فيها إلى مقدار آثار الجريمة في المجتمع .

فهناك أعراض للمجتمع لابد من الذود عنها ، ولابد من عقاب المنتهكين لهـا ، والحدود وغيرها هي العقاب الصارم الذي يذود عن عرض المجتمـع [١] ، فالعقـاب ضروري لحماية المجتمع المسلم ، وحماية ما فيه من الفضيلة والأخـلاق ، وحمايـة منافعه العامة ومصالحه المشتركة .

وهاتان الغايتان – حماية الفضيلة وحماية المنفعة – متلازمتان في الواقع ، وإن كانتا متغايرتين في المفهوم ، فالفضيلة تترتب عليها المصالح الإنسانية العامـة ، فـلا مصلحة في الرذيلة ، ولا فضيلة إلا ومعها مصلحة [٢] .

والشريعة الربانية جاءت لحماية المصالح الإنسانية الحقيقية المقـررة الثابتـة ، وهذه العقوبات جاءت لحماية هذه المصالح ، وكل ما قررته الشريعة من عقـاب إنمـا

---

(1) انظر الحدود في الشريعة الإسلامية ، د. عبد الحليم عويس : ٦ .
وانظر أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع ، د. محمد حسين الذهبي .

(2) العقوبة والجريمة ، لمحمد أبو زهرة : ٢٨ .

كان لأجل مصالح العباد ، وما كان من تحليل أو تحريم إنما كان لمصالح العباد ، أما ما كان ظاهره مصلحة مما يخالف ذلك فهذا نتيجة انحرافات نفسية ، ومنافع قليلة ، كمنافع الخمر والميسر ، وكما قال تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1][2] .

وعلى ذلك فإن إزالة فرد فاسد في المجتمع أو قطعه في سبيل مصلحة الأمة وسلامة أفرادها وسلامة المجتمع المسلم بأكمله ، أمر مهم فيه مصلحة كبيرة ودرء لمفاسد عظيمة ، وإن كان بقاء جميع أفراد الأمة وسلامتهم أمراً مهماً لمصلحة الأمة ، إلا أن إزالة الفرد الفاسد أكثر مصلحة وأعظم فائدة .

ومثال ذلك : أن بقاء الرجل يسير على قدمين اثنين مصلحة مؤكدة ، ولكن إذا أصابت إحدى رجليه أكلة فإن هذه المصلحة تنقلب إلى مضرة ، ويكون من مصلحة الجسم كله إزالة تلك الرجل ، فالمصلحة التي أوجبت بقاء الجسد كاملاً هي نفس المصلحة التي أوجبت قطعاً فيه [3] .

وعلى ذلك فإن المصلحة التي راعتها الشريعة في العقوبات هي مصلحة أكبر عدد ممكن من الأمة ، وتقديم النفع الكبير للأمة على الضرر اليسير على بعض أفرادها، فالضرر الكثير يدفع بالضرر القليل ، ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح ، لأن دفع المضار ذاته فيه مصلحة [4] .

والمصلحة المعتبرة التي حماها الإسلام بتقرير العقاب عند الاعتداء عليها ترجع إلى أصول خمسة : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ النسل والعرض،

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٢١٩ .

(2) انظر العقوبة لمحمد أبو زهرة : ٢٨ .

(3) انظر المصدر نفسه : ٣٥ .

(4) المصدر نفسه : ٣٥ ، ٣٦ .

وحفظ المال ، وذلك لأن الحياة الدنيوية التي يعيش فيها الإنسان تقوم على هذه المـصالح ، ولا تتوفر معاني الحياة الإنسانية الكريمة إلا إذا توافرت هذه الأمور [١] .

ولو نظرنا إلى العقوبات الشرعية نجدها تتجه إلى هذه الـضروريات لتحميهـا وتحافظ عليها .

فالحكمة من مشروعية القصاص تتمثل في حماية حق الحياة المحترمة شرعاً ، والمحافظة على النفس مقصد من مقاصد الشارع الضرورية [٢] ، والاعتداء على حـق الحياة أمر عظيم وخطير ، ولذلك كان أول ما يقضى بين العباد يوم القيامة في الدماء ، قال ﷺ : (أول ما يقضى بين الناس بالدماء) [٣] .

والعدوان في جريمة القتل اعتداء على الحياة الإنسانية كلها كما أشار إلى ذلـك ربنا سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [٤] .

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى للقتل عقاباً دنيوياً عاجلاً وهو القتل ، وفـي ذلـك حكمة عظيمة ، فالجاني إذا علم أن عقوبة فعله هي تقديم نفسه وفقدان حياته امتنع عن ذلك الجرم وكف عن الاعتداء إبقاء لحياته ، وهذا المعنى هو ما ذكره الحـق تبـارك وتعالى بقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [5] ، فالقصاص فيه حياة للقاتل والمقتول والجاني والمجني عليه إذا لم تقع الجريمة .

---

(1) المصدر نفسه : ٣٢ ، ٣٣ .

(2) انظر الموافقات ، للشاطبي : ٥/٢ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة : ٢٣٩٤/٥ .
وصحيح مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب المجـازاة بالقـصاص فـي الآخـرة : ١٣٠٤/٣ ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

(4) سورة المائدة ، آية : ٣٢ .

(5) سورة البقرة ، آية : ١٧٩ .

كذلك الزنا فإن هذه الجريمة مثل باقي الجرائم لا ينظر فيها إلى مقدار الاعتداء الشخصي الواقع على المجني عليه ، وإنما ينظر فيها إلى ما يترتب على شيوع هـذه الفاحشة من نتائج خطيرة بالنسبة للمجتمع ، فمن نتائجها العزوف عن الزواج ، وتحلل الأسر ، وتضييع الأنساب ، فتشريع حد الزنا هو حفظ للنسل والعرض معاً .

وبين الزنا والقتل مناسبة لأن الزنى قتل للنسل والقتل اعتداء على شخص واحد أما الزنا فجريمته اعتداء على أنفس كثيرة ، تريد حياة كريمة [1] ، ولذلـك فقد قـرن الله تعالى بين الزنا وقتل النفس في عدة آيات فقال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [2] . وقـال تعـالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴿٣٣﴾ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾ [4] .

أما حد السرقة فإنه يتجه إلى حفظ المال ، وحفظ كرامة الناس وصيانة أموالهم ، واستتباب الأمن في المجتمع ، ورفع القلق والخوف الذي قد يعتري الناس . مما يجعل مسار الحياة طبيعياً في المجتمع ، وفيه أيضاً تضييق على السارق من الوقوع في هذه الجريمة ، وحث له على سلوك طريق آخر مشروع لكسب المال . مما يؤدي إلـى أن يسود الرخاء والعمل وتصبح الجريمة نادرة [5] .

---

(1) العقوبة ، أبو زهرة : ٧٧ ، ٧٨ .
(2) سورة الأنعام ، آية : ١٥١ .
(3) سورة الإسراء ، آية : ٣٢ ، ٣٣ .
(4) سورة الفرقان ، آية : ٦٨ .
(5) انظر العقوبات المقدرة ، د. مطيع الله اللهيبي : ١٠٢ ، ١٠٣ .

أما حد الردة فيتجه إلى حفظ الدين ، وفي ذلك صيانة للمرتد نفسه ، فإن المرتد إذا علم بعقوبة الردة امتنع عن ذلك حفاظاً على حياته ، كما فيه صـيانة لغيـره مـن المسلمين من التردي في الردة ، وفيه صيانة للمجتمع في دينه وعقيدته من الإفساد فيها أو التلاعب بها ، وليس في عقوبة الردة ما يتنافى مع حرية العقيدة التي أقرها الإسلام بقوله : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [1] .

وقولـــه تعـــالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] .

فالآيتان تتعلقان بنص الإكراه ابتداء ، أما في الخروج منه فلا تتعلق به الآية .

كما أن عقوبة الردة لا تؤدي إلى النفاق في الأمة ، بأن تكون سبباً فـي بقـاء المنافقين في الإسلام خوفاً منهم من حد الردة ، وهو القتل ، وإنما هـي سـبب لمنـع النفاق، وذلك لأن المنافق إذا علم بحد الردة امتنع ابتداء من دخول الإسلام ، فضلاً عن الخروج منه والردة عنه . بذلك ينجو الإسلام من شر المنافقين [3] .

وكذلك حد الحرابة ، فهي تتجه إلى الحفاظ على أموال الناس وأرواحهم ويمنـع من وجود العصابات المسلحة التي تهدد أمن المجتمع ، وتخطـف الأبريـاء ، وتأخـذ أموالهم ، وتتعدى على أرواحهم بالقتل .

وكذلك حد القذف فإنه يتجه إلى حفظ الأعراض مـن أن تـدنس أو تنتهـك ، فتشريع حد القذف فيه مراعاة لمصلحة الجماعة أمنها وسلامتها ، وحفظ سمعتها من أن تلوث ، وصيانة أعراضها من أن تجرح ، وفيه حفاظ على المجتمع المسلم ليبقى نظيفاً نزيهاً ، يسوده الحب ، وتزول عنه أسباب البغض والخصام ، كما أن في إقامـة حـد القذف قطعاً لألسنة الناس من الولوغ في أعراض المقذوف ، وفيه أيضاً بيـان بـراءة

---

(1) سورة يونس ، آية : ٩٩ .

(2) سورة البقرة ، آية : ٢٥٦ .

(3) انظر العقوبات المقدرة ، د. مطيع ا اللهيبي : ٦٤ ، ٦٥ .

المقذوف مما قذف به ، ليسترد مكانته في المجتمع ، وهكذا يصان المجتمع من فحـش القول [1] .

أما حد الخمر فإنه يتجه إلى الحفاظ على العقل ، ومنع تعاطي الخمور ، فتحمى بذلك عقول أفراد المجتمع من العطل والفساد ، وتسلم أبدانهم من العلل والأمـراض ، وتسلم أموالهم من الهلاك والضياع [2] .

وخلاصة القول فإن الشريعة قد عملت على حماية المجتمع من الإجرام في كل الأحوال ، وحرصت على الحفاظ على الضروريات الخمس ، وأخذت الشريعة بمبـدأ حماية الجماعة على إطلاقه ، واستوجبت توفره في كل العقوبات المقدرة للجرائم .

ولذلك فقد أهملت الشريعة مبدأ العناية بالمجرم بصفة عامة في جرائم الحدود ، وهي الجرائم التي تمس كيان المجتمع ، وذلك لأن حماية الجماعة اقتضت بطبعها ذلك الإهمال ، ومع ذلك فهذه الجرائم قليلة محدودة ،

أما ماعدا ذلك من الجرائم فينظر في عقوبته إلى شخصية المجرم ، وتـستوجب الشريعة أن تكون شخصية الجاني ، وظروفه ، وأخلاقه وسيرته محل تقدير القاضـي عند الحكم بالعقوبة عليه ، ويكون هذا في العقوبات المفوضة ، وهي ما تعـرف فـي الشريعة بالتعزيرات ، وهي العقوبات التي لم يرد فيها نص شرعي ، وإنما ترك تحديد العقوبة فيها لاجتهاد القاضي أو ولي الأمر .

فالجرائم التي حددها الشارع الحكيم هي الجرائم التي تـأتي علـى المـصالح الضرورية للعباد مما يمس مصالح المجتمع المسلم [3] .

---

(1) انظر العقوبات المقدرة : ١٤٤ ، ١٤٥ .

(2) انظر المصدر نفسه : ١٦١ .

(3) انظر فلسفة العقوبات في الشريعة الإسلامية ، فكري أحمد عكاز : ٣٥ ، ٥١ .

٢- منع وقوع الجريمة بتقدير العقوبات الصارمة .

فالعقاب وسيلة ناجحة لمنع الجريمة ، ذلك أن العقاب ينتج عنه ثلاث فوائد :

أ- ردع الجاني .

ب- زجر غيره .

ج- منع تكرار الوقوع في نفس الجريمة .

ولذلك فالعقوبة الصارمة لابد منها لتطهير المجتمع المسلم مما يضر به ، واستئصال جرائمه ، وتخفيف ويلاته ، وحماية أخلاقه وفضائله ، وصيانة منافعه العامة ومصالحه ، وهذه هي الحكمة والغاية من العقاب [١] .

ولا شك أن تجريد العقوبات من معنى النفع بالنسبة للمجتمع ، تجريد اللازم من ملزومة ، فإن البناء الاجتماعي يقوم على أساس تشابك المصالح وارتباطها بالمنافع ، فإن حصول المنافع الشخصية تقوم على أساس تشابك المصالح بين أفراد المجتمع ، ولذلك لابد من الاختلاط والتفاعل بين أفراد المجتمع ، وفي داخل التفاعل والاختلاط الإنساني قد يبغي بعض الناس على بعضهم الآخر ، مما يعطل المصالح الاجتماعية ويعرقل حصول المنافع ، فكان لابد من حماية المصالح ومنع الشطط ، ومجاوزة الحد، والعقوبة تقوم بهذه الحماية .

وإذا كان الغرض من العقوبة هو إصلاح الأفراد ، وحماية الجماعة ، وصيانة نظامها ، ومنع الجرائم ، وردع المجرمين ، وزجرهم ، من أجل ذلك وجب أن تعتمد العقوبة على أسس يتحقق بها هذا الغرض كما ينبغي ، وهذه الأسس هي :

١- أن تكون العقوبة صارمة بحيث تمنع الناس من ارتكاب الجريمة فإن ارتكبت تكون العقوبة صالحة لتأديب الجاني على جنايته ، وزجر غيره من التشبه به ، وسلوك طريقه ، وفي معنى هذا يقول بعض الفقهاء في تعريف العقوبة كما سبق ذكر ذلك :

---

(1) انظر العقوبة ، لمحمد أبو زهرة : ٢٦ ، ٢٧ .

(إنها موانع قبل الفعل زواجر بعده ، أي العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل وإيقاعها بعده يمنع العود إليه) [١] .

٢- أن تكون العقوبة لحاجة الناس ولمصلحتهم ، ولا تزيد على ذلك ولا تنقص.

٣- أن هذه العقوبة لا يقصد بها الانتقام من المجرم ، بل يقصد بها استصلاحه [٢] .

١٤-

١٥-

١٦-

---

(1) فتح القدير ، لكمال الدين بن الهمام : ١١٢/٤ .

(2) انظر فلسفة العقوبة : ٤٩ ، ٥٠ .

١٧ – *ثانياً : العدل الإلهي في وضع هذه الحدود :–*

إن تشريع هذه الحدود تشريعاً إلهياً هي مقتضى عدله سبحانه وتعالى في عقاب عباده ومراعاته لمصالح خلقه .

ومع أن هذه العقوبات بكل صورها أذى لمن تنزل به ، فإن في أثارها من العدل والرحمة والمصلحة بالمجتمع ما هو أضعاف أضعاف ذلـك ، وهـذه الرحمـة التـي تضمنتها هذه العقوبات ليست هي الشفقة الصادرة عن الانفعال النفسي ، وإنمـا هـي الرحمة العامة بالمجتمع المسلم التي لا تفرق بين عبد وآخر ، ولا بين جنس وآخـر ، وهي الرحمة التي تحافظ على مصالح المجتمع وسلامة نظامه وتماسكه .

فليس الرفق بالمجرمين من الرحمة ، ولا التهاون مع من يسعى في هدم بنيـان الأمة من الرحمة ، بل إن الرفق بهؤلاء المجرمين والتهاون معهم هو عـين القـسوة والغفلة على الأمة بأسرها .

وإن من عموم الرحمة الربانية بالخلق إقامة العدل فيما بينهم ، فجميع الرسالات الإلهية جاءت لإقامة القسط وتنظيم العلاقات بين الناس ، وهذه العقوبات مشتملة علـى الرحمة وعلى العدل معاً ، وذلك أن الظلم ليس فيه رحمة ، فقد يظن ظـان أن تـرك العقوبات من الرحمة ، مع أنه من الظلم ، والظلم لا رحمة فيه ، بـل إن الرحمـة لا تتحقق إلا بتحقق العدل ، واستيفاء الحقوق بين العباد [١] .

فالعقوبات تأديب واستصلاح وزجر ، يختلف بحسب اختلاف الـذنب ، بـل إن العقوبات إنما شرعت رحمة من ا تعالى بعباده ، فهي صادرة لرحمة الخالـق وإرادة الإحسان إليهم ، كما يقصد الوالد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة مريضه [٢] .

والعدل في تقدير هذه العقوبات وتشريعها يتضح جلياً في عدة وجوه نذكر منها :

١- المساواة بين الغني والفقير والشريف والوضيع :

فلو نظرنا إلى شريعة ا تعالى لوجدناها لا تتجه إلى الأعراف فتحميهـا ، ولا إلى الحكام لتبعدهم عن العقاب ، وإنما تتجه إلى الأخلاق والفضائل لتحميهـا ، وإلـى الأعراف لتصلحها ، وتقومها وتهذبها ، ولذلك فالحاكم والمحكوم جميعاً سواء أمام حكم ا تعالى [٣] ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام : (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كـانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف قطعوه ، وأيم ا ، لو أن فاطمـة بنـت

---

(1) انظر العقوبة : ١١ ، وما بعدها .

(2) انظر الاختيارات ، لابن تيمية : ١٧١ ، نقلاً عن فلسفة العقوبة : ٥٠ .

(3) انظر العقوبة : ١٧/١٦ .

محمد سرقت لقطعت يدها) [1] ، فالعقوبة في الشرع الإسلامي عامة يتساوى أمامها الأمير والحقير والغني والفقير ، وكل ما يعنيه هذا المبدأ أن لا يكون مركز الشخص أساساً أو سبباً لأن تطبق عليه عقوبة دون أخرى ، ولا أن يعفى من حد قدره الشارع الحكيم [٢].

فمنهج الله تعالى الذي وضعه للناس ، منهج بريء من جهل الإنسان وضعفه وهواه وشهواته وتقلباته ، لذلك فهو منهج لا محاباة فيه لفرد ، ولا لطبقة ، ولا لجنس ، ولا لشعب ولا لجيل دون جيل ، لأن الله هو رب العالمين ، والخلق كلهم عباده ، وشريعته قد أنزلها عليهم لتحقيق مصالحهم جميعاً ، وهدايتهم جميعاً لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة [٣] .

٢- مناسبة كل حد للجريمة .

إن العقوبات الشرعية المقدرة يتضح فيها معنى العدالة الإلهية في المساواة بين الجريمة والعقاب المقدر لها ، وعدم تعدي العقوبة لغير الجاني .

وذلك لأن وضع حد لمنع الإسراف في الجرائم مع قيام العدالة ، وإقامة العقاب على أساس حماية المصالح الإنسانية ، وتقيده بالمناسبة بين الجناية والعقوبة أمر قدره الشارع الحكيم .

---

(1) سبق تخريجه ص(٧٤٦) .

(2) انظر العقوبة في الفقه الإسلامي ، دراسة فقهية متحررة ، أحمد فتحي بهنسي : ٣٧ .

(3) انظر مجلة البيان ، العدد ١٩٢ ، الخصائص التي تميز العقوبات الشرعية ، د. عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان : ١٨ ، ١٩ .

فلقد شرع الله سبحانه وتعالى هذه الحدود على أكمل وجه ، وقدرها على أتم صورها المتضمنة لمصلحة الردع والزجر مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني من الردع [1] .

وتباين الحدود والاختلاف في تقديرها بين قتل وقطع وغيره إنما هو نتيجة اختلاف الجنايات وتباينها وتفاوت درجات وشدة ضررها وخطره ، وذلك يظهر ابتداء في تخصيص هذه الجرائم الخطيرة بعقوبات مقدرة دون غيرها ، نظراً لضررها الفادح على بناء الأمة ومصالحها ، أما ما عداها من الجرائم والجنايات فلا حدود لها مقدرة ، وإنما لها حدود أخرى مفوضة كما تقدم ، وذلك نظراً لأنها أقل خطراً وضرراً على المجتمع من الجرائم الأولى ، فتقدير كل حد أمر في غاية الدقة لا يستطيعه إلا أحكم الحاكمين ، العليم الخبير بخلقه ، لأن تقدير المصالح المترتبة على الحدود والمفاسد المندفعة بها أمر لا تدركه العقول ، ولذلك فقد جاء تشريع هذه الحدود أمراً إلهياً متناسباً مع حكمة الله سبحانه وتعالى وعلمه وعدله في خلقه ، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (فلما تفاوتت مراتب الجنايات لم يكن بد من تفاوت مراتب العقوبات ، وكان من المعلوم أن الناس لو وكلوا إلى عقولهم في معرفة ذلك وترتيب كل عقوبة على ما يناسبها من الجناية جنساً ووصفاً وقدراً لذهبت بهم الآراء كل مذهب ، وتشعبت بهم الطرق كل شعب ، ولعظم الاختلاف واشتد الخطب ، فكفاهم أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين مؤنة ذلك ، وأزال عنهم كلفته ، وتولى بحكمته وعلمه ورحمته تقديره نوعاً وقدراً ، ورتب لكل جناية ما يناسبها من العقوبة ويليق بها من النكال) [2] .

فالقتل مناسب لجريمة القتل ، لأن القتل أعظم الجنايات ، فهو جناية على النفس التي بها حياة الإنسان وصلاحه ، فكانت عقوبته من جنسه .

---

(1) انظر العقوبة ، لأبو زهرة : ٣٩،٤٠ ، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، لابن تيمية : ٩٨ ، وإعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم : ٢٩/٢ .

(2) أعلام الموقعين عن رب العالمين : ١١٥/٢ .

وكذلك القتل مناسب لجريمة الردة ، لأن المرتد عن دينه يستحق القتل وتطهيـر المجتمع منه ، لأن بقاءه بين أظهر العباد مفسدة لهم ، ولدينهم ، الـذي هـو عـصمة أمرهم ، وبه صلاح معاشهم ومعادهم .

وكذلك القتل مناسب للزنى ، لأن الزنا جناية على الأنساب والأعراض معاً وفيه جناية على الأنفس كما تقدم ، فكان من المناسب له القتل وتطهير المجتمع من أفـراده المفسدين .

أما القطع فهو عقوبة السرقة ، وهي أبلغ في الردع من غيرها من العقوبة ، كما أنها لم تبلغ عقوبة القتل ، ولا يناسبها القتل ، بل إن القطع أليق بها ، لأن فيـه إبانـة العضو الذي كان وسيلة إلى أذى الناس وأخذ أموالهم .

أما المحارب فلما كان ضرره أشد من السارق فكان حده أشد من حد الـسارق وكان القطع ليده التي بطش بها ورجله التي سعى بها ، وكان ذلك من خلاف لئلا يفوت عليه منفعة الشق بكامله ، فجمع بذلك بين العدل والرحمة .

أما الجلد فكان عقوبة الجناية على الأعراض ، وعلى العقول ، وعلى الأبضاع فلم تبلغ هذه الجنايات مبلغاً يوجب القتل أو القطع .

إلا الجناية على الأبضاع فإن مفسدتها قد تكون سـبباً لأشـنع القـتلات ولكـن عارضها في البكر شدة الداعي وعدم المعوض ، فكان ذلك المعارض سـبباً لإسـقاط القتل .

والجلد هنا غير كاف في الزجر فغلظه المشرع الحكيم بـالنفي والتغريـب [1] ، والحديث عن مناسبة الحد للجريمة لا يقتضي أن تكون العقوبة من جنس الذنب في كل حال ، وإنما المراد مناسبة الحد للجريمة في كونها أبلغ في ردع المجـرم وزجـره ، ومنع وقوع هذه الجرائم من غيره ، ولو كان كل عقاب يكون من جنسه لكـان القطـع للسارق ليده ، والزاني لفرجه ، والقاذف للسانه ، ولكن الأمر غير ذلـك ، فالعقوبـات مقدرة بتقدير رب العالمين ، عالم الغيب والشهادة ، وهو الذي رتبها على أسبابها جنساً

([1]) انظر أعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم : ١١٥/٢ ، ١١٦ .

وقدراً ووصفاً ، وهو سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحاط علمه بوجوه المـصالح دقيقها وجليلها وخفيها وظاهرها . وليست هذه التقديرات والتخصيصات فـي الحـدود والجنايات خارجة عن وجوه الحكم والغايات المحمودة ، بل مصدرها عن كمال علمـه سبحانه ، وكمال حكمته وعدله ووضعه كل شيء في موضعه الذي لا يليق به سواه .

ولا شك أن من المعلوم ببدائه العقول أن التسوية في العقوبات مع تفاوت الجرائم غير مستحسن ، بل هو أمر مناف للحكمة والمصلحة والعدل ، فلو ساوى بين العقوبات جميعها لم تحصل مصلحة الزجر ، وإن ساوى بينها في أعظمها كان خلاف الرحمـة والحكمة ، كما أن التفاوت بين العقوبات مع استواء الجرائم قبيح في الفطر والعقـول ، وكلاهما تأباه حكمة رب العالمين ويأباه عدله وإحسانه إلى خلقه .

ثم إن المعاقبة بجنس الذنب ليست مصلحة في كل الأحوال ، فالقتـل بالنـسبة للقاتل فيه مصلحة ، والقطع للسارق فيه مصلحة ، أما القطـع للقـاذف أو الزانـي لا مصلحة فيه ، ولا تناسب بين القطع وبين هذه الجرائم ، ولا يكون الحد بـالقطع هنـا رادعاً للمجرم .

وليس من حكمة ا تعالى ومصلحة خلقه وعنايته ورحمته بهم أن يتلف علـى كل جان كل عضو عصاه به ، ولو كان كذلك لشرع قلع عين من نظر إلـى محـرم ، وقطع أذن من استمع إليه ، ولسان من تكلم به ، ولا خفاء بما في ذلك من الإسـراف والتجاوز في العقوبة ، ومنافاة المقصود من العقوبة ، وهو الزجر والتنكيل بـالمجرم ، وكف عداوته ، واعتبار غيره بقدر المستطاع ، فالسارق تقطع يده لأنهـا هـي التـي باشرت الجرم ، وهي الوسيلة لذلك ، ولأمر أهم وهو أن قطع يده أبلـغ فـي الزجـر والردع وعدم معاودة الجرم ، أما الزاني فإنه يزني بجميع بدنه ، والتلذذ بقضاء شهوته يعم البدن كله ، فعوقب بما يعم بدنه من الجلد أو القتل .

ثم إن قطع فرج الزاني فيه تعطيل النسل وقطعه ، وفيه من المفاسد أضعاف ما يتوهم فيه من مصلحة الزجر ، وفيه إخلاء جميع البدن من العقوبة .

والقذف دون سرقة المال في المفسدة ، ولذلك كانت عقوبته دون القطـع وهـي عقوبة الجلد .

ولما كان شرب المسكر أقل مفسدة من تلك الجنايات كلها كانت عقوبته دون حد هذه الجنايات كلها .

وكذلك الجرائم دون ذاك ، مفاسدها متفاوتة غير متطابقة في الشدة والـضعف والقلة والكثرة ، فجعلت عقوباتها راجعة إلى اجتهاد الأئمة ، وولاة الأمـور ، بحـسب المصلحة في كل زمان ومكان ، وبحسب أرباب الجرائم في أنفسهم ، والفقيه في شرع ا من نظر إلى الأزمنة والأمكنة وحال الناس وقدر لكل جريمة ما يناسبها من العقوبة [1] .

٣- وجوب التماثل في القصاص .

والقصاص نوعان :

قصاص في النفس .

قصاص فيما دون النفس .

فالقصاص يطلق على القتل وغيره من الجروح .

([1]) انظر أعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم : ١١٩/٢ وما بعدها .

ولابد في القصاص من المماثلة سواء القصاص في النفس أو فيما دون النفس ، ويرى جماعة من العلماء أنه لا قود إلا بالسيف في العنق ، لأن القتل بغير السيف وفي غير العنق لا نعلم فيه المماثلة ، بل قد يكون التحريق والتمزيق ونحو ذلك أشد إيلامـاً واستدلوا بقوله ﷺ : " لا قود إلا بالسيف " [١] وذهب إلى ذلك الحنابلة [٢] .

وذهب آخرون إلى أنه يفعل بالجاني مثل ما فعل بالمجني عليه [٣] .

وقد رجح شيخ الإسلام قول الفريق الثاني وذكر أن قولهم أقرب إلـى العـدل ، فإنه مع تحري التسوية بين الفعلين يكون العبد قد فعل ما يقدر عليه من العدل ، ومـا حصل من تفاوت الألم خارج عن قدرته ، وأما إذا قطع يديه ورجليه ، ثـم وسـطه ، فقوبل ذلك بضرب عنقه بالسيف ، أو رض رأسه بين حجرين فضرب بالسيف ، فهنـا قد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة ، وكنا قد فعلنا ما تيقنا انتفاء المماثلة فيه ، وأنه يتعـذر معه وجودها ، بخلاف الأول فإن المماثلة قد تقع إذ التفاوت فيه غير متيقن [٤] .

أما القصاص فيما دون النفس فقد اتفق الفقهاء على أن الجاني لا يقتص منه في الجناية على ما دون النفس ، إلا إذا كان القصاص ممكناً من غير زيادة بلا تعد .

وذلك لأن القصاص يقوم على المماثلة والمساواة ، فيفعل بالجاني مثل ما فعـل بالمجني عليه ، قال تعالى : ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [٥] ، ولأن جسم الجاني معصوم لا يباح منه إلا بقدر جنايته [٦] .

والقصاص فيما دون النفس نوعان :

---

(1) سنن ابن ماجة ، كتاب الديات ، باب لا قود إلا بالسيف : ٨٨٩/٢ .
قال الهيثمي : (رواه البزار وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف) مجمع الزوائد : ٢٩١/٦ .

(2) انظر الروض المربع بشرح زاد المستنقع ، منصور البهوتي : ٤٨٧ .

(3) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية : ١٨ ، ٩٧ .

(4) المصدر نفسه : ١٨ ، ٩٧ .

(5) سورة البقرة ، آية : ١٩٤ .

(6) انظر بدائع الصنائع : ٤٧٦٢/١٠ ، وبداية المجتهد ، لابن رشد : ٥٢٦/٢ ، وكشاف القناع : ٥٤٨/٥ .

النوع الأول : القصاص في الطرف ، فتؤخذ العين بالعين ، والأنـف بـالأنف والأذن بالأذن ، والسن بالسن وهكذا ، كل واحد من ذلك بمثله بدليل الآية الكريمـة ، وهي قوله تعالى : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ...) ، وقد اشـترط العلمـاء للقصاص في الطرف ثلاثة شروط لتوخي العدل والمماثلة في القصاص :

الأول : الأمن من الحيف ، ويشترط للوجوب إمكان الاستيفاء بلا حيف .

الثاني : المماثلة في الاسم والموضع ، فلا تؤخذ يمين بيسار ولا خنصر ببنصر وهكذا .

الثالث : استواء الطرفين المجني عليه والمقتص منه في الصحة والكمال ، فـلا تؤخذ رجل صحيحة برجل شلاء .

فيكون القصاص في الأطراف ممكناً إذا كان القطع من مفصل ، أو له حد ينتهي إليه ، ويقف عنده القطع ، كما لو كان القطع من مفصل الكوع أو المرفق أو الكتف أو غيرها من مفاصل الجسم ، أما إذا كان القطع من غير مفصل ، وليس لـه حد ينتهـي إليه كالقطع من نصف الساعد أو نصف الساق ، أو قطع لحم من الفخذ أو الخد ، فقـد اختلف الفقهاء :

فيرى الحنفية وبعض الحنابلة أنه لا قصاص إن لم يكن القطع من مفـصل ، أو ليس له حد ينتهي إليه ، لتعذر المماثلة ، وعدم القدرة على الاستيفاء بغير زيادة ، فمن جنى على شخص وقطعه من نصف ساعده لا يقتص منه ، وتجب عليه الدية ، لأنه لا يمكننا أن نفعل بالجاني مثلما فعل بالمجني عليه لوجود العظم الذي يمنع المساواة [1] ، وذهب الشافعية وبعض فقهاء الحنابلة أن للمجني عليه أن يقتص من أول مفصل داخل في الجناية وله حكومة [2] في الباقي ، فمن قطعت يده من الساعد كان له أن يقتص من كوع الجاني ، ويأخذ أرش الباقي الذي تعذر فيه القصاص ، بينما يـرى فريـق مـن

---

(1) انظر الهداية : ١٦٦/٤ ، وبدائع الصنائع : ٤٧٦٥/١٠ ، والروض المربع : ٤٨٩ .

(2) الحكومة في الجراح : هي أن يقوم المجني عليه كأنه عبد لا جناية به ، ثم يقوم وهي به قد برئت فما نقـصته الجناية فله مثله من الدية . انظر القاموس الفقهي : ١٩٧ .

الحنابلة عدم الجمع بين القصاص والأرش في جناية واحدة [(١)] ، ويرى المالكيـة أنـه يقتص من الجاني في القطع من غير مفصل إن كان ممكناً ولم تخف على الجاني ، أما إذا عظم الخطر كما في عظام الصدر والعنق والفخذ فلا قصاص ولو رضي الجـاني بذلك [(٢)] .

والسبب في هذا الخلاف هو أن بعض الفقهاء يرى إمكان الاستيفاء بـلا حيـف فيما دون المفصل ، وبعضهم يرى أن من العدل المماثلة .

النوع الثاني : القصاص في الجراح .

فيقتص في كل جرح ينتهي إلى عظم ، لإمكان استيفاء القصاص من غير حيف ولا زيادة ، وهذا الذي جاءت به الآية الكريمة لقوله تعـالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [(٣)] ، والـسنة جاءت بذلك أيضاً ، عن العباس بن عبد المطلب رضي ا عنه قال :

قال رسول ا ﷺ : (لا قود في المأمومة [(٤)] ولا الجائفة [(٥)] ولا المنقلة [(٦)]) [(٧)] .

فدل الحديث على أن ما لا ينتهي إلى عظم ، لا يجوز القصاص فيـه ، لعـدم الأمن من الحيف والزيادة ، قال شيخ الإسلام : (القصاص في الجراح ثابت بالكتـاب والسنة والإجماع بشرط المساواة ، فإذا شجه ، فله شجه كذلك ، فإذا لم يكن ؛ مثـل أن

---

(1) انظر المهذب : ١٧٨/٢ ، وروضة الطالبين : ١٨٣/٩ ، ونهاية المحتاج : ٢٨٥/٧ .
(2) انظر مواهب الجليل : ١٢٤٧/٦ ، وأسهل المدارك : ١٢٠/٣-١٢١ ، وقوانين الأحكام الشرعية : ٣٨٠ .
(3) سورة المائدة ، آية : ٤٥ .
(4) المأمومة : هي الشجة التي تصل إلى جلدة الدماغ . انظر الملخص الفقهي ، صالح الفوزان : ٣٨٤/٢ .
(5) الجائفة : هي التي تصل إلى باطن الجوف . المصدر نفسه ونفس الصفحة .
(6) المنقلة : هي التي تهشم الرأس وتنقل العظام ، المصدر نفسه ونفس الصفحة .
(7) سنن ابن ماجة ، كتاب الديات ، باب ما لا قود فيه : ٨٨١/٢ .

يكسر عظماً باطناً ، أو شجه دون الموضحة ، فلا يشرع القصاص ، بل تجب الديـة) [1]، وهو الذي عليه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة ، وهو منصوص أحمـد، لأن ذلك أقرب إلى العدل والمساواة ، فإنا إذا تحرينا أن نفعل بالجاني من جـنس فعلـه ، ونقرب القدر من القدر كان هذا أمثل من أن نأتي بجنس من العقوبة تخـالف عقوبتـه جنساً وقدراً وصفة [٢] ، ويقول ابن تيمية : (الحاصل أن هـذه الأبـواب المقـصود للشريعة فيها تحري العدل بحسب الإمكان وهو مقصد العلماء ، لكن أفهمهم من قال بما هو أشبه بالعدل في نفس الأمر) [٣] .

٤- أن في إقامة الحدود إذهاب لغيظ المجني عليه ، ومنعه من التعدي بعد ذلك.

فالعقوبات المقدرة التي يكون حق العبد فيها غالباً كجرائم الدماء نجدها تتجه إلى شفاء غيظ المجني عليه أولاً بالذات ، وليس ذلك من الانتقام في شيء ، بل إن في ذلك مصالح كثيرة ، وذلك لأن من فقئت عينه لا يشفي غيظه مال من الجاني مهمـا يكـن قدره ، ولا سجن مهما تكن مدته ، وإنما يشفي غيظه أن يجده مفقوء العين ، وقس على ذلك [٤] .

---

(1) نقلاً عن الملخص الفقهي ، د. صالح الفوزان : ٣٨٤/٢ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٩٧/١٨ ، ٩٨ .

(3) المصدر نفسه : ٩٨/١٨ .

(4) انظر العقوبة ، لمحمد أبو زهرة : ٤٤ .

ولا شك أن في العناية بشفاء غيظ المجني عليه ، وعلاجه ، لـه أثـره ، فـإن التفكير في الانتقام الذي يتعدى الجاني يكون فيه من الإسراف والاعتداء مما يتنافى مع العدل والمساواة ، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [1] ، معناه أن في المقاصة بـين الطـائفتين والمعادلة والتناصـف بينهما وإقامة الحدود ، فيه إذهاب لغيظهم ، وإخماد للفتن فيقول في ذلك : (﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ ، فإنهم إذا تفادوا القتلى وتقاصوا وتعادلوا لـم يبق واحدة تطلب الأخرى بشيء ، فحيي هؤلاء وحيي هؤلاء ، بخـلاف مـا إذا لـم يتقاصوا فإنهم يتقاتلون ، وتقوم بينهم الفتن التي يموت فيها خلائق ، كما هو معـروف في فتن الجاهلية والإسلام ، وإنما تقـع الفتن لعـدم المعادلـة والتناصـف بيـن الطائفتين ، وإلا فمـع التعادل والتناصف الذي يرضى به أولو الألباب لا تبقـى فتنـة)[2].

٥- التوبة من الجرم تسقط العقاب الأخروي .

فهذه العقوبات إنما هي مما عجله ا تبارك وتعالى من العقاب في الدنيا وهناك عقاب أخروي مؤجل على هذه الجرائم ، ولذلك تجد اقتران ذكـر العقـاب الـدنيوي والأخروي في بيان عقوبة هذه الجرائم ، فقد قال تعالى في بيـان عقوبـة المحـاربين الدنيوية والأخروية . ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ

(1) سورة البقرة ، جزء من الآية : ١٧٩ .

(2) مجموعة الفتاوى : ٥٠/١٤ .

﴿ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] ، قال ابن جرير الطبري في تفسير هـذه الآيـة : (يعني لهؤلاء المحاربين خزي في الدنيا هو لهم شر وعار وذلة ونكال في عاجل الـدنيا قبل الآخرة .. وقوله : ﴿ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [2] يقول عز ذكـره لهـؤلاء الذين حاربوا ا ورسوله وسعوا في الأرض فساداً فلم يتوبوا من فعلهـم ذلـك حتـى هلكوا في الآخرة ، مع الخزي الذي جازيتهم به في الدنيا والعقوبة التي عاقبتهم بها فيها - أي الدنيا ، عذاب عظيم يعني عذاب جهنم) [3] ، وقال تعالى في بيان عقوبة القتل : ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ [٤] .

إلا أن التوبة النصوح تسقط العقاب الأخروي ، أما العقاب الـدنيوي – (وهـو الحد) – فإن إسقاط التوبة له موضع خلاف عند الفقهاء : فالأصل في الحدود أنهـا لا تقبل فيها التوبة ، ولا تجوز فيها الشفاعة ، إلا أن التوبة إلى ا قبـل القـدرة علـى المجرم فيها خلاف .

فقال فريق بأن التوبة إلى ا قبل القدرة على المجرم تسقط عنه الحد . واستدل هؤلاء بقوله تبارك وتعالى في المحـاربين : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [5] ، فحملوا الآية على أن الاستثناء عام في كل حد إذا تاب صاحبه قبل القدرة عليه ، وقد ذهب إلى ذلك الشافعي ، بعد أن فصل في هذه المـسألة فقال : (فقوله عز وجل ﴿ إِنَّمَا جَزَآءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [6] إلـى قولـه ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ فأخبر ا تبارك اسمه بما عليهم من الحد إلا أن يتوبوا من قبل أن يقدر عليهم

---

(1) سورة المائدة ، آية : ٣٣ .

(2) سورة المائدة ، جزء من الآية : ٣٣ .

(3) جامع البيان ، للطبري : ٢١٩/٦ .

(4) سورة النساء ، آية : ٩٣ .

(5) سورة المائدة ، آية : ٣٤ .

(6) سورة المائدة ، جزء من الآية : ٣٣ .

، ثم ذكر حد الزنا والسرقة ولم يذكره فيما استثنى ، فاحتمل ذلك أن لا يكون الاستثناء إلا حيث جعل في المحارب خاصة ، واحتمل أن يكون كل حد عـز وجـل فتـاب صاحبه قبل القدرة عليه سقط عنه ، كما احتمل حين قال النبي ﷺ في حد الزنـا فـي ماعز ألا تركتموه أن يكون كذلك ، وعن أهل العلـم الـسارق إذا اعتـرف بالـسرقة والشارب إذا اعترف بالشرب ثم رجع عنه قبل أن يقام عليه الحد سقط عنه ، ومن قال هذا قال هذا في كل حد عز وجل فتاب صاحبه قبل أن يقدر عليه سقط عنه حـد ا تبارك وتعالى في الدنيا ، وأما حد الأدميين كالقذف وغيره فتقام أبداً ولا تـسقط) [١] ، وذكر البغوي هذا القول وهو أن كل عقوبة تجب حقاً من عقوبات قطـع الطريـق والسرقة وحد الزنا والشرب تسقط بالتوبة بكل حال ، ولم يرجحه [٢] ، وقال العلامـة عبد الرحمن بن السعدي في ترجيح هذا القول : (وإذا كانت التوبة قبل القـدرة عليـه تمنع من إقامة الحد في الحرابة ، فغيرها من الحدود – إذا تاب من فعلها ، قبل القدرة عليه – من باب أولى) [٣] وهذا الرأي هو الراجح عند الإمام أحمد ، وذهب الأكثرون إلى أن التوبة في الزنا وغيره من الحدود لا تسقط الحد بل إن الحد تطهير للزاني وغيره ، وأن التوبة لا أثر لها على الحدود ، وهذا قول الإمام مالك ، والمرجوح عند الإمام أحمد [٤] .

أما العقوبة الأخروية فإن التوبة تسقطها بدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [5] .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١] ، ويدل على ذلك أيضاً قصة ماعز بن مالك رضي ا

---

(1) الأم ، للشافعي : ٥١ .
(2) انظر تفسير البغوي : ٣٤/٢ .
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١٩٢ ، وانظر تفسير ابن كثير : ٨٢/٢ .
(4) انظر تفسير البغوي : ٣٤/٢ ، وانظر بدائع الصنائع : ٩٦/٧ .
(5) سورة الزمر ، آية : ٥٣ .

تعالى عنه فقد جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول ا طهرني ، فقال : (ويحـك ! ارجـع فاستغفر ا وتب إليه) ، قال : فرجع غير بعيد ثم جاء فقال : يا رسول ا طهرني . فقال رسول ا ﷺ : (ويحك ارجع فاستغفر ا وتب إليه) . قال فرجع غير بعيد ثـم جاء فقال : يا رسول ا طهرني ، فقال النبي ﷺ مثل ذلك ، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول ا ﷺ : (فيم أطهرك) ؟ ، فقال : من الزنا . فسأل رسـول ا ﷺ : (أبـه جنون ؟) فأخبر أنه ليس بمجنون . فقال : (أشرب خمراً) فقام رجل فاستنكهه فلم يجـد منه ريح خمر . قال : فقال رسول ا ﷺ : (أزنيت ؟) فقال : نعم . فأمر به فـرجم فكان الناس فيه فرقتين : قائل يقول : لقد هلك . لقد أحاطت به خطيئته ، وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال : اقتلنـي بالحجارة . قال : فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول ا ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس ، فقال : (استغفروا لماعز بن مالك) . قال : فقالوا : غفر ا لماعز بن مالك . قال : فقال رسول ا ﷺ : (لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم) [٢] .

قال : ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد قالت : يا رسول ا ! طهرني . فقال: (ويحك ارجعي فاستغفري ا وتوبي إليه) . فقالت : أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك . قال : (وما ذاك ؟) قالت : إنها حبلى من الزنا . فقال : (آنـت ؟) قالت : نعم . فقال لها : (حتى تضعي ما في بطنك) . قال : فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت . قال : فأتى النبي ﷺ فقال : قد وضعت الغامدية . فقال : (إذا لانرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه) فقال رجل من الأنصار : إلي رضـاعه يـا نبي ا ! قال : فرجمها [٣] .

وفي رواية : (... فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة . قالت هذا قـد ولدتـه . قال: (اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه) . فلما فطمته أتته بالصبي فدفع الـصبي إلـى رجل من المسلمين . ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها . وأمر الناس فرجموها . فأقبل

---

(1) سورة النحل ، آية : ١١٩ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى : ١٣٢٢/٣ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى : ١٣٢٢/٣ .

خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضخ الدم على وجه خالد ، فسبها ، فسمع نبي ا ﷺ سبه إياها ، فقال : " مهلاً يا خالد ، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له " ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت [1] .

قال النووي رحمه ا تعالى : (هذا دليل على أن الحد يكفر ذنب المعصية التي حد لها ، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث عبادة بن الصامت رضي ا عنه – وهو قوله : (من فعل من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارته) [2] . ولا نعلم في هذا خلافاً ، وفي هذا الحديث دليل على سقوط إثم المعاصي الكبائر بالتوبة ، وهي بإجماع المسلمين) [3] .

ويدل على ذلك قوله ﷺ المتقدم : (من أصاب حداً فعجل عقوبته في الدنيا ، فا أعدل من أن يثني على عبده العقوبة في الآخرة ، ومن أصاب حداً فستره ا عليه وعفا عنه ، فا أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه) [4] .

فالحدود كفارات كما أخبر النبي ﷺ ، وا عز وجل أعدل وأرحم من أن يثني على العبد العقوبة على نفس الذنب في الآخرة ، وذلك بشرط التوبة من هذه الذنوب ، أما من أقيم عليه الحد ومات ولم يتب من ذنبه فإنه صاحب كبيرة ، وهو متوعد من ا تعالى بعذاب أليم ، فإن شاء غفر له وإن شاء عذبه على ذنبه .

وبعد .. فالحدود عقاب عاجل في الدنيا ، شرعها ا تبارك وتعالى وقدرها على أعظم الذنوب للحفاظ على المجتمع المسلم ، وحماية مصالحه ، فهي من أعظم العقوبات العاجلة في الدنيا ، لعظم جرائمها ، ولأخطارها الفادحة ، وهناك عقوبات أخرى منها البدنية ، ومنها المالية ، وغيرها مما شرعه ا تعالى وعجله في الدنيا ، وفوض تقديرها وصفاً وكماً وجنساً إلى اجتهاد القاضي أو ولي الأمر .

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى : ١٣٢٣/٣ . من حديث عبد ا بن بريدة عن أبيه رضي ا عنه .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ : ١٤١٢/٣ .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٩٩/١١ . وفي هذا رد على المعتزلة الذين جعلوا مرتكب الكبيرة مخلداً في النار .

(4) سبق تخريجه ص(٧٦) من هذا البحث .

وإنما تناولنا الحدود في هذا المبحث ، ليكون مقياساً لما دونـه مـن العقوبـات العاجلة ، وليتبين ما في تشريعها الإلهي ، وتقديرها الربـاني مـن الحكـم العظيمـة والعواقب الحميدة ما يستدل به على حكمة الرب تبارك وتعالى ، وعدله في أفعالـه ، وتدبير شئون خلقه .

وفي ذلك رد على الذين تطاولوا على شرع ا وحكمته ، ورموا هذه الحـدود بكل نقيصه ووصموها بالظلم والجور ، وراحوا يدافعون عن حقوق الإنـسان المزعومـة ، وشرعوا بعقولهم ومداركهم القاصرة عقوبات زعموا أنها عادلة صالحة لكل المجتمعـات ، وغضوا الطرف عن كل ما تموج به مجتمعاتهم من الفساد والانحلال الخلقي وفقـدان الأمن والآمان الداخلي نتيجة غياب قانون عادل صالح حكيم يرضخ له الجميع .

ولو نظروا بعين الحكمة والإنصاف لعلموا أن شريعة ا لا تماثلها شريعة فهي من تقدير رب العالمين ، وفي تطبيقها تحقيق العدل وحماية المجتمع ، والواقع شـاهد على ذلك فإن المجتمعات المسلمة التي تطبق شرع ا في العقوبات – وهم قلة – مـا زالوا ينعمون بأمن وراحة لا توجد عند غيرهم من المجتمعـات وذلـك دليـل شـاهد ومحسوس على حكمة الرب وقيوميته .

الباب الثالث :

العدل الإلهي في الحياة الآخرة .

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : العدل الإلهي في البرزخ .

الفصل الثاني : العدل الإلهي في البعث والحشر .

الفصل الثالث : العدل الإلهي في الحساب .

الفصل الرابع : العدل الإلهي في عقاب العاصين في النار .

الفصل الخامس : العدل الإلهي في إثابة المؤمنين في الجنة .

توطئة

الحياة الآخرة أو اليوم الآخر غيب لا يوصل إلى حقائقها إلا بنقـل معـصوم ، ونصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة بينت كثيراً من تفاصيل الحياة الآخرة ، وجاء ذلك في صور متعددة .

والمتأمل في كتاب ا يلحظ اهتماماً بالغاً بالحياة الآخرة ، وتقريـراً لمختلـف جوانبها بطرق شتى ، تارة بالإخبار عن تحقق وقوعهـا ، وتـارة بعـرض شـبهات المنكرين لها ودحضها ، ومرة بذكر البرزخ وما فيه من النعيم أو العذاب ، وتارة بذكر

أهوال القيامة وأحوال الكون يومئذ ، ومرة بذكر الجنة ونعيمها ، ومرة بـذكر النـار وعذابها ، وكذلك السنة .

وعناية الكتاب والسنة بأمر اليوم الآخر يرتكز على العلاقة الواضحة بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى ، باعتبار الأولى مزرعة للأخرى ، وأن من أساء في الدنيا لقي جزاءه المناسب لفعله في الآخرة ، ومن أحسن أثيب بقدر إحـسانه ، ممـا يعنـي أن الآخرة امتداد للحياة الدنيا في صورة ينكشف معها الغطاء وتتجلى فيها الحقائق ، فيسعد المؤمنون ، ويشقى الكافرون ، ووفق تلك العلاقة فقد ذكرت الحياة الآخـرة مقرونـة بالحياة الدنيا في كثير من النصوص القرآنية ، فقد قال ا تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [2] .

وقال تعـالى : ﴿ وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [4].

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٤٥ .

(2) سورة البقرة ، آية : ٨٦ .

(3) سورة البقرة ، آية : ٢٠١ .

(4) سورة آل عمران ، آية : ٢٢ .

وقـال تعـالى : ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [1].

وقوله تعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [3] .

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالآخرة هو ما بعد المـوت وإن اختلفـت عباراتهم وتنوعت في التعبير عن هذا المعنى .

يقول ابن جرير الطبري رحمه ا تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [4] : (وأما الذي وصف ا جل ثناؤه به المؤمنين بما أنزل إلى نبيه محمـد ﷺ وما أنزل إلى من قبله من المرسلين من إيقانهم به من أمر الآخرة ، فهو إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين من البعث والنـشور ، والثـواب والعقـاب ، والحـساب والميزان ، وغير ذلك مما أعده لخلقه يوم القيامة) [5] .

ونقل عن ابن عباس قوله : (أي البعث ، والقيامة ، والجنة ، والنار ، والحساب والميزان) [6] .

ويقول ابن الجوزي : (فأما الآخرة فهي اسم لما بعد الدنيا وسميت آخـرة لأن الدنيا قد تقدمتها ، وقيل سميت آخرة لأنها نهاية الأمر) [1] .

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٤٨ .

(2) سورة يونس ، آية : ٦٤ .

(3) سورة الرعد ، آية : ٣٤ .

(4) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٤ .

(5) جامع البيان ، للطبري : ٨٢/١ .

(6) المصدر نفسه : ٨٢/١ .

وفصل ذلك الشيخ عبد الرحمن السعدي ، وزاد على ذلك البرزخ ونعيمه وعذابه فقال : (كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه داخل فـي الإيمـان باليوم الآخر كأحوال القبر والبرزخ ونعيمه وعذابه . وأحوال يوم القيامة وما فيها مـن الحساب والثواب والعقاب ، والصحف ، والميزان والشفاعة وأحـوال الجنـة والنـار وصفاتها ، وصفات أهلها ، وما أعد ا فيهما لأهلها إجمالاً وتفصيلاً ، كل ذلـك مـن الإيمان باليوم الآخر) (٢) .

فالإيمان باليوم الآخر معناه بصورة إجمالية : الإيمان بكل ما أخبر به ا عـز وجل في كتابه وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنـة والنار وما أعد ا تعالى لأهلها جميعاً (٣) .

وعلى ذلك فإن مدلول الحياة الآخرة يشمل كل ما يجري بعـد المـوت حتـى الاستقرار في الجنة والتلذذ بنعيمها لمن كتب ا له دخولها من أهل السعادة ، أو دخول النار والاصطلاء بسعيرها عياذاً با لمن كتب ا عليه دخولها من أهل الشقاء (٤) .

واليـوم الآخـر ركـن مـن أركـان الإيمـان الستـة ، وقـد اتفـق علـى الإيمـان بـه جميـع المسلميـن مـن أهـل السنـة وغيرهـم مـن الطوائـف ، يقـول شيخ الإسلام : (والمسلمون سنّيهم وبدعيهم متفقون على وجوب الإيمان با .. واليوم الآخر) (٥) .

ويستند إجماع المسلمين على الإيمان باليوم الآخر إلى ما ورد مـن نـصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة مما يؤكد حصول ما أخبر ا تعالى بـه مـن القيامـة وأحوالها ، حيث قال تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي : ٢٦/١ .

(٢) سؤال وجواب في أهم المهمات : ٢١ .

(٣) كتاب الإيمان ، محمد نعيم ياسين : ٧٦ .

(٤) انظر أحوال الآخرة من نصوص الكتاب والسنة ، أ . د . سيد محمد ساداتي الشنقيطي : ٢٥ .

(٥) مجموعة الفتاوى : ٣٥٧/٧ .

لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثاً ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝ ﴾ (٣) ، وغيرها كثير من الآيات التي سنورد كثيراً منها في الفصل القادم – إن شاء الله تعالى - (٤) .

وأخبر عن ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأله جبريل عن الإيمان فقال : (أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره) (٥) ، وقد أخبر بذلك أيضاً جميع الأنبياء السابقين ، ويخبرنا القرآن عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه : ﴿ وَٱللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِّنَ ٱلأَرْضِ نَبَاتاً ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ۝ ﴾ (٦) .

وعن إبراهيم عليه السلام أنه قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٧). وقال سبحانه لموسى عليه السلام : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۝ ﴾ (٨) .

---

(١) سورة التغابن ، آية : ٧ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٨٧ .

(٣) سورة الذاريات ، آية : ٥-٦ .

(٤) انظر ص(٨٤١) من هذا البحث .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٣٧/١ . وصحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب إن الله عنده علم الساعة : ١٧٩٣/٤ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه (وبالبعث الآخر) .

(٦) سورة نوح ، آية : ١٧-١٨.

(٧) سورة البقرة ، آية : ٨٢ .

(٨) سورة طه ، آية : ١٥-١٦ .

فالذين ينكرون اليوم الآخر مكذبون بكتاب الله تعالى ، ومكذبون برسل الله جميعاً ، ومن كذب بالقرآن أو برسل الله تعالى فهو كافر ، ولذلك فقد اتفق أهل العلم على تكفير من أنكر اليوم الآخر ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في معرض حديثه عن الرجل الذي أمر بنيه أن يحرقوه إذا مات حتى لا يبعثه الله : (.. فهذا رجل شك في قدرة الله ، وفي إعادته إذا ذُري ، بل اعتقد أنه لا يعاد ، وهذا كفر باتفاق المسلمين) [1] ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [2] .

وإذا كان الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة التي يقوم عليها الإيمان ، فإن تحقيق الإيمان باليوم الآخر كاملاً إنما يكون بأن يؤمن العبد بكل ما أخبر به الله تعالى ، وأخبر به نبيه محمد ﷺ من أمور الغيب التي تكون بعد الموت.

والضابط في ذلك أن هذه الأمور الغيبية التي أخبر بها الصادق صلوات الله وسلامه عليه من أحوال اليوم الآخر هي أمور ممكنة عقلاً فيجب الإيمان بها لوجود الأدلة النقلية والعقلية على ذلك [3] .

والإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان ، ذلك أن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب وثواب وفوز وخسران ، له أثره البالغ في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح [4] .

فمما هو واضح وجلي أن هناك فرقاً بين من يؤمن باليوم الآخر وبين من لا يؤمن به . فالأول يعتقد بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين ، فيثاب على الخير ، ويعاقب على الشر ، فتجده منضبطاً في حدود الحق والخير والصلاح ، والآخر لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله ، فنراه قد

---

(1) مجموعة الفتاوى : ٢٣١/٣ .

(2) سورة النساء ، آية : ١٣٦ .

(3) سيأتي بيان الأدلة العقلية في فصل قادم – إن شاء الله – انظر : ص(٨٤٣) من هذا البحث .

(4) انظر شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل هراس : ٢٣٥ .

تفلت من أي ضابط سوى هواه وشهواته ، ولا يعتني بغير مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية ، ويشير القرآن الكريم إلى هذا الرابط بين الإيمان باليوم الآخر والعمـل الـصالح ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [2] .

وقـال تعـالى : ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝ ﴾ [3] ، وقال تعـالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [5] .

وأساس ذلك الارتباط بين الإيمان باليوم الآخر والعمـل الـصالح أن الإنـسان مفطور على طلب المصلحة لنفسه ودفع المفسدة عنها فكان الإيمان باليوم الآخر مقوياً لهذا الوازع الذي يرغب في عمل الخير ، ويصد عن فعل الشر [6] .

---

(1) سورة الماعون ، آية : ١-٣ .
(2) سورة التوبة ، آية : ١٨ .
(3) سورة التوبة ، آية : ٤٤-٤٥ .
(4) سورة المجادلة ، آية : ٢٢ .
(5) سورة الأنعام ، آية : ٩٢ .
(6) انظر كتاب الإيمان ، د . محمد نعيم ياسين : ٧٧ – ٧٨ .

الفصل الأول :

العدل الإلهي في البرزخ .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حقيقة الموت .

المبحث الثاني : عذاب القبر ونعيمه .

المبحث الثالث : تحقق العدل الإلهي في البرزخ .

المبحث الأول :

حقيقة الموت .

تعريف الموت :

الموت لغة :-

أصل الموت في اللغة ، السكون ، وكل ما سكن فقـد مات ، فنراهـم يقولون : " ماتت النار موتاً ، إذا برد رمادها ، فلم يبق من الجمر شيء ، وماتت الريح : ركدت وسكنت ، وماتت الخمر : سكن غليانها ، والموت ما لا روح فيه " (١) .

والموت والحياة متناقضان ، يقول ابن منظور : (الحياة نقيض الموت ، والحي من كل شيء : نقيض الموت ، والجمع أحياء) (٢) .

الموت اصطلاحاً :

يعرف السلف الموت بأنه : مفارقة النفوس لأجسادها ، وخروجها منها (٣) .

وقد اختلف الناس في حقيقة الموت هل هو للروح والبدن معاً ؟ أم هو للبدن وحده ؟

وأصل اختلاف الطوائف في حقيقة الموت يعود إلى تعريف الطوائـف للـروح والنفس وحقيقتها ، وهل هي جسم أم عرض أم جوهر ؟ وعلاقتها بالبدن .

والذي عليه السلف : أن النفس ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتـصل وتنفـصل ، وتخرج وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن ، ويدل على ذلك نصوص الكتاب والسنة التي تصف النفس بذلك ، فقد وصفها ا تبارك وتعالى بالخروج فقـال : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤) .

---

(1) انظر لسان العرب لابن منظور : ٥٤٧/٣ .

(2) المصدر نفسه : ٧٧٤/١ .

(3) انظر الروح لابن القيم : ٤٦ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ٣٩٣ .

(4) سورة الأنعام ، آية : ٩٣ .

ووصفها تعالى بالرجوع والدخول فقال عز مـن قائـل : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ [1] ، وقـال عليـه الصلاة والسلام : " إن الروح إذا قبض تبعه البصر " [2] ، وفي ذلك وصـف للـروح بالقبض وأن البصر يراه ، وقال عليه الصلاة والسلام : " أن ا قبض أرواحكم حـين شاء وردها عليكم حين شاء " [3] .

فالنفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهي جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ، ينفذ في جوهر الأعضاء ، ويسري فيها سريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون [4] ، يقول ابن تيمية رحمه ا تعـالى : (والـصواب أن الروح عين قائمة بنفسها ، تفارق البدن ، وتنعم وتعذب ، ليست هي البدن ، ولا جزءاً من أجزائه .. وقد نص الإمام أحمد على ذلك) [5] .

فالنفس تأخذ من بدنها صورة لتميزها بها عن غيرها ، ويتأثر البدن وينتقل عن النفس ، كما تتأثر النفس وتنتقل عن البدن ، فيكتسب البدن الطيب والخبيث من طيـب النفس وخبثها ، وتكتسب النفس الطيب والخبيث من طيب البدن وخبثه ، فالنفس والبدن مرتبطان ببعضهما أشد ارتباط ، وهذا الارتباط في غاية التناسب والتفاعـل ، ولكـل واحد منهما أثره على الآخر .

والإنسان اسم لروحه وجسده معاً ، وقد يطلق على أحدهما بقرينه [6] .

والنفس والروح هل هما متغايران أم أنهما شيء واحد ؟ الـصواب أن الـنفس تطلق على أمور ، وكذلك الروح ، فيتحد مدلولهما تارة ، ويختلف تارة ، فالنفس تطلق

---

(1) سورة الفجر ، آية : ٢٧-٢٨-٢٩-٣٠ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر : ٦٣٤/٢ مـن حـديث أم سـلمة رضي ا عنها .

(3) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب الآذان بعد ذهاب الوقت : ٢١٤/١ من حديث عبد ا بـن أبـي قتادة عن أبيه .

(4) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٣٩٣ .

(5) مجموعة الفتاوى : ١٩٠/١٧ .

(6) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٣٩١ – ٣٩٢ .

على الروح ، ولكن غالباً ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبـدن ، وأمـا إذا أخـذت مجردة ، فتسمية الروح أغلب عليها [١] .

والخلاف بين الطوائف هل الموت يكون للبدن والروح معاً ؟ أم أنه للبدن وحده؟

فطائفة ذهبت إلى أن الروح تذوق الموت لأنها نفس وكل نفس ذائقـة المـوت واستدلوا على ذلك بقولـه تعـالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧ ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٣] ، وقالوا : إذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت ، واستدلوا كذلك بقوله تعالى عن أهل النار أنهم قـالوا : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [٤] فالموتة الأولى هذه المشهودة وهي للبدن والأخرى للروح .

وذهب آخرون إلى أن الروح لا تموت ، وقالوا : إنها خلقـت للبقـاء ، وإنمـا تموت الأبدان ، واستدلوا على ذلك بالأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعـذابها بعـد المفارقة إلى أن يرجعها ا إلى أجسادها ، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب .

وقد ذكر هذا الخلاف ابن القيم وابن أبي العز الحنفي ولم ينسباه إلى أحد .

والصواب أن يقال : إن موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منهـا ، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت . وإن أريد أنها تعدم وتـضمحل وتـصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار ، بل هي باقية بعد خروجها في نعيم أو فـي عذاب [٥] ، ويوضح ذلك أن الروح لها بالبدن خمس تعلقات :

الأول : تعلقها به وهو جنين .

---

(1) انظر المصدر نفسه : ٢٩٤ .

(2) سورة الرحمن ، آية : ٢٦-٢٧ .

(3) سورة القصص ، آية : ٨٨ .

(4) سورة غافر ، آية : ١١ .

(5) انظر الروح لابن القيم : ٤٦ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ٣٩٥ .

الثاني : تعلقها بالبدن في الحياة الدنيا .

الثالث : تعلقها بالبدن عند النوم .

الرابع : تعلقها بالبدن في البرزخ .

الخامس : تعلقها بالبدن في الآخرة سواء في الجنة أم النار [١] .

تعريف الروح عند المعتزلة :

لقد تأثر تعريف الروح عند المعتزلة بنظرية الجواهر والأعراض ، فـاعتبروا الإنسان مكوناً من جواهر فردة ، وأنكروا أن تكون الروح عيناً قائمة بنفـسها تكـون جزءاً مهماً في الإنسان ، إلا أن من طوائف المعتزلة من أثبت الروح عينـاً قائمـة ، وجعلها هي الإنسان في الحقيقة ، وعلى ذلك فإن المعتزلة قد افترقوا في تعريف الروح إلى فرقتين .

الفرقة الأولى : أنكرت أن تكون الروح عيناً قائمة بذاتها ، أو أن تكون جـزءاً أساسياً في الإنسان ، وقالت هذه الطائفة بأن الإنسان هو هذه البنية المحسوسة القائمـة على شكل خاص ، ولا شيء وراء ذلك ، وممن قال بذلك الأصم [٢] وهو مـن فقهـاء المعتزلة وقد نقل عنه الأشعري قوله : (لست أعقل إلا الجسد الطويل العريض العميق الذي أراه وأشاهده) [٣] ، وقال أيضاً : (الإنسان هو الذي يرى ، وهو شيء واحد لا روح له ، وهو جوهر واحد) [٤] .

وقد ذهب قريباً مما ذهب إليه الأصم أبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم والقاضي عبد الجبار ، يقول القاضي عبد الجبار : (والذي يقوله شيوخنا في هذا البـاب – أي ماهية الإنسان وحقيقته – أن الحي القادر هـو هـذا الـشخص المبنـي هـذه البنيـة المخصوصة التي يفارق بها سائر الحيوان ، وهو الذي يتوجه إليه الأمر والنهي والذم

---

(1) انظر المصدر نفسه : ٥٨ .

(2) حاتم بن عنوان ، أبو عبد الرحمن ، المعروف بالأصم ، زاهد ، اشتهر بالورع والتقشف ، من أهل بلخ ، توفي سنة ٢٣٧هـ . انظر تاريخ بغداد : ٢٤١/٨ ، الأعلام : ١٥٢/٢ .

(3) مقالات الإسلاميين ، للأشعري : ٣٣٥ .

(4) المصدر نفسه : ٣٣١ .

والمدح) [1] ، ويعني ذلك أن التكليف إنما يتوجه إلى الإنسان فقط ، ولم يخاطب ا جوهراً آخر غير هذا الإنسان ببنيته المخصوصة .

أما الروح عندهم فهي النفس الذي يتردد ، ولذلك وصفها ا تعالى بالنفخ والنفث ، بل إن الروح لا تحل فيها الحياة ، يقول القاضي عبد الجبار : (إن الروح من قبيل النفس والريح ، وإن ما اختص بهذه الصفة لا تحله الحياة ، وإن كان الحي بحياة يحتاج إلى كونه في البدن) [2] .

وذكر أبو الحسن الأشعري أن أبا الهذيل العلاف قد فصل في معنى الروح والجسد فجعل النفس معنى غير الروح ، والروح غير الحياة ، والحياة عنده عرض)[3].

وذهب الزمخشري إلى أن الإنسان هو هذا الهيكل بالجملة المشاهدة فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4] يقول : (الأنفس : الجمل كما هي وتوفيها : إماتتها ، وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة داركة من صحة أجزائها وسلامتها) [5] .

الفرقة الثانية : أثبتت الروح ، بل اعتبرها بعضهم أنها هي الإنسان في الحقيقة ، ومنهم النظام فقد عرف الروح بأنها : (جسم لطيف مداخل هذا الجسم الكثيف الذي يرى ويحس ، وأنه هو الفعال دون الجسم الكثيف) [6] ، فالروح عند النظام هي جسم مشابك للبدن مداخل للقلب بأجزائه ، مداخلة المائية في الورد ، والدهنية في السمسم ،

---

(1) المغني في أبواب التوحيد والعدل : ٣١١/١٢ .

(2) المصدر نفسه : ٣٣٤/١١ .

(3) مقالات الإسلاميين : ٣٣٧ .

(4) سورة الزمر ، آية : ٤٢ .

(5) الكشاف : ١٣١/٤ .

(6) ذكر المعتزلة من مقالات الإسلاميين للبلخي ، مطبوع ضمن فضائل الاعتزال وطبقات المعتزلة : ٧٠ . وانظر مقالات الإسلاميين ، للأشعري : ٣٣١ ، والمغني ، للقاضي عبد الجبار : ٣١٠/١١ .

والسمنية في اللبن ، والروح هي الفعالة في الإنسان لها القوة والاستطاعة [١] . وذهب إلى ذلك جماعة منهم معمر بن عماد السلمي [٢] ، وبشر بن المعتمر [٣] .

ومن المعتزلة من وقف موقف المتردد ، مع أنه أثبت الروح والنفس وفرق بينهما ، ومنهم جعفر بن حرب حيث يقول : (لا ندري الروح جوهر أو عرض ؟) . واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [٤] ، ولم يخبر عنها ما هي ؟ لا أنها جوهر ولا أنها عرض [٥] ، أما النفس عنده فهي عرض يوجد في هذا الجسم وهي غير موصوفة بشيء من صفات الجواهر والأجسام [٦] .

وبناء على قول من قال من المعتزلة بأن الإنسان هو هذه البنية المخصوصة المشاهدة ، ولا شيء غير ذلك ، فإن الموت عند المعتزلة لا يكون بمفارقة الروح للبدن ، فليس هناك روح مفارقة للبدن ، وما يحدث عند الموت هو فناء للبدن والروح معاً ، وبناء على ذلك كان موقفهم من عذاب القبر [٧] ، - الذي سوف يأتي بيانه إن شاء ا تعالى - .

تعريف الأشاعرة للروح :

تأثر الأشاعرة أيضاً بنظرية الجواهر الفردة ، مما أثر على نظرتهم للإنسان .

فقد ذكر ابن تيمية رحمه ا تعالى أن طوائف من أهل الكلام يجعلون الروح جزءاً من البدن ، أو صفة من صفاته ، كقول بعضهم إنها النفس أو الريح التي تتردد في البدن ، ولم يذكر القائل [٨] .

---

(1) انظر الملل والنحل للشهرستاني : ٦٩/١ .

(2) انظر الفرق بين الفرق ، للبغدادي : ١٥٤-١٥٥ ، ومقالات الإسلاميين ، للأشعري : ٣٢١ ، والمغني ، للقاضي عبد الجبار : ٣١٠/١١ .

(3) انظر مقالات الإسلاميين ، للأشعري : ٣٢٩ ، والمغني ، للقاضي عبد الجبار : ٣١٠/١١ .

(4) سورة الإسراء ، آية : ٨٥ .

(5) انظر مقالات الإسلاميين ، للأشعري : ٣٣٤ .

(6) انظر المصدر نفسه : ٣٣٧ .

(7) انظر الإبانة في أصول الديانة ، للأشعري : ٢٤٧ ، وأصول الدين ، للبغدادي : ٢٤٥ .

(8) انظر التدمرية ، لابن تيمية : ٥٠-٥١ .

وحكى النووي عن أبي الحسن الأشعري قولاً قريباً من ذلك حيث قال : (قـال أبو الحسن الأشعري : هو النفس الداخل والخارج) [١] ، ولم أقف على قـول لأبـي الحسن في تعريف الروح إلا ما ذكره النووي ونسبه إليه .

وذهب الباقلاني إلى أن الروح عرض ، وأنها الحياة فقط ، وهو غير الـنفس ، وذكر ذلك القول عنه ابن القيم [٢] وابن حزم [٣] ، وذكر النووي عن الباقلاني في معنى الروح ، أنه تردد بين رأي الأشاعرة ، بأنها النفس الداخل والخارج ، وبين أنها الحياة [٤] .

ونقل ابن تيمية عن أبي بكر الباقلاني قوله : (أكثر المتكلمين على أن الـروح عرض من الأعراض ، وبهذا نقول إذا لم يعن بالروح النفس .

قال : الروح الكائن في الجسد ضربان :

أحدهما : الحياة القائمة به .

والآخر : النفس وهو ريح ينبث به .

والمراد بالنفس ما يخرج بنفس التنفس من أجزاء الهواء المتحلل من المسام) [٥] وقال ابن تيمية : (وهذا قول الإسفرائيني وغيره) [٦] ، وما نقله شيخ الإسلام يبين أن الباقلاني يرى أن الروح نوعان ، فهي بمعنى الحياة القائمة بالجسد ، أو التنفس الـذي هـو الريح الداخل والخارج من الإنسان ، مع ذهابه إلى أنها عرض ، وليست جسماً ولا جوهراً .

---

(1) شرح صحيح مسلم ، للنووي : ١٥٣/٩ .

(2) الروح ، لابن القيم : ٤٧٢ .

(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم : ٢٥٤/٣ .

(4) انظر شرح صحيح مسلم ، للنووي : ١٣٥/٩ .

(5) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٨٥/١٧ ، ١٨٦ .

(6) نفس المصدر والصفحة .

ولكن الآمدي ذكر عن القاضي أبي بكر أنه كان يميل في تعريف النفس إلى أنها جسم ، وهذا نص ما قاله : (أشار القاضي إلى ما هو قريب من هذا القول ، وهو أنه قال : النفس عبارة عن أجسام لطيفة مشتبكة بالأجسام الكثيفة أجرى ا العادة في بقائها ..) (١) .

وما نقله الآمدي عن الباقلاني في النفس هو قول الجويني في الـروح ، حيـث يرى الجويني أن الأرواح (أجسام مشابكة للأجسام المحسوسة أجرى ا – تعـالى – العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها ، فإذا فارقتها يعقـب المـوت الحياة في استمرار العادة ، والحياة عرض تحيا به الجواهر ، والروح يحيـا بالحيـاة أيضاً ، إن قامت به الحياة، فهذا قولنا في الروح) (٢) .

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول للجويني ، وحـسنه ، فهـو مخـالف لأقوال المتكلمين لأنه لا يرى أن الروح عرض : (فهي جسم لطيف قائم بذاته) .

وقد عرض التفتازاني بعض الآراء والتعريفات التي قيلت في تعريف الـنفس ، فذكر أن كثيراً من المتكلمين ذهب إلى أن النفس هذا الهيكل المحسوس ، وجمهـورهم على أنها جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، ورد على قول من قال بأنهـا جسم (٣) .

ويظهر لي أن التفتازاني يميل إلى أن الروح جوهر مجرد متعلق بالبدن حيـث قال : (اختيار المحققين من الفلاسفة وأهل الإسلام أنها جوهر في ذاته متعلق بالبـدن تعلق التدبير والتصرف) (٤) ، ولذلك فقد ذهب إلى أن المعاد روحاني وجسماني .

وعلى ذلك فالأشاعرة قد تباينت وجهات نظرهم ، فمنهم من يـرى أن الـروح عرض من أعراض البدن ، فلا روح تبقى بعد فراق البدن ، وعلى ذلك فالموت عنـد هؤلاء هو موت للبدن وجميع أعراضه ومنها الروح ، وليس هو مفارقة الروح للجسد.

---

(1) أبكار الأفكار ، نقلاً عن فخر الدين الرازي وآراءه الكلامية والفلسفية ، للزركان : ٤٦٧ .

(2) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، للجويني : ٣٧٧ .

(3) انظر شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٣٠٢/٣ وما بعدها .

(4) المصدر نفسه : ٣٠٥/٣ .

أما من يرى أن الروح جسم ، وأن هناك تأثيراً من الروح على البدن ، فإن فناء البدن عندهم لا يقتضي فناء الروح ، وفي ذلك يقول التفتـازاني : (اتفـق القـائلون بمغايرة النفس للبدن) على أنه لا تفنى بفنائه لظهور أن علاقة التدبير لا تقتضي ذلـك إلا أن دليل بقائها عندنا السمع ، .. يعني أن فناء البدن لا يوجب فناء النفس المغايرة لـه ، مجردة كانـت أو مادية أي جسماً حالاً فيه ؛ لأن كونها مدبرة له ، متصرفة فيـه ، لا يقتضي فناءها بفنائه لكن مجرد ذلك لا يدل على كونها باقية البتة ، فلهذا احتـيج فـي ذلك إلى دليل ، وهو عندنا النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة) [1] .

والبحث في هذه المسألة ، وهي حقيقة الإنسان ، وحقيقة الروح والنفس وعلاقتها بالبدن ضروري في هذا البحث ، ذلك أن هذه المسألة ينبني عليها أقوال الطوائف فـي الفناء والإعادة وأحوال الآخرة ، وما يتعلق بذلك من القضايا .

ولذلك تطرقت إلى هذه المسألة بشيء من التفصيل المبسط حتى يمكن فهم مـا سيأتي من مسائل وقضايا وخلافات بين الطوائف أسست على هذه القضية .

---

(1) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٣٣١/٣ .

لقد ورد ذكر الموت في القرآن الكريم ، ووصف مشهد الاحتضار إدباراً عـن الدنيا وإقبالاً على الآخرة ، تهيئة للمؤمن للتعرف على حقيقة الدار الآخرة ، والتي هي من الأمور الغيبية ، فحقيقة الموت من الأمور الغيبية المتصلة بعـالم الآخـرة ، وإن كانت مظاهره مما يراه الناس ، فمشهد الاحتضار يتكرر في حياة النـاس ولكـنهم لا يدركون حقيقته إلا بنص شرعي ، فوقت الموت وكيفيته وحقيقته من الأمـور الغيبيـة التي تحدث في مستقبل الإنسان ، ولا يعلمها إلا ا سبحانه وتعالى .

والموت إعلان عن توقف العمل ، وطي الصحائف ، وبدء المجازاة والمحاسبة على الأعمال [1] ، فهو نهاية أعمال الإنسان في الدنيا إلا ما ورد الاستثناء فيه بـدليل شرعي من الكتاب أو السنة .

وعلى الرغم من أن الموت نهاية للأعمال إلا أنه ليس نهاية للمطاف ، إنما هـو حلقة لها ما بعدها من الحلقات ، والموت حلقة لابد منها ، لأنه بداية لحيـاة أخـرى لا يعلم حقيقتها إلا ا وإن علمنا بعضاً من تفاصيلها من النصوص الشرعية .

(1) هذا ليس لكل إنسان فقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو لـه) مـسلم ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته : ١٢٥٥/٣ .
وقال عليه الصلاة والسلام : (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقه ، وما سـرق منـه لـه صدقه ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقه) ، صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، باب فضل الزرع والغرس : ٨١٧/٢ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب فضل الغرس والزرع : ١١٨٨/٣ .
وهذا إنما يكون فضلاً من ا تعالى ومنّة يؤتيها من يشاء من عباده فهذه الأعمال يجري أجرها إلى قيام الساعة ، ولكـن سببها عمل عمله الإنسان في الدنيا ، فامتد أجر ذلك العمل إلى قيام الساعة . وقد لا يكون الإنسان متسبباً فـي شيء منها ، ولكنه فضل من ا ورحمة يضعه حيث علم المكان المناسب له . انظر الروح لابن القـيم : ١٥٦ وما بعدها .

ومما نعلمـه من تفاصيل الموت ، أن الموكل به ملك من الملائكة هـو ملـك الموت قال الله تبارك وتعـالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [1] .

فيرى ابن كثير رحمه الله أن الملائكة الأعوان لملك المـوت يقومـون بنـزع الأرواح ، ثم يتناولها منهم ملك الموت ، وربما يقصد أن النزع النهائي والأخير يتولاه ملك الموت [2] .

أما ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى فيرى أن ملك الموت هو الذي يتـولى قبض الروح واستخراجها ، ثم يتناولها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب [3] .

وقول ابن أبي العز أرجح عندي – والله أعلم – لأن الحديث الـصحيح الآتـي صريح في أن ملك الموت هو الذي يتولى قبض الروح والملائكة أعوان له ، وعلى كلٍ فإن أقوال العلماء تثبت أن ملك الموت هو الموكل بنزع الروح وأن له أعواناً .

أما ما جاء في نصوص القرآن الكريم من إضافة التوفي إلى الله تارة حيث قال الله عز وجـل : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4] ، وتـارة يضاف التوفـي إلى الرسل من الملائكة حيث قال تعـالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [5] ، وتارة يضاف التوفي إلى ملك الموت حيث قال تعـالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [6] .

---

(1) سورة السجدة ، آية : ١١ .

(2) انظر تفسير ابن كثير : ٧٢٩/٣ .

(3) انظر شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٣٩١ .

(4) سورة الزمر ، آية : ٤٢ .

(5) سورة الأنعام ، آية : ٦١ .

(6) سورة السجدة ، آية : ١١ .

فالحق أنه لا تناقض بين هذه النصوص فإن الذي يتولى قبض الأرواح هو ملك الموت وله أعوان وهم الملائكة ، وكل ذلك يجري بإذن ا وقضائه وقـدره وحكمـه وأمره ، وعلى ذلك فقد أضيف التوفي إلى كلٍ بحسبه (١) .

واستخراج الروح من الجسد له شدة وغلبة ، وهو ما يسمى بسكرة الموت ، وقد جاء إثبات هذه الشدة والغلبة وحصولها عند استخراج الروح من الجسد فـي الكتـاب والسنة ، فقد قال ا تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (٢) ، وسكرة الموت هي شدته وغلبته (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤) ، والمراد بغمرات الموت سكراته وكرباته (٥) .

وجاء في الحديث الصحيح عن البراء بن عازب رضي ا عنه قال : كنا فـي جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله ، كأن على رؤوسـنا الطيـر ، وهو يلحد له ، فقال : (أعوذ با من عذاب القبر ، ثلاث مرات) ثم قال : (إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه الملائكة ، كأن على وجوههم الشمس ، ومعهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، فجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : يـا أيتهـا الـنفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من ا ورضوان ، قال : (فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتـى يأخـذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت علـى

---

(1) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٣٩١ .

(2) سورة ق ، آية : ١٩ .

(3) انظر جامع البيان ، للطبري : ٢٦ / ١٦٠ .

(4) سورة الأنعام ، آية : ٩٣ .

(5) انظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير : ٤٣٤ .

وجه الأرض ، .... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البـصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجـي إلى سخط من ا وغضب ، قال : فتتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يجعلوهـا في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض) [١] .

وهذا الحديث يدل على أن كلاً من المؤمن والكافر يشهد شدة الاحتـضار وقـسوته ، ويدل كذلك على أن هناك فرقاً بين احتضار الاثنين كما سيأتي إن شاء ا تعالى .

([1]) رواه الإمام أحمد : ٢٨٧/٤ ، قال الهيثمي : (هو في الصحيح وغيره باختصار رواه أحمـد ورجالـه رجـال الصحيح) مجمع الزوائد : ٥٠/٣ ، وصححه الألباني في أحكام الجنائز : ١٥٦-١٥٩ .

نقد موقف المعتزلة والأشاعرة في حقيقة الروح :

الذي عليه أكثر المتكلمين أن الروح عرض قائم بالجسد ، ولذلك فإنها لا تبقى بعد المفارقة كعين قائمة بذاتها .

وأساس غلط المتكلمين هو اعتمادهم في هذه المسألة على القول بالجوهر الفرد ، وأن العالم يتكون من جواهر وأعراض ، فجعلوا هذا القول هو العمدة في هذه المسألة وفي أمور كثيرة في أصول الدين ولا شك أن هذا القول باطل ، وهو قول مبتدع ، لم يقل به رسول ا ﷺ ولا الصحابة ولا التابعون ، ولا أئمة المسلمين ، بل إن إيمان أولئك السلف الصالح – وهو إيمان أفضل الخلق لم يعتمد على ثبوت الجوهر الفرد ولا انتفائه ، ولم يبنوا على ذلك مسألة واحدة من مسائل الدين ، ولا ربطوا بذلك حكماً علمياً ولا عملياً .

ولذلك فإن المتكلمين بقولهم هذا قد زادوا في الدين ما لم يأت به سلف الأمة [١].

وهذه الطريقة المتبعة طريقة مذمومة في الدين ذمها السلف وأنكروها ، حتى الذين ادعوا توقف الإيمان با واليوم الآخر على ثبوتها قد شكوا فيها ونفوها في آخر عمرهم [٢] .

وقد أدى الاستدلال بهذه الطريقة إلى لزوم أمور باطلة ، حيث أوجب نفي صفات ا القائمة به ، ونفي أفعاله القائمة به ، وأثبت القول بفناء الجنة والنار [٣] .

---

(1) انظر بيان تلبيس الجهمية ، لابن تيمية : ٢٨٣/١ ، ومنهاج السنة النبوية : ٣١٥/١-٣١٦ ، ٢٦٧/٢ ، ٢٦٨ ، ودور تعارض العقل والنقل : ١٠٥/١ ، ٣٠٨ .

(2) انظر بيان تلبيس الجهمية : ٢٨٣/١ – ٢٨٤ ، ومنهاج السنة ، لابن تيمية : ١٤١/٢ .

(3) انظر منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣٠٤/١ ، ٣١١ ، ٢٢٩/٢ ، ٢٣٠ .

وبنى المتكلمون كثيراً من الأمور على أساس مسألة الجوهر الفرد ، بما في ذلك حقيقة الإنسان وهو أساس باطل لا أصل له في الدين ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة.

وعلى ذلك فمن قال إن النفس أو الروح عرض من أعراض الجسم وليست عيناً قائمة لم يقدموا لنا دليلاً ، وإذا ناقشنا قولهم انقلب دليلاً عليهم ، فـالعرض عنـدهم لا يبقى زمانين ، وعلى ذلك يبدل الإنسان في كل لحظة ألف نفس وروح ، وقد رد عليهم ابن حزم بهذا الرد فقال : (لو كان ما قاله أبو الهذيل والباقلاني ومن قلـدهما حقـاً ، لكان الإنسان يبدل في كل ساعة ألف روح ، وأزيد من ثلاثمائـة ألـف نفـس ، لأن العرض عندهم لا يبقى وقتين بل يفنى ويتجدد عندهم أبداً ، فروح كل حي على قـولهم في كل وقت غير روحه التي كانت قبل ذلك ، وهكذا تتبدل أرواح الناس عندهم ..) [1] .

ويدل على بطلان قولهم قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2].

فالأنفس هي المتوفاة في النوم والموت ، ثم ترد عند اليقظة وتمسك عند الموت، ولو كانت عرضاً لا يمكن أن يحصل لها ذلك ، ولا يمكن أن تتوفى وتفارق من الجسم الحامل لها ، ثم ترد بعضها ، ويمسك بعضها ، لأن العرض يبطل بمفارقة الحامل له) [3] .

أما من قال من المتكلمين أن النفس هي النفس الداخل والخارج من الهواء ، فهو من أضعف الأقوال وأبطلها ، مع تعريه من الدليل ، فالإنسان على هذا القـول يبـدل أنفاساً كثيرة في كل وقت ، فنفسه الآن غير نفسه آنفاً ، فكل واحد يعلم بالـضرورة أن الهواء الداخل بالتنفس الأول ، غير الهواء الداخل بالتنفس الثاني [4] .

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٣/٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(2) سورة الزمر ، آية : ٤٢ .

(3) انظر الفصل في الأهواء والملل والنحل ، لابن حزم : ٣/٨٥٦ .

(4) انظر الروح ، لابن القيم : ٤٩٩ .

وقد تقدم مذهب السلف وإثباتهم للروح كعين قائمة ، مما يدل على أن إنكار ذلك يعـد مكابرة للعقل والشرع ، فالإنسان إنسان بروحه وجسده .

المبحث الثاني :

عذاب القبر ونعيمه .

البرزخ : اسم لعذاب القبر ونعيمه ، وهو ما بين دار الدنيا ودار الآخرة ، قـال تعالى : ﴿ لَعَلِّىٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ (١) ، وكل من مات له نصيب من عذاب القبر أو نعيمه ، ولكل إنسان قسطه الذي تقتضيه أعماله ، وإن اختلفت صور الموت من عبد لآخـر ، فالمـصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع وغيرهم ، كل له قسطه من عذاب القبر ونعيمه ، فـا سبحانه وتعالى قادر على إعادة أجزاء الميت ، لأن عناصـر العـالم منقـادة لربهـا وفاطرها وخالقها ، يصرفها كيف يشاء ، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده ، وهـي طوع إرادته ومشيئة قدرته (٢) .

وقد اقتضى عدله سبحانه وتعالى أن جعل دار البرزخ دار جـزاء للمحـسن أو المسيء ، ولكن توفية الجزاء إنما يكون في دار القرار ، كما قال تعـالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ (٣) ، فالبرزخ أول دار للجزاء ، ولذلك ظهر فيها ما يليق بتلك الدار مما لا يكون في دار الدنيا ، وعذاب البرزخ ونعيمه هـو أول عذاب الآخرة ونعيمها ، وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ منه (٤) ، كما سيأتي قريباً إن شاء ا .

والبرزخ لا يراد به القبر ، وهو مدفن الأموات ، وإنما يراد به ما هو أعم مـن مدافن الأموات ، فهو ما بين موت الإنسان وقيام الساعة ، سواء دفن الميت أو لم يدفن (٥) .

وقد اقتضت حكمة الرب تبارك وتعالى عدم الكشف عن عذاب القبـر ونعيمـه رحمة بالعباد ، فكل ما يحدث بعد الموت هو من باب الغيب الذي لا نعلمه إلا بـنص شرعي ، ولو كشف ا تعالى للناس عذاب القبر ونعيمه لا يكون للتكليف بالإقرار بـه

---

(1) سورة المؤمنون ، آية : ١٠٠ .

(2) انظر الروح ، لابن القيم : ٩٨ ، ٩٩ .

(3) سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .

(4) انظر الروح ، لابن القيم : ١٠٠ .

(5) انظر شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ١١٣/٢ .

فائدة ؛ فأخفاه الله تعالى ليكون الإقرار به من أسباب سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة [١] .

ومع ذلك فقد جاء في الكتاب والسنة ما يدل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه ، ويشير إلى بعض أحوال تلك الدار ، وجميع ما ورد من النصوص إنما يدل إجمالاً على أمرين :

- فتنة القبر .
- عذاب القبر ونعيمه .

فأول ما يموت الإنسان ويوضع في قبره فإنه يفتن فيه ، وهذه الفتنة لا تكون إلا إذا انتهت الأحوال الدنيوية ، وانتقل العبد إلى عالم الآخرة ، وهذه الفتنة وردت فيها أحاديث صحيحة ، فهي امتحان واختبار للميت يحصل بأن يأتيه ملكان فيجلسانه ، ويسألانه ، حتى إنه ليسمع قرع نعال المنصرفين عنه ، وهما يسألانه ، ولهذا كان من هدي النبي ﷺ أنه إذا دفن الميت وقف عليه ، وقال : (استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل) [٢] ، وقد جاء في بعض الآثار أن الملكين هما : منكر ، ونكير ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر ، والآخر : النكير ..) [٣] .

---

(1) انظر الروح ، لابن القيم : ٩٦ .

(2) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب الاستغفار عند القبر للميت قبل الإنصراف : ٢١٥/٣ من حديث هانيء مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وصححه الحاكم : ٣٧٠/١ ، ووافقه الذهبي ، وجود إسناده النوري في المجموع (٢٩٢/٥) ، وانظر أحكام الجنائز للألباني : ١٥٦ .

(3) سنن الترمذي ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر : ٣٨٣/٣ قال الترمذي : حديث حسن غريب .

ورواه ابن أبي عاصم في السنة : ٨٦٤ ، والآجري في الشريعة : ٣٦٥ ، والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٣٩١ . وقد أنكر بعض العلماء هاذين الاسمين ، وقالوا : كيف يسمى الملائكة وهم الذين وصفهم الله تعالى بأوصاف الثناء بهذين الاسمين المنكرين ، وضعفوا الحديث الوارد في ذلك . وذهب آخرون إلى أن الحديث حجة ، وأن هذه التسمية ليس لأنهما منكران من حيث ذواتهما ، ولكنهما منكران من حيث إن الميت لا يعرفهما ، وليس له بهما علم سابق ، وقد قال إبراهيم لأضيافه الملائكة : (قوم منكرون)

وسؤال الملكين للميت يكون عن عدة أمور : فيسألانه أولاً : من ربك ؟ أي من ربك الذي تعبده وتخصه بالعبادة ؟ . ويسألانه : ما دينك : أي ما هو عملك الذي تدين به وتتقرب به إليه عز وجل ؟ . ويسألانه : من نبيك ؟ يعني من هو النبي الذي تؤمن به وتتبعه ؟ .

والمؤمن يجيب جواباً صحيحاً صائباً فيقول : ربي ا ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ ، فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي ، فافرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة .

أما المرتاب الشاك المنافق فلا يجيب الجواب الصائب ، وإنما يتلعثم ويرتبك ويقول : هاه ! هاه : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، فيضرب بمرزبة من حديد ، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان [1] .

وقد دل على هذه الفتنة نصوص صحيحة من السنة النبوية ، فعن أنس رضي ا عنه أن النبي ﷺ قال : (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه يسمع قرع نعالهم ، فيأتيه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ، - محمد ﷺ – فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد ا ورسوله ، فيقول له : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك ا به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعاً .. وأما الكافر أو المنافق ، فيقول ، لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس فيه ، فيقال : لا دريت ، ولا تليت ..) [2] .

وقد تقدم حديث البراء بن عازب رضي ا عنه الذي قال فيه النبي ﷺ : عندما تصعد روح المؤمن إلى السماء فيقول ا عز وجل : (اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول

الذاريات : ٢٥ ، لأنه لا يعرفهم ، فهذا منكر ونكير ، لأنهما غير معروفين للميت . انظر شرح الواسطية ، لابن عثيمين : ١١٤/٢ .

(1) يعني ممن حوله لا أن كل أقطار الأرض يسمعها ، كما مر النبي ﷺ بأقبر للمشركين على بغلته ، فحادت به ، حتى كادت تلقيه لأنها سمعت أصواتهم يعذبون ، انظر صحيح مسلم عن زيد بن ثابت رضي ا عنه .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال : ٤٤٨/١ .

وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار : ٢٢٠٠/٤ .

ربي ا ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجـل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول ا ، فيقولان له : ما عملك ؟ فيقـول : قـرأت كتاب ا فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي ، فافرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبـره مد بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الـريح ، فيقـول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : يارب ، أقم الـساعة حتـى ارجع إلى أهلي ومالي .

وذكر من حال العبد الكافر أن روحه تصعد إلى السماء فلا يفتح لها ، فيقول ا عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحاً ، ثـم قرأ : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (1) ، فتعـاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه ، هاه ، لا أدري ، فينادي مناد من الـسماء : أن كذب ، فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه مـن حرهـا وسـمومها ، ويضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منـتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسؤوك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : من أنت ، فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيـث ، فيقـول رب لا تقـم الساعة) (2) .

وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي ا عنه أن النبي ﷺ قال : (إذا قبـر الميت – أو قال أحدكم – أتاه ملكان أسوادان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر ، وللآخر: النكير ، فيقولان ، ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : ما كان يقول ، هو عبـد ا

(1) سورة الحج ، آية : ٣١ .

(2) سبق تخريجه ص(٧٩٨) .

ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا ا ، وأن محمداً عبده ورسوله .. وإذا كان منافقاً قـال : سمعت الناس يقولون قولاً ، فقلت مثله ، لا أدري ..) [١] .

وهذه الفتنة تكون لكل ميت قُبِر أو لم يقبر ، وما ورد في صفة جلوسه وإجلاسه وسؤاله ، فيجب أن يفهم من قول الرسول ﷺمراده من غير غلـو ولا تقـصير ، فـلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهـدى والبيـان ، ففتنة القبر وسؤال الملكين عام لكل الخلق ، ولا يخرج عن هذا العموم إلا بعض الخلق ممن جاءت النصوص بإثبات خروجهم عن هذا العموم وهؤلاء هم :

أولاً : الأنبياء ، فهم لا يسألون في قبورهم لوجهين :

١- إن الأنبياء أفضل من الشهداء ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الشهيد يوقى فتنة القبر ، وقال : (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة) [٢] .

٢- إن الأنبياء يسأل عنهم ، فيقال للميت : من نبيك ؟ فهم مسؤول عنهم ، وليسوا مسؤولين ، ولهذا قال النبي ﷺ: (فأوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم) [٣] .

والخطاب للأمة المرسل إليهم ، فلا يكون داخلاً فيهم .

ثانياً : الصديقون ، لأن مرتبة الصديقين أعلى من مرتبة الشهداء ، فـإذا كـان الشهداء لا يسألون ، فالصديقون من باب أولى ، ولأن الصديق على وصـفه مـصدق وصادق ، فهو قد علم صدقه ، فلا حاجة إلى اختباره .

ثالثاً : الشهداء الذين قتلوا في سبيل ا تعالى ، فإنهم لا يسألون لظهور صـدق إيمانهم بجهادهم ، قال رسول ا ﷺ : (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة) [٤][٥].

---

(1) سبق تخريجه ص(٨٠٣) .

(2) سنن النسائي ، كتاب الجنائز ، باب الشهيد : ٤/٩٩ .

وقال الألباني : سنده صحيح ، انظر أحكام الجنائز : ٣٦ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس : ١/٤٤ . من حديث أسماء رضي ا عنها .

(4) سبق تخريجه قريباً ص(٨٠٦) .

(5) انظر شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ١١٠ وما بعدها .

أما الصغار والمجانين فهؤلاء قد اختلف فيهم ، وقد نقل ابن تيميـة رحمـه الله تعالى اختلاف العلماء في الصغار والمجانين على قولين :

أحدهما : أنه يمتحنون ، وهو قول أكثر أهل السنة ، ذكره أبـو الحـسن بـن عبدوس عنهم [1] ، وذكره أبو حكيم النهرواني [2] وغيرهما .

الثاني : أنهم لا يمتحنون في قبورهم ، ذكره القاضي أبو يعلى [3] ، وابن عقيـل [4] وغيرهما .

وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية القول الأول ، وذكر استدلال أصـحاب هـذا القول بما رواه الإمام مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ صلى على طفل لـم يعمل خطيئة قط فقال : (اللهم أعذه من عذاب القبر) [5][6].

وعلى ذلك فسؤال القبر عام لكل الأموات إلا من خرجوا عن هذا العموم ، حتى الكفار فإنهم يسألون في قبورهم ، وقد أورد ابن القيم في كتابه " الروح " الخلاف فـي ذلك .

فالعلماء في اختصاص هذه الأمة بفتنة القبر على ثلاثة أقوال :

الأول : قول من قال إنه خاص بهذه الأمة ، وإليه ذهب أبو عبد الله الترمـذي [7] ، واحتج بأن الأمم التي قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة ، فإذا أبـوا كفـت الرسـل ،

---

(1) علي بن عمر بن أحمد بن عمار ، أبو الحسن ، ابن عبدوس ، فقيه حنبلي : مفسر ، من أهل حران ، ولد سـنة ٥١٠هـ ، وتوفي سنة ٥٥٩هـ . انظر الأعلام : ٣١٥/٤ .

(2) إبراهيم بن دينار بن أحمد النهرواني الرزاز ، أبو حكيم ، من فقهاء الحنابلة ، من أهل بغـداد ، تـوفي سـنة ٥٥٦هـ . انظر شذرات الذهب : ١٧٦/٤ ، الأعلام : ٣٨/١ .

(3) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء ، أبو يعلى ، عالم عصره في الأصول ، والفروع ، مـن أهـل بغداد ، توفي سنة ٤٥٨هـ . انظر تاريخ بغداد : ٢٥٦/٢ ، وشذرات الذهب : ٣٠٦/٣ ، الأعلام : ١٠٠/٦ .

(4) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي ، بهاء الدين ابن عقيل ، من أئمة النحاة ، توفي سنة ٧٦٩هـ . انظر الدرر الكامنة : ٢٦٦/٢ ، شذرات الذهب : ٢١٤/٦ ، الأعلام : ٩٦/٤ .

(5) موطأ مالك ، كتاب الجنائز ، باب ما يقول المصلي على الجنازة : ٢٢٨/١ .

(6) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية : ١٧١/٤ ، ١٧٣ ، وانظر الروح ، لابن القيم : ١١٨ .

(7) محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله ، الحكيم الترمذي ، عالم بالحديث وأصول الدين ، توفي سـنة ٣٢٠هـ . انظر لسان الميزان : ٣٠٨/٥ ، طبقات السبكي : ٢٠/٢ ، الأعلام : ٢٧٢/٦ .

واعتزلوهم ، وعولجوا بالعذاب ، فلما بعث ا محمداً ﷺ بالرحمة إماماً للخلق ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١) أمسك عنهم العذاب ، وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف (٢) ، ثم ظهر أمر النفاق ، فلما ماتوا قيض ا لهم من يفتنهم في قبرهم ، ليستخرج سرهم بالسؤال .

وقال أصحاب هذا القول : مما يدل على ذلك قول الملكين للميت : ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول المؤمن : أشهد أنه عبد ا ورسوله ، فهذا خاص بالنبي ﷺ .

الثاني : قول من قال بأن السؤال لهذه الأمة ولغيرها ، ومنهم عبد الحق الإشبيلي (٣) والقرطبي .

الثالث : التوقف وقد ذهب إلى ذلك أبو عمر بن عبد البر (٤) فقال في حديث زيد بن ثابت ، عن النبي ﷺ أنه قال : " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها " ومنهم من يرويه : تسأل ، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك ، فهذا أمر لا يقطع عليه (٥) .

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .

(2) هذا القول فيه نظر فليس كل من دخل في الإسلام دخل لمهابة السيف ، بل إن أكثر الصحابة دخلوا في الإسلام حباً في هذا الدين ، واقتناعاً بأنه هو الدين الحق ، وحباً في رسول ا ﷺ ، وبايعوا على ذلك وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، وا أعلم .

(3) عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد ا الأزدي الإشبيلي ، أبو محمد ، من علماء الأندلس ، كان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث وعلله ورجاله ، ولد سنة ٥١٠هـ ، وتوفي سنة ٥٨١هـ . انظر تهذيب الأسماء واللغات : ٢٩٢/١ ، الأعلام : ٢٨١/٣ .

(4) يوسف بن عبد ا بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي ، أبو عمر ، من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ ، أديب ، يقال له حافظ المغرب ، ولد سنة ٣٦٨هـ ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ . انظر وفيات الأعيان : ٣٤٨/٢ ، الأعلام : ٢٤٠/٨ .

(5) انظر الروح ، لابن القيم : ١١٦ ، ١١٧ .

والراجح من هذه الأقوال - وا أعلم - عدم الاختصاص ، ويدل على ذلك ما حدث به عروة بن الزبير [1] عن خالته عائشة أم المؤمنين رضي ا عنهـا قالـت : دخل علي رسول ا ﷺ ، وعندي امرأة من اليهود ، وهي تقول : هل شـعرت أنكـم تفتنون في القبور ؟ قالت : فارتاع رسول ا ﷺ ، وقال : " إنما تفتن اليهود " ، قالـت عائشة : فلبثنـا ليالي ، ثم قال رسول ا ﷺ : " هل شعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور " قالت عائشة : فسمعت رسول ا ﷺ ، بعد : يستعيذ من عذاب القبر [٢] .

وقد رجح ابن القيم هذا القول فقال : (والظاهر وا أعلم أن كل نبي مع أمتـه كذلك ، وأنهم يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم ، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة ، وا سبحانه وتعالى أعلم) [٣] .

ورجحه الشيخ ابن عثيمين في شرحه للعقيدة الواسطية واحتج بأن هـذه الأمـة وهي أشرف الأمم تسأل في قبرها ، فمن دونها من باب أولى [٤] .

ويلي فتنة القبر عذاب القبر أو نعيمه ، فإن من وفق في الإجابة علـى سـؤال الملكين وكان من أهل الإيمان السعداء فإنه ينعم في قبره ، وأما مـن تلعـثم وتـردد وارتبك عند سؤال الملكين له وكان من أهل الشقاء فإنه يعذب في قبره .

وعذاب القبر ونعيمه جاءت به النصوص الصريحة في الكتاب والسنة ، فقد قـال ا تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾[5].

---

(1) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، أبو عبد ا ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالمـاً بالـدين ، صالحاً ، كريماً ، ولد سنة ٢٢هـ ، وتوفي بالمدينة سنة ٩٣هـ . انظـر صـفوة الـصفوة : ٤٧/٢ ، حليـة الأوليـاء : ١٧٦/٢ ، الأعلام : ٢٢٦/٤ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر : ٤١٠/١ .

(3) الروح ، لابن القيم : ١١٧ .

(4) انظر شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ١١٣/٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العـز الحنفـي : ٤٠١ .

(5) سورة غافر ، آية : ٤٥ – ٤٦ .

وقـال تعـالى : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٤٧ ﴾ (١) ، قال شارح الطحاوية في تفسير هذه الآية : (وهذا يحتمل أن يـراد بـه عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا ، وأن يراد به عذابهم في البرزخ ، وهو أظهـر ، لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا ..) (٢) .

وقد تقدم حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وقد دل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه (٣) ،

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أن النبي ﷺ مر بقبـر فقال : (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البـول ، وأما الآخر فكان يتسنى بالنميمة ، فدعا بجريدة رطبة ، فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة فقالوا : يا رسول الله لم صنعت هذا . فقال : لعله أن يخفف عنهما مـا لـم ييبسا) (٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عـذاب القبر مثل الذي أسمع) (٥) ، وثبت في الصحيحين من غير وجه ، أن النبـي ﷺ أتـى المشركين يوم بدر في القليب فناداهم : (يا فلان ، يا فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكـم حقاً ؟ فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً) (٦) ، فهذا دليل على سماعهم ، وأنهم وجدوا ما

---

(1) سورة الطور ، آية : ٤٥ – ٤٧ .

(2) شرح العقيدة الطحاوية : ٣٩٦ .

(3) انظر ص(٧٩٨) من هذا البحث .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الجريد على القبر : ٤٥٨/١ .

وصحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجـوب الاسـتبراء منـه : ٢٤٠/١ واللفـظ للبخاري .

(5) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار : ٢١٩٩/٤ من حـديث أبـي سـعيد الخدري رضي الله عنه .

(6) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل : ١٤٦٢/٤ من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه : ٢٢٠٢/٤ مـن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

بعد الموت من العذاب [1] ، وعن أنس رضي ا تعالى عنه أن النبي ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم أتاهم فقام عليهم فقال : (يا أبا جهل بن هشام [2] ، يا أميـة بـن خلـف [3] ، ياعتبة بن ربيعة [4] ، ياشعبة بن ربيعة [5] ، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فـإني وجدت ما وعدني ربي حقاً " فسمع عمر رضي ا عنه قول النبي ﷺ فقال : يا رسول ا ، كيف يسمعون وقد جيفوا ؟ فقال : (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول مـنهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ، ثم أمر بهم سحبوا فالقوافي قليب بدر) [6] .

ومما يدل على ثبوت عذاب القبر أن النبي ﷺ أمر بالتعوذ منه فقال : (إذا تشهد أحدكم فليقل : أعوذ با من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومـن فتنـة

---

(1) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٦٤/٤ .

(2) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أشد الناس عداوة لرسول ا ﷺ ، وأحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية ، كان يقال له " أبو الحكم " فدعاه المسلمون " أبا جهل " ، قتل يوم بدر سنة ٢هـ . انظر الكامل ، لابن الأثير : ٢٣/١-٤٧ ، الأعلام : ٨٧/٥ .

(3) أمية بن خلف بن وهب ، من بني لؤي ، أحد جبابرة قريش في الجاهلية ، ومن ساداتهم ، أدرك الإسلام ، ولـم يسلم ، قتل يوم بدر سنة ٢هـ . انظر سيرة ابن هشام : ٥٢/٢ ، الكامل ، لابن الأثير : ٤٨/٢ ، الأعلام : ٢٢/٢ .

(4) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أبو الوليد ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل ، خطيباً ، نافذ القول ، أدرك الإسلام ، وطغى فشهد بدراً مع المشركين ، وقتل يومها سنة ٢هـ. بلوغ الأرب : ٢٤١/١ ، الأعلام : ٢٠٠/٤ .

(5) شعبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، من كبار قريش ، أدرك الإسلام ، ولم يسلم وهو أخو عتبة بـن ربيعة توفي يوم بدر سنة ٢هـ . سيرة ابن هشام : ١٠٢/٢ .

(6) وقد ذكر ذلك لعائشة رضي ا عنها ، فقالت : وهم ابن عمر إنما قال رسول ا ﷺ : " إنهم ليعلمـون الآن أن الذي قلت لهم هو الحق " ثم قرأت قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ النمل : ٨٠ ، حتى قرأت الآية .

وقد اتفق أهل العلم بالحديث على صحة ما رواه أنس وابن عمر وإن لم يشهدا بدراً ، فإن أنساً روى ذلك عـن أبي طلحة ، وأبو طلحة شهد بدراً ، قال قتادة : أحياهم ا حتى أسمعهم ، توبيخاً وتصغيراً ، ونقمة ، وحـسرة وتنديماً ، والنص الصحيح عن النبي ﷺ مقدم على تأويل من تأول من الصحابة وغيرهم .

ولا تعـارض بين هـذه النصوص وبين ما في القرآن الكريم من النفي في مثل قوله تعـالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ النمل : ٨٠ .

فإنما أراد به السماع المعتاد ، الذي ينفع صاحبه ، فإن هذا مثل ضرب للكفار أو الكفار تسمع الصوت ، لكن لا تسمعه سماع فقه واتباع ، فهكذا الموتى لا يجب أن ينفى عنهم جميع السماع المعتاد ، وإنما انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به ، ولا ينفى عنهم غير ذلك ، ويوافق ذلك أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولو مدبرين . انظر مجموعة الفتاوى : ١٨٣/٤ ، ١٨٤ .

المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال) [1] ، وعن ابـن عبـاس رضـي ا عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بـك مـن فتنـة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) [2] .

فالواجب اعتقاد ثبوت فتنة القبر ، وعذابه ونعيمه والإيمان به ، ولا نخوض في كيفيته ، بغير القدر الذي جاء به نص شرعي ، وذلك لأن هذه الأمور لم نعهدها فـي هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقـول ، وعلينا الإيمان والتسليم ، وترك الخوض في الكيفية ، فإن عودة الروح إلى الجسد فـي القبر ، ليس على الوجه المعهود في الدنيا ، بل إعادة الروح إليه غير الإعادة المألوفـة في الدنيا .

فالروح لها بالبدن خمس تعلقات كما مر معنا ، وتعلقها بالبدن في البرزخ أحـد هذه التعلقات ، وهو تعلق مغاير لتعلقها بالبدن في الدنيا .

فالروح وإن فارقت البدن بالموت إلا أنها لم تفارقه بالكلية بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة ، بل لها تعلق به غير تعلقها به في الدنيا ، وهذا التعلق لا يوجـب حيـاة البدن قبل يوم القيامة ، وعلى ذلك فسؤال القبر وعذابه أو نعيمه للروح والبدن معـاً ، وقد تعذب النفس أو تنعم مفردة عن البدن ومتصلة به ، ويبين ذلك أن ا تعـالى قـد جعل لكل دار أحكاماً تخصها ، وركب الإنسان من بدن وروح ، وجعل أحكـام الـدنيا على الأبدان ، والأرواح تبع لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبـع لها ، وجعل أحكام الآخرة على الأرواح والأبدان معاً [3] ،

وعلى ذلك فعذاب القبر ونعيمه يكون على الروح ، والجسم يتأثر بهذا تبعاً له ، وليس على سبيل الاستقلال [4] .

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة : ٤١٢/١ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه.

(2) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة : ٤١٣/١ .

(3) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

(4) انظر شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ١٢٠/٢ .

ومما يدل عقلاً على ثبوت نعيم القبر وعذابه ، وعلى أن أحوال القبر تجري على الروح والبدن ، ما نراه مشاهداً في دار الدنيا مما يحصل للنائم في منامه من لذة وألم ، وذلك يحصل للروح والبدن ، وقد يرى النائم في منامه أنه طعم شيئاً طيباً فيصبح وطعمه في فمه ، وقد يرى أن أحداً يضربه فيصبح ويجد ألم ذلك في جسده ، وهذا موجود ، فإذا كان النائم يحصل لروحه وبدنه من النعيم والعذاب ما يحس به ، والذي إلى جنبه لا يحس به – حتى قد يصيح النائم من شدة الألم ، أو الفزع الذي يحصل له ويسمع اليقظان صياحه ، وقد يتكلم بأحاديث مختلفة ، واليقظان يسمع ذلك وهو نائم ، ولو خوطب لم يسمع [1] .

بل إن النائم قد ينام فيرى أحلاماً مفزعة ، وآخر إلى جواره يرى رؤى صالحة وهما في مكان واحد .

وكذلك المقبور فإن الرجل قد يدفن في قبر يعذب فيه ، وبجواره مقبور ينعم في قبره ، ولا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر عذابه ، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه ، وقدرة ا أوسع من ذلك وأعجب [2] ،

وقد قال ا تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3] .

فبين أنه يتوفى الأنفس على نوعين :

فيتوفاها حين الموت ،

ويتوفاها حين النوم وهي ليست ميتة .

فدل ذلك على الشبه الكبير بين حال النائم وحال الميت .

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى : ٤٤/١٧٠ .

(2) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(3) سورة الزمر ، آية : ٤٢ .

وهذا التشبيه لا يجوز أن يقال : إن نعيم القبر وعذابه مثل ما يجده النـائم فـي منامه ، بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ ، وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي ، ولكـن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك وثبوته [١] .

والمقصود أن عود الروح إلى بدن الميت في القبر أمر ثابت شرعاً ، ولكنه ليس مثل عودهـا إليه في هذه الحياة الدنيـا ، فلكل دار حكم يخصهـا ، يقول ابن تيمية : (فليعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها ، أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عـذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبـة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ، فيحصل له معها النعيم والعذاب) [٢] .

وبما أن البرزخ دار جزاء فإن الأرواح مع تعلقها بالبدن لا تكون علـى حالـة واحدة ، بل هي في أحوال متفاوتة ، وتفاوت أحوالها إنما هو نتيجة أعمـال العبـاد ، وهذا ما دل عليه النقل الصحيح .

وقد اختلف العلماء في مستقر الأرواح في دار البرزخ على أقـوال شـتى ، لا يستند معظمها إلى دليل صريح ، وقد أوردها ابن القيم في كتابه " الـروح " وأجـاب عليها وبين القول الراجح في هذه المسألة ، وهو أن مستقر الأرواح متفـاوت بحـسب الأعمـال ، فأرواح الأنبياء تكون في خير المنازل في أعلى عليـين ، فـي الرفيـق الأعلى ، وقد سمعت السيدة عائشة رضي ا عنها الرسول ﷺ في آخر لحظات حياته يقول : (في الرفيق الأعلى) [٣] .

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٧٠/٤ .

(2) المصدر نفسه : ١٧٥/٤ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته : ١٦١٣/٤ .

أما أرواح المؤمنين الصالحين فتكون طيوراً تعلق في شجر الجنة ، فقد قال ﷺ: (روح المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعث يوم القيامة) [1] ، وهذا عام في جميع المؤمنين ، ثم خُص الشهيد بأن قال فيه ﷺ : (لما أصيب إخوانكم – يعني يوم أحد – جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد من أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب مظلّلة في ظل العرش) [2] ، فللشهيد نعيم يختص به ، لا يشاركه فيه من دونه ، ومن الشهداء من تحبس روحه من دخول الجنة لدين عليه ، فعن عبد الله بن جحش [3] رضي الله عنه ، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : مالي إن قتلت في سبيل الله ؟ قال " (الجنة) ، فلما ولى قال : (إلا الدين) سارني به جبرائيل آنفاً) [4] .

أما أرواح العصاة فإنها تعذب ، كما تقدم في عذاب الذي مشى بالنميمة بين الناس وعذاب الذي لم يستنزه من بوله ، وهؤلاء العصاة قد يدوم عذابهم وقد لا يدوم ، وقد يطول وقد لا يطول ، حسب ذنوبهم وهم تحت عفو الله تعالى ومشيئته .

أما الكفار فقد وردت النصوص التي تدل على عذابهم في قبورهم ، وأن أرواحهم في عذاب دائم ، لا يمكن أن يزول عنهم ، لأنهم مستحقون لذلك ، ويدل على

---

(1) مجمع الزوائد ، للهيثمي : ٣٢٩/٢ ، وقال : " رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح " . وفي مسند الإمام أحمد : " إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) : ٤٥٥/٣ ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٩٩٥ .

(2) أخرجه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي : ٩٧/٢ ، قال الهيثمي : (رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح) مجمع الزوائد : ٣٢٩/٢ ، وقال الألباني في تحقيق الطحاوية : صحيح : ٤٠٢ .

وفي صحيح مسلم بلفظ قريب منه كتاب الإمارة ، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة : ١٥٠٢/٣ .

(3) عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي ، صحابي ، من أوائل المسلمين ، هاجر إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وكان من أمراء السرايا ، وهو صهر رسول الله ﷺ أخو زينب أم المؤمنين ، قتل يوم أحد ، ودفن هو وحمزة في قبر واحد وذلك سنة ٣هـ . انظر : حلية الأولياء : ١٠٨/١ ، الأعلام : ٧٦/٤ .

(4) مسند الإمام أحمد : ١٣٩/٤ ، ٣٥٠ ، وسنن النسائي ، كتاب الجهاد ، باب من قتل في سبيل الله وعليه دين : ٣٣/٦ .

قال الألباني في تحقيق الطحاوية : صحيح : ٤٠٣ .

ذلك قوله تعالى عن آل فرعون : ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ (١) .

ولا تنافي بين عود الروح على البدن في القبر وبين كونها في أماكن شتى متفاوتة ، ولا إشكال في ذلك ، بل إن الأرواح قد تكون في الجنة أو في غيرها ، ومع ذلك فقد تعاد إلى البدن ، كما أنها قد تكون في البدن ويعرج بها إلى السماء كما في حال النوم (٢) .

والمقصود من ذلك كله أن أرواح العباد في القبر معذبة ومنعمة ، وهي مع ذلك متفاوتة في عذابها ونعيمها بحسب أعمال العباد في الدنيا ، وهذا إنما يدل على عدله سبحانه وتعالى وحكمته في أمره كله (٣) .

---

(1) سورة غافر ، آية : ٤٦ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٤٤٦/٥ .

(3) انظر الروح ، لابن القيم : ١١٩ وما بعدها .

عذاب القبر ونعيمه عند المعتزلة :

يستند قول المعتزلة في عذاب القبر ونعيمه على موقفهم وتصورهم لحقيقة الإنسان ، فالإنسان عند أكثرهم هو الهيئة الجسمانية المشاهدة والمحسوسة ، وعلى ذلك فالروح لا تفارق البدن عند الموت ، ولا تنعم بعد ذلك ولا تعذب .

والمشهور عن المعتزلة إنكار عذاب القبر ، إلا أن القاضي عبد الجبار يؤكد إجماع الأمة على الاعتراف بعذاب القبر ، وأن المعتزلة مقرة بعذاب القبر ، ولم يخرج عنهم إلا ضرار بن عمرو ، وأن ابن الراوندي [1] هو الذي شنع عليهم ، ونسب إليهم هذا القول ، وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار : (وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه – أي في عذاب القبر ونعيمه – بين الأمة إلا بشيء يحكى عن ضرار بن عمرو ، وكان من أصحاب المعتزلة ، ثم التحق بالمجبرة ، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا ، ويقول : إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به) [٢] .

ولو سلمنا للمعتزلة اعترافهم بعذاب القبر فإن هناك خلافاً حقيقياً معهم في كيفية هذا العذاب ووقت ثبوته ، فقد صرح القاضي عبد الجبار بأن الروح لا تعود في البدن لدى المقبور ، وإنما يخلق ا تعالى الحياة في الموتى إذا أراد تعذيبهم ، ويخلق فيهم ما يعقلون به هذا العذاب .

---

(1) أحمد بن يحيى بن إسحاق ، أبو الحسين الراوندي ، فيلسوف مجاهد بالإلحاد ، من سكان بغداد ، قال ابن كثير : أحد مشاهير الزنادقة ، توفي سنة ٢٩٨هـ . انظر وفيات الأعيان : ٢٧/١ ، مروج الذهب ، للمسعودي : ٢٣٧/٧ ، لسان الميزان : ٣٢٣/١ ، الأعلام : ٢٦٧/١ .

(2) شرح الأصول الخمسة : ٧٣٠ ، وانظر فضائل المعتزلة وطبقات المعتزلة : ٢٠١ ، ١٠٣ .

أما وقت عذاب القبر عندهم فهو ما بين النفختين ، يقول القاضي : (أما الكلام في كيفية ثبوته ، فاعلم أنه تعالى إذا أراد تعذيبهم فإنه لابد من أن يحييهم لأن تعـذيب الجماد مما لا يتصور ... ، وكما لابد من الإحياء ليصح التعذيب ، فلابد من أن يخلق فيهم العقل ليحسن التعذيب ، وإلا اعتقد المعاقب أنه مظلوم ، ولهذا المعنـى قلنـا : إن أهل النار لابد من أن يكونوا عقلاء ، هذا هو الذي نعلمه من جهة العقل .

أما الوقت الذي يثبت فيه التعذيب ، وتعيين ذلك ، فما لا طريق إليـه ، ومـن الجائز أن يكون بين النفختين على ما قال ا تعالى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١ ﴾ [1] والبرزخ في اللغة إنما هو الأمر الهائل العظيم ، ولا معنى له إلا العذاب) [2] .

ثم يعود القاضي ويؤكد أن وقت العذاب إنما هو بين النفختين فيقول : (.. إنا قد ذكرنا أن القوي في هذا الباب أنه تعالى يؤخر ذلك إلى مابين النفختين على ما دل عليه كلامه تعالى) [3] .

واعتراف المعتزلة بعذاب القبر ونعيمه يفصله ابن تيمية عند حديثه عن مذهبهم في هذه المسألة فيقول : (.. إنما هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية) [4] .

وبذلك يتضح أن إنكار عذاب القبر هو قول بعض المعتزلة ، أما بقية المعتزلـة فإنهم مقرون بعذاب القبر ونعيمه ، مع وجود خلاف كبير مع مـذهب الـسلف فيمـا يعتقدونه .

---

(1) سورة المؤمنون ، جزء من الآية آية : ١٠٠والآية : ١٠١ .

(2) شرح الأصول الخمسة : ٧٣١ ، ٧٣٢ .

(3) المصدر نفسه : ٧٣٣ .

(4) درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ٣٤٨/٥ .

مذهب الأشاعرة في عذاب القبر ونعيمه :

اختلف تصور الأشاعرة عن روح الإنسان اختلافاً كبيراً كما تقدم [١] ، فمـنهم من يرى أنها عرض ، وعلى ذلك فلا روح تبقى بعد موت البدن ، ومنهم من يرى أنها جسم ، ولا يقتضي فناء البدن فناء الروح .

ورغم هذا الاختلاف بين الأشاعرة إلا أن جميعهم مثبتون لعذاب القبر ونعيمه ، ولكنهم مختلفون في كيفية وقوعه ، وهل هو للروح وحدها ، أم للبدن مع الـروح ، أم هو على البدن بانفراده ؟ .

فالباقلاني الذي يرى أن الروح عرض من أعراض الجسم ، فهي لا تبقى بعـد موت البدن ، ذهب إلى أن عذاب القبر ونعيمه يقع على البدن ، وذلك لأنه مع من تبعه يرون أن الجسم إذا مات عدمت روحه ، كما ذكر ذلك ابن القيم [٢] .

إلا أن الباقلاني صرح بأن الروح تعاد إلى البدن ، حيث قال : (إن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، ورد الروح إلى الميت عند السؤال .. كل ذلك حق وصدق) [٣] ، ولم يذكر أن العذاب يقع على البدن أو على الروح ، ولا كيفية ذلك العذاب أو النعيم أو وقوعه .

أما الجويني ومن تبعه فيرى أن سؤال الميـت يقع على أجزاء مـن البـدن ، فيقول : (اعلموا أن المرضي عندنا أن السؤال يقع على أجزاء يعلمها ا تعالى مـن

([1]) انظر ص(٧٩١) من هذا البحث .

([2]) انظر الروح ، لابن القيم : ٣٤٣ .

([3]) الإنصاف : ٥١ .

القلب وغيره ، فيحييها الرب تعالى ، فيتوجه السؤال عليها ، وذلك غير مستحيل عقلاً ، وقد شهدت قواطع السمع له) [١] ، ثم ذكر الجويني أن الروح تنعم وتعذب فقال : (ثم الروح من المؤمن يعرج به ، ويرفع في حواصل طير خضر في الجنة ، ويهبط به إلى سجين من الكفرة ، كما وردت به الآثار) [٢] .

أما الباجوري [٣] من الأشاعرة فقد ذهب إلى أن نعيم القبر وعذابه يقع على البدن والروح فقال : (.. فكل ميت أراد الله تعذيبه عذب ، قبر أو لم يقبر ، ولو صلب ، أو غرق في بحر ، أو أكلته الدواب ، أو حرق حتى صار رماداً ، أو ذري في الريح لا يمنع من ذلك كون الميت تفرقت أجزاؤه ، والمعذب البدن والروح جميعاً باتفاق أهل الحق ..) [٤] .

فالأشاعرة معترفون بالحياة للمقبور ، ولكنهم مترددون في كون حياة الميت التي يدرك بها الألم واللذة هي بعود الروح أو بدون عود الروح إلى البدن .

وقد فصل التفتازاني قول الأشاعرة ، وذكر أن جميع الأشاعرة معترفون بعذاب القبر ، وأنه حقيقة واقعة ، وأنه ممكن سواء كان بعود الروح أو بعدم عودها ، بأن يحيي الله الأجزاء الباقية ، سواء القائلون بأن الروح جسم ، أو أن الروح عرض .

ولكن لابد للميت المقبور من حياة ، حتى يدرك بها العذاب أو النعيم في قبره ، وإن كانت حياة مخالفة لما نراه في الدنيا ، فيقول التفتازاني : (إنا لا نسلم اشتراط الحياة بالبنية ، ولو سلم فيجوز أن يبقى من الأجزاء قدر ما يصلح بنيه ، والتعذيب والمسألة يجوز أن يكون للروح الذي هو أجسام لطيفة ، أو للأجزاء الأصلية الباقية) [٥] .

---

(1) الإرشاد : ٣٧٦ .

(2) المصدر نفسه : ٣٧٧ .

(3) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري ، شيخ الجامع الأزهر . من فقهاء الشافعية ، نسبته إلى الباجور (من مدن المنوفية ، بمصر) ، ولد بها سنة ١١٩٨هـ ، وتوفي سنة ١٢٧٧هـ . انظر : الأعلام : ٧١/١ .

(4) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، للباجوري : ١٠٥ ، وانظر شرح جوهرة التوحيد ، إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ، للقاني : ٢٢٢ .

(5) شرح المقاصد : ١١٦/٥ .

ويقول التفتازاني : (اتفق أهل الحق على أن ا   يعيد إلى الميت في القبر نـوع حياة ، قدر ما يتألم ويتلذذ ، ويشهد بذلك الكتاب والأخبار والآثار ، لكن توقفوا في أنه هل يعاد الروح أم لا ؟ وما يتوهم من امتناع الحياة بدون روح ممنوع ، وإنما ذلك في الحياة الكاملة التي يكون معها القدرة والأفعال الاختيارية ، فلهذا لا يعرف حياته كمـن أصابته سكتة ، ويشكل هذا بجوابه لمنكر ونكير على ما ورد في الحديث) [1] .

فالتفتازاني الذي نقل تردد الأشاعرة في إعادة الروح للبـدن ، أم لا ، ذكـر أن الحياة تكفي لإدراك النعيم والعذاب بدون الروح ، وأنها حياة بدون قـدرة ولا أفعـال اختيارية ، ثم عاد فوجد أن ذلك الجواب يشكل عليه جواب الميت على سؤال الملكـين الوارد في الأحاديث ، مما يدل على أن حياة البدن في القبر معها قدرة وفعل اختياري ، وذلك لا يصح إلا بعود الروح للبدن .

---

(1) شرح المقاصد : ١١٧/٥ .

نقد قول المعتزلة والأشاعرة في عذاب القبر ونعيمه :

يستند تصور المتكلمين لعذاب القبر ونعيمه على تـصورهم للإنـسان وحقيقـة الروح والجسد ، وقد ذهب أكثرهم إلى أن الروح عرض ، لا تبقى بعد موت الجـسد ، ولا تعذب ولا تنعم .

ومع أن هذا القول مبني على أصول فاسدة ، وطريقة مبتدعة في دين ا ، فقد أدى ببعض المتكلمين إلى إنكار عذاب القبر ونعيمه ، ومن أثبته منهم اختاف مع ساف الأمة في كيفيته وحقيقته .

فقد ذهب بعض المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر ، وجعل أكثرهم عـذاب القبـر ونعيمه بين النفختين ، وذهبوا إلى أن ا يخلق الحياة في جزء من البدن فقط ، وهـذه كلها أقوال مخالفة لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وما تواتر من الأخبار عـن النبي ﷺ بثبوت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين بعد دفن الميت مباشرة .

أما الخوض في كيفيته فلا مجال لذلك ، إذ ليس للعقل وقـوف علـى كيفيتـه ، لكونه مما لم ير في هذه الدار .

أما الأشاعرة فقد اعترفوا بعذاب القبر ونعيمه ، ولكنهم اختلفوا فـي كيفيتـه ، لأنهم أقحموا عقولهم فيما لا سبيل لهم به .

ويحمد لبعض الأشاعرة اعترافهم بأن حياة الأبدان ليس على نفس المعهود فـي الدنيا كما ذكر التفتازاني ، ولكنهم يقصدون بذلك إثبات حياة بلا روح فـي القبـور ، ويرجحون بذلك عدم عود الروح إلى البدن ، وهو خطأ عظيم .

وقد اختلفت أقوال الأشاعرة واضطربت في ذلك مع اعترافهم بحيـاة المقبـور وبعذابه ونعيمه وسؤال الملكين له ، ولكن حصل الاضطراب في كيفية ذلك ، هل هـو بعود الروح إلى البدن أم لا .

والحق الذي يجب اعتقاده هو عود الروح إلى البدن ، كما دلـت علـى ذلـك الأحاديث الصحيحة التي تقدم ذكرها .

المبحث الثالث :

تحقق العدل الإلهي في البرزخ .

الموت أمر لابد منه ولا مناص منه لكل حي مخلوق ، كما قال تعـالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (٢) .

وحتمية الموت تستند إلى أن العباد محاسبون على أعمالهم في حياة أخرى بعـد الموت ، فكان لابد من الموت حتى يتم الجزاء والحساب ، وهذا ما دلت عليه الآيـات التي ربطت بين الموت والمحاسبة على الأعمال مثل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

والموت إعلان عن بدء الجزاء والحساب ، وانتهاء وقت الأعمال ، وهذا لابـد منه لتحقيق العدل في الآخرة .

ولذلك كـان لتذكر الموت أثر كبير في إصلاح النفوس ، فإنه يقلل من الاهتمام بأمر الدنيا ، ويعظم من شأن الآخرة ، ويدفع العبد إلى إصلاح نفسه وتقويم أمره .

وقد أثر عن السلف أقوال عظيمة في الحث على تذكر الموت ، وبيان ما لـذلك من أثر في حياة القلوب وصلاح الأعمال (٥) .

وإذا كان الموت لابد منه لتحقيق العدل ، ولبـدء المحاسـبة والمجـازاة علـى الأعمال ، فإن أحوال العباد عند الموت وفي حياة البرزخ لم تخل من مظـاهر العـدل

---

(1) سورة القصص ، آية : ٨٨ .

(2) سورة الرحمن ، آية : ٢٧ .

(3) سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .

(4) سورة الجمعة ، آية : ٨ .

(5) انظر : الزهد ، لابن المبارك ، والزهد ، لأحمد بن حنبل ، والتذكرة للقرطبي .

الإلهي ، حيث تقدم بيان حال المؤمن والكافر عند الموت وسكراته ، فمع أن كلاً منهما يعاني من سكرات الموت وقسوته إلا أن المؤمن يخفف عنه ذلك ، ويكون قبض روحه أخف وأيسر من الكافر ،

إضافة إلى ذلك فقد وردت نصوص صريحة بأن المؤمنين يبشرون عند الموت بما ينتظرهم من الثواب الجزيل والنعيم المقيم ، وأن الكافرين يبشرون أيضاً بما ينتظرهم من العقاب الأليم والعذاب العظيم ، فقد قال الله تعالى في حق المؤمنين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [1] ،

وهذه بشارة من الملائكة للمؤمنين ، بألا يخافوا مما هم مقدمون عليه من أمر الآخرة ، ولا يحزنوا على ما خلفوه من أمر الدنيا ، من أهل أو مال أو ولد أو دين ، وهذا التبشير عند الموت قال به مجاهد والسدي ، وغيرهم ،

وقال زيد ابن أسلم : (عند الموت وفي القبر وحين البعث) [2] .

وحقيقة هذه البشارة هي البشارة بثواب الله تعالى ،

وقال تعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [4] .

---

(1) سورة فصلت ، آية : ٣٠ .

(2) رواه ابن أبي حاتم ورجحه ابن كثير لأنه يجمع الأقوال كلها وقال هو حسن جداً . انظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير : ١٢٢٣ .

(3) سورة يونس ، آية : ٦٤ .

(4) سورة النحل ، آية : ٣٢ .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ٣٠ ﴾ [١] .

ويقول سبحانه وتعالى في أمر الكافر عند المـوت : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [٢].

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٣] .

وقـال تعـالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ٥١ ﴾ [٤] ،

وهذا السياق للآية وإن كان سببه وقعة بدر ، ولكنه عام في حق كل كافر ، ولم يخصصه ا تعالى بأهل بدر من الكافرين ، وله أمثلة في الآية الـسابقة مـن سـورة الأنعام ،

فهذه الآيات إنما تدل على ما يلاقيه الكافر من الشدة والغلاظة عند موته ونزعه ، يقول ابن كثير رحمه ا تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ أي باسطوا أيديهم بالضرب فيهم بـأمر ربهـم ، إذا

([١]) سورة الفجر ، آية : ٢٧-٢٨-٢٩-٣٠ .

([٢]) سورة النساء ، آية : ٩٧ .

([٣]) سورة الأنعام ، آية : ٩٣ .

([٤]) سورة الأنفال ، آية : ٥٠ - ٥١ .

استصعبت أنفسهم ، وامتنعت عن الخروج من الأجساد أن تخرج قهـراً ، وذلـك إذا بشروهم بالعذاب والغضب من ا ، كما في حديث البراء [١] .

فالمؤمن والكافر متساويان فيما يلاقيانه من شدة الاحتضار ونزع الـروح ، إلا أن التساوي في جنس تلك الشدة فقط ، وما جاء في الكتاب والسنة يدل على أن قـبض المؤمن أخف وأيسر وتصاحبه البشارة بالحياة الطيبة والثواب المنتظر ، أما الكافر فإن قبضه أشد وأصعب وتصاحبه البشارة بالعذاب الذي ينتظره .

وفي هذا الموقف يأتي التذكير بعاقبة الأعمال وتأثيرها في مـسبباتها ، وأنهـا سبـب لدخـول الجنة أو النار ، فالمؤمـن يبشر بالحيـاة الطيبة جزاء عمله الطيـب قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٢] ،

وكذلك الكفار يقال لهم : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [٣].

يقول ابن كثير رحمه ا تعالى : (أي هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا ، جازاكم ا بها هذا الجزاء ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ أي : لا يظلم أحداً من خلقه بل هو الحكم العدل الذي لا يجور تبارك وتعالى)[٤].

ويقول ا تبارك وتعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [٥] .

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٥٠١/٢ .
(2) سورة النحل ، آية : ٣٢ .
(3) سورة الأنفال ، آية : ٥١.
(4) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٥٠١/٢ .
(5) سورة الأعراف ، آية : ٣٧ .

فهذه الآية تبين حال الظالمين لأنفسهم عند الموت وقبض الأرواح ، حيث يقول لهم الملائكة توبيخاً وعتاباً ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ، فيشهد الظـالمون على أنفسهم بضلالهم وظلمهم ، وأنهم مستحقون للعذاب ، بسبب أعمالهم ، ومعاصيهم ، وبعدهم عن طريق الحق .

وحينئذ تأتي البشارة بالعذاب فتقول لهم الملائكة في الآية التالية : ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [1] .

ثم إن أحوال العباد في قبورهم مختلفة أيضاً ، وقد تقدم ذكر النصوص الـواردة في فتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه ، وتبين مما سبق أن المؤمن يوفق في إجابة الملكين ويكون منعماً في قبره وروحه تسرح في الجنة ، حيث شاءت أما الكافر فإنه يتلعثم في إجابة الملكين ويكون معذباً في قبره ، وروحه في النار ، إضافة إلى أن عذاب القبـر ونعيمه يحصل للروح والبدن معاً ، وهذا ثابت شرعاً ، وممكن عقلاً ، وهـو أقـرب للعدل من حيث أن كلاهما اشتركا في أعمال الدنيا ، فكان من العدل اشـتراكهما فـي الجزاء في الآخرة .

والمقصود أن ا   تبارك وتعالى عدل في جميع أفعاله في عباده حتى عند الموت وفي البرزخ وهذا دليل على عدله التام .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ٣٨ .

الفصل الثاني :

العدل الإلهي في البعث والحشر .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأدلة النقلية والعقلية على إثبات البعث .

المبحث الثاني : صفة البعث والحشر .

المبحث الثالث : تحقق العدل الإلهي في البعث والحشر .

توطئة

الحديث عن البعث يرتبط بالحديث عن القيامة وأحوالها ، ذلك أن البعـث إنمـا يحدث عند قيام الساعة ، ويوم القيامة هو إعلان عن بدء الجزاء ، وتحقيق ما وعد ا به وما أوعد به ، وهو أعظم دليل على عدله سبحانه ، وحكمته في خلقه ، وفيه نفـي العبث واللهو عن خلق ا تعالى.

ولذلك اليوم أسماء كثيرة شأن كل أمر عظيم ، فإن العرب كانوا إذا عظم الشيء في نفوسهم أطلقوا عليه عدة أسماء [1] ، ومن هذه الأسماء ما جاء في كتاب ا تعالى ودل على البعث والخروج للجزاء والحساب .

فمن أسماء يوم القيامة :

١- يوم البعث : قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧ ﴾ [2] .

٢- يوم الجمع : قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [3] .

٣- يوم الحساب : قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [4] .

٤- يـوم الخـروج : قـال تعـالى : ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾[1].

(1) انظر التذكرة ، للقرطبي : ٢١٤ .

(2) سورة الروم ، آية : ٥٦-٥٧ .

(3) سورة الشورى ، آية : ٧ .

(4) سورة غافر ، آية : ٢٧ .

٥- يوم الفصل : قال تعالى : ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتاً ﴾ [٢] .

وغيرها من أسماء القيامة كثير .

ويوم القيامة : يطلق على الفترة الزمنية الواقعة بين البعث والنشور وبين دخول الجنة أو النار [٣] ، ومن نظـر في كتاب ا تعالى وجد عناية بالغة بيوم القيامة ، من حيث بيان حقيقته ، وما يجري في ذلك اليوم من أهوال عظيمة ، ووصفه مـن حيـث كونه حداً فاصلاً بين المؤمن والكافر والبر والفاجر ، والظالم والمظلوم ، والإخبار عن يوم القيامة جاء في عدة صور :

١- الإخبار به والتأكيد على وقوعه .

٢- ذكر صفاته وأهواله وأخباره .

٣- ذكر الغاية ومنه وكونه فاصلاً بين الحق والباطل .

فما جاء في التأكيد على وقوعه قولـه تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [٦] .

---

(1) سورة ق ، آية : ٤٢ .

(2) سورة النبأ ، آية : ١٧ .

(3) انظر الحياة الآخرة ، د. غالب عواجي : ٨/١.

(4) سورة غافر ، آية : ٥٩ .

(5) سورة الحجر ، آية : ٨٥ .

(6) سورة سبأ ، آية : ٣ .

ومما جاء في الإخبار بأهواله وأحواله قوله تعـالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤ ﴾ [1] .

وقـال تعـالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥ ﴾ [2] .

وقال تعـالى : ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ ﴾ [3] .

ومما جاء في الإخبار عن مجازاة العبد يوم القيامة والحكم بين النـاس قولـه تعـالى : ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [4] .

وقال تعـالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧ ﴾ [1] .

---

(1) سورة التكوير ، آية : ١-١٤ .

(2) سورة الإنفطار ، آية : ١-٥ .

(3) سورة القارعة ، آية : ١-٥ .

(4) سورة آل عمران ، آية : ٢٥ .

(5) سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .

ويبدأ يوم القيامة بالنفخ في الصور قال ا تعالى : ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٨ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ١٥ ﴾ (٤) .

والبعث لا يحصل إلا بعد النفخ في الصور ، بأن يأمر ا تبارك وتعـالى إسـرافيل عليه السلام بالنفخ في الصور نفخة البعث التي يتم بعدها قيام الناس من قبورهم .

وقد اختلف العلماء في الصور على قولين :

الأول : إنه قرن ينفخ فيه .

الثاني : إن الصور جمع صورة ، ينفخ فيها روحها فتحيى .

وهاذان القولان ذكرهما ابن جرير الطبري في جامع بيان العلم ، ورجح القـول الأول فقال : (والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول ا ﷺ أنه قال : " إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ " (٥)) (٦) .

كما رجحه ابن كثير فقال : (والصحيح أن المراد بالصور : القرن الذي يـنفخ فيه إسرافيل عليه السلام) (٧) .

ونافخ الصور ينفخ فيه ثلاث نفخات هي :

---

(1) سورة غافر ، آية : ١٦-١٧ .

(2) سورة النبأ ، آية : ١٧-١٨ .

(3) سورة ق ، آية : ٢٠ .

(4) سورة الحاقة ، آية : ١٣-١٤-١٥ .

(5) مستدرك الحاكم : ٦٠٣/٤ ، قال الهيثمي : (رواه أحمد والطبراني في الأوسط باختصار عنـه وفيـه عطيـه العوفي وهو ضعيف وفيه توثيق لين) مجمع الزوائد : ٣٣١/١٠ .

(6) وانظر جامع البيان ، للطبري : ٢٤١/٧ .

(7) تفسير ابن كثير : ١٤٦/٢ .

١- نفخة الفزع .

٢- نفخة الصعق .

٣- نفخة القيام من القبور لرب العالمين .

وهذا القول هو قول أكثر أهل العلم ، واستدلوا عليه بحديث أبي هريرة رضـي ا عنه أنه قال : (قال رسول ا ﷺ : " ينفخ في الصور ثلاث نفخات ، الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين .. الحديث ") [1] .

والأدلـة على إثبـات النفخ في الصور كثيرة في الكتاب والسنة فقـد قـال ا تعـالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴾ [4] ، وعـن أبـي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (لا تخيروني على موسـى ، فـإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي ، أم كان فيمن استثنى ا)[5].

وعنه رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (إني أول من يرفع رأسه بعد النفخـة الآخرة ، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش ، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة) [6][7] .

---

(1) أخرجه الطبري في تفسيره : ٣٠/٢٤ .

(2) سورة النمل ، آية : ٨٧ .

(3) سورة يس ، آية : ٥١ .

(4) سورة النبأ ، آية : ١٨ .

(5) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب وإذا قال موسى لقومه إن ا يأمركم أن تذبحوا بقرة : ١٢٥١/٣ .
صحيح مسلم ، كتاب الفضائل : باب من فضائل موسى عليه السلام : ١٨٤٤/٤ .

(6) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء ا : ١٨١٣/٤ .

(7) هذا الحديث تنبه له جمع من العلماء : فقد يظن ظان أن هذه الصعقة المذكورة في الحديث هي صعقة النفخ فـي الصور ، والأمر غير ذلك كما ذكره العلماء .

والحاصل أن البعث إنما يحصل يوم القيامة عند النفخ في الصور ، فيقوم العباد لرب العالمين ويحشرون للوقوف بين يديه تبارك وتعالى للمجازاة على أعمالهم في الدنيا.

ولذلك فكان لابد من أن يتقدم الحديث عن البعث الإشارة إلى يوم القيامة والنفخ في الصور .

وقد ذكر ابن القيم في كتاب " الروح " هذا الحديث وأورد الإشكال الوارد عليه . ثم رجح أن هذه الصعقة غيـر صعقات النفخ في الصور ، وهي صعقة يوم القيامة عندما يتجلى المولى عز وجل للخلائق فيصعقون جميعـاً ، ويدل على ذلك عدم جزمه عليه الصلاة والسلام في أمر موسى أفاق قبله أم جوزي بصعقة الطور . ولو كـان المراد بالصعقة التي في الحديث صعقة النفخ في الصور وهي صعقة الموت لما استقام المعنى ولكـان تـردده عليه الصلاة والسلام في موت موسى أمات أم لم يمت لا محل له وهذا باطل قطعاً .

فعلم بذلك أنها صعقة أخرى بعد صعقة البعث ، وليست هي صعقة الفزع كما ذهب إلى ذلك جماعة من العلماء اللذين جعلوا صعقة الفزع بعد صعقة البعث مستدلين بالحديث : (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش) سبق تخريجه ص(٨٣٤) .

وهذا اللفظ هو الذي نشأ منه الإشكال . وقد أجاب العلماء بأنه قد دخل فيه على الراوي حديث في حديث فركب بين اللفظين فجاء هذا والحديثان هكذا ، وهو الحديث الذي في الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي ا عنـه عن رسول ا ﷺ قال : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما مـن نبـي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر) قال الترمذي : هـذا حـديث حسن صحيح سنن الترمذي : ٣٠٨/٥ . قال ابن القيم : (فدخل على الراوي هذا الحديث في الحديث الآخر) .

والصواب أن الخلائق يصعقون يوم القيامة إذا جاء ا لفصل القضاء بين العباد وتجلى لهم ، فـإنهم يـصعقون جميعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ الطور : ٤٥ .

وأما موسى فإن كان لم يصعق معهم فإنه يكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكـاً ، فجعلـت صعقة هذا التجلي عوضاً عن صعقة الخلائق لتجلي الرب يوم القيامة . انظر الروح ، لابن القيم : ٤٧٠ ومـا بعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٤١٢ وما بعدها .

المبحث الأول :

الأدلة النقلية والعقلية على إثبات البعث .

توطئة

تعريف البعث :

البعث لغة :

البعث في اللغة له عدة معانٍ .

١- الإرسال : يقال : فلاناً بعثته أو ابتعثته أي أرسلته ، ومنه قوله تعـالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [١] .

٢- الإثارة : وهو أصل البعث ، ومنه قيل للناقة : بعثتها إذا أثرتهـا وكانـت قبـل باركة ، يقول الفيروزآبادي : (بعثه كمنعه : أرسله كابتعثته فانبعث ، والناقـة أثارها ..) [٢] .

٣- البعث الإحياء من ا تعالى للموتى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٣] أي أحييناكم [٤] .

والبعث اصطلاحاً :

يراد به إحياء ا تعالى للموتى وإخراجهم من قبورهم للحساب والجزاء ، قـال ابن كثير : (البعث : وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة) [٥].

ومن الألفاظ التي تطلق ويراد بها البعث ما يلي :

١- النشور :

والنشر لغة : بمعنى البسط ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [٦] .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٠٣ .

(2) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ١٦٨/١ .

(3) سورة البقرة ، آية : ٥٦ .

(4) انظر تهذيب اللغة ، للأزهري : ٣٣٤/٢-٣٣٥ .

(5) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٠٦/٣ .

(6) سورة التكوير ، آية : ١٠ .

وقد يكون بمعنى الانتشار ومنه قوله تعـالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاساً وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُوراً ﴾ [١] أي جعل فيه الانتشار للسعي في طلب الرزق [٢] .

ويراد به البعث : قال الأزهري : (يقال : أنشر ا الموتى فنشروا : إذا حيوا ..

وقال الزجاج : يقال : نشرهم ا أي بعثهم ، كمـا قـال تعـالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولاً فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [٣]) [٤].

اصطلاحاً :

يراد به البعث وهو انتشار الناس من قبورهم إلى الموقف للحساب والجزاء [٥] ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [٦] ، قال ابن كثير في معنى الآية : (أي بعثه بعد موته) [٧] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي ا عنهما : أن رسول ا ﷺ كان إذا أراد أن ينام قال : (اللهم باسمك أموت وأحيا ، وإذا استيقظ من منامه قال : الحمد الذي أحيانـا بعد ما أماتنا وإليه النشور) [٨] .

٢- المعاد :

لغة : يقال : عاد الشيء يعود عوداً ومعاداً أي رجع .

والمعاد المرجع والمصير ، وهو ما يعود المخلوق إليه يوم القيامة .

---

(1) سورة الفرقان ، آية : ٤٧ .
(2) انظر المفردات ، للراغب الأصفهاني : ٤٩٢ ، ٤٩٣ .
(3) سورة الملك ، جزء من الآية : ١٥ .
(4) تهذيب اللغة ، للأزهري : ٣٣٨/١١ ، ٣٤٠ ، وانظر لسان العرب : ٢٠٦/٥ ، ٢٠٧ .
(5) انظر الحياة الآخرة ، د. غالب عواجي : ٦٤/١ .
(6) سورة عبس ، آية : ٢٢ .
(7) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤٧٢/٤ .
(8) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أصبح : ٢٣٣٠/٥ .

يقال : أعاده إلى مكانه : رجعه ، والكلام : كرره ، وتعاودوا في الحرب : عاد كل فريق إلى صاحبه [1] .

واصطلاحاً :

هو الرجوع إلى الله تعالى يوم القيامة [2] .

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله تعالى : (المعاد : وهو الرد إلى الله عز وجل والإياب إليه) [3] .

٣- الحشر :

لغة : الجمع والسوق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [4] .

قال ابن منظور : (.. حشرهم ، يحشرهم ، حشراً ، جمعهم ، ومنه يوم الحشر. والحشر : جمع الناس يوم القيامة ..) [5] .

وقال الجوهري : (.. وحشرت الناس أحشرهم وأحشُرهم حشراً : جمعهم ومنه يوم الحشر ..) [6] .

اصطلاحاً :

هو سوق الخلق جميعاً إلى الموقف وهو مكان الحساب يوم القيامة [7] .

ومن المتكلمين من جعل الحشر هو الإعادة ، يقول الغزالي : (.. أما الحشر ، فنعني به إعادة الخلق ..) [8] ، ويقول الدواني : (تحشر الأجساد ، وتعاد فيها الأرواح

---

(1) انظر القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ٣٣٠/١ ، وانظر تهذيب اللغة ، للأزهري : ١٢٩/٣ .
(2) انظر الحياة الآخرة ، د. غالب عواجي : ٦٦/١ .
(3) معارج القبور : ١٠١/٢ .
(4) سورة التكوير ، آية : ٥ .
(5) لسان العرب ، لابن منظور : ١٩٠/٤ ، ١٩١ .
(6) الصحاح ، للجوهري : ٦٣٠/٢ .
(7) انظر كتاب الإيمان ، د. محمد نعيم ياسين : ١١٢/٤ ، وانظر الدعوة الإسلامية : د. أحمد غلوش : ٢٤ .
(8) الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي : ١٣٣ ، ١٣٥ .

باعادة البدن ..) [1] ، ويقول التفتازاني : (إنما نعني بالحشر : إعادة الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره ..) [2] .

ولكن من المتكلمين من التزم معنى خاصاً للحشر وهو الجمع والسوق ، يقـول البيجوري : (الحشر عبارة عن سوقهم – أي الخلق – جميعـاً إلـى الموقـف وهـو الموضع الذي يقفون فيه) [3] .

والمقصود أن الحشر يلي البعث مباشرة ، إلا أن البعث هو إرجاع الحياة إلـى الأبدان ، وخروج الخلائق أحياء من قبورهم ، أما الحشر فإنه يلي ذلك مباشرة وهـو سوق الناس إلى الموقف ،

ولذلك فإن بعض المتكلمين لم يفرقوا بين المصطلحين ، نظراً لتتابعهما وعـدم انفصال الحشر عن البعث ، بل هو بعده مباشرة ، ولذلك فإن الحـديث عـن الحـشر متصل بالحديث عن البعث .

الأدلة النقلية على إثبات البعث :

---

(1) شرح العقائد العضدية : ٦٠٧/٢ .

(2) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٩٥/٥ .

وسيأتي بيان مذاهبهم في حقيقة البعث والحشر ، انظر ص(٨٦٧) من هذا البحث وما بعدها .

(3) شرح جوهرة التوحيد : ١٧٠ .

لما كان البعث أمراً غيبياً كان لابد من الاستدلال عليه بنص نقلي مـن الكتـاب والسنة ، وقد وردت آيات كثيرة في كتاب ا تعالى تدل على أن البعث حق لا ريـب فيه، وأنه لا بد من وقوعه ، ومحاسبة كل نفس بما كسبت ، إتماماً لعدله سبحانه وإثباتاً لحكمته تعالى في خلقه .

ويمكن تقسيم ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات المثبتة للبعث إلى عدة أقسام:

أولاً : إثبات المعاد والبعث والتأكيد على ذاك .

ثانياً : الرد على المنكرين والجاحدين للبعث ، والتأكيد على أن البعث حق وأنه لا بد أن يقع .

ثالثاً : إقامة الحجة العقلية ونصب الأدلة والبراهين على إثباته .

أولاً : إثبات المعاد :

والآيات التي دلت على ذلك كثيرة جداً ، منها قوله تعـالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ (٣) .

---

(1) سورة الحج ، آية : ٦-٧ .

(2) سورة الإنفطار ، آية : ٤-٥ .

(3) سورة العاديات ، آية : ٩-١١ .

وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ١٦ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ ٢٢ ﴾ [5] .

ثانياً : ما جاء في الرد على الجاحدين المنكرين للبعث والتأكيد على إثباته :

ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ إِن هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١٥ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ١٦ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ١٨ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ١٩ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ٢٠ ﴾ [6] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [7] .

---

(1) سورة يونس ، آية : ٤ .
(2) سورة المؤمنون ، آية : ١٥-١٦ .
(3) سورة الروم ، آية : ٤٠ .
(4) سورة النجم ، آية : ٤٧ .
(5) سورة عبس ، آية : ٢١ ، ٢٢ .
(6) سورة الصافات ، آية : ١٥-٢٠ .
(7) سورة النحل ، آية : ٣٨ .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ۝٢٤ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ۝٢٦ ﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلْ إِنَّ ٱلأَوَّلِينَ وَٱلأَخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠ ﴾ (2) .

وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ ﴾ (3) .

وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤ ﴾ (4) .

ثالثاً : الأدلة العقلية النقلية على إثبات البعث :

فقد جاء في كتاب ا تعالى أدلة نقلية عقلية متعددة الجوانب ، تخاطب العقـل ، وتستثير النفوس ، حتى تضطر العقول إلى الإقرار والإيمان بما تدعى إليه .

وأساس ذلك أن البعث أمر غيبي ، ولكنه ليس مستحيلاً عقلاً ، بل هو ممكن في حكم العقل ، ولكن لابد مع ذلك من إثبات إمكانه في الخارج ، وذلك أن غاية ما يـدل عليه الإمكان العقلي هو مجرد عدم العلم بامتناعه ، فيكون الـدليل عليـه هـو عـدم

---

(1) سورة الجاثية ، آية : ٢٤ – ٢٦ .

(2) سورة الواقعة ، آية : ٤٧ – ٥٠ .

(3) سورة التغابن ، آية : ٧-٩ .

(4) سورة القيامة ، آية : ٣ ، ٤ .

استحالته ، ولكن لا يلزم من عدم استحالته أن يكون متحققاً في الخارج ، بل قد يكـون ممكناً في العقل غير متحقق في الخارج .

أما الإمكان الخارجي فإنه يستلزم الإمكان العقلي ولا محالـة ، فـإن الإمكـان الخارجي إذا علم بطل أن يكون إمكانه الذهني ممتنعاً ، أما الإمكان الـذهني فإنـه لا يوجب أن يكون الشيء ممكناً ، فقد يكون الشيء ممتنعاً لغيره ، وإن لم يعلـم الـذهن امتناعه ، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (والإمكان الذهني حقيقتـه عـدم العلـم بالامتناع . وعدم العلم بالامتناع لا يستلزم العلم بالإمكان الخارجي ، بل يبقى الـشيء في الذهن غير معلوم الامتناع ، ولا معلوم الإمكان الخارجي) [1] .

وبما أن البعث من الأمور الغيبية غير المحسوسة ولا المـشاهدة فـلا يتحقـق الاستدلال على إمكانه الخارجي إلا بالاستناد على حقائق موجودة في الخارج ، مما هو محسوس وظاهر ، ولذلك فلابد من الاستناد إلى الواقـع المـشاهد لإثبـات الإمكـان الخارجي .

وذلك إنما يكون بأحد ثلاثة أوجه :

١- إثبات وجود البعث في الواقع .

٢- إثبات وجود نظيره في الواقع .

٣- إثبات وجود شيء في الخارج يكون البعث أولى منه وجوداً [٢] .

أولاً : الاستدلال العقلي على البعث بوقوعه في هذه الحياة الدنيا :

وهذا يعتمد على الوجود والعيان ، وهو أعظم الأدلة العقلية على البعث ، لأنه لا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده .

وقد ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم أمثلة لذلك ، وقص لنـا قصـصاً عمن أحياهم الله تعالى من الأموات في هذه الدنيا ، ومن ذلك :

---

(1) مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٨٦/٣ .

(2) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٨٦/٣ .

١- قصة طائفة بني إسرائيل الذين قالوا لموسى عليه السلام لن نؤمن لك حتى نرى ا جهرة ، فأخذتهم الصاعقة وأماتهم ا ثم أحياهم ، قال ا تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾ [1] ، والصعقة التي أخذتهم قد أماتتهم موتاً حقيقياً ، ثم بعثهم ا بعد موتهم ، لا أنهم صعقوا مع بقائهم أحياء ثم أفاقوا من الصعقة بعد ذلك ، لأن هذا معارض لظاهر الآية .

٢- قصة ميت بني إسرائيل ، حين أمر ا تعالى قوم موسى بأن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ، فأحياه ا كما قال : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [2] ، فكانت هذه معجزة لموسى عليه السلام ، وبياناً حياً مشاهداً للعيان لقدرة ا تعالى على البعث وإحياء الموتى ، يقول ابن كثير رحمه ا تعالى : (نبه تعالى على قدرته وإحياء الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل ، وجعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد) [3] .

٣- قصة الذين خرجوا من ديارهم خوفاً من الموت أن يدركهم لسبب ما ، فأماتهم ا ثم أحياهم وفي ذلك يقول تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [4] ، وفي ذلك دليل وآية على قدرة ا تعالى على البعث ، يقول ابن كثير : (فكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة) [5] .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٥٥-٥٦ .

(2) سورة البقرة ، آية : ٧٣ .

(3) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١١٣/١ .

(4) سورة البقرة ، آية : ٢٤٣ .

(5) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٩٩/١ .

٤- قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ليس بها أحد ، فوقف متفكراً فيما وصل إليه حالهم بعد العمارة ، فقال : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾ [1] ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال تعالى : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] ، وفي ذلك دلالة على إحياء الله للموتى ، فإن الله تبارك وتعالى لما بعثه بعد موته كان أول شيء أحياه الله فيه عينيه ، لينظر بهما إلى صنيع الله فيه كيف يحيى بدنه ، ونظر إلى طعامه وشرابه ، وإلى حماره كيف ركب الله عظامه بعضها على بعض ، حتى صار حماراً قائماً من عظام ، ثم كساها لحماً وعصباً وعروقاً وجلداً ، ثم رد إليه الحياة [3] .

قال ابن تيمية رحمه الله : (.. فقص هذه القصة التي فيها موت البشر مائة عام وموت حماره ، وبقاء طعامه وشرابه لم يتغير ولم يفسد ، وهو في دار الكون والفساد التي لا يبقى فيها في العادة طعام ولا شراب بدون التغير بعد هذه المدة ، وهذا يبين قدرته على إحياء الآدميين ، والبهائم ، وإبقاء الأطعمة والأشربة لأهل الجنة في دار الحيوان بأعظم الدلالات ..) [4] .

٥- قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ

---

(1) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٥٩ .

(2) سورة البقرة ، آية : ٢٥٩ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٣١٤/١ .

(4) درء تعارض العقل والنقل : ٣٧٦/٧ .

جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] ، فقد أمر ا تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بخلط الطيور بعد موتها ، ثم أمره أن يدعو تلـك الأطيار الميتة ، فأحياهن ا ، وجاءته سعياً إجابة لدعوته .

٦- إحياء عيسى عليه السلام للموتى بإذن ا فكان ذلك معجزة لعيسى من ناحيـة ، وبياناً لقدرة ا تعالى من ناحية أخرى .

قال ا تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [2] .

فهذه القصص والوقائع من أظهر الأدلة على البعث ، لأنه لا شـيء أدل علـى إثبات الشيء من وجوده ووقوعه ، فوقوع البعث في هذه الدنيا ، وكونه مـن الأمـور المحسوسة قطع لشبه المنكرين له ، لأنهم حينئذ ينكرون ما هو معلوم لهم بالضرورة ، ثم هو زيادة في إيمان المؤمنين به ، ولذا طلب إبراهيم عليه السلام ذلك مع أنه لم يشك في أمر البعث ، ولكنه قصد الانتقال من درجة الإيمان بأمر معقول وهو علم اليقـين ، إلى الإيمان بأمر مشاهد محسوس وهو عين اليقين ، ولذلك قـال : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ فالطمأنينة بالمحسوس المشاهد أقوى من الغيب المعقول [3] .

ثانياً : الاستدلال على البعث بوجود نظيره .

فإن الذين لا يسلمون بالوحي والرسالات قد لا يصدقون الوقائع المتقدمة ، لأنها من الوحي الذي لا يسلمون به ، ولهذا جاء الاستدلال العقلي على البعث بأدلة أخـرى

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٢٦٠ .

(2) سورة آل عمران ، آية : ٤٩ .

(3) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٣١٥/١ .

وانظر المعرفة في الإسلام ، د. عبد ا القرني : ٥٦٢ ، ٥٦٣ .

عامة لكل أحد ، وهي دلائل حسية قاطعة لا يمكن الشك فيها ، وهذا هو طريق الاعتبار والقياس [1] .

وفي ذلك إثبات قدرة ا تعالى على إحياء الموتى ، لأن قدرته على إحياء النبات بعد نزول المطر ، وإحياء الأرض بعد موتها ، نظير إحياء الموتى من قبورهم وإخراجهم منها ، وفي ذلك يقول ا تبارك وتعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ ﴾ [1] .

---

(1) انظر درء تعارض العقل والنقل : ٣٧٨/٧ .

(2) سورة فاطر ، آية : ٩ .

(3) سورة فصلت ، آية : ٣٩ .

(4) سورة الزخرف ، آية : ١١ .

(5) سورة الأعراف ، آية : ٥٧ .

فخلق الحياة في النبات هو نظير خلق الحياة في الناس بعد موتهم ، والقادر على أحد النظيرين قادر على الآخر .

ومما جاء في الاستدلال بهذا الوجه على البعث ، حديث أبي رزين [٢] رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله ، كيف يحيى الله الموتى ؟ قال : أو ما مررت بوادي قومك محلاً ، قال : بلى ، قال : ثم مررت به يهتز خضراً ، كذلك يحيي الله الموتى ، وذلك آيته في خلقه [٣] .

وجاء حديث آخر من رواية لقيط بن عامر ، وهو أبو رزين راوي الحديث السابق أنه سأل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يجمعنا بعدما تفرقنا الرياح والبلى والسباع ؟ قال : (أنبئك مثل ذلك في آلاء الله عز وجل ، الأرض أشرقت عليها وهي مدرة بالية ، فقلت : لا تحيى أبداً ، ثم أرسل ربك عز وجل عليها السماء ، فلم تلبث عليك إلا أياماً ، ثم أشرقت عليها وهي شربة واحدة ، ولعمرو إلاهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فتخرجون من الأصواء ، إلى مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم ..) [٤] ، يقول ابن القيم في شرح الحديث : (فيه إثبات القياس

---

[1] سورة ق ، آية : ٩-١١ .

[2] لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر العامري أبو رزين العقيلي ، وافد بني المنتفق . انظر الإصابة ، لابن حجر : ٣١١/٣ .

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك : ٥٦٠/٤ ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي : (رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله موثوقون) مجمع الزوائد : ٧٥/١ ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة : (٢٩٠) ، وذكره بنحو ما تقدم ابن كثير في تفسيره : ١١٣/١ ، ونسبه إلى أبي داود الطيالسي ، ولم يتكلم عليه .

[4] أخرجه أحمد في المسند : ١٣/٤ ، وعبد الله بن أحمد في السنة : ٤٨٥/٢ .

وقال الهيثمي : (رواه عبد الله والطبراني بنحوه ، وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات ، والإسناد الآخر ، وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط ..) مجمع الزوائد : ٣٤٠/١٠ .

وأخرجه الحاكم في المستدرك : (٥٦٠/٤) وقال : (هذا حديث جامع في الباب صحيح الإسناد كلهم مدينون ولم يخرجاه) وتعقبه الذهبي فضعف يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري .=

=وعظم ابن القيم شأن هذا الحديث وقال فيه : (هذا حديث كبير جليل ، ننادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة .. رواه أئمة أهل السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول ، وقابلوه بالتسليم والانقياد ، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته) .

في أدلة التوحيد والمعاد ، والقرآن مملوء منه ، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره ، وأنه سبحانه إذا كان قادراً على شيء ، فكيف تعجز قدرته على نظيره ومثله) [١] .

ثالثاً : الاستدلال على البعث بما يكون البعث أولى بالوجود منه .

ويستند ذلك على القياس بطريق الأولى ، فتارة يستدل ا تبارك وتعالى بالنشأة الأولى على الإعادة ، وأنها أهون من الابتداء ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ٦٧ ﴾ [٢] .

وقال تعـالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [٥].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ٥١ ﴾ [٦] .

ونقل عن ابن مندة قوله فيه : (لم ينكره أحد ولم يتكلم في إسناده ، بل ردوه على سبيل القبول والتـسليم ، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة) زاد المعاد : ٣/٥٧٧-٦٧٨ ، وانظر مختـصر الصواعق المرسلة : ٣٩٤-٣٩٥ .

(١) زاد المعاد : ٣/٦٨١ .

(٢) سورة مريم ، آية : ٦٦-٦٧ .

(٣) سورة يس ، آية : ٧٨-٧٩ .

(٤) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

(٥) سورة ق ، آية : ١٥ .

(٦) سورة الإسراء ، آية : ٥٠-٥١ .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [1] ، وغيرها كثير في كتاب ا ، فالذي خلـق الناس من عدم قادر على بعثهم بعد موتهم من باب أولى ، ومن أنكر البعث فعليـه أن ينكر الخلق الأول من باب أولى ، ومن أثبت الخلق الأول وصدقه عليه أن يثبت البعث من باب الأولى ، لأن إثبات خلق ا للإنسان لا يمكن معه إنكار أن يبعثه حياةً أخرى ، فمن أقر با خالقاً له لا يمكنه التكذيب بالبعث ، وهذه الحجة قاطعة لكل شـبهة ، فإنـه لا ينكر البعث إلا من أنكر الخلق الأول ، وإنكار الخلق الأول معارضة للـضروريات ، ولهذا أخبر تعالى أنه ليس لأحد شبهة في إنكار البعث مع هذه الحجـة فقال : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝ ﴾ [2].

ولذلك فإن إنكار البعث تكذيب تعالى ، لأن من أقر بأن ا هو الـذي خلقـه فكيف ينكر أن يبعثه إلا إذا كذب ما يعلم من نفسه أنه حق لا يمكن إنكاره .

وعلى هذا المعنى جاء الحديث القدسي الذي فيه : (قال ا تعالى : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ..) [3] .

وتارة يستدل بقدرته على خلق السماوات والأرض ، وأن خلقهما أهون عليه من الإعادة ، وهذا طريق القياس الأولى أيضاً .

لأن خلق السماوات والأرض خلق عظيم ، فمن كان قادراً على ذلك الخلق مـع عظمتـه ، فهو قادر على إعادة الأموات من باب أولى ، ومما ورد فـي ذلـك قولـه

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤ .

(2) سورة الإسراء ، آية : ٤٩-٥١ .

(3) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، باب وامرأته حمالة الحطب : ١٩٠٣/٤ من حديث أبي هريـرة رضـي ا عنه.

تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] .

قال تعـالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [3] ، والمراد بقدرته علـى خلق مثلهن هو قدرته على إعادتهم ، وليس المراد بأنه يخلق بشراً مثلهم في هذه الدنيا ، فإن المشركين لم ينازعوا في أن ا تعالى خالقهم وخالق أمثالهم ، فإن هذا معلوم عنـدهم بالضرورة ، ولذلك احتج الباري تبارك وتعالى عليهم بالنشأة الأولى على قدرته علـى النشأة الآخرة كما تقدم قريباً ، وإنما كان النزاع في البعث فأخبر ا تعالى أنـه قـادر على أن يخلق مثلهم في الآخرة [4] ، واستدل في هذه الآية بقدرته على خلق السماوات والأرض ، وأن القادر على خلقهما قادر على إعادة الخلق بعد الموت من باب أولى .

ومن الأدلة العقليـة على البعث هو مقتضى الإيمان بحكمة ا تعـالى وتمـام عدله ، وأنه لم يخلق الخلق عبثاً ، ولن يتركهم سدى بلا جزاء ولا حساب ، فا تبارك وتعالى إنما خلق السماوات والأرض ومن فيهن بالحق ، ولا يتحقـق ذلـك الحـق إلا بالجزاء والحساب ، وإلا كان ذلك الخلق عبثاً .

---

(1) سورة يس ، آية : ٨١ .

(2) سورة الأحقاف ، آية : ٣٣ .

(3) سورة الإسراء ، آية : ٩٩ .

(4) انظر مجموعة الفتاوى : ١٧ ، ١٣٩ .

ولذلك فقد قرن تعالى بين خلق السماوات والأرض بـالحق ، وبـين الجـزاء والحساب الذي يتحقق بعد بعث الخلائق يـوم القيامـة فقـال : ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [1] .

ولذلك فقد جعل ا سبحانه وتعالى نفي البعث قدحاً في حكمته حيـث قـال : ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾ [2] ، ومما يدل على أن حكمته تعالى تقتضي أن يبعث الخلـق يوم القيامة ويجازيهم على أعمالهم قوله تعـالى : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨ ﴾ [3] ، فالتكذيب بالدين وهـو البعـث والجـزاء والحـساب الأخروي طعن في حكمة ا تعالى في خلقه ، ومن أثبت حكمة ا تعالى فلابد له من أن يثبت الجزاء والحساب .

وبذلك يتبين ما من حجـة عقلية على البعث إلا وقد جاءت بها النصوص على أتـم وجه ، فكانت أدلة نقلية عقلية في آن واحد .

وبذلك يتبين أن الاستدلال على البعث جاء بحجج عقلية ونقلية في آن واحـد ، وفي ذلك تأكيد على وقوع البعث في الآخرة وذلك لتوفيه العباد أعمالهم بالجزاء العادل .

---

(1) سورة الجاثية ، آية : ٢٢ .

(2) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥-١١٦ .

(3) سورة التين ، آية : ٧-٨ .

المبحث الثاني :

صفة البعث والحشر .

صفة البعث :

ذهب سلف الأمة إلى أن البعث إنما يحدث للعباد بأن يعيد ا سبحانه وتعـالى الجسد مرة أخرى ،

فا سبحانه وتعالى يعيد جسد الإنسان بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب ، كمـا جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي ا عنه ، قال : قال رسول ا ﷺ : (ليس من

الإنسان شيء إلا يبلى ، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلـق يـوم القيامة) [١] ،

ويستند ذلك إلى إمكان استحالة الأجسام وانقلابها من حال إلى حال ، وذلك مما هو مشاهد وظاهر لا يخفى ، فالثمر الذي يرى في الشجر إنما خلقه ا تعـالى بقلـب المادة التي يخرجها من الشجرة من الرطوبة مع الهواء والماء الذي نزل عليها وغيـر ذلك من المواد التي تتكون معه فيقلبها ا تعالى ثمرة بمشيئته وقدرته ، وكذلك النـار يخلقها ا تعالى بقلب بعض أجزاء الزناد ناراً ، ونفس تلك الأجزاء خرجت من الشجر الأخضر ، من غير أن يكون في الشجر الأخضر نار أصلاً ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [٢] ، وكذلك الإنـسان ، فإن ا تعالى خلق آدم من طين ، فقلب حقيقة الطين ، فجعلها عظاماً ولحماً ، كذلك العلقة تنقلب مضغة ثم عظاماً وغير عظام ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝ ﴾ [٣] ، وكذلك الإعادة ، فإن ا تعالى يعيد الإنسان بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب ، كما ثبت في الحديث الصحيح [٤] ، فالنشأة الثانية إنما هي إعادة للنـشأة الأولى ، ويدل على أنها إعادة ما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [5] ، وقال عز من قائل حكـيم : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ

---

(1) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير : باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً : ١٨٨١/٤ .
ومسلم ، كتاب الفتن : باب ما بين النفختين : ٢٢٧٠/٤ واللفظ للبخاري .

(2) سورة يس ، آية : ٨٠ .

(3) سورة المؤمنون ، آية : ١٢ – ١٦ .

(4) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٣٨/١٧ .

(5) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [1] ، وفي الصحيحين عن النبـي ﷺ أنه قال : (يحشر الناس حفاة عراة غرلاً ، ثم قرأ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [2]) [3] ، والإعادة التي أخبر ا تعالى عنها في كتابه الكريم ، وأخبر عنهـا رسـوله ﷺ هـي الإعـادة المعقولة من الخطاب ، وهي الإعادة التي يفهمها الناس ، وفهمها المسلمون والمشركون عن رسول ا ﷺ ، وهي التي يدل عليها لفظ الإعادة [4] ، فالمعاد في النشأة الثانية هـو الأول بعينه ، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البدأة فرق .

فالنشأة الأولى والنشأة الثانية نوعان ، تحت جنس واحـد ، يتفقـان ويتمـاثلان ويتشابهان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر ، فالنشأة الأولـى كانـت فـي بطون الأمهات ، وكان الإنسان فيها نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقـة ثـم نفخت فيه الروح .

أما النشأة الثانية فلا تكون في بطون الأمهات ولا من أصلاب الرجال ، ولا يمر الإنسان بما مر به في النشأة الأولى من التقلب من حال إلى حال ، بـل تكـون نـشأة أخرى .

والنشأة الأولى جعلها ا تعالى ، خلقة فساد وفناء إنما هي ملائمة للحياة الدنيا ، أما النشأة الثانية فهي خلقة باقية دائمة ملائمة لدار الخلود والبقاء ، ولذلك نجد كثيراً من الآثار التي وردت في وصف المؤمنين والكافرين في الآخرة مما لا عهد لنا بـه فـي

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤ .

(2) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤ .

(3) أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول ا واتخذ ا إبراهيم خليلاً : ١٢٢٢/٣ من حـديث ابـن عبـاس رضي ا عنه .

ومسلم ، كتاب الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة : ٢١٩٤/٤ من حديث عائشة رضي ا عنها ، واللفظ له .

(4) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ١٤٢/١٧ .

الدنيا ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال من أهل الجنـة أنهـم (لا يبـصقون فيهـا ولا يتمخطون ولا يتغوطون .. ورشحهم المسك) [1] .

وجاء عن الكافر أن ضرسه مثل جبل أحد [2] ، وإذا كانت النشأة الثانيـة هـي إعادة للنشأة الأولى فإن ظاهر الأحاديث يتنافى مع هذا القول ، والواقع أنه لا تنافي ولا تناقض بين ذلك ، فا سبحانه وتعالى تارة يخبر بأنه يعيد الخلق حيـث قـال : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [3] ، وتارة يخبر أن الثاني مثل الأول ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝٩٩ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ ﴾ [6] .

---

(1) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة : ١١٨٦/٣ .
ومسلم ، كتاب الجنة ، باب في صفات الجنة وأهلها : ٢١٨٠/٤ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه واللفظ له.
(2) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الـضعفاء : ٢١٨٩/٤ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .
(3) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤ .
(4) سورة الإسراء ، آية : ٩٨ ، ٩٩ .
(5) سورة يس ، آية : ٨١ .
(6) سورة الواقعة ، آية : ٥٨ ، ٦١ .

والمراد بقدرته أن ا سبحانه وتعالى جعل المعاد هو المبدأ تارة ، وجعل المعاد مثل المبدأ تارة أخرى ، وذلك باعتبار أن المبدأ والإعادة متفقان من وجه فهـو هـو ، وباعتبار الفرق بينهما ، فهو مثله ، وكل ما أعيد فإنه كذلك [١] .

ويضرب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى مثالاً لذلك وهـو أنـه يقـال للرجل أعد كلامك ، وأعد الدرس ، فالكلام هو الكلام ، والدرس هو الدرس ، وإن كان صوت الثاني وحركته غير صوت الأول وحركته ، وكذلك من كسر خاتماً وغيره مـن المصوغ يقال له : أعده كما كان ، ويقال لمن هدم داراً أعدها كما كانت ، فالخاتم هـو الخاتم والدار هي الدار ، وهما متماثلان من وجه دون وجه .

يقول شيخ الإسلام رحمه ا : (والمعاد يقال فيه : هذا هو الأول بعينه ، ويقال هذا مثل الأول من كل وجه ، ونحو ذلك من العبارات الدالة على أنه هو هو من وجه ، وهو مثله من وجه) [٢] ،

وعلى ذلك فإن النشأة الثانية ليست كالأولى من كل وجه ، بل هي مثلهـا مـن وجه ، وهي هي من وجه .

ويستدل على إعادة النشأة الثانية ، وأنها كالأولى مع وجود بعض الفوارق ، بما يحصل للأشياء في هذه الدنيا من الاستحلالات والتقلبات من حال إلى حال ، فـالجنين يتقلب من حال إلى حال في بطن الأم حتى الخروج إلى الدنيا ، ثم هو في الدنيا يتقلـب من طفولة إلى شباب إلى شيخوخـة ، وبين كل مرحلة وأخرى اختلافات كبيرة بسبب الاستحلالات والتغيرات في نفس البدن ، ومع ذلك فإن الشخص هو هو ، وليس أحـداً غيره ، ومن رأى شخصاً وهو طفل ، ثـم رآه شاباً ثم شيخاً علم أن هذا هو ذاك ، مع أنه قد استحال من حال إلى حال ، وحدثت له من التغيرات ما هو ظاهر جلي .

---

(1) انظر مجموعة الفتاوى : ١٧ ، ١٣٩ – ١٤١ .

(2) مجموعة الفتاوى : ١٤٢/١٧ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفـي : ٤٠٤ ومـا بعـدها ، ٤٠٨ وما بعدها .

وكذلك سائر الأشياء والشجر والدواب مما هو موجود في الـدنيا فإنـه يتغيـر ويتبدل مع أنه هو بعينه ، وهذا يدل على أن ما ذكر من الاستحالة في النشأة الثانية ، لا ينافي أن يكون البدن الذي يعاد في النشأة الثانية هو هذا البدن .

ويدل على ذلك أن البدن المعاد يشهد بما عمل في الدنيا ، كما قال تعـالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [1] ،

والمقصود من كل ذلك أن النشأة الآخرة هي إعادة للنشأة الأولـى مـع وجـود الفرق بينهما ، وهذا هو مذهب السلف ، ومذهب أئمة المسلمين ، فإن ا تعالى قد أشار إلى هذا المعنى عندما أمر عباده بالتأمل في خلقهم حين قـال : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦ ﴾ [2] ، فأمر ا سبحانه الإنسان بـأن يتأمل في خلقه وانتقاله من نطفة إلى أخرى ، وتقلبه في أحوال الخلقة ، حتـى صـار إنساناً كاملاً ، وكذلك البعث فإنه يصير تراباً ورفاتاً ثم يبقى عجب الذنب ، ثم يعيده ا من المادة التي استحال إليها ، سواء كانت تراباً أو غيره ، ثم ينشئه ا تعـالى بطريقـة لا نعلمها ، كما قال عز من قائل : ﴿ وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾ [3] ، والنشأة الثانيـة لا تحتاج إلى شيء من هذه الاستحالات التي كانت في النشأة الأولى .

وإذا كانت حقيقة البعث هي إعادة للنشأة الأولى ، فإن المعاد هو البدن والـروح معاً ، وهما اللذان يحشران معاً ، وهذا القول مشهور عن السلف ، فإنهم مقرون بعـود الروح إلى الجسد في القبور والإقرار بعودها عند البعث من باب أولى ،

وقد صرح بذلك العلماء ، يقول ابن تيمية في الواسطية عند حديثه عن البعث : (فتعاد الأرواح إلى الأجساد) .

---

(1) سورة يس ، آية : ٦٥ .

(2) سورة المؤمنون ، آية : ١٢-١٦ .

(3) سورة الواقعة ، آية : ٦١ .

وقد أورد ابن كثير حديثاً مطولاً جاء فيه : (ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول : ليحي جبريل وميكائيل ، فيحييان ، ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة ، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها في الصور ، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث ، فينفخ نفخة البعث ، فتخرج الأرواح كأنها النحل وقد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول : وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده ، فتدخل في الأرض إلى الأجساد ، فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد ، كما يمشي السم في اللديغ ، ثم تنشق الأرض عنهم) [1] ، وهذا الحديث قد تكلم فيه بعض الأئمة ، وقال ابن عثيمين رحمه الله تعالى وهو يشرح الواسطية عند الإشارة إلى قول السلف في عود الروح إلى البدن قال : (وذلك أن الله يأمر إسرافيل فينفخ في الصور ، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض ، إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه مرة أخرى فتتطاير الأرواح من الصور إلى أجسادها ، وتحل فيها) . ثم قال : (وفي قول المؤلف : " إلى الأجساد " إشارة إلى أن الأرواح لا تخرج من الصور إلا بعد أن تتكامل الأجساد المخلوقة ، فإذا كملت خلقتها ، نفخ في الصور ، فأعيدت الأرواح إلى أجسادها) [2] . وهذا القول إشارة إلى حديث الصور المشهور ، ولم أقف على نص آخر يبين كيف تعاد الأرواح إلى الأجساد ، والأولى عدم الخوض في هذه المسألة لكونها من الغيب الذي لم يأت تفصيله . وإنما تؤمن الإعادة كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

---

(1) وهذا الحديث حديث طويل جداً ساقه ابن كثير بطوله ، وهو حديث الصور المشهور ، ثم قال رحمه الله تعالى : (هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة ، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة ، وقد اختلف فيه : فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس ، ومنهم من قال هو متروك .
ثم قال رحمه الله تعالى : (قلت وقد اختلف عليه إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة ، وأما سياقه فغريب جداً ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك ، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول : إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث ، فالله أعلم) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٣٩/٢ .

(2) شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ١٧٥/٢ .

ثم يلي البعث والخروج من القبور الحشر وهو سوق الخلائـق جميعهـا إلـى الموقف كما تقدم ذلك ،

وقد دل على ثبوت الحشر نصوص الكتاب والسنة ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [4] .

وقال تعـالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ٨٦ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [6] .

وقد صح عن عائشة رضي ا تعالى عنها أنها قالت : سمعت رسول ا ﷺ يقول : (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ، قلت : يا رسول ا النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال ﷺ : يا عائشة ، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعـض) [7] ، وروى ابن عباس رضي ا عنهما فقال : خطب رسول ا ﷺ فقال : (يا أيها الناس إنكـم

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ٧٢ .

(3) سورة يونس ، آية : ٤٥ .

(4) سورة الحجر ، آية : ٢٥ .

(5) سورة مريم ، آية : ٨٥ ، ٨٦ .

(6) سورة طه ، آية : ١٠٢ .

(7) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة : ٢١٩٤/٤ .

محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ، ثم قـال : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [١] ..) [٢] .

وحشر الناس إلى الموقف وسوقهم إليه للوقوف بين يدي الله ، لتوفية العباد جـزاءهم ومحاسبتهم على أعمالهم ، يكون حشراً طويلاً تختلف فيه أحوال الخلق وأوضاعهم ، استناداً على أعمالهم في الدنيا ، ويدل على ذلك أحاديث صحيحة وردت في بيان أحوال الناس فـي أرض الحشر [٣] . وسيأتي بيان ذلك في المبحث القادم إن شاء الله تعالى [٤] .

مذهب المعتزلة في صفة البعث والحشر :

اتفق المعتزلة على إثبات الإعادة والبعث ، بل قد أوجب المعتزلة البعث ، بنـاء على أصلهم في إيجاب كل فعل حسن على الله تعالى ، ولأن من له حق على الله تعالى

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤ .

(2) سبق تخريجه ص(٨٥٦) .

(3) عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ، عفراء كقرصة النقي ، قال سهل - أو غيره - : ليس فيها معلم لأحد) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، بـاب يقبض الله الأرض يوم القيامة : ٢٣٩٠/٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب في البعث والنشور : ٢١٥٠/٤ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض) .

أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة : ١٨١٢/٤ .

وصحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار : ٢١٤٨/٤ .

وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري ، وكذلك الطبري في تفسيره أقـوالاً كثيـرة فـي وصـف أرض المحـشر وحقيقتها.

ثم قال الطبري : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال معناه : يوم تبدل الأرض – التي نحن عليها اليوم – يوم القيامة غيرها ، وكذلك السماوات اليوم ، تبدل غيرها ، كما قال جل ثناؤه ، وجائز أن تكون المبدلة أرضاً أخرى من فضة ، وجائز أن تكون ناراً ، وجائز أن تكون غير ذلك ، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجـه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون ، فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيـل) جـامع البيـان ، للطبري : ٢٥٤/١٣ ، وانظر فتح الباري ، لابن حجر : ٣٧٥/١١ وما بعدها .

(4) انظر ص (٨٧٤) من هذا البحث .

من ثواب أو عقاب أو عرض ، فإن ذلك لا يمكن توفيره إلا بالإعادة ، فهـي واجبـة عندهم ، لأن الواجب لا يتم إلا بها ، يقول القاضي عبد الجبار : (إن الأجسام إذا أفناها الله تعالى فيجب أن يصح أن يعيدها كما صح أن يحدثها) [1] ، ويقول ابن متويه [2] : (اعلم أن كل من تجب إعادته فهو كل من له حق على الله عز وجل من ثواب وعوض ، فإذا كان لا يمكن توفيره إلا بالإعادة وجبت ، لأن الواجب ليس يتم دونها) [3] .

ويستدل المعتزلة على وجوب البعث بأدلة نقلية من كتاب الله تعالى ومن سـنة رسوله ﷺ ، كما استدلوا أيضاً بأدلة عقلية ، هي قياس الأولـى ، وقيـاس الـشمول ، فالبعث عندهم حق يجب اعتقاده والإقرار به [4] .

وما أورده المعتزلة من أدلة على البعث متفق مع ما استدل به السلف ، ذلك أن الإيمان باليوم الآخر والبعث أمر يقر به جميع المسلمين .

ورغم اتفاق المعتزلة على إثبات البعث ، فإنهم افترقوا في كيفية الإعادة إلى فريقين :

الأول : مذهب جمهور المعتزلة ، وهو أن إعادة المعـدوم جـائزة ، وهـؤلاء افترقوا أيضاً إلى قسمين :

١- القائلون بأن الجواهر المعدومة شيء ، فإذا عدم الجوهر بقيت ذاته فـأمكن أن يعاد ، فالجواهر المعدومة تعود إلى ما كانت عليه في الأول وهو العدم ،

وهؤلاء يرون أن الجواهر جزء من العالم سواء أكـان الجـوهر موجـوداً أم معدوماً ، والفـرق بينهما أن الجوهر المعدوم فاقد صفة الوجود ، فإذا اتصف بالوجود

---

(1) المغني في أبواب التوحيد والعدل : ٤٥٥/١١ .

(2) الحسن بن أحمد بن متويه على بن عبد الله بن عطية بن محمد النجراني ، من تلاميذ القاضي عبد الجبار ، جمع كتاب شيخه (المحيط بالتكليف) ، توفي سنة ٤٦٩هـ . انظر : شرح العيون للجشمي ، مطبوع ضمن فضائل الاعتزال وطبقات المعتزلة : ٣٨٩ .

(3) التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض : ٢٤٤-٢٤٥ .

(4) انظر شـرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٧٣٥ وما بعدها ، وانظـر الكـشاف ، للزمخـشري : ٣٧٦/٢ ، ٢٥/٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٤/٣ ، ٣٩٢/٣ ، ١٩/٤ .

وجد ، وإذا فقدها بالموت أو الفناء انتقل إلى مرتبته القديمة التي هي العدم ، فالإعـادة عندهم ما هي إلا ضرب من تأخير إيجاد المعاد [١] .

٢- القائلون بأن الجواهر المعدومة ليست شيئاً ، فالجوهر المعدوم عندهم منتف بالكلية مع إمكان الإعادة ، وإعادة البدن عندهم ممكنة ، وا تعالى قادر عليها ، وعلى ذلك جمهور المعتزلة [٢] ، وهذا الفريق بقسميه يرى أن البعث إعادة للبدن الأول ، وأن النشأة الثانية إعادة للنشأة الأولى سواء كان المعدوم شيئاً أم أنه منتف بالكلية .

الثاني : مذهب بعض المعتزلة ، وهو أن إعادة المعدوم مستحيلة وغير جـائزة ، وذلك أن العدم عندهم هو تفرق الجسم ، وإعادته هو تأليفه وجمع أجزائه من جديـد ، وهؤلاء يرون أن إعادة المعدوم مستحيلة [٣] ، وينسب هذا القول إلـى أبـي الحـسين البصري ، ومحمود الخوارزمي [٤][٥] ، وهؤلاء يرون أن الإعادة هي جمـع أجـزاء الجسم المتفرقة ، يقول الجرجاني في تقرير مذهب هذه الطائفـة : (.. أبي الحـسين البصري ومحمود الخوارزمي من المعتزلة ، فـإن هـؤلاء ، وإن كانـوا مـسلمين معترفين بالمعاد الجسماني ينكرون إعادة المعدوم ويقولون : إعادة الأجسام هي جمـع أجزائها المتفرقة) [٦] .

ثم إن المعتزلة اختلفوا بعد ذلك فيما يعاد من الجسم ، هل كل جواهره وأعراضه تعاد ؟ أم أجزاء مخصوصة فقط ؟

---

(١) ينسب القول بشيئية المعدوم إلى يوسف بن عبد ا بن إسحاق الشحام المتوفي سنة ٢٦٧هـ وهو أحـد رجـال المعتزلة ، وتابعة على ذلك بعض المعتزلة ومنهم الخياط ، انظر في ذلك المعتزلة ، جار ا : ٦٦ ، ٦٨ . وانظر التصور الذري في الفكر الفلسفي ، لأبو زيد : ٣٣٠ ، وانظر التذكرة في أحكام الجواهر والأعـراض ، لابن متويه : ٢٣٧ .

(٢) انظر التصور الذري في الفكر الإسلامي ، لأبو زيد : ٣٣٠ ، والأربعين في أصول الدين ، للرازي : ٥٠/٢ .

(٣) انظر المصدر نفسه : ٣٣٠ .

(٤) المعروف بالزمخشري ، صاحب الكشاف .

(٥) انظر الكشاف : للزمخشري : ٤٥٩/٤ .

(٦) شرح المواقف ، للجرجاني : ٤٦٩/٣ .

فذهب بعضهم إلى أنه يجب في الإعادة أن يعود الجسم بسائر أجزائه وأبعاضه وأعراضه ، وهذا قول أبي علي الجبائي ، يقول ابن متويه : (فأما القدر الواجب في إعادة من له أو عليه حق ، فهو القدر الذي لابد منه في كونه حياً على ما قاله أبو هاشم ، دون ما قاله أبو علي في كتاب (الإنسان) من وجوب إعادة سائر الأبعاض ، حتى قال فيمن قطعت يداه : أنه يجب إعادتها بعينها ، وقد استبعد أبو هاشم هذه الحكاية عنه)[1].

أما الذي عليه أكثر المعتزلة فهو إعادة أجزاء لازمة يكون الإنسان بها حياً ، والحي هو الجسم المبني بنية مخصوصة ، وإنما يوصف بأنه حي إذا اختص ، لأجل وجود الحياة بصفة مخصوصة يصح معها أن تدرك وتحس ، فإذا صح فلابد أن تعتبر أجزاؤه في الإعادة ، كما لابد من اعتبارها في البقاء ، ولذا جعل المعتزلة للإنسان عدداً من الأجزاء والجواهر لابد منها ، ولا يخرج عن كونه حياً أن تقطع يده ورجله ، بل لابد من اعتبار صورة لبنية مخصوصة في أقل الأجزاء التي معها يكون حياً ، وأن الواجب هو إعادة أقل ما يمكن معه أن يكون حياً ، وما عدا ذلك فا تعالى مخير فيه !!

والمعاد هو ما يطلقون عليه الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره[٢].

وقد أثار القاضي عبد الجبار عدة شبهات حول إعادة الأجسام ، وأجاب عليها ، ثم قرر أن المعتبر في الإعادة هي الأجزاء الأصلية من الإنسان ، وهي ما يصير بها الإنسان حياً ، وأن ذلك كاف في إيصال ما يستحقه العبد من الثواب أو العقاب أو العوض ، وهذا ما أكده التفتازاني عند تقريره لمذهب المعتزلة حيث قال : (والمعتزلة يدعون إثباته – البعث – بل وجوبه بدليل العقل ، وتقريره أنه يجب على ا ثواب المطيعين ، وعقاب العاصين ، وأعواض المستحقين ، ولا يتأتى ذلك إلا بإعادتهم بأعيانهم ، فيجب لأن ما لا يتأتى الواجب إلا به واجب ، وربما يتمسكون بهذا في وجوب الإعادة على تقرير الفناء ، ومبناه على أصلهم الفاسد في الوجوب على ا تعالى ، وفي كون ترك الجزاء ظلماً لا يصح صدوره من ا تعالى ، مع إمكان

---

(1) التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض : ٢٤٥ .

(2) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار : ٤٦٧/١١-٤٧٦ ، والتصور الذري في الفكر الفلسفي ، لأبو زيد : ٣٣٩ .

المناقشة في أن الواجب لا يتم إلا به ، وأنه لا يكفي المعـاد الروحـاني فـي ذلـك ، ويدفعون بان المطيع والعاصي هي هذه الجملة أو الأجزاء الأصلية ، لا الروح وحده ، فلا يصل الجزاء إلى مستحقه إلا بإعادتها) [1] .

([1]) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٩١/٥ .

مذهب الأشاعرة في صفة البعث والحشر :

اتفق الأشاعرة على أن الموت حق ، وأن الساعة حق ، وأن ا يبعث الموتى ، وأن ا تعالى يعيد الأرواح إلى الأجساد يوم الحشر [١] ، وذهبوا إلى إثبـات المعـاد الجسماني والروحاني معاً ، قال التفتازاني : (وحقيقة المعاد توجه الشيء إلى ما كـان عليه ، والمراد هاهنا : الرجوع إلى الوجود بعد الفناء . أو رجوع أجزاء البـدن إلـى الاجتماع بعد التفرق ، وإلى الحياة بعد الموت ، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة ..) [٢] .

وقال الرازي : (أعلم أن مذهب أصحابنا : أن ا يفني الأشياء ، ثم أنه يعيدها بأعيانها ..) [٣] ، وقال : (الحشر : الجمع ، ويوم القيامة جمع الأجزاء بعضها إلـى بعض ، وجمع الأرواح مع الأشباح ، أي بجمع بين كل روح وجسدها ، وجمع الأمـم المتفرقة ، والرمم المتمزقة ، والكل واحد في الجمع ..) [٤] .

واستدل الأشاعرة على إثبات البعث بأدلة نقلية وأخرى عقلية .

واستدلوا على جواز الإعادة بصحة الشيء على صـحة إعادتـه ، وباسـتحالة الشيء على استحالة مثله ، فإذا كان ا تعالى قادراً على خلق الإنسان ، فـذلك دليـل على قدرته سبحانه على إعادته مرة أخرى بعد موته ،

وقد استخدم هذا الدليل ، أبو الحسن الأشعري ، واسـتخدمه البـاقلاني وإمـام الحرمين [٥] .

---

(1) انظر الإرشاد ، للجويني : ٣٧٣ ، والمواقف ، للإيجي : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، وأصول الدين ، للبغـدادي : ٢٣٢ ، وشرح المقاصد ، للتفتازاني : ٩٢/٥ .

(2) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٨٢/٥ .

(3) لوامع البينات ، للرازي : ٣٠١ ، والاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي : ١٣٣-١٣٥ ، وشرح العقائد العـضدية : ٦٠٦/٢-٦١٩ .

(4) التفسير الكبير ، للرازي : ١٩٠/٢٨ .

(5) انظر التمهيد ، للباقلاني : ١٢٠ ، والإرشاد ، للجويني : ٢٧١ ، ٢٧٢ .

كما استخدم الأشاعرة في إثبات البعث دليل المساواة وهو قياس التمثيل[1] ، كما استدلوا بإمكان وجود الأقل الأصغر والأسهل على الأعظم والأكبر ، وهو قيـاس الأولـى ، واستخدم هذا الدليل ، الآمدي ، والجويني ، والرازي [2] .

ولذلك فالأشاعرة متفقون على صحة الإعادة والبعث ، وأنها جائزة من طريـق العقل ، واجبة من جهة الشرع ، يقول البغدادي : (قال أصحابنا : إنها – أي الإعـادة – من طريق العقل جائزة ، ومن طريق الخبر واجبة) [3] .

ورغم اتفاق الأشاعرة على صحة الإعادة ، إلا أنهم اختلفوا في كيفية الإعادة ، نظراً إلى اختلافهم في حقيقة الإنسان ، وتأثرهم بنظرية الجوهر الفرد التي بنوا عليهـا أصل دينهم في الابتداء والإعادة .

ولذلك نجد أن الأشاعرة قد افترقوا إلى ثلاثة أقوال :-

١- القول الأول :

ذهب إليه بعض الأشاعرة ، وهو أن ا تعالى يعدم الذوات ، ثم يعيـدها بأعيانهـا ، وينسب هذا القول للذين يرون جواز إعادة المعدوم ، وعلى ذلك فإن ا تعـالى قـادر على إعادة المعدوم بعينه ،

وقد ذهب إلى ذلك الأشعري ، والبغدادي ، والآمدي ، وهو أحد قولي الغزالي ، وصححه البيجوري ، يقول الأشعري : (باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصـول التي نبهوا بالأدلة عليها .. وأجمعوا على أن الأجساد التي أطاعت ، وعـصت ، هـي التي تبعث يوم القيامة ، وكذلك الجلود التي كانت في الدنيا ، والألـسنة ، والأيـدي ،

---

(1) انظر العقيدة النظامية ، للجويني : ٧٨ .

(2) انظر أبكار الأفكار ، للآمدي : ١٦٩/٢ ، والإرشاد للجويني : ٣٧٣ ، والعقيدة النظاميـة ، للجـويني : ٧٨ ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، للرازي : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(3) أصول الدين ، للبغدادي : ٢٢٧ ، وانظر شرح المواقف : ٤٦٨/٣ .

والأرجل ، هي التي تشهد عليهم يوم القيامة ..) [١] ، وقال أيضاً : (أكثر المسلمين بأن المبتدأ في الدنيا هو المعاد في الآخرة) [٢] .

ونقل الآمدي عن الأشعري ذهابه إلى جواز إعادة كل ما عدم من المخلوقات ذاتاً ووجوداً ، لا فرق بين الجواهر أو الأعراض ، فالإعادة جائزة عقلاً ، واقعة سمعاً لكل ما عدم من الحوادث [٣] ، كما نقل البغدادي ذلك فقال : (.. قال شيخنا : أبو الحسن الأشعري رحمه ا كل ما عدم بعد وجوده صحت إعادته جسماً كان أو عرضاً ..) [٤] ، وذهب الآمدي إلى ذلك فقال : (ومذهب أهل الحق من الإسلاميين : أن إعادة كل ما عدم من الحادثات فجائز عقلاً ، وواقع سمعاً ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون جوهراً ، أو عرضاً ، فإنه لا إحالة في القول بقبوله للوجود ، وإلا لما وجد ..) [5] ، وقال البغدادي : (المسألة الخامسة في هذا الأصل : في بيان ما يعاد من الأجسام والأرواح .. فقال المسلمون ، ... بإعادة الأجساد والأرواح ورد الأجساد إلى الأرواح على التعيين ، برجوع كل روح إلى الجسد الذي كان فيه) [٦] ،

وقال الغزالي : (.. أما الحشر ، فنعني به إعادة الخلق ، وقد دلت عليه القواطع الشرعية ، وهو : ممكن بدليل الابتداء ، فإن الإعادة خلق ثان لا فرق بينه ، وبين الابتداء ، وإنما يسمى إعادة بالإضافة إلى الابتداء السابق ، والقادر على الإنشاء والابتداء قادر على الإعادة) [٧] ،

وقال الدواني : (تحشر الأجساد ، وتعاد فيها الأرواح بإعادة البدن المعدوم بعينه – عند بعض المتكلمين – بل أكثرهم) [٨] ،

---

(1) رسالة الثغر ، للأشعري : ٨٩ .

(2) مقالات الإسلاميين ، للأشعري : ٤٧ .

(3) انظر أبكار الأفكار ، للآمدي : ١٦٦/٢ب .

(4) أصول الدين ، للبغدادي : ٢٣٣-٢٣٤ .

(5) غاية المرام في علم الكلام ، للآمدي : ٢٩٩ ، ٣٠١ .

(6) أصول الدين ، للبغدادي : ٢٣٥ .

(7) الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي : ١٣٣ – ١٣٥ .

(8) شرح العقائد العضدية ، للدواني : ٦٠٧/٢ .

وقال البيجوري : (يعاد الجسم : أي يعيده ا بعينه ، فالجسم الثاني المعاد هو الجسم الأول بعينه لا مثله ، وإلا لزم أن المثاب أو المعذب غير الجسم الذي أطـاع أو عصى وهو باطل بالإجماع .. عن عدم .. وقيل عن تفريق ، فعلى القول الأول يذهب ا العين والأثر جميعاً ، ثم يعيد الجسم كما كان ، وعلى القول الثاني يفرق ا أجزاء الجسم بحيث لا يبقى فيه جوهران فردان على الاتصال ، والصحيح القول الأول) [1].

ومن الأشاعرة من ذهب إلى صحة إعادة الأجسام مـع عـدم صـحة إعـادة الأعراض ، بناء على أن الأعراض لا تعاد إلا لمعنى ، فلو جاز إعادة الأعراض للزم أن يقوم المعنى بالمعنى ، وهو ممتنع عندهم كما تقدم .

ومن هؤلاء القلانسي [٢] كما حكـاه عنه البغـدادي في أصول الـدين ، حيـث قال : (وقال القلانسي من أصحابنا يصح إعادة الأجسام ، ولا يصح إعادة الأعراض ، وبناه على أصله في أن المعاد يكون معاداً لمعنى يقوم به ، ولا يـصح قيـام معنـى بالعرض ، فلذلك أنكر إعادته ..) [٣] .

٢- القول الثاني :

وهو القول بأن المعاد إنما يكون بجمع الأجزاء بعد تفرقها ، فا سبحانه وتعالى يفرق أجزاء البدن بالموت ، بحيث لا يبقى فيه جوهران فردان على الاتصال ، ويـوم البعث يعيد ا تعالى جمعها بعد تفرقها ، فقالوا : بأن الإعـادة هـي جمـع الأجـزاء الأصلية الباقية من أول عمر الإنسان إلى آخره وتأليفها كما كانت أولاً .

وهذا القول هو قول جمهور المتكلمين – معتزلة وأشاعرة – الذين قالوا بنظرية الجوهر الفرد ، وقولهم هذا مبني على قولهم باستحالة إعادة المعدوم ، فالمعدوم عندهم لا يعاد البتة ، وإنما الإعادة المقصودة هي جمع الأجزاء بعد تفرقها ،

---

(1) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، للبيجوري : ١٠٦ ، ١٠٧ .

(2) محمد بن الحسين بن بندار ، أبو العز القلانسي الواسطي ، مقرئ العراق في عصره ، ولد سـنة ٤٣٥هـ ، وتوفي سنة ٥٢١هـ . انظر الوافي بالوفيات : ٤/٣ ، الأعلام : ١٠١/٦ .

(3) أصول الدين ، للبغدادي : ٢٣٤ ، وانظر غاية المرام ، للآمدي : ٣٠٠ ، والإرشاد ، للجويني : ٣٧١ .

وهذا القول ذكره الدواني ، ونسبه إلى بعض المتكلمين [1] ، وذكـره الـرازي ونسبه إلى المتكلمين [2] .

٣- القول الثالث :

وهو التوقف ، فقد جعل أصحاب هذا القول إعادة الجواهر بعد عدمها جـائزة ، وجمعها بعد تفرقها جائزاً ، دون تعيين أحدهما ، وقد ذهب إلى ذلك إمام الحـرمين ، والإيجي والتفتازاني .

قال إمام الحرمين : (فإن قيل : هل تعدم الجواهر ، ثم تعاد ؟ أم تبقى وتـزول أعراضها المعهودة ، ثم تعاد بنيتها ؟ قلنا : يجوز كلا الأمرين عقلاً ، ولم يدل قـاطع سمعي على تعيين أحدهما ..) [3] .

وقال الإيجي : (هل يعدم ا الأجزاء البدنية ثم يعيدها ؟ أو يفرقها ، ويعيد فيها التأليف ؟ الحق أنه لم يثبت ذلك ، ولا جزم فيه : نفياً ، ولا إثباتاً لعدم الدليل ..) [4] .

وقال التفتازاني : (.. واختلفوا في الحشر : إيجاد بعد الفناء ، أو جمـع بعـد التفرق والحق التوقف .. وهو اختيار إمام الحرمين) [5] .

---

(1) انظر شرح العقائد العضدية : ٦٠٧/٢ ، ٦١٥ ، ٦١٨ .

(2) انظر معالـم أصول الدين : ١١٨ ، ومحصل أفكـار المتقـدمين والمتـأخرين : ٣٣٩ ، والتفـسير الكبيـر : ١٠٩/٢٦ ، ١١٠ .

(3) الإرشاد ، للجويني : ٣٧٤ .

(4) المواقف ، للإيجي ، المطبوع مع شرحه : ٣٧٣/٣ ، ٣٧٤ .

(5) شرح المقاصد ، للتفتازاني : ٢١٥/٢ ، ٢١٦ .

نقد موقف المعتزلة والأشاعرة من صفة البعث :

اتفق المتكلمون على الإيمان بالبعث والإعادة بعد الموت ، وكـان وراء ذلـك اعتقادهم الجازم بعدل ا   سبحانه وتعالى ، وأن الجسم الذي عمل في الدنيا لابد أن يعـاد ، ليقع عليه الثواب أو العقاب أو غيرهما ،

واختلفوا في كيفية الإعادة نظراً لأصولهم في الجواهر والأعراض ، فالمتكلمون واقعون بين أمرين :

٤- لزوم الإعادة وتوفية الحقوق إثباتاً لعدل ا   تعالى .

٥- نظرية الجواهر والأعراض ، وما يتصل بها من أصول .

وعلى ذلـك فقد اضطربوا في كيفية البعث والحشر بين قائـل بجـواز إعـادة المعدوم ، وقائل بعدم جواز ذلك ، وإنما البعث هو جمع بعد تفرق .

والقائلون بجواز إعادة المعدوم أرادوا إصابة القصد من البعث ، بحيث يكـون المثاب أو المعاقب في الآخرة هو الفاعل في الدنيا بعينه لا غيره ، وهذا هـو عيـ ـن العدل ، أما لو كان مثله فلا يتحقق العدل حينئذ ، وهذا ما قاله أبو الحسن الأشعري – كما تقدم ذلك - [١] .

أما الذين رأوا أن إعادة المعدوم غير جائزة ، وجدوا أن جمـع الأجـزاء بعـد تفرقها كاف في تحقيق العدل ، وإيصال الثواب أو العقاب للعبد يوم القيامة ، وهذا مـا ذهب إليه بعض المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة .

والحق أن كلا القولين مجانب للصواب من وجه دون وجه ، فالمعاد في الآخرة هو الأول بعينه من وجه ، وهو مثله من وجه آخر ، فالنشأتان متفقتان ومتماثلتان مـن وجه ، ومختلفتان من وجه ، وهذا القول الذي ذهب إليه الـسلف ، تؤيـده النـصوص الصحيحة من الكتاب والسنة – وقد تقدم بيان ذلك - [٢] .

---

(1) انظر ص(٨٦٨) من هذا البحث .

(2) انظر ص(٨٥٥) من هذا البحث .

أما ما ذهب إليه المتكلمون فإنه قول يستند إلى نظرية فلسفية مبتدعة في دين ا .

ومن قال من المتكلمين أن الأجزاء تفرق ثم تجمع ، اعترض عليهم بالإنـسان الذي يأكله الحيوان ، وذلك الحيوان يأكله إنسان ، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا ، لم تعد من هذا ؟ وكذلك الإنسان الذي يتحال فماذا الذي يعاد ؟ أهو الذي كان وقت الموت ؟

فإن قيل بذلك ، لزم أن يعاد على صورة ضعيفة ، وهو خلاف ما جـاءت بـه النصوص ، وإن كان غير ذلك ، فليس بعض الأبدان بأولى من بعـض [1] ! فـادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية هي التي تجتمع فقط ، وهي تكفي فـي وصـول الثواب أو العقاب [2] .

ولكن الملاحظ على أقوال المتكلمين هو اعتقادهم بأهمية البعث والحشر تحقيقـاً للعدل ، وتوفية الجزاء على الأعمال ، وهذا لا خلاف فيه بينهم .

بل إن المعتزلة أوجبت ذلك لأهميته في جانب العدل ، بناء على أصـلهم فـي الإيجاب على ا تعالى .

والحق هو اعتقاد ما ذهب إليه السلف من إمكان الإعادة فـي الآخـرة للبـدن والروح معاً ، والإعادة الواردة في كتاب ا تعالى يفهم أن المعاد في الآخرة هو الأول بعينه وهو مثله أيضاً . أما إقحام العقل فيما لا مجال له من أمور غيبية فهـو أسـاس البدع والضلال .

---

(1) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٤٠٩ .

(2) انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٧٣٥ وما بعدها .

المبحث الثالث :

تحقق العدل الإلهي في البعث والحشر .

البعث هو مقتضى حكمة الله تبارك وتعالى وعدله في خلقه ، ولا شيء أدل على عدله سبحانه وتعالى من بعث الخلائق لمحاسبتها ومجازاتها على أعمالها .

فالله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ، ولم يتركهم هملاً . وإنما خلق الخلق ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل لبيان طريق الحق ، وإرشاد العباد إلى طاعة الله وتحذيرهم من معصية الله تعالى ، وإخبارهم بأن هناك يوماً يوفى كل على قدر ما قدم في الدنيا ، ولذلك كان لابد من الفرق بين مصير المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ،

والمصلح والفاسد ، وتحقيق ما وعد ا به أو أوعد به ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلاً ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ (1) .

والبعث والحشر هو ابتداء وقف الناس بين يدي رب العالمين لمحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ (2) .

ومع ذلك فإن أحوال الناس عند خروجهم من قبورهم وهم في أرض المحشر ، وما يحصل لهم في ذلك الموقف هو مقتضى عدله سبحانه وتعالى ، وتفريقه بين عباده على قدر أعمالهم وأفعالهم في الدنيا ، فالناس في ذلك اليوم مختلفون ، فمنهم الكفار ، ومنهم العصاة الموحدون ، ومنهم الصالحون ، فأما الكفار فإنهم في حال من الذل والهوان والصغار ، والحسرة والندامة واليأس في ذلك اليوم ، وفي ذلك يقول ا تبارك وتعالى في وصف حال الكفار في ذلك اليوم وما يعتريهم من الذل والهوان : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (3) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ (4) .

ويقول تعالى عن حسرة الكفار وما يحصل لهم من الندم : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّٰلِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ ﴾ (1) .

---

(1) سورة ص ، آية : ٢٧-٢٨ .

(2) سورة الزلزلة ، آية : ٦-٧-٨ .

(3) سورة المعارج ، آية : ٤٣ ، ٤٤ .

(4) سورة إبراهيم ، آية : ٤٢ – ٤٣ .

ومما ورد في وصف حال الكفار يوم القيامة ، أنهم يحشرون على وجـوههم ، كما قـال تعـالى : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ٩٨ ﴾ (٢) .

عن انس رضي ا عنه قال : قيل : يا رسول ا كيف يحـشر النـاس علـى وجوههم؟ قال : (الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم) (٣).

وقد قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ فهذا دليل علـى أن ا تعالى قد جازاهم على أعمالهم بما أصابهم يوم البعث من العمى والبكم والصمم (٤).

أما عصاة المؤمنين فإنهم يحشرون على قدر أعمـالهم ، فقـد وردت أحاديـث صحيحة تبين أن من كان يقترف بعض المعاصي في الدنيا فإنه يصيبه يوم القيامة بلاء مما اقترفته يداه ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسـول ا ﷺ : (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها ، إلا إذا كـان يـوم القيامـة صفحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبـه وجبينـه وظهره ، كلما بردت أعيدت عليه ، في يوم كان مقداره خمسين ألـف سـنة ، حتـى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار) .

قيل : يا رسول ا ، فالإبل ؟ قال : (ولا صاحب إبل لا يؤدي منهـا حقهـا ، ومن حقها حلبها يوم وردها ، إلا إذا كان يوم القيامة ، بطح لها بقاع قرقر ، أوفر مـا كانت ، لا يفقد منها فصيلا واحداً ، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مـر عليـه

---

(1) سورة الفرقان ، آية : ٢٧ – ٢٨ .
(2) سورة الإسراء ، آية : ٩٧-٩٨ .
(3) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة بني إسرائيل : ٣٠٥/٥ .
قال أبو عيسى : (حديث حسن) .
(4) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٠٨/٣ .

أولاها رد عليه أخراها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار) .

قيل : يا رسول ا ، فالبقر والغنم ؟ قال : (ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي فيها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ، لا يفقد منها شيئاً ، ليس فيهـا عقصاء ولا علجاء ولا عضباء ، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، كلمـا مـر عليـه أولاها رد عليه أخراها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضي ا بـين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) [1] .

وغاصب الأرض يصيبه بلاء بسبب معصيته فعن عبد ا بن عمر رضـي ا عنه قال : قال النبي ﷺ : (من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامـة إلى سبع أرضين) [2] .

والغـادر الـذي يواعـد علـى أمـر ، ولا يفـي بـه يـصيبه بـلاء بسبـب معصيتـه فعـن ابـن عمـر قـال : قـال رسـول ا ﷺ : (إذا جمع ا الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء ، فقيل : هـذه غدرة فـلان ابـن فـلان) [3] .

وهناك أحاديث أخرى دلت على أن كل عبد يحشر على ما كان يعمله في الدنيا من ذلك قوله ﷺ : (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فـي صـور الرجـال ، يغشاهم الذل من كل مكان) [4] .

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة : ٦٨١/٢ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في سبع أرضين : ١١٦٨/٣ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الحيل ، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت : ٢٥٥٥/٦ .
وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب تحريم الغدر : ١٣٥٩/٣ واللفظ لمسلم .

(4) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب رقم ٤٧ : ٦٥٥/٤ . وقال : (حديث حسن صحيح) .

ومن الناس من لا ينظر ا إليهم ولا يكلمهم بسبب أعمال سيئة قـدموها فـي الدنيا ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾ [1] .

وفي الصحيـح عـن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (ثلاثة لا يكلمهم ا يوم القيامة ولا ينظر إليهم : رجل حلف في سلعة : لقد أعطي بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امـرئ مسلم ، ورجل منع فضل ماء ، فيقول ا يوم القيامة : اليوم أمنعك فضلي ، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك) [2] .

والمقصود أن أحوال الناس تتفاوت في أرض الحشر على قدر ما عملوا وقدموا في الحياة الدنيا .

أما عباد ا المؤمنون الطائعون فإنهم يكونون في ذلك اليوم فـي حـال يبـين شرفهم وطاعتهم لربهم في الدنيا ، فلا يفزعون عندما يفزع النـاس ، ولا يحزنـون ، وإنما يؤمنهم ا في ذلك اليوم يقول ا تبـارك وتعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣ ﴾ [3] ،

وقـ ـال تعـ ـالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [4].

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ٧٧ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول ا : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ : ٢٧١٠/٦ .

(3) سورة الأنبياء ، آية : ١٠١-١٠٢-١٠٣ .

(4) سورة الأنعام ، آية : ٨٢ .

وقـال تعـالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٦٤ ﴾ (١) ،

فالمؤمنون المتقون آمنون مطمئنون مبشرون برضى ا عنهم ، وعدم الخـوف من عذابه وعقابه ، ففي الصحيحين عن أبـي هريرة رضي ا عنـه قـال : قـال رسول ا ﷺ : (سبعة يظلهم ا في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في ا اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف ا ، ورجـل تصدق أخفى صدقته حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر ا خالياً ففاضـت عيناه) (٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ : (إن ا يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالـي ، اليوم أظلهم في ظلي ، يوم لا ظل إلا ظلّي) (٣) .

فهذه الأعمال الصالحة المذكورة في الحديث كانت سبباً في تفريج كربات العبـد المؤمن يوم القيامة ، وإظلال ا تعالى له (٤) .

ومن الأعمال التي تكون سبباً في تفريج الكربات يوم القيامـة ، فـك كربـات المكروبين ، ومساعدة المحتاجين ، والتيسير على المعسرين ، فقد روى البخاري فـي صحيحه عن عبد ا بن عمر أن رسول ا ﷺ قال : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه ، كان ا في حاجتـه ، ومن فرج عـن مـسلم

---

(1) سورة يونس ، آية : ٦٢ – ٦٤ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد : ٢٣٤/١ .
ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة : ٧١٥/٢ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب في فضل الحب في ا : ١٩٨٨/٤ . عن أبي هريرة رضي ا عنه .

(4) يعني الظل الذي يخلقه ا تعالى ، وليس كما توهم بعض الناس أنه ظل ذات الرب عز وجل ، فإن هذا باطل ، لأنه يستلزم أن تكون الشمس فوق ذات ا تعالى عن ذلك علواً كبيراً . انظر شرح العقيدة الواسـطية ، لابـن عثيمين : ١٣٦/٢ .

كربة ، فرج ا عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره ا في الدنيا والآخرة) [1] ،

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي ا عنه أن النبي ﷺ قال : (كان رجل يداين الناس ، فكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسراً تجاوز عنه ، لعل ا أن يتجاوز عنا ، قال : فلقي ا فتجاوز عنه) [2] .

ومن الأعمال التي يظهر فضل أصحابها يوم القيامة ، الأذان ، فـإن المـؤذنين أطول الناس أعناقاً يوم القيامة ، فقد قال رسول ا ﷺ : (المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة) [3] .

وكذلك الوضوء فإنه يظهر فضل أصحابه فعن أبي هريرة رضي ا عنه قال : سمعت رسول ا ﷺ يقول : (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلـين مـن آثـار الوضوء) [4] .

أما الشهداء فقد ورد في بيان فضل عملهم ما يكون عليه حالهم يـوم القيامـة ، قوله ﷺ : (والذي نفسي بيده ، لا يكلم أحد في سبيل ا ، وا أعلم بمن يكلـم فـي سبيله ، إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم ، والريح ريح المسك) [5] ،

وقال ابن حجر : (قال العلماء : الحكمة في بعثه كذلك أن يكون معـه شـاهد بفضيلته ببذله نفسه في طاعة ا تعالى) [6] .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم : ٨٦٢/٢ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم : ١٢٨٣/٣ .
ومسلم ، كتاب المساقاة ، باب فضل إنظار المعسر : ١١٩٦/٣ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه : ٢٩٠/١ من حديث معاوية بـن أبي سفيان رضي ا عنه .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب فضل الوضوء : ٦٣/١ واللفظ له .
صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء : ٢١٦/١ .

(5) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب من يجرح في سبيل ا : ١٠٣٢/٣ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

(6) فتح الباري ، لابن حجر : ٢٠/٦ .

وكذلك المحرم فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً ، ففي صحيح البخاري ومسلم عـن عبد ا بن عباس قال : إن رجلاً كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقة وهو محرم فمـات ، فقال رسول ا ﷺ : (اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ، ولا تخمروا رأسه ، فإن ا يبعثه يوم القيامة ملبياً) [١] .

والمقصود من كل ذلك أن من عمل عملاً في الدنيا ظهر أمره يوم القيامة ، فإن كان كافراً أصابه ذل وهوان وصغار جزاء له على تكذيبه بآيات ا ، وإن كان عاصياً كان له نصيب من البلاء ما هو جزاء له على تفريطه وتقصيره واقترافه مـا يغـضب ربه ومولاه ، وإن كان مؤمناً تقياً ظهر من فضله وشرفه ما هو جزاء له على عملـه الدنيوي .

وهذا التفاوت في أحوال العباد يوم القيامة يدل على عدله سبحانه وتعـالى فـي حشر العباد على قدر أعمالهم ، ففي صحيح مسلم من حديث عبد ا بن عمر قـال : سمعت رسول ا ﷺ يقول : (إذا أراد ا بقوم عذاباً ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على أعمالهم) [٢] .

ومما يدل على ذلك التفاوت قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْداً ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً ۝٨٦ ﴾ [٣] ،

يقول ابن كثير رحمه ا تعالى : في تفسير هذه الآية : (والوفد هم القـادمون ركباناً .. وهم قادمون على خير موفود إليه ، إلـى دار كرامتـه ورضـوانه ، فأمـا المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم ، فإنهم يساقون عنفاً إلـى النـار (ورداً) عطاشاً ، قاله عطاء وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد) [٤] .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الإحصار ، باب سنة المحرم إذا مات : ٦٥٦/٢ .
ومسلم ، كتاب الحج ، باب ما يفعل بالمحرم إذا مات : ٨٦٥/٢ واللفظ له .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب إذا أنزل ا بقوم عذاباً : ٢٦٠٢/٦ .
صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الأمر بحسن الظن با : ٢٢٠٥/٤ .
(3) سورة مريم ، آية : ٨٥-٨٦ .
(4) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٢٠/٣ .

وهذا دليل على تفاوت الفريقين ، المتقين والمجرمين ، فالمتقون يحشرهم ربهم إلى موقف القيامة مكرمين مبجلين معظمين ، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه ، أما المجرمون فإنهم يساقون إلى جهنم عطاشاً وهذا أبشع حال ، وهو دليل على ذلهـم وصغارهم ثم مأواهم جهنم على حال ظمأهم هذه [1] .

وعن المقداد بن الأسـود رضي ا [2] عنـه قال : سمعـت رسـول ا ﷺ يقول : (تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميـل ، فيكـون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً ، قال : وأشـار رسول ا ﷺ بيده إلى فيه) [3] .

فهذا دليل صريح على اختلاف أحوال الناس يوم القيامة بقدر أعمالهم وهذا هـو مقتضى عدله في عباده .

وتحقيقاً لعدله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم فإنه يحشر الخلق كلهم الجن والإنس والبهائم ، فليس البعث والحشر خاصاً بالمكلفين ، بل هو عام للمكلفين وغيرهم ،

ومسألة حشر البهائم اختلف فيها العلماء بين المثبت لها والنـافي ، والـصواب إثباتها ، استناداً إلى نصوص الكتاب والسنة ،

فقـد قـال ا تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [4] ، وقـال تعـالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [1] .

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي : ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(2) المقداد بن عمرو ، ويعرف بابن الأسود ، الكندي البهراني الحضرمي ، أبو معبد ، أو أبو عمرو ، صـحابي ، من الأبطال ، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل ا ، شهد بدراً وغيرها ، وسكن المدينة ، وتـوفي علـى مقربة منها ، فحمل إليها ودفن فيها سنة ٣٣هـ . انظر تهذيب التهـذيب : ٢٨٥/١٠ ، صفـوة الـصفوة : ١٦٧/١ ، حلية الأولياء : ١٧٢/١ ، الأعلام : ٢٧٢/٧ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب في صفة يوم القيامة : ٢١٩٦/٤ .

(4) سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [2] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : (لتؤدن الحقـوق إلـى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) [3] .

وممن ذهب إلى هذا القول النووي ، وابن تيمية ، وابن كثير .

قال النووي في شرح حديث أبي هريرة : (هذا تصريح بحـشر البهـائم يـوم القيامة ، وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين ، وكما يعاد الأطفـال والمجانين ، ومن لم تبلغه دعوة ، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة ، قـال ا تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [4] .. قال العلماء : وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب . وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف ، إذ لا تكليف عليها ، بل هو قصاص مقابلة ..) [5] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميـة رحمه ا تعالى : (وأما البهائم فجميعها يحشرها ا سبحانه وتعالى ، كما دل عليـه الكتاب والسنة ، ثم ذكر الأدلة على ذلك إلـى أن قال : (والأحاديث في ذلك مشهورة ، فإن ا عز وجل يوم القيامـة يحـشر البهـائم ويقتص لبعضها من بعض ، ثم يقول لها كوني تراباً ، فتصير تراباً ، فيقـول الكـافر حينئذ : ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾) [6] .

ومن قال إنها لا تحيا ، فهو مخطئ في ذلك أقبح خطأ ، بل هو ضال أو كافر [7] .

---

(1) سورة التكوير ، آية : ٥ .

(2) سورة الشورى ، آية : ٢٩ .

(3) سبق تخريجه ص (٦٣٢) .

(4) سورة التكوير ، آية : ٥ .

(5) شرح صحيح مسلم ، للنووي : ١٣٦/١٦ .

(6) سورة النبأ ، جزء من الآية : ٤٠ .

(7) مجموعة الفتاوى : ٢٤٨/٤ .

وقال ابن كثير رحمه ا بعد ذكر الأدلة على ذلك : (فهذه الأحاديث مع الآيات فيها دلالة على حشر الحيوانات كلها) [1] .

وبالجملة فإن حشر البهائم وحصول المقاصة بينها دليل علـى كمـال العدالـة الإلهية التي تعدت المكلفين لتمثل من لا عقل له ، فإنها حاصلة لذوي العقـول وأهـل التكليف على صفة أتم وأكمل .

فا تبارك وتعالى جامع الخلق جميعهم يوم القيامة ، ليشهدوا كمال عدله وعظيم حكمته ، وليعلموا أنه لا حق لأحد يضيع عند رب العالمين ، وأنه لا ظالم إلا محاسب على ظلمه .

فهذا عدله تبارك وتعالى يتحقق في بدء البعث والحشر والوقوف بين يديه ، فأما جزاؤه التام فإنه غاية في العدل والحكمة .

الفصل الثالث :

([1]) النهاية ، لابن كثير : ١١٣/٢ .

العدل الإلهي في محاسبة العباد يوم القيامة .

المبحث الأول :

الحساب .

تعريف الحساب لغة :

يدل الحساب في اللغة على الإحصاء بالدقة التامة ، دون زيـادة ولا نقـصان ، يقول الأزهري : (وإنما سمي الحساب فـي المعاملات حساباً لأنه يعلم به مـا فيـه كفاية ، ليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان)[1].

([1]) تهذيب اللغة للأزهري : ٣٣١/٤ ، ٣٣٣ .

ويقول الفيروز آبادي : (حسبه حسباً وحسباناً بالضم ، وحسباناً وحساباً وحسابه بكسرهن عده ، والمعدود محسوب)[١].

الحساب اصطلاحاً :

هو توقيف ا عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم ، خيراً كانت أو شراً [٢] .

وقال ابن عثيمين رحمه ا : (المحاسبة ، إطلاع العباد علـى أعمـالهم يـوم القيامة)[٣].

ويدخل ضمن الحساب إيتاء العباد كتبهم ، ووزن أعمالهم وبيان ما يستحقونه من الثواب أو العقاب .

وحوار ا تبارك وتعالى عباده ، وإقامة الحجة عليهم ، وإظهار البراهين لهم ، والاستشهاد عليهم .

وقد ثبت حصول الحساب الدقيق للعباد يوم القيامة في الكتاب والسنة ، فقد جاء وصف مجيئه تبارك وتعالى لفصل القضاء ، ومحاسبة الناس على أعمالهم ، حيث قال تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[٤].

وقال تعالى : ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [٥].

---

[1] القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ٥٦/١ .

[2] انظر الكواشف الجلية في شرح الواسطية ، لعبد العزيز السلمان : ٣٤٣ .

[3] شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ٢/ ١٥٢ .

[4] سورة البقرة ، آية : ٢١٠ .

[5] سورة الزمر ، آية : ٦٩ .

ويقـول ا تبـارك وتعالى في وصف وقوف العبـاد وعرضهم على ربهم : ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴾[2] .

وقال تبارك وتعالى في وصف حال العباد في ذلك اليوم عند الحساب : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[3] .

عن أبي هريرة رضي ا عنها قال : حدثني رسول ا ﷺ أن ا تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية)[4].

والذي يحكم بين العباد في ذلك اليوم هو رب العالمين الحكم العدل ، فيظهر من كمال عدله وعظيم حكمته ما كان يخفى بعضه على أكثر عبادة ، فيقر المذنب بذنبـه ، ويفرح المؤمن بفوزه ، ويقر جميع الخاق بعدله ، ويرضون بحكمه .

فذلك الحساب الإلهي يقوم على العدل التام الذي لا يشوبه ظلم ، وهذا ما سيأتي بيانه .

مظاهر العدل الإلهي في اليوم الآخر .

أولاً : إن الله تعالى في ذلك اليوم يوفي عباده أجورهم كاملة من غير نقصان :

---

(1) سورة الحاقة ، آية : ١٨ .

(2) سورة الكهف ، آية : ٤٨ .

(3) سورة الجاثية ، آية : ٢٨ .

(4) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في الرياء والسمعة : ٥٩١/٤ ، قال أبو عيسى : (هذا حديث حسن غريب) .

فلا يظلم أحداً مثقال حبة من خردل ، قال تعالى على لسان لقمان الحكيم : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾(1) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾(2).

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾(3).

ثانياً : إن الله تعالى لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره :

فكل عبد سوف يحاسبه الله تعالى على عمله الذي عمله في الدنيا ، وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾(4)، وقال تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾(5).

وهذا هو العدل التام ، فإن محاسبة العبد على عمله فقط هو وضع للعقاب أو الثواب في موضعه المناسب له .

وهذا لا يتعارض مع ما ورد في تحميل بعض العباد أوزار غيرهم ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾(6) ،

---

(1) سورة لقمان ، آية : ١٦ .

(2) سورة البقرة ، آية : ٢٨١ .

(3) سورة الزلزلة ، آية : ٧-٨ .

(4) سورة الأنعام ، آية : ١٦٤ .

(5) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(6) سورة العنكبوت ، آية : ١٣ .

وقال تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ . [١]

فلا تنافي بين هذه الآيات وما ورد في عدم أخذ العبد بذنب غيره ، وذلك لأمرين :

١- إن الإنسان يحمل إثم ذنوبه ، وإثم ذنوب من أضلهم بقوله أو فعله ، لأنه سبب فيه ، كما أن الدعاة إلى الهدى ينالون أجر عملهم ، وأجر من اهتدوا بقولهم أو فعلهم .

٢- إن هذه الأحمال قد تكون عند المقاصة ، فقد تنفد حسنات المقتص منه ، فيؤخذ من سيئات الآخر وتوضع عليه ، حتى يستوفي المقاصة ، وذلك من العـدل ، ولا ظلم فيه ، فإن من العدل إرجاع الحقوق إلى أهلها .

ثالثاً : مضاعفة الحسنات دون السيئات :

وذلك من رحمته تبارك وتعالى بعبادة ، فالأعمال الصالحة تـضاعف ، قـال تعـالى : ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [٢] ، فتضاعف إلى عشرة أمثال إلى سبعمائة ضعف ، كما قال تعـالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣] ،

وجاء عند مسلم أن رجلاً جاء بناقة مخطومة ، فقال : يا رسول ا ، هذه فـي سبيل ا ، فقال عليه الصلاة والسلام : (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة) [٤].

---

(1) سورة النحل ، آية : ٢٥ .

(2) سورة التغابن ، آية : ١٧ .

(3) سورة البقرة ، آية : ٢٦١ .

(4) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الصدقة في سبيل ا وتصحيفها : ١٥٠٥/٣ من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي ا عنه .

ومن الأعمال الصالحة ما يضاعف أضعافاً لا تدخل تحت الحصر منها الـصبر فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴾[1] .

ومنها أيضاً الصوم ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : قال ا تعالى : (..... الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها)[2] .

بالإضافة إلى مضاعفتـه عز وجل للحسنات فلأنه يجازي على السيئات التي لم تفعل ، فمن هم بحسنه ولم يفعلها تكتب له حسنة ، ففي البخاري عن ابن عباس رضي ا عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ، قـال : إن ا كتـب الحـسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنه فلم يعملها ، كتبها ا له عنده حسنة كاملـة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها ا له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها ا له عنده حسنة ، كاملة ، فإن هو هم بهـا ، فعملها ، كتبها ا له سيئة واحدة)[3] ،

فهذا الحديث يبين فضل ا تبارك وتعالى ورحمته بعبادة في مـضاعفة الحـسنات ، كما يظهر الحديث عدله سبحانه في عدم مضاعفة السيئات ، بل السيئة بمثلها ، وهـذا من تمام العدل ، أما مضاعفة الحسنات فليست من الظلم ، بل مـن العـدل والرحمـة والفضل .

رابعاً : سؤال الله تعالى عباده عن أعمالهم ، وتقريرهم بها ، وتكليمه سبحانه لهم فرداً فرداً ، بدون استثناء :

حيث يدني ا تبارك وتعالى العبد منه ويكلمه ، وليس بينه وبـين ا أحـد ، يعرفه ذنوبه وأعماله وأقواله في الدنيا ، ويقرره بها ، فقد جاء في الصحيح أن رجـلاً

---

(1) سورة الزمر ، آية : ١٠ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب فضل الصوم : ٦٧٠/٢ واللفظ له .
وصحيح مسلم ، كتاب الصوم ، باب فضل الصيام : ٨٠٦/٢ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب من هم بحسنة أو سيئة : ٢٣٥٧/٥ واللفظ له .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت : ١١٨/١ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه.

قال لابن عمر كيف سمعت رسول ا ﷺ يقول في النجوى؟ قال : سمعته يقول (يدني المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل ، حتى يضعه في كنفه ويستره ، فيقرره بذنوبه ، فيقول : هل تعرف ؟ فيقول : أي رب أعرف ، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على ا)(١).

وعن عدي بن حاتم رضي ا عنه (٢) أن رسول ا ﷺ قال : (ثم ليقفن أحدكم بين يدي ا ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له .....

ثم ليقولن له : ألم اوتك مالاً ؟ فليقولن : بلى ، ثم ليقولن : ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فليقولن : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلى النار ...... الحديث)(٣) ،

ومما ورد من النصوص في بيان محاسبة ا تبارك وتعالى للعباد ، سؤاله لهم ومناقشته وحواره وتكليمه- تعالى - لهم ، ما جاء في معاتبته لعباده لتفريطهم في الأعمال الصالحة التي وعد الأجر عليها ، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي ا تبارك وتعالى عنه : قال : قال رسول ا ﷺ : (إن ا تعالى يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدني قال : يا رب وكيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تطعمني ؟ قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم ، استسقيتك فلم تسقني ، قال يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي)(٤).

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ويقول الأشهاد وهؤلاء الذين كذبوا على ربهم : ١٧٢٥/٤ .

(2) عدي بن حاتم بن عبد ا بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبو دهب وأبو طريف ، صحابي ، من الأجواد العقلاء ، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام ، أسلم سنة ٩هـ ، عاش أكثر من مئة سنة ، توفي سنة ٦٨هـ . انظر : خزانة البغدادي : ١٣٩/١ ، الروض الأنف : ٣٤٣/٢ ، الأعلام : ٢٢٠/٤ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة قبل الرد : ٥١٢/٢ .

(4) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل عيادة المريض : ١٩٩٠/٤ .

كما يناقش تبارك وتعالى المرائين الذين عملوا أعمالاً ظنوا أنها تنفعهم فأحبطها ما اختلطت به من الرياء ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنـه : (.... حـدثني رسول الله ﷺ : أن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمـة جاثيـة ، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ، ورجل قتل في سبيل الله ، ورجل كثير المـال ، فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب ، قـال : فمـاذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان قارئ ، وقد قيل ذلك .

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله : ألم أوسع عليك ، حتى لم أدعك تحتاج إلـى أحد ؟ قال : بلى يا رب ، قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصـل الـرحم ، وأتصدق ، فيقول الله له : كذبت : وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله بل أردت أن يقال : فلان جواد ، فقيل ذلك . ثم يؤتى بالذي قتل في سبيل الله ، فيقول الله : في ماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك ، فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، فتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله : بل أردت أن يقال : فلان جريء ، فقد قيـل ذلك ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي ، فقال : يا أبا هريرة ، أولئـك الثلاثـة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة)[1].

ويسأل العبد عند الحساب عن جميع أعماله مصداقاً لقولـه تعـالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣ ﴾[2] ،

وعند الترمذي عن أبي برزه الأسلمي [3] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع : عمره فيم أفناه ؟ وعن علمـه ماذا عمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه ؟)[1].

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في الرياء والسمعة : قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ٥٩١/٤ .

(2) سورة الحجر ، آية : ٩٢ – ٩٣ .

(3) نضلة بن عبيد بن الحارث الأسلمي ، أبو برزة ، صحابي ، اشتهر بكنيته ، سكن المدينة ثم البصرة ، توفي سنة ٦٥هـ . انظر تهذيب التهذيب : ٤٤٦/١٠ ، الأعلام : ٣٣/٨ .

وأول ما يسأل عنه العبد الصلاة ، فعن أبي هريرة رضي ا عنه قـال : قـال سمعت رسول ا ﷺ يقول : (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح ونجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شيء ، قال الرب تبارك وتعالى : انظروا هل لعبدي من تطوع ، فيكمل بهـا مـا انـتقص مـن الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك)[٢].

ويسأل العبد يوم القيامة عن النعم التي أنعم بها عليه في الدنيا ، هل أدى حق ا بها ، قال تعالى ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٣] ، فقد قال عليه الصلاة والـسلام : (والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب ومـاء بارد ..)[٤].

وهذا السؤال عن النعم إنما هو السؤال عن شكر العبد لما أنعم ا بـه عليـه ، وهو حق النعمة ، وا تعالى يرضى عن عباده الشاكرين المقرين بنعمـه وفـضله ، حيث جاء عن أنس رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (إن ا يرضـى عـن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها)[5].

ويسأل العبد عن عهوده التي عاهد بها ، وهل وفّى بها ، قال تعـالى : ﴿ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولًا ﴾[6]،

([1]) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق ، باب في القيامة : ٦١٢/٤ ، قال الترمذي : (هذا حديث حـسن صحيح) .

([2]) سنن الترمذي ، كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة : ٢٦٩/٢ ، قال أبو عيسى : (حديث حسن غريب) .

([3]) سورة التكاثر ، آية : ٨ .

([4]) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ : ٥٨٣/٤ ، قال أبو عيسى : (حـديث حسن صحيح) .

([5]) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب حمد ا بعد الأكل والشرب : ٢٠٩٥/٤ .

([6]) سورة الأحزاب ، آية : ١٥ .

وقال تعـالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[1] .

وغاية ما تدل عليه هذه الآيات والأحاديث أن العبد يسأل عن أعماله التي عملها في الدنيا ، ويسأل عن كل ما قدمه ؟ هل أداه على أكمل الوجـوه ؟ أم قـصر فيـه ؟ فيجازى على قدر جهده وأدائه لفروض الله تعالى عليه ، فلا يستوي عنـد الله تعـالى العامل وغيره ، ولا المحسن ولا المسي ، ولا المجتهد ولا المفرط ، سبحانه العدل الحكم .

أمـا الكفـار فقـد جـاءت النـصـوص لتـدل علـى أنهـم يـسألون ويحاسبون ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3] ، وقـال تعـالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾[4] .

ودلـت نصوص أخرى على أنهم لا يحاسبون ولا يسألون ، ومنها قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[5] .

ويؤيد ذلك ما ورد في وصف حال الكفار من حال الصمم والعمى والبكم ممـا يدل على عدم استطاعتهم على الجواب أو المناقشة . ومن ذلك قوله تعـالى : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٣٤ .

(2) سورة الصافات ، آية : ٢٢- ٢٤ .

(3) سورة الحجر ، آية : ٩٢ .

(4) سورة النحل ، آية : ٥٦ .

(5) سورة القصص ، آية : ٧٨ .

عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ ﴾[2] ، وقال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

ولا تنافي بين هذه الآيات ولا تعارض بينهما ، وذلك أن محاسبة الكفار مـسألة فيها خلاف ، قال ابن تيمية رحمه ا تعالى : (هذه المسألة – أي محاسبة الكفـار – تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم ، فمن قال : إنهم لا يحاسبون : أبـو بكر عبد العزيز [4] ، وأبو الحسن التميمي [5] ، والقاضي أبو يعلى ، وغيرهم .

وممن قال : إنهم يحاسبون : أبو حفص البرمكي [6] من أصحاب أحمد ، وأبـو طالب المكي [7]) [8].

والصحيح أن الكفار محاسبون مسئولون ، وقد دلت على ذلك نصوص كثيـرة منها قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [1] ، وقولـه

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٩٧ .

(2) سورة المرسلات ، آية : ٣٥ - ٣٦ .

(3) سورة آل عمران ، آية : ٧٧ .

(4) عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداذ ابن معروف البغوي ، أبو بكر ، غلام الخلال ، مفـسر ، ثقـة فـي الحديث ، من أعياد الحنابلة ، من أهل بغداد ، كان تلميذاً لأبي بكر الخلال ، فلقب به ، ولد سنة ٢٨٥هـ ـ ، وتوفي سنة ٣٦٣هـ . انظر طبقات الحنابلة : ١١٩/٢ ، تاريخ بغداد : ٤٥٩/١٠ ، الأعلام : ١٥/٤ .

(5) عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث ، أبو الحسن التميمي ، فقيه حنبلي ، له إطلاع على مسائل الخلاف ، ولد سنة ٣١٧هـ ، وتوفي سنة ٣٧١هـ . انظر : تاريخ بغداد : ٤٦١/١٠ ، الأعلام : ١٦/٤ .

(6) عمر بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، أبو حفص البرمكي ، فقيه حنبلي ، من أهـل بغـداد ، تـوفي سـنة ٣٨٧هـ . انظر طبقات الحنابلة : ١٥٣/٢ ، تاريخ بغداد : ٢٦٨/١١ ، الأعلام : ٤٠/٤ .

(7) محمد بن علي بن عطية الحارثي ، أبو طالب ، واعظ زاهد ، فقيه ، من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) نشأ واشتهر بمكة ، اتهم بالاعتزال ، وقال الخطيب البغدادي : ذكر أشياء مستشنعة في الصفات وذلك في كتابه " قوت القلوب " ، توفي سنة ٣٨٦هـ . انظر وفيات الأعيـان : ٤٩١/١ ، ميـزان الإعتـدال : ١٠٧/٣ ، الأعـلام : ٢٧٤/٦ .

(8) مجموعة الفتاوى : ١٨٨/٤ .

تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ ﴾[٢] .

وحساب ا تبارك وتعالى للكفار يراد به عرض أعمالهم عليهم ، وتـوبيخهم عليهـا ، وليس المقصود من محاسبتهم أنهم مجزيون على حـسناتهم إن كـان لهـم حسنـات ، فإن أعمال الكفار كلها باطلة ، وهذا ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (وفصل الخطاب : أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم ، وتـوبيخهم عليهـا ، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات .

فإن أريد الحساب بالمعنى الأول ، فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبـار ، وأن أريد بالمعنى الثاني ، فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنـة ، فهذا خطأ ظاهر)[٣].

وهذا التوبيخ والتقريع يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾[٥] .

والحكمة من سؤال الكفار ومحاسبتهم ، إقامة الحجة علـيهم ، وإظهـار سـؤ أعمالهم وعظيم سيئاتهم ، وبيان عدله تبارك وتعالى فيهم وهذه حكمة في سؤال جميـع

---

(1) سورة القصص ، آية : ٦٢ .
(2) سورة المؤمنون ، آية : ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ .
(3) مجموعة الفتاوي : ٤ / ١٨٨ .
(4) سورة الأنعام ، آية : ٣٠ .
(5) سورة الأنعام ، آية : ١٣٠ .

الخلق ومنهم الكفار ، قال القرطبي : (والباري سبحانه وتعالى يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريراً لإقامة الحجة ، وإظهاراً للحكمة)[1].

والكفار مكلفون بأصول الشريعة وفروعها ، فيسألون عن تقصيرهم هذا ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ [2] ،

وقوله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

فدلت الآيات على أن المشركين مخاطبون بالإيمان با وبالبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة [4].

كذلك فالكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم ، ولذلك فإنهم في النار مختلفون بمقدار ذنوبهم ، كما سيأتي[5] . وكلما كان العبد أشد ضلالاً ، كان أشد عذاباً ، فالعذاب على مراتب أساسها مقدار الذنوب وعظمها ، يقول ابن تيمية رحمه ا : (..... فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته ، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب ، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب) ، وقد قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾[6] ،

---

(1) التذكرة ، للقرطبي : ٢٥٢ .
(2) سورة فصلت ، آية : ٦ - ٧ .
(3) سورة المدثر ، آية : ٤٢ – ٤٦ .
(4) انظر التذكرة ، القرطبي : ٣٠٩ .
(5) انظر ص (٩٧٨) من هذا البحث .
(6) سورة النحل ، آية : ٨٨ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [1] ، والنار دركات ، فإذا كان بعض الكفار أشد عذاباً من بعض - لكثرة سيئاته وقلة حسناته – كان الحساب لبيان مراتب العذاب ، لا لأجل دخـولهم الجنة)[2].

وعلى ذلك فلا تعارض بين إثبات محاسبة ا تبارك وتعالى للكفار ، ومـا ورد من النصوص مما يخالف ذلك ، والجواب أن يقال : إن الكفار يسألون يوم القيامة فـي موطن دون موطن ، فالعباد عند البعث لا يكونون على حالة واحدة من وقت بعثهم إلى وقت تفرقهم إلى الجنة أو النار ، بل هناك مواقف عديدة ، وأحوال مختلفة .

فهم في حال حشرهم صم و بكم وعمي كما قـال تعـالى : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [3].

ولكنهم في حال سؤالهم ومحاسبتهم يسمعون وينطقون وهم بكامـل حواسـهم ، ويدل ذلك على ما ورد في خطابهم مع بعضهم ، وأقوالهم بألسنتهم ، واعترافهم بـذنوبهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [4] ، وقال تعـالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [5].

---

(1) سورة التوبة ، آية : ٣٧ .

(2) مجموعة الفتاوي : ٤ / ١٨٨ .

(3) سورة الإسراء ، آية : ٩٧ .

(4) سورة الكهف ، آية : ٥٣ .

(5) سورة السجدة ، آية : ١٢ .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[1] .

وغيرها من الآيات التي تدل على أن الكفار يكونون في وقت ما في كامل حواسهم .

وقد أجاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عن هذا بثلاثة أجوبة :

الوجه الأول :

استظهره أبو حيان [2] : وهو أن المراد بما ذكر من العمى والصم والبكم ، حقيقة ، ويكون ذلك في مبدأ الأمر ، ثم يرد الله تعالى إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم ، فيرون النار ويسمعون زفيرها ، وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير موضع.

الوجه الثاني :

وهو أنهم لا يرون شيئاً يسرهم ، ولا يسمعون كذلك ، ولا ينطقون بحجة ، كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ، ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه

وأخرج ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عباس ، وروي أيضاً عن الحسن ، كما ذكره الألوسي وغيره ، وعلى هذا القول فقد نزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم لعدم الانتفاع به) .

الوجه الثالث :

إن الله إذا قال لهم : ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [3] ، وقع بهم ذلك العمى والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج ، قال تعالى : ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [4] ، وعلى هذا القول ، تكون الأحوال الخمسة مقدرة ، أعني

---

(1) سورة الزمر ، آية : ٣١ .

(2) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني ، أثير الدين ، أبو حيان ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ، ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ . انظر الدرر الكامنة : ٣٠٢/٤ ، شذرات الذهب : ١٤٥/٦ .

(3) سورة المؤمنون ، آية : ١٠٨ .

(4) سورة النمل ، آية : ٨٥ .

قولـه في طــه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [1] ، وقولـه فيها : ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ﴾ [2] ، وقوله في الإسراء : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [3] وأظهرها عندي الأول) [4] .

فاختيار العلامة الشنقيطي هو أن الكفار يسألون ويتكلمـون فـي مـوطن دون موطن ، وقد ذكر ذلك ابن حجر عن ابن عباس وعبد ا بن عمرو بن العـاص [5] ، وذكر ذلك القرطبي فقال : (القيامة مواطن : فموطن يكون فيه سؤال وكلام ، وموطن لا يكون ذلك ، فلا يتناقض الآي والأخبار)[6].

والحاصل أن جميع العباد مسئولون عن أعمالهم ومحاسبون عليها ، وسؤال ا تبارك وتعالى لهم فرداً فرداً ، فيه إظهار لعدله التام سبحانه وتعالى ، وذلك بتعريـف العباد بأعمالهم ، وإقرارهم عليها ، واعتراف المذنب بذنبه ، وإقرار المؤمن بفضل ا تعالى عليه ، ليكون ما يحصل لهم بعد ذلك من ثواب أو عقـاب مترتبـاً علـى هـذه الأعمال المعترف بها . فمن وجد خيراً فليحمد ا ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، وليعلم أن ا ليس بظلام للعبيد ، وأن العقاب استحقه المعاقب بفعله ، والمؤمن أثابه ا على عمله بفضله ورحمته وعدله .

خامساً : الإشهاد :-

---

(1) سورة طه ، آية : ١٢٤ .

(2) سورة طه ، آية : ١٢٥ .

(3) سورة الإسراء ، آية ٩٧ .

(4) أضواء البيان : ٥٩٨/٤ – ٥٩٩ .

(5) انظر فتح الباري :١١/ ٦٨٦ .

(6) التذكرة للقرطبي : ٣٤٤ ، وانظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني : ١٧٤/٢ .

وأعظم شاهد على العباد يوم القيامة هو ربهم وخالقهم وفـاطرهم الـذي علـم بعلمـه أحوال عباده وأعمالهم وأقوالهم ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (1) .

وقال تعـالى : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيداً ﴾ (2) .

ولكنه تعالى يحب الإعذار إلى خلقه ، فجعل شهداء آخرين يشهدون على أعمال العباد ، وهذا الإشهاد ثابت في يوم القيامة بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (3) .

وممن يشهد على أعمال العباد يوم القيامة الرسل ، فإن كل رسول يشهد علـى أمته بالبلاغ وأداء الرسالة إليهم ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (4) ، وقال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيداً ﴾ (5) ،

وهذا الإشهاد من الرسل على أقوامهم ، يقابله تكذيب من الأمم لرسلها ، وتقول كل أمة ما جاءنا من نذير ، حتى تأتي أمة محمد ﷺ وتشهد للرسل بالبلاغ كمـا قـال تعــالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

---

(1) سورة يونس ، آية : ٦١ .
(2) سورة النساء ، آية : ٣٣ .
(3) سورة غافر ، آية : ٥١ .
(4) سورة النحل ، آية : ٨٩ .
(5) سورة النساء ، آية : ٤١ .

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ،

وجاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه قـال : قـال رسول ا ﷺ : (يدعى نوح يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يارب ، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقول لأمته ، هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير . فيقول : من يشهد لك ! فيقول : محمد وأمته . فيشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسـول علـيكم شهيداً ، فذلك قوله جل ذكـره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2][3] .

وممن يشهد يوم القيامة : الأرض فإنها تشهد بما عمل فيها العبد ، فعـن أبـي هريـرة رضي ا عنـه قال : قـرأ رسـول ا ﷺ هـذه الآيـة ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾[4] ، قال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا ا ورسوله أعلم . قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل يوم كذا ، كذا ، وكـذا فهذه أخبارها)[5] .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(2) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(3) البخاري : كتاب التفسير ، باب وكذلك جعلناكم أمة وسطاً : ١٦٣٢/٤ .

(4) سورة الزلزلة ، آية : ٤ .

(5) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن الكريم ، باب ومن سورة إذا زلزلت الأرض : ٤٤٦/٥ ، قـال الترمذي : (حديث حسن صحيح) .

ويشهد الملائكة الذين كانوا يسجلون الأعمال الحسنة والسيئة ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴾[1] ، فكل نفس تأتي يوم القيامة ومعها سـائق يسوقها في المحشر ، وشاهد يشهد بما عملت[2].

ومن أعظم من يشهد يوم القيامة أعضاء العبد وأركانه ، فإنها تشهد على العبـد بما عمـل بها ، وهذا من تمـام العدل والإنصاف ، فقد أنصفك من جعلك على نفسك شهيداً ، ويدل ذلك على قوله تعـالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[3] ،

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ ﴾[4].

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي ا عنه في حديث طويل – عن النبي ﷺ قال : فيلقى العبد أي ، يلقى ا العبد ، يعني المنافق ، فيقول : يا فل ، أي فـلان ، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ !

فيقول : بلى ، قال : فيقول : أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا ، فيقول ؟ فـإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني فيسأله فيجيب كما أجاب الأول ، فيقول ا : فـإني نسيتك كما نسيتني ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول : يـارب آمنـت بـك وبكتابك وبرسلك ، وصليت وصمت وتصدقت ، ويثني بخير ما اسـتطاع ، فيقـول : ههنا إذن ، قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويفكر في نفسه من ذا الـذي

---

(1) سورة ق ، آية : ٢١ .

(2) انظر جمع البيان ، للطبري : ٢٢ / ٣٤٧ .

(3) سورة يس ، آية : ٦٥ .

(4) سورة فصلت ، آية : ١٩ - ٢١ .

يشهد علي ، فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظمه ، انطقي ، فتنطق بعملـه ، وذلك ليعذر من نفسه ، فذلك المنافق وذلك الذي يسخط ا عليه)[١].

فدلت هذه النصوص على أن الأعضاء تشهد على العبد بما قدم وعمل ، والعبد بعد ذلك يلوم أعضاءه ، فقد جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي ا عنه قال : ضحك رسول ا ﷺ ذات يوم وفقال ﷺ : (هل تدرون مم أضحك قال : قلنـا : ا ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم ، قـال : يقول : بلى ، قال : فيقول : فأني لأجيز على نفسي إلا شاهداً مني ، قـال : فيقـول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال : فيختم علـى فيـه فيقـال لأركانه انطقي ، قال : فتنطق بأعماله ، قال : ثم يخلي بينه وبين الكلام ، قـال : فيقـول : بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل)[٢].

وإقامة الشهداء على العباد فيه إظهار للعدل وتثبيت للأمر ، وا تبارك وتعالى عدل حكم لا يجور في حكمه ، ولكنه تبارك وتعالى جعل الإشهاد على العبـاد تأكيـداً على عدله ، وإقامة للحجة على عبده ، وأعظم ذلك إشهاد الجوارح وإنطاقها بما كانت تعمل ، وهي في جسد العبد فهذه الشهادة من الجوارح مسكتة لكل عذر ، وقاطعة لكل حجة يقيمها العبد ، ولا وجه له في الاعتذار بعد ذلك .

سادساً : المقاصة بين العباد :-

ففي موقف الحساب يقتص ا تبارك وتعالى للمظلوم من ظالمة ، حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة ، ويدل على ذلك أحاديث كثيرة فعـن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : (من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة ، إلا أن يكون كما قال) [٣] ، فدل هذا الحديث على حصول المقاصة بين العباد يوم القيامـة . وهذه المقاصة بين العباد تكون بالأخذ من حسنات الظالم بقدر ظلمـه وتوضـع مـع

([1]) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق : ٢٢٧٩/٤ .

([2]) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق : ٢٢٨٠/٤ .

([3]) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنى : ١٢٨٢/٣ .

حسنات المظلوم فإذا نفذت حسناته ، أخذ من سيئات المظلوم فطرحت على الظالم ، ويدل على ذلك .

حديث أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شئ فليتحلل منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) [1] ، ويعضد ذلك ما ذكره الرسول ﷺ في تعريف المفلس ، فقد جاء عن أبي هريرة رضي ا عنه أن رسول ا ﷺ قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : (إن المفلس من أمتي ، من يأت يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته ، قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار)[2].

وأول ما يقتص فيه من المظالم هي الدماء ، وذلك لعظم هذا الذنب عند ا تبارك وتعالى ،

فقد جاء في البخاري ومسلم عن عبدا بن مسعود رضي ا عنه أن النبي ﷺ قال : (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)[3].

ولا يتعارض هذا الحديث مع حديث أبي هريرة المتقدم الذي جاء فيه : (أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته) [4] ، فهذا محمول على عبادة الخالق ، والثاني على

---

(1) صحيح البخاري : كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند رجل : ٨٦٥/٢ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم : ١٩٧٤/٤ .

(3) سبق تخريجه ص (٧٥٤) .

(4) سبق تخريجه ص (٨٩٤) .

معاملة الخلق لبعضهم [١] ، وقد جمعه النسائي [٢] في روايته من حديث ابن مسعود ولفظه : (أول ما يحاسب العبد عليه صلاته ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء)[٣].

وقد ورد إثبات المقاصة بين البهائم وحشرها ، وهي التي لم تكلف ، وليس أمرها إلى ثواب ولا عقاب ، فكيف بالمكلفين الذين يحاسبون لتحقيق العدل ، فإن المقاصة بين العباد وأخذ الظالم حقه من ظالمة إنما هو من العدل الإلهي التام الذي يتجلى في ذلك اليوم ، فهو يوم استيفاء الحقوق وردها إلى أهلها ، وفي المقاصة بين العباد يتحقق هذا المعنى .

والحاصل أن من العباد من يحاسب حساباً يسيراً وهؤلاء لا يناقشون الحساب ، أي لا يدقق ولا يحقق معهم ، وإنما تعرض عليهم ذنوبهم ، ثم يتجاوز لهم عنها ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ﴿٨﴾ ﴾[٤] .

وهذا ما أكده رسول الله ﷺ قال : (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يارسول الله ، أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ﴿٨﴾ ﴾ [5] ، فقال رسول الله ﷺ : (إنما ذلك العرض ، ليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك)[٦] ، ومعنى الحديث أن المناقشة يقصد بها استقصاء الأعمال وعدها عداً دقيقاً .

وقوله (عذب) له معنيان : أحدهما : أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو تعذيب في نفسه لما فيه من التوبيخ .

---

(1) انظر فتح الباري لأبن حجر : ١١ / ٣٩٦ .

(2) أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار ، أبو عبد الرحمن النسائي ، صاحب السنن ، القاضي الحافظ ، ولد سنة ٢١٥هـ ، توفي سنة ٣٠٣هـ . انظر تذكرة الحفاظ : ٢٤١/٢ ، شذرات الذهب : ٢٣٩/٢ ، الأعلام : ١٧١/١ .

(3) سنن النسائي : كتاب تحريم الدم ، باب تعظيم الدم : ٧٥/٧ .

(4) سورة الإنشقاق ، آية : ٧-٨ .

(5) سورة الإنشقاق ، آية : ٧-٨ .

(6) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب فسوف يحاسب حساباً يسيراً : ١٨٨٥/٤ .
وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب إثبات الحساب : ٢٢٠٥/٤ واللفظ لمسلم .

والثاني : أن المناقشة مفضية إلى العذاب بالنار ، ويؤيده قولـه فـي الروايـة الأخرى : (هلك ، مكان " عذب ") [١] . قال النووي : (وهذا الثاني هو الـصحيح ، ومعناه أن التقصير غالب في العباد ، فمن استقصى عليه ، ولم يسامح هلك ، ولكن ا تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء)[٢].

والمقصود أن المؤمن يحاسب حساباً يسيراً بأن تعرض عليه ذنوبه ، ويتجاوز عنها ، ولا يناقش مناقشة دقيقة ، أما الكافر فإنه يحاسب حساباً عسيراً ويعرف بأعماله ويستقـصى عليه ، ثم لا يغفر له ويهلك ، وهذا من عدله تبارك وتعالى فإن المؤمن له حـسنات تكفـر سيئاته ، أما الكافر فأعماله كلها محبطة باطلة لما كان عليه من الكفر والتكذيب ، فهو يستحق التوبيخ والتقريع والتدقيق والمحاسبة الشديدة ، أما المؤمن فإن من فضل ا ورحمته عليه أن جعل حسابه يسيراً لما له من حسنات تكفر سيئاته وترجح بها .

ومن الناس من يدخل الجنة بغير حساب ، فعن ابن عباس رضي ا عنه قال : قال النبي ﷺ: (عرضت علي الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمـر معـه النفـر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبـي يمـر وحـده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل ، من هؤلاء . فقال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم ؟ قال : كانوا لا يكتـوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيـرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام إليه عكاشة بن محض [٣] فقال : ادع ا أن يجعلني منهم قال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام إليه رجل آخر فقـال : ادع ا أن يجعلني منهم . قال : سبقك بها عكاشة)[٤].

---

(1) انظر شرح صحيح مسلم ، للنووي : ١٧ / ٢٠٨ .

(2) شرح صحيح مسلم ، للنووي : ١٧ / ٢٠٨ .

(3) عكاشة بن محصن بن حرقان الأسدي ، من بني غنم ، صحابي من أمراء السرايا ، شهد المشاهد كلهـا مـع النبي ﷺ ، وقتل في حرب الردة سنة ١٢هـ . انظر حلية الأولياء : ١٢/٢ ، الأعلام : ٢٤٤/٤ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب : ٢٣٩٦/٥ .

وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حـساب ولا عذاب : ١٩٧/١ .

وكل ما ورد في موقف المحاسبة بين يدي رب العالمين يدل علـى عدلـه وأن جزاءه لعباده من جنس عملهم ، ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره ، واستشهاد الجوارح علـى أعماله العبد نفسه ، وغير ذلك مما يدل على عدله تبارك وتعالى في محاسبته لعباده .

ولذلك فقد وصف ا تبارك وتعالى ذلك اليوم بأنه يوم لا ظلم فيه فقال :﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1] ، وهـذا الظلـم المنتف في الآية إنما يكون بمحاسبة كل عبد بما عمله وقيام الحساب للعباد على أساس العدل التام ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] ،

وقال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[3] .

(1) سورة غافر ، آية : ١٧ .
(2) سورة النحل ، آية : ١١١ .
(3) سورة الزمر ، آية : ٦٩ .

موقف المعتزلة من الحساب :

إن محاسبة الله تعالى لعباده يوم القيامة مسألة معلومة من الدين بالضرورة ، فلا يكذب بها أحد ممن ينتسب إلى أهل القبلة .

وقد نسب إلى المعتزلة إنكار الحساب [١] ، والظاهر أن المعتزلة لا ينكرون الحساب ويدل على ذلك قول القاضي عبد الجبار : (وأما الحساب فمما لا يجوز إنكاره)[٢].

إلا أنهم يرون الحساب هو خلق العلم الضروري في نفس الإنسان ليعرف به مقدار الثواب أو العقاب . ولذلك فقد صح إطلاق وصف سرعة الحساب على الله تعالى ، وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار : (..... غير أن محاسبته إيانا لا تجري على حد ما تجري المحاسبة بين الشريكين والمتعاملين ، فإن ذلك فيما بيننا ، إنما يكون بعقد الأصابع أو ما يجري مجراه ، وليس هكذا محاسبة الله تعالى عباده ، فإن ذلك يكون بخلق العلم الضروري في قلبه أنه يستحق من الثواب كذا ومن العقوبة كذا ، فيسقط الأقل بالأكثر ، وعلى هذا صح ذلك بسرعة)[٣].

نقد موقف المعتزلة :

لم أقف على نصوص أخرى للمعتزلة في إثبات الحساب وصفته غير الذي تقدم ذكرها ، وعلى ذلك فالمعتزلة يثبتون الحساب ، ولكنهم يصفونه بوصف آخر ، وكيفية أخرى غير التي وصفها السلف .

والحق أن محاسبة الله تعالى لعباده لا تكون مثل محاسبة البشر بعضهم بعضاً أو المتعاملين ، بحيث يكون بينهما معاوضة ، فيكون الجزاء مقابل العمل على سبيل المعاوضة ، فهذا لا يثبت لله تبارك وتعالى . ومع ذلك فإن ما تقدم من نصوص الكتاب والسنة تدل على أن هناك حساباً وعرضاً وصحائف وميزاناً ، وغير ذلك من الأمور التي تظهر عدله تبارك وتعالى جلياً ، وتحصي أعمال العباد بدقة .

---

(1) انظر أصول الدين ، للبغدادي : ١٦١ .

(2) شرح الأصول الخمسة : ٧٣٦ .

(3) شرح الأصول الخمسة : ٧٣٦ .

فالقول بأن الحساب هو خلق العلم الضروري فقط ، هذا قول لا يسلم للمعتزلـة وهو مردود بالنصوص الدالة على تنوع الحساب ودقته وصفته ، ولـو كـان تفـسير المعتزلة للحساب بهذا المعنى مبرراً لأن يوصف حساب ا تعالى بالسرعة ، فكيـف يستقيم هذا المعنى مع كون حساب المؤمنين حساباً يسيراً وحساب الكفار حساباً عسيراً ، بل كيف يستقيم مع إثبات سقوط الحساب عن بعض أمة محمد ﷺ ، هل معنى ذلـك أن لا يخلق فيهم علم ، فلا يعلمون مقدار ثوابهم أو عقابهم .

لا شك أن هذا المعنى لا يستقم مع معنى المحاسبة . كما أنـه لا يـستقم مـع المعاني اللغوية لكلمة الحساب وا أعلم .

المبحث الثاني :

الشفاعة .

تعريف الشفاعة :

الشفاعة في اللغة :

الشفاعة في اللغة مشتقة من الشفع الذي هو غير الـوتر ، أي إن الـشفع هـو الزوج. قال ابن منظور : (شفع الوتر من العدد شفعاً : صيره زوجاً)[1] ،

وقال : (الشافع : الطالب لغيره يشفع به إلى المطلوب ، يقال : تشفعت بفـلان إلى فلان فشفعني فيه)[2].

الشفاعة في الاصطلاح :

هي : طلب التجاوز عن الذنوب والجرائم ، يقول ابـن الاثيـر فـي تعريـف الشفاعـة : (هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم ، أي الخلق)[3].

تعريف الشفاعة عند المعتزلة :

يقول القاضي عبد الجبار : (وأما في الاصطلاح ، فهو مسألة الغير ، أن ينفع غيره ، أو أن يدفع عنه مضرة)[4].

تعريف الشفاعة عند الأشاعرة :

يقول الجرجاني : (هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقعت الجناية في حقه)[5].

ويقول اللقاني : بأنها : (سؤال الخير من الغير للغير)[6].

ولاشك أن هذه التعاريف كلها متقاربة فإن من سأل أحداً أن يتجاوز عن غيـره في الذنوب فقد سأله دفع مضرة أو جلب منفعة لغيره . ولا إشكال فـي ذلـك ، أمـا

---

(1) لسان العرب ، لابن منظور : ٨ / ١٨٣ .

(2) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(3) النهاية في غريب الحديث ، لابن أثير : ٢/ ٤٨٥ .

(4) شرح الأصول الخمسة : ٦٨٨ .

(5) التعريفات ، للجرجاني : ١٢٧ .

(6) شرح جوهرة التوحيد : ١٨٦ .

مناسبة تعريف الشفاعة اصطلاحاً بالمعنى اللغوي فظاهر ، لأن الذي يتوسط ويشفع ، يصير مع المشفوع له شفعاً في الطلب [1].

وقد يكون المعنى أن الشفيع يصير مع المشفوع عنده شفعاً ، لكونه بشفاعته صار فاعلاً للمطلوب ، فقد شفع الطالب والمطلوب منه .

وهذا المعنى لا يصح في الشفاعة المطلوبة يوم القيامة ، فإن الله تعالى وتر لا يشفعه أحد ، والأمر كله له ، ولا شريك له بوجه ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه [2].

والله تبارك وتعالى قد تفضل على عباده بالشفاعة بينهم وجعلها سبحانه كرامة منه وفضلاً ورحمة للمشفوع له ، ورفعاً لدرجة الشافع وإظهاراً لمنزلته .

ووقت الشفاعة هو يوم القيامة ، حين يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم .

وإثبات الشفاعة مستند على نصوص الكتاب والسنة ، فقد قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ [5] .

---

(1) انظر شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ٢ / ١٦٨ .

(2) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٢٣٨ / ٢٣٩ .

(3) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

(4) سورة يونس ، آية : ٣ .

(5) سورة طه ، آية : ١٠٩ .

وقال تعـالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (1) .

وسيأتي ذكر أحاديث الشفاعة في موضعها إن شاء الله تعالى . فهذه النصوص تثبت الشفاعة في ذلك اليوم العظيم . ووردت نصوص أخرى تدل على نفي الشفاعة في ذلك اليوم مثل قوله تعـالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (2) .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (3) .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (4) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (5) .

وقـال تعـالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (6) .

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ٢٨ .
(2) سورة البقرة ، آية : ٤٨ .
(3) سورة البقرة ، آية : ٢٥٤ .
(4) سورة السجدة ، آية : ٤ .
(5) سورة الأنعام ، آية : ٥١ .
(6) سورة غافر ، آية : ١٨ .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [1] .

والحق أنه لا تعارض بين النصوص التي تثبت الشفاعة والنصوص التي تنفيها.

ذلك أن الشفاعة نوعان :

الأولى : شفاعة صحيحة مقبولة .

الثانية : شفاعة باطلة مردودة .

فأما الشفاعة الصحيحة فهي الشفاعة التي اكتملت شروطها وهي :

١- رضى الله تعالى عن الشافع .

٢- رضى الله تعالى عن المشفوع له .

٣- إذنه تعالى في الشفاعة .

فلا تصح الشفاعة ولا تقبل إلا بعد الرضى والإذن [2] ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [5] .

---

(1) سورة المدثر ، آية : ٤٨ .

(2) وهذا في غير الشفاعة العظمى ، حيث أنها عامة لكل الخلق مؤمنهم وكافرهم .

(3) سورة النجم ، آية : ٢٦ .

(4) سورة طه ، آية : ١٠٩ .

(5) سورة سبأ ، آية : ٢٣ .

وغيرها من الآيات التي تؤكد على أن الشفاعة المقبولة هي المشروطة بالرضى والإذن .

فالشفاعة المقبولة هي الشفاعة التي يرضى بها الرب تبـارك وتعـالى للـشافع والمشفوع له ، ويأذن للشافع والمشفوع له .

وهي بذلك شفاعة نافعة للشافع بأن يظهر فضله وإكرام الله تعالى له ، ويثـاب عليها ، ونافعة للمشفوع بأن تخلصه من عذاب الله تعالى ، أو ترفع من درجاته .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (والشفاعة تعم كل شافع ، وكل شفاعة لمشفوع له ، فإذا قيـل : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ [1] نفى النوعين شفاعة الشفعاء والشفاعة للمـذنبين فقولـه : ﴿ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [2] يتناول النوعين ؛ من أذن له الرحمن ورضي له قولاً من الشفعاء ، ومن أذن له الرحمن ورضي له قولاً من المشفوع له ، وهي تنفع المشفوع له ، فتخلصه من العذاب ، وتنفع الشافع ، فتقبل منه ، ويكرم بقبولها ، ويثاب عليها .

والشفاعة يومئذ لا تنفع لا شافعاً ولا مشفوعاً لـه ﴿ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ [3] فهذا الصنف المأذون لهم ، المرضي قولهم ، هم الذين يحصل لهـم نفـع الشفاعة ، وهذا موافق لسائر الآيات) [4] .

فالنفع في الشفاعة للطائفتين الشفعاء والمشفوع لهم . فالإذن للطائفتين والنفع لهما .

والمقصود أن الإذن لا يختص بالمشفوع له والرضى عنه ، وإنما هـو شـامل للشافع والمشفوع لهم فإن لكل منها لابد من إذن الرب تبارك وتعالى .

فهذه الشفاعة المقبولة لا تنفع إلا المؤمنين الموحدين بعضهم في بعض .

---

(1) سورة طه ، آية : ١٠٩ .

(2) سورة طه ، جزء من الآية : ١٠٩ .

(3) سورة النبأ ، جزء من الآية : ٣٨ .

(4) مجموعة الفتاوى ، لشيخ الإسلام : ٢١٨/٤ .

فلا يقبل الله تعالى إلا شافعاً موحداً ، ومشفوع له مؤمن موحد ، ولـذلك قـال تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [1] وقال : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [2] وقال : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [3] أي قال حقاً في الدنيا وعمل به ، وبه قال مجاهد . وقال عكرمة : الصواب قول : لا إله إلا الله .

وعلى هذا القول يكون المستثنى من أتى بالكلام الطيب والعمل الصالح [4] .

وهذا يتناول الشافع والمشفوع له ، فلا يشفع إلا من شهد بالحق وهم يعلمـون ، فالملائكة والأنبياء والصالحون لا يؤذن لهم إلا في الشفاعة للمؤمنين ، الذين يـشهدون أن لا إله إلا الله ، فيشهدون بالحق وهم يعلمون .

وقد ثبت في الصحيحين : أن أبا هريرة رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : (يا أبا هريرة ، لقد ظننت ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه) [5] .

أما الشفاعة المنفية فهي الشفاعات الشركية التي تطلب من الآلهة والمعبودين من دون الله تعالى ، فالأنداد لا تنفع من عبدها يوم القيامة ظاناً أنها تنفعه عند الله ، ولذلك فقد نفى الله تبارك وتعالى هذه الشفاعات المطلوبة من المعبودين من دون الله ، وبـين أنها لا تقبل ، ولا تنفع أحداً حيث قال : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ

---

(1) سورة الزخرف ، آية : ٨٦ .

(2) سورة النبأ ، آية : ٣٨ .

(3) سورة طه ، آية : ١٠٩ .

(4) انظر مجموعة الفتاوى : ٢٢٢/١٤ .

(5) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث : ٤٩/١ .

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٤٤ ﴾[1].

وقـال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

فإن أحداً ممن يدعى من دون ا تعالى لا يملك الشفاعة ، ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً .

فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة بالحق ، وهي شـهادة لا إلـه إلا ا . أمـا العبادة التي يقصد بها المشركون الشفاعة ، كانت عبادتهم وإشراكهم بربهم الـذي بـه طلبوا شفاعتهم ، حرموا بها الشفاعة ، وعوقبوا بنقض قصدهم .

فإن كثيراً من أهل الضلال يظن أن الشفاعة تنال بهذه الأمور الشركية ، وليس الأمر كذلك ، بل الشفاعة سببها توحيد ا تعالى ، وإخلاص الـدين والعبـادة بجميـع أنواعها له[4].

والشفاعة عند ا تعالى لا تكون إلا بإذنه ، حتى لا يظن بأنها كشفاعة المخلوق عند المخلـوق ، فإن المخلوق يشفع عند نظيره . أو من هو أعلى منه ، أو مـن هـو دونه ، بدون إذن المشفوع إما لرغبته إليه ، أو فيما عنده من قوة أو سبب ينفعه بـه ،

---

(1) سورة الزمر ، آية : ٤٣-٤٤ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ٩٤ .

(3) سورة الزخرف ، آية : ٨٦ .

(4) انظر مجموعة الفتاوى ، لابن تيمية : ٢٢٩/١٤ ، ٢٣٠ .

أو يدفع عنه ما يخشاه ، إما لرهبته منه ، وإما لمحبته إياه ، وإما للمعاوضـة بينهمـا والمعاونة ، وإما لغير ذلك من الأسباب ،

وتكون بذلك شفاعة الشفيع محركة إرادة المشفوع إليه فتجعله مريداً للشفاعة بعد أن لم يكن مريداً لها .

أما الرب تبارك وتعالى فهو وتر لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وسـيد الـشفعاء محمد ﷺ يوم القيامة إذا سجد وحمد ربه يقال له : (ارفع رأسك وسل تعطه ، واشـفع تشفع ...... الحديث)[1].

فا تبارك وتعالى هو الذي جعل الشفاعة ، وهو الذي جعل دعاء هذا وشفاعته سبباً في نجاة الآخر وسعادته ، وهو الخالق لأفعال العباد ، وهو الذي جعـل الـشفاعة سبباً لما يفعله بعباده .

والإذن المشروط في الشفاعة هو الإذن القدري والشرعي معاً ، فإن الإذن نوعان :

شرعي : مثل قوله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [2] ، وهو إباحته تبارك وتعالى وإجازته للفعل.

وقدري : بمعنى المشيئة والخلق : وهو مثل قولـه تعـالى : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [3] .

---

(1) سيأتي تخريجه ص (٩٢٣) .

(2) سورة الحشر ، آية : ٥ .

(3) سورة البقرة ، آية : ١٠٢ .

والإذن في الشفاعة قدري وشرعي فلا يحصل إلا بإذن ا تعالى وإجازته ، ولا يؤثر إلا بقدرة ا ومشيئته[1].

والحاصل فإن الشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم ا تعالى بها عباده ، ولكن ليس كل الخلق سواء في ذلك ، فإن رحمة ا تعالى وفضله وكرمة لا ينالها إلا أحـق الناس بها ، وهم أهل التوحيد والإخلاص تعالى ، ثم المذنبون من الموحدين .

أما الكفار والمشركون فلا شفاعة تنفعهم يوم القيامة .

أنواع الشفاعة المقبولة :

أولاً : الشفاعة العظمى :

([1]) انظر مجموعة الفتاوى : ٢١٤/١٤ ، ٢١٦ .

وهي الشفاعة الخاصة بالنبي محمد ﷺ ، من بين سائر إخوانه الأنبياء والمرسلين ، ويدل على ثبوت هذه الشفاعة ، ما رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : (كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة [1] ، وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون : مم ذاك ؟ يجمع ا الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ، إلى ما بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم .

فيأتونه ، فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك ا بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغناه ؟ فقال : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً ، فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك ا عبداً شكوراً ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا عند ربك ؟ فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي ا ، وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات ... فذكرها – نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى .

---

(1) النهس : أخذ اللحم بمقدمة الأسنان . انظر لسان العرب : ٢٤٤/٦ .

فيأتون موسى فيقولون : أنـت رسول الله ، فضلك الله برسالاته وبكلامـه علـى الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، أما ترى إلى ما نحن فيه ، فيقول : إن ربي قـد غـضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وكلمت الناس في المهد ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد . فيأتون محمداً ﷺ وفي رواية : فيأتوني _ فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله وخـاتم الأنبياء قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلـى ما نحن فيه ، فأنطلق ، فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله علي مـن محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمـد ، ارفـع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يارب ، أمتي يارب ، أمتي يارب ، فيقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمـن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قـال : والـذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وهجر – أو كمـا بين مكة وبصرى)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أنا سيد ولـد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع)[٢].

وفي رواية قتادة عـن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : يجمع الله النـاس يـوم القيامة ، فيهتمون لذلك وفي روايـة : فيلهمـون لذلك – فيقولون : لو استشفعنا إلـى ربنا ، .... ثم ذكر الحديث على نحو من رواية أبي هريرة ..... حتـى قـال : قـال

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ذرية من حملنا مع نوح : ١٧٤٦/٤ .
وصحيح مسلم ، كتاب صفة الجنة ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : ١٨٤/١ .
(2) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب تفضيل النبي ﷺ على جميع الخلائق : ١٧٨٢/٤ .

رسول ا ﷺ : فيأتوني ، فأستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء ا ، فيقال : يا محمد ارفع ، قل يسمع ، سل تعطه ، اشـفع تـشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ، ثم أشفع ، فيحد لي حداً ، فـأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً ، فيدعني ما شاء ا أن يدعني ، ثـم يقال لي : ارفع يا محمد ، قل يسمع ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمـد ربي بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحد لي حداً ، فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة .

قال : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة فأقول : يا رب ، ما بقي في النـار إلا من حبسه القرآن ، أو وجب عليه الخلود)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه ا تعالى : (وله ﷺ في القيامة ثلاث شـفاعات : أما الشفاعة الأولى : فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن تراجـع الأنبيـاء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم الشفاعة حتى تنتهي إليه ...)[٢].

وقال ابن خزيمة رحمه ا : (باب ذكر الشفاعة التي خص ا بهـا سـبحانه النبي ﷺ ، دون غيره من الأنبياء ، وهي الشفاعة الأولى التـي يـشفع بهـا لأمتـه ، ليخلصهم ا من الموقف الذي قد جمعوا فيه يوم القيامة)[٣].

وهذه الشفاعة عامة لجميع الخلق ، ولذلك فقد صح أنها هي المقام المحمود على قول الجمهور من العلماء المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحۡمُودًا ﴾[٤]،

وهذا قول أكثر العلماء منهم الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، وابـن حجـر وغيرهم ، وذكر الطبري رواية الصحابة بذلك منهم حذيفة بن اليمان ، وابن عمـر ، وابن عباس ، وغيرهم [١] .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قول ا (وعلم آدم الأسماء كلها) : ١٦٢٤/٤ .
وصحيح مسلم ، كتاب صفة الجنة ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها : ١٨٣/١ .

(2) الواسطيه ، ضمن مجموعة الفتاوى : ١٤٧/٣ .

(3) التوحيد ، لابن خزيمة : ٢ / ٥٨٩ .

(4) سورة الإسراء ، آية : ٧٩ .

ومما يدل على ذلك ما رواه ابن عمر عن أبيه فقال : (إن الشمس تـدنو يـوم القيامة حتى يبلغ العرق الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ ، فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئـذ يبعثـه ا مقامـاً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم) [٢].

ولكن الرواية التي رواها أبو هريرة وأنس بن مالك رضي ا عنهما في حديث الشفاعة العظمى فيها إشكال ، فقد دل أول الحديث على الشفاعة في أهل الموقف ، ودل آخره على شفاعته ﷺ في أمته ، وفي إخراجه الناس من النار ، وهذا الإشكال ذكـره شارح الطحاوية [٣] ، وذكره ابن حجر [٤].

وأجاب ابن أبي العز الحنفي رحمه ا عن هذا الإشكال بأن مقصود السلف هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النـار بعـد دخولها ، فيذكرون هذا النص الصريح في الرد عليهم [٥].

أما ما أجاب به ابن حجر فنقله عن القاضي عياض [٦] والنووي وغيره ، وهي أن الشفاعة التي لجأ الناس فيها إلى رسول ا ﷺ هي الإراحة من كـرب الموقـف ، ويأتي بعدها الشفاعة في الإخراج ، وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتـب معانيهـا ، وزاد عليه ابن حجر بقوله : (كأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر) [٧].

ثانياً : الشفاعة في أهل الذنوب من الموحدين الذين دخلوا النار .

([1]) انظر جامع البيان ، للطبري : ١٤٤/١٥ وما بعدها .

([2]) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب من سأل الناس تكثراً : ٥٣٦/٢ .

([3]) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٢٥٥ .

([4]) انظر فتح الباري : ١١/ ٤٣٧ .

([5]) انظر شرح العقيدة الطحاويه : ٢٥٥ .

([6]) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ، أبو الفضل ، عالم المغرب وإمام أهل الحديث فـي وقته . ولد بسبته عام ٤٧٦هـ ، وتولى القضاء فيها ، وتوفي سنة ٥٤٤هـ . انظـر وفيـات الأعيـان : ٣٩٢/١ ، الأعلام : ٩٩/٥ .

([7]) فتح الباري : ١١/ ٤٣٧ .

فعن أنس بن مالك رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (شفاعتي لأهـل الكبائر من أمتي) [1] ، وعن جابر رضي ا عنه قال : سمعت رسول ا ﷺ يقول : (إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي)[2] ، وتقدم حديث أبي هريـرة فـي الشفاعة العظمى وفي آخرة : (..... ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطـه ، واشفع تشفع ، فارفع رأسي ، فأقول : أمتي يارب ، أمتي يا رب ، أمتـي يـا رب ، فيقـال : يا محمد ، أدخـل من أمتك من لا حساب عليهم مـن البـاب الأيمـن ..... الحديث) . [3] وفي روايـة أنس بن مالك وجاء في آخرها : (.....ثم أشفع ، فيحـد لي حداً ، فأخرجهم من النار ، وأدخلهم ، ثم أعود فأقع ساجداً ، فيدعني ما شاء ا أن يدعني ، ثم يقال لي : ارفع يا محمد ، قل يسمع ، سل تعطه ، اشفع تـشفع ، فـأرفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحد لي حداً ، فأخرجهم من النـار ، وأدخلهم الجنة . قال : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة فأقول : يا رب ، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ، أو وجب عليه الخلود)[4].

وهذه شفاعة ثابتة لأهل الذنوب ، وهي من المسائل المتفق عليها بين الـصحابة والتابعين ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا تعالى : (وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته ، فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعـة وغيرهم)[5].

وهي الشفاعة التي أنكرتها المعتزله كما سيأتي بيان ذلك إن شاء ا تعالى [6].

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب رقم (١١) : ٦٢٥/٤ .
قال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح غريب " .

(2) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب رقم (١١) : ٦٢٥/٤ .
قال أبو عيسى : " هذا حديث حسن غريب " .
وسنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة : ١٤٤١/٢ واللفظ له .

(3) سبق تخريجه ص (٩٢٣) .

(4) سبق تخريجه ص (٩٢٤) .

(5) التوسل والوسيلة ، لابن تيميه : ١٠ .

(6) انظر ص (٩٣٣) من البحث .

ثالثاً : شفاعته ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنـة ، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلوها [1] ،

وهي محل توقف عند بعض العلماء ، ونقل صاحب عون المعبود عن ابن القيم أنه ذكر نوعين من الشفاعة لم يجد فيهما نصاً عن المصطفى ، إلا ذكر الناس لهمـا ، وأنه لم يقف لهما على دليل ثابت ، وهما الشفاعة فيمن استوجب النار أن لا يـدخلها ، والشفاعة لقوم في زيادة ثوابهم وذلك في قول ابن القيم : (ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس ، أحدهما : في قوم استوجبوا النار ، فيشفع فيهم أن لا يدخلوها ، وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه ، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة فـي أهل التوحيد من أرباب الكبائر ، إنما تكون بعد دخولهم النار ، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول ، فلا يدخلون ، فلم أظفر فيه بنص)[2].

وقال شيخ الإسلام : (وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات .... وأما الشفاعة الثالثة فيمن استحق النار ، أن لا يدخلها)[3].

رابعاً : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتـضيه ثواب أعمالهم ، وهذه الشفاعة ثابتة عند السلف وغيرهم ، حتى من المعتزلة ،

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على رفع الدرجات في الجنة كما في قولـه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾[4].

ويـدل على رفـع درجات المؤمنين في الجنة قوله ﷺ في دعائه لأبي سلمة : (اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ،

---

(1) انظر شرح العقيدة الطحاويه : ٢٥٧ .
(2) عون المعبود : ٧٧/١٣ .
(3) الواسطيه ، ضمن مجموعة الفتاوى : ٣ / ١٤٧ .
(4) سورة الطور ، آية : ٢١ .

واغفر لنا وله يارب العالمين ، وأفسح له في قبره ، ونور له فيه) . [1] ولكن غاية ما تدل عليه هذه النصوص هو إثبات زيادة درجة المؤمنين في الجنة بفضل ا ورحمته ، وليست دليلاً صريحاً على شفاعته ﷺ في زيادة درجات المؤمنين في الجنة . وكما قال ابن القيم فإنه ليس هناك نص صريح في إثبات هذه الشفاعة .

ومـع ذلك فهي متفـق عليها بيـن المسلمين ، قـال شيخ الإسلام ابن تيميه : (شفاعته ﷺ للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليـه بـين المسلمين) [2] ، وذكرها النووي في شرحه لصحيح مسلم [3]. وقال ابـن أبـي العـز الحنفي : (شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل فيها فوق ما كـان يقتـضيه ثـواب أعمالهم ....)[4].

خامساً : الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب :

وهذا النوع من الشفاعة ذكره شارح الطحاوية فقال : (النوع الخامس : الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب)[5] ،

ونقل السفاريني والقرطبي هذا النوع من الشفاعة عن القاضي بن عياض[6] ،

واستدل من أثبت هذا النوع من الشفاعة بحديث عكاشة بن محض المتفق عليـه المتقدم [7] ، ولكن الناظر في الحديث يجده مجرد إخبار من الرسول ﷺ بأمر هـؤلاء السبعين ألفاً ، ولم يصرح بأنه يشفع فيهم ،

وهذا ما جعل بعض العلماء يتوقف في القول بها كالإمام ابن كثير ،

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر : ٦٣٤/٢ من حـديث أم سـلمة رضي ا عنها .

(2) مجموعة الفتاوى : ١٤٨/١ .

(3) شرح صحيح مسلم ، للنووي : ٤٤٣/١ .

(4) شرح العقيدة الطحاوية : ٢٥٧ ، وانظر النهاية ، لابن كثير : ٢٧٤/٢ .

(5) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٢٥٧ .

(6) انظر لوامع الأنوار البهية : ٢٠٨/٢ ، والتذكرة ، للقرطبي : ٣٠١ .

(7) انظر ص (٩٠٨) من هذا المبحث .

والواقع أن محل الشاهد من هذا الحديث هو دعاء الرسول ﷺ لعكاشـة ، فـإن الدعاء هو شفاعة منه ﷺ لعكاشة ، ولذلك فقد رجع ابن كثير عن موقفه بعد ما استبان له أن دعاء رسول ا لعكاشة يصلح لأن يكون دليلاً [١] ، وقد نقـل رحمـه ا عـن القاضي عياض إثباته لهذا النوع من الشفاعات الثابتة لنبينا ﷺ ، ثم علق على ذلك بقوله : (وقد ذكر القاضي عياض وغيره نوعاً آخر من الشفاعة ، وهو الخامس وهـي فـي أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، ولم أر شاهداً فيما علمت ، ولم يـذكر القاضـي عياض – فيما رأيت – مستند ذلك ، ثم تذكرت حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول ا ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب . والحـديث مخرج من الصحيحين ، كما تقدم ، وهو يناسب هذا المقام)[٢] ،

ومما يؤيد هذا الحديث ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة عن رسـول ا ﷺ أنه قال : سألت ربي عز وجل فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفاً علـى صـورة القمر ليلة البدر ، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً)[٣] . ويؤيده ما جاء فـي حديث الشفاعة العظمى في أهل الموقف من حديث أبي هريرة رضي ا عنه في آخره (.... فيقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمـن مـن أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)[٤].

سادساً : الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه ، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه .

وهذه الشفاعة خاصة لعم رسول ا ﷺ أبي طالب دون غيره ، لمواقفه العظيمة في الذود عن رسول ا ﷺ ومساندة دعوته ومناصرته ، ويدل على ذلك حديث العباس بن عبد المطلب رضي ا عنه أنه قال للنبي ﷺ : (ما أغنيت عن عمك ، فإنه كـان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : (هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الـدرك

([1]) النهاية ، لابن كثير : ٢/ ٢٧٥ .

([2]) النهاية ، لابن كثير : ٢/ ٢٧٥ .

([3]) مسند الإمام أحمد : ٢/ ٣٥٩ ، وقال الهيثمي : (رواه أحمد ورجاله رجـال الـصحيح) مجمـع الزوائـد : ٤٠٤/١٠ ، وقال ابن حجر : (إسناد هذا الحديث جيد) ، فتح الباري : ٤١٠/١١ .

([4]) سبق تخريجه ص (٩٢٣) .

الأسفل من النار)[1] ، وعـن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه أنه سمع النبـي ﷺ – ذكر عنده عمه فقال : (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)[2].

وقد يتنافى هذا مع القول بأن الشفاعة لا تكون إلا في الموحـدين مـنهم الـذين تنفعهم الشفاعة ويؤذن لهم فيها .

والجواب أن هذه شفاعة خاصة بالرسـول ﷺ دون غيـره والمـراد بالمنفعـة المذكورة في الحديث هي التخفيف من النار فقط ، وليس الخروج منها . فالآية يبقـى عموم دلالتها على جميع الكفار والحديث أفاد التخصيص بأبي طالب .

سابعاً : شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة ، وهذه الشفاعة ، تدل عليها أحاديث كثيرة .

ومن تلك الأحاديث ما رواه أنس بن مالك رضي ا عنه قال : قال النبـي ﷺ : (أنا أول شفيع في الجنة ، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبياً مـا يصدقه من أمته إلا رجل واحد) [3] ، وفي رواية له رضي ا عنه قال : قال رسـول ا ﷺ : (أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً) [4] ، وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي ا عنه في الشفاعة العظمى ، وفيه : (.... فيقال يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء النـاس فيما سوى ذلك من الأبواب)[5].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة أبي طالب : ١٤٠٨/٣ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب : ١٩٤/١ .
(2) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة أبي طالب : ١٤٠٩/٣ .
(3) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع : ١٨٨/١ .
(4) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع : ١٨٨/١ .
(5) سبق تخريجه ص (٩٢٣) .

وهذه الشفاعة ثابتة عند السلف ، يقول ابن تيمية رحمه ا تعالى : (وله فـي القيامة ثلاث شفاعات ، ..... وأما الشفاعة الثانية ، فيشفع في أهل الجنـة أن يـدخلوا الجنة)[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي : (النوع السابع : شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة)[٢] . وهذه الشفاعة منها ما هو خاص بالنبي ﷺ كالـشفاعة العظمـى وهي شفاعته في أهل الموقف ، وشفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبـي طالـب ، ويشركه غيره من المؤمنين الصالحين والملائكة وغيرهم ممن يؤذن لهم في غير ذلـك من الشفاعات ، فقد جـاء حديث طويـل عن أبي سعيد الخدري ، عن رسـول ا ﷺ وفيه : (... حتى إذا خلص المؤمن من النار ، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد أشد مناشدة في استقصاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين فـي النـار ، يقولون : ربنا ، إخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النـار إلـى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنـا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا ، لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا ، لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة مـن خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً ،

وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث ، فـاقرأوا إن شـئتم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾[٣] .

فيقول ا عز وجل : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبـق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار ، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد

---

(1) العقيدة الواسطية ، لابن تيمية ، ضمن مجموع الفتاوى : ١/ ١٤٧ .

(2) شرح العقيدة الطحاوية : ٢٣٣ .

(3) سورة النساء ، آية : ٤٠ .

عادوا حمماً ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل .... الحديث)[1] ،

وعنه رضي ا عنه أن رسول ا ﷺ يقول : (إن من أمتي من يـشفع مـن الناس ، منهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم من يشفع للرجـل ، حتى يدخلوا الجنة)[2] ،

قال الآجري : (فيشفع الأنبياء والملائكة والشهداء والعلماء والمؤمنـون فـيمن دخل النار من المسلمين ، فأخرجوا منها على حسب ما أخبرنا رسـول ا ﷺ علـى طبقات شتى)[3].

مذهب المعتزلة في الشفاعة :

أثبتت المعتزلة نوعين من الشفاعة ، وهما : الـشفاعة فـي أهـل الموقـف ، والشفاعة في زيادة درجات أهل الجنة .

أما ما عدا ذلك من أنواع الشفاعة فإن المعتزلة لا يثبتون شيئاً منهـا ، ويـرى المعتزلة أن الشفاعة لا تكون إلا للتائبين المؤمنين فقط دون أهل الكبائر ، ويستند ذلـك

([1]) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول ا تعالى وجوه يومئذ ناضرة : ٢٧٠٧/٦ .
ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية : ١٧٠/١ ، واللفظ ..

([2]) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق ، باب رقم ١٢ : ٦٢٧/٤ .
قال أبو عيسى : " هذا حديث حسن " .

([3]) الشريعة ، للأجري : ٢٣٥ .

على أصل المعتزلة في القول بأن صاحب الكبيرة مخلد في النار ، يقول القاضي عبـد الجبار في الشفاعة : (فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين ، وعند المرجئـة أنهـا للفساق من أهل الصلاة)[1].

ويستدل المعتزلة على خلود صاحب الكبيرة في النار بآيات الوعيد مثـل قولـه تعــالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيٓـَٔتُهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[3].

وغيرها من آيات الوعيد ، وبعد ذكرها يقول القاضي عبد الجبار : (والذي يدل على أن الفاسق يخلد في النار ويعذب فيها أبداً ، ما ذكرناه من عمومات الوعيد ، فإنها تدل على أن الفاسق يفعل به ما يستحقه من العقوبة ، تدل على أنه يخلد ، إذ ما من آية من هذه الآيات التي مرت إلا وفيها ذكر الخلود والتأبيد أو ما يجري مجراها)[4].

واستدلوا بعدم صحة الشفاعة في أهل الكبائر بما ورد من الآيات التـي تنفـي الشفاعة ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[5] ،

وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾[6].

وقولــه تعــالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[7].

---

(1) شرح الأصول الخمسة : ٦٦٦ .
(2) سورة البقرة ، آية : ٨١ .
(3) سورة المائدة ، آية : ٣٧ .
(4) شرح الأصول الخمسة : ٦٦٦ .
(5) سورة البقرة ، آية : ٤٨ .
(6) سورة الزمر ، آية : ١٩ .
(7) سورة غافر ، آية : ١٨ .

ووجه استدلالهم من هذه الآيات أن الله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيعاً البتة[1].

واستناداً إلى هذه النصوص وما سبق من نصوص يدل ظاهرها على تخليد الفاسق في النار – عندهم – فقد نفى المعتزلة شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ﷺ ، مع أنهم يثبتون شفاعته في أهل الموقف ، وشفاعته في رفع درجات من دخل الجنة ، وذكر ذلك عنهم عدد من العلماء ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (وعند الخوارج والمعتزلة أنه لا يشفع لأهل الكبائر ، لأن الكبائر عندهم لا تغفر ، ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها ، لا بشفاعة ولا بغيرها) [٢] ، ويقول الأشعري : (واختلفوا في شفاعة رسول الله ﷺ : هل هي لأهل الكبائر ؟ فأنكرت المعتزلة ذلك وقالت بإبطاله ، وقال بعضهم : الشفاعة من النبي ﷺ للمؤمنين أن يزاد في منازلهم من باب التفضيل) [٣] ، وقال ابن أبي العز الحنفي : (والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره في أهل الكبائر) . [٤]

أما ما استدل به السلف من أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) فإن المعتزلة يرون أنه لم تثبت صحته ، ولو صح فإنه خبر آحاد ، لا يصح الاحتجاج به عندهم[5].

ويرى المعتزلة أن هذا الحديث معارض بأخبار أخرى في باب الوعيد مثل قوله ﷺ : (لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر)[٦] ،

---

(1) انظر شرح الأصول الخمسة : ٦٨٩ .

(2) مجموعة الرسائل والسائل : ١/ ١٠ .

(3) مقالات الإسلاميين : ١٦٦/٢ .

(4) شرح العقيدة الطحاوية : ٢٣٥ .

(5) انظر شرح الأصول الخمسة : ٦٩٠ .

(6) مسند الإمام أحمد : ٢٠٣/٢ ، وسنن النسائي ، كتاب الأشربة ، باب الرواية في المدمنين في الخمر : ٣١٨/٨.

وسنن الدارمي ، كتاب الأشربة ، باب في مدمن الخمر : ١٥٣/٢ ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه . قال الألباني : (صحيح) في تحقيق سنن النسائي : ٥٧٢ .

وقوله ﷺ : (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً) [١].

وربما أولوا الحديث فقالوا : (إن المراد بالشفاعة المذكورة في الحديث أنها شفاعته في أهل الكبائر من أمته ﷺ إذا تابوا [٢].

والحاصل أن غرض المعتزلة من نفي الشفاعة عن أهل الكبائر عدة أمور :

١- التأكيد على أصلهم في أن مرتكب الكبيرة مستحق للعقاب على الدوام .

٢- الشفاعة في أهل الكبائر تثبت لهم ثواباً ، وإثابة من لا يستحق الثواب من القبيح ، فلزم نفي هذه الشفاعة ، لأنها تؤدي إلى قبيح .

٣- المكلف لا يدخل الجنة تفضلاً ، وإنما نظير عمله .

وعلى ذلك فمن العدل الإلهي عند المعتزلة أن يكون صاحب الكبيرة مخلداً في النار ، لأنه مستحق للعقاب ، ولا يستحق الثواب ، ولو نجا من العقاب ونال الثواب فإن ذلك قبيح ، والعدل هو فعل الحسن وترك القبيح .

كذلك فإن أهل الجنة – عندهم – إنما يدخلون الجنة بأعمالهم وهم مستحقون لها حقاً واجباً ، نظير أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، ولا يصح أن يدخل الجنة أحد تفضلاً ، لأن ذلك من الظلم الذي نزه الرب تعالى نفسه عنه ، وهو اختصاص عبد دون عبد بهذا الفضل .

نقد موقف المعتزلة :

يعتمد نفي المعتزلة للشفاعات المثبتة ، وبخاصة الشفاعة في أهل الكبائر على قولهم بتخليد صاحب الكبيرة في النار ،

وهذا ما تقدم بيان خطئهم فيه في مبحث سابق مما أغنى عن إعادته هنا[١].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب شرب السم : ٢١٧٩/٥ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

(2) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار : ٦٦٦ ، ٦٩١ .

وحاصل القول في ذلك أن المعتزلة أخذوا نصوص الوعيد بعـين الاعتبـار ، وأهملوا نصوص الوعد ، وأقوى ما يستدل به على رد كل ما احتج به المعتزلـة مـن تخليد أهل الكبائر في النار قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[٢] .

أما ما استدلوا به من النصوص التي تنفي الشفاعة ، فقد تقدم أن هذه الـشفاعة المنفية إنما هي الشفاعة في الكفار والمشركين ، وأما الموحدون فإنها ثابتة لهـم ، وإن كانوا من أهل الكبائر ،

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى :﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[٣]، (أي ليس للذين ظلموا أنفسهم – بالشرك بالله – من قريب منهم ينفعهم ، ولا شفيع يشفع لهم ، بل قـد تقطعـت بهـم الأسباب من كل خير)[٤].

وأما قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [5] ، فالمراد بالآية نفي انتفاع الكفار بالشفاعة قال ابن كثير (إنها واردة على كل من كان متصفاً بمثل هذه الصفات – يعني الكفر بالله - ، فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع ، لأن الشفاعة إنما تـنجح إذا كان المحل قابلاً ، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالـداً فيها)[٦].

---

(1) راجع ص (١٦٦) من هذا البحث .

(2) سورة النساء ، آية : ١١٦ .

(3) سورة غافر ، آية : ١٨ .

(4) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير : ٧٥/٤ .

(5) سورة المدثر ، آية : ٤٨ .

(6) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير : ٤/ ٤٤٧ .

أما قوله ﷺ : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) [1]، فقد ثبتت صحته ، ولكـن المعتزلة نفت صحته ، ولو صح عندهم فإن له تأويلاً بما يوافق أصولهم .

ويؤيد هذا الحديث أحاديث أخرى أوردناها فيما تقدم تفيد شفاعته ﷺ فـي أهـل الكبائر ممن أدخل النار ، فأخرجوا منها بشفاعته عليه الصلاة والسلام ، وهذا نص في أن الشفاعة ثابتة في أهل الكبائر بدون اشتراط التوبة ، ومما ورد في ذلـك مـا رواه عمران ابن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ليخرجن قوم من أمتـي مـن النار بشفاعتي يسمون جهنميون)[2] ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قـال : قال رسول الله ﷺ : (أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيـون ، ولكن ناساً أصابتهم النار بذنوبهم – أو قال : بخطاياهم – فأماتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فحماً ، أذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيـل : ياأهل الجنة ، أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجـل من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية)[3].

قـال أبو بكر الآجري رحمه الله تعالى عن تأويل المعتزلة لأحاديث الشفاعة : (إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأً فاحشاً ، خرج به عن الكتـاب والـسنة ، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر ، أخبر الله عز وجل أنهـم إذا دخلوا النار أنهم غير خارجين منها ، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحـدين ، ولـم يلتفت إلى أخبار رسول الله ﷺ في إثبات الشفاعة ، أنها إنمـا هـي لأهـل الكبـائر ، والقرآن يدل على هـذا ، فخرج بقوله السوء عن جملة ما عليه أهل الإيمان ، واتبـع غير سبيلهم .....)[4].

---

(1) سبق تخريجه ص (٩٢٦) .

(2) سنن الترمذي ، كتاب صفة جهنم ، باب رقم (١٠) : ٧١٥/٤ .
قال أبو عيسى : " هذا حديث حسن صحيح " .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين : ١٧٢/١ .

(4) الشريعة ، للأجري : ١٢٠٥/٣ ، وانظر شرح أصول معتقد أهل السنة والجماعـة ، للألكـائي : ١١٦٠/٥ ، وشرح السنة ، للبربهاري : ٧٣ .

وقـال ابن العز الحنفي : (شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ، ممـن دخـل النار ، فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث ، وقد خفي علم ذلك علـى الخوارج والمعتزلة ، فخالفوا في ذلك ، جهلاً منهم بصحة الأحاديث ، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته) [١] ، وقد أسهب الرازي في إيراد شبههم والرد عليها [٢].

(1) شرح العقيدة الطحاوية : ٢٣٣ .
(2) التفسير الكبير ، للرازي : ٥٦/٣ – ٥٩ .

المبحث الثالث :

الصحائف .

إن ا ثبت كتاب ا تعا وسنة رسوله ﷺ كتابة الملائكة الكرام الكاتب لكل ما يصدر مـن العبد من قول أو فعل ، وب القرآن الكر شدة مراقبة الملائكة للعبـد ، وتسجيل ما يفعله وما يتلفظه ، ومنه قوله تعا : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ١٠ كِرَاماً كَاتِبِينَ ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢ ﴾[1] ، وقال تعا : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ

(1) سورة الإنفطار ، آية : ١٠-١٢ .

رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[1] ، وقال تعا : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[2] ، وقال تعـا : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾[3].

وتارة يسند ا تبارك وتعالى الكتابة إليه ، ومن ذلك قوله تعـالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ ﴾[5]، وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[6].

وقال تعـالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[7] .

وليس ذلك من التعارض ، فإن الملائكة هم الذين يكتبون أعمال بني آدم ، بإذن ربهم ، وبعلمه ، وبأمره ، ولذلك أسند إلى كل بحسبه ، كما مر معنا في إسناد التـوفي إلى ا تارة ، وإلى الرسل تارة ، وإلى ملك الموت تارة [8].

---

(1) سورة ق ، آية : ١٧-١٨ .

(2) سورة الزخرف ، آية : ٨٠ .

(3) سورة الزخرف ، آية : ١٩ .

(4) سورة آل عمران ، آية : ١٨١ .

(5) سورة مريم ، آية : ٧٧-٧٨-٧٩ .

(6) سورة النساء ، آية : ٨١ .

(7) سورة يس ، آية : ١٢ .

(8) راجع ص (٧٨٨) من هذا البحث .

ويدل إسناد ا تعالى الكتابة إليه على تعظيم ذلك الأمر ، وبيان الدقـة فيـه ، ولأهميته في الثواب والعقاب والمحاسبة الأخروية [(١)].

وعن ابن عباس رضي ا عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجـل قال : قال ا (إن ا كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحـسنة فلـم يعملها كتبها ا له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها ا عنـده عـشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبهـا ا عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها ا سيئة واحدة)[(٢)] ،

وعن أبي هريرة رضي ا عنه أن رسول ا ﷺ قال : (من قال لا إله إلا ا وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير ، في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحـد عمل أكثر من ذلك ، ومن قال : سبحان ا وبحمده في يوم مائة مرة ، حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) [(٣)] ، وغير ذلك من النصوص التي تؤكد كتابـة الملائكـة لأعمال العباد ، فهم موكلون بها ، أمناء على ما يكتبون .

والإقرار بهذا الأمر ثابت لا خلاف فيه بنصوص القرآن والسنة .

ولما ثبت تسجيل الملائكة لأعمال العباد في الدنيا ، فإن وقت اطلاع العباد عليها هو يوم القيامة عند المحاسبة وبدء المجازاة ، ففي ذلك اليوم يقـرأ كـل عبـد كتابـه وصحيفة أعماله ، فيجد كل ما قدمه في الدنيا من عمل ، صغيراً كان أو كبيراً ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤ ﴾[(٤)] ، فدلت هذه الآية على إخراج الكتاب للعبد وقراءته له ، لمحاسبته على أعماله ، وقد أسند ا تبارك وتعـالى

---

(1) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١/ ٤٣٤ .

(2) سبق تخريجه ص (٨٩١) .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء : ٢٠٧١/٤ .

(4) سورة الإسراء ، آية : ١٣-١٤ .

المحاسبة في الآية إلى العبد ، وفي ذلك إظهاراً لعدله سبحانه ، فقراءة العبد لأعمالـه تجعله يحكم على نفسه ، ويعلم تقصيرها في جنب ا ، فلا يشعر بـالظلم ، وإلا فـإن الحساب والحكم كله تعالى ،

وفي ذلك يقول ابن كثير رحمه ا تعالى : (ولهذا قال تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ [1] ، أي إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت ، لأنك ذكرت جميع ما كان منك ، ولا ينسى أحد شيئاً مما كان منه ، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي)[2] ،

فكل ما عمله العبد من خير أو شر موجود في الصحائف ، وهـو ملـزوم بـه مجازى عليه ، وبذلك قال ابن عباس ومجاهد[3].

وقال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[4] ،

قال ابن كثير رحمه ا : (ووضع الكتاب) أي كتاب الأعمال الذي فيه القليل والحقير ، والفتيل والقطمير ، والصغير والكبير .....)[5].

ولأن الناس مختلفون في أعمالهم فقد اختلفت أحوالهم عند قراءة الصحف ، بـل حتى عند أخذ الصحف .

فقسم يأخذ الكتاب بيمينه ، وهذا القسم مسرور راض بكتابه ، وبما يصير إليـه من النعيم العظيم ،

وقسم يأخذ الكتاب بشماله ، وهذا القسم نادم متحسر ، ومصيره إلى عذاب أليم ،

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ١٤ .
(2) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٣ /٤٦ .
(3) انظر المصدر نفسه : ٣ / ٤٦ .
(4) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .
(5) تفسير القرآن العظيم ، لأبن كثير : ٩٠/٢ .

وقد جاءت آيات تدل على ذلك ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ٢٩ ﴾[1] ،

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ١٢ ﴾[2] .

وفي هذه الآيات ذكر الله تعالى أخذ الكتب بالأيمان ، أو من وراء الظهور فهذه حالة ثالثة غير الشمائل والأيمان ، وفي الواقع هما حالتان فقط لا ثالث لهما ، إما أخذ الكتب بالأيمان ، وإما بالشمائل من وراء الظهور ،

قال ابن كثير في تفسيره : (أي – تجعل – شماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه لها)[3].

وقال الشنقيطي رحمه الله في الجمع بين هذه الآيات : (ولا منافاة بين أخذه بشماله ، وإيتائه وراء ظهره ، لان الكافر تنقل يمناه إلى عنقه ، وتجعل يسراه وراء ظهره ، فيأخذ بها كتابه)[4].

أما ما يدل على قراءة الصحائف من السنة ، فقد تقدم حديث ابن عمر الثابت في الصحيحين حينما سئل عن النجوى وفيه قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه : (..... فيقول :

(1) سورة الحاقة ، آية : ١٩-٢٩ .

(2) سورة الإنشقاق ، آية : ٧-١٢ .

(3) تفسير القرآن العظيم : ٥٠١/٤ .

(4) دفع إيهام الاضطراب : ٣١٢ ، ضمن أضواء البيان : ٩ .

سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك يوم القيامة ، ثم تطوى صحيفة حسناته ، كما في لفظ البخاري)[1]،

وحديث البطاقة وفيه : (.....فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مـد البصر) . [2]

وإيتاء الله تعالى عباده صحائف أعمالهم يدل على تمام عدله وكمال إنصافه في محاسبة عباده ، وذلك بأن يبين لكل عبد عمله الذي قدمه ، ويثبته عليـه بمـا يقطـع حجته.

ولو شاء الله تبارك وتعالى لنبأه بأعماله بدقه دون هذه الكتب والصحائف ،

ولكنه تعالى وهو العدل الحكم جعل حسابه مكتوباً في منتهى الدقـة والبيـان ، لتكون هذه الصحف قاطعة لحجة العبد ، وملازمة له بما فيها ، فليس بعد ذلك حجـة ، وليس له أن يجادل بعد ذلك ، وهو الذي تعود الجدال في الدنيا ، فما حاله إذا جاء يوم القيامة وعاين النار وظن أنه هالك ، فإن جداله يومئذ أشد وأقوى ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِى هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَىۡءٖ جَدَلاً ﴾[3] ، وقال تعـــالى : ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِى كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[4] ، ولذلك كانت هذه الصحائف ملجمة للعبد وقاطعة لحجته ، وفيهـا إظهـار لعدله تعالى في محاسبة عباده ، بأن يعرفهم أعمالهم ويقررهم بها ، ويعلم العبد عند ذلك أن ما يحصل له من ثواب أو عقاب إنما هو نتيجة عمله الذي قدمه في الدنيا ، فيعتـرف بعدله تعالى وينزه ربه عن الظلم والجور .

وكما ذكرنا فإن هذه الصحائف فيها كل ما عمله العبد في الدنيا مـن الحـسنات والسيئات من غير نقص أو زيادة .

---

(1) سبق تخريجه ص (٨٩٢) من هذا البحث .

(2) سبق تخريجه ص (٧٧) من هذا البحث .

(3) سورة الكهف ، آية : ٥٤ .

(4) سورة النحل ، آية : ١١١ .

أما ما جاء من تبديل السيئات حسنات فقد اختلف فيه العلماء :

فذهب جماعة من العلماء إلى أن هذا التبديل يحصل في الدنيا ، بـأن يبـدل ا قبائح أعمالهم إلى محاسن الأعمال في الإسلام حيث يبدله بالشرك إيماناً ، وذهب إلـى هذا القول ابن جرير الطبري ، ونسبه أيضاً إلى ابن عبـاس ، وسـعيد بـن جبيـر ، والحسن البصري وغيرهم [١].

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن هذا التبديل يحصل في الآخرة ، بأن يبدل ا مكان السيئة حسنة ، ذهب إلى هذا علي بن الحسين زين العابدين [٢] ، كما ذكـره ابن كثير ونقله أيضاً عن أبي هريرة [٣] ، وأخرج ابن جرير قولاً آخـر لـسعيد بـن المسيب [٤] في هذا المعنى[٥] . وذهب إلى ذلك القرطبي في التذكرة [٦] ،

ومما يدل على أن التبديل في الآخرة حديث أبي ذر رضي ا عنه قال : قـال رسول ا ﷺ : (إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ، وآخر أهـل الجنـة دخولاً إلى الجنة ، يؤتى برجل فيقول : سلو عن صغار ذنوبه وأخبئوا كبارها ، فيقـال له : عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا ، عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، قال : فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، قال : فيقول : يا رب لقد عملت أشياء ما أراها ها هنا . قـال : فلقد رأيت رسول ا ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه)[٧].

---

(1) انظر جامع البيان ، للطبري : ١٩ / ٤٧ .

(2) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، الملقب بزين العابدين ، كان يضرب به المثل في الحلم والورع ، وكان كريماً ، وليس للحسين عقب إلا منه ، ولد بالمدينة سنة ٣٨هـ ، وتـوفي بها سنة ٩٤هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٣٢٠/١ ، صفوة الصفوة : ٥٢/٢ .

(3) نظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٣ / ٣٢٨ .

(4) سعيد بن المسيب بن حزن ، أبو محمد القرشي المخزومي ، عالم أهل المدينة ، وسيد التابعين في زمانه ، ولد لسنتين مضت من خلافة عمر رضي ا عنه ، توفي سنة ٩٤هـ . انظر سـير أعـلام : ٢١٧/٤ ، نزهـة الفضلاء : ٣٧٠/١ .

(5) جامع البيان ، للطبري : ١٩ / ٤٧ .

(6) التذكرة ، للقرطبي : ٢٦٣ .

(7) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب رقم (١٠) : ٧١٣/٤ .
وقال أبو عيسى : " حديث حسن صحيح " .

وذكر هذا الخلاف ابن رجب ، ونسب القول بالتبديل في الآخرة إلى مكحول وابن المسيب ، وعلي بن الحسين ، وغيرهم . ونسب القول بإنكار هذا التبديل لأبي العالية وتلا قوله : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1].

وذكر استدلال من رد التبديل في الآخرة بقوله وتعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[3].

وذكر جواباً على من أنكر التبديل في الآخرة ، بأن التائب يوقف على سيئاته ، ثم تبدل حسنات . [4]

وذكر ابن رجب حديث أبي ذر المتقدم في الاستدلال على صحة التبديل في الآخرة ثم قال : (فإذا بدلت السيئات بالحسنات في حق من عوقب على ذنوبه بالنار ، ففي حق من محيت سيئاته بالإسلام والتوبة النصوح أولى ، لأن محوها بذلك أحب إلى من محوها بالعقاب)[5] ، ويدل على ذلك أيضاً حديث أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات ، قالوا : بم يا رسول ا ؟ قال : " الذين بدل ا سيئاتهم حسنات ")[6].

وقد أجاب ابن رجب على من قال بأن هذا التبديل في الآخرة يجعل كثير السيئات أحسن حالاً ممن قلت سيئاته [7] ، فقال : (إنما التبديل في حق من قدم على

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ٣٠ .

(2) سورة الزلزلة ، آية : ٨ .

(3) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .

(4) انظر جامع العلوم والحكم ، لابن رجب : ١ / ٢٩٨ .

(5) المصدر نفسه : ١/ ٨٩٩ .

(6) أخرجه الحاكم في مستدركه ، ووافقه الذهبي : ٢٨١/٤ .

(7) هذا ظاهر قول أبن جرير الطبري في جامع البيان : ٤٨/١٩

سيئاته ، وجعلها نصب عينه ، فكلما ذكرها ازداد خوفاً ، ورجـاء وحيـاء مـن ا ، ومسارعة إلى الأعمال الصالحة المكفرة كما قال تعـالى : ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَٰلِحاً فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾[1] ،

وما ذكرناه كله داخل في العمل الصالح ، ومن كانت هذه حاله ، فإنه يتجرع من مرارة الندم والأسف على ذنوبه أضعاف ما ذاق من حلاوتها عند فعلها ، ويصير كـل ذنب من ذنوبه سبباً لأعمال صالحة ماحية له ، فلا يستنكر بعد هذا تبديل هذه الـذنوب حسنات)[2].

وذكر ابن رجب في موضع آخر أن القول بأن الذنوب لا تمحى من الـصحائف بتوبة ولا نحوها ، هو الصحيح عند المحققين كما ذكره بعض المفسرين[3].

والظاهر وا أعلم من أقوال العلماء - وبخاصة ابن رجب الذي يظهر في قوله أنه مال إلى التبديل في الآخرة - ، أن ذلك التبديل لا يكون بمحو السيئات مـن الـصحيفة ، وهو القول الراجح عند المفسرين ، فدل ذلك على أن السيئات تبقى في الصحائف إلـى وقت الحساب ، ثم يعرف ا تعالى بها العبد ويقرره بها ثم يبدلها حسنات بـأن يثبتـه على توبته . وا أعلم .

والذي يجب التأكيد عليه أن هذه المسائل من الأمور الغيبية ، والمهم هو الإقرار بأخذ الكتب يوم القيامة ، وأن كل عبد يجد ما عمل من عمل حاضراً شراً كان أو خيراً ،

أما التائب فلا شك أن ا تعالى يقبل توبته إذا كانت نصوحاً ، ويغفر لـه مـا سلف ، ويكفر عنه سيئاته ، ولا يظلم ربك أحداً .

---

(1) سورة الفرقان ، آية : ٧٠ .

(2) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب : ١ / ٣٠٠ .

(3) المصدر نفسه : ٤٥٢/١ .

المبحث الرابع :

الميزان .

تعريف الميزان :

الميزان لغة :

يطلق لفظ الوزن والميزان في اللغة على عدة معان ، فهو يطلق ويراد به بيـان قدر الشيء وقيمته ، أو خسة الشيء وسقوطه .

ويراد بالميزان الميزان ذو الكفات ، ويراد به العدل أيضاً [1] ،

قال الراغب [2] : (الوزن معرفة قدر الشيء ....)[3] ،

أما الميزان فهو الآلة التي توزن بها الأشياء ويجمع على موازين ،

وجائز أن يقال للميزان الواحد – بأوزانه وجميع آلته – الموازين[4].

قال الراغب : (إن مجيء الميزان على صيغة الجمع تـارة ، ومجيئـه تـارة أخرى بالإفراد فإنما هو باعتبار المحاسب والمحاسبين ، فمجيئه بلفظ الواحد اعتبـاراً بالمحاسب ، ومجيئه بالجمع اعتباراً بالمحاسبين)[5].

الميزان في الاصطلاح :

الميزان في الاصطلاح الشرعي هو الذي أخبر ا عنه في كثيـر مـن آيـات القرآن الكريم ، وأخبر عنه نبيه وهو ميزان حقيقي ، له لسان وكفتان توزن به أعمـال العباد ، خيرها وشرها .

ويؤمـن أهل السنة والجماعة بنصب الميزان يوم القيامة ، لتوزن بـه أعمـال العباد ، وتظهر مقاديرها .

وقد أخبر ا تعالى عنه ، وأخبر عنه رسوله ﷺ ، ونصب الموازين يوم القيامة إنما هو لحكمة عظيمة ، وهي إظهار أقصى كمال العدل الإلهي في مجازاة العباد.

فموازنة أعمال العباد ، حسناتهم وسيئاتهم ، تظهر مقدار عمل كل واحد منهم ، وتظهر التفاوت بين العباد جلياً ، وفي ذلك قطع لحجة العباد ، ودفع لاعتراضـاتهم ، و الحجة البالغة ،

---

(1) انظر تهذيب اللغة ، للأزهري : ٢٥٦/١٣ ، ٢٥٧ .

(2) الحسين بن محمد بن المنضل ، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني ، المعروف بالراغب ، أديب ، من الحكماء العلماء ، من أهل " أصبهان " سكن بغداد ، واشتهر ، توفي سنة ٥٠٢هـ . انظر كشف الظنـون : ٣٦/١ ، الأعلام : ٢٥٥/٢ .

(3) المفردات ، للراغب الأصفهاني : ٥٢٢ .

(4) انظر المصدر نفسه ، ونفس الجزء والصفحة .

(5) المفردات ، للراغب : ٥٢٢ .

والله تعالى عالم بأعمال العباد وبمقاديرها ، وإنما توزن الأعمال إظهاراً لعدل الله لجميع العباد ، قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى : (ويا خيبته من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع ، لخفاء الحكمة عليه ، ويقدح في النصوص بقوله : لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال ، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً . ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده ، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه...)[1].

ولقد ثبت نصب الميزان يوم القيامة بآيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[2] ،

وقال تعالى : ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩ ﴾[3] ،

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ ﴾ .[4]

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١ ﴾ .[1]

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي : ٤١٩ .
(2) سورة الأنبياء ، آية : ٤٧ .
(3) سورة الأعراف ، آية : ٨-٩ .
(4) سورة المؤمنون ، آية : ١٠١-١٠٤ .

فهذه النصوص أثبتت نصب الميزان يوم القيامة ، وبينت كذلك اختلاف أحـوال العباد بين من رجحت حسناته وثقلت موازينه فهو ناج مفلح فائز ، وبين من رجحـت سيئاته وخفت موازينه فهو هالك في النار .

ودلت كذلك نصوص السنة على إثبات الميزان ، وبينت صفته بأنه ميـزان لـه كفتان حسيتان شاهدتان ، ومن ذلك ما رواه عبد ا بن عمرو عن رسول ا ﷺ فقال : قـال رسول ا ﷺ : (إن ا سيخاص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائـق يـوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول له : أتنكر مـن هذا شيئاً ، أظلمك كتبتي الحافظون ؟ قال : لا يا رب ، فيقول : ألك عذر أو حـسنة ؟ فبهت الرجل ، فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلـم اليـوم عليك ، فنخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إلـه إلا ا ، وأن محمـداً عبـده ورسوله ، فيقول أحضروه ، فيقول : يا رب ، وما هذه البطاقه مع هـذه الـسجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة فـي كفـة ، قـال : فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم ا شيء)[٢].

أما الموزونات في الميزان فقد جاءت أحاديث تبينها ، فمن الأحاديث ما دل على وزن الأعمال ومنها قوله ﷺ : (الطهور شطر الأيمان ، والحمد تملأ الميزان)[٣]،

وفي الصحيحين قوله ﷺ : (كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان إلـى الـرحمن ، ثقيلتان في الميزان : سبحان ا وبحمده ، سبحان ا العظيم) . [٤]

ودلت أحاديث أخرى على وزن الصحائف ، ومن ذلك حديث البطاقة وفيه قوله ﷺ : (..... فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم ا شيء)[١].

---

(1) سورة القارعة ، آية : ٦ - ١١ .

(2) سبق تخريجه ص (٧٧) من هذا البحث .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء : ٢٠٣/١ من حديث أبي مالك الأشعري .

(4) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ونضع الموازين القسط ليوم القيامة : ٢٧٤٩/٦ .

صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء : ٢٠٧٢/٤ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

وجاءت أحاديث تدل على وزن العبد نفسه ، فيخف الميزان أو يثقل بمقدار الإيمان والعمل الصالح ، لا بضخامة الأجسام وقوتها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرأوا : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ [٢]) [٣] ،

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود ، أنه كان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تلقيه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله ﷺ : مم تضحكون ؟ قالوا : يا نبي الله من دقة ساقيه ، قال : (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد) . [٤]

ولا تعارض بين هذه النصوص ، ولا تنافي بينها ، فمن الممكن الجمع بينهما بأن يقال : إن الموزونات هي جميع هذه الأمور المذكورة ، فالعامل وعمله وصحف أعماله كلها توزن ،

ويؤيد ذلك أن النص المثبت لوزن الواحد منها لا ينفي وزن غيره ، فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن لهذه الأمور الثلاثة ، وهذا ما ذكره ابن جرير الطبري [٥] وابن كثير [٦] .

---

(1) سبق تخريجه ص (٧٧) .

(2) سورة الكهف ، آية : ١٠٥ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى أولئك الذين كفروا بآيات ربهم : ١٧٥٩/٤ .
وصحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة : ٢١٤٧/٤ .

(4) مسند الإمام أحمد : ٤٢٠/١ .
قال الهيثمي : (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق ... وأمثل طرقها فيه عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث على ضعفه وبقية رجاله أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح) مجمع الزوائد : ٢٨٩/٩ .

(5) انظر جامع البيان ، لابن جرير الطبري : ١٢٣/٨ .

(6) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٣٢٤/٢ .

وهذا ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله فقال : (والذي استظهر من النصوص - والله أعلم – أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن ، لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل ذلك ولا منافاة بينها)[1].

أما وزن العمل وهو عرض فلا يتعارض مع العقل ، فقد ذهب السلف إلى أن الله يقلب الأعمال – وهي أعراض – أجساماً ثم توزن ، وذلك بأن تأتي في صورة أجسام الله يعلم بها ،

قال ابن أبي العز الحنفي : (فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول : الأعمال أعراض لا تقبل الوزن ، وإنما يقبل الوزن الأجسام ، فإن الله يقلب الأعراض أجساماً)[2].

ويؤيد ذلك ما ورد في مجيء القرآن شافعاً لأصحابه يوم القيامة ، وأن البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، ففي صحيح مسلم عن أبي أمامه [3] ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين ، البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف)[4].

فالميزان ميزان حسي مشاهد له كفتان ولسان ، والموازنة تحدث بين الحسنات والسيئات ، فإن رجحت حسنات العبد على سيئاته كان من أهل الثواب ، وإن رجحت سيئاته على حسناته كان من أهل العذاب ، ومع أن النصوص دلت على أن كل عبد لابد من إقامة الميزان له ، وهذا الوزن بعد المحاسبة وإعطاء الصحف . إلا أن نصوصاً أخرى جاءت لتدل على أن من العباد من لا يقام لهم ميزان ، إظهاراً لشرفهم وفضلهم ، فقد جاء في حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه (.... فيقول يا

(1) معارج القبول ، للحكمي : ٢٢١/٢ .

(2) شرح العقيدة الطحاوية : ٤١٩ .

(3) صدي بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمامة ، صحابي ، توفي في أرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ، وذلك سنة ٨١هـ . انظر تهذيب التهذيب : ٤٢٠/٤ ، صفوة الصفوة : ٣٠٨/١ .

(4) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن : ٥٥٣/١ .

محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ..)[١] ، فإذا كانوا لا يحاسبون فمن باب أولى أن لا يقام لهم ميزان .

وأما الكفار فالذي عليه أكثر السلف أنه لا وزن لهم ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ [٢] ،

وهو الظاهر من قول شيخ الإسلام ابن تيميه ، حيث قال : (وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته ، فإنه لا حسنات لهم ، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ، ويقررون بها)[٣] ،

ورجح ذلك الهراس في شرحه الواسطية فقال : (والصحيح أن أعمال الخير التي يعملها الكافر يجازى بها في الدنيا فقط ، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء ، وقيل : يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر)[٤].

واستدلوا على ذلك بأن أعمال الكفار محبطة لا وزن لها ، فقد وصفها ا تبارك وتعالى بأنها كالسراب الذي يظنه الإنسان ماء لكنه ليس بشيء ، فقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[5] ، كما وصفها بالريح الشديدة التي تهب على الزروع والثمار فتدمرها ، فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [٦] ، وشبهها تعالى أيضاً بالرماد الذي جاءته ريح عاصف فنثرته ، فلا

---

[1] سبق تخرجه ص (٩٢٣) .

[2] سورة الكهف ، آية : ١٠٥ .

[3] مجموعة الفتاوى : ١٨٨/٤ .

[4] شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل هراس : ١٢٥ .

[5] سورة النور ، آية : ٣٩ .

[6] سورة آل عمران ، آية : ١١٧ .

يمكن جمعه بعد ذلك : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾[1] .

ولذاك فإن ا يجعل أعمال الكفار هباء منثوراً ، قال تعـالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤ ﴾[٣] .

فهؤلاء الكفار من اليهود والنصارى بعد بعثة النبي ﷺ ، وغيرهم - من الذين لا يؤمنون با ورسوله ، وضلوا في الحياة الدنيا ، وأجهدوا أنفسهم في أعمال يظنون أنها عبادة وصلاحاً ، ويعتقدون أنها تنفعهم في الدنيا لا يقبل ا عمل عاقل منهم ، لأن ا جعل الكفر محبط لجميع الأعمال .

فكل أعمال الكفار لا قيمة لها في ذلك اليوم ، لأنها قامت على غير أساس مـن الإسلام ، وهو الدين الحق الذي لا يرتضي ا من عباده سواه ، قال تعـالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٤] .

وعن عائشة رضي ا عنها قالت : يارسول ا ابن جدعان كان في الجاهليـة يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : (لا ينفعه ، إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[5] ،

وعلى ذلك فالكافر ليس له حسنات في مقابل سيئاته ، فلا يقام لـه وزن ، قـال الشيخ السعدي رحمه ا في توضيح السبب في عدم وزن أعمال الكفار : (لأن الوزن فائدته مقابلة الحسنات بالسيئات ، والنظر في الراجح والمرجوح ، وهؤلاء لا حـسنات

---

(1) سورة إبراهيم ، آية : ١٨ .

(2) سورة الفرقان ، آية : ٢٣ .

(3) سورة الكهف ، آية : ١٠٣- ١٠٤ .

(4) سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .

(5) سبق تخريجه ص (٥١٤) .

لهم ، لعدم شرطها وهو الإيمان ... لكن تعد أعمالهم ، وتحصى ، ويقـررون بهـا ، ويجزون بها على رؤوس الأشهاد ، ثم يعذبون عليها ....)[١].

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾[٢] : (من خفت موازين حسناته فرجحت بها موازين سـيئاته).[٣]

وقال السعدي : (لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته)[٤] ،

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي ا عنه عن رسول ا ﷺ قال : (ليـأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند ا جناح بعوضه – وقال : اقـرؤوا إن شئتم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[٥])[٦].

والذي يظهر لي – وا أعلم – أن المؤمن والكافر توزن أعمالهم بدلالـة الآيـات ، ولكن الكافر لا يقام له وزن ، بمعنى أنه لا حسنات له تقاوم سيئاته ، ولا يـزن فـي الميزان شيئاً ، فهذا هو الوزن المنفي في الآية ،

ولذلك فإن ابن تيمية قال : بأن الكفار لا يحاسبون محاسبة من توزن سـيئاتهم وحسناتهم ، فإنه لا حسنات لهم ، وإنما تعد سيئاتهم ، بمعنى أنه لا شيء يقابلها فتوزن معه . فلا يجد الكافر سوى سيئاته فيبقى عليها ويقربها – وا أعلم .

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٤٣٧ .

(2) سورة المؤمنون ، آية : ١٠٣.

(3) تفسير جامع البيان ، للطبري : ٥٥/١٨ .

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٨٦٣ .

(5) سورة الكهف ، آية : ١٠٥ .

(6) سبق تخريجه ص (٩٥٣) .

والذي دعاني إلى هذا التوجيه هو أن ا تعالى جعل الميزان إظهـاراً للعـدل والحكم بالقسط يوم القيامة ، فكل الأعمال توزن ، وكذلك جميع العباد يوزنون ، وهـو مدلول الآيات التي دلت على ثقل موازين بعض العباد وخفة موازين آخرين ،

ولكن الكفار لا وزن لهم يذكر في مقابل وزن المؤمنين الذين جاؤوا بحـسنات تقابلها سيئات فيرجح بينهما ، أما الكفار فلا حسنات لهم تقابل سيئاتهم .

وليس المقصود أن الكافر ينصب له ميزان لما قد وجد عنده من أعمال البر التي يظن أنها تنفعه ، فهذه الأعمال محبطة وليست له بحسنات .

وعلى كل فإن هذه المسألة من الأمور الغيبية ، ولكن الثابت فـي المـسألة أن الميزان حق ، والموازنة يوم القيامة لأعمال العباد حق ، واختلاف أحوال العباد عنـد نصب الموازين حق ، وهو تأكيد على العدالة الإلهية وتنزيه لأحكام ا تعـالى مـن الظلم والجور ، يقول ابن جرير الطبري : (فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بـالميزان حجة عليهم ولهم إما بالتقصير في طاعته والتضييع وإما بالتكميل والتتميم) [(١)] .

مذهب المعتزلة في الميزان :

ينسب إلى المعتزلة إنكار الميزان ، يقول الايجي في ذلـك : (وأمـا الميـزان فأنكره المعتزلـة عن آخره ، لأن الأعمال أعراض ، وإن أمكن إعادتها فـلا يمكـن وزنها ....) [(٢)] .

ولكن بالنظر في كتب أهل الاعتزال يظهر من كلامهم أنهم لا ينفـون حقيقـة الميزان ، قال القاضي عبد الجبار : (أما وضع الموازين فقد صرح ا تعالى به في محكم

([1]) جامع البيان ، للطبري : ١٢٤/٨ .

([2]) الموقف اللأبجي : ٣٨٤ .

كتابه ، قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [1] وقوله : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] ،

إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى ، ولم يرد ا تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف فيما بيننا ، دون العدل وغيره على قول بعض الناس ، لأن الميزان وإن ورد بمعنى العد في قوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[3]،

فدل ذلك على طريق التوسع والمجاز ، وكلام ا تعالى مهما أمكن حمله علـى الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز ، يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل ، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى ، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا)[4].

ولكن القاضي بعد هذا الإثبات ذكر طريقة معينه في الأعمال ، بحيـث تنقلـب الأعمال الصالحة نوراً والسيئة ظلمة ، وتجعلان علامة على الخير والشر .

فمع أن القاضي رد على من أول الميزان بالعدل ، فقد ذهب في صفته الـوزن تأويلاً بعيداً ،

وله رأي آخر في الموازين وهو قوله : (لا يمتنع أن يجعـل الطاعـات فـي الصحائف ، ثم توضع صحائف الطاعات في كفة ، وصحائف المعاصي فـي كفـة ، فأيهما ترجحت حكم لصاحبه به) [5] ، وهذا القول موافق لما ذهب إليه بعض العلماء ، ومنهم ابن كثير في النهاية [6].

---

(1) سورة الأنبياء ، جزء من الآية : ٤٧ .

(2) سورة المؤمنون ، آية : ١٠٢ .

(3) سورة الحديد ، جزء من الآية : ٢٥ .

(4) شرح الأصول الخمسة : ٧٣٥ .

(5) المصدر نفسه ، ونفس الصفحة .

(6) النهاية ، لابن كثير : ٩٣/٢ ، ٩٤ ، وتفسير ابن كثير : ٣٢٤/٢ .

المبحث الخامس :

الصراط .

تعريف الصراط :

الصراط لغة :

الصراط بكسر الصاد : الطريق الواضح المستقيم ، قال الفيروز آبادي : (الصراط بالكسر : الطريق)[1] ،

([1]) القاموس المحيط : ٢/ ٣٨٤ .

وقال الراغب : الصراط : الطريق المستقيم ، قال تعـالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾[١] . ويقال له : (سراط)[٢].

ونقل ابن جرير إجماع الأمة على أن الصراط المستقيم هو : الطريق الواضـح الذي لا اعوجاج فيه ، وأن هذا الاستعمال كذلك في لغة العرب)[٣].

وهناك أقوال أخرى في معنى الصراط ، ذكرها أهل العلـم منهـا الإسـلام ، والقرآن الكريم ، وطريق الهداية وغيرها .

والواقع أن هذه الأقوال ليست متباينة إلى حد كبير ، فإن لفظ الـصراط وهـو الطريق تصدق عليها جميعاً ، لأنها ترجع إلى شيء واحد ، وهو المتابعة للرسول ﷺ : كما ذكر ابن كثير[٤].

الصراط اصطلاحاً :

هو : (جسر ممدود على متن جهنم ، أدق من الشعرة ، أحد من السيف ، يعبره الخلائق على قدر أعمالهم) .

وقد بوب البخاري لإثباته شرعاً بقوله : (باب : الصراط جسر جهنم) [5] .

قال ابن حجر : (أي الجسر المنصوب على جهنم ، لعبور المسلمين عليه إلـى الجنة)[٦].

وقال النووي : (هو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم ، فـالمؤمنون ينجون على حسب حالهم – أي منازلهم – والآخرون يسقطون فيها)[٧].

---

(1) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ١٥٣ .

(2) المفردات ، للراغب : ٢٨٠ .

(3) جامع البيان ، لابن جرير الطبري : ٧٥/٧٢/١ .

(4) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٧/١ ، وجامع البيان ، للطبري : ٧٥/١ .

(5) صحيح البخاري : كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم : ٢٤٠٣/٥ .

(6) فتح الباري : ٤٠٦/١١ .

(7) شرح صحيح مسلم ، للنووي : ٤٣٠/١ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والصراط منصوب على متن جهـنم ، وهـو الجسر الذي بين الجنة والنار [1] ، يمر عليه الناس على قدر أعمالهم)[٢].

وقال شارح الطحاوية : (ونؤمن بالصراط ، وهو جسر على جهنم إذا انتهـى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط ....)[٣].

وقال الحكمي : (وينصب الجسر ، وهو الصراط على متن جهنم)[٤].

والصراط ثابت بالكتاب والسنة ، ومما يدل عليه قوله تعـالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢ ﴾[٥].

وهي إشارة إلى وجود الصراط ، إذ لا يكون الورود إلا بالمرور على الصراط على متن جهنم .

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالورود هو الـصراط ، قـال شـارح الطحاوية : (واختلف المفسرون في المراد بالورود ، في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [٦] ، ما هو ؟ والأظهر والأقوى أنـه المـرور على الصراط)[٧].

([1]) قول شيخ الإسلام : (إن الصراط جسر بين الجنة والنار) فيه إشكال ، ولعله أراد أنه يمتد مـن أول النـار ويستمر عليها إلى أن يصل إلى الجنة ، ولكن بعد الصراط القنطرة وليس الجنة ، ولعل ذلك يوافق قول مـن قال بأن القنطرة من الصراط ، وا أعلم .

([2]) الواسطية ، لابن تيمية ضمن مجموعة الفتاوي : ١٤٦/٣ .

([3]) شرح العقيدة الطحاوية : ٤١٥ .

([4]) معارج القبول ، للحكمي : ٢٢٨/٢ .

([5]) سورة مريم ، آية : ٧١ -٧٢ .

([6]) سورة مريم ، آية : ٧١ .

([7]) شرح العقيدة الطحاوية : ٤١٦ .

وهذا الورود هو ورود الموحدين وهو المذكور في قوله ﷺ : (لايدخل النـار ، إن شاء ا ، من أصحاب الشجرة أحد ، الذين بايعوا تحتها) فقالت حفصة [1] : بلى ! فانتهرها ، فقالت : أليس ا يقول :﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ [٢] ، فقال : (وقد قـال ا عز وجل ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾ [٣]) [٤] ، فهذا الحـديث يدل على أن الورود نوعان :

١- ورود الموحدين .

٢- وورد الكفار .

فورود الموحدين هو المذكور في الحديث ، وورود النار لا يستلزم دخولهـا ، وإن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله ، بل تستلـزم انعقاد سببه ، أما الورود الثـاني فهو ورود الكفار وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [5] .

وجاء في البخاري عن أبي هريرة رضي ا تعالى عنه قال : قال أناس : يـا رسول ا ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فذكر الحديث ، وفيه (ويضرب جسر جهنم قال رسول ا ﷺ : فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسول يومئذ : اللهم سلم سلم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : بلى يا رسول ا ، قـال فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا ا ، فتخطف النـاس بأعمـالهم ، منهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل ثم ينجو)[6] .

---

(1) حفصة بنت عمر بن الخطاب ، صحابية جليلة ، من أزواج النبي ﷺ ، ولدت بمكة ، تزوجها رسـول ا ﷺ سنـة ٢ أو ٣ للهجرة ، توفيت بالمدينة سنة ٤٥هـ . انظر طبقات ابن سعد : ٥٦/٨ ، صـفوة الـصفوة : ١٩/٢ ، حلية الأولياء : ٥٠/٢ ، الأعلام : ٢٦٥/٢ .

(2) سورة مريم ، آية : ٧١ .

(3) سورة مريم ، آية : ٧٢ .

(4) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أصحاب الشجرة : ١٩٤٢/٤ .

(5) سورة هود ، آية : ٩٨ .

(6) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم : ٢٤٠٣/٥ .

وعن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه – من حديث طويل – قال : قال رسول ا : (..... ثم يؤتى بالجسر ، فيجعل بين ظهري جهنم ، قلنا يا رسول ا وما الجسر ؟ قال : مد حضة مزلة ، عليه خطا طيف وكلاليب مفاطحة ، لها شوكة عقيفاء ، تكون بنجد يقال لها : السعدان ، والمؤمن عليها كالطرف ، وكالبرق ، كالريح وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم ، وناج مخدوش ، ومكدوس في نار جهنم ، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً) . [1]

فظهر من هذه الأحاديث ثبوت الصراط وصفته ، فهو أحد من السيف ، وأدق من الشعرة ، وهو منزلق لا تثبت عليه قدم إلا أقدام أهل السعادة ، ثم عليه كلاليب وخطاطيف ، وحسك وأشواك .

وتبين الأحاديث اختلاف العباد أثناء مرورهم على الصراط ، فمن العباد من يمر كالبرق لعظيم عمله ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يكون أقل من ذلك ، ومنهم من ينزلق .

واختلاف أحوال الناس على الصراط هو نتيجة اختلاف أعمالهم ، فأعلى الناس مرتبة وأحسنهم عملاً أيسرهم عبوراً وأسرعهم نجاة ، أما من لا عمل له فهو منزلق في نار جهنم ، وبين هاتين الحالتين أحوال مختلفة على قدر اختلاف الأعمال .

ومما يدل على أثر الأعمال في المرور على الصراط ما جاء في حديث طويل أن الرحم والأمانة ترسل على جنبي الصراط قال ﷺ : (... وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً ...... الحديث)[2].

فعبور العبد على الصراط مرهون بقدر عمله ، وليس بقدرته واختياره وسرعته وقوته ، قال ابن عثيمين رحمه ا تعالى : (وهذا بغير اختيار الإنسان ، ولو كان باختياره ، لكان يجب أن تكون بسرعة ، ولكن السير على حسب سرعته في قبول الشريعة في هذه الدنيا ، فمن كان سريعاً في قبول ما جاءت به الرسل ، كان سريعاً في

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة : ٤٧٠٧/٦ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : ١٨٧/١ .

عبور الصـراط ، ومن كان بطيئاً في ذلك ، كان بطيئاً في عبور الـصراط ، جـزاء وفاقاً ، والجزاء من جنس العمل)[1].

وما ورد من أحوال كثيرة في صفة مرور الخلق على الصراط ، كلهـا تـدل على أن المرور على الصراط إنما يتم وفق مقدار العمل ، وهذا من حكمة الرب تبارك وتعالى ، وعدله بين عباده ، وتفريقه بين العاص والمطيع ، ولـيعلم العبـاد أن ا لا يضيع عمل عامل منهم ، فإن أعمالهم سبب في حصول الثواب وحصول الثبات علـى الصراط ، وسبب في دخول الجنة والنجاة من النار .

ولكن هل جميع العباد يمرون على الصراط ؟

- في هذا خلاف بين العلماء :

فقد أشار بعض العلماء إلى أن بعض الكفار لا يمرون على الصراط بل يقذفون في النار قبل الصراط ، ولعلهم عتاة الكفار والطغاة ، وممن أشار إلى ذلك ابن حجـر في الفتح ،

وذهب ابن رجب إلى أن المشركين لا يمرون على الصراط ، ويقول في ذلك : (واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد ا وحده لا يشرك به شيئاً ، ومشرك يعبد مع ا غيره ، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط ، وإنما يقعون في النـار قبل وضع الصراط) [2] .

واستـدل ابن رجب على ذلك بما جاء عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (يجمع ا الناس ، فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع مـن كـان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها- أو منافقوها ، فيأتيهم ا ، فيقـول : أنـا ربكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم ا فـي صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ، ويـضرب

---

(1) شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ١٦٢/٢ .

(2) التخويف من النار ، لابن رجب : ١٧١ .

الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ، ولا يـتكلم يومئـذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم .... الحديث) . [١]

واستدل كذلك بحديث أبي سعيد الخدري وفيه قوله ﷺ : (ينادي مناد : ليـذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليب مـع صـليبهم ، وأصـحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد ا من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ، ثم يؤتى بجهم تعرض كأنها سراب ، فيقال : كذبتم لم يكن صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا ، فيقال : اشـربوا ، فيتساقطون ، حتى يبقى من كان يعبد ا من بر أو فاجر ، فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس ؟ فيقولون : فارقناهم ، ونحن أحوج منا إليه اليوم ، وإنـا سـمعنا مناديـاً ينادي : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون ، وإنما ننتظر ربنا ، قال : فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها لأول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنـا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء ، فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونـه ، فيقولـون : الـساق ، فيكشف عن ساق فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة ، فيذهب كيما يسجد فيعود وظهره طبقاً واحداً ، ثم يؤتى بالجسر ، فيجعل بين ظهري جهـنم ، قلنا : يا رسول ا وما الجسر ؟ قال : مدحضة مزله ، عليـه خطـاطيف وكلاليـب وحكسة.... الحديث)[٢].

ثم قال ابن رجب بعد أن أورد الحديث : (فهذا الحديث صريح في أن كل مـن أظهر عبادة شيء سوى ا كالمسيح والعزيز ، من أهل الكتاب فإنه يلتحق بالمشركين في الوقوع في النار ، قبل نصب الصراط ، فعباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين ، تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيـا ، فترد النار مع معبودها أولاً .....)[٣].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب فضل السجود : ٢٧٨/١ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية : ١٦٤/١ .
(2) سبق تخريجه ص (٩٦٥) .
(3) التخويف من النار ، لابن رجب : ١٧١ .

واستدل كذلك بما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (يخرج يوم القيامة عنق من النار ، لها عينان تبصران وأذنـان تـسمعان ، ولسان ينطق ، تقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع ا إلهـاً أخر ، وبالمصورين)[١].

ثم أورد رحمه ا تعالى عدداً من الروايات في هذا المعنى تدل على أن جميـع الخلق يمرون على الصراط إلا أصنافاً هم ممن غلا في الكفر والطغيان .

وما ذهب إليه ابن رجب هو ظاهر قول ابن عثيمين في شرحه للواسطية حيـث قال عند الحديث عن الصراط : المراد بـ(الناس) هنا : المؤمنون ، لأن الكفـار قـد ذهب بهم إلى النار)[٢].

مذهب المعتزلة في الصراط :

([1]) سنن الترمذي ، كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار : ٧٠١/٤ .

قال أبو عيسى : " هذا حديث حسن غريب صحيح " .

([2]) شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ١٦١/٢ .

مما ينسب إلى المعتزلة إنكار الصراط ، ذكر ذلـك الـسفاريني فـي لوامـع الأنوار[1].

وبالنظر إلى كتب المعتزلة فإننا نجدهم يفسرون الصراط بأنه الطريق ، ومـنهم من يفسره بالأدلة الواضحة .

والقاضي عبد الجبار لم يرض التفسير الثاني ، ومع ذلك لم يثبت صراحة ذلـك الصراط الوارد بصفاته في الشرع ، فيقول في وصف الصراط : (وهو طريق بـين الجنة والنار ، يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار (إذا أرادوا المرور عليه)[2].

ورد القاضي عبد الجبار ما ورد في وصف الصراط من أنه أحد مـن الـسيف وأدق من الشعرة ، وأن المكلفين يكلفون باجتيازه والمرور عليه ، فمن اجتازه فهو من أهل الجنة ، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار ، وذهب إلى أن هذا هـو وصـف الحشوية .

وحجة القاضي في ذلك هو أن تلك الدار ليست هي بدار تكليف حتى يصح إيلام المؤمن ، وتكليفه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة[3].

ويذكر القاضي نقلاً عن كثير من مشايخهم أنه ليس هناك صراط حسي ، لا واسـع ولا ضيق ، وأن ما ورد من ذكر الصراط إنما يراد به المعاصي والطاعات ، كما في قوله : (وقد حكى عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة على المعاصي والطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة ، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبهـا هلـك واستحق من ا تعالى النار)[4] . لكنه رد هذا القول فقال : (إنه مما لا وجه له ، لأن فيه حملاً لكلام ا تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره)[5].

---

(1) لوامع الأنوار البهية ، للسفاريني : ١٩٣/٢ .

(2) شرح الأصول الخمسة : ٧٣٧ .

(3) شرح الأصول الخمسة : ٣٣٧ .

(4) انظر شرح الأصول الخمسة : ٧٣٧-٧٣٨ .

(5) انظر المصدر نفسه : ٧٣٧ .

وللقاضي حجة أخرى ، وهو أنه لا يمكن عبور الصراط إذا كان بهـذه الدقـة وذلك فيه تعذيب للمؤمنين ، والمؤمنون لا عذاب عليهم يوم القيامة[1].

نقد موقف المعتزلة :

يستند إنكار المعتزلة لحقيقة الصراط على الوصف الذي جاء فـي الأحاديـث الصحيحة إلى أصلهم في العدل ، فإن العدل عندهم هو فعل كل فعل حسن ، ولو كـان الصراط كما وصف من الدقة والحدة فإن ذلك تعذيب للمؤمنين وتعذيب المؤمن قبيح ، ولا يحسن من ا فعله .

كما احتج المعتزلة على إنكار ذلك بأن الدار الآخرة دار جزاء وليست دار تكليف .

وهذا لا يسلم لهم فقد ورد أن الآخرة فيها تكليـف ، ومنهـا المـرور علـى الصراط ، وامتحان أهل الفترة ومن في حكمهم كما تقدم .[2]

وأما ما احتجوا به من عدم إمكان المرور على الصراط وهـو بتلـك الدقـة ، فالجواب عليه بأن هذه من أمور الآخرة التي لا تقاس بأمور الدنيا ، فا على كل شيء قدير[3] ، وليس المرور على الصراط بأعجب من المشي على الوجوه كما جـاء فـي حشر الكفار حيث قال عليه الصلاة والسلام : (والذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه [4]) [5] .

وبعد فإن حساب العباد يجري وفق نظام دقيق ومحكـم ، بـأمر رب العـالمين الحكم العدل ، الذي لا يظلم أحداً حقه ولا يبخسه عمله ، ولا يساوي بين المختلفـات ، ولا يفرق بين المتماثلات . وهذا ما يظهر جلياً في محاسبته سبحانه لعباده في الآخرة .

---

(1) انظر المصدر نفسه : ٧٣٧ .

(2) راجع ص (٥١٢) من البحث .

(3) انظر شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين : ٢ /١٦١ .

(4) سبق تخرجه ص (٨٧٦) .

(5) انظر لوامع الأنوار البهية : ٢ / ١٩٢ .

الفصل الرابع:

العدل الإلهي في عقاب العاصين في النار .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : دخول العصاة النار .

المبحث الثاني : أحوال العصاة في النار .

المبحث الثالث : أبدية النار .

المبحث الرابع : تحقق العدل الإلهي في عقاب العاصين في النار .

توطئة

النار هي دار العقاب العظيم التي أعدها ا تبارك وتعالى للكافرين في الحيـاة الآخرة جزاء لهم على كفرهم واقترافهم الآثام ، وهي عذاب ا الأكبر ، وعقابـه الأشـد ، وهي دار غضبه وسخطه ، فيها من العذاب والآلام والأحزان والخزي والخسران مـا يعجز عن وصفه البشر ، ولقد جاء وصف النار في آيات كثيرة من القرآن الكـريم ، وأحاديث كثيرة من أقوال الرسول ﷺ ، كما ورد وصف عذابها ، وحرها ، وأبوابها ، وأهلها ، وغير ذلك .

ومما ورد في القرآن من وصف النار قولـه تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣ ﴾[4] .

وقال تعـالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ ﴾[5] .

---

(1) سورة التحريم ، آية : ٦ .

(2) سورة الواقعة ، آية : ٤١-٤٤ .

(3) سورة القارعة ، آية : ١٠-١١ .

(4) سورة المرسلات ، آية : ٣٠-٣٣ .

(5) سورة المدثر ، آية : ٢٧-٣٠ .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً ١١ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ١٢ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ١٣ ﴾[1] .

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسـول ا ﷺ : (إن ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قيل : يا رسول ا إن كانت لكافية ، قال : فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها)[2].

وليس هنا محل البسط في وصف النار وحرها ولهيبها ، وإنما المقـصود مـن البحث النظر في عدله سبحانه وتعالى في تعذيب عباده في نار جهنم وهذا ما سيتناوله الحديث في هذا الفصل .

---

(1) سورة الفرقان ، آية : ١١-١٣ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفته النار : ١١٩١/٣ واللفظ له .
وصحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم : ٢١٨٤/٤ .

المبحث الأول :

دخول العصاة إلى النار.

يدخل العصاة النار بعد الحساب العادل من رب العالمين ، ومما تقدم في الفصل السابق تبين لنا أن دخول العصاة إلى النار يتفاوت ، فمنهم من تخطفه النار قبل المرور على الصراط كما جاء عند الترمذي في حديث حسن ، وذلك عند خروج عنق من النار تخطف الطغاة من الكفرة ، أما عصاة الموحدين فإنهم يمرون على الصراط ، فمنهم مـن ينجو ومنهم من ينزلق فيهوي في نار جهنم ، قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ٧٠ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢﴾[1].

فهذه الآيات تدل على أن الظالمين والمشركين الذين اشتد كفرهم ، وعظم ظلمهـم ، وكبر عتوهم يقدمون في العذاب وفي دخولهم جهنم ، فمن قـال إن الكفـار يجتـازون الصراط ويمرون عليه ، فإن الآية تدل على أنهم أول من يدخل جهنم ، وأول من ينزع من الكفار إلى النار ، وأما من قال بأن الكفار لا يمرون على الصراط كما ذكر بعض الأئمة كابن رجب وغيره ، وذكروا الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه عـن خـروج عنق من النار ، فإن هذه الآية تؤيد هذا القول وتقويه ، وا أعلم .

والمقصود أن ا تبارك وتعالى يقدم للعذاب الأغلاظ إثما فالأغلاظ ، ويبـدأ بـالأكبر جرماً ، فالأكبر ، وكل ذلك تابع لعدله ، وحكمته وعلمه الواسع [2].

أما ما ورد من الآيات في ذكر أبواب جهنم ، وهو قوله تعـالى : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ٤٤﴾[3].

وقال تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدْخُلُوا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾[4].

فهذه الآيات تدل على وجود أبواب لجهنم ، كما تدل على أن لكل بـاب أناسـاً مختصين ، فيدخل كل عاص من الباب الذي يناسب عمله ، قال ابن كثير رحمه ا

---

(1) سورة مريم ، آية : ٦٨-٧٢ .

(2) انظر تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي : ٤٤٨ ، وانظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابـن كثيـر ، جمـع جماعة من العلماء بإشراف المباركفوري : ٨٣٣ .

(3) سورة الحجر ، آية : ٤٣-٤٤ .

(4) سورة الزمر ، آية : ٧١-٧٢ .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾[1] ، (أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنـه ، ويـستقر فـي درك بحسب عمله)[2].

ولا منافاة بين دخول العاصي من أبواب النار ، وبين كونه يهوي في نار جهنم ، فإن أبواب جهنم سفلية ، كل باب أسفل من الآخر ، فإذا هوى العاصي فيها فإنه يدخل مـن أبوابها حتى يستقر في الدرك المناسب لعمله ، يقول السعدي في تفسير هـذه الآيـة : (﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [3] كل باب أسفل من الآخر)[4].

فمن عدله تبارك وتعالى في عباده ، أنهم يقفون على أبواب جهـنم ، ويقـرون بأعمالهم ، ويعترفون بذنوبهم ، وبذلك يكونون قد أقروا بعدل الله تعالى فيهم ، وعـدم ظلمه لهم ، فلا يدخل أحد النار إلا وعدل الله تعالى مستقر في قلبه ، ويدل على ذلـك قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[5].

فهذا إقرار منهم واعتراف بقيام حجة الله تعـالى علـيهم وانقطـاع حجـتهم ، واعتراف منهم بظلمهم لأنفسهم ، وبعد ذلك يقال لهم : ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[6].

وقال تعالى فـي سـورة الملـك : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ

(1) سورة الحجر ، آية : ٤٤ .
(2) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٦٢/٤ .
(3) سورة الحجر ، جزء من الآية : ٤٤ .
(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٣٨٥ .
(5) سورة الزمر ، آية : ٧١ .
(6) سورة الزمر ، آية : ٧٢ .

سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[1] .

فالنار يدخلها العصاة بعدل الله تعالى ، وهم مقرون بعدل الله فيهم ، معترفون بظلمهم لأنفسهم ، ومنزهون ربهم عن الظلم والجور في حكمه .

ولاشك أن هذا الإقرار ممن وقع عليه العذاب بظلم نفسه دليل على عدل الله تبارك وتعالى ، فإن الاعتراف أقوى الأدلة على ظلم العبد ، وعدل الله فيه ، وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم)[2] .

---

(1) سورة الملك ، آية : ٦-١٠ .

(2) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي : ١٢٥/٤ .

وصححه الألباني في تخريج سنن أبي داود : ٤٧٤ طبعة بيت الأفكار الدولية .

المبحث الثاني :

أحوال العصاة في النار .

يتفاوت عذاب ا تعالى الذي أعده للعصاة في نار جهنم ، فأصناف العذاب في جهنم مختلفة ، ليست على درجة واحدة ، ذلك أن لجهنم دركات ، كلما ذهبـت النـار سفلاً كلما علا حرها ، واشتد لهيبها ،

ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [1] ، وقد تسمى دركات النار درجات ، كما في سورة الأنعام حيث قال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٦٢ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٦٣ ﴾ [3] ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (درجات الجنة تذهب علواً ، ودرجات النار تذهب سفلاً) [4] .

ومما يدل على تفاوت عذاب النار قول النبي ﷺ : (منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته) [5] .

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن أهون أهل النار عذاباً رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم) [6] .

وفي رواية مسلم : (إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه ، كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً) [7] .

---

(1) سورة النساء ، آية : ١٤٥ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ١٣٢ .

(3) سورة آل عمران ، آية : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(4) التخويف من النار : ٥ .

(5) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم : ٢١٨٥/٤ من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(6) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار : ٢٤٠٠/٥ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذاباً : ١٩٦/١ واللفظ للبخاري .

(7) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذاباً : ١٩٦/١ .

وتفاوت أحوال أهل النار إنما هو بتفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار ، ولـذلك قال تعالى : ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ [١] ، قال ابن عباس : (وافق أعمالهم) [٢] . فليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد في الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك ،

ومما هو معلوم عند السلف أن أهل النار قسمان :

١- قسم مخلدون فيها وهم الكفار والمشركون .

٢- قسم يخرجون منها وهم عصاة الموحدين .

أما المشركون والكفار فإنهم خالدون مخلدون في النار ، كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [5] ، وغيرهـا مـن الآيات التي تدل على خلود الكفار والمشركين في نار جهنم ، وهم - مع خلودهم فـي النار - مختلفون فيما ينالونه من العذاب ، فقد جاء ذكر عذاب فرعون وآله في قولـه تعالى ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [٦] ، وقولـــه تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [٧] .

---

[1] سورة النبأ ، آية : ٢٦ .

[2] تفسير الطبري : ١٥/٣٠ .

[3] سورة النساء ، آية : ١١٦ .

[4] سورة الأحزاب ، آية : ٦٤ – ٦٥ .

[5] سورة فاطر ، آية : ٣٦ .

[6] سورة غافر ، آية : ٤٦ .

[7] سورة النساء ، آية : ١٤٥ .

وتفاوت عذاب الكفار والمشركين في النار إنما هو بسبب تفاوت كفرهم وعنادهم ، أما مسألة تخفيف العذاب عنهم بسبب أعمالهم الحسنة في الدنيا فللسلف فيها قولان :

القول الأول : بأنه يخفف عنهم بأعمالهم واختاره ابن جرير وغيره ، ذكر ذلك عنهم ابن رجب [1] ويستدلون على ذلك بحديث التخفيف عن أبي طالب .

القول الثاني : وهو أن الكافر لا ينتفع في الآخرة بشيء من عمله ، لأنها هباء منثوراً كما تقدم[٢].

ويدل على ذلك حديث أنس رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (إن ا لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ، ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها)[٣].

وفيه عن عائشة أم المؤمنين رضي ا عنها قالت : قلت : يا رسول ا إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال : (لا ينفعه لأنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[٤].

ومن قال بهذا القول جعل تخفيف العذاب عن أبي طالب من خصائصه وذلك بشفاعة النبي ﷺ له[5].

أما العصاة الموحدون فإنهم قد يدخلون النار ابتداء حتى يتطهروا من ذنوبهم ، ثم يرجعون ، ويدخلهم ا الجنة ، فهم غير مخلدين في نار جهنم كما هو معلوم من مذهب السلف في مرتكب الكبيرة الموحد ، فإن توحيد العبد ينجيه من الخلود في النار ، أما معاصيه فهي سبب في دخوله النار وإن لم يخلد فيها ، وإنما يكون تحت مشيئة ا تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ

([1]) التخويف من النار ، لابن رجب : ١٨١ .

([2]) راجع ص (٩٥٦) .

([3]) صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا : ٢١٦٢/٤ .

([4]) سبق تخريجه ص (٥١٤) .

([5]) انظر التخويف من النار ، لابن رجب : ١٨٢ - ١٨٣ .

ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلاً بَعِيداً ﴾[1] .

ويدل على ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي ا عنه أن رسول ا ﷺ قال : (بايعوني على أن لا تشركوا با شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف . فمن وفى منكم فأجره على ا ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره ا عليه فهو إلى ا : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك)[2].

فمن مات من العصاة وهو موحد تعالى فأمره مردود إلى ا في العقاب والعفو ، فإن شاء أدخله الجنة ابتداء بعفوه ورحمته وفضله ، وإن شاء عاقبة بقدر ذنبه ، ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة ،

ومما يؤكد ذلك ما سبق ذكره من أحاديث شفاعته ﷺ في إخراج الناس من النار ، وإدخالهم الجنة ، وذكر آخر الناس خروجاً من النار ودخولاً إلى الجنة ، ويدل على ذلك أيضاً قول رسول ا ﷺ : (من مات لا يشرك با شيئاً دخل الجنة)[3] .

وعن أبي ذر رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك با شيئاً دخل الجنة ، قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق)[4].

ولا تتعارض هذه النصوص مع قوله عليه الصلاة والسلام : (لا يدخل الجنة قاطع) .[1] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (لا يدخل الجنة نمام ولا لعان ولا مدمن

---

(1) سورة النساء ، آية : ١١٦ .

(2) سبق تخريجه ص (٧٦) .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك با شيئاً دخل الجنة : ٩٤/١ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا ا : ٤١٧/١ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك با شيئاً دخل الجنة : ٩٤/١ واللفظ له .

خمر) .[2] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)[3] . وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على أن الموحد العاصي لا يدخل الجنة ، أو أن الجنة محرمة عليه .

فإن معنى عدم دخول عصاة الموحدين الجنة يكون على أحد معنين :

أحدهما : أن المراد أنه لا يدخل الجنة ، أي بعض الجنات ، والجنة اسم واقع على كل جنة فيها ، قال ابن خزيمة رحمه ا تعالى : (فمعنى هذه الأخبار التي ذكرها من فعل كذا لبعض المعاصي حرم ا عليه الجنة أو لم يدخل الجنة معناه لا يدخل بعض الجنات التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيماً وسروراً وبهجة وأوسع . لا أنه أراد أن لا يدخل شيئاً من تلك الجنان التي هي في الجنة)[4].

المعنى الثاني : أن المراد بهذه الأحاديث أن دخول الجنة مشروط بمشيئة ا تعالى ، فإن شاء ا عفا عنه وإن شاء فإنه يدخل النار ابتداء على قدر ذنبه ثم يدخل الجنة ، قال ابن خزيمة : (والمعنى الثاني ما قد علمت أصحابي ما لا أحصي من مرة أن كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شرطه ، أي إلا أن يشاء ا تعالى أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة ، إذ ا عز وجل قد أخبر في محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيداً ﴾[5][6] .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب إثم القاطع : ٢٢٣١/٥ من حديث جبير بن مطعم .

(2) سبق تخريجه ص (٩٣٥) .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الفرائض ، باب من أدعي إلى غير أبيه : ٢٤٨٥/٦ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم : ٨٠/١ من حديث سعد وأبي بكرة رضي ا عنهما .

(4) التوحيد ، لابن خزيمة ، نقلاً عن معارج القبول : ٣٦٧/٢ .

(5) سورة النساء ، آية : ١١٦ .

(6) التوحيد ، لابن خزيمية ، نقلاً عن معارج القبول ، للحكمي : ٣٦٨/٢ .

وقال رحمه الله تعالى : (وقد يجوز أن يقول ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لم يدخل الجنة التي يدخلها من لم يرتكب هذه الحوبة ، لأنه يحبس عند دخول الجنة إما للمحاسبة على ذلك أو لإدخاله النار ليعذب بقدر ذلك الذنب ، إن كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار ، إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب ، فمعنى هذه الأخبار على هذه المعاني)[1].

والمقصود من ذلك أن الموحدين العصاة مصيرهم إلى الجنة ، فهم لا يخلدون في النار ، وإنما ينالهم العذاب المناسب لأعمالهم وذنوبهم ، ثم يدخلون الجنة ، أما المشركون فإنهم مخلدون في النار .

وهؤلاء الموحدون يتفاوت عذابهم في النار أيضاً فمنهم من يطول بقاؤه في النار ، ومنهم من لا يطول ، ومنهم من يناله عذاب شديد ، ومنهم من يخفف عنه ، وكل ذلك على قدر أعمال العباد ، وذلك أن هؤلاء العصاة الموحدين منهم أصحاب كبائر ، ومنهم أصحاب صغائر ، فلا يستوي الاثنان عند الله تعالى [٢] ، فكان من عدله تبارك وتعالى أن جعل عذاب النار أصنافاً وأنواعاً كثيرة على درجات مختلفة على قدر أعمال العباد ، فكل عقاب يوضع في موضعه المناسب له ، وكل عبد عاص يعاقب بعقاب مناسب له ، وذلك كمال العدل الإلهي .

مذهب المعتزلة في أهل النار :

ذهب المعتزلة إلى أن أهل النار خالدين فيها أبداً ، لا يخرج منها أحد سواء كان كافراً مشركاً أم موحداً عاصياً .

وقالوا : بأن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا ، أما في الآخرة فهو خالد في النار لا يخرج منها إذا مات قبل التوبة .

---

(1) المصدر نفسه .

(2) انظر التخويف من النار ، لابن رجب : ١٨٠ .

واستدل المعتزلة على قولهم هذا بنصوص الوعيد مثل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2] ،

وقوله عليه الصلاة والسلام : (لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا نمام ولا عاق)[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام : (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها)[4] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً أبداً)[5][6].

وحجة المعتزلة في ذلك أن هؤلاء العصاة مستحقون للعقاب ، وعدم عقابهم من ا تعالى قبيح ، وا لا يفعل القبيح ،

وقد تقدم ذكر أقوال المعتزلة في هذه المسألة ، وذكر أدلتهم والرد عليها على منهج أهل السنة والجماعة ، مما أغنى عن إعادته و الحمد والمنة[7].

(1) سورة الجن ، آية : ٢٣ .
(2) سورة البقرة ، آية : ٨١ .
(3) سبق تخريجه ص (٩٣٥) .
(4) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب شرب السم : ٢١٧٩/٥ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .
(5) سبق تخريجه ص (٩٣٥) .
(6) انظر شرح الأصول الخمسة : ٦٦٦ وما بعدها .
(7) راجع ص (٩٣٥) من هذا المبحث .

١٨- المبحث الثالث :

أبدية النار .

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن النار مخلوقة ، موجودة ، خالدة لا تفنـى ولا تبيد ، قال الإمامان الحافظان أبو حاتم وأبو زرعه : (أدركنـا العلمـاء فـي جميـع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم .... الجنة حق والنـار حـق ، وهما مخلوقتان ولا تفنيان أبداً)[1] .

([1]) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي : ١٩٩/١ .

وقال شيخ الإسلام : (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية ، كالجنة والنار والعرش ...)[1].

وقال الطحاوي : (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان)[2].

وقد جاءت آيات القرآن الكريم لتدل على أن النار خالدة وأن عذابها خالـد ومقيم ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[4].

ووصف أهلها بأنهم خالدون فيها ، قال تعـالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[5].

وقـال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ١٦٢ ﴾[6].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾[7].

---

(1) بيان تلبيس الجهمية : ١٠/٥٨١ .

(2) شرح الطحاويه ، لابن أبي العز الحنفي : ٤١٩ ، وانظر التوحيد ، لابن خزيمـه : ٢/٨٧٥ ، وشـرح الـسنة للبربهاري : ٧٤ ، والشريعة للآجري ، تحقيق د. عبدا الدميجي : ٣/ ١٣٤٣ / ١٣٧١ .

(3) سورة يونس ، آية : ٥٢ .

(4) سورة المائدة ، آية : ٣٧ .

(5) سورة البقرة ، آية : ٣٩ .

(6) سورة البقرة ، آية : ١٦١-١٦٢ .

(7) سورة الزخرف ، آية : ٧٤ .

كما دلت الآيات على أن أهلها لا يخرجون منها ، قـال تعـالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٣٥ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[4] .

وفي البخاري من حديث عبد ا بن عمر رضي ا عنهما عن النبي ﷺ ، قال : (يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم : يأهل النار لا موت ، ويا أهل الجنة لا موت ، خلود)[5] .

وروى عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (يقال لأهـل الجنة : يا أهل الجنة لا موت ، ولأهل النار : يا أهل النار خلود لا موت)[6] .

وفيه عن ابن عمر رضي ا عنهما قال : قال رسول ا ﷺ : (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنـار ،

---

(1) سورة المائدة ، آية : ٣٧ .

(2) سورة الزخرف ، آية : ٧٧ .

(3) سورة الجاثية ، آية : ٣٤ – ٣٥ .

(4) سورة البقرة ، آية : ١٦٧ .

(5) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب : ٢٣٩٦/٥ .

(6) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب : ٢٣٩٧/٥ .

ثم يذبح ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهـل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم)[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه قال : قال رسـول ا ﷺ : (يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم هذا الموت ، قال: ويقال : يا أهل النار ، هل تعرفون هذا ؟ قال فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعـم ، هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح ، قال : ثم قال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويـا أهل النار خلود فلا موت ، قال : ثم قرأ رسول ا ﷺ : (وأنذرهم يـوم الحـسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون)[2][3].

فالنار لا تفنى ولا تبيد وهي مخلوقة موجودة الآن بدليل قوله تعـالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴾[6].

وفي الصحيحين من حديث عبد ا بن عمر رضي ا عنهما ، أن رسـول ا ﷺ قال : (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان مـن أهـل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك ا يوم القيامة)[7].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار : ٢٣٩٧/٥ .
صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء : ٢١٨٩/٤ .
(2) سورة مريم ، آية : ٣٩ .
(3) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون : ١٨٨/٤ .
(4) سورة آل عمران ، آية : ١٣١ .
(5) سورة البقرة ، آية : ٢٤ .
(6) سورة الأحزاب ، آية : ٦٤ .
(7) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب عذاب القبر من الغيبة والبول : ٤٦٤/١ .

وفي صحيح مسلم ، عن عائشة رضي ا عنها ، قال : خسفت الشمس علـى عهد رسول ا ﷺ ، فذكرت الحديث ، وفيه : وقال رسول ا ﷺ : (رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به ، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني تقدمت ، ولقد رأيت النار يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت)[1].

فالقول بأبدية النار ذهب إليه السلف من أهل السنة والجماعة ، وأما فناؤها فإنه ينسب إلى بعض السلف ، كما قال شارح الطحاوية : (وقال ببقاء الجنة وفنـاء النـار جماعة من السلف والخلف ....)[2].

واستدل من قال بفناء النار دون الجنة بقوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾[3].

وقوله تعـالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ﴾[4].

والشاهد أنه لم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهـل الجنة ، في قوله تعـالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾[5].

صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه : ٢١٩٩/٤ .

(1) صحيح البخاري ، كتاب أبواب العمل في الصلاة ، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة : ٤٠٦/١ .

صحيح مسلم ، كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف : ٦١٨/٢ .

(2) شرح العقيدة الطحاوية : ٤٢٤ .

(3) سورة الأنعام ، آية : ١٢٨ .

(4) سورة هود ، آية : ١٠٦ – ١٠٧ .

(5) سورة هود ، آية : ١٠٨ .

واستدلوا كذلك ببعض الآثار الواردة عن الصحابة مثل ابن مسعود وأبي هريرة، وأبي سعيد رضي ا عنهم ، ومنه ما نقله الحسن عن عمر رضي ا عنه أنه قال : (لـو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج ، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه)[1].

ومما يستدل به أصحاب هذا القول : أن النار موجب غضبه تعـالى ، والجنـة موجب رحمته ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (لما قضى ا الخلق ، كتب كتابـاً ، فهو عنده فوق العرش ، وإن رحمتي سبقت غضبي)[٢].

وقد قال تعالى : ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[٣].

وقد أخبر ا تعالى عن العذاب بأنه عذاب يوم عظيم فقال : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[٤].

وأخبر بأنه عذاب يوم ألـيم ، فقـال : ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾[٥] ، بينما لم يخبر عن النعيم بأنه نعيم يوم .

وقد ذكر ابن القيم وجوهاً كثيرة تؤيد القول بفناء النار بلغت خمـسة وعـشرين وجهاً في مختصر الصواعق [٦] ، وشفاء العليل [٧] ، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح [٨] ،

---

(1) ضعيف لأنه من رواية الحسن ، والحسن لم يدرك عمر رضي ا عنه رواه ابن الجوزي في الموضـوعات : ٢٦٨/٣ وضعفه محقق الطحاوية : ٤٢٨ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء : ٢٧٠٠/٦ .
وصحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة ا : ٢١٠٨/٤ من حديث أبي هريرة رضي ا عنه .

(3) سورة الأعراف ، آية : ١٥٦ .

(4) سورة الأنعام ، آية : ١٥ .

(5) سورة هود ، آية : ٢٦ .

(6) مختصر الصواعق ، لابن القيم : ٢١٠ وما بعدها .

(7) شفاء العليل ، لابن القيم : ٢١٣/٢ وما بعدها .

(8) حادي الأرواح ، لابن القيم : ٢٨٥ وما بعدها .

وكلها تدول حول أن حكمة الله تعالى ورحمته أعظم وأبلغ من أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له ، وأما أنه يخلق خلقاً ينعم عليهم ويحسن إليهم نعيماً سرمداً ، فهو مقتضى الحكمة ، وأن كل ما ورد في الخلود من النار والتأبيد فيها وعدم الخروج منها وأن عذابها مقيم ، وأنه غرام ، كله حق مسلم ، لا نزاع فيه وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية ، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد .

وهذا القول بفناء النار دون الجنة ينسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

أما ابن القيم فإنه أسهب في ذلك وأورد الأدلة التي تؤيد هذا القول ، وأطال الكلام فيها بنفسه الطويل ، وذكر الآثار الواردة عن بعض الصحابة ، ونصر القول بفناء النار ومال إليه .

ثم ذكر أقوال الذين قطعوا بدوام النار وأبديتها ، وذكر أدلتهم السمعية والعقلية من ستة أوجه ، ولم ينصرها كما نصر القول بالفناء ، مع أن إجماع الصحابة والتابعين الذي حكاه ابن القيم نفسه للقائلين بعدم فناء النار من أقوى الأدلة على أبديه النار .

وبين أن النزاع ليس في كون الكفار خالدين فيها ، وأنهم غير خارجين منها ، وأنه لا يفتر عنهم عذابها ، وأنهم لا يموتون ، وأن عذابهم فيها مقيم ، وأنه غرام لازم لهم ، وإنما النزاع في أمر آخر وهو : هل النار أبدية ، أو مما كتب عليه الفناء .

وذهب إلى أن النصوص تقتضي خلود أهل النار فيها ما دامت باقية ، ولا يخرجون منها مع بقائها البتة ، كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها[1].

ومن نظر إلى كلام ابن القيم في هذه المسألة وما أطال فيه من الأدلة في " الحادي " و " الشفاء " والصواعق ظهر له أن ابن القيم يميل إلى القول بفناء النار.

وجاءت نصوص أخرى من كلام ابن القيم تدل على أنه ذهب إلى القول بعدم فناء النار ، ومن ذلك ما قاله في " الوابل الصيب " : (وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ، ودار الخبيثين ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ

([1]) انظر تفاصيل قول ابن القيم في حادي الأرواح : ٢٨٥ وما بعدها ، وشفاء العليل : ٢١٣/٢ وما بعدها ، ومختصر الصواعق المرسلة : ٢١٠ وما بعدها .

ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[1] ، فا تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء المتراكب بعضه إلى بعض ، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث . ولما كان بعض الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشينه خبث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبيث وطيب ، كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تفنيان ، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض)[2].

وقال رحمه ا تعالى في " طريق الهجرتين وباب السعادتين " : (وا سبحانه مع كونه خالق كل شيء فهو موصوف بالرضا والغضب والعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، والرحمة والانتقام ، فاقتضت حكمته – سبحانه – أن خلق داراً لطالبي رضاه العاملين بطاعته المؤثرين لأمره ، القائمين بمحابه ، وهي الجنة ، وجعل فيها كل شيء مرضي ، وملأها من كل محبوب ومرغوب ومشتهى ولذيذ ، وجعل الخير بحذافيره فيها ، وجعلها محل كل طيب من الذوات والصفات والأقوال ، وخلق داراً أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه ، المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته ، العاملين بأنواع مخالفته ، القائمين بما يكره من الأعمال والأقوال ، الواصفين له بما لا يليق به ، الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله ، وهي جهنم ، وأودعها كل شيء مكروه ، وسجنها مليء من كل شيء مؤذ ومؤلم ، وجعل الشر بحذافيره فيها ، وجعلها محل كل خبيث من الذوات والصفات والأقوال والأعمال . فهاتان الداران هما دار القرار)[3].

([1]) سورة الأنفال ، آية : ٣٧ .

([2]) الوابل الصيب ، لابن القيم : ٤٩ .

([3]) طريق الهجرتين ، لابن القيم : ٢٥٤ – ٢٥٥ .

فهذه النصوص تدل على أن ابن القيم له رأي آخر في المسألة ، وهو أن النـار أبدية لا تفنى ولا تبيد ، وأن النار التي تفنى هي النار التي فيها عصاة الموحدين .

كما أن لابن القيم رأياً ثالثاً في المسألة وهو التوقف ، فقد قال في حادي الأرواح بعد ذكر الوجوه التي تؤيد فناء النار : (فإن قيل : فإلى أين انتهى قـدمكم فـي هـذه المسألة العظيمة الشأن ، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟ قيل : إلى قولـه تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ . [1] إلى هذا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي ا عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وقال : ثم يفعل ا بعد ذلك ما يشاء)[٢].

ويبقى الترجيح بين هذه الأقوال وأيهم المتقدم وأيهم المتأخر .

وقد رجح د. علي جابر الحربي في كتابة " كشف الأستار لإبطال ادعاء فنـاء النار " أن قول ابن القيم بأبدية النار في كتابة " الوابل الصيب " وفي كتـاب " طريـق الهجرتين " هو القول المتأخر وأن ذلك ما استقر عليه ابن القيم في آخر أقواله ، مستنداً في ذلك على تعليلات واستنتاجات توصل إليها من خلال النصوص الواردة في كتـب ابن القيم ، وذلك بعد عدم الجدوى في البحث عن تاريخ تأليف كتب ابن القيم[٣].

أما ابن تيمية رحمه ا تعالى فقد نسب إليه القول بفناء النار وذكر ذلـك ابـن الوزير في فقال : (وهذه المسألة – أي الحكمة من دوام العذاب الأخروي هـي التـي ألجأت ابن تيمية وأسلافه وأتباعه إلى القول بفناء النار ، والتأليف في ذلك)[٤] ، كمـا

([1]) سورة هود ، جزء من الآية : ١٠٧ .

([2]) حادي الأرواح ، لابن القيم : ٣٦٥ .

([3]) انظر كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء السنار ، د. علي بن علي جابر الحربي اليماني ، ط ١٠ ، ١٤١٠هـ ، دار طيبة مكة : ٥٣ وما بعدها .

([4]) إيثار الحق على الخلق : ٢١٦ – ٢١٨ ، وأنظر العواصم والقواصم : ٢٩٩/٣ .

نقله الصنعاني فقال : (اعلم أن هذه المسألة أشار إليها الرازي في "مفاتيح الغيب" ولم يتكلم عليها بدليل نفي ولا إثبات ، ولا نسبها إلى قائل معين ، ولكن استوفى المقال فيها العلامة ابن القيم في كتابه "حادي الأرواح إلى ديار الأفراح" نقلا عـن شـيخه شـيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية ، فإنه حامل لوائها ، ومشيد بنيانها ، وحاشد خيل الأدلة فيها ، ورجلها ودقها وجلها ، وكثيرها وقليلها ، وأقر كلامه تلميذة ابن القيم . وقال في آخره : إنها مسألة أكبر من الدنيا وما فيها بأضعاف مضاعفة)[١].

ويستند نسبة القول بفناء النار لابن تيمية إلى عدة أمور :

الأول : ما نقله ابن القيم وحكاه عن شيخه في حادي الأرواح حيث قال : (فصل في أبدية النار ودوامها : قال فيها شيخ الإسلام ، وفيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف للتابعين)[٢].

ثم سرد الأقوال في ذلك وناقشها وردها إلا قولين هما الرابع والـسابع ، ففـي القول الرابع منها أنها تبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب ، وقال : (حكاه شيخ الإسلام ، والقرآن والسنة يردان على هذا القول)[٣].

والقول السابع : قول من يقول بفنائها ، أي يفنيها ربها وخالقها – تبارك وتعالى لأنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ، قال ابن القيم : (قال شيخ الإسلام ، وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم ...)[٤].

ثانياً : ما ذكره ابن القيم عن شيخه ابن تيمية من تأليفه لمصنفه المـشهور فـي هذه المسألة فقال : (وكنت سألت شيخ الإسلام – قدس ا روحه – فقال لـي : هـذه المسألة عظيمة كبيرة ، ولم يجب فيها بشيء ، فمضى على ذلك زمن حتى رأيت فـي

---

(1) رفع الستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ، للصنعاني : ٣٦ .
(2) حادي الأرواح ، لابن القيم : ٣٣١ .
(3) المصدر نفسه : ٣٣٣ .
(4) حادي الأرواح ، لابن القيم : ٣٣٣ – ٣٣٤ .

تفسير عبد بن حميد [1] الكسي ، بعض تلك الآثار التي ذكرت – وهي الآثار الدالة على فناء النار – فأرسلت إليه الكتاب وهو مجلسه الأخير ، قلت للرسول : قل لـه : هـذا يشكل عليه ، ولا يدري ما هو ، فكتب مصنفه المشهور – رحمة ا عليه – فمن كان عنده فضل علم فليجد به فإن فوق كل ذي علم عليم)[2].

ثالثاً : ما وجد من رسالة مزعومة بأنها لابن تيمية – ذكر الألباني أنه وجـدها في دشت ضمن مخطوط المكتب الإسلامي وصورها في مقدمته لكتاب (رفـع الـستار) ، للصنعاني .

ولو نظرنا إلى كلام شيخ الإسلام في كتبه ومؤلفاته المعتمدة لوجدنا أنـه يقـول بأبدية النار ، ويسند القول بفناء النار لأهل البدع ، ولا يوجد نص واحد في كتب شيخ الإسلام يدل على قوله بفناء النار .

فقد سئل رحمه ا تعالى عن حديث أنس مرفوعاً كما حكاه السائل – (سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء : النار ومكانها واللوح والقلم والكرسي والعرش) فهل هذا الحديث صحيح ؟ فأجاب بما نصه : (هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ وإنما هو من كلام بعض العلماء ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل الجماعـة على أنه من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صـفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتـاب ا وسـنة رسـوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها)[3].

وقال في موضع آخر : (وقال أهل الإسلام جميعاً ليس للجنة والنار آخر وأنهما لا تزالان باقيتين ، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتنعمون ، وأهل النـار فـي

([1]) عبد بـن حميد بن نصـر الكسي ، أبو محمد ، من حفاظ الحديث ، قيل أسمه عبد الحميد ، وخفف . نسبته إلى " كس " من بلاد السند ، توفي سنة ٢٤٩هـ . انظر تذكرة الحفاظ : ١٠٤/٢ ، الأعلام : ٢٦٩/٣ .

([2]) شفاء العليل ، لابن القيم : ٢٤٥/٢ .

([3]) مجموعة الفتاوى : ١٨ – ٣٠٧ .

النار يعذبون ، ليس لذلك أخر ، ولا لمعلومات الله عـز وجـل – ومقدوراتـه غايـة ولانهاية)[1].

وقد ذكر صاحب " كشف الأستار " خمسة عشر نصاً مـن كتـب ابـن تيميـة المعتمدة تدل على قوله بعدم فناء النار .

وهذه النصوص دليل قاطع بأن ابن تيمية يذهب إلى القول بأبدية النار .

أما ما نقله ابن القيم وحكاه عن شيخ الإسلام فإنه العمدة في إسناد القول بفنـاء النار لابن تيمية ، وهذا القول موجود في " الحادي " ومعلوم أنة لابن القيم ، وليس لابن تيمية .

وأما ما ذكره ابن القيم من مصنف ابن تيمية المشهور في هذه المسألة لم يبـين فيه- ابن القيم – نفياً ولا إثباتاً ، ولم يصل إلينا شيء من هذا المصنف .

وأما الورقات الثلاث للرسالة التي وجدها الألباني ، وذكر بأنها لكاتب مجهـول من خطوط القرن الحادي عشر الهجري من رسالة لابن تيمية في الرد على من قـال بفناء الجنة والنار فلا تعتبر من مصنفات ابن تيمية لانتفاء الشروط المتبعة في منـاهج البحث والتحقيق المعروفة عند أهل الشأن ، فهي مبتورة ، ومجهولة الناسخ ، ومجهولة تاريخ النسخ ، فلا يعتمد عليها في مثل هذه الحال ، لخلوها من أولويات التوثيـق العلمـي ، وليست موجودة في كتب شيخ الإسلام ، ولا في مجموع الفتاوى ، بل الموجـود عنـه رحمه الله تعالى نقيض ذلك تماماً ، فأقواله رحمه الله وردوده على المبتدعة ممن قـال بفناء النار ، دليل قاطع على قوله بأبدية النار . ولو سلمنا جدلاً بأنها من كـلام شـيخ الإسلام ، فقد تضمنها كلام ابن القيم في "الحادي" على سبيل الحكاية لأقوال النـاس ، وأنها رد على من قال بفناء الجنة والنار كما هو صريح كلام الألباني ، وعلـى هـذا فالاحتجاج بهذه الورقات الثلاث على شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه يقول بفناء النار ليس صحيحاً ، فهي حجة عليهم لا لهم كما هو صريح عنوان الرسالة المزعومة .

([1]) وراء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية : ٢ – ٣٥٨ .

وقد يكون من المحتمل أن لشيخ الإسلام في هذه المسألة قولين ، اعتماداً على شهادة ابن القيم ، فربما كان قد ذهب إلى فناء النار في بداية أمره ، ثم تبين له أبديتها .

وعلى كلٍ فإن كلام شيخ الإسلام الذي بين أيدينا قول مفصل في المسألة ، وقول ابن القيم قول مجمل ، ومعلوم أن المجمل لا يقوى على معارضة المفصل . ونخلص من ذلك ببراءة شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بفناء النار ، واستقراره على القول بأبديتها ، اعتماداً على ما سبق من النصوص التي أوردتها من كلام الشيخين .

وعلى من أراد نقض هذه البراءة بالدليل القاطع أن يثبت أمرين :

١ – إثبات نص صريح لابن تيمية في القول بفناء النار ، مع إثبات تأخر هذا النص عن النصوص التي تؤيد أبدية النار .

٢ – إثبات تقدم قول ابن القيم بالقول بعدم فناء النار ، وأن قوله هو المتأخر.

ومن أتى بإثبات هذين الأمرين فقد حاز الدليل القاطع على ذهاب الشيخين إلى القول بفناء النار ، وهذا دليل لا محيد عنه ،

أما ولا شيء من ذلك مثبت فإني أقرر بأن القول بفناء النار هو قول المبتدعين من أهل الكلام ومن وافقهم ، وابن تيمية منه بريء ، وابن القيم له ثلاث أقوال في المسألة استقر على القول بأن النار أبدية لا تفنى وا أعلم .

وعلى كل حال فالشيخان بشران يخطئان ويصيبان ، وإن أخطئا في مسألة ما ، فلا يقلل ذلك من قدرهما ولا ينقص من بحور علمهما ولا ما حوته مؤلفاتهما من العلم الغزير [1] .

ونخلص من هذه المسألة بعدة أمور :

---

(1) انظر رسالة قيمة " كشف الأستار لإبطال ادعاء النار المنسوب لابن تيمية وابن القيم ، د. علي بن جابر الحربي. وأبن الوزير وآراؤه الاعتقادية ، د . على جابر الحربي ، ٤٤٣/٢ وما بعدها . وانظر تعليق الدميجي في تحقيق الشريعة للآجري : ١٣٧١/٣-١٣٧٥ .

١ – إن القول بفناء النار منسوب إلى شيخ الإسلام بدون دليل قاطع ، والصواب في المسألة أن شيخ الإسلام لم يقل بالفناء وأقواله تدل على قوله بأبدية النار .

٢ – إن القائلين بفناء النار إنما كان غاية ما استدلوا بـه أن دوام النـار ودوام عذاب أهلها فيها ، يقدح في عدله تبارك وتعالى وفي حكمته ، وهذا القول باطل فـإن دوام أهل النار في النار ، وعذابهم بحرها ولهيبها بدون انقطاع لا يقدح في عدله تبارك وتعالى ، ولا يتنافي مع حكمته . وهذا ما سيأتي بيانه في المبحث التالي .

ولم أذكر الوجوه التي ذكرها ابن القيم في إثبات فناء النار وأن ذلك هو مقتضى الرحمة والعدل والحكمة الإلهية ، وذلك لأنه محض اجتهاد من ابن القـيم رحمـه ا تعالى ، وقد رجع عنه ، ثم إن غاية ما تدل عليه هذه الوجوه هو رحمـة ا الواسـعة وحكمته البالغة وعدله التام في عقاب عباده ، ولا تدل على فناء النار وعدم أبديتها .

مذهب المعتزلة في أبدية النار :

ينسب للمعتزلة القول بأن النار غير موجودة الآن ، قال شارح الطحاوية : (فـاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة علـى ذلك ، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئهما ا يوم القيامة) (١) .

وقد ذهب أبو الهذيل العلاف من المعتزلة إلى القول بفناء حركات أهل النـار ، وقد حكى هذا القول عنه شيخ الإسلام حيث قال : (.. فإن نعيم الجنة والنار دائم مـع تجدد الحوادث فيهما وإنما أنكر ذلك الجهم بن صفوان فزعم أن الجنة والنار تفنيـان ، وأبو الهذيل العلاف زعم أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع ويبقون في سكون دائم) (٢) .

وذكر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف شارح الطحاوية وهـو يحكـي أقـوال الناس في فناء الجنة والنار ، فقال : (السادس ، نفي حركات أهلها ويصيرون جماداً ، ولا يحسون بألم ، وهذا قول أبي الهذيل العلاف) (٣) .

ويستند قول أبي الهذيل هذا على أصله في امتناع وجود لا يتناهى مـن الحـوادث ، وهو عمدة أهل الكلام التي استدلوا بها على حدوث الأجسام ، وحدوث ما لم يخل مـن الحوادث . وجعلوا ذلك أصلهم في حدوث العالم .

فذهب أبو الهذيل إلى أن امتناع حدوث حوادث لا أول لها في الماضي ، يمنـع حدوث حوادث لا آخر لها في المستقبل ، فدوام الفعل على الرب في المستقبل ممتنع ، كما هو ممتنع عليه في الماضي (٤) .

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية : ٤٢٠ .

(2) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ٣٦/١ .

(3) شرح الطحاوية : ٤٢٥ .

(4) انظر المصدر نفسه : ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

أما جمهور المعتزلة فإن ظاهر كلامهم في كتبهم أنهم لا يقولون بفناء النـار ، وإنما النار عندهم خالدة ، وكل من دخلها فهو خالد فيها .

نقد مذهب المعتزلة :

أما قول المعتزلة بعدم وجود النار وما استدلوا به على ذلك من الأدلة سـنؤجل تفصيله والرد عليه إلى الحديث عن أبدية الجنة – إن شاء ا تعالى - .

وأما ما ذهب إليه أبو الهذيل العلاف من القول بفناء حركات أهل النار وأهـل الجنة فهو قول مبتدع في دين الإسلام ، وقد بناه على أصله الفاسد وهـو امتنـاع دوام الفعل على الرب في المستقبل .

وهذا الأصل هو أساس قول المتكلمين في استدلالهم على حـدوث الأجـسام ، وحدوث الأعراض ، وأن العرض لا يبقى زمانين ، والأعراض حادثة ، وما قامت به الحوادث فهو حادث ، فيلزم حدوث الجسم من هذا الدليل .

وقالوا : فلو قلنا بقيام أفعال الرب تبارك وتعالى ألزم قيام الحوادث به ، ولـزم التسلسل ، وهو عندهم ممتنع [1] .

فأما التسلسل الذي منعه أبو الهذيل – وتابع الجهم بن صفوان في ذلك – وأسس عليه قوله فمعناه ترتيب أمور غير متناهية ، ونوع الحوادث ودوامها فيها ثلاثة أقـوال معروفة :

أضعفها : قول من يقول ، لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا فـي المـستقبل كقول جهم وأبي الهذيل .

الثاني : قول من يقول : يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي ، كقول كثيـر من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم .

([1]) انظر توضيح المقاصد ، وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم : ٣٧٨/١ ، ٣٧٩ .

الثالث : قول من يقول : يمكن دوامها في الماضي والمستقبل ، كما يقوله أئمـة الحديث ، ولم يقل أحد بإمكان دوامها في الماضي دون المستقبل .

أما التسلسل فهو ثلاثة أقسام : واجب وممتنع وممكن .

١- فالممتنع هو التسلسل في المؤثرين ، وهو محال ممتنع لذاته ، وهو أن يكون كل مؤثر استناد تأثيره مما قبله لا إلى غاية .

٢- الواجب ، ما دل عليه العقل والشرع ، من دوام أفعال الرب تعالى في الأبـد ، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيم آخر لا نفـاذ لـه ، وكـذلك التسلسل في أفعال الرب تبارك وتعالى في طرف الأزل ، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر ، فهذا واجب ، فإنه لم يزل فاعلاً إذا شاء ، ولم تحدث له صفة العقل في وقت ، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته .

٣- التسلسل الممكن ، وهو تسلسل مفعولات الرب في الأزل وفي الأبد.

والمقصود أن دوام الجنة والنار وخلود أهلها فيهما من التسلسل الواجب الذي دل عليه العقل والشرع وليس من التسلسل الممتنع .

إضافة إلى أن دوام أفعال الرب دليل على الكمال ، فإن الفعل إذا كـان صـفة كمال فدوامه دوام الكمال [1] .

ولا يمتنع تسلسل الحوادث في المستقبل من أن يكون الرب سبحانه هو الآخـر الذي ليس بعده شيء ، فإن التسلسل في الماضي لا يمنع أن يكون الرب هو الأول الذي ليس قبله شيء .

وعلى ذلك فإن قول العلاف الموافق للجهم بإمتناع دوام أفعال الرب قول لا دليل عليه من عقل ولا شرع ، وهو معارض بالأدلة الشرعية التي تثبت خلود أهـل النـار كذلك الجنة وأن أهلها خالدون .

وإنما ألزمهم هذا القول أصلهم الفاسد الذي بنوا عليه مذهبهم .

---

(1) انظر الطحاوية : ١٣٠ .

يقول الهراس رحمه الله تعالى : (.. فوقعوا بهذا بين أمرين أحلاهما مر ، فهم إما جاحدون منكرون لوجود الله تعالى ، وإما منكرون لحقائق الإيمان الثابتة ، المعلوم ثبوتها بالضرورة) [1] .

أما جمهور المعتزلة الذين قالوا بخلود النار وخلود أهلها فيها فليس النزاع معهم في أبدية النار ، وإنما النزاع معهم في خلود جميع من يدخلها فيها ، فإن مذهب أهل السنة والجماعة على أن أهل النار قسمان :

الأول : عصاة الموحدين وهم الذين لا يخلدون في النار ، كما وردت بذلك الأحاديث والآيات التي تدل على خروج الموحدين من النار بعد أن يعذبوا فيها على قدر ذنوبهم .

الثاني : الكفار والمشركين وهؤلاء هم أهل النار والخالدين فيها كما دلت على ذلك النصوص والآيات التي تدل على خلودهم في النار أبد الآبدين .

وأصل الخلاف مع المعتزلة في هذه المسألة هو الخلاف معهم في مسألة الأسماء والأحكام ، وحكم مرتكب الكبيرة ، وقد تقدم ذكر ذلك الخلاف والرد على المعتزلة ولله الحمد [2] .

---

(1) شرح القصيدة النونية : ٤٣٣/٢ .

(2) راجع ص (٩٣٣) من هذا البحث .

المبحث الرابع :

تحقيق العدل الإلهي في عقاب العاصين في النار.

لا يدخل أحد النار إلا بعدل الله تبارك وتعالى ، وذلك لأنه عز وجل لا يعاقب أحداً في النار إلا نتيجة ذنبه وعمله ، بعد قيام الحجة عليه ، وبيان الحق له ، ولذلك فإنهم يقفون على أبواب جهنم ويقرون بذنوبهم ، وبإقامة الحجة عليهم ، وانقطاع حجتهم ، ثم يقذفون في النار ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ

سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾[1].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يذكر الله تعالى عدله في خلقه ، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسل إليه)[2] ،

ويقول ابن الوزير : (فإن الله تعالى أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه ، وأنه لا يعذب إلا من قامت عليه الحجة ، وكذب رسله)[3].

ثم هم متفاوتون في عذابهم فمنهم من يكون في الدرك الأسفل من النار، ومنهم من يكون في أشد العذاب ، ومنهم من يخفف عنه العذاب ، ومنهم من يخلد فيها ، ومنهم من يخرج منها ، وكل ذلك بعدل الله تعالى ، فهم لم يدخلوها إلا بعدله سبحانه ، ثم شملهم عدله تبارك وتعالى وهم في جوف النار ، فلم يعذب أحداً إلا بالعذاب الذي يستحقه ، ولم يعاقب أحداً إلا على قدر عمله .

أما خلود الكافرين والمشركين في النار فلا يتنافى مع عدل الله تبارك وتعالى وحكمته .

فربما يقال : إن أعمالهم في الدنيا منقطعة ، أما عذاب الله لهم في النار فهو دائم غير منقطع ، وفي هذا ظلم لهم ، وتعذيب لهم بأكثر مما يستحقونه .

والجواب : أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار ، كما دل على ذلك الشرع ، وهذا مبني على قاعدة ، وهي أن المعاد وثواب النفوس المطيعة ، وعقوبة النفوس الفاجرة يعلم بالعقل مع السمع ، كما دل على ذلك القرآن في غير موضع ، وأساس ذلك العلم بحسن الأفعال وقبحها ، واستحقاقها للثواب أو العقاب بالعقل مع دلالة السمع على

---

(1) سورة الملك ، آية : ٦ – ١١ .

(2) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤/٦٢٠ .

(3) إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير : ٢١٩.

تفاصيل الثواب والعقاب ، وقد دل القرآن على ذلك بإنكاره سبحانه على من زعم أنـه يسوي بين الأبرار والفجار في المحيا والممات .

والذي دل عليه الشرع والعقل أن النفوس البشرية باقية ، واعتقاداتها وصـفاتها لازمة لها لا تفارقها ، ولما رأت العذاب لم تندم على أفعالها لقبحها أو كراهتهـا لهـا، وإنما كرها للعذاب والآلام ،ولو فارقت العذاب لرجعت كما كانت أولاً ، ودل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢٧ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ٢٨ ﴾ [1] ، فهؤلاء ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه في نفوسهم ، بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها ، بحيث لو ردوا لعادوا كفارا كما كانوا ، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به الـسمع [2] ، فقـد علـم خـالقهم وفاطرهم ما هي نفوسهم وطباعهم فعاقبهم بما هم أهل لـه :﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[3].

بل إن عدم تخليد الكفار والطغاة في النار من الظلم الذي نزه الرب نفسه عـن وهو التسوية بين المؤمنين والفجار وهذا ما أنكره ا تعالى حيـث قـال : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[4].

فمن قال بفناء النار وخروج جميع أهلها منها ، لم يكن قولهم صوابا وليس فيـه تنزيه ا عن الظلم ، بل هو عين الظلم ، وذلك بأن يستوي الطغاة بالمتقين ، فيـستوي فرعون الطاغية بالأنبياء والصالحين ، ويستوي أبو جهل وأبو لهب وأميه بـن خلـف بأبي بكر وبلال بن رباح وغيرهم من أصحاب رسول ا ﷺ . وهذا ما نزه ا نفسه عنه .

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ٢٧ – ٢٨.

(2) انظر حادي الأرواح ، لابن القيم : ٣٤٠ – ٣٤١.

(3) سورة الملك ، آية : ١٤ .

(4) سورة ص ، آية : ٢٨ .

والمقصود أن عقاب ا بالنار لا يصلاه إلا من يستحقه ، بالقـدر الـذي يـستحقه ، وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴾[1].

فإن المراد بالآية : أنها تقول ذلك على سبيل الطلب لسعتها وضخامتها ، ومـع ذلك فإن ا تبارك وتعالى لا يلقي فيها إلا المستحق للعذاب رغم سعتها ، ويؤيد ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي ا عنه أنه قال : (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول : قط قط ، وأما الجنة : فإن ا ينشئ لها حلقاً فيدخلهم الجنة)[2] ،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا : (فبين أن الجنة لا يضيقها – سبحانه – بل ينشئ لها خلقاً فيدخلهم الجنة ، لأن ا يدخل الجنة من لم يعمل خيراً ، لأن ذلك من باب الإحسان ، وأما العذاب بالنار فلا يكون إلا لمن عصى فلا يعذب أحداً بغير ذنـب)[3] سبحانه هو العدل لا إله إلا هو .

الفصل الخامس :

العدل الإلهي في إثابة المؤمنين في الجنة.

---

(1) سورة ق ، آية : ٣٠.

(2) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول ا تعالى وهو العزيز الحكيم : ٢٦٨٩/٦ .
ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون : ٢١٨٨/٤ .

(3) مجموعة الفتاوى : ١٦ – ٣٣.

وفيه عدد من المباحث :

المبحث الأول : دخول المؤمنين الجنة .

المبحث الثاني : أحوال المؤمنين في الجنة .

المبحث الثالث : أبدية الجنة .

المبحث الرابع : تحقق العدل الإلهي في إثابة المؤمنين في الجنة .

المبحث الخامس : أصحاب الأعراف .

توطئة

الجنة هي دار الثواب الخالدة ، وهي ثواب ا العظيم ، ونعيمه الدائم ، وهـي جزاء عباد ا المتقين ، ليس لنعيمها نظير ، ولا لجمالها مثيل ، فيها ما لا عـين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

فقد جاء في وصف الجنة قولـه تعـالى :﴿ وَسَارِعُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [1].

وجاء في وصف أنهار الجنة قوله تعـالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ . [2]

وقال تعالى في وصف قصورها ومساكنها : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ . [3]

ووصف سبحانه وتعالى حدائق الجنة وأشجارها وثمارها فقال عز من قائـل : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ٣٢ ﴾ [4] ، وقـال تعـالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ٣٢ ﴾ [5] ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٤٢ ﴾ . [6]

وقال تعالى في وصف طعام أهل الجنة وشرابهم : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢١ ﴾ . [7]

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ .
(2) سورة محمد ، آية : ١٥ .
(3) سورة الزمر ، آية : ٢٠ .
(4) سورة النبأ ، آية : ٣١ – ٣٢ .
(5) سورة الواقعة ، آية : ٢٧ – ٣٢ .
(6) سورة المرسلات ، آية : ٤١ – ٤٢ .
(7) سورة الواقعة ، آية : ١٧ – ٢١ .

هذا بعض نعيم الجنة ، الذي جاء وصفه في القرآن الكريم وفي السنة ، ومع كل ذلك الوصف فقد جاء الآيات لتبين أن ما خفي من نعيم الجنة أعظم من ذلـك ، قـال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] ، وعن أبـي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (قال ا : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [2][3])

وليس هنا محل البسط في نعيم الجنة ، وما لأهلها فيها من ملذات وخيـرات ، وإنما المقصود من بحثنا بيان جوانب العـدل الإلهي في إثابة المطيعـين والمـؤمنين بالجنة ، وهذا ما سيتناوله الحديث في هذا الفصل .

المبحث الأول :

---

(1) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(2) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة : ١١٨٥/٣ .
صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها : ٢١٧٤/٤ واللفظ للبخاري .

دخول المؤمنين إلى الجنة.

لا يدخل أحد الجنة بعمله ، وإنما تنال الجنة برحمة الله تعالى وفضله ، أما العمل فهو سبب في دخول الجنة ، وليس ثمناً للجنة .

ولما كان العمل هو سبب في دخول الجنة ، وأعمال العباد متفاوتة مختلفة ، اختلف تبعاً لذلك جزاء المؤمنين في الجنة ، وهذا عدل منه تبارك وتعالى .

ويظهر ذلك ابتداء عند دخول المؤمنين الجنة فدخولهم متفاوت ، وأساس تفاوته اختلاف أعمال العباد وتفاوتها .

وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن للجنة أبواباً يدخل منها المؤمنون فقال : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ ﴾(١)،

وقال تعالى :﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾(٢) .

---

(1) سورة ص ، آية : ٤٩-٥٠ .

(2) سورة الزمر ، آية : ٧٣ .

وأبواب الجنة ثمانية ، اختص كل باب منهم بعمل ما ، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (من انفق زوجين في سبيل ا من ماله ، نودي من أبواب الجنة ، يا عبد ا هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان) ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، فقال أبو بكر بأبي أنت وأمي يا رسول ا ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ، قال : " نعم ، وأرجو أن تكون منهم " [١].

وقال رسول ا ﷺ : (في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان ،لا يدخله إلا الصائمون) [٢].

وفي صحيح مسلم قال رسول ﷺ : (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء) . [٣]

وقد تقدم في حديث الشفاعة أن من لا حساب عليهم يختصون بالباب الأيمن دون غيرهم ، ويشاركون غيرهم في بقية الأبواب فقد جاء في حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي ا عنه وفيه : (... فيقول ا : يا محمد : أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس في الأبواب الأخر ...). [٤]

([1]) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب الريان للصائمين : ٦٧١/٢ .
وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب من جمع الصدقة وأعمال البر : ٧١١/٢ .

([2]) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة أبواب الجنة : ١١٨٨/٣ من حديث سهل بن سعد رضي ا عنه .

([3]) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الذكر المستحب بعد الوضوء : ٢٠٩/١ من حديث عقبة بن عامر رضي ا عنه .

([4]) سبق تخريجه ص (٩٢٣) .

أما دخول المؤمنين إلى الجنة فهو متفاوت ومختلف ، فبعضهم يسبق بعـضاً ، كل على قدر عمله .

وقد دلت النصوص على أن أول من يدخل الجنة هو محمد عليه الصلاة والسلام وأمته ، ففي صحيح مسلم عن أنس رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (أنا أول من يقرع باب الجنة) [1]،

وعنه أيضاً رضي ا عنه قال : قال رسـول ا ﷺ : (لآتـي بـاب الجنـة فأستفتح، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمـرت أن لا أفـتح لأحد قبلك)[2].

وعن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (نحن الآخرون الأولـون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة). [3]

وأول زمرة تدخل الجنة تدخلها بغير حساب ،ففي البخاري عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : (عرضت علي الأمم ...... إلى أن قال : (فنظرت فإذا سـواد كثيـر قـال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم ؟ قال : كانوا لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون)[4] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : سـمعت رسـول ا ﷺ يقول : (يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع بردة عليه ، فقال : يا رسـول ا ، ادع ا أن يجعلني منهم ... الحديث) [5].

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أنا أول الناس يشفع في الجنة : ١٨٨/١ .
(2) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أنا أول الناس يشفع في الجنة : ١٨٨/١ .
(3) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة : ٥٨٥/٢ .
(4) سبق تخريجه ص (٩٠٨) .
(5) سبق تخريجه ص (٩٠٨) .

وفيهما أن رسول ا ﷺ قال : (ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض ، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر)[١] .

وفيهما عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (أول زمـرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري فـي السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الـذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء)[٢].

كل هذه الأحاديث تدل على أن دخول الجنة على مراتب ، فمنهم السابق ومـنهم اللاحق ، ومما يؤيد هذا التفاوت بين الناس في دخول الجنة ما جاء فـي أن الفقـراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة ، فقد روى مسلم في صحيحه عن عبدا بن عمـرو بـن العاص رضي ا عنه قال: قال رسـول ا ﷺ : (إن فقـراء المهـاجرين يـسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً)[٣] ،

وفـي صحيـح البخـاري عـن أسامـة بـن زيـد رضـي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجد محبوسـون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار)[٤] ، وعن أبى هريرة رضي ا عنـه أن

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار : ٢٣٩٩/٥ .

صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب : ١٩٨/١ من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي ا عنه .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : { إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفـة } : ١٢١٠/٣ .

صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر : ٢١٧٩/٤ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقاق : ٢٢٨٥/٤ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار : ٢٣٩٧/٥ .

الرسول ﷺ قال : (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام)[1] .

فهاتان روايتان مختلفتان ، والجمع بينهما أن الفقراء أنفسهم مختلفو الحال ، وكذلك الأغنياء ، فالفقراء متفاوتون في إيمانهم و أعمالهم ، والأغنياء كذلك متفاوتون في إيمانهم وأعمالهم ، فإذا كان حساب المدة باعتبار أول الفقراء دخولاً الجنة وآخر الأغنياء دخولاً النار تكون المدة خمسمائة عام ، أما إذا كان الاعتبار بآخر الفقراء دخولاً الجنة أول الأغنياء دخولاً فتكون المدة أربعين عاماً [2] ، يقول ابن القيم رحمه ا : (وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء ، فمنهم من يسبق بخمسمائة ، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب أحوالهم ، وا أعلم)[3].

وهذا الجمع يدل دلالة أخرى على تفاوت كل من الفقراء والأغنياء في دخول الجنة ، فالفقراء سابقون في الدخول إلا أن بعضهم يسبق بعضاً ، وكذلك الأغنياء متأخرون في الدخول إلا أن بعضهم يسبق بعضاً ، وهذا من تمام العدل الإلهي .

وقد نبه ابن القيم إلى مسألة هامة ، وهي أن تفاوت دخول العباد إلى الجنة على قدر أعمالهم ، لا يدل على أن السابق هو الأفضل قطعاً من اللاحق ، فإن هناك ميزتين في تفاوت العباد ، فقد يكون في العبد ميزة تقدمه في الدخول ولكن لا ترفع درجته ، ويكون في آخر ميزة ترفع درجته في الجنة ولكن لا تقدمه في الدخول ،

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه ا تعالى : (ولكن أمر يحسن التنبيه عليه ، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة ، وإن سبقه غيره في الدخول . والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب ، وهم السبعون ألفاً ، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر ا تعالى منه وتقرب إليه بأنواع الخير

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم : ٥٧٨/٤ ، قال أبو عيسى : " هذا حديث صحيح " .

(2) انظر التذكرة ، للقرطبي : ٤٧٠ .

(3) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن القيم : ١٣٣ .

والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ، ولم يكن لـه تلك الأعمال ولاسيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه منها ، وا لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فالمزية مزيتان _ مزية سبق ، ومزية رفعة ، وقد يجتمعان ويفترقان ، فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعدمهما آخر أو يحصل لآخر السبق دون الرفعة ، والآخـر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب المقتضي للأمـرين أو لأحـدهما وعدمـه ، وبـا التوفيق)[1].

وفي هذا التفاوت في الدخول والدرجات يظهر عدله سبحانه في وضع الثـواب في موضعه المناسب له .

أما آخر أهل الجنة دخولاً فمنهم عصاة الموحدين الذين يدخلون النار على قـدر ذنوبهم ، ثم يخرجهم ا تعالى برحمته وكرمه وفضله ، ثم بـشفاعة نبينـا محمـد ، وشفاعة المؤمنين والملائكة ، ويدل على ذلك أحاديث تقدم ذكر كثير منهـا ، ومنهـا مارواه أبو سعيد الخدري رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ (..... أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم " أو قال : بخطاياهم ، فأماتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالـشفاعة ، فجـيء بهـم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل)[2].

وفي الصحيحين عن عبدا بن مسعود رضي ا عنه أن رسول ا ﷺ قد : (إنـي لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة : رجل يخرج مـن النار حبواً ، فيقول ا له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يا رب ، وجدتها ملأى ، فيقول ا عز وجل : اذهب فادخل الجنة ، فإن لـك مثل الدنيا ، وعشرة أمثالها ، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا ، فتقول : أتسخر بي _

---

(1) حادي الأرواح ، لابن القيم : ١٣٣ .

(2) سبق تخريجه ص (٩٣٢) .

أو تضحك بي _ وأنت الملك ؟) قال : فلقد رأيت رسول ا ﷺ ضحك حتـى بـدت نواجذه ، فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة)[1].

والمقصود أن في تفاوت دخول أهل الجنة الجنة إثبات عدله تعالى فـي جـزاء العباد ، فإن منهم من يستحق السبق في دخول الجنة ، ومنهم من يحاسب على أعمالـه في الدنيا حتى يستوفيها ، وإن كانت درجته عالية ، ومنهم من يدخل النار حتى ينقـى ويطهر ثم يدخل الجنة بعد ذلك ، وكل على قدر عمله وما قدمه في الدنيا .

وهم قبل دخولها موقوفون على أبوابها ، مقرون بصدق ما جاءهم به الرسـل ، وبصدق ما وعدهم به ا ، وأنه لم يظلم أعمالهم ، ولم ينقصهم شيئاً، ولم يسو بيـنهم وبين الظالمين ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ ﴾[٢] ،

فكل من دخل النار أو دخل الجنة دخلها وهو مقر بعدل ا .

([1]) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار : ٢٤٠٢/٥ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً : ١٧٣/١ .
([2]) سورة الزمر ، آية : ٧٣ – ٧٤ .

المبحث الثاني :

أحوال المؤمنين في الجنة.

لما كانت أعمال العباد في الدنيا متفاوتة ، وهي السبب في دخول الجنة كان من مقتضى عدله تبارك وتعالى أن يكون جزاء المؤمنين في الجنـة متفاوتـاً ، ونعـيمهم متنوعاً ، فالجنة درجات بعضها فوق بعض ، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ

دَرَجَٰتٍ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلاً ﴾ [1] ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : (أي ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا ، فإن منهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها ، ومنهم من يكون في الدرجات العلى ونعيمها وسرورها ، ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه ، كما أن أهل الدرجات يتفاوتون....)[2] .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : (فبين الله أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا ...)[3] .

ومما يدل على تفاوت نعيم أهل الجنة ، واختلاف درجاتهم فيها قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ٩٥ دَرَجَٰتٍ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةً وَرَحۡمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٩٦ ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[6] .

وروى البخاري في صحيحة عن أبي هريرة رضي الله ، قال : قال النبي ﷺ : (من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله ، أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، فقالوا : يا رسول الله ، أفلا

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٢١ .

(2) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٥٦/٣ .

(3) مجموعة الفتاوى : ١١- ١٠٧ .

(4) سورة الحديد ، آية : ١٠ .

(5) سورة النساء ، آية : ٩٥ ، ٩٦ .

(6) سورة المجادلة ، آية : ١١ .

نبشر الناس ، قال : (إن في الجنة مائة درجة أعدها ا للمجاهدين في سبيل ا مابين الدرجتين كمـا بين السماء والأرض ، فإذا سألتم ا فاسألوه الفردوس ، فإنـه أوسـط الجنة ، وأعلى الجنة ، أراه قال : وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)[١].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : (إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكـب الـدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسـول ا ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بـا وصدقوا المرسلين)[٢].

قال شيخ الإسلام رحمه ا تعالى : (والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً ، وأولياء ا المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم)[٣].

وقال القرطبي : (اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال ، فبعضها أعلى من بعض وأرفع .....)[٤].

فأهل الدرجات العالية يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم ، ويدل على ذلـك ما جاء في سورة الـرحمن وهـو قولـه تعـالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[٥] ، ووصفهما ، ثم قال :﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[٦] ، أي دون تلك الجنتـين فـي المقـام والمرتبة ، ومن تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما ا آخراً علم أنهما دون الأوليـين

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل ا : ١٠٢٨/٣ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الجنة والنار : ١١٨٨/٣ .
ومسلم ، كتاب الجنة ، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف : ٢١٧٧/٤ واللفظ للبخاري .

(3) مجموعة الفتاوى : ١٠٦/١١ .

(4) التذكرة ، للقرطبي : ٤٦٤ .

(5) سورة الرحمن ، آية : ٤٦ .

(6) سورة الرحمن ، آية : ٦٢ .

في الفضل . [1] ، يقول ابن القيم : (وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه....)[2].

وروى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : (سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أي رب ، وكيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله . فقال في الخامسة . رضيت ، رب ، فيقول : لك هذا وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب . قال : رب ، فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ، فلم ترعين ، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصداقه في كتاب الله عز وجل :﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3][4].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي فإن من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فإن من سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة)[5].

والمقصود أن أهل الجنة متفاوتون في أحوالهم ، ونعيمهم ، ودرجاتهم ، كل على قدر عمله ، فالجنة هي دار الثواب والجزاء الذي أعده الله تبارك وتعالى للمؤمنين ، إلا أن المؤمنين متفاوتون في أعمالهم وإيمانهم وتقاهم وسائر أحوالهم ، فكان مقتضى عدله

---

(1) انظر التذكرة ، للقرطبي : ٤٤٠ .

(2) انظر الحادي ، لابن القيم : ٥٩ .

(3) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(4) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : ١٧٦/١ .

(5) صحيح مسلم ، كتاب الأذان ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن : ٢٨٨/١ .

تبارك وتعالى أن لا يسوي بين المختلفات ، فلا يستوي عنده الأنبياء مع غيـرهم ، ولا من قوي إيمانه بمن ضعف إيمانه ، ولا من أجهد نفسه في طاعة ا بمن كان دون ذلك.

وهذا لا يدل على أن أعمال العباد هي ثمن للجنة ، وإنما غاية ما يدل عليـه أن العمل سبب في حصول الدرجات العليا في تلك الدار ، ولذلك قـال تعـالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾[1] .

وإذا كان أهل النار - الذين هم أهلها من الكفرة والمشركين - خالدين في النار ، فإن أهل الجنة خالدون في نعيمهم لا يخرجون منه ، حتى العصاة مـن الموحـدين فـإنهم يدخلون النار حتى إذا تطهروا أدخلوا الجنة وخلدوا فيها ،

وهذا من تمام عدله تعالى ، فقد عدل عندما فرق بين المؤمنين والكـافرين فـي الجزاء ، وعدل عندما فرق بين المؤمنين بعضهم بعضاً ، فعاقب كلاً بقدر تقـصيره ، وأثاب كل عبد على فعله ، وزاد عليه من فضله ورحمته .

ومن عظيم نعيمه تبارك وتعالى في الجنة أن تفاوت الـدرجات لا يـشعر بـه أصحاب الدرجات السفلية ، وإنما أصحاب كل درجة يرون أنهم في نعيم ، لا يماثلـه نعيم وهذا من كمال نعيم أهل الجنة ، وتمام فضله ورحمته تبارك وتعالى .

---

(1) سورة الأحقاف ، آية : ١٩ .

المبحث الثالث :

أبدية الجنة.

اتفق سلف الأمة على أن الجنة موجودة مخلوقة الآن ، قال ابن القيم رحمه ا تعالى : (لم يزل أصحاب رسول ا ﷺ ، والتابعون وتابعوهم ، وأهل السنة والحديث قاطبة ، وفقهاء الإسلام ، وأهل التصوف والزهد ، على اعتقاد ذلك واتباعه ، مستندين

في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم مـن أولهم إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها ...)[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي : (فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتـان موجودتان الآن ...)[٢].

ومستند ذلك دلالة الكتاب والسنة ، فقد قال ا تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[٤] ، وقال تعـالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٥].

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي ا عنه ، في قصة الإسـراء ، وفي آخره : (... ثم انطلق بي جبريل ، حتى أتى سدرة المنتهى ، فغشيها ألـوان لا أدري ما هي ، قال : ثم دخلت الجنة ، فإذا هي حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك)[٦]،

وفي الصحيحين من حديث عبدا بن عمر رضي ا عنهما ، أن رسول ا ﷺ قال : (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك ا يوم القيامة) [٧] ، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي ا عنها قالـت : خـسفت الشمس على عهد رسول ا ﷺ ، فذكرت الحديث ، وفيه : وقال رسول ا ﷺ : (رأيت في

---

(1) حادي الأرواح ، لابن القيم : ١٣ .
(2) شرح العقيدة الطحاوية : ٤٢٠ .
(3) سورة النجم ، آية : ١٣- ١٥ .
(4) سورة الحديد ، آية : ٢١ .
(5) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ .
(6) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء : ١٣٦/١ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول ا ﷺ : ١٤٨/١ واللفظ لمسلم .
(7) سبق تخريجه ص(٩٩٠) .

مقامي هذا كل شئ وعدتم به ، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حـين رأيتمـوني تعزمت ، ولقد رأيت النار يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت)[1].

أما أبدية الجنة ، وأنها لا تفنى ولا تبيد ، فهو محل اتفاق بين السلف أيضاً قـال شيخ الإسلام : (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة ...)[٢] .

ويستند هذا الاتفاق على آيات الكتاب العزيز ، فقد جاء فـي كتـاب ا تعـالى وصف الجنة بأنها دار الخلد حيث قال تعـالى : ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وَعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً ﴾[٣].

ووصف تعالى أهل الجنة بأنهم خالدون فيها لا يخرجون منها فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾[٤].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ٤٨ ﴾[٥].

ووصف سبحانه وتعالى نعيمها بعدم الانقطاع فقـال : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[٦][٧].

([1]) سبق تخريجه ص(٩٩٠) .
([2]) مجموعة الفتاوى : ١٨ – ٣٠٧ .
([3]) سورة الفرقان ، آية : ١٥ .
([4]) سورة النساء ، آية : ١٢٢ .
([5]) سورة الحجر ، آية : ٤٥ – ٤٨ .
([6]) سورة هود ، آية : ١٠٨ .
([7]) اختلف في هذا الاستثناء الوارد في هذه الآية بعد نعيم الجنة ، قال شارح الطحاوية .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ ﴾[١] .

وقد تقدم ذكر الأحاديث الدالة على خلود النار ، وهي دالة أيضاً على خلود الجنة وخلود أهلها فيها ، منها قوله عليه الصلاة والسلام : (يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت)[٢].

ودلت نصوص السنة على أن الجنة تخلق خلقاً غير قابل للفناء ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : (من يدخل الجنة ينعم ، لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه) .[٣]

(أي غير مقطوع ، ولا ينافي ذلك قوله : (إلا ما شاء ربك) . واختلف السلف في هذا الاستثناء : فقيل : معناه إلا مدة مكثهم في النار ، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها ، لا لكلهم ، وقيل : إلا مدة مقامهم في الموقف ، وقيل : إلا مدة مقامهم في القبور والموقف ، وقيل : هو استثناء الرب ولا يفعله ، كما تقول : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك ، وأنت لا تراه ، بل تجزم بضربه ، وقيل : "لا" بمعنى الواو ، وهذا على قول بعض النحاة ، وهو ضعيف ، وسيبويه يجعل إلا بمعنى ولكن ، فيكون الاستثناء منقطعاً ، ورجحه ابن جرير وقال : إن الله تعالى لا خلف لوعده ، وقد وصل الاستثناء بقوله : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ هود : ١٠٨ ، وقالوا : ونظيره أن تقول : أسكنك داري حولاً إلا ما شئت ، أي سوى ما شئت ، ولكن ما شئت من الزيادة عليه ، وقيل : الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم فهم في مشيئة الله ، لأنهم لا يخرجون عن مشيئته ، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ الإسراء : ٨٦ ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ الشورى : ٢٤ . ونظائره كثيرة ، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وعلى كل تقدير ، فهذا الاستثناء من المتشابه ، وقوله : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ هود : ١٠٨ ، محكم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ ص : ٥٤ ، وقوله : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ الرعد : ٣٥) ، شرح العقيدة الطحاوية : ٤٢٥–٤٢٦.

([١]) سورة الدخان ، آية : ٥١ – ٥٦ .

([٢]) سبق تخرجه ص (٩٨٩) .

([٣]) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب في دوام نعيم أهل الجنة : ٢١٨١/٤ .

فكل هذه النصوص تدل على خلود الجنة وأبديتها ، وأنها دار لا تفنى ولا يفنى نعيمها ولا يفنى أهلها ، وهذا غاية النعيم وتمام الفضل الإلهي .

مذهب المعتزلة في خلود الجنة والنار :

ذهب المعتزلة إلى أن الجنة والنار لم تخلقا بعد ، وأن ا ينشئهما يوم القيامة ، وقد نقل ذلك عنهم شارح الطحاوية : (اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة على ذلك ، حتى نبغـت نابغـة مـن المعتزلـة والقدرية ، فأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئهما ا يوم القيامة ......) . (١)

وقد ذكر ابن القيم وابن أبي العز الحنفي وغيره استدلال هذه الطائفة بأدلة عقلية ونقلية - تدل في زعمهم - على عدم وجود الجنة والنار ، وأنهما لم تخلقا بعد .

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية : ٤٢٠ ، وانظر حادي الأرواح ، لابن القيم : ١٣ .

ومن ذلك قولهم : إنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة ، وأن يهلك كل من فيها ويموت لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . (1)

واستدلوا كذلك بما رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ : (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان ا ، والحمد ، ولا إله إلا ا ، وا أكبر) (٢) ، وفيه عن جابر رضي ا عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (من قال سبحان ا وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة) (٣) ، قالوا : فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ، ولم يكن لهذا الغراس معنى.

قالوا : وكذلك قوله تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . (٤)

ولم أجد هذا القول في كتب المعتزلة ، وإنما اعتمدت على نقل الثقات عنهم- وا أعلم .

أما أبدية الجنة فقد نقل عن أبي الهذيل العلاف قوله بفناء حركات أهل الجنة والنار ولم يقل بفنائهما ، وقد تقدم ذكر حجته في ذلك . (٥)

---

(1) سورة القصص ، آية : ٨٨ .

(2) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب رقم (٥٩) : ٥/٥١٠ .
وقال : " هذا حديث حسن غريب " .

(3) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب رقم (٦٠) : ٥/٥١١ .
وقال : " هذا حديث حسن صحيح " .

(4) سورة التحريم ، آية : ١١ .

(5) انظر ص (٩٨٥) .

نقد مذهب المعتزلة :

إن ما ذهب إليه المعتزلة ونقل عنهم من القول بعدم خلود الجنة أو النـار قـول مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة .

ولقد ألجأهم إلى هذا القول أصلهم في قياس أفعال ا على أفعال العبـاد ، فقـد صار عندهم أن خلق ا تبارك وتعالى للجنة والنار وهما داران للجزاء على الأعمـال من العبث لأنها تصير معطلة مدة طويلة ، وذلك لأنهم لم يدركوا بعقـولهم القاصـرة الحكمة من خلقها ، فردوا كل النصوص التي دلت على وجودها لشبهة في عقـولهم ، وأصل فاسد اعتمدوه .

أما ما استدلوا به من الآيات والأحاديث فلا غبار على أن هذه النصوص تـدل على أن الجنة لا يزال ا يحدث فيها شيئاً بعد شيء ، ولكنهـا لا تـدل علـى عـدم وجودها.

فإن أرادوا بقولهم أنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور ، وقيام الناس مـن القبور ، والحشر والميزان ، وغيرهما مما لم يحدث ، وقد جاء الإخبار بإحداثـه فـي اليوم الآخر ، فهذا باطل ، يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر .

وإن أرادوا أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يـزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخـولهم أمـوراً أخرى – فهذا حق لا يمكن رده - وأدلتهم إنما تدل على هذا القدر . [1]

أما استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [2] فإنه ناتج عن سوء فهم للآية ، فالآية معناها أن كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك "هالك" والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ، قال شارح الطحاوية (وأما احتجاجكم بقوله تعـالى : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾) [3] ، فأوتيتم من سوء فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم على عدم وجود الجنة والنار الآن – نظير احتجاج - إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما !! فلم توفقوا انتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية ، وإنما وفق لذاك أئمة الإسلام ، فمن كلامهم : أن المراد (كل شيء) ، مما كتب الله عليه الفناء والهلاك "هالك" والجنة والنار خلقنا للبقـاء لا للفناء) . [4]

فمن زعم أن الجنة أو النار لم تخلق بعد فهو مكذب بالقرآن وبالأحاديث ، أما ما ذهب إليه أبو الهذيل العلاف من القول بفناء حركات أهل الجنة والنار فقد تقـدم الـرد عليه ، وبيان فساد ما ذهب إليه [5] .

---

(1) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٤٢٣ .

(2) سورة القصص ، آية : ٨٨ .

(3) سورة القصص ، جزء من الآية : ٨٨ .

(4) شرح العقيدة الطحاوية : ٤٢٣ – ٤٢٤ .

(5) انظر ص(١٠٠١) من هذا البحث .

كما أن القول بفناء حركات أهل الجنة أمر غير معقول ، ينافي الكمـال الـذي خلقت عليه الجنة ، ويفسد نعيمها ، وهو مخالف لقوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [2] ، وغيرها من الآيات الدالـة علـى دوام نعيم أهل الجنة ، ودوام بقائهم في الجنة .

المبحث الرابع :

---

(1) سورة الرعد ، آية : ٣٥ .

(2) سورة هود ، آية : ١٠٨ .

تحقيق العدل الإلهي في إثابة المؤمنين في الجنة .

إن دخول المؤمنين إلى الجنة ، وتنعمهم بما فيها من النعيم ، وبلوغهم ثواب ا ، إنما هو إتمام للجزاء العادل الذي يحكم به الرب تبارك وتعالى بين العباد ، فقـد فرق تعالى بين المؤمنين والكافرين ، وبين من آمن وعمل صالحاً ومن كفر وأساء في عملـه ، ويؤكد هذا قوله تعالى في بيان التفريق الذي يحدث عند الجزاء الآخـر يـوم القيامــة : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِى رَوۡضَةٍ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ ﴾[1] .

وقد نبه سبحانه إلى اختلاف أحوال العباد في الآخرة نتيجة اختلافهم في الـدنيا حيث قـال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

([1]) سورة الروم ، آية : ١٤ – ١٥ – ١٦ .

ٱلصَّٰلِحَاتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ١٠٤ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ١٠٨ ﴾ [2] .

ولذاك كلما ذكر ا تبارك وتعالى في كتابه الكريم الجنة عطف عليهـا بـ ذكر النار، وكلما ذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة ، ليدل على التقابل بين هاتين الطائفتين ، ومن ذلك قوله تعـالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ٥٧ ﴾ [4] ،

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ

([1]) سورة هود ، آية : ١٩ – ٢٤ .

([2]) سورة هود ، آية : ١٠٣ – ١٠٨ .

([3]) سورة البقرة ، آية : ٢٤ – ٢٥ .

([4]) سورة النساء ، آية : ٥٦ – ٥٧ .

﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠ ﴾[1] وغيرها كثير في القرآن الكريم .

وقال تعالى في بيان التقابل بين داري الجزاء العادل : ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ١٣ ﴾ .[2] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ٣٠ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٣١ ﴾[3] .

وهذه المقارنة بين الفريقين ، فريق السعداء وفريق الأشقياء ، وبين الدارين دار العقاب ودار الثواب ، تقوم على ما بين الفريقين من تقابل وتناقض وتباعد ، فكان لكل منهما مصير حتمي عادل يقتضي توفيه كل فريق ما يناسبه من الجزاء .

وعلى ذلك فإثابة المؤمنين في الجنة جعلها الله تبارك وتعالى تفريقاً بين الصالحين والمفسدين ، وتصديقاً لوعده ، وإثباتاً لحكمته وعدله .

ومع أن كل من آمن وشهد أن لا إله إلا الله يدخل الجنة برحمة الله وفضله ، إلا أن المؤمنين مختلفون متفاوتون فيما بينهم ، فمنهم القمم الشامخة في الإيمان والعمل الصالح ، ومنهم دون ذلك ، فكان من عدله تبارك وتعالى عدم تسويتهم ببعضهم ، ولذلك فرق سبحانه بين عباده المؤمنين في دخولهم الجنة ، فيقدم من يستحق السبق على غيره ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات ، ويفضل بعضهم على بعض تفضيلاً ، ويدخل من قصرت به أعماله النار ابتداء ، ويعاقبه على قدر ذنبه ، ثم يدخله الجنة إنجازاً لوعده وتوفية لأعمال عباده وفي كل ذلك دلالة على كمال عدله وتمامه ، ودقة حكمه ونظامه.

وهذا الثواب العظيم الخالد الدائم الذي لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى ، أعظم مما قدم العباد من أعمال ، وأكبر من كل تعب ونصب شهدوه ، ولا مقابلة بين عظيم ثواب الله وبين أعمال العباد مهما عظمت .

---

(1) سورة يونس ، آية : ٧ – ١٠ .
(2) سورة التكوير ، آية : ١٢ – ١٣ .
(3) سورة ق ، آية : ٣٠ – ٣١ .

وهذا لا ينافي عدله سبحانه وتعالى ، فإن الثواب في الجنة في الأصل هو رحمة الله تعالى ، وفضله على عباده ، ومنته على خلقه ، وهذا أعظم دليل على أن الأعمال ليست ثمناً للجنة ، ولا تقابل نعيم الجنة ولا أقل جزء منه ، يقول ابن تيمية رحمه الله : (إن عمل العبد لو بلغ ما بلغ ليس هو مما يكون ثواب الله مقابلاً له ومعادلاً حتى يكون عوضاً ، بل أقل أجزاء الثواب يستوجب أضعاف العمل) [1] ، فدل ذلك على أن الجزاء بالجنة ليس معاوضة على الأعمال ولا مقابلة لها ، وإنما الأعمال سبب في دخول الجنة ، وسبب في رحمة الله بعباده المؤمنين ،

ومما يدل على ذلك أن الله تعالى يرفع درجة الأتباع في الجنة إلى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل ، فالذرية والحور العين والخدم في درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل [2].

كذلك فإن الله تعالى ينشئ للجنة خلقاً عندما يبقى فيها فضل ، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة) [3] ، فيدخل الجنة من لا عمل له ، لأنها دار فضله ورحمته ، أما النار فلا يدخل فيها أحد إلا على قدر عمله ، فسبحانه من رب عدل حكيم متفضل على عباده رحيم بهم .

والحاصل أن ثواب الله تعالى فضل ومنه ورحمة منه بعباده ، ولكن لا يناله إلا من علم الله أنه أهل لهذه الرحمة وهذا الفضل ، وعمل العبد مهما بلغ فلا يساوي أقل نعيم الجنة ، ولكنه سبب في دخولها وحصول الرحمة والفضل من الله تعالى ، فإن رحمة الله واسعة لا يساويها عمل عامل ولا تكون مقابلة له بأي وجه .

---

(1) جامع الرسائل ، لابن تيميه : ١-١٤٩ .
(2) انظر حادي الأرواح ، لابن القيم : ٣٧٤ .
(3) سبق تخرجه ص (١٠٠٧) .

المبحث الخامس :

أهل الأعراف .

الجزاء يوم القيامة إنما هو نتيجة للحساب العادل الذي يقيمه الرب تبارك وتعالى في اليوم الآخر ، وما يحدث فيه من محاسبة كل عبد على ما قدم ، وإعطائه صحيفته ، وموازنة أعماله من سيئات وحسنات ، فمن رجحت حسناته دخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته دخل النار.

ولكن أقواماً استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم ترجح إحداهما علـى الأخـرى فلـم يدخلوا الجنة ولم يدخلوا النار ، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين جاء ذكـرهم فـي كتاب الله تعالى ، يقول تبارك وتعـالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٤٩ ﴾ [٢] .

ولقد اختلف المفسرون في تحديد صفات أهل الأعراف وبيان حقيقـتهم ، علـى أقوال كثيرة ، منهم من جعلهم أصحاب فضل ورفعة ، ومنهم من جعلهم دون ذلـك ، وهذا الخلاف موجود في كتب التفسير [٣].

والقول الراجح من بين هذه الأقوال أنهم أقوام اسـتوت حـسناتهم وسـيئاتهم ، واختاره ابن كثير فقال : (واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم ؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد هو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله)[٤].

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ٤٦ .

(2) سورة الأعراف ، آية : ٤٨ – ٤٩ .

(3) انظر تفسير ابن كثير : ٢ – ٣٤٦ وما بعدها .

(4) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢ – ٣٤٧ .

فقد روى عن حذيفة رضي الله عنه قوله : (أصحاب الأعراف ، قوم قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، جعلوا هناك ، حتى يقضى بين الناس ، فبينما هم كذلك ، إذ طلع عليهم ربهم ، فقال : قوموا فادخلوا الجنة ، فإني غفرت لكم) [١] .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : (من استوت حسناته وسيئاته ، كان من أصحاب الأعراف) [٢] .

وقال مجاهد : (أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، وهم على سور بين الجنة والنار ، وهم على طمع من دخول الجنة وهم داخلون) [٣] .

وجاءت عدة أحاديث في إثبات ذلك ، أكثرها فيها مقال إلا أن بعضها يؤيد بعض ويقويه كما قال ابن كثير رحمة الله عليه : (الله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة ، وقصارها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذكر)[٤].

وصح منها حديث حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة ، ويؤمر بأهل النار إلى النار ، ثم يقال لأصحاب الأعراف : ما تنتظرون ؟ قالوا : ننتظر أمرك ، فيقال لهم : إن حسناتكم تجاوزت بكم النار - أن تدخلوها - وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم ، فادخلوا بمغفرتي ورحمتي)[٥] ،

([1]) جامع البيان ، للطبري : ٤٥٣/١٢ ، وتفسير ابن كثير : ٢٢٥/٢ .

([2]) جامع البيان ، للطبري : ٤٥٦/١٢ ، وتفسير ابن كثير : ٢٢٦/٢ ، والزهد ، لابن المبارك برقم : ١٣٧١ .

([3]) الدر المنثور ، للسيوطي : ٨٨/٣ ، والبعث والنشور ، للبيهقي برقم : ١١٠ ، والبدور السافرة ، للسيوطي : ٢٩٧ .

([4]) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٣٤٧/٢ .

([5]) ذكره الطبري في تفسيره بسنده : ٤٥٢/١٢ ، وصححه الحاكم في المستدرك : ٣٢٠/٢ ووافقه الذهبي .

وعن عمرو بن جرير[1] قال : سئل رسول ا ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: (هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال: (أنتم أخرجتكم حسناتكم من النار ، ولم تدخلوا الجنة ، فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم)[٢].

وهناك أثار أخرى غير قوية ، ولعل الجمهور تمسكوا بها لكثرتها ولأن بعضها يقوي بعضاً .

ورجح ذلك السعدي في تفسيره فقال : (والصحيح من ذلك ، أنهم قوم تـساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلا رجحت سيئاتهم ، فدخلوا النار ، ولا رجحت حسناتهم ، فدخلوا الجنة ، فصاروا في الأعراف ما شاء ا ، ثم إن ا تعالى يدخلهم –برحمته- الجنة ، فإن رحمته تسبق غضبه ، ورحمته وسعت كل شيء)[٣].

فمصير أهل الأعراف إلى الجنة إن شاء ا تعالى ، وقد ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ، وقال به مجاهد والضحاك والسدي والحسن وعبد الرحمن بن زيد بـن أسـلم وغيرهم [٤] .

ووقوف أهل الأعراف في مكان متوسط بين الجنة والنـار لتـساوي سـيئاتهم وحسناتهم دليل على عدله تبارك وتعالى في محاسبة عباده ، فلم ترجح سيئاتهم فيعذبوا عليها ويعاقبوا بالنار ، ولم ترجح حسناتهم فتؤهلهم لدخول الجنة ، فأوقفهم ا تعـالى في ذلك المكان المتوسط بين الدارين ، حتى يقضي بينهم ، ثم يدخلهم الجنـة بفـضله ورحمته التي وسعت كل شيء .

([1]) عمرو بن جرير ، أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد ا ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل جرير ، ثقـة مـن علماء التابعين . انظر تهذيب التهذيب : ٥٩/١٣ .

([2]) أخرجه الطبري في تفسيره : ٢- ٤٥٤ ، وقال ابن كثير (مرسل حسن) .

([3]) تفسير الكريم الرحمن : ٢٥٣ .

([4]) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٣٤٩/٢ .

الخاتمة

الحمد على إحسانه ، والشكر لـه على توفيقه وامتنانه ، فبعد هذا العـرض لجوانب العدل الإلهي ، لا أدعي أني قد أحطت بها أو استقصيتها – وأنى لي ذلـك – وإنما هذه معالم يهتدى بها في سبيل درء الارتياب عن العـدل الإلهـي فـي الثـواب والعقاب ، ولقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج أهمها :

- إن أفعال ا تبارك وتعالى وتصرفاته في خلقه صادرة عن عدل تام ، وحكمـة بالغة ، وذلك بوضع الأشياء في مواضعها ، وإنزالها منازلها .
- إن العدل الإلهي المتصف به رب العالمين لا يكون بالمساواة بين الخلق من كـل وجه ، وعدم التفريق بينهم البتة ، وإنما هو التفريق بين المختلفات ، والمـساواة بين المتماثلات ، ووضع كل شيء في موضعه المناسب لـه ، وذلك بالنظر إلى العواقب الحميدة والغايات المقصودة ، وأساس ذلك قيام الرب تبارك وتعالى على تصريف شئون خلقه وفق علم شامل وحكمة بالغة .
- إن قضاء ا وقدره في خلقه هو سره الذي لم يطلع عليه أحد ، والواجـب هـو الإيمان بحكمة بالغة وعلم شامل وعدل تام تستند إليها أفعاله تبـارك وتعـالى ، وهي أساس تقديره وقضائه الكوني والشرعي .
- إن حسن الأفعال وقبحها أمر ثابت عقلاً ، وإنما يتوقف العقاب والثـواب علـى ورود الشرع ، وهذا الإثبات للحسن والقبح لا يسوغ لنا تشبيه أفعـال ا تعـالى بأفعال العباد ، فإن حكماً في أفعاله لا يدركها البشر ، وإن أدركوا بعضاً منها.
- إن ا تعالى لا يجب عليه شيء إلا ما أوجبه على نفسه ، وذكره في كتابه ، أو ذكره عنه نبيه محمد ﷺ ، وليس لأحد إيجاب شيء أو تحريمه على ا تعالى ، إذ ليس فوقه آمر ولا ناه .
- إن من عدل ا تبارك وتعالى أن أقام الحجة على عباده وذلك بإرسال الرسـل ، وإنزال الكتب ، لبيان طريق الحق والهداية إلى الجنة والدعوة إليه ، وبيان طريق

النار والتحذير منه . والتبشير بثواب ا وفضله ورحمته لمن آمن وعمـل صـالحاً ، والإنذار من عقاب ا وعذابه لمن عصى وكفر .

- إن ا تعالى لا يكلف عباده إلا ما يطيقون فعله ، وفي ذلك تنزيه له عن الظلم ، فلم يأمرهم إلا بما يقدرون على فعله ، ولم ينههم إلا عما يقدرون على تركـه ، ورتب ثوابه وعقابه على أمره ونهيه .
- إن النعم والمصائب جميعها ابتلاء من ا تعالى وهي إما نقمة وإما نعمـة فـي نفسها ، ويترتب عليها ثواب أو عقاب ، وذلك بالنظر إلى عواقب هـذه الأفعـال الربانية في العبد ، والتأمل في الحكمة من خلقها ، وهي بذلك لم تصدر إلا عـن عدل إلهي تام .
- تحقق العدل الإلهي في الحياة الآخرة من موت وقبر وبعـث وحـشر وحـساب وميزان وصحائف وجنة والنار ، وذلك بالنظر إلى عدله تعالى في هذه الأمور ، وإخراجه لخلقه ، ومحاسبتهم على جميع أفعالهم ، وفق حساب إلهي دقيق محكـم لا يظلم فيه مثقال ذرة ، إضافة إلى تفاوت الخلق في أحوالهم في جميع أحـوال الآخرة ، مما يدل على عدم تسوية الرب بين المختلفات ، وهذا من تمام العـدل الإلهي.
- إن العقيدة الإسلامية الصحيحة ، النقية من كل بدعة ، الصافية من كل شبهة ، لا نجدها في كتب المتكلمين ، ولا في آراء الفرق المخالفة ، كالمعتزلة والأشـاعرة وغيرهم ، وإنما نجدها في كتب السلف من أهل السنة والجماعة ، وهذه العقيـدة الصافية هي التي تقوم على الإيمان الجازم ، والتسليم الكامل بما جـاء عـن ا تعالى وعن رسوله ، فهما المصدران الرافدان لها .
- إن كلاً من المعتزلة والأشاعرة مقرون بعدل ا تعالى وتنزهه عـن الظلـم ، وإنمـا الخلاف في حقيقة عدل ا تعالى وحقيقة الظلم المنزه عنه .
- إن المعتزلة وإن تلاشت واضمحل أمرها كفرقه بارزة مـستقلة ، ومـذهب مـستقل معروف ، إلا أن أفكارها وعقائدها ما زالت موجودة ومتواريـة

في عقائد الشيعة ، والاثنى عشرية ، والزيدية ، ولا زالت هذه الفـرق باقيـة وأتباعها كثيرون ، كما إن هناك بعض المعاصرين الذين ساروا على منهج المعتزلـة العقلي ، وتبنوا مذهبهم ، ودافعوا عنه .

- إن الأشاعرة وقفوا في وجه المعتزلة وتصدوا لآرائهم ، حتى صاروا ألد خصومهم ، وبالغوا في مخالفتهم ، بل أفرطوا في ذلك ، مثل إنكارهم حسن الأفعال وقبحها ، وإنكارهم الإيجاب على ا نفياً مطلقاً ، وذلك مقابل إثبات المعتزلة الحسن والقبح الذاتين ، وإيجابهم بعض الأفعال على ا تعالى . إلا أنه لا يمكن إنكار موافقة الأشاعرة للمعتزلة في بعض المسائل والمسالك ، ومن ذلك – على سبيل المثال – دليل " الجواهر والأعراض " الذي يقوم على المنهج العقلي في الاستدلال . وهذا إنما يدل على تأثر الأشاعرة بالفكر المعتزلي وسيرهم على مسلكه العقلي في بعض المسائل رغم معارضتهم له .
- إن ا تبارك وتعالى يجازي عباده بالعدل والفضل معاً ، فيعاقب بعدله ، ويثيب بعدله وفضله ومنته ، فكل نعمة منه عدل ، وكل نعمة منه فضل .

والحمد الذي بنعمته تتم الصالحات ، وله الحمد في الأولى والآخرة ولـه الحكـم وإليه المصير . ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (١) .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ .

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
١٢	أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ	٨٢
١٨	صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ	٥٢٢-٥٢٤
٢١	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	٩٩-١٤٨-٣٩٢
٢٢	ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ	٩٩-٣٩٢
٢٣	وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ	٩٩-٥٦٧
٢٤	فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ	٩٩-٩٨٩-١٠٣٥
٢٥	وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ	٩٩-١٠٣٥
٢٦	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ	٢١٠-٦٨٨
٢٨	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	١٣٣
٣١	وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ	٥٦٧
٣٩	وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ	٩٨٧
٤٨	وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ	٩١٥-٩٣٣

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ	
١١٧	بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ	٣٠٣-٣١١
١١٩	إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ	٤٨٦
١٢٨	رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ	١٨٦-٣٦٦-٦٧٧
١٣٨	صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ	١٤٥
١٤٣	وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ	٩٠٣
١٥٥	وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ	٦٢٢
١٥٦	ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ	٦٢٢
١٦١	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ	٥١٤-٩٨٨
١٦٢	خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ	٩٨٨
١٦٤	إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ	٢٨٠
١٦٧	وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ	٩٨٨

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	ٱلنَّارِ	
١٧٢	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ	٦٦٣
١٧٨	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ	٧٥٠
١٧٩	وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ	٧٥٤-٧٧٠
١٨٥	شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ	٣٥٦-٥٧٠
١٨٧	أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ	٧٤٢
١٩٤	ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ	٨٧-٧٥٠-٧٦٥
١٩٧	ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ	٣٦٥
٢٠١	وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا	٧٧٨

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ	
٢٤٣	أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ	٨٤٥
٢٤٥	مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ	٦٢٠
٢٤٦	أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ	٤٣٢
٢٥٠	وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ	٣٦٩
٢٥٣	تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ	٣٤٤
٢٥٤	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ	٩١٥
٢٥٥	ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا	٩١٤-٥٤

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	**الآية**	**الصفحة**
	شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ	
٢٥٦	لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	٧٥٦
٢٥٧	ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ	٤٩٢
٢٥٩	أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ	٨٤٦
٢٦٠	وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ	٨٤٧
٢٦١	مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ	٧٣٥-٨٩٠
٢٦٧	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ	٢٩١
٢٧٢	لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ	٦٩٠-٦٩١

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	خَيۡرٍ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٍ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ	
٢٨١	وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ	٧٩-٨٨٩
٢٨٤	لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ	٣٤٣
٢٨٦	لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ	٢٩١-٥٢٧-٥٥٩-٥٦١-٥٦٢-٥٦٤-٥٦٥-٥٧٠-٥٨٣
	سورة آل عمران	
٨	رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ	٧٠٩
١٤	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ	٣٨٠-٦٠٣
١٥	قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ	
١٦	ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ	٤٩٩
١٨	شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ	٣٤-٧٤-١٤٥

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	عَذَابٌ أَلِيمٌ	
٨٥	وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ	٩٥٧
٩٧	فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ	٥٤٨
١٠١	وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ	٤٦٤
١٠٣	وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	٦٧٤
١١٠	كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ	٦٦٢
١١٧	مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	٩٥٦
١٢٠	إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ	٧٢٥-٦٩٧-٦١٠-٣٨٢
١٢٦	وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ	٢٧١-١٤٧
١٣١	وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ	٩٨٩

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
١٣٣	وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ	١٠٠٩-١٠٢٥
١٣٨	هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ	٤٣٧
١٣٩	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحۡزَنُوا وَأَنتُمُ الۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ	٤٢٢-٦٦١
١٤٠	إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ	٢٧٢-٦١١
١٤١	وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ	٦١١-٦٧٠
١٤٢	أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ	٣٢٢-٦١١
١٤٤	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ	٤٦٥
١٤٥	وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَنۡ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ اللهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ	٧٧٧
١٤٨	فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ	٧٧٨
١٥١	سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ	٧٠٠
١٦٠	إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ	٧٠٦
١٦٢	أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ	٩٧٩
١٦٣	هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ	٩٧٩

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
	بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ	
٢٦	يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ	٣٥٦
٣٣	وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا	٩٠٢
٤٠	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا	٧٦-١١٠-٧٣٤
٤١	فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا	٩٠٣
٤٨	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا	١٦٢-١٦٣-١٦٨-٢٦٦- ٢٦٧-٥١٤-٥١٦
٥٦	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا	١٠٣٥
٥٧	وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا	١٠٣٥
٥٨	إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا	٣
٦٥	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا	٣٠٢-٤٥٤
٦٦	وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا	٧٢٦

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٦٧	وَإِذاً لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡراً عَظِيماً	٧٢٦
٦٨	وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطاً مُّسۡتَقِيماً	٧٢٦
٧٨	أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثاً	٣٨٢-٦١٠-٦١٣-٦٣٤-٦٥١-٦٥٤-٦٩٧
٧٩	مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاًۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً	١٦-٣٨٣-٦١٠-٦١٣-٦٣٥-٦٤٠-٦٥١-٦٥٣-٦٩٧
٨١	وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً	٩٤٠
٨٣	وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلاً	٥٨٨
٨٤	فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً	٥٥٩
٨٧	ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثاً	٧٨٠
٩٣	وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِداً فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَاباً عَظِيماً	٧٧١
٩٥	لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّاً وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡراً عَظِيماً	١٠٢٠

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً	
١٤١	ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً	٤٩٢
١٤٥	إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً	٩٧٩-٩٨١
١٤٧	مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَٰكِراً عَلِيماً ١٤٧ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً	٦١٧
١٥٠	إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً	٤٥١
١٥١	أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً	٤٥١
١٥٢	وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً	٣٢٢-٤٥١
١٥٥	فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً	٧٠٦ ٧٠٧
١٦٣	إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُوراً	٤٣٤
١٦٤	وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً	٤٣٤
١٦٥	رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً	٣٣٢-٣٣٧-٣٩٥-٤٣٩- ٤٨٦

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
١٦٦	لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا	١٤٣
١٦٨	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا	٥٠٩
١٦٩	إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا	٥٠٩
سورة المائدة		
٣	حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ	٤٤١-٤٦٢-٦٧٦
٦	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ	٣٥٦
٨	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ	٨٦
١١	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ	٣٦٩
١٣	فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ	٣٦٩-٧٠٩

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ	
١٦	يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ	٢١١
١٩	يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ	٥٠٢
٣٢	مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ	١٤٨ ٧٥٤
٣٣	إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ	٧٧٢-٧٧١-٧٤٤
٣٤	إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ	٧٧٢
٣٧	يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ	٩٨٨-٩٨٧-٩٣٣
٣٨	وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ	٧٤٦
٤٤	إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ	٤٤٥
٤٥	وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ	٧٦٨-٧٤٣

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ	
٤٨	وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ	٤٥٦-٤٦٠
٥٠	أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ	١٤٥
٥٥	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ	٦٦٠
٦٥	وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ	٦٦٠
٧٢	لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ	٤١٦
٨٣	وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ	٥٢٣
٩٨	ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ	١٩
١١٨	إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ	٣٧٥
	سورة الأنعام	
١	ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ	٣
٢	هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ	٣٠٣
٣	وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ	٢٩١

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ	
٥١	وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ	٩١٥
٥٣	وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ	٣٧٥-٣١٨
٥٤	وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ	٧٠٣-٤٠٦-٤٠٣-٢٦٣
٦١	وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ	٧٩٦-٢١١
٧٠	وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ	٢
٧٢	وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ	٨٣١
٧٦	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ	٢٩
٨٢	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ	٨٧٩-٨٢
٨٣	وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ	٤٧٢
٨٨	ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ	٦٧٧
٩٠	أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ	٤٥٢

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٩١	وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِى خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ	٤٦٦
٩٢	وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ	٧٨٣
٩٣	وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ	٨٢٦-٧٩٧-٧٨٦
٩٤	وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ	٩١٩
١٠٣	لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ	٥٩٣-٥٧٦-٥٧٤
١١٠	وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِى طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ	٧٢١
١١١	وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ	٥٨٧
١١٢	وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِى	٣٤٤-٢٠٩

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
١٤٩	قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ	٥٩٢
١٥١	قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٧٥٥
١٥٢	وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	٨٤-٨٦
١٥٣	وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	٤٥٨-٩٦٢
١٦٠	مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	٣٨١-٦٥٣-٦٩٨-٧٢٥-٧٣٥
١٦٤	قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ	٨٨٩
١٦٥	وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ	٣٣٠
سورة الأعراف		
٨	وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ	٩٥١
٩	وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ	٩٥١
٢٩	قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ	٨١-٨٣-٩٠

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٣٢	قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ	٦٦٤
٣٣	قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ	٣٩١-٨١
٣٧	فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ	٨٢٧
٣٨	قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ	٨٢٨
٤٣	وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ	٦٧٩-٦٢٤-١٧٦
٤٦	وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ	١٠٣٩
٤٨	وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ	١٠٣٩
٤٩	أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ	١٠٣٩

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	يَعۡلَمُونَ	
١٤٨	وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلاً جَسَداً لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لاَ يُكَلِّمُهُمۡ وَلاَ يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلاًۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ	٧٩
١٥٦	وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلۡأَخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِى وَسِعَتۡ كُلَّ شَىۡءٍۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ	٩٩١
١٥٧	ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَاةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ	١٥٣-٣٨٩-٣٩٠
١٦٤	وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٌ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًاۙ ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَاباً شَدِيدًاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ	٤٩٥
١٦٥	فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ	٤٩٥
١٦٨	وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ أُمَمًاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ	٦١٠-٦٦٥-٦٩٨-٧٢٥
١٧٢	وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتَ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ	٣٢٦
١٧٣	أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ	٣٢٦-٣٣٠-٣٣٣
١٧٤	وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ	٣٢٦
١٧٨	مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِىۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ	٦٧٧

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
١٧٩	وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ	٧٠٨-٢٧٣-٢٧٢
١٨٠	وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ	٣٥-٣٨-٣٩-٤٠-٤٢- ٤٣
١٨٦	مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ	٧١٧-٧٠٥-٦٧٩
١٩٥	أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ	٤٤٦
سورة الأنفال		
٢٢	إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ	٥٢٢
٢٣	وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ	٣١٨ ٧١٣
٣٧	لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ	٩٩٣
٤٢	إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ	٣٠٢
٥٠	وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ	٨٢٦
٥١	ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ	٨٢٧-٨٢٦
٥٢	كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ	٥٤١

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٥٣	ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّراً نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	٦١٥
سورة التوبة		
٦	وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَعۡلَمُونَ	٥٢٣-٣١
١٤	قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٍ مُّؤۡمِنِينَ	٢٨١
١٨	إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ	٧٨٢
٣٧	إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ	٨٩٩
٤٢	لَوۡ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ	٥٥٥
٤٤	لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ	٧٨٢
٤٥	إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ	٧٨٢
٤٦	وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ	٣٥٤
٥٠	إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٌ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَا أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ	٦٩٧
٥٢	قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن	٢٨١

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ	
٧٢	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ	٤٠٥
٧٧	فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ	٣٧٤
٨٢	فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ	١٣٢
٨٥	وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ	٦٧٠
٩١	لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	٥٥٦
٩٢	وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ	٥٥٦
٩٣	إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ	٥٥٦-٧٠٦
١١١	إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ	٤٠٣-٤٠٤-٤١٥-٦١٩
١١٥	وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ	٦٧٨
١٢٠	مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ	٢٨٧

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ	
١٢١	وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ	٢٨٧
١٢٧	وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ	٧٠٨-٣٧٤
سورة يونس		
٣	إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	٩١٤-٩٨
٤	إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ	٨٤١-٢٩٨-٩٨
٥	هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	٣٠٥
٧	إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ	١٠٣٥
٨	أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ	١٠٣٥
٩	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ	١٠٣٥
١٠	دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ	١٠٣٥
١١	وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ	٣٠٤

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ	
٢٢	هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ	٣٧١
٤٥	وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ	٨٦١
٤٧	وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ	٥٠١-٥١٠
٥٢	ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ	٩٨٧
٦١	وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ	٣٢٤-٩٠٢
٦٢	أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ	٢٦٥-٨٧٩
٦٣	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ	٢٦٥-٨٧٩
٦٤	لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ	٢٦٥-٧٧٨-٨٢٥-٨٧٩
٧٣	فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ	٤٩٤
٨٥	فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ	٦٤١
٩٩	وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ	٣٤٤-٥٩٢-٧٥٦

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٤	مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	١٠٣٤
٢٥	وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ	٤٦٥-٤٩٧
٢٦	أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ	٤٦٥-٤٩٧-٩٩١
٢٧	فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ	٤٦٥
٣٤	وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ	٣٥٥
٥٢	وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ	٤٩١
٥٦	إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ	٧٥-٣٧٥
٥٨	وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ	٤٩٤
٦٦	فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ	٤٩٤
٧٥	إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ	٤٧٣
٧٧	وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ	٤٢٣
٨١	قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ	٤٢٣
٨٤	وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ	٤٩٧

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٢	وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ	٤٧٢
٢٤	وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ	٢٠٣
٥٣	وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ	٤٠٦
٦٨	وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	٤٧٢-٣٠٤
١٠٠	وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ	٥٩٤-٥٧٧-٥٧٦
١٠٨	قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ	٤٣٢
١٠٩	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	٤٧٢
سورة الرعد		
٦	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ	٤٩٠
٧	وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ	٥٠٨-٥٠١
١١	لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ	٢٧

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٢	وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَىٰ ٱلدَّارِ	٦٢١
٢٣	جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ	٦٢١
٢٤	سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ	٦٢١
٢٦	ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ	٣٠٥
٣٢	وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ	٥٤٣
٣٤	لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ	٧٧٨
٣٥	مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ	١٠٣٢
٣٨	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِءَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ	٤٦٥
	سورة إبراهيم	
٤	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ	٤٧٠
٧	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ	٤٩١-٦٦٥
١٠	قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ	٣٣٣-٤٦٦
١١	قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ	٤٦٦-٤٦٧

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة

| | سورة الحجر | |

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٣٦	وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ	٥٠١
٣٧	إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ	٦٧٩
٣٨	وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ	٨٤٢
٥٠	يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ	١٦
٥٣	وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ	٦٥١
٥٦	وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ	٨٩٥
٧٦	وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ	٧٥-٩١
٧٨	وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ	٥٢٥
٨٨	ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ	٨٩٩
٨٩	وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ	٤٦٣-٩٠٣
٩٠	إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ	٨٣-١٤٥
٩٣	وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن	٦٩٢

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ	
٩٧	مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ	٤٩١
١١١	يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ	٩٠٩-٩٤٤
١١٢	وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ	٥٤١-٥٤٤-٦٥٦
١١٣	وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ	٥٤١
١١٨	وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ	٦١٧
١١٩	ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ	٧٧٣
١٢٥	ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ	٨٨-٧٥٠
١٢٦	وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ	٨٨-٧٥٠
سورة الإسراء		
٤	وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً	٣٠١-٣٠٢
٩	إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَاتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا	٢١١-٤٣٧
١٣	وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلۡقَىٰهُ مَنشُوراً	٦١٣-٩٤٢

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
١٤	ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا	٩٤٢
١٥	مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا	-٢٢٣-٢٥٩-٣٣٦-٣٩٥ -٤٣٩-٥٠١-٥١٥-٥١٧ -٥١٩-٥٢٠-٥٢٨-٥٣٤ ٨٨٩-٥٣٧
١٨	مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا	٣٤٦
٢١	ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا	١٠٢٠
٢٣	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا	٣٠١-٣٠٢
٣٢	وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا	٣٩١-٧٥٥
٣٣	وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا	٧٥٠-٧٥٥
٣٤	وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا	٨٩٥
٣٥	وَأَوۡفُوا ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا	٨٦
٣٦	وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا	٥٢٤
٤٩	وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا	٨٥١
٥٠	قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا	٨٥١
٥١	أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي	٨٥١

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا	
٧٢	وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً	٧١٢
٧٩	وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا	٩٢٤
٨٤	قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً	٧٢٨
٨٥	وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً	٧٩١
٨٩	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا	٤٧٩
٩٣	أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً	٤٧٩
٩٤	وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلاَّ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً	٤٦٥
٩٥	قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً	٤٦٧
٩٧	وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا	٨٧٦-٨٩٦-٨٩٩-٩٠١
٩٨	ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا	٨٥٧-٨٧٦
٩٩	أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا	٨٥٢-٨٥٧
١٠٥	وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا	٤٨٦
١١٠	قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ	٣٥-٣٩

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً	
سورة الكهف		
٧	إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُم أَحۡسَنُ عَمَلاً	٦٠٥
١١	فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدًا	٥٢٤
١٢	ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ الحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا	٥٢٤-٢٧٢
١٧	وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا	٦٧٨-٣٧١
٢٣	وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَداً	٢٠٩
٢٤	إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا	٢٠٩
٢٨	وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَاةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا	٧٠٣
٢٩	وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا	٣٧٧-١٣٣
٤٨	وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا	٨٨٨
٤٩	وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَا لِهَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا	-٩٤٢-٥٢١-١١٠-٧٧ ٩٤٦
٥٣	وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا	٩٠٠
٥٤	وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا	٩٤٤

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٤٧	وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ	٩٥١-٩٥٩
٧٣	وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ	٢١١
٨١	وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ	٣١٩
٨٣	وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ	٤٩٣
٨٤	فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ	٤٩٣
٨٧	وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ	٤٩٣
٨٨	فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	٤٩٣
٩٠	فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ	٤٩٩
١٠١	إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ	٨٧٩
١٠٢	لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ	٨٧٩
١٠٣	لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ	٨٧٩
١٠٤	يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ	٨٥١-٨٥٦-٨٥٧-٨٦٢
١٠٥	وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ	٣٢٤
١٠٦	إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ	٣٢٤

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
	ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ	
	سورة المؤمنون	
١٢	وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ	٨٥٥-٨٥٩
١٣	ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ	٨٥٥-٨٥٩
١٤	ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ	٨٥٥-٨٥٩
١٥	ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ	٨٤٢-٨٥٥-٨٥٩
١٦	ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ	٨٤٢-٨٥٥-٨٥٩
٢٣	وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ	٢٧٦
٣٣	وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ	٤٦٥
٤٤	ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ	٤٢٢
٩١	مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ	٤٤٤
١٠٠	لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ	٨٠٢-٨١٨
١٠١	فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ	٨١٨-٩٥٢
١٠٢	فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ	٩٥٢-٩٥٩
١٠٣	وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ	٨٩٧-٩٥٢-٩٥٧
١٠٤	تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ	٢٨١-٨٩٧-٩٥٢

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٣٧	وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةًۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا	٤٥١
٤٧	وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا	٨٣٨
٥١	وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا	٥٠٧
٦٢	وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا	٦٧٣
٦٥	وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا	٤٩٩
٦٦	إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا	٤٩٩
٦٨	وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا	٧٥٥
٧٠	إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا	٦٩٨-٩٤٧
سورة الشعراء		
٧٥	قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ	٣٠
٧٦	أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ	٣٠
٧٧	فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ	٣٠
٨٢	وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ	٤٩٩
٨٣	رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ	٤٩٩
٨٤	وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْأٓخِرِينَ	٤٩٩
٨٥	وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ	٤٩٩
٨٦	وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ	٤٩٩
١٠٥	كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ	٤٥١
١٦٠	كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ	٤٥١

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٠٨	وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ	٥١٧-٥٣٨
٢٠٩	ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ	٥١٧-٥٣٨
	سورة النمل	
١٩	فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحاً تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ	٣٦٩
٣٥	وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ	٤٢٢
٤٠	قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرّاً عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ	١٧٢-٦٢٦-٦٦٦
٤٧	قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ تُفۡتَنُونَ	٦١١
٥٠	وَمَكَرُواْ مَكۡراً وَمَكَرۡنَا مَكۡراً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ	٥٤٣
٥١	فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ	٥٤٣
٦٤	أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ	٤٣٢
٨٥	وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ	٩٠١
٨٧	وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ	٨٣٤
٨٨	وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ	١٣٢-٢٠٥-٤٤٣
٨٩	مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ	٧٣٤
	سورة القصص	

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
٨	فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ	٢٧١-٢٧٢-٢٧٣
٩	وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ	٢٧٢
١٤	وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ	٤٧٢
١٥	وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ	٣٠٥
٢٦	قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ	٤٧٣
٣٨	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ	٥٤٢
٤١	وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ	٥٠٩
٤٢	وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ	٣٨١
٤٤	وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ	٣٠٤
٥٦	إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ	٦٧٧-٦٧٩-٦٩١-٦٩٢- ٧٢٨
٥٨	وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ	٥٤٤
٥٩	وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ	٤٤٠-٥١٧ ٥٣٦ ٥٣٩-٥٤٠

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٦٢	وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ	٨٩٧
٦٨	وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ	٣١٩-٦٨١
٦٩	وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ	٣١٩
٧٣	وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ	
٧٨	قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ	٨٩٦
٨٤	مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ	٧٣٤-٧٣٥
٨٨	وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ	٧٨٨-٨٢٤-١٠٢٩-١٠٣١
سورة العنكبوت		
١	الٓمٓ	٦٠٥
٢	أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ	٦٠٥
٣	وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝	٦٠٥
٤	أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ	٦٣٠
٦	وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ	١٤٣
٨	وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ	٣٨٠
١٠	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَ	٣١٧

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
١١	قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ	٢١١-٧٩٥-٧٩٦
١٢	وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ	٩٠٠
١٣	وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ	٣٤٢-٣٤٥-٥٩٢-٦٩٢
١٧	فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ	٦٥-٢٠٦-٤٩٦-١٠١٠-١٠٢٢
١٩	أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ	٦٢٥
٢٤	وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ	٤٥٤
سورة الأحزاب		
٧	وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا	٣٢٩
١٢	وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا	٤٥٣
١٥	وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا	٨٩٥
٢٣	مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا	٣٠٣
٣٦	وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا	٤٥٥
٦٠	لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا	٤١٤

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
	أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ	
١٨	قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ	٦١٢
١٩	قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ	٦١٢-٦١٣
٣٧	وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ	٢٨٣
٣٨	وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ	٢٨٣
٣٩	وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ	٢٨٣
٤٠	لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ	٢٨٣
٤٢	وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ	١٩٣
٥١	وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ	٨٣٤
٦٥	هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ	٨٥٩-٩٠٤
٧٨	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ	٢٩٨-٨٥٠
٧٩	قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ	٢٩٨-٨٥٠
٨٠	ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ	٨٥٥
٨١	أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ	٣٥٨-٨٥٢-٨٥٧
٨٢	إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ	٣٤٢-٣٤٦-٤٥٤
	سورة الصافات	
١٥	وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ	٨٤٢
١٦	أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ	٨٤٢
١٧	أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ	٨٤٢
١٨	قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ	٨٤٢
١٩	فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ	٨٤٢
٢٠	وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ	٨٤٢

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٢	ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ	٦٧٩-٨٩٥
٢٣	مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ	٦٧٩-٨٩٥
٢٤	وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ	٨٩٥
٥٥	فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ	٥٨٨
٥٦	قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ	٥٨٨
٥٧	وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ	٥٨٨-٦٧٦-٦٩٢
٩٦	وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ	١٩١-١٩٢-٢٤٥-٣٥٨
١١٤	وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ	٦٨٢
١٧١	وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ	٦٦٠
١٧٢	إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ	٦٦٠
١٧٣	وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ	٦٥٨-٦٦٠
سورة ص		
١٤	إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ	١٦٨-٨٧٥
٢٦	يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ	٤٥٦
٢٧	وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ	٩٣-٢٠٧-٢٠٨
٢٨	أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ	٩٤-٣٦٧-٣٩٣-٨٧٥-١٠٠٧
٣٨	وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ	٢٥٨
٤٧	وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ	٤٦٧
٤٩	هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ	١٠١٢
٥٠	جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ	١٠١٢
٧٥	قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ	١٥

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٣٥	لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ	٦٢٧-١٧٣
٤٢	ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	٢١١-٢٩٧-٧٩٦-٨٠٠-٨١٣
٤٣	أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ	٩١٩
٤٤	قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	٩١٩
٥٣	قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ	٧٧٣
٦٠	وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ	٤٩٨
٦١	وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	٤٩٤
٦٢	ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ	١٩٠-٢٠٢-٢٤٥-٣٥٨-٣٦٨-٥٩٧
٦٩	وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	٨٨٨-٩٠٩
٧١	وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ	١٦٩-٢٦٧-٩٧٦-٩٧٧
٧٢	قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ	٩٧٦-٩٧٧
٧٣	وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ	١٠١٢-١٠١٨

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٧٤	وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ	١٠١٨
سورة غافر		
١١	قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ	٧٨٨
١٦	يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ	٨٣٣
١٧	ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ	٩٣-٩٤-٨٣٣-٩٠٩
١٨	وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ	٩١٦-٩٣٤-٩٣٦
٢١	أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ	٥٣٩
٢٢	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ	٥٣٩
٢٧	وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ	٨٣٠
٣١	مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ	٧٦
٣٤	وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ	٤٣٤
٤٥	فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ	٤٩٥-٨٠٩

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٤٦	ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ	٥٤٢-٦٢٩-٨٠٩-٨١٥-٩٨١
٥١	إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ	٦٦٠-٩٠٢
٥٨	وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ	٩٤
٥٩	إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ	٨٣١
٦٠	وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ	٣٦٦-٤١٣
	سورة فصلت	
٦	قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ	٨٩٨
٧	ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ	٨٩٨
١٢	فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ	٣٠١-٣٠٧
١٣	فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ	٤٩٥
١٥	فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ	٩١-٤٤٦-٥٤٣
١٦	فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ	٥٤٣
١٧	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ	٦٧٨
١٩	وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ	٩٠٤
٢٠	حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ	٩٠٤

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٢١	وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	٩٠٤
٣٠	إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ	٨٢٥
٣٣	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ	٤٣٢
٣٩	وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ	١٨٣-٨٤٨
٤٢	لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ	٤٦٣
٤٣	مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ	٤٣٣-٤٩٠
٤٤	وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ	٧٠٨
٤٦	مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ	١١٠-١٧٢-١٧٥-٦٢٥
	سورة الشورى	
٧	وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ	٨٣٠
١١	فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ	١٢-١٦-٢٧٦
١٣	شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ	٦٨٠
١٩	ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ	٥٧٤-٥٩٣

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٧	وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِی ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ	٥٨٦-٥٨٧
٢٩	وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ	٨٨٣
٣٠	وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ	٦٠٩
٤٠	وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ	٨٨-٧١٧-٧٥٠
٤٨	فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ	٦٩٨
٥٢	وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِی مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِی بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِیٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ	٤٣٧-٥٠٩-٦٧٨-٦٩١- ٦٩٤
	سورة الزخرف	
٦	وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِیّٖ فِی ٱلۡأَوَّلِينَ	٤٣٠
٩	وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ	٩٦
١١	وَٱلَّذِی نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ	٤٤٧-٨٤٨
١٩	وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ	٩٤٠
٣٣	وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ	٥٨٦-٥٨٧
٣٤	وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ	٥٨٦
٣٥	وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ	٥٨٦

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٦	وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ	٧٨٠
٢٨	فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ	٦٤
٥٢	كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ	٤٣٣
٥٦	وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ	٢٧١
٥٨	إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ	٥٣
سورة الطور		
٢١	وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ	١٧٨-٦٣٠-٩٢٨
٢٧	فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ	٦٧٦
٣٥	أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ	٤٤٢
٤٥	فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ	٨٠٩
٤٦	يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ	٨٠٩
٤٧	وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ	٨٠٩
سورة النجم		
١٣	وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ	١٠٢٥
١٤	عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ	١٠٢٥
١٥	عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ	١٠٢٥
٢٦	وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ	٩١٦
٢٩	فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا	٧٢٨
٣٠	ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ	٧٢٨
٣٢	ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي	٣٣٨

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٦٢	وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ	١٠٢٢
سورة الواقعة		
١٧	يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ	١٠١٠
١٨	بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ	١٠١٠
١٩	لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ	١٠١٠
٢٠	وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ	١٠١٠
٢١	وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ	١٠١٠
٢٢	وَحُورٌ عِينٌ	١٢٢-٢٨٧
٢٣	كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ	١٢٢-٢٨٧
٢٤	جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ	١٢٢-١٧٦-١٧٧-٢٠٦- ٢٨٧
٢٧	وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ	١٠١٠
٢٨	فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ	١٠١٠
٢٩	وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ	١٠١٠
٣٠	وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ	١٠١٠
٣١	وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ	١٠١٠
٣٢	وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ	١٠١٠
٤١	وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ	٩٧٢
٤٢	فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ	٩٧٢
٤٣	وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ	٩٧٢
٤٤	لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ	٩٧٢
٤٧	وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ	٨٤٣
٤٨	أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ	٨٤٣
٤٩	قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ	٨٤٣
٥٠	لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ	٨٤٣

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٢	هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ	٣١٦
٢٤	هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ	٣٥
سورة الصف		
٣	كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ	٣٥٤
٥	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ	٣٧٣--٧٠٠-٧٠٩-٧٢١
٦	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ	٧٠٠
٧	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ	٦٨١-٧٠٠
١٠	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ	٦٢٠
١١	تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ	٦٢٠
١٢	يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ	٦٢٠
١٣	وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ	٦٢٠
سورة الجمعة		
٨	قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	٨٢٤
١٠	فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	٣٠٣-٣٦٥
سورة المنافقون		

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٦	سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ	٦٨١
٨	يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ	٤٩٢ - ٦٦١
	سورة التغابن	
٥	أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ	٥٤٢
٦	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ	٥٤٢
٧	زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ	٤٤٨ - ٧٨٠ - ٨٤٣
٨	فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ	٨٤٣
٩	يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحًا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ	٨٤٣
١٦	فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ	٥٥٢
١٧	إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ	٨٩٠
	سورة الطلاق	
٢	فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا	٢١٤
٣	وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا	٥٧٤

فهرس الآيات القرآنية		
الصفحة	الآية	رقم الآية
٥٥٩	لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا	٧
٣١٦-٢٧١-١٤٧	ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا	١٢
	سورة التحريم	
٩٧٢	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ	٦
١٠٣٠	وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ	١١
	سورة الملك	
٤٤٣-٢٠٥-١٣١	ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ	٣
١٠٠٥-٩٧٧	وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ	٦
١٠٠٥-٩٧٧	إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ	٧
١٠٠٥-٩٧٧-٥٣٧-٤٤٠	تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ	٨
١٠٠٥-٩٧٧-٥٣٧-١٠٠	قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ	٩
١٠٠٥-٩٧٧-١٠٠	وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ	١٠
١٠٠٥-١٠٠	فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ	١١
١٠٠٦-٥٧٧-٣٩٨	أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ	١٤
٨٣٨	هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ	١٥

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
سورة المعارج		
٤٢	فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ	
٤٣	يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ	٨٧٦
٤٤	خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ	٨٧٦
سورة نوح		
٥	قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراً	٤٩٠
٦	فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلاَّ فِرَاراً	٤٩٠
٧	وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَاراً	٤٩٠
٨	ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً	٤٩٠
٩	ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً	٤٩٠
١٠	فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً	٤٩٠-٤٩١
١١	يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً	٤٩١
١٢	وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً	٤٩١
١٧	وَٱللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً	٧٨١
١٨	ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً	٧٨١
٢٣	وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً	٤٣٣
سورة الجن		
١٠	وَأَنَّا لاَ نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً	٥٩٧
١٣	وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِۦ فَلاَ يَخَافُ بَخْساً وَلاَ رَهَقاً	٥٢٣
١٥	وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً	٢
٢٣	إِلاَّ بَلاَغاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً	٩٨٥

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
سورة المزمل		
٢٠	إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ	٣٠٦
سورة المدثر		
١١	ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا	٣١
٢٧	وَمَآ أَدۡرَاكَ مَا سَقَرُ	٩٧٢
٢٨	لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ	٩٧٢
٢٩	لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ	٩٧٢
٣٠	عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ	٤٩-٩٧٢
٣١	وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ	٤٩
٤٢	مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ	٨٩٨
٤٣	قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ	٨٩٨
٤٥	وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ	

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٨	وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ	٨٣٢
٩	بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ	٨٣٢
١٠	وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ	٨٣٨-٨٣٢
١١	وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ	٨٣٢
١٢	وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ	١٠٣٥-٨٣٢
١٣	وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ	١٠٣٥-٨٣٢
١٤	عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ	٨٣٢
١٩	إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ	٤٢٣
٢٨	لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ	٢٩٤-٢١٠-٢٠١
٢٩	وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ	٢١٠-٢٠١
سورة الإنفطار		
١	إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ	٨٣٢
٢	وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ	٨٣٢
٣	وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ	٨٣٢
٤	وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ	٨٤١-٨٣٢
٥	عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ	٨٤١-٨٣٢
١٠	وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ	٩٤٠
١١	كِرَامٗا كَٰتِبِينَ	٩٤٠
١٢	يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ	٩٤٠
سورة المطففين		
١٤	كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ	٧٠٧-٧٠١
١٥	كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ	٧١١
١٦	ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ	٧١١
سورة الإنشقاق		
٧	فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ	٩٤٣-٩٠٧-٦٢٧

فهرس الآيات القرآنية		
رقم الآية	الآية	الصفحة
٨	فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً	٦٢٧-٩٠٧-٩٤٣
٩	وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً	٩٤٣
١٠	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ	٩٤٣
١١	فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُوراً	٩٤٣
١٢	وَيَصْلَىٰ سَعِيراً	٩٤٣
سورة البروج		
١٢	إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ	١٩
١٣	إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ	١٩
١٤	وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ	١٩
سورة الأعلى		
٣	وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ	٦٧٧-٣٠٥
١٠	سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ	٦٧٣
سورة الغاشية		
٢٦	ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم	٢٢٦
سورة الفجر		
١٥	فَأَمَّا ٱلإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّيۤ أَكْرَمَنِ	٦٠٦ ٦٦٥
١٦	وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّيۤ أَهَانَنِ	٦٦٥-٦٠٦
١٧	كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ	٦٦٥-٦٠٦
٢٢	وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً	١٩
٢٧	يٰأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ	٨٢٦-٧٨٧
٢٨	ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً	٨٢٦-٧٨٧
٢٩	فَٱدْخُلِي فِي عِبَادِي	٨٢٦-٧٨٧
٣٠	وَٱدْخُلِي جَنَّتِي	٨٢٦-٧٨٧
سورة البلد		

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة	
الحديث	الصفحة
أأعطيت سائر ولدك مثل هذا ، ...	٨٥
أبك جنون .... اذهبوا به فارجموه ، ...	٧٤٧
أتاني آت من ربي فأخبرني ، ...	١٦٤
أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يـشرك بـا شـيئاً دخـل الجنة،...	٩٨٣
أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا ا ورسوله أعلم ، ...	٩٠٤
أتدرون من المفلس ... إن المفلس من أمتي ، ...	٩٠٦
أتدري ما حق ا على عباده ؟ ...	٢٦٣
أتشفع في حد من حدود ا ، ...	٧٤٦
أجعلتني عدلاً ؟ ...	٣٤٥
إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ...	٤٣١

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة	
الحديث	الصفحة
البر ما سكنت إليه النفس ، ...	٣٩٤
تدنوا الشمس يوم القيامة من الخلق ، ...	٨٨٢
تعرض الفتن علي القلوب كالحصير ، ...	٧٠١
تكفّل ا لمن جاهد في سبيله ، ...	٦٢٠
ثلاثة لا يكلمهم ا يوم القيامة ولا ينظر إليهم ، ...	٨٧٨
ثم انطلق بي جبريل ، حتى أتى سدرة المنتهى ، ...	١٠٢٥
ثم ليقفن أحدكم بين يدي ا ليس بينه وبينه حجاب ، ...	٨٩٢
ثم يؤتى بالجسر ، فيجعل بين ظهري جهنم ، ...	٩٦٥
حتى إذا خاص المؤمن من النار ، ...	٩٣٢
حديث الأبرص والأقرع والأعمى ، ...	٣٩٧
حديث جبريل ، ...	٧٨٠
الخير كله بيديك والشر ليس إليك ، ...	٥٩٧
الذي أمشاهم على أرجلهم قادر ، ...	٨٧٦
رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به ، ...	٩٩٠
ربك أعلم بما كانوا عاملين ، ...	٥٣٠
ربنا ولك الحمد ، ملء السموات والأرض ، ...	٦٧٢
روح المؤمن طائر في شجر الجنة ، ...	٨١٤
سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ، ...	١٠٢٢
سألت ربي عز وجل فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفاً ، ...	٩٢٩
سبعة يظلهم ا في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ...	٨٧٩
سيد الاستغفار أن يقول العبد : (اللهم أنت ربي ، ...	٨٠
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، ...	٩٢٦
الصراط جسر جهنم ، ...	٩٦٢

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة	
الحديث	الصفحة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث الشريفة	
الحديث	الصفحة
يجمع ا الناس يوم القيامة ، فيهتمون لذلك ، ...	٩٢٤
يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة ، ...	١٠٤٠
يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر ، ...	٨٧٨
يحشر الناس حفاة عراة غرلاً ، ...	٨٥٦
يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة ، ...	٨٦٢
يخرج يوم القيامة عنق من النار ، ...	٩٦٨
يدخل الفقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، ...	١٠١٥
يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم ، ...	٩٨٨
يدعى نوح يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يارب ، ...	٩٠٣
يدني المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل ، ...	٨٩٢
يرهم ا مسأ ، ...	٥١٨
يقال لأهل الجنة : يا أهل الجنة لا موت ، ...	٩٨٩
يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة ، ...	٣٢٧
ينادي مناد : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، ...	٩٦٧
ينزل ربنا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل الآخر ، ...	١٩
ينفخ في الصور ثلاث نفخات ، ...	٨٣٤

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام المترجم لهم	
العلم	الصفحة
ابن أبي الدنيا	٥٩٨

فهرس الأعلام المترجم لهم	
العلم	الصفحة
ابن أبي العز الحنفي	٢٠
ابن الجوزي	٦٧٥
ابن الراوندي	٨١٧
ابن الوزير	٧٢
ابن بطة	٦٨
ابن تيمية	١٢
ابن جدعان	٥١٤
ابن حبان	٤٥
ابن حجر العسقلاني	٤٥
ابن حزم	٤٦
ابن خزيمة	٦٥
ابن عبدوس	٨٠٧
ابن عثيمين	٤٧
ابن عطية	٤٥
ابن عقيل	٨٠٧
ابن قتيبة	٧٠
ابن قدامة	٣٨٨
ابن قدامة	٥٢٩
ابن قيم الجوزية	١٥
ابن كثير	٤٦
ابن متويه	٨٦٣
ابن مندة	٦٩
ابن منظور	

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

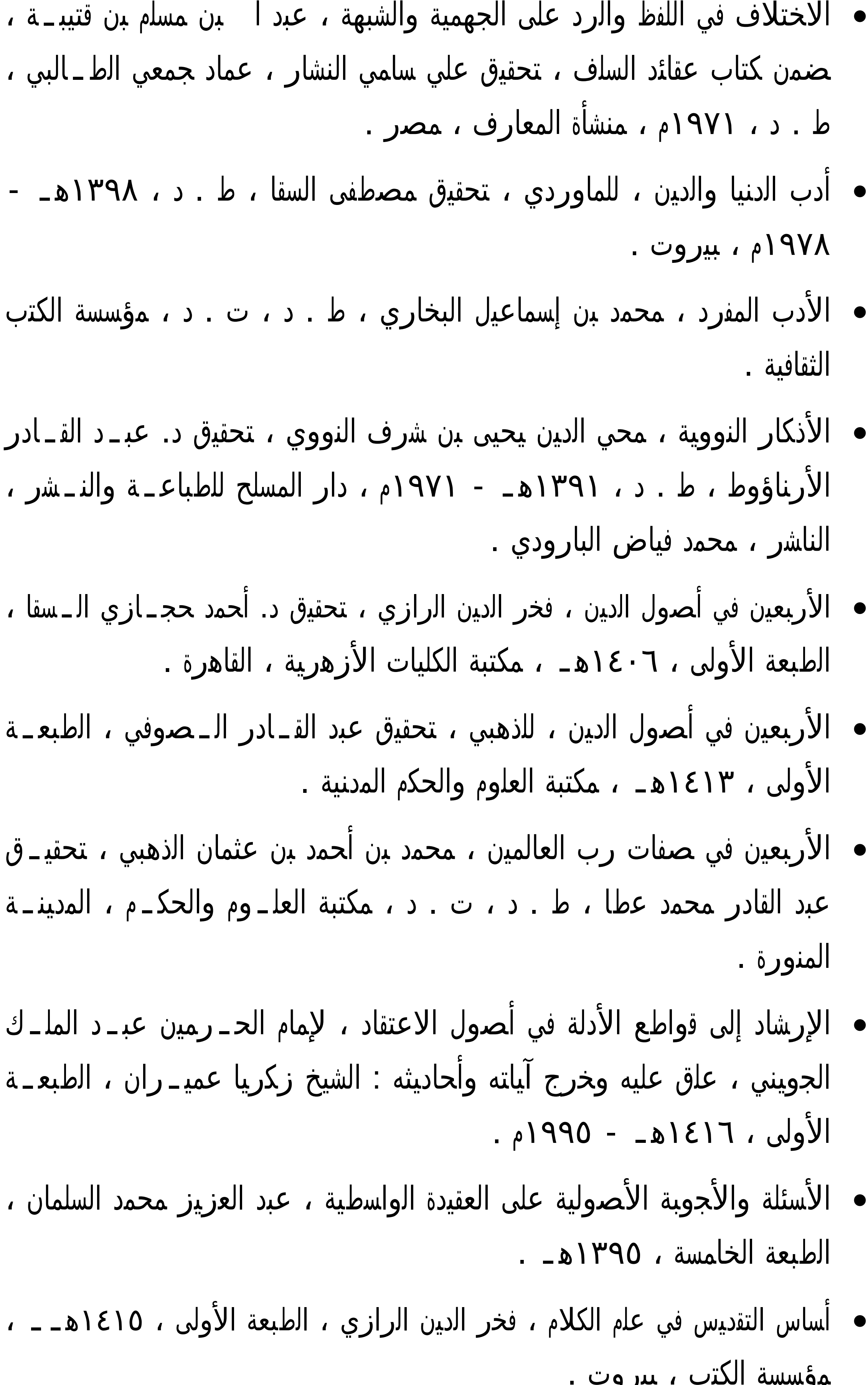
فهرس الأعلام المترجم لهم	
العلم	الصفحة
عروة بن الزبير	٨٠٨
عطاء ابن أبي رباح	٦٢٢
عكاشة بن محصن رضي ا عنه	٩٠٨
عكرمة	٥١٠
علي بن أبي طالب رضي ا عنه	٣١٦
علي بن الحسين زين العابدين	٩٤٥
عمر بن الخطاب رضي ا عنه	٣١٣
عمر بن عبد العزيز	٦١٤
عمران بن حصين رضي ا عنه	٣١٧
عمرة بنت رواحة رضي ا عنها	٨٥
عمرو بن جرير	١٠٤١
عمرو بن لحي	٥١٤
غيلان الدمشقي	٣٢١
القاضي عياض	
قتادة	٥١٠
القرطبي	٤٦
قس بن ساعدة	٥١٧
القلانسي	٨٧٠
كعب بن زهير	٢٣٠
كلثوم بن جبير	٣٣١
اللالكائي	٣٨
الليث بن سعد	١٠
مالك بن أنس بن مالك	١٠

فهرس الأعلام المترجم لهم

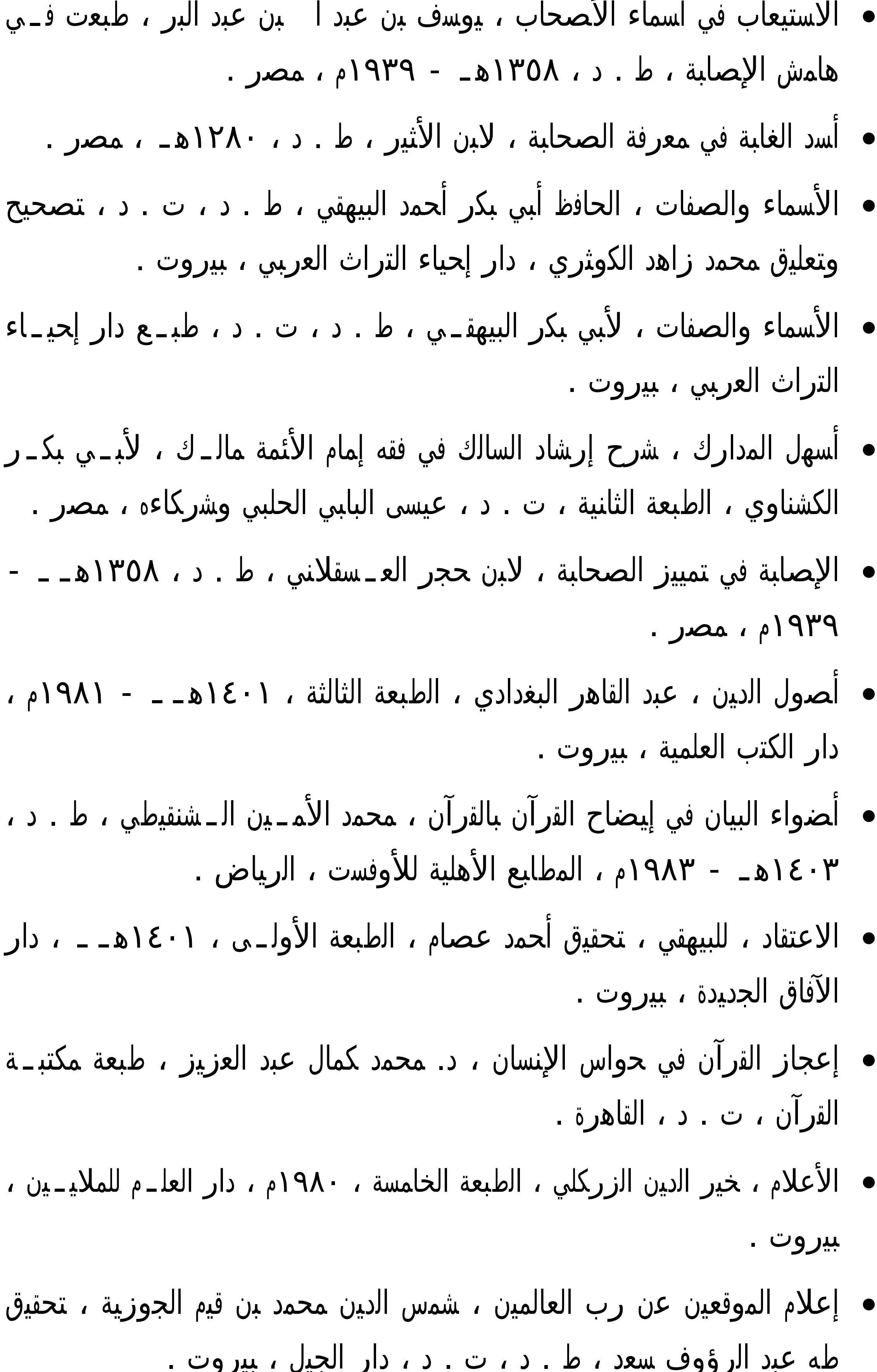
فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الإبانة في أصول الدين ، لأبي الحسن الأشعري ، تقديم وتحقيق وتعليـق : د. فوقية حسين محمود ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، مطـابع الـدجوي ، القاهرة .
- ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية ، علي بن علي جابر الحربي ، الطبعة الأولـى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، مكتبة عبد ا علي عامر ، مكة ، توزيع عالم الكتب .
- ابن حزم وموقفه من الإلهيات ، عرض ونقد ، أحمد بن ناصر آل حمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسـلامي ، كليـة الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة .
- أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع ، د. محمد حسين الذهبي ، الطبعة الأولـى ، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م ، دار الاعتصام ، الكويت .
- اجتماع الجيوش الإسلامية ، شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية ، الطبعة الأولـى ، ١٤٠٨هـ ، طبع دار الكتاب العربي ، بيروت .
- الأحكام السلطانية ، للقاضي أبي الحسن علي بن محمد بـن حبيـب البـصري الماوردي ، طبعة المحمودية التجارية ، مصر ، ت . د .
- الأحكام في أصول الأحكام ، سيف الدين الآمدي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ ، دار الفكر ، بيروت .
- أحوال الآخرة من نصوص الكتاب والسنة ، أ.د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، دار الفيصلية ، الرياض .
- إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالـي ، ط . د ، ت . د ، دار النـدوة الجديدة ، بيروت .



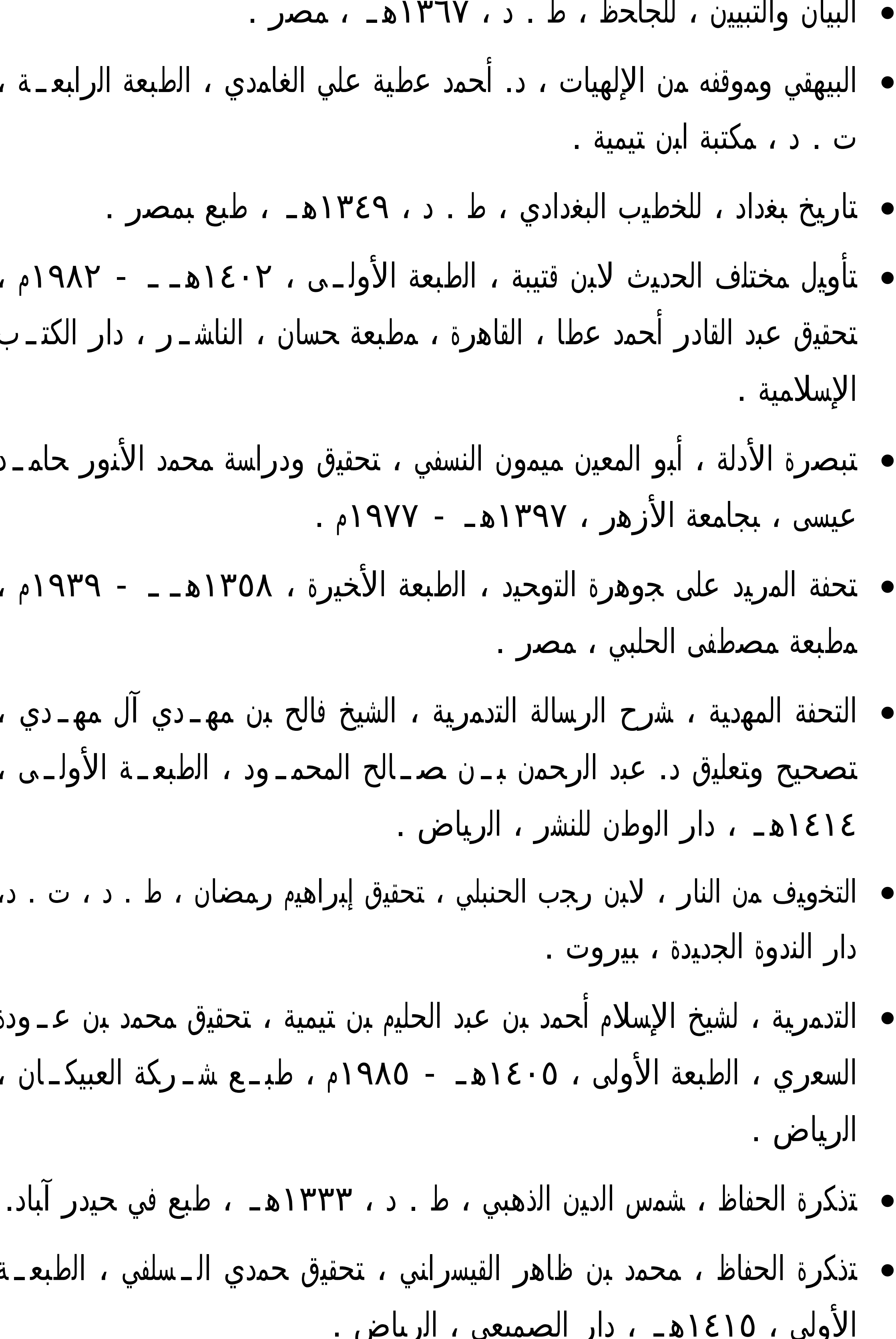
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والشبهة ، عبد ا بن مسلم بن قتيبـة ، ضمن كتاب عقائد السلف ، تحقيق علي سامي النشار ، عماد جمعي الطـالبي ، ط . د ، ١٩٧١م ، منشأة المعارف ، مصر .
- أدب الدنيا والدين ، للماوردي ، تحقيق مصطفى السقا ، ط . د ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، بيروت .
- الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ط . د ، ت . د ، مؤسسة الكتب الثقافية .
- الأذكار النووية ، محي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق د. عبـد القـادر الأرناؤوط ، ط . د ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، دار المسلح للطباعـة والنـشر ، الناشر ، محمد فياض البارودي .
- الأربعين في أصول الدين ، فخر الدين الرازي ، تحقيق د. أحمد حجـازي الـسقا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
- الأربعين في أصول الدين ، للذهبي ، تحقيق عبد القـادر الـصوفي ، الطبعـة الأولى ، ١٤١٣هـ ، مكتبة العلوم والحكم المدنية .
- الأربعين في صفات رب العالمين ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيـق عبد القادر محمد عطا ، ط . د ، ت . د ، مكتبة العلـوم والحكـم ، المدينـة المنورة .
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لإمام الحـرمين عبـد الملـك الجويني ، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه : الشيخ زكريا عميـران ، الطبعـة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز محمد السلمان ، الطبعة الخامسة ، ١٣٩٥هـ .
- أساس التقديس في علم الكلام ، فخر الدين الرازي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، مؤسسة الكتب ، بيروت .



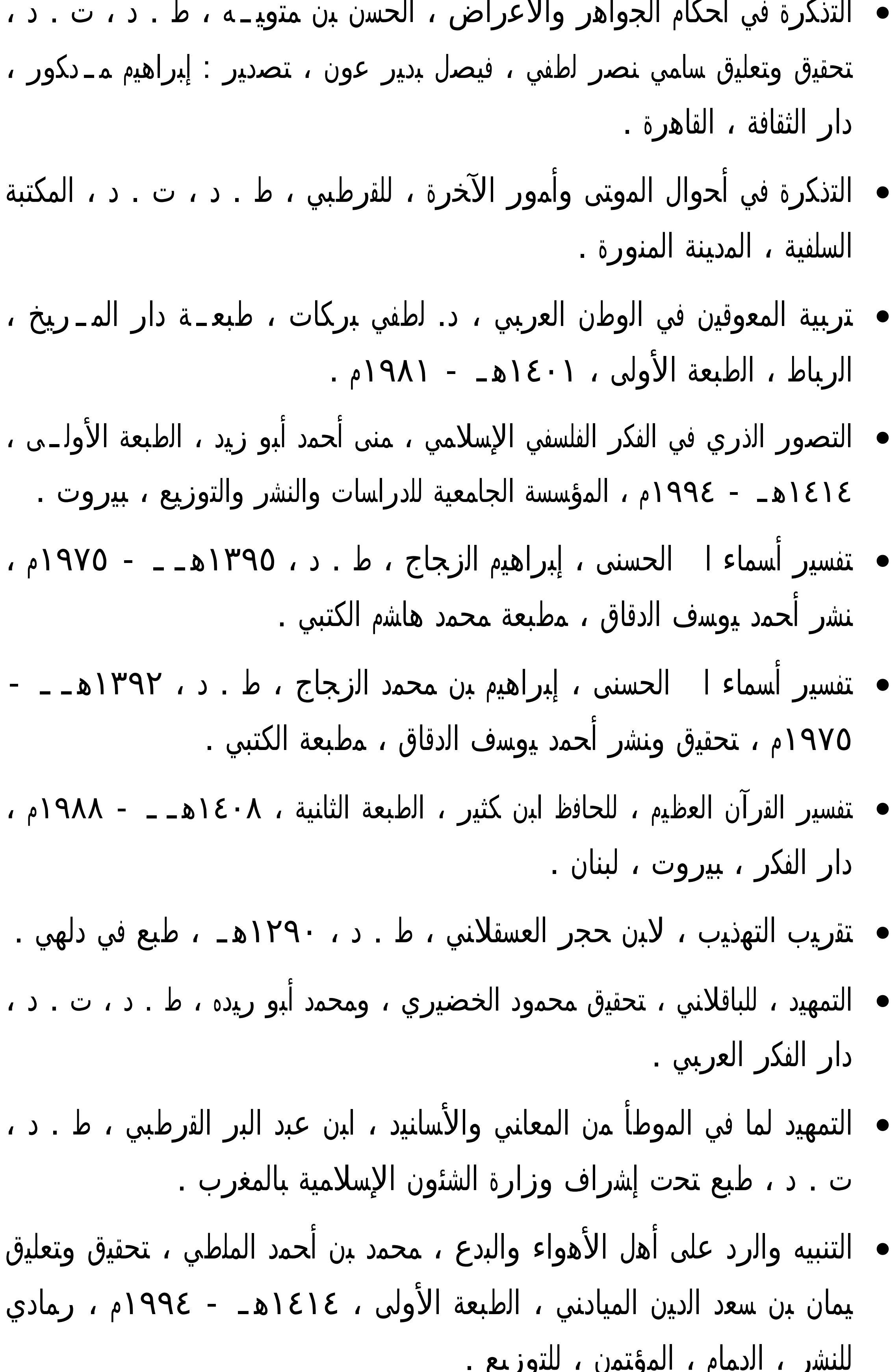
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، يوسف بن عبد ا بن عبد البر ، طبعت في هامش الإصابة ، ط . د ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ، مصر .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، ط . د ، ١٢٨٠هـ ، مصر .
- الأسماء والصفات ، الحافظ أبي بكر أحمد البيهقي ، ط . د ، ت . د ، تصحيح وتعليق محمد زاهد الكوثري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- الأسماء والصفات ، لأبي بكر البيهقي ، ط . د ، ت . د ، طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- أسهل المدارك ، شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك ، لأبي بكر الكشناوي ، الطبعة الثانية ، ت . د ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، مصر .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، ط . د ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ، مصر .
- أصول الدين ، عبد القاهر البغدادي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط . د ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض .
- الاعتقاد ، للبيهقي ، تحقيق أحمد عصام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- إعجاز القرآن في حواس الإنسان ، د. محمد كمال عبد العزيز ، طبعة مكتبة القرآن ، ت . د ، القاهرة .
- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠م ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط . د ، ت . د ، دار الجيل ، بيروت .

- الاقتصاد في الاعتقاد ، أبو حامد الغزالي ، الطبعـة الأولـى ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م ، دار الأمانة ، بيروت .
- اقتضاء الصراط المستقيم ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تخريج وتوثيق خالد العطار ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، شيخ الإسلام ابـن تيميـة ، تخريج وتوثيق خالد العطار ، الطبعة الأولـى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، دار الفكر للنشر والتوزيع .
- الإقناع في فقه الإمام أحمد ، أبو النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي ، تصحيح وتعليق عبد اللطيف السبكي ، دار المعرفة ، بيروت .
- إكمال الأعلام بتثليث الكلام ، لابن مالك محمد بن عبد ا الجيائي ، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، مركـز إحيـاء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى .
- الأم ، محمد بن إدريس الشافعي ، خرج أحاديثه وعلق عليه محمود مطرجي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ، د. محمد السيد الجلينـد ، الطبعـة الثالثـة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع ، السعودية .
- الانتصاف ، أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري ، الطبعة الأولـى ، ١٣٥٤هـ ، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبوع بهامش كشاف الزمخشري .
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بـن حنبـل ، علاء الدين أبي الحسين المرداوي ، تحقيق أبي عبد ا محمد الشافعي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، محمد بن الطيب البـاقلاني ، تحقيق وتعليق وتقديم ، محمد زاهد الكوثري ، الطبعة الثانيـة ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م ، مؤسسة الخانجي ، مصر .

- إيثار الحق على الخالق ، لابن الوزير اليمني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- البحر المحيط في أصول الفقه ، للزركشي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، أشرفت على طباعته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت .
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي ، تحقيق وتعليق علي محمد معوض ، الشيخ عادل الموجود ، الطبعة الأولى ، ÷ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- بدائع الفوائد ، شمس الدين ابن القيم ، ط . د ، ت . د ، دار الفكر ، بيروت .
- بداية المجتهد ، لابن رشد القرطبي ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- البداية والنهاية ، لابن الكثير ، الطبعة الرابعة ، ١٤١١هـ - ١٩٨١م ، مكتبة المعارف ، بيروت .
- البداية والنهاية في التاريخ ، لابن كثير ، ط . د ، ١٣٥١هـ - ١٣٥٨هـ ، مصر .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني ، ط . د ، ١٣٤٨هـ ، مصر .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق محمد علي النجار ، إشراف محمد توفيق عويضه ، ط . د ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة .
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق سمير أمين الزهري ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، مكتبة الدليل ، الجبيل الصناعية ، السعودية .
- بيان تلبيس الجهمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ ، مطبعة الحكومة ، مكة .



- البيان والتبيين ، للجاحظ ، ط . د ، ١٣٦٧هـ ، مصر .
- البيهقي وموقفه من الإلهيات ، د. أحمد عطية علي الغامدي ، الطبعة الرابعـة ، ت . د ، مكتبة ابن تيمية .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ط . د ، ١٣٤٩هـ ، طبع بمصر .
- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، الطبعة الأولـى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، القاهرة ، مطبعة حسان ، الناشـر ، دار الكتـب الإسلامية .
- تبصرة الأدلة ، أبو المعين ميمون النسفي ، تحقيق ودراسة محمد الأنور حامـد عيسى ، بجامعة الأزهر ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر .
- التحفة المهدية ، شرح الرسالة التدمرية ، الشيخ فالح بن مهـدي آل مهـدي ، تصحيح وتعليق د. عبد الرحمن بـن صـالح المحمـود ، الطبعـة الأولـى ، ١٤١٤هـ ، دار الوطن للنشر ، الرياض .
- التخويف من النار ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق إبراهيم رمضان ، ط . د ، ت . د، دار الندوة الجديدة ، بيروت .
- التدمرية ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق محمد بن عـودة السعري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، طبـع شـركة العبيكـان ، الرياض .
- تذكرة الحفاظ ، شمس الدين الذهبي ، ط . د ، ١٣٣٣هـ ، طبع في حيدر آباد.
- تذكرة الحفاظ ، محمد بن طاهر القيسراني ، تحقيق حمدي الـسلفي ، الطبعـة الأولى ، ١٤١٥هـ ، دار الصميعي ، الرياض .



- التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض ، الحسن بن متويـه ، ط . د ، ت . د ، تحقيق وتعليق سامي نصر لطفي ، فيصل بدير عون ، تصدير : إبراهيم مـدكور ، دار الثقافة ، القاهرة .
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للقرطبي ، ط . د ، ت . د ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
- تربية المعوقين في الوطن العربي ، د. لطفي بركات ، طبعـة دار المـريخ ، الرباط ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- التصور الذري في الفكر الفلسفي الإسلامي ، منى أحمد أبو زيد ، الطبعة الأولـى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت .
- تفسير أسماء ا الحسنى ، إبراهيم الزجاج ، ط . د ، ١٣٩٥هــ - ١٩٧٥م ، نشر أحمد يوسف الدقاق ، مطبعة محمد هاشم الكتبي .
- تفسير أسماء ا الحسنى ، إبراهيم بن محمد الزجاج ، ط . د ، ١٣٩٢هــ - ١٩٧٥م ، تحقيق ونشر أحمد يوسف الدقاق ، مطبعة الكتبي .
- تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هــ - ١٩٨٨م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ط . د ، ١٢٩٠هـ ، طبع في دلهي .
- التمهيد ، للباقلاني ، تحقيق محمود الخضيري ، ومحمد أبو ريده ، ط . د ، ت . د ، دار الفكر العربي .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر القرطبي ، ط . د ، ت . د ، طبع تحت إشراف وزارة الشئون الإسلامية بالمغرب .
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، محمد بن أحمد الملطي ، تحقيق وتعليق يمان بن سعد الدين الميادني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، رمادي للنشر ، الدمام ، المؤتمن ، للتوزيع .

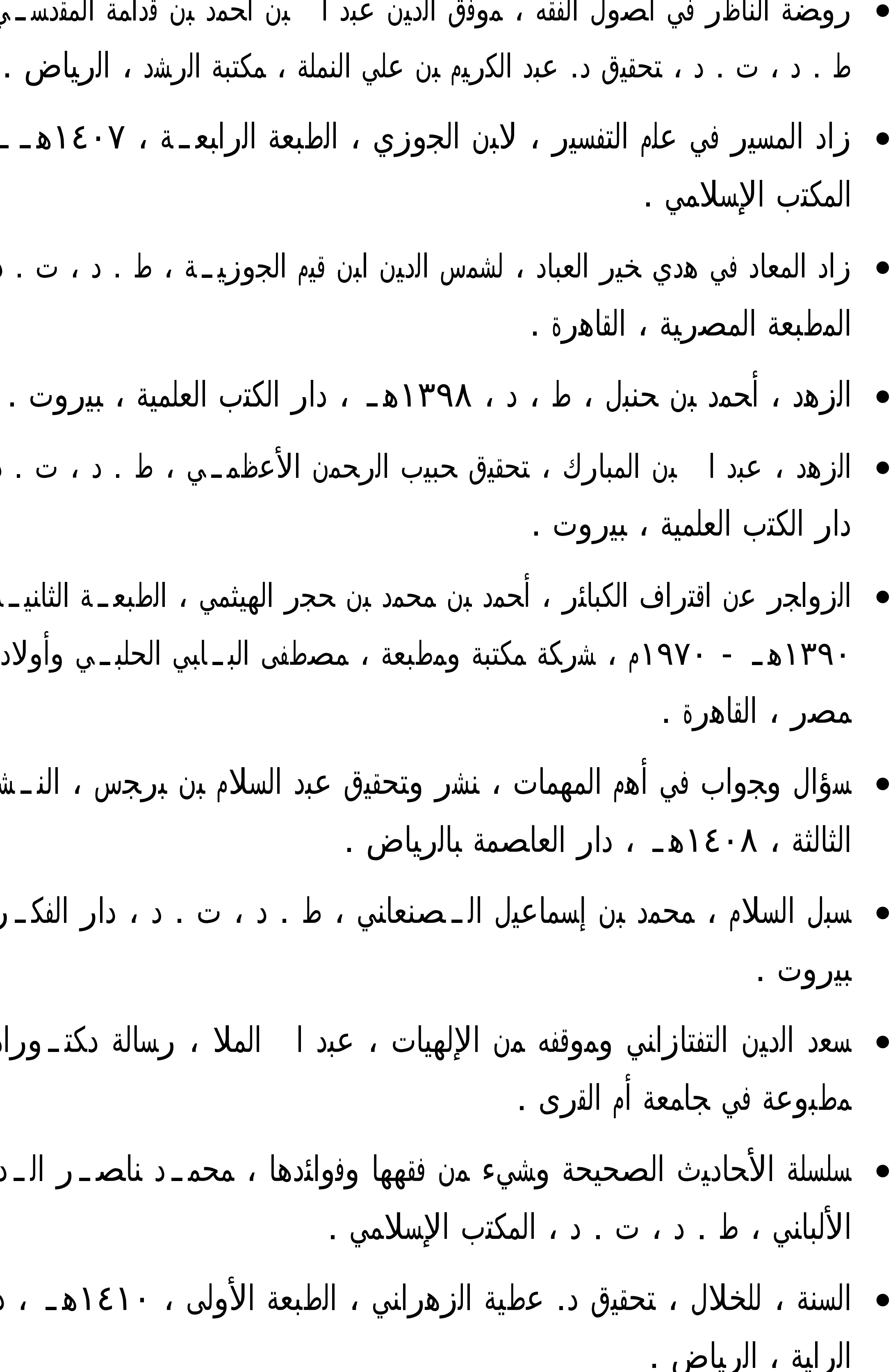
- تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، ط . د ، ت . د ، دار النهضة الحديثة ، بيروت ، لبنان .
- تنزيه ا عما أوجبه عليه المعتزلة ، أحمد محمد البناني ، رسالة دكتوراه ، إشراف د. عبد العزيز عبد ا بن عبيد ، ١٤٠٣هـ - ١٤٠٤هـ ، مكة .
- تهافت الفلاسفة ، أبو حامد الغزالي ، الطبعة الخامسة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، تحقيق د. سليمان دنيا ، مصر ، مطابع دار المعارف .
- تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ط . د ، ١٣٢٥هـ ، طبع حيدر آباد.
- التوسل والوسيلة ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق زهير الشاويش ، ط . د ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، المكتب الإسلامي .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، ط . د ، ١٤٠٥هـ ، دار الفكر ، بيروت .
- جامع الرسائل ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، دار العطاء للنشر والتوزيع ، الرياض.
- جامع الرسائل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، دار العطاء للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، توزيع دار التدمرية للنشر والتوزيع .
- جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، إبراهيم باجس ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق أحمـد عبـد العلـيم البردوني ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٢هـ ، دار الشعب ، القاهرة .
- جمع الجوامع ، للسبكي ، وبهامشه حاشية العلامة النباتي ، طبعة الحلبي ، ت . د ، مصر .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بـن تيمية ، تقديم : علي السيد صبح المدني ، ط . د ، ت . د ، مكتبة المدني ، جـدة ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، ابن قيم الجوزية ، ط . د ، ت . د ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
- حاشية الكلنبوي المطبوع مع شرح العقائد العضدية ، إسماعيل الكلنبـوي ، ط . د ، ١٣١٧هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
- الحافظ أحمد بن تيمية ، أبو الحـسن النـدوي ، ط . د ، ت . د ، دار القلـم ، الكويت .
- الحدود في الشريعة الإسلامية ، د. عبـد الحلـيم عـويس ، ط . د ، ت . د ، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ، جدة ، السعودية .
- الحكمة في الدعوة إلى ا ، سعيد بن وهـف القحطـاني ، الطبعـة الأولـى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، توزيع مؤسسة الجريسي ، الرياض ، مطبعة سـفير ، الرياض .
- الحكمة من إرسال الرسل ، عبد الرزاق عفيفي ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ ـ ، دار الصميعي ، للنشر والتوزيع ، الرياض .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ، ط . د ، ١٣٥١هـ ، مصر .
- الحياة الآخرة ، د. غالب عواجي ، الطبعة الثانيـة ، ١٤٢١هـ ـ - ٢٠٠٠م ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة .

- خاتم النبيين ، محمد أبو زهرة ، ط . د ، ت . د ، دار الفكر العربي ، بيروت.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر عمـر البغـدادي ، ط . د ، ١٢٩٩هـ ، مصر .
- خلق أفعال العباد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق د. عبد الـرحمن عميـرة ، ط . د ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، دار المعارف ، الرياض .
- الدر المنثور في التفسير المأثور ، جلال الدين السيوطي ، الطبعـة الأولـى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الفكر ، بيروت .
- درء تعارض العقل والنقل ، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق محمد رشـاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، طبع جامعة الإمام محمـد بـن سعود الإسلامية .
- دراسات في النفس الإنسانية ، محمـد قطـب ، ط . د ، ت . د ، دار القلـم ، القاهرة .
- دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية ، د. محمد الراجحـي ، د. عبـد الرزاق عمار ، طبعة المنظمة العربية للتربيـة والثقافـة والعلـوم ، تـونس ، ١٩٨٢م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلاني ، ١٣٤٥هـ - ١٩٥٠م ، ط . د ، حيدر آباد .
- الدعوة الإسلامية ، د. أحمد غلوش ، ط . د ، ١٩٧٩م ، نشر الكتـاب المـصري ، ودار الكتاب اللبناني ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .
- دعوة التوحيد ، أصولها الأدوار التي مرت بها ، مشاهير دعاتهـا ، محمـد خليـل هراس، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
- دلائل النبوة ، للبيهقي ، ط . د ، ت . د .
- الرد على الجهمية ، عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق بدر بن عبد ا البـدر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ ، دار ابن الأثير ، الكويت .



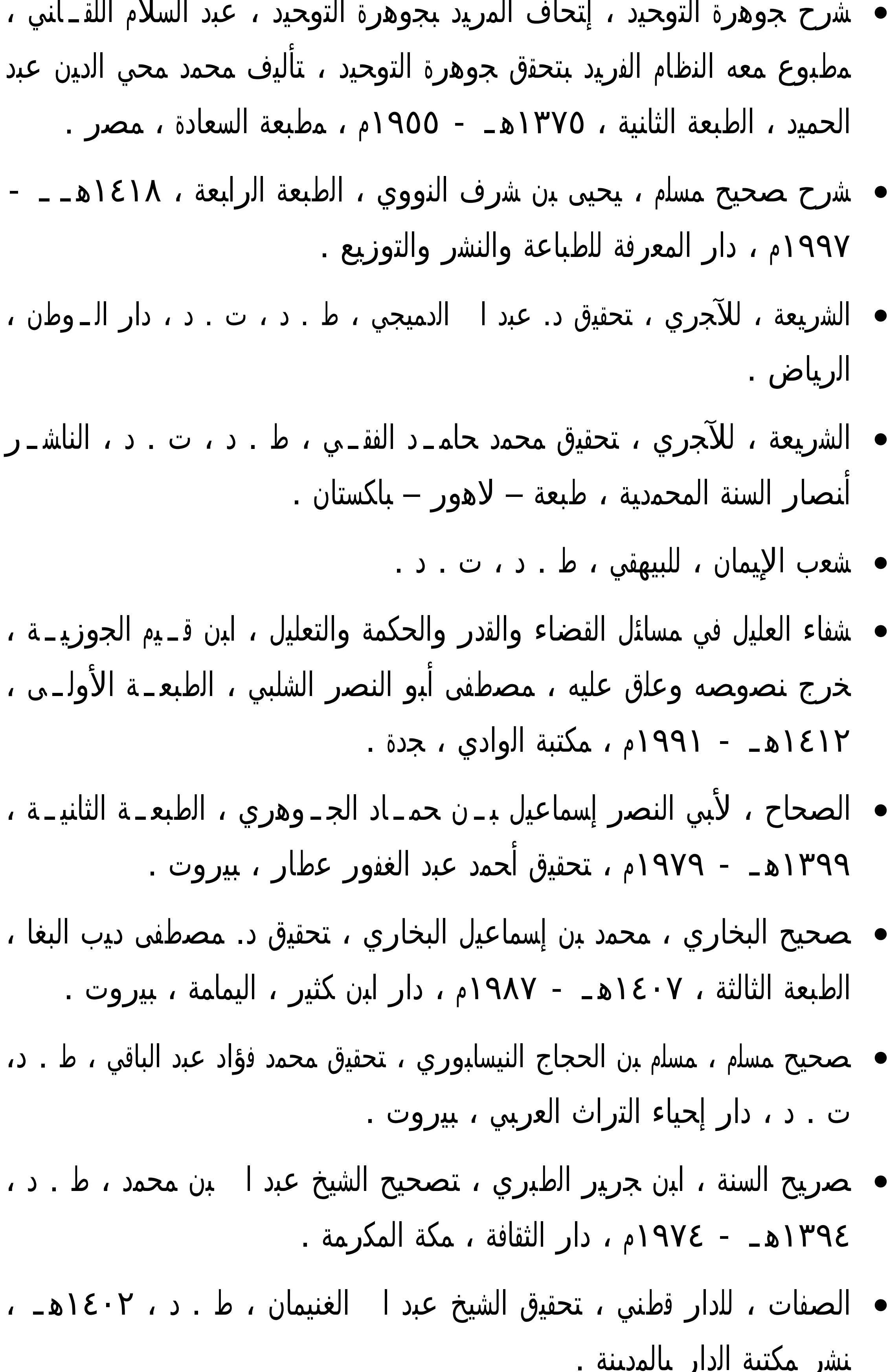
- الرد على المنطقيين ، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ط . د ، ت . د ، طبعة إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان ، دار المعرفة ، بيروت .
- الرسالة المستطرفة ، محمد بن جعفر الكتاني ، ط . د ، ١٣٢٢هـ ، بيروت .
- رسالة إلى أهل الثغر ، علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري ، تحقيق عبد ا شاكر المصري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، مكتبة العلوم والحكم ، لبنان ، السعودية .
- الرسل والرسالات ، د. عمر سليمان الأشقر ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن .
- رفع الأستار ، محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- الروح ، لابن قيم الجوزية ، ط . د ، ت . د ، مطبعة المدني ، جدة .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي ، ط . د ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، دار الفكر ، بيروت .
- الروض المربع بشرح زاد المستنقع ، منصور البهوتي ، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ، صفي الرحمن المباركفوري ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، مكتبة دار السلام ، الرياض .
- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ، للمباركفوري ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، دار السلام ، الرياض .
- روضة الطالبين ، لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق بإشراف زهير الشاويش ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .



- روضة الناظر في أصول الفقه ، موفق الدين عبد ا بن أحمد بن قدامة المقدسـي ، ط . د ، ت . د ، تحقيق د. عبد الكريم بن علي النملة ، مكتبة الرشد ، الرياض .
- زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، الطبعة الرابعـة ، ١٤٠٧هـ ـ ، المكتب الإسلامي .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لشمس الدين ابن قيم الجوزيـة ، ط . د ، ت . د ، المطبعة المصرية ، القاهرة .
- الزهد ، أحمد بن حنبل ، ط ، د ، ١٣٩٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الزهد ، عبد ا بن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمـي ، ط . د ، ت . د ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي ، الطبعـة الثانيـة ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، شركة مكتبة ومطبعة ، مصطفى البـابي الحلبـي وأولاده ، مصر ، القاهرة .
- سؤال وجواب في أهم المهمات ، نشر وتحقيق عبد السلام بن برجس ، النـشرة الثالثة ، ١٤٠٨هـ ، دار العاصمة بالرياض .
- سبل السلام ، محمد بن إسماعيل الـصنعاني ، ط . د ، ت . د ، دار الفكـر ، بيروت .
- سعد الدين التفتازاني وموقفه من الإلهيات ، عبد ا الملا ، رسالة دكتـوراه ، مطبوعة في جامعة أم القرى .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، محمـد ناصـر الـدين الألباني ، ط . د ، ت . د ، المكتب الإسلامي .
- السنة ، للخلال ، تحقيق د. عطية الزهراني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، دار الراية ، الرياض .

- سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فـؤاد عبـد البـاقي ، ط . د ، ت . د ، دار الفكر ، بيروت .
- سنن أبي داود ، تحقيق ناصر الدين الألباني ، اعتنى به فريـق بيـت الأفكـار الدولية .
- سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ، تحقيق محمد محـي الدين عبد الحميد ، ط . د ، ت . د ، دار الفكر .
- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط . د ، ت . د ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- سنن الدارمي ، عبد ا بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
- سنن النسائي (المجتبى) ، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غـدة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب .
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، شيخ الإسلام أحمد بـن عبـد الحليم بن تيمية ، ط . د ، ت . د ، دار الكتاب العربي .
- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمـد نعيم العرقسوسي ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٣هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- السيرة النبوية ، لابن هشام ، شرحها مصطفى الشلبي ، ط . د ، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م ، مصر .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، ط . د ، ت . د ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ، هبة ا اللالكائي ، تحقيق أ.د. أحمـد بـن سعد حمدان الغامدي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، مطبعة شـركة العبيكـان بالرياض ، نشر دار طيبة ، الرياض .

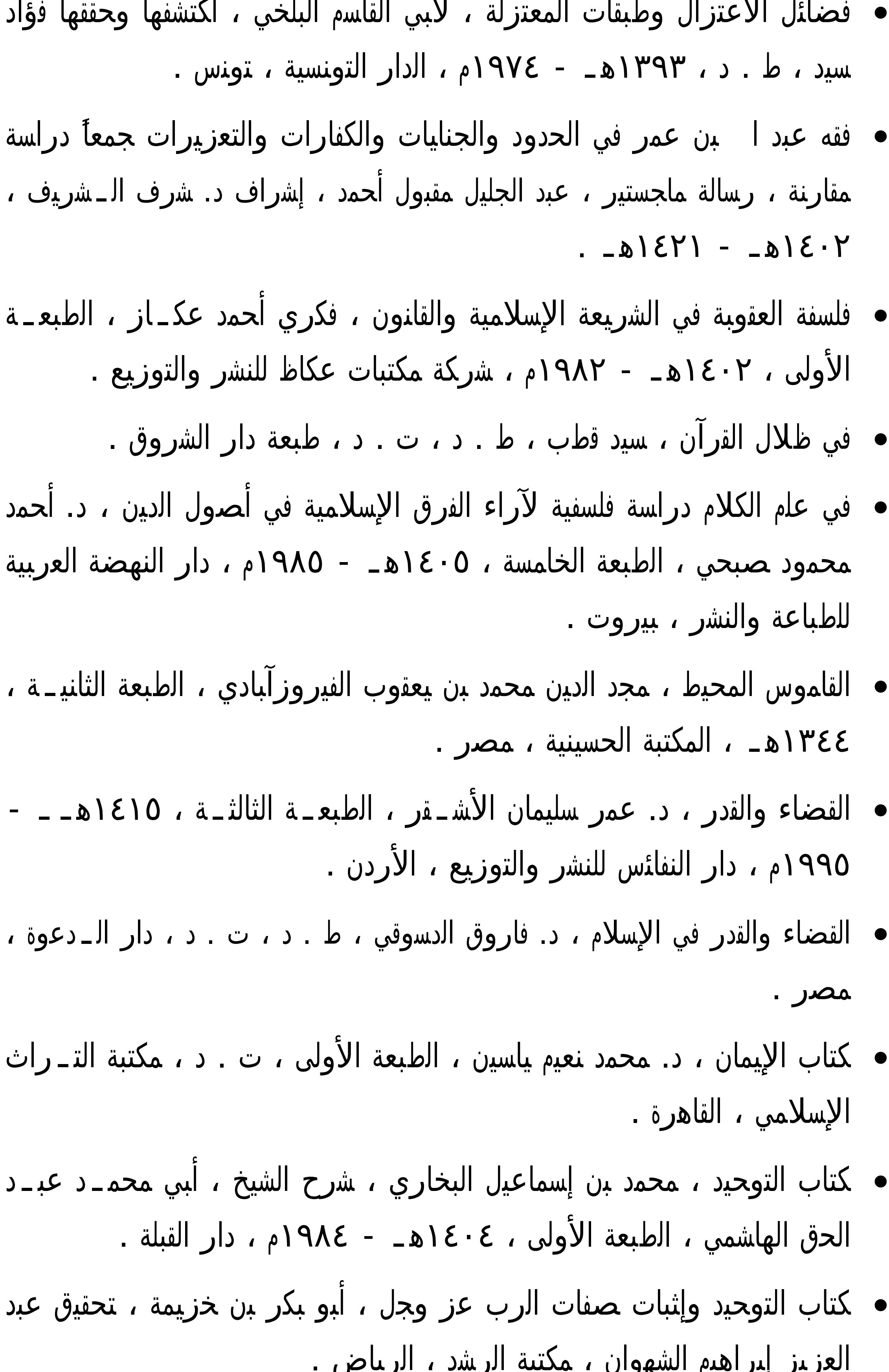
- شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، علق عليه الإمام أحمـد بن الحسين بن أبي هاشم ، حققه وقدم له ، د. عبد الكريم عثمان ، الطبعة الثالثـة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة .
- شرح السنة ، لأبي محمد الحسين البغوي ، تحقيق علي محمد معوض ، عـادل عبد الموجود ، ط . د ، ت . د ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- شرح العقائد العضدية مع حاشية الكلنبوي ، جلال الدين الدراني ، الطبعـة بـدون ، مطبعة دار سعادات ، ١٣١٧هـ .
- شرح العقائد النسفية ، للتفتازاني ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، حققها وراجعها جماعـة مـن العلماء ، خرج أحاديثها : محمد ناصر الـدين الألبـاني ، الطبعـة الثامنـة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق .
- شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين ، خرج أحاديثه واعتنى به ، سعد بن نوار الصميل ، الطبعة السادسة ، ١٤٢١هـ ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيـع ، السعودية .
- شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل هراس ، ضبط نصه علوي عبد القادر السقاف ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض .
- شرح الكوكب المنير ، المسمى مختصر التحرير ، للعلامة محمد بن أحمد بـن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي ، تحقيق د. محمد الزحيلي و د. نزيه حماد ، مـن منشورات مركز البحث العلمي ، بجامعة أم القرى ، مكة المكرمـة ، الطبعـة الأولى ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- شرح المقاصد ، سعد الدين التفتازاني ، تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة ، تصدير صالح موسى شـرف ، الطبعـة الأولـى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، منشورات الشريف الرضي .



- شرح جوهرة التوحيد ، إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ، عبد السلام اللقـاني ، مطبوع معه النظام الفريد بتحقق جوهرة التوحيد ، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م ، مطبعة السعادة ، مصر .
- شرح صحيح مسلم ، يحيى بن شرف النووي ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ ـ - ١٩٩٧م ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع .
- الشريعة ، للآجري ، تحقيق د. عبد ا الدميجي ، ط . د ، ت . د ، دار الـوطن ، الرياض .
- الشريعة ، للآجري ، تحقيق محمد حامـد الفقـي ، ط . د ، ت . د ، الناشـر أنصار السنة المحمدية ، طبعة – لاهور – باكستان .
- شعب الإيمان ، للبيهقي ، ط . د ، ت . د .
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن قـيم الجوزيـة ، خرج نصوصه وعلق عليه ، مصطفى أبو النصر الشلبي ، الطبعـة الأولـى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، مكتبة الوادي ، جدة .
- الصحاح ، لأبي النصر إسماعيل بـن حمـاد الجـوهري ، الطبعـة الثانيـة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت .
- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . د، ت . د ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- صريح السنة ، ابن جرير الطبري ، تصحيح الشيخ عبد ا بن محمد ، ط . د ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، دار الثقافة ، مكة المكرمة .
- الصفات ، للدار قطني ، تحقيق الشيخ عبد ا الغنيمان ، ط . د ، ١٤٠٢هـ ، نشر مكتبة الدار بالمدينة .

- صفوة الصفوة ، لأبي الفرج ابن الجوزي ، جازان ، طبع فـي حيـدر آبـاد ، ١٣٥٥هـ .
- طبقات الحفاظ ، جلال الدين السيوطي ، الطبعـة الأولـى ، ١٤٠٣هـ ـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- طبقات الشافعية ، تاج الدين السبكي ، طبع بمصر ، ١٣٢٤هـ .
- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، طبع في ليدن ، ١٣٢١هـ .
- طبقات المعتزلة ، (ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلـة ومبـاينتهم لسائر المخالفين) ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، اكتشفها وحققها فؤاد سـيد ، ط . د ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م ، الدار التونسية للنشر ، تونس .
- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن قيم الجوزية ، شرح وتحقيق أبي علـي مسلم الحسيني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ـ - ١٩٩٦م ، مكتبـة الإيمـان ، المنصورة .
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، لابن القيم ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ ـ - ١٩٨٩م ، دار ابن كثير ، دمشق ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة .
- العقوبات القدرة ، وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والـسنة ، د . مطيـع ا اللهيبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، جدة ، السعودية .
- العقوبة في الفقه الإسلامي ، دراسة فقهية متحررة ، أحمد فتحي بهنـسي ، ط . د ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر .
- العقوبة والجريمة في الفقه الإسلامي ، محمد أبو زهرة ، ط . د ، ت . د ، دار الفكر العربي .
- العقيدة الأصفهانية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق إبراهيم سـعيداي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

- العقيدة النظامية ، إمام الحرمين عبد الملك الجـويني ، ط . د ، ١٣٩٧هـ ـ - ١٩٨٤م ، تصحيح وتعليق محمد زاهد الكوثري ، مطبعة الأنوار .
- عون المعبود ، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، الطبعة الثانيـة ، ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلمية .
- فتاوى العقيدة ، ابن عثيمين ، ط . د ، ت . د ، مكتبة السنة .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمـد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب ، ط . د ، ١٣٧٩هـ ، دار المعرفـة ، بيروت .
- فتح القدير ، كمال الدين بن الهمام ، وهو شرح كتاب الهداية ، وبهامشه شـرح العناية على الهداية للبابرتي وحاشية سعدي شلبي .
- فتح القدير ، للشوكاني ، ط . د ، ت . د ، دار المعارف ، بيروت .
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط . د ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، دار الفكـر للطباعـة والنـشر والتوزيع .
- فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، محمد بـن صـالح الزركـان ، ط . د ، ت . د ، دار الفكر .
- الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط . د ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، غالب بن علي عواجي ، الطبعة الأولـى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، مكتبة لينه ، دمنهور .
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعـة الخامسة ، ١٤٠١هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

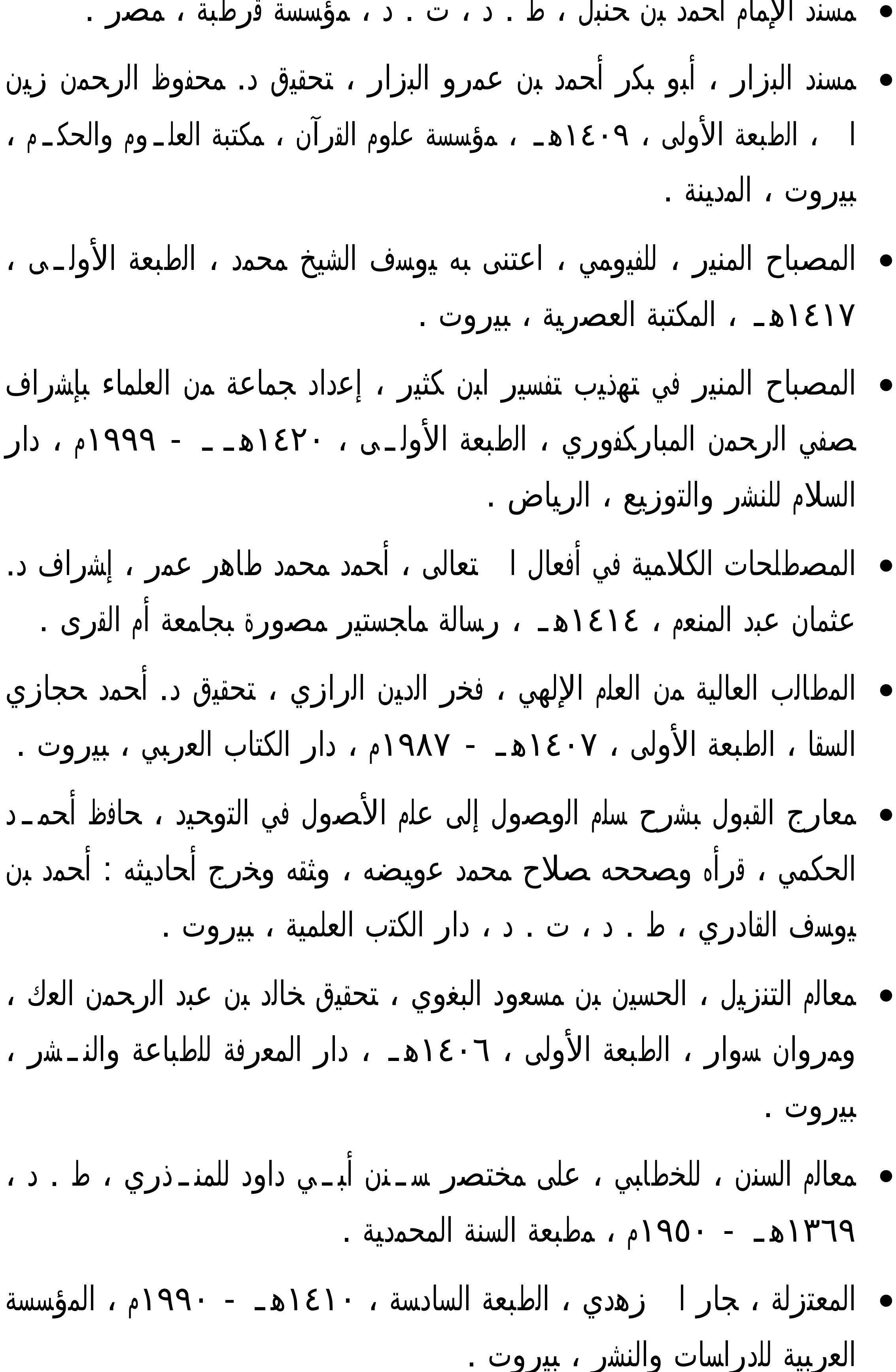


- فضائل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، لأبي القاسم البلخي ، اكتشفها وحققها فؤاد سيد ، ط . د ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م ، الدار التونسية ، تونس .
- فقه عبد ا بن عمر في الحدود والجنايات والكفارات والتعزيرات جمعاً دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير ، عبد الجليل مقبول أحمد ، إشراف د. شرف الشريف ، ١٤٠٢هـ - ١٤٢١هـ .
- فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون ، فكري أحمد عكاز ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط . د ، ت . د ، طبعة دار الشروق .
- في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، د. أحمد محمود صبحي ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٤هـ ، المكتبة الحسينية ، مصر .
- القضاء والقدر ، د. عمر سليمان الأشقر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن .
- القضاء والقدر في الإسلام ، د. فاروق الدسوقي ، ط . د ، ت . د ، دار الدعوة ، مصر .
- كتاب الإيمان ، د. محمد نعيم ياسين ، الطبعة الأولى ، ت . د ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .
- كتاب التوحيد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، شرح الشيخ ، أبي محمد عبد الحق الهاشمي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، دار القبلة .
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، أبو بكر بن خزيمة ، تحقيق عبد العزيز إبراهيم الشهوان ، مكتبة الرشد ، الرياض .

- كتاب القضاء والقدر ، للبيهقي ، تحقيق محمد بن عبد ا آل عـامر ، الطبعـة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، مكتبة العبيكان .
- كتاب النعوت الأسماء والصفات ، للإمام الحافظ أحمد بـن شـعيب النـسائي ، دراسة وتحقيق د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، نشر وتوزيع مكتبة العبيكان ، الرياض .
- كتاب النهاية أو الفتن والملاحم ، لابن كثير ، تحقيق د. طه محمـد الزينـي ، الطبعة الأولى ، ت . د ، طبعة دار النصر للطباعة .
- كشاف القناع عن متن الإقناع ، للبهوتي ، ١٣٩٤هـ ، أمر بطبعه الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، مطبعة الحكومة ، مكة .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخـشري ، ط . د ، ت . د ، دار المعرفة ، بيروت .
- كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، د. علي بن علي جابر الحربي اليماني ، الطبعـة الأولـى ، ١٤١٠هـ ، دار طيبة ، مكة .
- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، لابن رشد ، ضمن كتاب (فلسفة ابن رشد) ، ط . د ، ت . د ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ، عبد العزيز السلمان ، الطبعة التاسـعة عشرة ، ت . د .
- لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ، ط . د ، ١٣٣١هـ ، طبع فـي حيـدر آباد .
- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، أبو الحسن الأشعري ، ط . د ، تصحيح وتعليق د. حمودة غرابة ، مصر ، مطبعة مصر ، ١٩٥٥م .
- لوامع الأنوار البهية ، للسفاريني ، ط . د ، ت . د ، طبع على نفقـة حكومـة قطر .

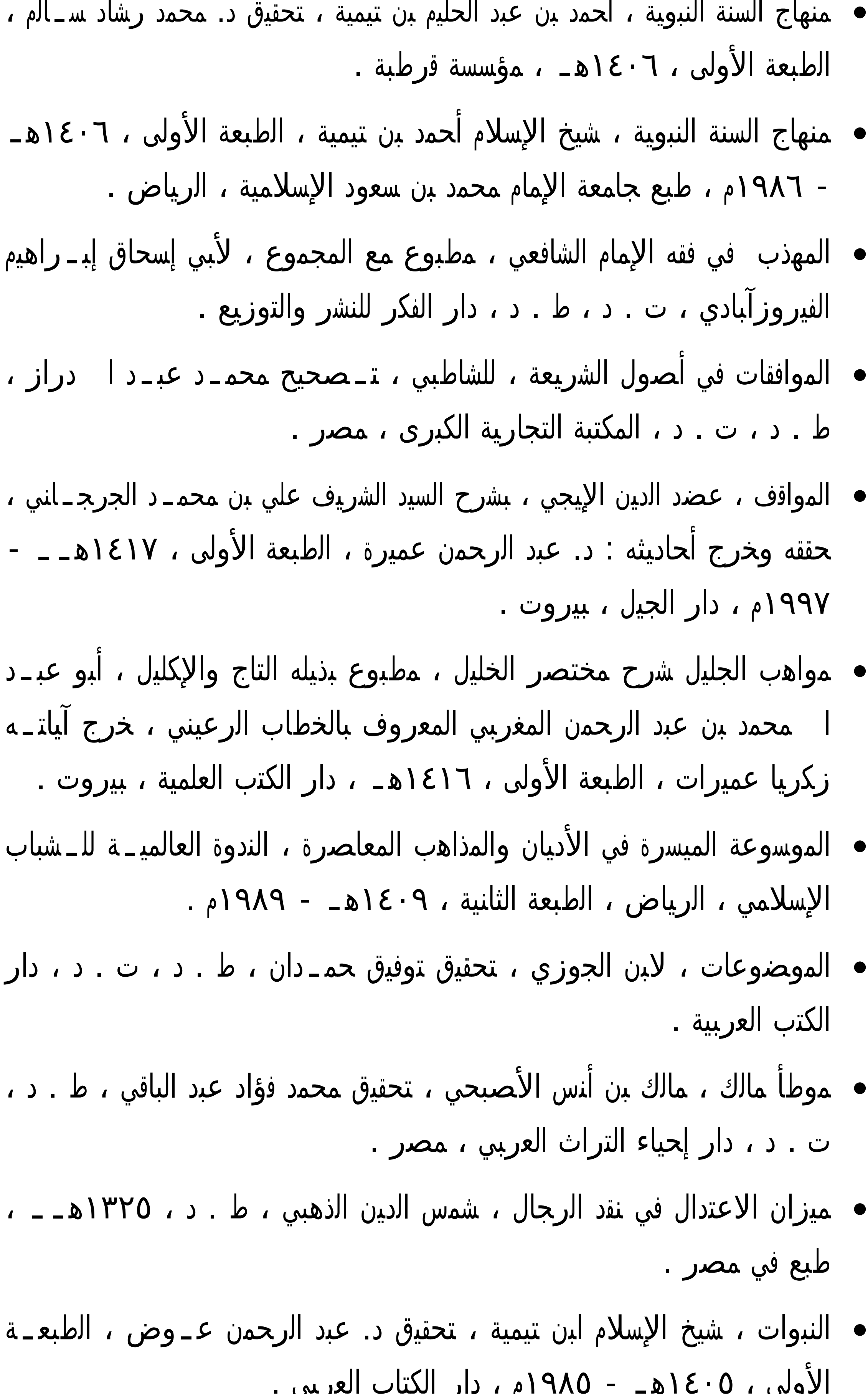
- لوامع البينات ، شرح أسماء ا تعالى والصفات ، فخر الدين الرازي ، تحقيـق طه عبد الرؤوف سـعد ، ط . د ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، مكتبـة الكليـات الأزهرية ، مصر ، الناشر : حسين محمد إمباري وشركاه ، شركة الطباعـة الفنية المتحدة .
- مجرد مقالات الأشعري ، لابن فورك ، تحقيق دانيا جيماريه ، ط . د ، ت . د ، دار الشرق ، بيروت .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط . د ، ١٤٠٧هـ ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت .
- مجموعة الرسائل والمسائل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعة الأولى ، ت . د ، دار الكتب ، بيروت .
- مجموعة الفتاوى ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، اعتنى بها وخرج أحاديثها : عامر الجزار ، أنور البـار ، الطبعـة الأولـى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيـع ، المنـصورة ، ومكتبة العبيكان ، الرياض .
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، فخر الدين الرازي ، الطبعة الحـسينية ، ١٣٢٣هـ .
- المحصول في علم الأصول ، فخر الدين الرازي ، تحقيق د. طه جابر فيـاض العلواني ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، منشورات جامعـة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية .
- المحلى لابن حزم الظاهري ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، ط . د ، ت . د ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- المحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار أحمد ، تحقيق عمـر الـسيد عزمـي ، مراجعة د. أحمد فؤاد الأهواني ، ط . د ، ت . د ، المؤسسة المصرية العامـة للتأليف والنشر ، الدار المصرية للتأليف .

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن قيم الجوزية ، اختصره الشيخ محمد بن الموصلي ، ط . د ، ت . د ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- مختصر العلو ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، اختصره وحققه ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت .
- المختصر في أصول الدين ، للقاضي عبد الجبار ، تحقيق د. محمد عمارة ، طبع ضمن رسائل العدل والتوحيد ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ ، دار الشروق ، القاهرة .
- مدارج السالكين ، شمس الدين ابن قيم الجوزية ، راجعه وضبطه لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، ط . د ، ت . د ، دار الحديث ، مصر .
- مذكرة التوحيد ، عبد الرزاق عفيفي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين ، محمد العروسي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، دار حافظ ، جدة .
- مسالك الحنفا في والدي المصطفى ، جلال الدين السيوطي ، مطبوع ضمن الرسائل التسع ، بتعليق د. محمد عز الدين السعيدي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، طبعة دار إحياء العلوم ، بيروت .
- المسامرة في شرح المسايرة ، الكمال بن أبي الشريف ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٧هـ ، مطبعة السعادة ، مصر .
- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد ا الحاكم النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- المستصفى في علم الأصول ، لأبي حامد محمد الغزالي ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٢هـ ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر .



- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط . د ، ت . د ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
- مسند البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار ، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين ا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلـوم والحكـم ، بيروت ، المدينة .
- المصباح المنير ، للفيومي ، اعتنى به يوسف الشيخ محمد ، الطبعة الأولـى ، ١٤١٧هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت .
- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، إعداد جماعة من العلماء بإشراف صفي الرحمن المباركفوري ، الطبعة الأولـى ، ١٤٢٠هــ - ١٩٩٩م ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض .
- المصطلحات الكلامية في أفعال ا تعالى ، أحمد محمد طاهر عمر ، إشراف د. عثمان عبد المنعم ، ١٤١٤هـ ، رسالة ماجستير مصورة بجامعة أم القرى .
- المطالب العالية من العلم الإلهي ، فخر الدين الرازي ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ، حافظ أحمـد الحكمي ، قرأه وصححه صلاح محمد عويضه ، وثقه وخرج أحاديثه : أحمد بن يوسف القادري ، ط . د ، ت . د ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- معالم التنزيل ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك ، ومروان سوار ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ، دار المعرفة للطباعة والنـشر ، بيروت .
- معالم السنن ، للخطابي ، على مختصر سـنن أبـي داود للمنـذري ، ط . د ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، مطبعة السنة المحمدية .
- المعتزلة ، جار ا زهدي ، الطبعة السادسة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط . د ، ١٣٩٩هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- المعرفة في الإسلام ، مصادرها ومجالاتها ، د. عبد ا بن محمد القرني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ، دار عالم الفوائد ، مكة ، السعودية .
- المغني في أبواب العدل والتوحيد ، للقاضي عبد الجبار ، ط . د ، ت . د ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
- المغني والشرح الكبير ، ابن قدامة المقدسي ، طبعة جديدة بالأوفست ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، ط . د ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، دار الفكر ، بيروت .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق سيد إبراهيم ، علي محمد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، دار الحديث ، القاهرة .
- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٨١هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر .
- مقالات الإسلاميين ، لأبي الحسن الأشعري ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ ، طبع مكتبة النهضة المصرية .
- مقصد الأسنى ، لأبي حامد محمد الغزالي ، تحقيق عثمان الخشب ، ط . د ، ت . د، مكتبة القرآن ، القاهرة .
- الملخص الفقهي ، صالح بن فوزان الفوزان ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية .
- الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق أمير علي مهنا ، علي حسن فاعور ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، دار المعرفة ، لبنان .



- منهاج السنة النبوية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سـالم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ، مؤسسة قرطبة .
- منهاج السنة النبوية ، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- المهذب في فقه الإمام الشافعي ، مطبوع مع المجموع ، لأبي إسحاق إبـراهيم الفيروزآبادي ، ت . د ، ط . د ، دار الفكر للنشر والتوزيع .
- الموافقات في أصول الشريعة ، للشاطبي ، تـصحيح محمـد عبـد ا دراز ، ط . د ، ت . د ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .
- المواقف ، عضد الدين الإيجي ، بشرح السيد الشريف علي بن محمـد الجرجـاني ، حققه وخرج أحاديثه : د. عبد الرحمن عميرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، دار الجيل ، بيروت .
- مواهب الجليل شرح مختصر الخليل ، مطبوع بذيله التاج والإكليل ، أبو عبـد ا محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالخطاب الرعيني ، خرج آياتـه زكريا عميرات ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالميـة للـشباب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- الموضوعات ، لابن الجوزي ، تحقيق توفيق حمـدان ، ط . د ، ت . د ، دار الكتب العربية .
- موطأ مالك ، مالك بن أنس الأصبحي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . د ، ت . د ، دار إحياء التراث العربي ، مصر .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، شمس الدين الذهبي ، ط . د ، ١٣٢٥هـ ، طبع في مصر .
- النبوات ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. عبد الرحمن عـوض ، الطبعـة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، دار الكتاب العربي .



- النبي والرسول ، د. أحمد بن ناصر آل حمد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، مكتبة القدس ، الزلفي ، السعودية .
- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، محمد حسن عقيل موسى ، ط . د ، ت . د ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، جدة .
- نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشهرستاني ، حرره وصححه الفردجيوم ، ط . د ، ت . د ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، شمس الدين محمد بن العباس الرملي ، الشهير بالشافعي الصغير ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٨٦هـ ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات مجد الدين بن الأثير ، ط . د ، ت . د ، تحقيق طاهر أحمد الراوي ، و محمود محمد الطناحي .
- نيل الأوطار وشرح منتقى الأخبار ، للشوكاني ، ط . د ، ت . د ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة .
- الوابل الصيب من الكلام الطيب ، شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ضبطه إبراهيم العجوز ، ط . د ، ت . د ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الواسطة بين الحق والخلق ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تقديم محمد جميل زينو ، تمهيد محمود مهدي استانبولي ، ط . د ، ت . د ، سمحت بطبعه مراقبة الكتب والمطبوعات ، مكة .
- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ط . د ، ١٣١٠هـ ، مصر .
- اليوم الآخر - الجنة والنار ، د. عمر سليمان الأشقر ، الطبعة السادسة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات